إيليا أبو ماضي

الأعمال الشعريّة الكاملة

جمع الشعر وقدم له

د. عبد الكريم الأشتر

إيليا أبو ماضي

(الأعمال الشعرية الكاملة)

جمع الشعر وقدّم له

د. عبد الكريم الأشتر

الكويت
2008

راجعـــه الباحث بالمؤسسة

محمود إبراهيم البجالي

الصـف والتنـفيـذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

تصميـم الغـــلاف

محـمـد عبدالوهاب

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

811. 9566 الأشتر ، عبدالكريم.

إيليا أبوماضي: حياته وشعره(الأعمال الشعرية الكاملة) جمع الشعر وضبطه وشرحه وقدم له د.عبدالكريم الأشتر. – ط1. – الكويت : مؤسسة جائزة عبدالعزيـز سـعود البابطين للإبـداع الشعري، 2008.

1167 ص ؛ 24 سم

ردمك: 8 – 55 – 72 – 99906 – 978

1 – الشعر العربي – دواوين وقصائد – لبنان – العصر الحديث.

2 – إيليا أبوماضي – دواوين وقصائد. أ – العنوان

ردمـــــــك: **ISBN : 978 - 99906 -72 - 55 - 8**

رقم الإيداع : **Depository Number: 2008 / 251**

حقوق الطبع محفوظة

هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصديـر

رأى مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن يتم اختيار عدد من الشعراء الذين وردوا في «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» لإعادة إصدار إبداعاتهم وإنجازاتهم الشعرية كاملة... فوقع الاختيار على الشعراء عبدالغفار الأخرس (القرن التاسع عشر) من العراق، وإيليا أبي ماضي (الذي ولد عام ١٨٨٩ وتوفي عام ١٩٥٧) من الشعراء المهجريين، وصقر الشبيب (القرن العشرين) من الكويت ليمثلوا شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين.

يُعد إيليا أبوماضي من رواد الشعر المعاصر وهو أحد أعلام النهضة الأدبية العربية في المهجر، فلقد أبصر النور في وطنه لبنان حيث الطبيعة الساحرة الخلابة ونشأ في أحضان سهول وجبال بلدته «المحيدثة» الجميلة، فألهمته التفكر والتأمل في الحياة وفلسفتها، ثم ارتحل يافعًا إلى مصر، وهناك التقى بالمثقفين اللبنانيين الذين لجأوا إلى مصر هربًا من بطش السلطة العثمانية، وفيها نشر قصائده في المجلات والصحف اللبنانية الصادرة في مصر، كما أصدر فيها أول دواوينه الشعرية «تذكار الماضي» عام ١٩١١، وبعد ذلك حطّت به عصا الترحال في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تعرف هناك إلى عدد من المفكرين والشعراء في المهجر وأسس مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة «الرابطة القلمية» التي ذاع صيتها ومن خلالها كانت له ولزملائه شهرة واسعة.

لقد كان لمنشأ أبي ماضي وترحاله وهجرته أكبر الأثر في إبداعه الشعري من حيث المبنى والمعنى، ولقد صقلته تجربة المهجر الطويلة، وأثر عليه الموطن الجديد الذي اختاره وشهد من خلاله أهم أحداث العالم وراقب منه ما يحدث في وطنه العربي

الكبير، واهتم أبوماضي في مجمل شعره بوطنه لبنان معبرًا عن شوقه وحبه، لكنه لم ينسَ قضايا أمته، فتفاعل معها في شعره فهاجم الاستعمار والاحتلال مهما كان مصدره، وظلّ في قصائده محافظًا على شرقيته وعروبته رغم حياته في الغرب وتأثره بمجريات الحياة فيه اجتماعيّاً وأدبيّاً.

عزيزي القارئ

يسر مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن تقدم لمحبي هذا الشاعر الكبير كل ما وصلت إليه من أعماله الشعرية من دواوينه المعروفة («تذكار الماضي بجزئيه» و«الجداول» و«الخمائل» و«تبر وتراب») إضافة إلى ما لم تجمعه هذه الدواوين، وهي القصائد التي وردت في كتاب (إيليا أبوماضي - دراسات عنه وأشعاره المجهولة) للدكتور جورج ديمتري سليم، وبذلك فإن المؤسسة تقدم لأول مرة أعمال الشاعر كاملة في سفرٍ واحد، ويسعدني أن أقدم بالغ الشكر للأستاذ الدكتور عبدالكريم الأشتر الذي أعد هذا الكتاب ليكون متاحًا للجميع، والشكر موصول لكل من ساعد في إعداده ومراجعته.

والله ولي التوفيق...

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في 7 شعبان 1429هـ
الموافق 7 أغسطس 2008م

✱✱✱✱

إيليا أبوماضي

حياته وشعره

(الأعمال الشعرية الكاملة)

« دراســـة »

قدّم بها لمجموع شعره في دواوينه الستة

الدكتور عبدالكريم الأشتر

إيليا أبوماضي.. حياته وشعره
الأعمال الشعر الكاملة
دراســـــة
(١)

لم تُولِ الدراسات، التي تناولت شعر الشاعر المهجري إيليا أبي ماضي، الاهتمام الكافي بالجوانب المأساوية الحزينة، من حياته، وما خلفت من أثر في مواقفه وشعره، من الحياة وأحداثها، ومذاهبه في تصويرها وتفسيرها، ومواقفه من الأحياء ومسالكهم التي اختاروها لأنفسهم فيها، في حدود تكوينه الخاص من ناحية، وظروف نشأته وأدوار نموه النفسي والفكري، في البيئات التي خالطها وخضع لملابساتها في الوطن والمهجر، من ناحية أخرى.

فتح الطفل إيليا عينيه في لبنان سنة ١٨٨٩ ـ وكان في نهاية القرن التاسع عشر، ما يزال جزءاً من سورية ـ في قرية اسمها (المحيدثة)، من قرى المتن الشمالي فيه، قريبة من بكفيّا، في سفح جبل صنيّن، غارقة في الخضرة، منتشية بجمال الطبيعة الممتدة من حولها.

ولكن يد السلطة العليا فيها، منذ سنة ١٩٠٧، كانت للسلطنة العثمانية التي كان المتصرف (يوسف باشا فرنكو) يمالئها، فيما يقول معاصرو تلك المرحلة.

كانت الأوضاع السياسية مضطربة، والدولة العثمانية على وشك الانهيار، حتى لقد اصطُلح، في معجم السياسة الدولية، على تسميتها بـ«الرجل المريض»، فكانت ترقب فيه نشاط العناصر المسيحية بخاصة، على اختلاف مذاهبها، بحذر بالغ، يفسِّر إعجابَ أبنائها المستمر بثورة يوسف بك كرم الذي مثّل في أعينهم إرادة التحرر الوطني[١].

(١) في شعر إيليا أبي ماضي نص يحيي فيه هذا «البطل» لحّنه أحد الموسيقيين من المهاجرين اللبنانيين في أمريكة، وجعل (١٩٢٥) منه نشيداً ينشدونه في بعض المناسبات (ما لم تجمعه الدواوين: النص٣٧ «نشيد يوسف بك كرم»).

ففي هذه الظروف انفتح باب الهجرة إلى أمريكا التي كانت تستدعي إليها الراغبين في تأسيس حياة جديدة لأنفسهم، بعيداً من أوطانهم التي ضاقوا بأوضاعهم فيها، أو طمحوا إلى كسب فرص جديدة يجنون من خيراتها ما لم يتح لهم جَنْيه في أوطانهم.

ولكن الهجرة إليها من لبنان كانت تحكمها رقابة صعبة، فلجأ فريق من أهله إلى جعل مصر مرحلة من مراحل الهجرة إلى أمريكا. ويبدو أن أسرة الصبي إيليا، الذي لم يجاوز الحادية عشرة (١٨٨٩-١٩٠٠)[١]. لم تكن ميسورة. وكان أحد أقربائه (عمه «نعّوم») ينوي الرحيل إليها، فلم يجد الصبي ما يمنعه من صحبته. ثم إن أخاه (مراد) بِكر الأسرة، كان قد سبقه إلى الهجرة [٢]، وحلّ في أمريكا في مدينة سِنْسِنّاتي Cincinnati، من ولاية أوهايو، وزاول فيها مهنة تجارة السِّمانة.

ولسنا ندري، على التحقيق: هل كان الصبي، وهو في الإسكندرية، يتطلع إلى متابعة الهجرة إلى أمريكا، والالتحاق بأخيه فيها، فقد التحق به حقاً بعد أن جاوز العشرين (١٨٨٩- أواخر١٩١١)[٣]. ولكنه خلّف، على الحالين، في الإسكندرية، مرحلة غنية من مراحل نشاطه، في ميدان السياسة والشعر، لا يمكن تجاوزها، ولا يسهل الفصل معها في الحكم على ما كان نواه.

☆☆☆☆☆☆

نقف عند نهاية هذه المرحلة الأولى من هجرته، قبل أن يغادر الإسكندرية، نستخلص فيها حقائق نشأته: طفلاً في لبنان، وصبياً في الإسكندرية، وقد بلغ فيها مرحلة الشباب الأولى، قبل أن يتابع هجرته إلى العالم الجديد.

---

(١) تضطرب المراجع التي في أيدينا، في تحديد سنة ولادته في (المحيدثة)، ابتداءً من سنة ١٨٨٤ إلى ١٨٩٠ ! ولكنها تجتمع، في آخر الأمر، على اعتماد سنة ١٨٨٩ .

(٢) يبدو أنه سبق إيليا في الرحيل إلى مصر (الإسكندرية) لأن إيليا، بعد أن عمل في بيع الدخان والسجائر في دكان أبي الياس بمينا البصل، ثم في دكان أخرى، انتقل إلى العمل معه في حي العطارين، بالإسكندرية.

(٣) بعض المراجع تجعل رحيله إلى أمريكة سنة ١٩١٢، إذ زار لبنان قبل رحيله إليها، فمكث فيه بضعة أشهر، وقف فيها إلى جانب المعارضة للمتصرف العثماني (يوسف باشا فرنكو)، هرب بعدها، وفي جعبته واحدة من قصائده السياسية (انظر الديوان الثاني «وداع وشكوى» النص ٩، وسنعود إليها من بعد).

كان الطفل – وقد نشأ في وسط يفيض بجمال الطبيعة وقوّتها، في الجبال المكسوّة بالأشجار – يتردد على مدرسة القرية الصغيرة، ويدّخر من غنى ما يطالعه، من حوله، صوراً أخصبتْ بها نفسُه، وجد فيها – بعد أن استوى عوده، وأخذ يتمرس بالتعبير عمّا يحس، وهو في الإسكندرية – مشاهد حية من سِحْر الطبيعة وألوانها: زهراً وعطراً وندًى وطيراً وجدولاً وخريرًا.

يقول في ديوانه الأول (تذكار الماضي) الذي طبعه في الإسكندرية ١٩١١، من قصيدة بعنوان «قصيدة الطبيعة»[١] التي نسجها على منوالٍ لا بدّ يحفظه، من «ديوان العرب»:

روضٌ إذا زُرتَه كـــئـــيـــبـــاً
نـــفّسَ عن قـــلـــبك الـــكُـــروبـــا
إذا بـــكـــاه الـــغـــمـــامُ شـــقَّتْ
من الأسى، زهـــرُه الجُـــيـــوبـــا
وشّـــاهُ قَـــطـــرُ الـــنـــدى فـــأضـــحى
رداؤه مُـــعْـــلَـــمـــاً قـــشـــيـــبـــا
فـــمن غـــصـــونٍ تـــمـــيس تِـــيـــهـــاً
ومن زهـــورٍ تـــضـــوعُ طِـــيـــبـــا
ومن طـــيـــورٍ إذا تـــغـــنَّت
عـــاد المـــغـــني بـــهـــا طَـــروبـــا
ونـــرجسٍ كـــالـــرقـــيب يـــرنـــو
ولـــيس مـــا يـــقـــتـــضي رقـــيـــبـــا
وأقـــحُـــوانٍ يُـــريكَ دُرّاً
وجـــلّـــنـــارٍ حـــكى الـــلـــهـــيـــبـــا
وجـــدولٍ لا يـــزال يـــجـــري
كـــأنه يـــقـــتـــفي مُـــريـــبـــا

(١) النص ٢٣.

تَـــســـــمعُ طـــوراً لـه خـــريـــراً
وتـــارةً في الـــثَّـــرى دبـــيـــبَـــا
وكلُّ مـــــعـــــنىً به جـــمـــــيلٌ
يُـعـلِّم الـشـاعـرَ الـنَّـسـيـبـا
أرضٌ إذا زارهـــــــا غـــــــريـبٌ
أصـــــبح عن أرضه غـــريـــبـــا

ويقول، في المرحلة نفسها، يصف النيل، من قصيدة جعل عنوانها (يا نيل)[1]، فافتتح وصفه على هذا النحو الفخم القوي الجزل:

فـــثمّ جلالٌ يملأ الـــنـــفسَ هـــيـــبـــةً
وثمّ جـــمـــالٌ يملأ الـــعـــينَ بـــاهـــرُهْ
وألحظُ شـــمسَ الأفق، وهْي مُـــطـــلّـــةٌ
تـــسـايـرُ فـيه ظـلَّـهـا إذْ تـسـايـره
إذا هيَ ألـــقتْ في حـــواشـــيه نـــورَهـــا
رأى الـتِّـبرَ يـجـري في حـواشـيه نـاظرُهْ
يـروحُ الـنـسـيم الـرَّطبُ في جَـنَـبـاته
يـــداعـــبه طـــوراً، وطـــوراً يـــحـــاوره
وتـــقـــبِض من مـــبْـــسـوطه نـفـحـاتُه
كـمـا قـبضَ الـثـوبَ المـطـرِّزَ نـاشـرُه
كـأني بـــهـــا سِـفْـرٌ تـدانتْ سـطـورُه
أوائـــلُهُ قـــد شُـــكِّـــلتْ، وأواخـــرُه

ومن هنا نجده، في دلالة مستمرة، يسمي ديوانه الثالث (الجداول)، وديوانه الرابع (الخمائل). ومن هنا أيضاً تتدخل الطبيعة في أغراض شعره، تعينه على تدفق خاطره الشعري فيه. فإذا بكى حجب الليلُ قمرَه، وإذا ضحك أضحك الدراري معه.

---

(١) النص ٥٢ من الديوان نفسه.

يقول يصف حال المحزون، في الديوان نفسه[1].

وأعـــوزه عـــلى الـــبـــلـــوى مُـــعـــينٌ
وأعـــوز لـــيـــلَه الـــقـــمـــرُ الـــتَّـــمـــامُ
فـــضـــاقَ فـــؤادُه بـــالـــهم ذرْعـــاً
وضـــــاق بـــــهـــــمِّه وبـه الـــــظلامُ
كـــأن نجـــومه أجـــفـــانُ بـــاكٍ
كـــأن الـــلـــيل صبٌّ مـــســـتـــهـــام
وبـــالأقـــمـــار مـــا بي، فـــهْي مـــثـــلي
تحـــاول أن تـــنـــام فلا تـــنـــام
كـــأني قـــارئٌ والـــلـــيل سِـــفْـــرٌ
له بـــدءٌ ولـــيس له اخـــتـــتـــام

أعـــدى غـــرامي الـــنـــجـــومَ حـــتى
أســـهـــرَهـــا من الـــدجى غـــرامي[2]

بدأ الفتى، وهو بعد في الإسكندرية، في أول تفتّحه ـ كما تقول بعض أخباره الأولى ـ يدرس قواعد النحو والصرف لنفسه، وفي بعض الكتاتيب القائمة في الإسكندرية يومذاك، وأخذ يقرض الشعر، وقد تحركت له نفسه، بحكم تكوينه، قبل كل شيء، ينسج قصائده، على مثال ما يقرأ من شعر العرب، كما رأينا، يلتزمه ويحاكيه، ويقف عند بعض قصائده وأعلامه، في المواقف التي اختار أن يقفها، منحازاً، ضمن الحزب الوطني الذي يرأسه مصطفى كامل، إلى الحركة الوطنية[3]، في ظل المقاومة التي أخذت تنشط، للاحتلال

---

(١) تذكار الماضي: النص ٤٩، وسيأتي الكلام على دواوينه الأخرى من بعد.

(٢) النص ٣٢ (أنا إمام الذين هاموا).

(٣) من اللافت: وقوفه إلى جانب الحركة التعليمية فيه (سميت باسم: مدارس الشعب) والحركة العمالية. وفي شعره ما يمثل لهذا التأييد ويجهر به بالرغم من ظهور خلافات جرّاءها، داخل الحزب.

الإنكليزي الذي أطبق على مصر منذ سنة ١٨٨٢، ورجاله وأتباعه، مهنئاً من يُفرَج عنه من رجالها (عبد العزيز جاويش)[١]، ومرحِّباً بمن يعود منهم من منفاه (محمد فريد)، وراثياً من يقضي من زعمائهم (مصطفى كامل)، إلى جانب رثائه رجال الفكر والإصلاح (الشيخ محمد عبده) والأدب (جرجي زيدان)، ومنددا بالسلطات العثمانية و«باستبدادها» بقومه، تنديداً ضارياً، معلناً شماتته بانكساراتها وهزائمها، محيياً خصومَها، مشيداً ببطولاتهم، وبمن يرجع إلى الحق والدستور من رجالها[٢].

وتقع، إلى جانبه، في الإسكندرية (١٩٠٩) فاجعة مبكرة: وفاة أخيه (طانيوس)[٣]، مفتتحاً بمأساته مأساة أخويه الآخرَيْن من بعد: واحدٍ إلى جانب أبي ماضي أيضاً، في مدينة سِنسِنّاتي، في المهجر الأميركي، سنة قدومه إليها من مصر (ديمتري ١٩١٦)، منتحراً برصاصة أطلقها على نفسه، قبل أن يتجاوز العقد الثاني من عمره، وأخته (أوجيني- جيني) في لبنان، إثر ولادتها الأولى (١٩٢٣)[٤]، فضلاً عن موت فريق من أهل زوجته (دوروثي نجيب دياب) في سن مبكرة.

وقد أُتيحَ له، وهو بعدُ في هذه المرحلة من حياته في الإسكندرية، أن يصل صوتُه إلى بعض صحف المهجر، فنُشرت فيها بعض قصائده التي كانت بعضُ الصحف المصرية تنشرها «اللواء» و«الهداية» و«الشعب» و«القلم»، وهي قصائد تحمل شكواه الاجتماعية أو السياسية، ضمّها، من بعد، إلى (تذكار الماضي)، وتشير إلى ما تحمل نفسه من هموم الغربة وأوجاع الأحداث التي تقع من حوله، في الوطن الذي غادره (لبنان) والوطن الذي يعيش فيه (مصر)، وتحمل شكواه من بعض الوقائع العامة، ومن المعاناة الذاتية التي تضطرب بها نفسه.

---

(١) نشر سنة ١٩٠٩ في جريدة اللواء (وهي جريدة الحزب) كلمة عنيفة، في ذكرى واقعة (دنشواي)، فحكم عليه بالسجن.اندفع أبو ماضي، مخالفاً نصيحة الكثيرين، فنشر في (اللواء) قصيدةً، هنأه فيها بالإفراج عنه.

(٢) تراجع الأمثلة، في هذا كله، في ديوانيه: الأول (تذكار الماضي) والثاني (الجزء الثاني من ديوان إيليا أبي ماضي)، إذ لا فائدة في إيراد نماذج منها هنا، أو في تحديد نصوصها.

(٣) في (تذكار الماضي) قصيدة بعنوان «البدر الآفل» يبكيه فيها بكاء مرّاً: النص ٣٧.

(٤) في المراجع، بين أيدينا، نبأ عن موت أخ آخر له، سمته (إبراهيم)، لم أجد تفصيلاً عنه.

يقول، مثلاً، من قصيدة تحمل عنوان «شكوى فتاة أرغمها ذووها على الاقتران برجل طاعن في السن»، فصوّر بلسانها عجزها عن الرضا بما كُتب لها، وتطلعَها إلى الحياة التي ترى نفسها أهلاً لها، حتى كأنه كان يحكي حكاية فُرقته عن أهله، وما كان يتطلع إليه ويرى نفسه قادراً على تحقيقه، بموهبته التي أصبح يسعى أن يلفت إليها الناس:

زعَـــمـــوا أنّ الـــغـــوانيْ لُـــعَبٌ
إنما الـلُّـعْـبـةُ، طـبـعـاً، لـلـصـبي
وأنـــا مـــازلتُ في شَـــرْخِ الـــصِّـــبـا
فـــلـــمـــاذا فـــرَّط الأهـــلـــون بي؟
لـيَ قَـــدٌّ وجـــمـــالٌ يـــزدري
ذاكَ بـــالـــغُـــصن، وذا بـــالـــكـــوكب
قـــد جـــرى حبُ الـــعلا مـــجـــرى دمي
فـــهْيَ سـؤلي، والـــوفـــا من مَـــشـــربي
أنـــا، لـــو يـــعـــلـم أهـــلـي، درّةٌ
ظُـلـمِتْ في الـبـيع كـالـمُـخْـشَـلب[1]

على هذا النحو، نحسب عمله في الحقل السياسي، ودفاعه عن مصر وحقوقها، ونشره شعرَه في صحفها، واتصاله برجالها[2]، موصولاً باختيار السبيل إلى تعريف المصريين به، وبموهبته التي أصبح، من بعد، يعتزُّ بها غاية الاعتزاز[3]، ويرفعها، أحياناً، فوق مستواها الإنساني[4].

---

(١) تذكار الماضي: النص ٥، والمخشلب: الخرز، والحجر المزيف المصنوع.

(٢) في أخباره، عن هذه المرحلة اهتمامه بقضية المرأة، وقضية الإصلاح الديني ورجاله (الشيخ محمد عبده) والدعوة إلى الدستور، والانتصار للواقفين في وجه تمديد الترخيص لشركة قناة السويس البريطانية، أربعين عاماً (على حين أيّد أغلب الضيوف «الشوام « ضدّ الترخيص). ومن أخباره أيضاً، امتداحه ديواناً من الشعر كتبه علي الغاياتي، باسم (وطنيتي) صادرته سلطات الاحتلال البريطاني التي كان على رأسها المعتمد (سير الدون غورست). وفي شعر أبي ماضي ذكر له وتنديد به : ما لم تجمعه الدواوين: النص ٥٢ (مصر والاحتلال).

(٣) انظر الأبيات الأولى من قصيدته «١٩١٠» (من : تذكار الماضي) والأبيات الأخيرة من النص٤٤ «مريض بالغرور».

(٤) انظر النص رقم ٥١، «إنّه الشاعر» (ما لم تجمعه الدواوين ص١١٢٥).

على أنه وصل، في نهاية هذه المرحلة، إلى أن أوصل صوته، عن طريق الصحف في الوطن والمهجر، إلى الناس من المحررين وأصحاب الصحف ومن يقرؤها، وأن يجد في نفسه القدرة على تكوين ديوانٍ من مجموع قصائده التي أجازها الرقيب، ودَّع به هذه المرحلة من حياته، وادّخر في جعبته قصائد أخرى سياسية لم يُجِزْ له الرقيب نشرها. وقال في آخر الديوان: إنه ينوي نشرها في «الجزء الثاني.. وإنّ نشْرها لقريب»[1].

فهكذا نرى أن صوته الخاص، في هذه المرحلة، لم يكن غائبًا عنها، كما توحي بعض الدراسات التي تناولت شعره فيها، وإن كان صوت الآخر هو الغالب عليه، في اختياره قوالب التعبير الفني لقصائده، على نحوٍ يذكّرنا، ونحن نقرؤها، بقصائد معينة لكبار شعرائنا القدامى.

ففي (تذكار الماضي) أصواتٌ يمكن أن نصل في تتبع أصداء مواقفها، إلى دواوينه الأخرى التي نشرها، في مراحل عمره التالية، مثل موقفه الشائع في شعره، من الإنسان وتعاليه على الطينة التي خلق منها[2]:

قالوا: ترقَّى سليلُ الطين، قلت لهم:
الآن تم شقاء العالَم الآنا
إن الحديدَ إذا ما لان صار مُدىً
فكنْ على حذرٍ منه إذا لانا
والمرء وحشٌ، ولكنْ حسنُ صورتِه
أنسى بلاياه مَن سمَّاه: إنسانا

وموقفه من قيمة الإنسان الروحية، وتقديمها على صورته الظاهرة: «فالسرّ في الأرواح»، كما صار يقول من بعد[3]:

إذا كان حُسنُ الوجه يُدعى فضيلةً
فإن جمالَ النفس أسمَى وأفضلُ

---

(١) ملاحظة وردت في آخر ديوانه (تذكار الماضي) ص٢٣١.

(٢) تذكار الماضي: النص الأول (الإنسان والدين) وانظر فيه أيضاً النص رقم ٤٧ «الكبرياء خُلّة الشيطان». ونعود إلى الوقوف عليه، من بعد.

(٣) النص ١٢ في (الديوان الثاني) ص٢٩٦.

وموقفه من رجال الدين الرهبان، في خطابه إلى لبنان وأهله[1]:

إنَّ الأبـــالسَ حـــين أعـــيـــا أمـــركُمْ
جـــاءتـــكمُ في صـــورة الـــرُّهـــبـــانِ
فـحـذارِ من أن تُـخـدعـوا بـلـبـاسـهمْ
فـهمُ الـضـواري في لـبـاس الـضـَّانِ
إن كـــان لـي ذنبٌ وهم غـــفـــرانُه
آثـــرتُ أن أبـــقى بلا غـــفـــران
أو كـنت في الـنـيـران حـيث لـديـهمُ
مـنـهـا الـنـجـاةُ، رضِـيتُ بـالـنـيـران

فإذا رجعنا إلى النظر في اختيار أساليب التعبير، وصوغ الجمل فيها، طغى صوت الآخر، وبدأت تتوارد على الذاكرة أسماء كبار شعراء تراثنا الشعري(المتنبي، أبو العلاء، بشار، أبو نواس، وغيرهم) على نحوٍ يشعرنا بمطالعات إيليا الجادّة لدواوينهم، واختيار القصائد السائرة، من شعرهم، في جمهور المتأدبين [2]

والذي ننتهي إليه أن الشاب، في أولى مراحله، كان يستكمل عدَّته، ويستعرض أسس ثقافته الشعرية، قبل أن يرتقي بها، من بعد انتقاله إلى العالم الجديد، وتأثره، في مراحله المقبلة، بأجوائه، وانتظامه عضوًا في(الرابطة القلمية)، والتقائه بكبار أعضائها: جبران ونعيمة ورشيد أيوب ونسيب عريضة.

****

(١) انظر النص ٣٩ «في سبيل الإصلاح» (تذكار الماضي) .

(٢) نلاحظ، من بعد، أن أبا ماضي تعدى، في مطالعاته، شعراء العصر العباسي، إلى شعراء العصور المتأخرة (العصر الأيوبي والمملوكي، لحاقاً بشعراء مرحلته الزمنية :شوقي وحافظ والبارودي والأخطل الصغير وبدوي الجبل). وربما كان تأثره بكل واحد منهم يحتاج إلى درس خاص، حتى في اقتباس بعض معانيه!

(٢)

ولكنه قطع شوطًا آخر، مهّد له الطريق، نجد معالمه المتقدمة في ديوانه الثاني الذي نشرته له، في نيويورك جريدة (مرآة الغرب اليومية) سنة١٩١٩ . ففيه نستطلع المقدمات الحقيقية التي انتهى إليها في ديوانه الثالث (الجداول)، وشكّلت عالمه الشعري الرحب الذي دخل به تاريخ الشعر العربي من بابه الخاص، وأصبح معه مَعْلماً متقدماً من مَعالم التجديد في حياتنا الأدبية.

ولهذه المعالم، من هذا الجانب وحده، في هذا الديوان (الثاني)، رضي جبران أن يقدم له بمقدمة حفظ لأبي ماضي فيها قدرته على تخطي عالم الحس، وقرّبه من مفهومه الخاص للشعر، بأسلوبه المجازي المعروف: «الشعر عاطفة تتشوق إلى القصيّ غير المعروف، وتجعله قريباً معروفاً، وفكرةٌ تناجي غير المدرك، فتحوله إلى شيء ظاهر مفهوم... فالشعر يصعد إلى الملأ الأعلى على سُلّم أقوى وأبقى من الجبال ! يصعد بعزم الروح ويتمسك بحبالٍ غير منظورة... يتمسك بحبال الفكر، ويملأ كأسه من عصير أرقَّ من ندى الفجر، يملؤها من خمرة الخيال. والخيال هو الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح... وإيليا أبو ماضي شاعر، وفي ديوانه سلالم بين المنطق وغير المنطق، وحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها...».

وقد كان الفاصل الزمني بين الديوانين، الأول والثاني، ثماني سنوات (١٩١١–١٩١٩)، وهو عين الفاصل الزمني بين ديوانه الثاني هذا وديوانه الثالث (الجداول: ١٩١٩ – ١٩٢٧).

فأما الفاصل الفكري والنفسي والفني بين هذين الديوانين (الأول والثاني) فأبعد كثيراً من هذا الفاصل الزمني، وكان لانتقاله إلى العالم الجديد، لاشك، والتقائه بعض

أعضاء الرابطة أثر فيه، بالرغم من أن انتقاله من سِنْسِنّاتي[١] إلى نيويورك ١٩١٦[٢] حين التقى بجبران ونعيمة وزملائهما، واختلط بهم، تمّ في سنوات قليلة، قبل ظهور هذا الديوان، أعني قبل أن يعاد تشكيل الرابطة القلمية[٣]، وتعلِن عن برنامجها وتصدِر مجموعتها سنة١٩٢١ .

على أن الديوان الثاني اشتمل أيضاً على قصائد كان كتبها في الإسكندرية، ولم يتح له نشرها، لأسباب سياسية. وفيه، لاشك، قصيدة أو أكثر كتبها في زيارته لبنان، لبضعة أشهر، قبل أن يركب البحر إلى أمريكا، هارباً، على ما تقول بعض المراجع، من وجه السلطة العثمانية القائمة فيه آنذاك، بعد أن انضم إلى صفوف معارضيها[٤]. منها قصيدته التي سماها «وداع وشكوى»[٥]، شكا النوى في أولها، ووصف موج البحر الهائج الذي أحاط بمركبه، حتى ظن الموت قريباً منه. ثم قال، كأنه يخاطبه من الحال التي نعرفها في لبنان اليوم:

نيويورك يابنت البحار، بنا اقصِدي
فلعلنا في الغرب ننسى المشْرِقَا
وطنٌ أردناه على حب العُلا
فأبى سوى أن يَستكين إلى الشَّقا
أوَ كلما جاء الزمان بمُصلحٍ
في أهله، قالوا طغى وتزندقا

---

(١) انضم في سنسنّاتي إلى أخيه (مراد) في عمله التجاري، ولم يصدر له شيء خلال عمله معه، إلا أن يكون ما نشر في بعض الصحف والمجلات.

(٢) دعي، في انتقاله، إلى الإشراف على مجلة تُصدرها مجموعة من الشباب الفلسطينيين، باسم (المجلة العربية). ثم انتقل إلى العمل مع شكري بخّاش في المجلة التي كان يصدرها باسم (الفتاة)، إلى أن استقر أخيراً في العمل مع نجيب موسى دياب، في جريدته (مرآة الغرب اليومية)، وفيها تم طبع ديوانه الثالث (الجداول) أيضاً.

(٣) ظهرت (الرابطة) في منتصف عام ١٩١٦، ثم أعيد تشكيلها من بعد، لإبعاد (نجيب موسى دياب) صاحب (مرآة الغرب) عنها.

(٤) (إيليا أبو ماضي، دراسات عنه وأشعاره المجهوله) لجورج ديمتري سليم، ص ١٧٧، دار المعارف – القاهرة ١٩٧٧.

(٥) النص ٩ (الديوان الثاني) ص٢٧٩.

هـــذا جـــزاءُ ذوي الـــنُّـــهى في أمـــةٍ
أخـذ الجـمـودُ عـلـى بـنـيـهـا مَـوثـقـا
وطنٌ يـــضـــيق الحـــرّ ذَرْعـــاً عـــنـــدَهُ
وتـــراه بـــالأحـــرار ذرْعـــاً أضْـــيَـــقـــا
شـعبٌ كـمـا شـاء الـتـخـاذل والـهـوى
مـــتـــفـــرقٌ، ويـــكـــاد أن يـــتـــمـــزّقـــا
لا يـــرتـــضي دينَ الإله مـــوفِّـــقـــاً
بـين الـقـلـوب، ويـرتـضـيه مـفـرِّقـا
لم يـعـتـقـد بـالـعـلـم، وهْـوَ حـقـائقٌ
لـكـنه اعـتـمـد الـتـمـائمَ والـرُّقى
وحـكـومـةٌ مـا إن تـزحـزحُ أحـمـقـاً
عن رأسـهـا، حـتـى تـولي أحـمـقـا
بـيـنـا الأجـانبُ يـعـبـثـون بـهـا كـمـا
عـبث الصَّبـا سـحَـراً بـأغـصـان الـنَّـقـا
(بـغـدادُ) في خـطـر، و(مـصـر) رهـيـنـةٌ
وغـداً تـنـال يـدُ المـطـامع (جِـلَّـقَـا)!

ثم التفت يصف الحياة في مغتربه الجديد، في ردة الفعل لما وقع له في لبنان:

أصـبـحتُ حـيث الـنـفسُ لا تـخـشى أذىً
أبـداً، وحـيثُ الـفـكـرُ يـغـدو مُـطـلَـقـا
هـذي هي «الـدنـيـا الجـديـدة» فـانـظري
فـيـهـا ضـيـاءَ الـعـلمِ كـيف تـألَّـقـا
إني ضـمِـنتُ لكِ الحـيـاةَ شـهـيـةً
في أهـلـهـا، والـعـيشَ أزهـرَ مُـونِـقـا
نـفـسي! اخـلُـدي ودعي الحـنـينَ فـإنمـا
جـهلٌ بُـعـيـد الـيـوم أن نـتـشـوَّقـا

وفي الديوان نصوص أخرى ـ نُشر بعضها في عدد (السائح) الممتاز التي كان عبد المسيح حداد يصدرها، وفي(الفنون) لنسيب عريضة ـ من نتاج هذه المرحلة التي سبقت مجيئه إلى نيويورك.

ثم تم، في آخر الأمر، انتقاله محرِّراً في جريدة (مرآة الغرب) أوائل سنة ١٩١٨، وتمت خطبتُه لابنة صاحبها «نجيب موسى دياب»: «دوروثي- دورا». لكنّ حادثاً آخر لاحقه، وقع في السنة نفسها لأخت خطيبته (أولغا)، اذ دهمتها سيارة، في بروكلن، ذهبت بحياتها.

هذه جملة مقدمات هذا الديوان، توحي بأن كثيراً من قصائده كانت كتبت، كما أشرنا، في المرحلة الأولى من حياته، في الإسكندرية، وجعلته يسميه باسم (الجزء الثاني)، كأنه لاحق بالجزء الأول (تذكار الماضي).

وهذا إذن تفسير ما اتصفت به جملة قصائد هذا الديوان بما اتصفت به قصائد ديوانه الأول (تذكار الماضي)، من النزوع إلى تقليد الشعراء الكبار القدامى[١]: التمسك بالجزالة في الصياغة، والقوة في المطالع، وطغيان الحسّية، والذهاب إلى النهايات في مواقف النفس مما تشاهده أو تعانيه: الكلف بالمبالغات، والتزام مذهبهم في الوصف والتصوير واختيار التشابيه، بما يعني، في آخر الأمر، اقترابه منهم، في موقفه من صورة الحياة والإنسان في أنفسهم.

ولعل ما نقلناه هنا، قبل قليل، من قصيدته (وداع وشكوى) يمثل لما نقول. فالأبيات فيها وحدات مستقلة، تنفرد بمعانيها. والتراكيب تقريرية ذات خط بياني واحد، تدل على تماثل الرؤية، وإملاء الأحكام إملاءً يجعل المتلقي يتلقاها بفتور. ثم إن الصورة التشبيهية الوحيدة في الأبيات مقحمة، أملاها التزام التقفية، بل هي لا تخلو من التنافر، فعبثُ الأجانب المرذول بوطنه لا يُسيغ الإحساسُ السليم تشبيهه «بعبث الصَّبا، المرغوب سحَراً، بأغصان النَّقا»!

(١) الرجوع إلى كتاب (إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد) لطالب زكي طالب، يزود الباحث بأمثله كافية، تمثل لهذا النزوع في شعر أبي ماضي، وتردّه إلى المتنبي حيناً، وإلى أبي العلاء حيناً، وإلى آيات من القرآن الكريم حيناً.

ومن نصوص الديوان المنتقاة قصيدته «أنا وأخت المهاة والقمر»[1] المصوغة على نحو يذكِّر المتلقي بقصيدة معروفة لبشار بن برد، إذ البناء في القصيدة واحد، والروح واحد، والموقف النفسي واحد. وقد اقتضى أن يتقارب فيها سياق المعاني والصور، وإن اختلفت المفردات.

وقصيدة «بلادي»[2] تفوح منها ريح خطابية وصياغات وأبنية تصلنا رأساً بالمناخ التقليدي في شعرنا القديم:

رويـــدَك أيـــهـــا الَّلاحي رويـــداً
لك الـــويلاتُ، لـــيت ســـواك لامـــا
رجـالَ الـتـركِ مـا نـبـغي انـتـقـاصـاً
لَـعَـمـرُكمُ، ولا نـبـغي انـتـقـامـا

وفيها ما يذكّرنا بقصيدة عمرو بن كلثوم وأسلوب التفاخر فيه:

ألـســنـا نـحن أكـثـرَهم رجـالاً
إذا عُـدّوا، وأرفـعَـهم مـقـامـا

وبالمعاني التقليدية، في مثل المواطن التي كانت تقال فيها:

وعِـــلْمُ المـــرءِ أنّ المـــوت آتٍ
يُـهـوِّنُ عـنـده المـوت الـزؤامـا

****

(١) النص ٥ من الديوان الثاني.
(٢) النص ٢٢ .

(٣)

بعد سنتين من صدور الديوان الثاني (١٩١٩ ـ ١٩٢١)، أصدرت (الرابطة القلمية) مجموعتها الأولى، من نتاج أعضائها العاملين (وقد سمتهم: «عُمّالا»)، وفيها خمسُ قصائد مختارة لأبي ماضي، ثلاث منها كانت صدرت في هذا الديوان الثاني «فلسفة الحياة» و«لم أجد أحداً» و«ابنة الفجر»[١] واثنتان تضمّنهما ديوانه الثالث الذي صدر بعد ست سنوات من صدور المجموعة (الجداول ١٩٢٧)، وهما: «المساء» و«نحن»[٢].

يعدّ اختيار هذه القصائد في مجموعة الرابطة، بمثابة براءة انتساب إلى الحركة الأدبية الجديدة التي «تتخذ من الأدب رسولاً بين نفس الكاتب ونفس سواه، لا معرضاً للأزياء اللغوية، والبهرجة العروضية»، على حد ما جاء في مقدمة المجموعة التي صاغها مستشارها وأمين سرها ميخائيل نعيمة، «يرى القارئ من نفسه [فيه] ما كان خفياً عنه، وينطق بما كان لسانه عييّاً عن النطق به، فيقترب من نفسه، ويقترب من العالَم »[٣].

ضمن هذه المقدمات صدرت مجموعة أبي ماضي الشعرية الثالثة، (الجداول)، بعد أن مضى على صدور المجموعة الثانية، ثماني سنوات (١٩١٩-١٩٢٧) كما ذكرنا، أمضاها أبو ماضي في أجواءٍ أشاعتها قصائده المختارة التي أقبل القراء في الوطن العربي[٤] على قراءتها، وطلبة المدارس على حفظها.

وقد اختلطت الأحداث السارة في حياته، خلال هذه السنوات، بالأحداث الحزينة، فأمدته كلتاهما بالزاد الوجداني والفكري، وبالحافز الفني، في تأمل الحياة وتفسيرها

---

(١) انظر فيه، على التتابع، للنصوص التالية: ٣ و١١ و٧٩.
(٢) النص ١٥ و١٩. وقد صدر النص الثاني «نحن»، في (الجداول)، بعنوان مغاير «العميان».
(٣) مجموعة الرابطة القلمية ص ١٨.
(٤) كانت المجلات والصحف، في الوطن، تنقل نتاج المهجريين المختار إلى قرائها، على نحو ما كانت تُنقل في المهجر. وتقف (المقتطف) و(الهلال) في مقدمتها.

وتصوير معانيها وعِبَرها، والنفوذ إلى حقائقها، في ضوء ما حاق به وأتيح له معاً:

فقد ماتت خلالها (١٩٢١) حماته (كاترين) بالسرطان، في أول العقد الرابع من حياتها، ورزق بعدها بسنتين (١٩٢٣) بأول أولاده (ريتشارد). ولكنه أصيب بعدها، بأشهر قليلة، بموت أخته (أوجين) في لبنان، في ولادتها الأولى، كما أشرنا، ووصل والداه إلى نيويورك، بعد وفاتها بأشهر. ورزق، في السنة التالية (١٩٢٤)، ولده الثاني المعوّق(إدوارد)، وصار خلالها وكيلاً لمجلة (المقتطف)، وخاض بعدها حرباً هجائية قاسية نعود إليها من بعد[١].

وكان ديوان (الجداول) نتاج ما خلّفته هذه الوقائع وتأمّل الحياة في أضوائها المتعاقبة، ومع ما اكتسب خلالها من قدرات فنية جديدة أرهفتها حقائق الحياة، في المحيط الجديد، وما أشاعه الرابطيون فيه، وبتأثيره، من حقائق العمل الأدبي ومعانيه الجديدة عندهم. فأبو ماضي، في هذا الديوان، طلّق الفكر، طلق الإحساس، طلق العاطفة، طلّق التعبير.

☆☆☆☆☆

وامتد الزمن، بعد (الجداول)، ثلاثة عشر عاماً، غادر خلالها عمله في (مرآة الغرب)، بعد أن أمضى فيه أكثر من عشر سنوات (١٩١٨–١٩٢٨). ثم تتابعت الأحداث: ففي الأخبار: أن خلافاً مالياً شب بينه وبين حَميه (صاحب: مرآة الغرب) استوجب، سنة ١٩٣٣، اللجوء إلى المحاكم[٢]. وفي الأخبار أن والده رجع إلى لبنان ١٩٢٨، بعد أن أمضى في أمريكا خمس سنوات، وخلّف زوجه (أم أبي ماضي: سلمى) فيها، حيث أمضت بقية حياتها! مما قد يعني أن خلافاً شديداً دب بين الزوجين، ماتا بعده، خلال هذه المدة، منفصلَين (مات أبوه سنة١٩٣١ وماتت أمه، بعد وفاة زوجها باثني عشر عاماً ١٩٤٣)!

وفي أخبار هذه المرحلة أيضاً ما يشير إلى مكان جبران من نفسه، فقد كان في اللجنة التي هَيأت لحفل يوبيل جبران الفضي(١٩٢٩) في بروكلن ـ نيويورك. والخبر يعني

---

(١) نجد آثارها في الشعر الذي أغفله أبو ماضي وجورج صيدح، فلم يُجمع في الدواوين (انظر: مالم تجمعه الدواوين، النصّان المتتابعان: ٤٢ و٤٣).

(٢) انظر كتاب جورج ديمتري سليم ص ١٨٠.

أن تأثره بفكر جبران ينبغي أن يَرِدَ في تقويم نتاجه، مهما بدا محدوداً عند بعض دارسيه. على أن الحدث العريض، في هذه المرحلة، هو إنشاؤه مجلة (السمير)، وصدورها (١٩٢٩) نصف شهرية، قبل أن تتحول إلى جريدة يومية، بعد سبع سنوات من إنشائها (١٩٣٦)[١].

ولكن أباه توفي في لبنان، في بلدته (المحيدِثة)، بعد إصدار (السمير) بسنتين (١٩٣١)، وأُعلنت، بعد وفاته، بأقل من أسبوعين، وفاة جبران (١٠/٤/١٩٣١)، فخصصت (السمير) عدداً لذكراه. وتوفيت أخت زوجه (أولغا) في عقدها الثالث (١٩٣٢)، إثر عملية الزائدة المعوية. ولكنه رزق، في العام الذي تلا وفاتها (١٩٣٣)، بابنه (روبرت) ثالث أولاده.

خليط من الأحداث السارة والوقائع الحزينة، سنّة الحياة التي تُظِلُ الناس جميعاً، ولكنها، في حياة أبي ماضي، تبدو، في الجملة، أشدّ كثافة وأكثر قَتاماً.

على أن الأخبار تتوارد أيضاً بتكريمه، في حفل خاص (١٩٣٥) رعته الجالية السورية. ويُطبع (الجداول)، في العالم العربي، من غير استئذان، في سورية والعراق، بما يفيد امتداد شهرته امتداداً لعل شاعراً آخر لم ينافسه فيه.

ومع هذه المقدمات أيضاً صدر ديوانه (الرابع: الخمائل ١٩٤٠)، وطبع في مطابع جريدته (السمير)، وأقيمت له حفلة نشرت (السمير) الكلمات التي ألقيت فيها. وتبع صدورَه انتشارُ بعض قصائد (الجداول) على ألسنة كبار المطربين في العالم العربي: فقد غنى محمد عبد الوهاب (١٩٤٤) مقاطع من قصيدة (الطلاسم)، واختارت أسمهان، في العام نفسه، أجزاءً من قصيدة (المساء) لتغنيها، لحنها لها رياض السنباطي، ولكنها ماتت قبل تسجيلها[٢].

(١) أدرجنا، في آخر هذه الدراسة، عدداً من صفحاتها المصورة، تنقل بعض ما كان يكتبه فيها أبو ماضي.

(٢) خطوط هذه الأخبار كلها، وكثير غيرها، استقيت من المصدر السابق. وحيثما أُغفل ذكر المصدر، لوقائع من حياة أبي ماضي، فالمرجع فيها: كتاب جورج ديمتري سليم.

ثم عاد أبو ماضي فواجه، بعد صدور (الخمائل)، أيام الأحزان وأيام المسرّة التي حفلت بها حياته كلها، على النمط المختلط نفسه: فقد توفيت والدته (سلمى) بعد صدور الديوان بثلاث سنوات (١٩٤٣)، وشارك في تأبين بعض أصدقائه، ودشّن، في السنة نفسها، المبنى الجديد لجريدته (السمير)، وشارك أيضاً في بعض حفلات الزَّفاف، ورأس، في الوقت نفسه، حفلة أقيمت لتأبين زميله في (الرابطة) الشاعر الحمصي: نسيب عريضة، ورثى، زميله الحمصي الآخر: ندرة حداد.

وأتيح له أن يزور وطنه لبنان في مؤتمر اليونسكو الذي عقد في بيروت (١٩٤٨)، مع صدور الطبعة الثانية، من ديوان (الخمائل) فيها، فزار (المحيدثة) وأقيمت له حفلة تكريم في نادي مدرستها. وأذاعت الإذاعة مقتطفات من شعره كانت دعته إلى تسجيلها. وصدر، في هذه الأوقات السارة، مرسوم بمنحه وسام الاستحقاق الفخري المذهَّب. وأقيمت حفلة عُلِّق على صدره فيها وسام الأرز الوطني اللبناني، من مرتبة ضابط.

وزار سورية أول عام (١٩٤٩)، فأقيمت له في الجامعة السورية (جامعة دمشق) حفلة تكريم رعاها رئيس الجمهورية، وعلق على صدره فيها وسام الاستحقاق بدرجة ممتاز[1].

ثم مضى ما يقرب من ثماني سنوات بعدها، أمضاها أبو ماضي في رعاية جريدته (السمير). ولكنه مرض في نهايتها. ولم يلبث أن توفي بالسكتة القلبية سنة ١٩٥٧، بعد أن باع مطابع الجريدة وتخلى عنها، فأقيمت، في ذكراه، حفلات في سورية ولبنان ومصر والمهجر.

وكان قد ترك، في الصحف والمجلات، نصوصاً شعرية، قيل: إنه جمع بعضها، قبل وفاته، فنهض صديقه جورج صيدح باختيار ما يرضيه منها، وكوّن منها ديواناً سمّاه (تبر وتراب)، نشرته دار العلم للملايين في بيروت، في طبعته الأولى سنة ١٩٦٠، بعد عشرين

(١) كان كاتب هذه السطور في جملة من حضرها من طلبة الجامعة، ولكن القصيدة التي كتبها لهذه المناسبة لم يلقِها هو، فألقاها بالنيابة عنه، وهو يسمعها، الشاعر سليم الزركلي. وربما خشي أن يبين في إلقائه أثر الغربة الطويلة التي كان أمضاها في المهجر (١٩١١– ١٩٤٩).

سنةً من صدور (الخمائل)، وحوالي خمسين سنة من صدور ديوانه الأول، لم يحتجب ذكر أبي ماضي خلالها عن ضمير القراء العرب في الوطن والمهجر.

وقد ضم هذا الديوان الخامس تسعة وخمسين نصّاً شعرياً لم تُضِف لأبي ماضي شيئاً لم يُقَلْ فيه قبل صدوره، أو شيئاً لم نصل إليه.

وأكثر نصوصه قيل في مناسبات محدَّدة، بعضها ذو قيمة نفسية أو قيمة إنسانية ساطعة، مثل «وطن النجوم»[١]، في مخاطبة وطنه (لبنان)، وقد رأى النجوم (في زيارته له ١٩٤٨) تتلألأ في سمائه، بعد أن غادر سماء أمريكا التي تحجبها الأضواء المصنوعة، ومثل «تحية الشام»[٢] التي ألقيت في دمشق (١٩٤٩) في حفلة التكريم التي أشرنا إليها، ومثل قصيدته «الشاعر والكأس»[٣] التي تصوِّر، حالاً من أحوال النفس، يرى صاحبها من حوله كل ما يتطلع إليه، ولكنه لا يعبأ به، كأنه لا يراه ولا يريده:

كالتماثيل حوله　　من نحاسٍ ومن رُخامْ
لا اكتئابٌ ولا رضا　　لا بكاءٌ ولا ابتسامْ
فإذا الكون عنده　　جدَثٌ كله رِمامْ

ومثلها، في أغلبه، مقطوعات قصيرة. أما قصائد المناسبات فطويلة، ولكنها مصروفة إلى غاياتها التي كتبت من أجلها. وربما جاء فيها بما كان يشغله ويصرف همَّه إليه. ففي قصيدته «تلك السنون»[٤] التي ألقاها في حفلة اليوبيل الفضي لجريدته «السمير» (١٩٥٤) وصفٌ لما عانى في متابعة إصدارها:

إني أراني بعد ما كابدتُه
كالفُلْك خارجةً من الأنواء
وكسائحٍ بلغ المدينة بعدما
ضلَّ الطريق وتاهَ في البيداء

---

(١) النص ١ ص٨٤٩.
(٢) النص ٢ ص٨٥١.
(٣) النص ٣ ص ٨٥٦.
(٤) النص ٩ ص ٨٦٩.

وشكرٌ لمن عاونه في رفع شأنها، وتقديرٌ لقيمة ما بذلوه في رَفدها. ثم انعطف بعدها يقول، على عادته في خطاب من يسميهم «الأعداء» أو «الحسّاد»:

شكراً لأعدائي، فلولا عيْثُهم
لم أدرِ أنهمُ من الغوغاء
نهشَ الأسى، لما ضحكتُ، قلوبَهم
عرسُ المحبةِ مأتَم البغضاء
ذنبي إلى الحسّاد أني فُتُّهم
وتركتهمْ يتعثّرون ورائي

...

عفوَ المروءة والرجولة، إنني
أخطأتُ حين حسبتُهمْ نظرائي!

وفي الديوان، من مثل هذه المناسبات، عدد كبير، لحظَه بعض الدارسين، فعدّ الديوان به خطوةً إلى الوراء: شغَلَه الانصراف فيه إلى المناسبة، عن تأمل الحياة في معانيها العميقة ومجاليها الطلقة، واستجابةِ الفكر في تفسيرها وتصويرها وجلائها.

على أن هذا الحكم لا يصح، على إطلاقه، ففي الديوان قصائد كتبها أبو ماضي في بعض المناسبات، فكانت المناسبة فيها فرصة أتاحت له الوصول إلى عالَم جديد، أو فكرةٍ مبدَعة[1].

ولو لم يندب جورج ديمتري سليم نفسه لجمع ما لم تجمعه الدواوين، من شعر أبي ماضي، لبقي جانب منه مطوياً عنّا. صحيح أن الصورة، في جملتها، لن تتغير علينا، ولكنها، في بعض أطرافها، لن تكتمل. ولن تكتمل صورة الحياة آنذاك، من جانبيها الاجتماعي والثقافي، في أوساط المهاجرين العرب. يكفي أن نذكر أن مجموع ما جمعه في

(١) انظر قصيدته التي كتبها في قدوم أحد الأعياد «الغبطة فكرة»، فانتهى فيها إلى أننا قادرون على استجلاب الإحساس بالغبطة عن طريق الفكر، باستذكار ما نحن فيه من نعمة الوجود والتمتع بقدرات الحواس وسلامتها - (الخمائل) : النص ٤٤ ص٧٩٣. وسنقف أيضاً، من بعد، على قصيدته (إنه الشاعر) التي ألقاها في حفلة تكريم زميله في (الرابطة)، الشاعر نسيب عريضة (ما لم تجمعه الدواوين: النص ٥١) وساقه الردّ على أصحاب «الكشاكيل» إلى صوغ مثاله (العير المتنكر).

كتابه هذا يزيد على خُمْس مجموع شعر أبي ماضي، وأنه يغطي أيام إقامته في الوطن (في مقامه في مصر ولبنان) وفي المهجر.

فقصيدته «مصر والاحتلال»، مثلاً، كتبها أيام إقامته في الإسكندرية (١٩١٠)، ولكنه لم ينشرها في ديوانه الأول الذي أصدره فيها، ونشرتها جريدة (الشعب)، وكانت تنطق بلسان الحزب الوطني الذي اتصل به أبو ماضي، كما علمنا، إلى حد الظن بانتسابه إليه[١]. ومثلها قصيدته في تهنئة الشيخ عبد العزيز جاويش بخروجه من السجن، وقصائد أخرى تتصل بالسلطة العثمانية ودستورها المعلن سنة ١٩٠٨، ويلزم أن تكون كلها مما كتبه أبو ماضي خلال إقامته في الإسكندرية، فهي تنتسب إلى الدور الأول من حياته، دور التقليد والمشي على خطا حافظ إبراهيم وأحمد شوقي والبارودي والأخطل الصغير وبدوي الجبل، وصوتهم فيها واضح تمامًا.

ومثلها قصائد حنّ فيها إلى وطنه لبنان، وجرى فيها على بساط التقليد نفسه، مثل «نفثة مصدور» التي شكا فيها من الأوضاع القائمة فيه:

ولا أدري وقد طال اغترابي
لمن أشكو وقد طال انفرادي

.....

فيالَهْفي على لبنانَ يُمْسي
وأهلوه على وشْك الحِداد
يسوم الساكنيه الخسْفَ غرٌّ
غويّ ضلَّ عن نهج الرشاد[٢]

وقصيدته (نجوى لبناني)[٣] التي طلع فيها طلعة تقليدية خالصة! ودعا فيها قومه إلى النهوض:

---

(١) كتاب جورج ديمتري سليم ص ٩٦.

(٢) يعني سياسة المتصرف (يوسف باشا فرنكو) الذي قيل: إنه كان يمالىء العثمانيين.

(٣) النص ٦ ص ١٠٠٩.

لا الـغِـيـدُ تُـصـبـيـني ولا الأقـداحُ

مـهـمـا تـغـالى فـيـهـمـا المُـدَّاحُ

إنـي امـــرؤٌ كـــلِفٌ بـــإدراك الـــعلا

دأبـي الجـــهـــادُ وغـــايـــتي الإصلاحُ

أهـــوى بـلادي دانـــيَـــاً أو نـــائـــيَـــاً

أعـــلـيَّ في حب الـــبلاد جُـــنـــاح؟

وفي المجموعة، بعد هذه، قصائد تنتسب إلى المهجر، هاجم فيها مَنْ سماهم (حاملي الكشاكيل)[1] ممن يسعَون إلى جمع المال باسم التبرعات الخيّرة، وفيهم رجال كانوا يحملونها باسم الدين:

كـذا الـذي طـاف عـلـيـكم يـسـتـدر الـصـدقهْ

ويـسـتـثـيـر الـدينَ فـيـكم وهـو ربٌّ الـزنـدقه

فـمـا تـراءى شـبـحٌ مـنـكـمُ إلا لحِـقَه

ومـا رأى مـائـدةً إلا أمـالَ عـنـقَهْ

وفيها تفصيلات صغيرة من مجتمع المغتربين المتعلمين في المهجر. فعدا عمّن سماهم «أصحابَ الكشاكيل»، أناس ندبوا أنفسهم للطعن على مَن تقدمَهم، باتهامهم بالسرقة، أو بارتكاب الأخطاء في اللغة. وقد رد عليهم أبو ماضي، من قصيدة طويلة عنوانها (ماذا؟)[2].

تبَّ الـنُّـحـاةُ وتبّ المـؤمـنـون بـهمْ

أهلُ الـسَّـخـافـاتِ والـتـضـلـيلِ والـكـذبِ

....

(١) انظر النصين ٨–٩ (ص١٠١٥– ١٠٢٠). والكشكول : جعبة يحملها صاحبها ليجمع فيها ما يحصّله من الآخرين..

(٢) النص ١٠ ص ١٠٢٤.

الـنـحـوُ والـصَّرفُ والإعـراب أجـمـعُـهـا

سـفـاسفٌ لـم تـكن من قـبلُ في الـعـرَب

وربما اتسعت أوقاتهم للتظرُّف أيضاً، وإنشاء المواقف الضاحكة، والغمز، عن طريقها، ممن أساء إليهم من أهلهم، أو مَنْ آلمهم، على مثال قول أبي ماضي في أبياتٍ ملحقة بقصيدةٍ وصف فيها كلبه[1]:

وأنـــتَ يـا واو عـمـــروٍ حـتّـــام تَـتْـبَـع عَـمْـرا
ولـسـتَ تجـلـبُ نـفـعـاً ولـســت تـدفع ضُـرّا
إن الـبـــلـيّـــة غـــرٌّ أمـسى يـنـاصـرُ غِـرّا
لا تـعـذُلِ الـشِّـعـرَ إمـا جـنـــى عـلـيـك الأمَـرَّا
قـد كـنتَ قـبل الـقـوافي أقـــلَّ عـقـلاً وقـدْرا

وقد يشتد أُوار الخصام فيدخل حقل المهاجاةِ المُرّة. وهذا الذي دعا أبا ماضي، إلى ألاّ ينقل ما جاء في ردوده منها، في الدواوين التي أصدرها. وقال بعضهم: إنه كفَّ عنها، وفضَّل أن تبقى حبيسة الصحف التي نشرتها، سماحاً منه لأصحابها، وترفعاً عن إيرادها في دواوينه. وتبعه، صديقُه جورج صيدح الذي جمع نصوص ديوانه الخامس (تبر وتراب)، فأغفلها.

قال مثلاً، من قصيدة عنوانها «أيا عجل اليهود»[2]:

تـــوعّـــدني مـــقـــلّـــد نِـــفـــطـــويه
كـمـــا تـــتـــوعـــدُ الأنـــثى الـــرِّجـــالا
ويـــعـــــلم أنـه دوني مَـــقـــامـــاً
ولـــكنْ يـــنـــبحُ الـــكـــلبُ الـــهلالا

.....

(١) النص ١١ ص ١٠٢٩ «حكاية»، والأبيات في ص ١٠٣٢.
(٢) النص ١٢ ص ١٠٣٣.

ويـــــكـــــذبُ آدمٌ إمّـــــا ادّعـــــاهُ

فـــإن الـــنـــاس لا تـــلـــدُ الـــبِـــغـــالا

.....

ويـــا لـــهفَ الـــصـــحـــافـــةِ يـــدّعـــيـــهـــا

حـــمـــــارٌ طـــالمـــا لـــــبِس الجِلالا

....

أتـــنـــهق والـــغـــضـــنـــفـــرُ قِـــيـــدُ بـــاعٍ

وتحـــسَـــبه ومـــا عـــاف الـــقـــتـــالا

فـــلـــستُ بـــنـــابغِ الـــشـــعـــراء إن لم

أردّ عـــلـــيك جُـــلّك والـــسِّـــحـــالا[1]

....

زعـــانفُ لـــست أرضـــاهـــا مـــطـــايـــا

ولا أرضـى رؤوسَـــــهُـمُ نِـــــعـــــالا!

وقد شُهِر من خصومه شاعر كان يعمل في الصِّحافة (وأغلب الظن أنه هو من وجّه إليه قصيدته السابقة)، واسمه أسعد رستم. وقد ختم بالرد عليه أبياته التي عنوانها «دعْه ينبح»[2] بقوله:

قل لِمَن ســـبّه لـــئـــيمٌ كـــهـــذا

شبّ بل شـاب وهـو في الـلـؤم يـسـبحْ

عـــرِّفِ الـــكـــلب أنه الـــكـــلبُ لـــلـــنـــا

س، ودَعْه، من بـــعـــد ذلك، يـــنـــبحْ

ووجه إليه، في الرد على قصائدَ كان أسعد رستم نشرها في جريدة (الهُدى)،

---

(١) الجلّ للدابة كالثوب للإنسان، والسحال: اللجام.

(٢) النص ٤٣ ص١١١٤.

(٣) النص ٤٢ ص١١٠٩، وقد رد أسعد رستم عليها، من بعد، بقصيدة جعل عنوانها: «ها ها..الدور لي»!

قصيدة بعنوان» إلى النابح العاوي»[٣].

يـا أيـهـا الـنـابحُ الـعـاوي بلا سـببٍ
أمـا لـنـفـسِكَ ذو ودٍّ فـيـنـهـاهـا
إن كـان غـرّك أن الحِـلمَ شـيـمـتُـنـا
فـربمـا خـالـفتْ نـفسٌ سـجـايـاهـا

.....

يـا كـلبَ سـوقٍ ويـا خِـنـزيـر مـزبـلـةٍ
يـا جـيـفـةً مـا تَـحـامى الـنـاس إلاهـا
عـلى الـدروب كلابٌ مـالـهـا عـددٌ
لا شك أنكَ أعـداهـا وأغـواهـا

.....

إنّ الـسـفـالـةَ لـو تـأوي إلى سـكَنٍ
كـالخـلْق لم يكُ إلا أنتَ مـأواهـا
أعـيـاكَ أن تـرتـقي حـتى تـرى بـشـراً
فـصـرتَ كـالـتـيس نـطّـاحـاً وتـيّـاهـا

☆☆☆☆☆

على أن في المجموعة طائفة أخرى من القصائد التي غنّى فيها أبو ماضي جمالاتِ الطبيعة، وجعل منها أمثلة للعطاء السخي المكتوم، مثل «الجدول الطروب»[١]، وإطاراً لتكريم بعض النابغين من الشعراء من أصحابه، وسما بهم، في قدرتهم على الافتتان بجمال الطبيعة، إلى أن جعلهم من نسل الآلهة[٢].

وطائفة أخرى من قصائد المناسبات (رثاء، خطبة، عرس، توديع، تعميق، امتداح).

---

(١) النص٤٥ ص ١١١٦.

(٢) النص ٥١ ص ١١٢٥ من قصيدته: «إنه الشاعر»، ونعود إليه بعد: انظر ص ٥١ – ٥٣ من هذه الدراسة.

(٣) النص ٤٧ ص ١١١٨ من قصيدته : «يا ليتني»!

وطائفة من أبيات الغزل الرقيق[٣]، تبدو العودة فيه، إلى شعراء الغزل العرب لا معنى لها، فقوة الانفعال في موقفٍ مثله يمسّ القلب، تظهر الطبيعة فيه ناطقة:

إذا أطلَّ الـــــبـــــدرُ مِن خِـــــدرِهِ
فـــإنمـــا يـــطـــلُعُ كي تـــنـــظُـــريهْ
وإنْ شَـــدا الـــبـــلـــبلُ في وَكْـــرِهِ
فـــإنمـــا يـــشـــدو لـــكي تَـــســـمـــعـــيهْ
وإن يَـــفُحْ عـــطـــرُ زهـــورِ الـــرُّبـــا
فـــإنمـــا يـــعـــبَق كي تَـــنـــشَـــقـــيهْ
يـا لـيـتـني الـبـدرُ الـذي تـنـظـريـنْ!
يـا لـيـتـني الـطـيـرُ الـذي تـسـمـعـيـن!
يـا لـيـتـني الـعـطـرُ الـذي تـنـشـقـين
أواه لـو تـصـدق «يـا لـيـتـني»!

فقد حول الطبيعة وكائناتها إلى توابع لمن يحب، وحشد لها أجمل ما فيها نوراً وشدواً وعطراً، ونوّع في إيقاع الجمل والمفردات والقوافي استجابة لغنى الإيقاع النفسي.

ومثلها مقطوعته التي نهج فيها النهج نفسه[١]:

لـــمّـــا رأيتُ الـــوردَ في خـــديكِ
وشـقـائقَ الـنـعـمـانِ في شـفـتـيكِ
ونـــشَـــقتُ من فَـــوديكِ نَـــدّاً عـــاطـــراً
لمـــا مـــشت كـــفّـــاك في فَـــوديك
ورأيتُ رأسك بـــالأقـــاح مـــتـــوجـــاً
والـــفلَّ طـــاقـــاتٍ عـــلى نـــهـــديكِ
أيـــقـــنتُ أنك جـــنـــةٌ خلاّبـــةٌ
فـحـنـنتُ، من بـعـد المـشـيب إلـيكِ

(١) الخمائل: النص ٣٠ (يا جنّتي).

ولـذاك قـد صـيّـرتُ قـلـبي نـحْـلـةً
يـا جـنّـتي، كـيـمـا يـحـوم عـلـيكِ
روحـي فـداؤكِ، إنـهـا لـو لم تـكن
في راحـتـيكِ هـوتْ عـلـى قـدمـيكِ!

لكنه هنا مشى على خطوات شعراء مرحلته في الوطن، الأخطل الصغير، مثلاً، فإن صوته يتردد فيها. ولكنه احتفظ لها بالطعم الذاتي، في إشارته إلى المشيب مع الحنين.

وطائفة من شعر المواقف السياسية والوطنية التي اعتاد أبو ماضي أن يقفها في أدوار حياته كلِّها، منذ أيامه في الإسكندرية، مثل «توديع رستم بك: السفير العثماني في واشنطن»، و«عيد الحرية العثماني»، و«النكبة في سورية»[1] وغيرها.

وطائفة تصور جلسات السمر في مجالسهم وبيوتهم، وهي المجالس التي كانوا يتبادلون فيها شعراً خفيفاً يجري على نغمة «انقر يا دف على الطارة»[2].

✱✱✱✱

(١) (ما لم تجمعه الدواوين) النص ١٤ ص١٠٤٣ والنص ٤ ص١٠٠١ والنص ٢٥ ص ١٠٧٦، على التتابع.
(٢) (ما لم تجمعه الدواوين) النص ١٦ ص٢٧ والنص ٢٦ ص ١٠٥٠.

(٤)

على أن السؤال الكبير الذي يلزم أن تطرحه هذه الدراسة هو: بِمَ اكتسب شعر أبي ماضي مكانته في حياتنا الأدبية؟ ما هي خصائصه وصفاته الأولى؟ وما الجديد الذي جاء به ؟ وما الذي أضافته إليه الإقامة في المهجر؟

للإجابة عن هذا السؤال الذي يجمع ما كنا أشرنا إليه في الفِقَر السابقة، نعود إلى المرحلة التي تخطاها أبو ماضي بسرعة، وهي مرحلة التمرس والتقليد والمران التي يمثل لها أكثر ما أورده في ديوانه الأول (تذكار الماضي) وكثير مما أورده في ديوانه الثاني.

ففي هذه المرحلة يطغى، كما كنا أشرنا من قبل، صوت تراثنا الشعري، بسماته الكبرى: جَهارة الصياغة، وحسية الصورة، والكلف بالمبالغة، على صوت أبي ماضي الخاص. ولكن هذا ينبغي ألا يذهب ببوادر توحي بالقدرة على النماء والتفتح. منها الميل إلى القص والاسترسال العفوي في الحوار:

سفرتْ فقلت لها: أهذا كوكبُ؟
قالت: أجل! وأين مني الكوكبُ؟
وتبسّمتْ فرأيتُ رئماً ضاحكاً
عن لؤلؤٍ، لكنه لا يُوهَب
وتمايلتْ فالسمهريُّ مصمَّمٌ
ورنَتْ، فأبصرتُ السهامَ تصوَّبُ
قد كلَّمتْ قلبي، ولم ترفُقْ بهِ
واللحظُ ، لو درتِ المليحةُ، مِخلب[1]

☆☆☆☆☆

(١) تذكار الماضي: النص ٣١، من قصيدته، «الحسن لا يُشرى ولا يُستجلب» ص١٦٩.

وقـــائـــلـــةٍ مـــاذا لـــقـــيتَ مِن الحب؟

فقلتُ:الردى والخوفَ في البعدِ والقربِ

فـــقـــالت: عـــهـــدتُ الحبَّ يُـــكـــسِب ربَّه

شـــمـــائلَ غُـــرّاً لاتُـــنـــال بلا حُبّ

فـقـلـتُ لـهـا: قـد كـان حـبّـاً، فـزاده

نـفـورُ المـهـا «راءً» فـأمـسـيتُ في «حـرب»

لـــقـــد كـــان لي قـــلب وكـــنت بلا هـــوىً

فـلـمـا عـرفتُ الحب صـرتُ بلا قـلب[1]!

ومنها: سهولة النظم ويسر الخاطر عليه، حتى كأن اختيار الوحدات اللغوية وبناءها يتمان دون جُهد، وهي صفة يدركها قارىء شعره على الفور، وهي وإن لم تخلُ من إحساسه بضعف شحنها بانفعال كاتبها، تقرّبه، في الوقت نفسه، من الإحساس بامتلاء خاطره بها، بحكم التكوين. وإنما يكون الاكتساب لإغناء الأداة وصقلها والتمرُّس بها، وشحن الخاطر بالرؤى.

ومنها التلاعب بموسيقا الشعر، مستوحياً تلاعب الوشّاحين القدامى بها، على الصورة التي تطالعنا في قصيدته «طبيبي الخاص»[2]، وقد جعلها في مقاطع[3]: يشتمل كل مقطع منها على أربعة أبيات، والرابع فيها يجيء على الرويّ الذي صاغه في البيت الأول وأفرده في مطلع النص[4]، مع انتهاء صدور الأبيات، في كل مقطع، برويّ واحد:

بتُّ أرعى في الـــظلام الأنْـــجُـــمـــا

لـــيس لـــلـــعـــشـــاق حظ في الـــكَـــرى

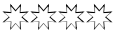

(١) المصدر نفسه: النص ٢٥ ص١٥٢ من قصيدة «بلا قلب».

(٢) تذكار الماضي : النص ٢٩ ص١٦٠.

(٣) يسميها الوشّاحون: الأبيات.

(٤) هو المطلع في الموشح أيضاً، ثم هو القفل من بعد.

صــرعــتــني نــظــرة حــتى لَــقــدْ
كِــدْتُ أن أحــســُــد من لا يــبــصــرُ
نــظــرة قــد أورثتْ قــلــبي الــكــمَــدْ
مــا بلاءُ الــقــلــب إلا الــنــظــرُ
لا رعــاكَ الــلــهُ يــا يــومَ الأحــدْ
لا ولا حــيّــاكَ عــنــي المــطــرُ
أنت من أطــلــعتَ هــاتــيكَ الــدُّمى
ســافــراتٍ فــتــنــةً لــلــشُّــعَــرا

والنص طويل يمتدّ فيه النفَس على أربعة عشر مقطعاً، على النحو الذي نراه. وقد أنهاه بهذا المقطع:

وجــعــلــنــا بــعــد أن طــال الــعــنــاقْ
نــتــنــاجَى بــأحــاديثِ الــقــلــوبْ
بــيــنــمــا نــحــن عــلــى هــذا الــوفــاقْ
قُــرِعُ الــبــابُ فــأوشَــكْــنــا نــذوبْ
فــأشــارتْ ليَ: قــد حــان الــفِــراقْ
فــانــقــطــعْــنــا وارتــدتْ ثــوبَ الــطــبــيبْ
أقــبــل الــقــومُ فــقــالــت: كلُّ مــا
كــان يــشــكــو مــنــه، عــنــه قــد ســرى!

فأما في (ديوانه الثاني) فتبدأ تتجلى، في بعض نصوصه، حركة الفكر، والنزوع إلى التفلسف، وتناول موضوعات متصلة بمعنى الحياة، وتأمل مكان الإنسان منه، وكيف ينبغي أن يفهمه ويرعاه في مسلكه الذي يلزم أن يختاره بمقتضاه. ويقرب أن يكون (للرابطة) ورجالها، ـ وقد ظهرت، كما أشرنا، سنة ١٩١٦ في الوقت الذي غادر فيه أبو ماضي سِنسِنّاتي إلى نيويورك، بعد أن خالطهم طوال هذه السنوات الثلاث التي سبقت صدور

الديوان ـ أثر في التفاته إليها. وهو، في ظني، ما جعل جبران يقدم له على هذا النحو الذي وقفنا عنده من قبل، وجعل نعيمة يقدم للديوان الثالث (الجداول) من بعد.

وكنتُ سمعت من نعيمة ـ في الحوار الطويل الذي أجريته معه سنة ١٩٥٨ ـ ما يذهب هذا المذهب[١]. وقد أعاد نعيمة يومها الفضل فيه إليه، ونسب إليه المنحى الذي نحاه أبو ماضي في شعره، من بعد، صفة «التجديد»[٢].

والحق أن استعداد أبي ماضي للذهاب في شعره مذهب المفكرين والمتفلسفين يكاد أن يكون نزعة من نزعاته المفطورة، فهو، بحكم التكوين، لا ينقطع عن التأمل والتفكر في مظاهر الحياة والطبيعة ومكان الإنسان منها. وقد بدا هذا النزوع في شعره منذ بدأ تفتحه في الإسكندرية.

ثم إن صبياً تضطره الحياة إلى مفارقة أبويه والهجرة إلى أرض جديدة يمارس فيها عملاً يقعده في بعض الحوانيت، يرقب منه الوقائع والأحداث، ويستقبل ما تنتهي إليه بعد أن بدأ يعي معانيها ويتتبع أثرها في الواقع القائم من حوله، ويجد نفسه، من بعد، على الدوام، عرضة للمصائب المقيمة والوافدة: موت أخوته الثلاثة واحداً إثر واحد، وبينهم المنتحر، إضافة إلى موت أخته وهي تضع مولودها، الأول، ووضع زوجه مولودها الثاني (ادوار) مريضاً معوَّقاً حياته كلها[٣]، يطالع إيليا وجهه صباح مساء، لا بدّ أن تجتذبه إلى التفكر وتوسّع من مساحته في العقل.

وما نستطيع أن ننكر، مع هذا، أن تأثره بجبران ونعيمة ونسيب عريضة، بعد هجرته إليهم، عمّق فيه هذا النزوع إلى التأمل في آفاق الحياة، وفي مجالي الطبيعة الساحرة التي نشأ في أحضانها، في سفوح جبل صنّين بلبنان، والتفكير في معنى الوجود وغايته، حتى جعل منه، في النهاية، مذهبه الأول في شعره، وهو المذهب الذي وقف عنده دارسوه، ووجدوا فيه مزيته الكبرى، وأعادوا إليه فتح صفحة التجديد في الشعر العربي الحديث.

---

(١) ينكر مراد أبو ماضي، أخو الشاعر، تأثر أبي ماضي بنعيمة، بحجة اختلاف الدربين والنزعتين، يؤيده في إنكاره صديق أبي ماضي: جورج صيدح (أوراق مهجرية : رسائل جورج صيدح إلى الكاتب، ص١١٩ – ١٢١).

(٢) المرجع نفسه ص ٧٨

(٣) كتاب جورج ديمتري سليم : انظر فيه خلاصة لوقائع حياة أبي ماضي ص ١٧٦ وما بعدها.

ولعل قصيدته المشهورة، التي سماها(فلسفة الحياة)[1]، تمثل الطلعة الأولى لذهابه هذا المذهب الذي لامس قضايا الإنسان الكبرى، وتولى فحص نظرته إلى الوجود، وكيف ينبغي أن يجعل موقفه منه. وقد كان يمكن، بعد هذه الوقائع التي ذكرناها في حياته، أن ينكفئ إلى عالمه الداخلي، أو يسرح فيما وراء الحس. ولكنه حاول أن يرجع إلى عقله وإدراكه في فهمها، ويسعى وراء المعرفة عن طريق العقل لا عن طريق الحدْس، ويفلسف ما يهديه إليه تأمله في الطبيعة التي تحتويها، فوقع على أسلوب في مخادعة النفس، لفَتها عن الرسوف في الإحساس بالعجز عن كشف أسرار الوجود، انتهى معه إلى التمثل بالكائنات الأخرى من حولها، وسلوك مسلكها في تقبل الحياة والعمل على اختطاف حلاوات التمتع المباشر بما تعرض الطبيعة من صور الجمال في ألوانها ومشاهدها، متناسياً عن قصد وتصميم، ما ستصير إليه بعد وقت قصير، وملاحظة ما يفرق بينه وبين كائناتها الأخرى من الوعي والإدراك، يغفلهما في حرارة رغبته في إحكام الخديعة، والتستر على حقائق العملية الأولى:

أحْكَمُ النـاسِ في الحياة أناسٌ
علّلوها فأحسنوا التعليلا
فتمتعْ بالصبح مادمتَ فيه
لا تخفْ أن يزولَ حتى يزولا
وإذا ما أظلَّ رأسَك همٌّ
قصِّرِ البحثَ فيه كي لا يطولا
أدركتْ كنهَها طيورُ الروابي
فمن العار أن تظلَّ جَهولا
تتغنَّى وقد ملك الجوَّ
عليها، والصائدون السَّبيلا
فاطلبِ اللهو مثلما تطلب الأطيارُ،
عند الهجير، ظلاً ظليلا!

(١) الديوان الثاني: النص٣ ص٢٥٥.

ولكنه، في هذا كله، لم يستطع آخر الأمر أن يبرح إحساسه بالعجز عن الوصول إلى الطمأنينة المبتغاة، وإسكات الصوت العميق المنبعث من الأعماق:

لا خـــلـــودٌ تحت الـــســـمـــاء لحيٍّ

فـلـــمـــاذا تُـــراود المـــســـتـــحـــيلا؟

فالواضح أن أبا ماضي يطلب أن يغمض الإنسان عينيه عن مأساة الموت ويتجاهلها. الدواء عنده أن يتناسى الإنسان سيف القدر المسلط! فكيف يتهيأ للإنسان هذا النسيان؟ كيف يتهيأ له أن يكفَّ عقله عن السؤال وقلبه عن الإحساس بالمأساة المنتظرة؟ أو ليس السعي إلى معرفة الجواب هو منشأ الفلسفات والأديان؟.

إنّ ما يطلبه أبو ماضي من إشاعة التفاؤل في الناس، والنظر إلى الوجود من وجهه الباسم، لا يكون إلا مع الإيمان بجدوى الحياة، ومعايشة الموت بصفته وجه الحياة الآخر الذي تتم به دورتها.... فحينذاك قد تكتسب أبياته معناها المقنع، وينتفي التفاؤل الكاذب الذي تستريح إليه البهائم والأشياء وحدها، ويصبح للّيل وللرياح السَّموم التي تسفي التراب معناها في جدلية الوجود والعدم، ويقع بيته الأخير في القصيدة موقعه الصحيح، إذ يجعل الجمال ينبع من داخل النفس المطمئنة:

أيـــهـــذا الـــشـــاكي ومـــا بك داءٌ

كن جـمـيلاً تـرَ الـوجـود جـمـيلا[1]

على أنه استقلّ، وحده، بإعلانه العجز الصريح عن الوصول إلى الطمأنينة المطلقة، فجعله الإقرار يبدو أقرب إلى الحقائق الإنسانية، وأدْخلَ إلى حدود قدراتها. وجعل شعره قريباً من فهم القارئ العربي، إلى اليوم، وزاده قرباً من وضوح مقاصد شعره.

وما قلناه، حتى الآن، يثبت أن انصراف أبي ماضي إلى جلاء هذه المعاني في شعره، ونحوَه فيها المنحى التأملي الفلسفي، ومحوره: الخروج إلى الطبيعة الحية، وخلط النفس بها لتفكيك الكآبة عنها، والتماس العزاء في الاستكانة إلى اليأس من قدرة العقل

(١) انظر كتابنا (في ديوان العرب – أحاديث في الشعر والشعراء، من عصر الجاهلية إلى العصر الحديث) الجزء الثالث ص ٢٢٦.

على فهم كنه الوجود، وفي التمثل بكائنات الطبيعة الأخرى[1]، قائم أساسه في النفس، أعانت، على تفتيحه وتقويته، عوامل متعددة استقوى أثرها، من بعد، في وقائع حياته العميقة الأثر من ناحية، وتأثره، في اتباع منهجه فيه، ببعض زملائه الذاهبين إلى ما وراء الحس، من أعضاء الرابطة، وفي رأسهم جبران ونعيمة من ناحية، وحياته في المجتمع الأميركي الجديد المنصرف، في ثقافته العامة يومذاك، إلى هذه الآفاق التي ورثوها عن كتّابهم وأدبائهم المعروفين بانتحائهم هذا المنحى في أدبهم (وِيتمان، وإمرسون، وثورو)[2].

كانت هذه صورة ما حاط بالديوان الثاني، وما استُقبل به في العالم العربي، فقد أقبل تلامذة المدارس على حفظ (فلسفة الحياة) في استظهاراتهم، وتناشدها الناس في محافلهم وندواتهم. لقد كانت على رأس محفوظاتنا، في الثلاثينيات من القرن الماضي. هذا ولم يمض على أبي ماضي في مغترَبه الجديد زمن طويل (١٩١١ – ١٩١٩) أضيفت إليه ثماني سنوات أخرى (١٩١٩ – ١٩٢٧)، قبل أن يصدر ديوانه الثالث، وفيه قصيدته التي أوشكت أن تتحول إلى «ملحمة نفسية» اختار لها عنواناً ذا رنين يرنُّ في أسماعهم (الطلاسم)، وختم مقاطعها بقرار واحد (لست أدري)، وشبحَ نفسَه فيها على حيطان الوجود، حائراً، ملتاعاً، مغمض العينين، يكاد يجهل من لغز الوجود والخلق والتكوين كل شيء، فهزت سوق الشعر يومذاك، حتى سماها أحد الباحثين «إحدى معلقات العصر»[3]، وراجت معها سوق الديوان، فأقبلت بعض دور النشر على معاودة طبعه، دون إذن من الشاعر.

والغريب أن الناس قبلوها من زاوية الصدق في خطابها وخطاب النفس معها، والتوفيق بين الفلسفة والشعر، وهزّتهم نغمة الإقرار بجهل حقائقها في مقاطعها التي زادت على السبعين. وتماسُكِ الشاعر أمامها، واحتفاظه معها بالنزوع إلى التفاؤل، وإن صرفه ذلك عن الانفعال، فبقي حديثه فاتر العاطفة، معوّضاً، قدراً من التعويض، بالوصف وبغناء الطبيعة، وبالتقرير في بعض الأحيان.

---

(١) المصدر السابق: الجزء نفسه ص ٢٢٧ .

(٢) انظر بعض التفصيل في دراسة صغيرة لصلاح عبد الصبور منشورة آخرَ طبعة دار العودة، من ديوان أبي ماضي (تذكار الماضي) – دار العودة بيروت ١٩٧٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٤٩ .

اتسع إذن، في (الجداول) أفق الشاعر، في التفاته إلى الإنسان، في شعره، وتناول قضايا وجوده الكبرى. ونحسب أن ما لقيتْ بعض نصوص ديوانه الثاني من الرعاية، مثل «فلسفة الحياة» التي وقفنا عندها، وهي في الرأس، وقصيدة «الخلود»[١] و«١٩١٤»[٢]، حفزه إلى تعميق هذا الخط، وجعل صوت العقل والفكر والتأمل أعلى الأصوات في تناول هذه القضايا الكبرى في شعره، وهو الفتح المبين الذي كتبه لنفسه، وكتبه له دارسوه، وأعلَوْا من ذكره فيه، وزها به الشاعر، من بعد، زهوّاً شديداً[٣].

ففي مطوّلته «الطلاسم» التي نحن في ذكرها، حيرة فلسفية، يحكيها أبو ماضي ببساطة وحميمية، بلغة سهلة بعيدة تماماً عن الرغبة في اختيار المفردة ذات الوقع الخاص، وهي اللغة التي تميز بها شعره، أحياناً كثيرة، ووصمها بعض دارسيه «بالعقم» و«النثرية»، وبميل الشاعر فيها، إلى «العامّية الساقطة»[٤].

والذي نراه: أنه يجنح في لغته، على العموم، إلى التعامل مع المفردة السائرة، حتى ليبدو، في هذا الموطن بعينه (الطلاسم)، رجلاً من عامة الناس، يشكو لمن يسمعه، ما هو فيه من الجهل بحقائق قائمة بين السمع والبصر، ولكنه لم يَمْرُن على تأملها ومراجعة العقل فيها:

جئتُ لا أعلمُ من أين، ولكني أتيتُ
ولقد أبصرتُ قدّامي طريقاً فمشَيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟
لست أدري

---

(١) النص ١٩ ص ٣١٦.

(٢) النص ٣٠ ص ٣٦٣ .

(٣) انظر في كتاب جورج ديمتري سليم ص ١٠٥ وما بعدها، رسالة بخطه، أرسلها، أو كان يزمع إرسالها إلى طه حسين الذي نقد (الجداول)، في (حديث الأربعاء)، من الجانب اللغوي، نقداً حاداً، وجاء فيها قوله: «هل رأيت، في كل ما رأيت، من الدواوين الحديثة التي صدرت باللغة العربية، قبل (الجداول)، ديواناً (كالجداول)، يحوي فكراً وشعراً وفلسفة، في قصائد لم يسبق أن نزل مثلها في ديوان الشعر العربي كله؟

(٤) إيليا الحاوي :(إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل) ، ص ٨٠ وما بعدها.

أ جـديـدٌ أم قـديمٌ أنـا في هـذا الـوجـودْ
هل أنـا حـرٌ طـلـيقٌ أم أسـيـرٌ في قـيـود
هل أنـا قـائـدُ نـفسي في حـيـاتي أم مَـقود
أتـــمـــنّى أنـــني أدري، ولـــكنْ

لـــست أدري

على هذا النحو المفطور يأخذ الشاعر يتساءل، كأنه يشير بيديه، عن حل معضلات الوجود الكبرى، لا يريد ممن يسمعه شيئاً على الإطلاق، بل هو لم يسْعَ إلى من يسمعه، ولكنْ يريد أن يحكي حكاية هذه «الطلاسمْ «التي يعذبه الوصول إلى فهمها، بلغته البسيطة التي تجري كما يجري الماء بطبيعته في الأرض. هكذا وقف يخاطب البحر ويسائله عن سر بقائه، على حين يمضي الشاعر إلى الفناء:

فـيك مـثـلي أيـهـا الجـبـار أصـدافٌ ورملُ
إنمـــا أنـت بـلا ظلٍ، ولـي فـي الأرض ظلُّ
إنمـا أنت بـلا عـقلٍ ولـي يـا بـحـر عـقل
فـلـمـاذا يـا تـرى أمـضي وتـبـقى؟

لـــست أدري

ويمضي: فيقف على الدير، فيرى عقول رجاله آسنة، ويرى قلوب نسائه تموت في ظلمة الدير، فيسائلهم عن سر ما هم فيه. ثم يزور المقابر يسأل أهلها: هل وجدوا الراحة في حفائرهم؟ وهل، بعد هذه الحياة، حياة أخرى؟ وهل يَصْدُقُ ما يسمعه عن دعوى البعث والخلود، أم هو الفناء لا شيء بعهده ؟

أ وراءَ الـقـبـر بـعـدَ المـوتِ بـعثٌ ونـشـورُ؟
فـحـيـاةٌ فـخـلـودٌ أم فـنـاءٌ ودثـور؟
أ كلام الـنـاس صـدق أم كلام الـنـاس زُوْر
أ صـحـيـحٌ أن بـعـضَ الـنـاس يـدري؟

لـــست أدري!

ويمضي، بعدها، في جولته التي تعمّ مملكة الإنسان حيث يكون، فيقف على الكوخ والقصر، فيرى صاحبيهما يتماثلان، على اختلاف نصيبيهما من الدنيا، في الشك واليقين، وفي رسوفهما في قيود الزمان والمكان. ويسائل نفسه عن حركة الفكر: أين يذهب بعدها؟ وكيف يبحث عنه وهو معه داخل نفسه؟ ويطرح، في نهاية القصيدة، سلسلة طويلة من الأسئلة عما يتبدل في نفسه، ويتصارع من حوله، ينتهي بعدها إلى اليأس والحيرة من جديد، فيتراءى له أن الجهل بما يسأل عن حله، واليأس من الوصول إليه، ربما تستريح النفس إلى عجزها فيه، فتجد نعيم الراحة عنده:

كلما أيقنتُ أني قد أمطتُ الستِّترَ عني
وبلغتُ السرّ، سرّي، ضحكتْ نفسيَ مني
قد وجدتُ اليأس والحَيرةَ لكن لم أجدْني
فهل الجهلُ نعيمٌ أم جحيم؟
لست أدري

ويختم مقاطع القصيدة بقوله:

إنني جئت وأمضي، وأنا لا اعلمُ
أنا لَغز، وذهابي كمجيئي طِلْسَم
والذي أوجد هذا اللَّغز لَغْزٌ مبهم
لا تجادلْ! ذو الحِجَا مَن قال: إني
لست أدري

كان يمكن الإخفاق في التماس الرد على هذه الأسئلة، أن يُلجئ أبا ماضي إلى الانكفاء والانسحاب إلى عالمه الداخلي. ولكن الحياة العملية اجتذبته إليها، فلم ينقطع ما بينه وبينها، ولم يستسلم معها للعوالم الصوفية التي استسلم لها زميلاه جبران ونعيمة، وإن لامسها أحياناً. فبقي القلق والشك (بحكم تكوينه، وبحكم الضغوط التي أشرنا إليها، من قبل، في وقائع حياته، وبحكم التأثر بأجواء الثقافة الشائعة، قريباً من (الرابطة) وبعيداً

عنها، تعترض حياته، ويغالبها أبو ماضي مغالبة ظاهرها الرغبة في الانتصار عليها، وحقيقتها رسوفه في قيودها، على نحو ما قلناه في قصيدته «فلسفة الحياة».

☆☆☆☆☆

وإلى جانب هذه القصيدة «المُطوَّلَة» تناقل الناس، في وطنه، قصائد أخرى سلك فيها المسلك نفسه، في الجمع بين الفكر الفلسفي والشعر عن طريق الأمثال التي تقرّبه من الناس، مثل قصيدة «العنقاء» و«الحجر الصغير» و«الطين» و«الغدير الطموح» و«الضفادع والنجوم» و«التينة الحمقاء» و«العَير المتنكر» وغيرها[1].

وتناقلوا في (الخمائل) قصائد أخرى، تقف على رأسها قصيدة طويلة اقتدى أبو ماضي، في اختتام الديوان بها (بالجداول) في «الطلاسم» هي قصيدة «الأسطورة الأزلية» صاغها على أبيات متسلسلة في مقاطع، يشمل المقطع منها من يمثل دوراً من أدوار العمر، أو صفة من الصفات التي تمثل هويته (الفتى، والشيخ، والحسناء، والجارية، والفقير، والغني، والأبله، والأريب)، وصاغ على ألسنتهم أبياتاً يعلنون فيها سخطهم على ما هم فيه من حدّ السن، أو الصفة، أو الغنى. ويختم الأسطورة بقوله:

لما وعى اللهُ شكايا الورى
قال لهم: كونوا كما تشتهونْ!
فاستبشرَ الشيخُ، وسُرَّ الفتى
والكاعب الحسناء، والحَيْزَبون
لكنهم لمّا اضمحلّ الدُّجَى
لم يجدوا غيرَ الذي كانا!

---

(١) نقصد بالأمثال هنا: المعنى الذي يقرّبها من الخرافات ذات المغزى التربوي أو التعليمي(**Les Fables**) على مثال خرافات لا فونتين (**la Fontaine**) مثل : «خرافة الطيرين» و «الحمار والكلب» و «الحصان والحمار» (ونعتقد أن أبا ماضي اطّلع عليها قبل أن يكتب قصيدته «العَير المتنكر ») و«الأرنب والسلحفاة» الخ... وخرافات الحكيم اليوناني القديم (إيزوب **Aisopos**). ولكنها، في شعر أبي ماضي، تعدّت عالَم الحيوان (على نحو ما فعل شوقي وإيزوب) إلى عالَم النبات «التينة الحمقاء» و «الجماد الحجر الصغير» و«الطين»، وعالَم الطبيعة «الغدير الطموح»، وعالَم الإنسان («في الأسطورة الأزلية»). ونرى أنّ دراستَها، في شعره، تستوجب الدراسة.
(انظر الحاشية ١ ص ٤٨). وفي تراثنا، في الموضوع نفسه، رسالة «الصاهل والشاحج»لأبي العلاء المعري، ونظْم «كليلة ودمنة» لابن المقفع، شعراً، لوزير السلاجقة (ابن الهبّاريّة – ت ٥٠٩ هـ).

إذ تتساوى الأمور في آخر المطاف، في الصفة والحدِّ والمرتبة، أمام حقائق الحياة:

هم حـدّدوا الـقُـبحَ فـكـان الجـمـالْ
وعـرّفـوا الخـيـرَ فـكـان الـطلاحْ
ولـيس من نـقصٍ ولا من كـمـالْ
فـالـشوكُ، في الـتـحـقـيق، مـثلُ الأقـاح
وذرّةُ الـرَّمـلِ كـكلِّ الجـبـالْ
وكـالـذي عـزّ الـذي هـانـا!

وإذن فالحياة وحدة تتساوى فيها المتناقضات، وتتكامل الأضداد، وتتوحد الثنائيات من قبح وجمال، وخير وشر، ونقص وكمال. وما تناقضها، في أعيننا، إلا من صنع الوهم.

ولكنّ هذه الثنائيات والمتناقضات التي يجمعها حيناً ويفرقها، حيناً، ويوحدها حيناً، ويقرّبها حيناً، ويبعدها حيناً، لم تصل به إلى الحقيقة التي تفسرها وتستريح نفسه إليها، ولم تذهب بحيرته أمام لغز الوجود وقضاياه الكبرى، وما زالت حياته نهباً للوساوس والأسئلة الحارة التي تذهب به في كل اتجاه، حتى يجد ألاّ مفرّ أمامها إلا بالاستسلام إلى الرؤى التي تولدها والفكرة التي تبدعها:

سـرُّ الـسـعـادةِ في الـرؤى، إنَّ الـرؤى
لا كفّ تُـثـبـتـهـا ولا تـمـحـوهـا[1]

---

(١) الجداول: «الكمنجة المحطّمة »: النص ١٦. وانظر قصيدته: «الغبطة فكرة» (الخمائل : النص ٤٤) والتي أنهاها بقوله:

أيـهـا الـشـاكي الـلـيـالي إنمـا الـغـبـطـة فـكـرة
ربمـا اسـتـوطـنت الـكـوخ ومـا في الـكـوخ كَـسـرة
وخـلت مـنـهـا الـقـصـور الـشـامـخـات المشـمـخـرّة
تـلـمس الـغـصن المعـرّى، فـإذا في الـغـصن نَـضـرة
وإذا رفّت عـلى الـقـفـر اسـتـوى مـاءً وخُـضـرة
وإذا مـسـت حـصـاة صـقـلـتـهـا فـهـي درّة
لك، مـا دامت لكَ، الأرض ومـا فـوق المجـرّة
وإذا ضـيّـعـتـهـا فـالـكـون لا يـعـدل ذرّة !

ثم تعود نفسه إلى الشك في رؤاها التي ظن أنها أراحته من عذاب الحَيْرة، فيراها، بدورها، وهماً من الأوهام، وينتهي إلى أن للأقدار غايات تحققها فيما ينفعنا وما يضر بنا، ولكنّ النفس تظل في ظمئها الحار وتطلعها الدائم إلى شدة اليقين.

وفي تصوير هذا الصراع القائم في النفس الذي يجلوه شعره وفي تناوله وتأمله والتفكير في مآتيه ومعانيه وفي مداخله ومخارجه حيناً بعد حين، كتب أبو ماضي أجمل شعره، وأحفله بالإثارة، وأقدره على مزج الفلسفة بالشعر، والفكر بالوجدان، وكسب به شهرته الواسعة، حتى جعله بعض شعراء المرحلة (فدوى طوقان ونازك الملائكة) من أقدر شعرائها، وجعله آخرون (فدوى طوقان) أقدر الشعراء في قديم الشعر العربي وحديثه، بصرف النظر عمّا قالوه في دور العاطفة فيه ومكانها منه، بجانب قوة الفكر ودور العقل ومكانه منه.

وقد كان عالم الصوفية الذي يعتمد العرفان (المعرفة عن طريق الحدس الداخلي) قريباً منه، عالم جبران ونعيمة ورشيد أيوب، ولكنه كان، بحكم التكوين، وحكم الانغماس في الحياة العملية، كما ذكرنا، أقرب إلى العالَم الآخر، عالَم الفكر الحي والاتصال المباشر بالواقع القائم من حوله. وهذا الذي جعله يطمح إلى المعرفة، عن طريق المحاكمة العقلية والتأمل الواعي في الأشياء.

ولو استعرضنا حياته، منذ بدأ يعي الأشياء في عهد الصبا الأول في الإسكندرية، وانحيازه إلى جانب المعارضة ومدافعة الاحتلال والاستبداد بحقوق الشعب (على الجبهة العثمانية والجبهة الغربية)، بدت لنا رغبته في المجاهرة برأيه والقتال دفاعاً عنه، في وضح النهار، وفي ضوء الحقائق المعلنة.

وفي ضوء هذا الذي نقوله اكتسبت قصيدته وحدتها، إذ لا يمكن أن تتم المكاشفة إلا عن طريقها، ووردت فيها الأمثال المنتزعة من الواقع القائم من حول قارئها، فقربته منها مثل «التينة الحمقاء» و«الحجر الصغير» و«الضفادع والنجوم» و«العَيْر المتنكر». واتجه فيها إلى السرد، فكسب شعره به سِمة القَصّ الموحي، إلى جانب خروجه الدائم إلى

الطبيعة: زهرها وشجرها وسمائها ونجومها وقمرها، وخلْطِ النفس بها، بغية تفكيك الكآبة عنها، والتخفف من عبء القلق والحَيْرة، وإعمال العقل في فهم كنه الوجود.

وقد نجّى، ذلك كله، شعره التأملي، من أن يقع في حبائل الجفاف الذهني الذي يصيب الشعر المتجه إلى الفلسفة والتفكر، والطموح إلى كشف الأستار عن وجوه الأشياء والكائنات، فوصل بالقارئ إلى تذوق جمال الموقف الشعري الذي وقفه منها، وتقبُل حيرته قي فهم أسرارها، وربما استجاب له في دعوته إلى الفرح بها والاستجابة لمفاتنها.

ونقف هنا عند قصيدته «التينة الحمقاء»، ومقطوعته «العَير المتنكر» اللتين سلك فيهما مسلك المثل المضروب: ففي «التينة الحمقاء» يقول: إن الإنسان ينمو بالعطاء (مماشاة سنة الطبيعة) لا بالمنع (مخالفة سنتها). فهذا معنى العطاء وجدواه.

وفي «العَير المتنكر» يدعو إلى أن يلتزم الإنسان حقيقته التي خُلق لها، فلا يتعدّاها.

ويعزز في قصيدة «المساء» دعوته إلى التفاؤل، على غير المسلك الذي سلكه في قصيدته «فلسفة الحياة»[1] التي عرضنا لها من قبل.

ففي «التينة الحمقاء»[2] تقول التينة، في آخر الصيف، لأترابها:

بئسَ القضاءُ الذي في الأرض أوجدَني
عندي الجمالُ، وغيري عنده النظرُ
كم ذا أكلِّفُ نفسي فوق طاقتها
وليس لي بل لغيري الفيْءُ والثمرُ

فتهزها هذه الحقيقة، وتقرر أن تكون لنفسها وحدها:

إنّي مفصِّلةٌ ظلّي على جسدي
فلا يكون به طولٌ ولا قِصَرُ

---

(١) الديوان الثاني : النص ٣ ص٢٥٥.

(٢) الجداول: النص ١٢ ص٥٨٥.

ولـــست مـــثـــمـــرةً إلا عـــلـى ثـــقـــةٍ

أنْ لـيس يـطـرُقُـني طـيـرٌ ولا بـشـرُ!

فلما جاء الربيع واكتست الأشجار بخضرة أغصانها، في هذه الصورة الحية التي يرسمها الشاعر:

عـاد الـربـيـعُ إلى الـدنـيـا بمـوكـبهِ

فـازّيـنتْ واكـتـستْ بـالـسُّـنـدس الـشـجـرُ

وظـلـت الـتـيـنـةُ الحـمـقـاءُ عـاريـةً

كـأنـهـا وتِـدٌ في الأرض أو حـجـرُ

كانت نهايتها على هذه الصورة البائسة:

ولـم يـطقْ صـاحبُ الـبـسـتـان رؤيـتَـهـا

فـاجـتـثّـهـا، فـهـوتْ في الـنـار تـسـتـعـر

من لـيس يسـخـو بما تـسـخـو الحـيـاةُ به

فـإنه أحـمـقٌ بـالحـرصِ يـنـتـحـر

فهي لو أعطت لم تختنق بما قصَرته عن نفسها وكسبت بما أعطته لا بما حفظته.

وفي «العَير المتنكر»[1]، بصفته مثلاً من الأمثال، يقرّب فيها ممن يقرؤه بعض الحقائق الإنسانية، لتكون، كما أشرنا من قبل، أفعلَ في نفسه، إذ تشخَصُ بها الفكرة، وينهض بها موقفٌ يُصَوَّر أو حدث يُسرد. وتستحق، كما أشرنا منذ قليل[2]، درساً خاصاً إذ أدخلَ، عن طريقها، أيضاً، عنصر الحركة والتحليل وتصوير الشخصيات:

زعم المـــؤدّبُ أن عَـــيْـــراً ســـاءهُ

ألاّ يُـــســـارَ بـه إلى المـــيـــدان[3]

(١) الجداول: النص ٧ ص٥٧١ استُلت هذه الأبيات الستة من قصيدة طويلة بعنوان «يا نوح! أين دلائل الطوفان»؟ (ما لم تجمعه الدواوين : النص ١٣ ص١٠٣٧).

(٢) الحاشية رقم ١ ص٤٨.

(٣) كما يسار بالحصان.

فـمـضَى فـقـصَّـرتِ الـقـواطعُ ذيـلَهُ
وسَـطَتْ مـواضـيـهـا عـلى الآذان
حـتى إذا جـاء المـروِّض واعـتـلى
مـتْـنـيه راب الـفـارسَ الـكـشْـحـان[1]
لـكـنـه مـازال غـيـرَ مُـصـدِّقٍ
حـتى علا صـوتٌ كـصـوتِ الجـان
فـاسـتلَّ صـارمَهُ فـطـاحَ بـرأسهِ
ورمى بـجـثـتـه إلى الـغِـربـان
مـادام يـصـحَبُ كلَّ حيٍ صـوتُه
فـالـعَـيْـر لا يُـخـفـيه جـلـدُ حِـصـان

وفي قصيدة «المساء»[2] يخاطب الإنسانَ عَبر فتاة سماها سلمى[3] وبدأها على نحوٍ أخاذٍ يجمع مظاهر الرهبة في الطبيعة:

الـسُّـحْـبُ تـركضُ في الـسـمـاء الـرحب ركضَ الخـائـفـيْنْ
والـشـمسُ تـبـدو خـلـفـهـا صـفـراءَ عـاصـبـةَ الجـبـين
والـبـحـرُ سـاجٍ صـامتٌ فـيـه خـشـوعَ الـزاهـدين
لـكـنـمـا عـيـنـاكِ بـاهـتـتـان في الأفق الـبـعـيـدْ
سلمى بماذا تَـفْـكُرين؟
سلمى بماذا تَـحْـلُمين؟

جعل فيها المساء رمزاً للغروب والفناء، وصوّر، على هذا النحو الذي وصفه فيه، خوف الإنسان من فكرة العدم الزاحف قدَرُه على الروح: اختفاءَ النور، وانتشار الصمت، وانطفاءَ مظاهر الحياة في الكون، بما يعكِس ما يحسُّ الشاعر نفسُه من رهبتها، ثم خرج منها على ما نعرف من تهوين الموقف مما يخافه الإنسان وما يأسى له، إلى دعْوته إلى

(١) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.
(٢) الجداول: النص ١٥ ص٥٩٢.
(٣) اسم أمه التي كان أبو ماضي، كما تقول أخباره، يحبها حباً جماً.

تجاهل هذا الوجه الكئيب من وجوه الحياة، والتعلق بالوجه المستبشر الآخر، قبل أن يطويه ضباب العدم. ذلك أن الليل الذي يطمس ملامح الكائنات على الأرض، يوقظ، في الوقت نفسه، الأحلام المرغوبة، وتنتشر في سمائه الكواكب النيّرة، فلنتملَّ إذن من الليل هذا الوجه، ولنحاولْ أن ننسى وجهه المعتم الآخر! ثم إن مظاهر أخرى من مفاتن الطبيعة ما تزال حية في الليل:

إن كان قد ستر البلاد سهولَها ووعورَها
لم يسلُب الزهر الأريجَ ولا المياهَ خريرَها
كلا ولا منع النسائمَ في الفضاء مسيرَها
مازال في الورق الحفيفُ وفي الصَّبا أنفاسُها
للعندليب صُداحُهُ
لا ظُفرُه وجَناحُهُ

ولكن الشاعر لم يستطع أن ينسى، مع هذه الدعوى التي تتردد في شعره، كأنه ما يفتأ يسكّن بها روعَه هو وهواجسَه، أن الفناء بالمرصاد، وأن الموت بالباب، ومن ثَم لا يجد في يديه غير دعوته التقليدية التي سُمّيَ بها: شاعر التفاؤل: أن ندير ظهورنا له، ونقْصُر همَّنا على التمتع باليوم الذي نحن فيه، فينعطف يتابع خطابه لسلمى:

فاصغي إلى صوت الجداول جاريات في السفوحْ
واستنشقي الأزهارَ في الجنات[1] مادامتْ تفوح
وتمتَّعي بالشهْب في الأفلاك ما دامت تَلوحْ
من قبل أن يأتي زمانٌ كالضباب أو الدخانْ
لا تبصرين به الغديرْ
ولا يلذُ لك الخرير

ثم يختم النص بما اعتاد أن يختم دعوته إلى الفرح بالحياة: بالدعوة الصريحة إلى أن نعيش الحياة، بدَل أن نُرجع البصر في بعض حقائقها، وأن نكفَّ من غرب[2] العقل، وننشد الاستراحة إلى اليأس من كشف المجهول:

---

(١) البساتين.

مـات الـنـهـار ابن الـصـبـاح فلا تـقـولي: كـيف مـاتْ ؟
إن الـتـأملَ في الحـيـاةِ يـزيـد آلامَ الحـيـاةْ
فـدعي الحـكـايـةَ والأسى واسـتـرجـعي مـرحَ الـفـتـاةْ
قـد كـان وجـهُكِ في الـضـحى مـثلَ الـضـحى مـتـهـللا
فـيه الـبشاشة والـبهاءْ
لـيـكن كـذلك في المـسـاءْ

حاول أبو ماضي أن يكسب لنفسه لقب «شاعر التفاؤل» في فلسفته للحياة، ودعوته الإنسان العربي إلى مواجهة ما يعتاده من الكآبة بالابتسام، وقصْره البحثَ في معنى الحياة وقضاياها وثنائياتها الكبيرة: للموت والحياة، والخير والشر، والجمال والقبح، والحرب والسلام، والإنسان والآخر. وسلك في هذه السبيل مسلكاً يقوم على اعتماد بعض قوى النفس، من مثل عمل الإرادة والقدرة على صنع النسيان، برغم حقائق تكوينه التي تقفه موقف التساؤل الدائم من معرفة الحقيقة في خلق الكون والكائنات، واستخلاص عبرها عبر صورها المختلفة، وهو ما سماه، في الجملة «فلسفة الحياة».

وقد يذهب من يقرأ شعره في هذه الدعوة والسير على بساطها الممدود، إلى أن أبا ماضي يحاول أن يخرج من أزمته النفسية التي حاكتها الأحداث المأساوية التي وقعت في حياته. فدعوته نوع من «المناجاة» عن طريق تحويلها إلى «حوار بينه وبين الآخرين»، ينتهي دائماً إلى التعلل باليأس والوقوف على حَدِّه.

وقد استطاع أبو ماضي أن يستميل كثيراً من الناس بدعوته هذه برغم ما تستبطنه من الرغبة في تحويل خط العجز الذاتي، إلى وهْمِ الرضا بالواقع والاستكانة له، إذ وجدوا فيها صوتاً أفادوا من صداه في أنفسهم، ورأوا فيه الخلاص السهل مما يُعجِزهم تغييره، فتغنَوا به وردّدوه وحفظوه، وحفظوا للشاعر به ذكراً جميلاً.

وربح الشعر بما حقق من التوفيق بين الفكر والشعر، عن طريق الرموز المستوحاة من الطبيعة، وسلوك الكائنات الأخرى فيها، بما جعله يمتلك أيضاً قدرة التمثيل والتخييل والإثارة الجمالية، وهو أقصى ما يعمل له الشعر في كل أحواله.

ثم إن الشاعر، وإن لم يستطع النفوذ في شعره إلى استيعاب ما تعنيه دورة الحياة الأبدية التي تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت، حتى يتعذر تصور الحياة دون الموت الذي هو البداية دورتها الجديدة ليقيم تفاؤله على هذا الأساس المكين الذي قد يستريح إليه العقل في آخر المطاف. قد استطاع في كل حال أن يحوّل الشعر العربي في عصره إلى الاحتفال بقضايا الإنسان الكبرى واستطاع من ناحية أخرى أن يصل بهذا الشعر إلى تحقيق وحدة القصيدة عن طريق رسم الدورات النفسية والانتهاء بها إلى نقطة المركز التي تتشعع عنها حين تتجلى في آخر النص الحقيقة الكبيرة التي تجمع خيوطه المتفرقة فيها.

☆☆☆☆☆☆

وينبغي ألا ننسى، في النهاية، أن أبا ماضي رفَدَ تكوينه الموهوب[1]، وقد طالعه في وقت مبكر من حياته حارَ بعض الدارسين في تصديقه[2]، كما أشرنا، في الإسكندرية، على الدرس، لنفسه، في الليل، وفي بعض الكتاتيب، كما تقول الروايات. وشعره يُنبئ بأنه لم ينقطع أبداً عن الاطلاع المكين المتصل بتراث العربية شعراً ولغةً، إلى حد الوصول بتقليب بعض مواد اللغة العربية في المعاجم، على معانيها الدقيقة، للإفادة منها في تركيب جملته الشعرية واستكمالها. أعانه في ذلك – لا شك – ذاكرة قوية قادرة، أحياناً كثيرة، على إشاعة الحياة في التعبير الذي يواتيه، بما تملك من دقائق المعاني وألوان الظلال التي ترخيها عليها، وإيقاظ الإحساس بغنى الرجع النفسي الذي تثيره وبجماليّاته العميقة.

وعلى من يقرأ شعره ألا ينسى، إلى جانب هذا، أن أبا ماضي لم يستكمل مراحل تعلمه الأولية في مدرسة القرية (المحيدثة)، وأن ظروف الأسرة اضطرته إلى مغادرتها، والعمل في بلد بعيد، في بعض الدكاكين. فما وصل إليه، في تعلمه، هو نتاج الصبر العظيم، والرغبة القوية، والطموح العريض، والثقة العميقة بالنفس.

---

(١) لا يبعد أن يكون هذا الأمر متصلاً بحساسية موروثة تعدت أبا ماضي إلى بعض أفراد الأسرة الآخرين، فأخوه الأكبر (مراد) أصدر في مرحلة متأخرة (١٩٥٢)، ديوان شعر سمّاه (السنابل)، وكان له شعر في تأبين أخيه إيليا.

(٢) يجسّد هذه الحَيرة خلافهم في تحديد سنة مولده على مدى خمس سنوات ! إذ لم يصدقوا أن يصل هذا الفتى إلى ما وصل إليه، في أكثر ما وصل إليه، في (تذكار الماضي)؟

ولعلنا نجد تصديقاً لهذه الصفات في الشعر نفسه، ففيه قدرة نفسية هيأته، برغم ما حاق به، للاستمرار في الصعود إلى الدرجات العالية التي وجدناه يذكرها لنفسه[1]. ونجد إشارة بالغة إليها في الرسالة التي كتبها إلى الدكتور طه حسين،[2] في أعقاب نقده الحاد لديوان (الجداول).

ويعود أكثر ما حصّل أبو ماضي، في هذا الجانب الثقافي، إلى الطموح الحار الذي عُرف به، وصدَّقه انخراطه في الحياة السياسية المصرية، وهو في هذه السن الصغيرة، أملاً في الحصول على مكانٍ يحفظه لنفسه في مغتربه الأول، ونشره قصائد من شعره في الصحف والمجلات (اللواء) و(العلم) و(الشعب) و(الزهور)، إضافة إلى ما كانت (مرآة الغرب) و(الهدى) في الوقت نفسه، تنشرانه له في المهجر!

ومازلنا، إلى اليوم، نعدُّ أبا ماضي صفحة مفردة في تاريخنا الأدبي، نتجاوز فيها، على الأغلب، شعره الوطني والاجتماعي والسياسي إلى شعره الإنساني وحدَه، تقريباً، إذ فيه يقع تميّزُه في الدعوة إلى جبر الروح المكسورة في الإنسان، والاستعلاء على الخوف والضعف، من خلال وقوفه أمام قضاياه الكبيرة القائمة، وثنائيات حياته المقلقة، عن طريق الفكر الشعري الحار الذي تحمله لغته السهلة القريبة من الحس، تأكيد إرثه، في الجانب الموروث من ثقافته الأدبية، مكّنه من يسر التعبير، ويسر التأليف بين الوحدات، ومن الرهافة العاطفية (إرث التكوين المفطور المتأثر بظروف حياته في المغتربات)، ومن الغنى الذي وفَرته لها ثقافة معجمية جادّة، مما يمكن أن يُعدَّ الجمع بين عناصره، توفيقاً بين صوت الأصالة وصوت العصر، في التجديد المعتدل الذي يقبله الناس، ويألفونه ويحبونه، ولا يحسون بالغربة معه.

وقد لا يصحّ أن يعني التحديث الواعي، في رأيه، تجاوز تراثنا الشعري والإفادة من طاقاته الإبداعية، الفكرية واللغوية، وكان المتنبي والمعري ركيزتيه فيه، بما ضَمِن له قدرة

---

(١) انظر قوله مثلاً: **إن الكواكب في منازلها لو شئتُ لاستنزلتها كِلَما**
الديوان الثاني: النص ٦٤.

(٢) انظر الحاشية ٣ من الصفحة ٤١ من هذه الدراسة.

التأثير الدائمة في القارئ العربي الذي ألِف مراجعة التراث الشعري (إذ إنّ كلاً منهما ينحو، بطريقته التي تتفق وتكوينه وظرفه، نحو العقل: يجمع المتنبي إليه عاطفته القوية، في حين يلجأ المعري إلى السخرية المبطنة والظاهرة، في التعليل لعجزه عن فهم أمور الخلق).

فالانصراف عن هذا التراث العظيم، والإزراء به، طمعاً في كسب صفة الحداثة لذاتها، فيما نكتبه، فهمٌ خاطئ لمعنى التحديث، يغرّبه في عيون الأجيال، ويقطع حركته الواعية عن امتصاص روح التراث والتعبير عنها، في تناول قضايانا التي نعيش همومها، ونتطلّع إلى الفوز بفهمها وجلاء مكانها من حياتنا.

إن أول ما يتطلبه هذا الفهم العميق لحركة التحديث في الأدب عامةً: امتلاك اللغة امتلاكاً سليماً ينفذ بنا إلى أعماق المفردة العربية، ويضع في يدنا زمامها، ويقربنا من القيم التي تكوّن جوهرها، فتجعلنا أقدر على مخاطبتها وإعادة تشكيلها في نتاجنا الإبداعي الذي تظل الموهبة «الموهوبة في التكوين» هي الأساس فيه، وفي كل عملٍ إبداعي.

والمعنى الذي يكرره الحداثيون في كتاباتهم، فيما يطلقون عليه «تفجير اللغة» يلزم أن يشرب من هذا النبع، حتى لا تتطاير أشلاء الكلمات من حولهم، في غير نفع، وتتحول النصوص التي نكتبها إلى مقابر أشباحٍ وهياكل عظمية، تغرينا بحفرها الرغبة في أن نطلع فيها طلعةً لافتة على حساب القيم الصحيحة الأخرى. وإن من يقرأ شعر أبي ماضي الباقي في ضمير الأجيال العربية، في ضوء هذا الفهم لحركة التجديد والتحديث، يدرك تماماً مبلغ ما وعى من حقائقها، وهو ما قرّبه من نتاج المهجريين الباقي أثره في النفس العربية إلى اليوم.

ولعل هذا هو الذي حبّب إليه الاحتفاظ بموسيقا الشعر الموروثة، في نظامه العمودي، ومن المحافظة على وقع القافية فيها، حتى لقد كرر القافية في صدر البيت وعجزه معاً، في بعض الأحيان. على أنه أفاد من التلاعب بموسيقاه الشعرية مقتدياً بالموشح الأندلسي. وجرّأه النجاح فيه على التلاعب بموسيقا الأبيات في القصيدة، على نحوٍ مميّز، ينفرد فيه بيت واحد، أحياناً، بمكانه في النص، أو يُترك شطر من شطريه طلْقاً في أواخر المقاطع.

ومكّن هذا الناسَ، من ناحيةٍ أخرى، من حفظ شعره وتناقله، فأعان على مدِّ شهرته وتأثيره. ومكّن طلبة المدارس من إنشاده. وقد رجَعت إلى نفسي، فوجدتُني أحفظ من شعره الذي حكى فيه بعض الحكايات، أو ضرب فيه بعض الأمثال، أكثر مما أحفظه للآخرين، منذ أيام التلمذة.

وما نستطيع، مع هذا، أن نُغفِل حبه للموسيقا وتعلقه بسماعها في جلساتها وحفلاتها، وسعيه إليها في البيوت التي شُهرت برعايتها. ولهذا انتُخب، في أوساط المهاجرين العرب في أميركا، رئيساً لنادي الموسيقا العربية (١٩٣٣). ولم ينسَ، وهو في دمشق سنة ١٩٤٩، أن يسهر في بيت النائب يومذاك، فخري البارودي، المعروف برعايته للموسيقا والموسيقيين[١]. وله، في سهرته تلك، أبياتٌ أصرّ فيها على أن تظل السهرة عامرة إلى الصباح:

لـــتـــنـــعَس الأنجمُ في أفلاكِـــهـــا
ســـنـــســـهـــرُ الـــلـــيلَ ولا نـــنـــعسُ[٢]

فمما يمكن قَبوله إذن أن يجد في إيقاع القوافي المتتابعة، في القصيدة الواحدة، ما يدعوه إلى الحرص عليها. ثم إن ما انتهت إليه حركة التحديث الشعرية اليوم، في شعر التفعيلة، من إغفال القوافي المتتابعة، لم يكن منتشراً آنذاك، ولعله لم يكن، على نحوٍ ما، مقبولاً. وقد كان يسعه إغفالها، تأثراً بالشعر الغربي الذي لابد أن يكون قرأ أو سمع أطرافاً منه، ولكنه لم يفعل، مكتفياً بالتلاعب بها، على نحوٍ قريبٍ مما فعل الوشّاحون في الأندلس. لقد غلب عليه، في أدوار حياته كلِّها، تأثُّره العميق بالشعر العربي، قديمه وحديثه على السواء، لدى الكبار منهم في الجانبين، وأرضته، في صوغ تعبيره عن فكره، جمالياته في البناء والتركيب والإيقاع المنتظم. وامتدَّ هذا الشعور إلى حدّ المساس، في شعر المرحلة الأولى، بمَن سماهم «الشبان المتفرنجين» من قومه، وهو يعيش إلى جانبهم، معهم، في دارٍ واحدة[٣].

---

(١) يلزم أن نشير إلى تلحين بعض قصائده وإنشادها في أوساط المهاجرين العرب، من اللبنانيين وغيرهم، مثل قصيدته التي ذكرناها من قبل «نشيد يوسف بك كرم»، وقصيدتِه «بين الضحك واللعِب «، وقد لُحنت سنة ١٩٢١، وصدرت، مع لحنها، في ثماني صفحات.

(٢) (ما لم تجمعه الدواوين): النص ٦١.

(٣) تذكار الماضي : النص ٦.

ليس معنى هذا الذي قلناه ونقوله، أنّا لم نقف في لغته عند مفردات ممسوحة تبدو كأنها منقولة مباشرة عن المعجم، لم ينفخ فيها أبو ماضي من روحه. وهو ما التفت إليه بعض دارسيه، ورمَوه بالجمع بين الشعرية والنثرية في بعض صياغاته ومفرداته[١]. والسبب يعود، في رأينا، إلى أن حصيلة أبي ماضي من الثقافة اللغوية عامةً، وثقافة المفردات خاصةً، حصّلها بالمطالعة والجمع لا بالمعايشة الحيّة. فقد يقع القارئ، في لغته، على مفردات مقهورة، أدخلها في مواضع لا تريدها، فطغت فيها صفة النظم وخفّت صفة الشعر، أو انعدمت أحياناً.

ولكن الذي طغى على هذا كله، يقظة الفكر في شعره، ونجاحه، أحياناً كثيرةً، في التوفيق بين الفكر والشعور، أعني بين العقل والقلب، فبقي الفكر حينها، وتحصيل المعرفة عن طريقه، هو سيّد المواقف وتعليلها في شعره، وخفّت مكانة العاطفة والسؤالُ عنها، إذ خطف الفكر وتوهجُه، مكان الالتفات إليها، كما خطف مكان المفردة الحية.

وقد كتب أبو ماضي الشعر في أغراض مختلفة، في الاجتماع والسياسة والتاريخ. تغنى بالوطن، وصوّر بعض الوقائع في حياته وحياة أصحابه، وردّ على منتقديه و«حسّاده». ولم ينقطع، في الوقت نفسه، عن عمله الصحفي، منذ هبط نيويورك ١٩١٦، وبعد أن تفرّد بإنشاء جريدته (السمير)[٢]، عن كتابة افتتاحياتها، كل ليلة، وتحرير بعض مقالاتها وردودها.

وهو، في هذا كله، لم يبلغ ما بلغه في تناول قضايا الإنسان الكبرى، من حيث الارتفاع إلى مستوى الشعر الذي يقرّب الإنسان من نفسه، ويحرّك، عن طريق الإيحاء،

---

(١) إيليا حاوي :(إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل) ص ١٠ وما حولها، وانظر الأمثلة التطبيقية التي وردت فيها.

(٢) في آخر الدراسة، كما أشرنا في الحاشية ١ ص ١٦ من هذه الدراسة، نماذج مصوّرة من الجريدة، تضم بعض افتتاحياته، ومقالاته وردوده. ومن المؤسف أن دور الكتب العامة عندنا لا تحتفظ بنسخة كاملة منها. وقد اضطررت أن أرجع إليها يوماً، فوجدت أعداداً منها في مكتبة مجلس النواب اللبناني ببيروت. انظر كتابنا (النثر المهجري- الجزء الأول) – المقدمة.

جُذوة الروح فيه، ويبعث قلق الرغبة في المعرفة، والإجابة عن أهم أسئلة الوجود الغامضة، ويعدّ صوته، في هذا الاتجاه، أحد أهم الأصوات وأعلاها في أدب المهجر الشمالي (الأمريكي) الذي عُني بمدّها حتى أصبحت سمةً من أبْيَنِ سماته، منذ انطلاقته الأولى، وأكثرَها وضوحاً في نتاجه. وقد يمكن أن تُعدّ تعبيراً عما أحس المهاجرون من أوجاع الغربة والضياع عن الذات المهاجرة القلقة المتشوّفة، في مخاضها العنيف الذي تعرضت له عَبْر الصراع، بين قيم الحضارة الجديدة وقيم المهاجرين القديمة، حتى شبّه بعضهم نيويورك ببابل القديمة التي «تبلبلت «فيها أصوات الشعوب[1].

يمكن أن نقول في الإجمال: إن أبا ماضي وسّع من مساحة الفكر في شعره، وكساه ثوباً لغوياً شفّ، في أسلوب طرحه، عن جماليات الطبيعة التي لم يبعد عنها حياته كلها، وقرّبه من وجدان القارئ في وقت واحد، وهيأه للتفكير في قضاياه واتخاذ موقفه منها. فبقي شعره، لهذا الذي نقوله، محتفظاً، في ساحة الشعر العربي، بقدرته على التأثير ومحتفظاً بخصائصه معاً.

أمّا الأغراض العامة التي تناولها في شعره، فكثيرة، يطغى عليها، إلا في المختار منها، التقليد، يغيب فيها صوت الشاعر الخاص، ويعلو صوت الجماعة، لإحساسه بأنه يتحدث إليهم، أو نيابة عنهم. ولكنه يلطف في المختار منها، لدنوّها من نفسه.

قصيدته «بنت الدوالي»[2] من هذا المختار الذي يبين فيه صوته، وإنْ ظلَلْنا نذكر معه، على نحوٍ ما، بشار بن برد وأبا نواس معاً. وقد تلاعب بموسيقاها، في مقاطع تجتمع وتتفرق.

---

(١) انظر كتابينا (الأول والثاني) في درس النثر لدى أعضاء (الرابطة القلمية) في المهجر الشمالي. وانظر بخاصةٍ ص ١٦ من الكتاب الأول.

(٢) الديوان الثاني: النص ٣١ ص٣٦٧.

هـاتِ اسـقـني بـالـقدح الـكـبـيـرِ
صـفـراءَ لـونَ الـذهب المـصـهـورِ
كـــأنـــهـــا في أكـــؤس الـــبَـــلُّـــور
شـــعـــلـــة نـــارٍ في بـــقـــايـــا نـــور

☆☆☆☆☆

عـجـبتُ لـلـكـأس الـتـي تَـحـويـهـا
كـيف اسـتـقـرَّتْ والحـيـاةُ فـيـهـا
لـــو لم يُـــدرِْهـــا بـــيـــنـــنـــا ســاقـــيـــهـــا
دارتْ عـــلـــى الـــقـــوم بلا مُـــديـــرِ

☆☆☆☆☆

بهذه اللغة السهلة الجارية التي يحملها الحسُّ على أجنحة الخيال، يصور ساعة من ساعات النشوة، يزيد الإيقاع السريع، واختيار المفردات والرويّ المكرور، من قدرتنا على تذوق نشوتها معه، وهو غاية ما يستطيع الشعر رفْع المتلقي إليه، وضمَّه، من الداخل، إلى تجربة الشاعر.

☆☆☆☆☆

ومنه قصيدته «موميات»[1] وقد اختار لها أيضاً إيقاعاً سريعاً ورويّاً طلْقاً مكروراً. فقد حركت فيه رؤية الفندق الفخم الذي لم ير فيه إلا عجائزَ فانيات، رؤية شعريّة تقوم على الجمع بين المتناقضات، وهو المعنى الكبير الذي وقف عنده في قصائد أخرى، وخرج منه إلى، رؤية فلسفية توحد بينها. ولكنه هنا، غاب عنها:

لمن يَضوعُ العبيرُ؟ لمن تغني الطيورُ؟
لمن تُصَفُّ القناني؟ لمن تُصَبُّ الخمورُ؟
ولا جمالٌ أنيقٌ! ولا شبابٌ نضيرُ!
بل مومياتٌ عليها أطالسٌ وحريرُ!

(١) الخمائل: النص ١١ ص ٧٠٢ .

اللغة هنا تكرّ على اللسان، كأنما يكلّم الشاعر فيها نفسه، دون أن يسعى إلى تحصيلها. وترد معانيها على الخاطر فور أن تقع العين على المشهد.

☆☆☆☆☆

ومنه، من شعر المناسبات، في تكريم أصحابه، قصيدة (سماها: «إنه الشاعر»)[1]، ارتفع فيها، من حدود المناسبة، إلى حدود الشعر الكونية، بل تعداها إلى خالق الكون نفسه، إذ هو صانع الجمال الذي يرضيه أن يتعبّده الشاعر فيه. وقد لزمه، في مطلع القصيدة، أن يصوّر بعض حواشي جماله:

عندما أنشأ الوجودَ اللهُ
في زمانٍ، في الدهر، ما أقصاهُ!
وبدَتْ في النَّباتِ والماء والأحـ
ـياء والصخر يقظةٌ وانتباهُ
فأطلّتْ من السماء الدَّراري،
وتجارت على الصعيد المياه
وترامى النسيم، في صفحة النهـ
ـر، بأسرار وجْده وهواهُ
وسرى الفجرُ يوقظُ الروضةَ الوسْـ
ـنى ويُذري على المروج نَداهُ
ومشى الليلُ بعده يطمس الأشْـ
ـياءَ إلا أحلامَه ورؤاه
والورودَ الحسناءَ إلا شذاها
والغديرَ الطروب إلا صداه
نظر اللهُ في السَّماء وفي الأر
ضِ طويلا، فتمتمتْ شفتاه:

(١) ما لم تجمعه الدواوين: النص ٥١ ص ١١٢٥.

«إنـــني قـــد خـــلـــقتُ كـــونـــاً بـــديـــعـــاً
كلُّ شيءٍ فـــــيـــه كـــــمـــــا أهـــــواه
غـــيـــرَ أني نـــســـيتُ أخـــلق شـــيـــئـــاً
لازمـــــــــاً لا يُـــــــتـــــــمُّـه إلاّهُ
وهـــو عـــينٌ تـــرى الـــوجـــودَ كـــعـــيـــني
ولـــســـــانٌ يـــــقـــــول: مـــــا أحلاه»!

مقدمة لا يظن قارئها أنها مرتبطة بتكريم صديقه الشاعر (نسيب عريضة)، وتكشف عن شعرية مفطورة، كأنما تجري معها كتابة الشعر دون إجهاد الخاطر، ويجري اختيار المفردات اللغوية وتشكيل الجمل، من أقصر الطرق، بالاستجابة الطبيعية لديه. وقد عُرف عنه أنه كان يُدعى، في بعض الحفلات، فيكاد يرتجل الشعر الذي يلقيه فيها ارتجالاً.

وإذن فقد «تمنى» الله أن يتدارك سَهوَه:

فـــإذا كـــائنٌ له هـــيـــكلُ الـــطِّـــيْـ
ـن، وفي هـــيـــكل الـــتـــراب إله!
كل مَن يـــعـــشق الجـــمـــالَ أخـــوه
كلُّ أرضٍ فـــيـــهـــا الـــهـــوى مـــغـــنـــاه!

ويتساءل كأنه يريد أن يفجأ من يتتبعُه:

من تُراه هذا الذي صاغه الله كما يشتهيه لمّا اشتهاه؟

ويجيب على الفور:

إنه الـــشـــاعـــرُ الـــذي كلُّ دنـــيـــا
تـــنـــطـــوي قـــبلَ تـــنـــطـــوي دنـــيـــاه

ويأخذ يصفه كأنه يصف نفسه:

وجـــد المـــال عـــاتـــيـــاً مـــســـتـــبـــداً
فـــــأبَى أن يـــــكـــــونَ من أَســـــراهُ

لا تـقـولـوا: مـاذا اقـتـنى وحَـواه؟
أيُّ شيء خـيـالـه مـا حـواه
إنه الـشـاعـر الـذي ازدادت الـدُّنْ
ـيـا بـهـاءً لمّـا غـدتْ مـأواه
فـاشـربـوا يـا رفـاقُ سـرَّ فـتى الـعـا
صي، وحـيّـوهُ، إنـه إيّـاه!

ما أراده أبو ماضي، في هذه القصيدة، برغم ما أثارته عند فريق ممن درسوه، من ظن ادّعاء الألوهة، هو أن يُفرد الشاعرَ بخلق الرؤى والأفكار، وهو ما نسميه: الإبداع في الفن. والخلق من صفات الألوهة، فبهذا المعنى يكون الشاعر هو خالقَ الفكرة المبدَعة، وهو هيكلها الترابي:

إنـني قـد خـلـقتُ كـونـاً بـديـعـاً
كلُّ شيءٍ فـيـه كـمـا أهـواه
غـيـر أني نـسـيتُ أخـلق شـيـئـاً
لازمـاً لا يُـتـمّـه إلاّه

وليس الاعتداد بقدرة الخلق جديداً على الشاعر في هذا النص، فأبو ماضي شديد الاعتداد بقدراته الفنية. وما يضفيه على نفسه، في شعره، يزيد كثيراً على ما أضفاه الشعراء من قبله على أنفسهم، باستثناء محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) الذي وصل بالفكرة إلى أقصى ما تصل إليه، حتى تعدّى بها خلق الله[1]:

نُـشـاركُ الـلـهَ، جلّ الـلـهُ، قـدرتَه
ولا نـضـيق بـهـا خَـلْـقـاً وإتـقـانـا
وأين إنـسـانُه المـصـنـوعُ من حَـمَـأٍ
ممن خـلـقـنـاه أطـيـابـاً وألحـانـا

(١) الديوان – دار العودة – بيروت، ص ١٢٩.

ولــو جلا حــســنَه إنــســانُ قــدرتــنــا
لــودّ جــبــريلُ لــو صُــغــنــاه إنــســانــا
وأيُّ نُــعــمى نــرجِّــيــهــا لــدى بــشــرٍ
والــلــهُ قــرَّبــنــا مــنــه وأدنــانــا

وليس يبعد تأثر أحد الشاعرين بالآخر. إن ذهب كلّ منهما، بالفكرة، في اتجاه.

✷✷✷✷

(٥)

ونفضل أن ننهي هذه الدراسة المكثفة ببيان موقف أبي ماضي من وطنه الذي وسع الأرض العربية كلها، وهو موقف كاد أن يمتاز فيه، من زملائه، في (الرابطة القلمية)[١]، فقد كان دائم التفكير في لبنان وسورية، وفي مصر، وفي أرض الجزيرة العربية. يستجيب لآلامها وأحداثها، فإن من خصائص تكوينه الوفاء للأرض التي نمَته، والأرض التي ينتسب إليها، وتذكير المهاجرين معه بوطنهم الذي خلّفوه لئلا يناموا عنه (متى يذكر الوطن النوّم)[٢]؟.

وإن مراجعة سريعة لشعره في دواوينه الخمسة، وفي شعره خارج هذه الدواوين، تصلنا بفيض من القصائد احتفظت بعناوينها، أو بإشارات كثيرة وقعت ضمنها، تغنى فيها بالوطن، وحنّ إليه، وشكا ألمه مما يلقى من مستبديه ومستعمريه، منذ غادره إلى أن دفن في مهجره البعيد.

ففي ديوانه الأول (تذكار الماضي) الذي أهداه إلى «الأمة المصرية... لا طلباً للمثوبة ولا ابتغاء للشكر، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحه من العطف عليها والتعلق بها»، دافع عن مناضليها وشارك في مدافعتهم المحتل ورثى زعمائها الذين قاوموه، وجمع إليها معاناة أهله في الشام وما بات يشكو من وجع الحنين إليهم[٣]:

تحِنُّ إلى بلاد الشام نفسي
أَقُطرَ الشامِ حيَّاك الغمامُ!
وما غيرُ الشآم وساكنيهِ
لبانتُنا وإن بَعُد الشآم

---

(١) قد يلزم، أن نضيف إليه إلى حدٍّ كبير، صديقه الشاعر الحمصي (نسيب عريضة).
(٢) الديوان الثاني : النص ٤٧.
(٣) تذكار الماضي: النص ٤٩.

ولـــولا أن في مـــصـــرٍ مُـــقـــامي
لـــعـــمـــرُ أبـــيك مـــا طـــال المُـــقـــام
ومـــا مـــصـــرُ الـــتي مـــلـــكت فـــؤادي
ولـــكنْ أهـــلُـــهـــا قـــومٌ كـــرام
يـــودُّ الـــطـــامـــعـــون بـــأرض مـــصـــرٍ
لـــو اَنـــهمُ بـــهـــا أبـــداً أقـــامـــوا!

ووصف النيل والشمس تنسكب عليه، وصفاً حياً يعجب القارئ أن يصل إلى كتابته شاب لم يتعدّ العِقد الثاني من عمره. ولكنّ ذلك يعود، مع قدراته المبكرة، إلى ارتباطه العاطفي بالنيل، ارتباطًا له دلالته القوية على ارتباطه بالأرض[1]:

فـــثـمّ جلالٌ يملأ الـــنـــفسَ هَـــيـــبـــةً
وثَمّ جـــمـــالٌ يملأُ الـــعـــينَ بـــاهـــرُهْ
وألحظُ شـــمسَ الأفْقِ وهْيَ مُـــطـــلّـــةٌ
تـــســـايـــر فـــيه ظـــلَّـــهـــا إذ تُـــســـايـــره
...
إذا هيَ ألـــقتْ في حـــواشـــيه نـــورَهـــا
رأى الـتِّـبـر يـجـري في حـواشـيه نـاظـرُه
أطـــالتْ به الـــتَّـــحـــديقَ حـــتى كـــأنمـــا
تحـــاول مـــنـه أن تَـــبـــين ســـرائـــره
كـــأني به سِـــفْـــرٌ تـــدانتْ ســـطـــورُه
أوائـــلُه قـــد شُـــكِّـــلت وأواخـــره

وكانت له، في هذه المرحلة من حياته، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، قصائد نال فيها من السلطة العثمانية وممثليها منالاً وصل به إلى مواجهة الهلال (رمز الدولة العثمانية) بالصليب (رمز قوى الغرب التي واجهتْها، على إطلاقه) وهي مواجهة قد لا تتفق مع ميوله

(١) (تذكار الماضي) النص ٥٢ ص٢٢٥.

العلمانية الأصيلة (بصفة الهلال رمزاً إسلامياً) ولكن كرهه للعثمانيين الذين أذلّوا وطنه ـ فيما كان فريق كبير من الوطنيين مسيحيين ومسلمين يرونه ـ أورده هذا المورد.

ووقف موقفاً متشدداً جداً من المحتل الإنجليزي بعدهم، حتى لقد أيقظ النسب الذي يجمعه بأهلها[1]:

خلِّني أستصرخُ القومَ النِّياما
أنا لا أرضى لمصرٍ أن تُضَاما

.....

قَسَماً بالنيل لو أن به
ما بنفسي مِن حوىً سالَ ضِراما
حسْبُ مصرٍ أنها الأرضُ التي
أمَّنَ الله بها البيتَ الحراما

.....

لستُ مصريَّاً ولكن نسبةٌ
بيننا تجمع مصراً والشآما

ثم انثنى يخاطب المحتل:

كبِّلوا أقلامَنا جُهدَكمُ
وامنعوا الألسُن والصحْفَ الكلاما
وإذا عزّ عليكمْ أننا
في وئامٍ فانشروا فينا الخِصاما!

وفي ديوانه الرابع (الخمائل) يأسى لموت فيصل «أبي غازي»[2] ويرثيه رثاءً أراع معه «البيت والبلد الحرام»، ومجّد «خُلُق الصحارى ومروءة الخِيام» التي خرج منها، وخاطب من سكتوا عن إسقاطه عن عرش الشام ورحيله عنها:

---

(١) ما لم تجمعه الدواوين : النص ٢ (مصر والاحتلال).

(٢) الخمائل: النص ٤٢ وراجع في كتابنا (النثر المهجري) موقفاً لزملاء أبي ماضي في (الرابطة)، من (فيصل)، في مؤتمر الصلح، بعد الحرب العالمية الأولى، ص ١٤٧ وما حولها.

فـقلْ لـلـسـاخـطـينَ عـلـى الـلـيـالي
ومَن سـكـنُـوا عـلـى يـأسٍ ونـامـوا
سـيـنْـحَـسـرُ الـضَّـبـابُ عن الـروابي
ويـبـدو الـوردُ فـيـهـا والخُـزام
ونُـرجعُ أمـةً تُـرجى وتُـخْـشَى
وإن كَـرِهَ الـزعـانفُ والـطَّـغـام

وشغلته مأساة فلسطين وأهلها شغلاً دائماً[1]:

فـخـطْبُ فـلـسـطـينَ خـطْبُ الـعُلا
ومـاكـان رزءُ الـعُلا هـيّـنـا
سـهـرنـا له فـكـأنَّ الـسـيـوفَ
تحـزُّ بـأكـبـادِنـا هـهُـنـا
وكـيف تـطـيبُ الحـيـاةُ لـقـومٍ
تُـسَـدُّ عـلـيـهم دروبُ الـمُـنَى
بلادهمُ عُـرضـةٌ لـلـضَّـيـاعِ
وأُمّـتُـهم عُـرضـةٌ لـلـفـنـا
لـقـد دافـعـوا أمسِ دونَ الحِـمى
فـكـانت حـروبُـهمُ حَـربَـنـا
وجـادوا بـكلِّ الـذي عـنـدهم
ونـحن سـنـبـذلُ مـا عـنـدنـا
فـقل لـلـيـهـود وأشـيـاعِـهم
لـقـد خـدعـتـكمْ بُـروق المُـنى
فـإنـا سـنـجـعل من أرضـهـا
لـنـا وطـنـاً، ولـكم مَـدفـنـا

(١) المصدر نفسه: النص ٤٣.

كتب هذا الكلام وأصدره في ديوان نشره سنة ١٩٤٠، قبل قيام دولة الاغتصاب بثماني سنين، وفيه نستطيع أن نلمس الجرح المفتوح، منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ثم إنه كتبه وقد أمضى في المهجر الأمريكي ثلاثين عاماً بعيداً عن المنطقة. ويلمس قارئه فيه حُرقة صادقة هي التي جعلت صلته بها لا تنقطع.

وقد زار لبنان بعدها وخاطبه الخطاب الذي أشرنا إليه في السابق، للرد على من نَسب إليه نِسْيانه، وذكر معه الفقر الذي عرفه فيه، مباهياً به[١]:

زعموا سَلوتُكَ...ليتَهمْ نسبـــوا إلـــيَّ الممكنا
فالمرءُ قد ينسى المسي ءَ المفتري والمُحسـنا
ومــرارةَ الفقـــر المذِ لّ بلى، ولـذَّاتِ الغنـى
لكنـه مهمـا سَـــــلا هيهات ينسى الموطنا!

وكانت تعذبه فيه، حين يذكره، ما حمل معه من ذكرى الفتن الطائفية قبل تقسيم ديار الشام، وبعده. يقول في (ديوانه الثاني)، داعياً إلى التسامح:

مـــا كـــان أحـــوجَ ســـوريّـــا إلى بـــطلٍ
يـــردّ بـــالـــسـيف عـــنـــهـــا كل مـــفـــتـــرسِ
ولا يـــزال بـــهـــا والـــســـيفُ في يـــده
حـــتـى يـــطـــهـــرَهـــا من كل ذي دَنَس
ويـــجـــعل الحبَّ دين الـــقـــاطـــنـــين بـــهـــا
دينٌ يـــقـــرِّبُ بـــين «الـــبـــيت» والـــقُـــدُس
حـــتى أرى ضـــاربَ الـــنـــاقـــوسِ يُـــطـــربُهُ
صـــوتُ الأذين، وهـــذا رنّـــة الجَـــرَس[٢]

ولما زار دمشق، كما ذكرنا، مطلع سنة ١٩٤٩، وألقى فيها تحيته، وحيّا شهيدها يوسف العظمة الذي استُشهد على أبوابها، ونعى على قومه ما وقع في فلسطين، وكانت نكبتها حلّت بهم:

---

(١) تبر وتراب: النص ١ ص٨٤٩ (وطن النجوم).

(٢) الديوان الثاني: النص ٤٩ ص٤٣٦. والأذين : هو الأذان. وارجع في المصدر نفسه (الديوان الثاني) إلى مطوّلته التي سماها (يا بلادي) النص ٥٦ ص٤٦٣.

عـجـبـاً لـقـومي والـعـدوّ بـبـابـهمْ
كـيف اسـتـطـابـوا الـلـهـوَ والألـعـابـا
وتـخـاذلتْ أسـيـافُـهمْ عن سَـحـقِهِ
في حـين كـان الـنـصـرُ مـنـهم قـابـا
.....
دنـيـاكَ يـا وطنَ الـعـروبـةِ غـابـةٌ
حَـشـدتْ عـلـيك أراقِـمَـاً وذئـابـا
فـالـبَسْ لـهـا مـاءَ الحـديـدِ مَـطـارفـاً
واجـعلْ لـسـانَكَ مِـخْـلـبـاً أو نـابـا
.....

ثم أخذ يصف مجد دمشق:

فـاسـتـنـطقِ الـتَّـاريـخَ هل في سِـفْـرِهِ
مـجـدٌ يـضـاهي مـجـدَهـا الخلاّبـا
شـابتْ حـضـاراتٌ، ودالتْ وانـطـوتْ
أممٌ، ومـجـدُ أمـيـةٍ مـا شـابـا

على أن في شعراء المهجر الشمالي مَنْ جارى أبا ماضي في هذا الميدان. ولكنّ في التاريخ إشاراتٍ لعلها لم تُكتب لغيره ممن زاملوه وعاصروه وغنَّوا وطنهم معه[1].صفحة لعله ينفرد بها في المهجر الشمالي (الولايات المتحدة الأمريكية) خاصة. وقد تستأهل هذه الإشارات، أن تظلّ ريشةً في تاج الدور التاريخي الذي لعبه أبو ماضي في الحركة الشعرية المهجرية، في الشمال، إلى جانب بعض الشعراء المعروفين في المهجر الجنوبي (البرازيل والأرجنتين).

✱✱✱✱

(١) انظر في انفراد أبي ماضي، في موقفه من الانتداب الفرنسي على سورية، بعد الحرب العالمية الأولى، مخالفاً زملاءه من أعضاء (الرابطة) في لجنة سمّيت (لجنة تحرير سورية ولبنان): كتابنا: (النثر المهجري - الكتاب الأول ص ١٥٣ وما قبلها وما بعدها).

الخـاتمـة

خلاصة ما ننتهي إليه، في هذه الصفحات، ألا شيء يَخْلُدُ معه العمل المبدَع غير الصدق الذي يحييه ويشتقه من أضلاع المبدِع. وما النصوص الشعرية التي كتبها أبو ماضي، وبقيت إرثاً أدبياً ثميناً في تراثنا الشعري الحديث، إلا التعبير الصادق عن حَيرته العميقة، في فهم مرامي الحياة، فيما عرض من صورها وتساءل عن حقائقها ومعانيها.

وقد تهيأ له بهذا أن يغزو ميداناً جديداً في تاريخ الشعر العربي، لم يتهيأ لشاعرٍ قبله، على امتداد عصورنا الأدبية أن يغزوه، أعني: ميدان الفكر والعقل والتفلسف، وصياغة الفكر الشعري الحارّ الذي يتناول أعقد ما يواجه عقل الإنسان ويتحدّاه: لغز الوجود، ومعنى الحياة مع الموت، وما وراء الموت. فغنّى الفكرَ، في تساؤله عنها، غناءً رقيقاً عذباً فُتن به الناس، وأقبلوا عليه، وتغنَّوا به.

وقاده هذا التساؤل، الملحُّ، بدوره، إلى صياغة المطوّلات الشعرية، وما داخَلها من تنوع المساءلات، وألوان التعبير عنها واختلاف الإيقاعات، في نظم الحكايات والأمثال، واتباع طرق السرد الشعري المكثّف السريع، في وصف الأحداث وتصوير شخوصها، وإدارة الحوار بينها، وتطوير مسالكه إلى النهاية المرسومة.

وحاول أن يتخفف من ضغوطه النفسية، على مدار حياته في لبنان ومصر والمهجر الشمالي، عن طريق التأمل والتفكر، فاتجه إلى دعوة الآخر إلى التفاؤل والابتسام، على ما عانى من قسوة الأقدار التي لاحقته، منذ طفولته إلى خاتمة حياته، وعلى ما كان فيه من الإحساس بالحاجة التي اضطرته إلى العمل ليل نهار، في ميدان الصحافة المتعب. وبدت، في دعوته هذه، على إخلاصه فيها، الرغبة في التغافل عن حقائق الواقع الإنساني، وحدود القدرات فيه، فانتهى، أخيراً، إلى التسليم بالعجز عن الوصول إلى أجوبة ما تساءل عنه. واتخذ من هذا التسليم سبيلاً إلى الرضا بما هو فيه، ودعا الناس إلى أن يحذوا حذوه.

عن هذه الطريق، حاول أن يقنع نفسه بنفي التناقضات والثنائيات التي يعذبه التفكير فيها، فليرضَ إذن بما كان يتمنى أن يتغير في حظوظ الخلق والتكوين، إذ لا سبيل، في النهاية، إلى تغييره. ولو تغير لتمنّى أن يعود إلى ما كان عليه، فالسعادة في الحياة، والفرح بالوجود، يتدفقان من داخل النفس، عن طريق التأمل فيما وُهِبَه، وفيما يستطيعه، بما يملك من القدرات والنِّعم (الغبطة فكرة).

ولم يبخل على قومه، مع هذا، بوصف ما هم فيه من أسباب التخلف والشقاق، فدعا إلى نفيها عن حياتهم. وحثّهم على التضامن ورصّ الصفوف، وحمل على مدّعي الصلاح منهم، ولو كانوا من رجال الدين، فسماهم «أصحاب الكشاكيل»، وحضَّ قومه على ردِّهم والوقوف في وجوههم.

وحمّل اللغة الشعرية هذا العبء كله، فجرت على قلمه ولسانه جرياناً سهلاً، بدت المفردات معه، في كثيرٍ من الأحيان، هامدةً لا روح فيها.

⁂

يبقى أبو ماضي، في دوريه: التقليدي والمجدد، ظاهرةً تستحق الالتفات. فهذا رجلٌ خلقه الله، ولكنه صنع نفسه، وأخضع ظرفه، وشقّ طريقاً، في الشعر، يُنسب إليه. حاول أن يُسعِد الناس ويفيدهم ويمتعهم، عبر معاناته الذاتية، حتى لقد كاد، وهو يخاطبهم ويدعوهم إلى الفرحة بالحياة، يتخذ من خطابهم سبيلاً إلى خطاب الذات.

✷✷✷✷

المصادر والمراجع

١ – تذكار الماضي: إيليا أبو ماضي ـ بيروت (دار العودة) ١٩٧٤.

٢ – إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر (مع دراسة لزهير ميرزا) ـ دمشق (دار اليقظة العربية) ١٩٥٤.

٣ – الجداول: إيليا أبو ماضي ـ نيويورك ١٩٢٧.

٤ – الخمائل: إيليا أبو ماضي ـ بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٣.

٥ – تبر وتراب: إيليا أبو ماضي ـ بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٠.

٦ – ديوان إيليا أبو ماضي ـ بيروت (دار العودة) ٢٠٠٢.

٧ – إيليا أبو ماضي (دراسات عنه وأشعاره المجهولة): جورج ديمتري سليم ـ القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٧.

٨ – مجموعة الرابطة القلمية ١٩٢١ – بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٤.

٩ – إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل: إيليا حاوي ـ بيروت (دار الكتاب اللبناني) ١٩٧٢.

١٠ – إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث: عيسى الناعوري ـ بيروت (منشورات عويدات) دون تاريخ.

١١ – إيليا أبو ماضي: عبد اللطيف شرارة ـ بيروت (دار صادر) ١٩٦٥ .

١٢ – إيليا أبو ماضي: جميل جبر ـ بيروت (دار المشرق) دون تاريخ.

١٣ – إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد: طالب زكي طالب ـ صيدا ـ بيروت (منشورات المكتبة العصرية) دون تاريخ.

١٤ – الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية) إحسان عباس ومحمد يوسف نجم ـ بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٧.

١٥ – شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج ـ القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٤.

١٦ – قراءة جديدة لإيليا أبي ماضي: صلاح عبد الصبور ـ ملحقة بديوان «الخمائل» – بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٣.

١٧ – شعر من المهجر: محمد قره علي ـ بيروت (دار الإنصاف) ١٩٥٤.

١٨ – الشعر العربي في المهجر: محمد عبد الغني حسن ـ القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٥٥.

١٩ – أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية: جورج صيدح ـ بيروت ١٩٥٧

٢٠ – أوراق مهجرية: عبد الكريم الأشتر ـ دمشق (دار الفكر) ٢٠٠٢.

٢١ – أدب المهجر: عيسى الناعوري ـ القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩.

٢٢ – الأدب العربي في المهجر: حسن جاد حسن ـ القاهرة ١٩٦٢.

٢٣ – التجديد في شعر المهجر: أنس داود ـ القاهرة (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر) دون تاريخ.

٢٤ – في ديوان العرب (أحاديث في الشعر والشعراء من عصر الجاهلية إلى العصر الحديث)، الجزء الثالث (العصر العثماني والعصر الحديث): عبد الكريم الأشتر ـ حلب ٢٠٠٦.

٢٥ – النثر المهجري (المضمون وصورة التعبير): عبد الكريم الأشتر ـ دمشق (دار الفكر الحديث) ١٩٦٤.

✷✷✷✷

كلمة موجزة

لا يحتاج هذا العمل، بعد الذي قدّمناه في درسه، إلى مقدمة طويلة، ففيه جِماع أعمال أبي ماضي الشعرية، على امتداد حياته، في لبنان ومصر وأميركة، واحتوته دواوينه الخمسة التي أصدر أولها (تذكار الماضي)، في الإسكندرية، قبل أن يغادر مصر (١٩١١)، وأصدر الدواوين الثلاثة بعده في نيويورك (الجزء الثاني من ديوانه ـ وهو «ديوانه الثاني» ١٩١٩ـ و«الجداول» ١٩٢٧، و«الخمائل»١٩٤٠). ثم أصدر صديقه الشاعر المهجري جورج صيدح، ديوانه الخامس (تبر وتراب)، بعد وفاته (١٩٥٧) بثلاث سنين (١٩٦٠)، جمعه من الشعر المنشور في الصحف والمجلات، مما لم تجمعه دواوينه الأربعة، في الوطن والمهجر.

ثم تصدّى أحد الباحثين، ممن عاشوا زمناً في المهجر الأميركي، الدكتور جورج ديمتري سليم، لجمع ما لم تجمعه هذه الدواوين الخمسة المنشورة، فجمعه من الصحف والمجلات العربية، في الوطن والمهجر، بعد أن تتبّع ما نُشِر من شعر الشاعر فيها، في كتابٍ سماه: (إيليا أبو ماضي ـ دراسات عنه وأشعاره المجهولة[1].

وإذن، فالذي نقدمه اليوم، كتاب يجمع، للمرة الأولى، شعرَ الشاعر المنشور كله، ما جمعته دواوينه الخمسة، وما لم تجمعه. فيه صورة الشاعر، من وجوهها المختلفة، وفيه نصوص شعره، من جانبها المعروف لنا، وجانبها المحجوب عنا، منذ عرفنا الشاعر.

على أن المعروف من شعر الشاعر، لدى عامة القرّاء العرب، لم يكن يتعدّى، في الغالب، بعض نصوص شعره ومطولاته المعروفة، الذاهبة مذهب التأمل والتفكر في قضايا الوجود الكبرى، مثل قصيدته «فلسفة الحياة» ومطولتيه «الطلاسم» و«الأسطورة الأزلية»، وبعض الحكايات الرمزية والأمثال المسرودة سرداً شعرياً، مثل «الحجر الصغير»، و«التينة الحمقاء»، و «الشاعر والسلطان الجائر».

---

(١) نشرته دار المعارف بالقاهرة (١٩٧٧) .

وما تعدّى هذه النصوص، فيلزمه، معها، بعد الجمع، الضبط والشرح، إذ تكررت طبعاته في بعض دور النشر العربية، في لبنان وسورية والعراق، دون أن يُعنى ناشروه بضبطه وشرح معانيه، ومراجعة البعيد، من مفرداته، عن ساحة التداول العام، إذ كان من مذهب الشاعر، أحياناً ـ وهو الذي لم يجاوز، في نشأته، بعض مرحلة الدراسة الأولية، في مدرسة القرية ـ أن يلجأ إليها أحياناً، ليدل على اطلاعه على مفردات اللغة البعيدة الساكنة في بطون المعاجم، على مثال «الأذِين» «في مكان «الأذان»، و«الكِبا» مكان «البَخور»، و«السَّمَيْدع» مكان «السيد السخي»، و«الرقيع» مكان «الرقعة»، و «الإكدار» مكان «الكدَر» الخ.

ثم إنّ غير المعروف، من نصوص شعره، لم يحظَ بالمراجعة، إلى جانب حجبه وحجزه عن النشر في الدواوين. وما قدّمه الدكتور جورج ديمتري سليم، لم يتعدّ حدود الجمع، وإلقاء الضوء على مناسبات نظمه، أو أسباب إلقائه في الحفلات.

وقد رأيت أن أحفظ للدواوين الخمسة، صورتها التاريخية، لأحفظ لها موضعها من حياة الشاعر الإبداعية. ولكني توّجت النص برقْمٍ يسهل الرجوع إليه. وجعلت المجموع، من شعره، خارج هذه الدواوين، يحمل رقْم الديوان السادس بعد الدواوين الخمسة. وبقيت أرقام الصفحات، في كل ديوان، تتسلسل، تعين القارئ على الرجوع إلى النص المطلوب.

ويلزمني، في هذه الكلمة الموجزة، أن أنقل إلى القارئ بعض ما عانيت، في الوصول إلى بعض دواوين الشاعر، في طبعاتها الأولى التي صدرت في حياته («تذكار الماضي»، والجزء الثاني ـ أعني «الديوان الثاني» – و«الجداول»)، وما وُفّقتُ في تحصيله، وما عَجزت عنه فعوّضته بالرجوع إلى مصادر أخرى بديلة.

والخيبة الكبيرة كانت في الوصول إلى «الديوان الثاني»، إذ عانى الدارسون، قبلي، من خيبة الوصول إليه، حتى جعل بعضهم (في دار اليقظة العربية)، قبل رحيل الشاعر[1] يفخر بتقديم أكثر مادة هذا الديوان، في طبعته الأولى، لِما سمَّاه: «إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر»، إذ وفَرَها للقارئ في السوق! وما يزال الوصول إلى هذا الديوان ـ إذ لم

(١) صدر الكتاب سنة ١٩٥٤، وتوفي الشاعر سنة ١٩٥٧ .

يُطبع بعد طبعته الأولى، في نيويورك (١٩١٩) ـ متعذِّراً تماماً. وقد وجدتُ، وأنا أطلب وألحُّ في الطلب، بطاقةً تحمل اسمه، في (مكتبة الجامعة الأمريكية)، في بيروت، ولكني لم أجد الديوان!

فلجأتُ، مرة أخرى، إلى كتاب الدكتور جورج ديمتري سليم، إذ أحصى ـ وكان الديوان في يده ـ نصوصَه، وسلسلها في صفحة منفردة، بعناوينها وأعداد أبياتها، في المراجع التي رجع إليها، بغية توثيقها، من ناحية، وإعانة الدارسين على الإحاطة بها، من ناحية أخرى. وقد تابعته، في إصدار (دار اليقظة العربية ١٩٥٤)، خطوةً خطوة. وامتنع عليّ، في النهاية، الوصول إلى نصين من نصوص هذا الديوان (نص الإهداء، ونص «معرّب» عن الإنجليزية، بعنوان «نشيد التباراري»). فحفظتُ لهما مكانهما في الكتاب[١]، لعلِّي أصل إليهما يوماً، وإنْ لم يكن لهما، في ظني، قدْرٌ في الدرس.

ووجدت النسخة الأصلية من ديوان «الجداول «المطبوعة في نيويورك (١٩٢٧) في مكتبة المقاصد الإسلامية في طرابلس الشام بلبنان، ونجحت في الحصول على صورة لها. أمّا (تذكار الماضي)، ديوانه الأول الذي نشره في الإسكندرية (١٩١١)، فقد وجدت صورةً له في مكتبة جامعة حلب.

ولا أعرف مصدراً لجملة النصوص التي جمعناها في «ما لم تجمعه الدواوين» من شعره، غير كتاب الدكتور جورج ديمتري سليم الذي أشرت إليه. ويهمّني أن يعرف القارئ العربي والدارس والباحث، أنّ هذا الكتاب يقرّب الشاعر منهم، على نحوٍ يلزم أن يُذكَرَ له[٢] تبقى، بعد ذلك، كلمةٌ في تقويم الشاعر ومكانه من حركة الشعر العربي الحديث، ومن حركة التجديد فيها. فهذا ليس موضعه هنا، وموضعه في الدراسة المكثفة التي تتقدم الكتاب.

---

(١) أهدى الديوان إلى تاجر السجاد الشرقي، في نيويورك، وقد طُبع الديوان على نفقته، واسمه: نعمة تادرس . وفي ديوان (ما لم تجمعه الدواوين) نص، من أربعة أبيات، كتبه الشاعر بعنوان:«توديع نعمة تادرس» . (النص ٣٣ ص١٠٩٢) ورقم النص الثاني: «نشيد التباراري» ٧٥ ص ٥٣٣ .

(٢) كان صاحب الكتاب صديقاً لولد الشاعر الثاني (روبرت)، ومكّنه، بعد وفاة أبيه، من الرجوع إلى المخطوطات التي خلّفها، وعنها نقل صاحب الكتاب نصاً لم يُنشَر أبداً (ص ٢٢ من الكتاب). وفيها شعر آخر له، لم يُنشَر من بعد (ص٩٤ من الكتاب).

جهد أسأل الله أن يجعله في حسنات العمر، ويجزيَني به. فإني بدأت العمل لا أقصد به غير الاستجابة لمن ندبني له. فلمّا بدأته أصبح شُغليَ الشاغل، وأصبحت أراه، على نحوٍ ما، رسالةً أؤديها، لا عملاً أعمله فحسب.

والله وحده المسؤول أن ينفع به.

د. عبد الكريم الأشتر

✷✷✷✷

الديوان الأول

الجزء الأول

(تذكار الماضي)

الطبعة الأولى (المطبعة المصرية - الإسكندرية ١٩١١)

يضم الديوان الأول «تذكار الماضي» - وهو، عند أبي ماضي، الجزء الأول من ديوانه، إذ أتبعه، بعد ثماني سنوات، من هجرته إلى أمريكة، بالجزء الثاني - أربعة وخمسين نصاً شعرياً، بين طويل، ومعتدل، وقصير.

وقد طبعه في الإسكندرية، وكان مضى على هجرته إلى مصر حوالي عشر سنوات (١٩٠٠ - صيف ١٩١١) قبل هجرته، مرة أخرى، إلى أمريكة. فعمره إذن، حين تمّ له طبع هذا الجزء الأول، لا يزيد كثيراً على العشرين (١٨٨٩ - ١٩١١) .

****

إهداء الديوان

إلى الأمة المصرية

« أيتها الأمة الودود!

هذا ديواني الذي نظمته تحت سمائك، وبين مغانيك، أرفعه إليك، لا طلباً للمثوبة، ولا ابتغاء للشكر، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحي من العطف عليك والتعلق بك..

وهو بحمد الله لا يجمع بين دفتيه سوى ما يرضي الحق، ويرضيك، ويرضي هذا الفن الجميل..

ولقد يكون لي أن أهديه إلى أحد أفرادك من ذوي الفضل، جرياً مع العادة، ولكني رأيت المجموع خيراً وأبقى»

(إيليا)

✱✱✱✱

١ - الإنسان والدين

[البسيط]

إني عــرفتُ من الإنــســان مــا كــانــا
فـلـستُ أحـمـدُ بـعـدَ الـيـوم إنـسـانـا
بـلـوتُهُ، وهْـوَ مـشـتـدُّ الـقـوى، أسـداً
صـعبَ المـراس، وعـنـد الـضَّعفِ ثُـعـبـانـا
تـعـوَّدَ الـشَّـرَّ حـتى لـو نـبَتْ يـدُهُ
عـنه إلى الخـيـر سـهـواً، بـات حَـسْـرانـا
خَـفْهُ قـديـراً وخَـفْهُ لا اقـتـدارَ له
فـالـظـلمُ والـغـدرُ إمـا عـزَّ أو هـانـا
الـقـتلُ ذنبٌ شـنـيـعٌ غـيـرُ مُـغـتَـفَـرٍ
والـقـتلُ يـغـفِـرُه الإنـسـانُ أحـيـانـا
أُحِلَّ قـتلُ نـفـوسِ الـسَّـائـمـاتِ له
والـطـيـرِ، والـقـتلُ قـتلٌ حـيـثـمـا كـانـا
أذاقَ ذئبَ الـفـلا من غـدره طَـرفـاً
فـلا يـزالُ مـدَى الأيـام يـقـظـانـا
ونـفَّـرَ الـطـيـرَ حـتى مـا تـلـمُّ به
إلا كـمـا اعـتـادتِ الأحلامُ وسْـنَـانـا
سـرورُه في بـكـاءِ الأكـثـرينَ له
وحـزنُه أن تـرى عـيـنـاهُ جَـذْلانـا
كـأنمـا المجـدُ ربٌّ لـيس يـعـطـفُهُ
إلا إذا قـدَّمَ الأرواحَ قُـربـانـا

هـوالـذي سـلبَ الـدنـيـا بـشـاشَـتَـهـا
وراحَ يمـلـؤهـا هـمَّـاً وأحـزانـا
لا تـصـطَـفـيهِ وإن أثـقـلـتَهُ مِـنـنـاً
يـعْـدُو عـلـيك وإنْ أولاكَ شُـكْـرانـا
قـالـوا تـرقَّى سـلـيلُ الـطِّـينِ قـلتُ لـهمْ
الآن تم شـقـاءُ الـعـالمِ الآنـا
إن الحـديـدَ إذا مـا لانَ صـار مُـدًى
فـكنْ عـلـى حـذرٍ مِـنْه إذا لانـا
والمـرءُ وحشٌ، ولـكنْ حُـسنُ صـورتِه
أنـسى بلايـاه من سـمَّـاهُ إنـسـانـا
قـد حـاربَ الـدينَ خـوفـاً من زواجـرِه
كـأن بـين الـورَى والـدينِ عُـدوانـا
وراحَ يـهـدمُ مـا الـرحـمنُ شـيَّـدَهُ
ولـيس مـا شَـيَّـدَ الـرحـمنُ بـنـيـانـا
إني لـيـأخـذني من أمـره عـجبٌ
أكـلَّـمـا زاد عِـلـمـاً زادَ كُـفـرانـا ؟
وكـلَّـمـا انـقـادتِ الـدنـيـا وصـار له
زمـامُـهـا إنـقـاد لـلآثـام طـغـيـانـا
يـرجـوالـكـمـالَ من الـدنـيـا وكـيف له
نـيلُ الـكـمـالِ من الـدنـيـا ومـا دانـا
إذا ارتـدى المـرءُ مـا في الأرض من بُـرُدٍ
وعـافَ لـلـدين بـرداً عـاد عُـريـانـا
هـوالحـيـاةُ الـتي مـا غـادرت جـسـداً
إلا اغـتـدى المـيْت أحـيـا مـنه وجـدانـا

وهـوالـضـيـاءُ الـذي يمـحـو الـظلامَ فـمَن
لا يـهـتـدي بـسَـنـاهُ ظلَّ حـيـرانـا
والمـنـهلُ الـرائقُ الـعـذبُ الـوردِ فـمَن
لا يـسـتَـقي مـنه دامَ الـدهـرَ عـطـشـانـا
لـيس المـبـذِّرُ من يـقْـلِي[1] دراهـمَهُ
إنّ المـبـذِّر مَن لـلـدِّينِ مـا صـانـا
لـيس الـكـفـيفُ الـذي أمـسى بلا بـصـرٍ
إني أرى من ذوي الأبـصَـارِ عُـمـيـانـا

✱✱✱✱

(١) قلاه – يقليه: أبغضه.

٢ - المرأة والمرآة

[الطويل]

أقـــامتْ لـــدى مـــرآتِـــهـــا تـــتـــأمَّلُ
عـــلى غَـــفْـــلَـــةٍ مِـــمَّن يـــلـــومُ ويـــعـــذِلُ
وبَـــين يـــديْـــهـــا كلُّ مـــا يـــنـــبـــغي لِـــمَن
يـــصـــوّرُ أشـــبـــاحَ الـــورى ويمـــثّلُ
مِنَ الـــغِـــيْـــدِ تَـــقْـــلي كلَّ ذاتِ مَلاحـــةٍ
كـــمـــا بـــاتَ يَـــقـــلي صـــاحِبَ المـــالِ مُـــرْمِلُ
تَـــغـــارُ إذا مـــا قِـــيْلَ: تـــلكَ مـــلـــيـــحـــةٌ
يَـــطـــيبُ بـــهـــا لـــلـــعـــاشـــقـــينَ الـــتَـــغـــزُّلُ
فـــتـــحـــمـــرُّ غَـــيـــظـــاً ثمَّ تحـــمـــرُّ غَـــيْـــرةً
كـــأنَّ بـــهـــا حُـــمَّى تجيء وتُـــقْـــفِلُ
وتُـــضْـــمـــرُ حـــقـــداً لـــلـــمـــحـــدِّث، لـــودَرَى
به ذلكَ المـــســـكـــينُ مـــا كـــادَ يـــهـــزِلُ
أثـــارَ عـــلـــيـــهِ حِـــقـــدَهـــا غـــيـــرَ عـــامِـــدٍ
وَحِـــقْـــدُ الـــغَـــواني صـــارمٌ لا يُـــفَـــلَّلُ
فـــلـــو وَجَـــدتْ يـــومـــاً عـــلى الـــدَّهـــر غـــادةٌ
لأوشكَ مِنْ غُـــلْـــوائِهِ يـــتـــحـــوَّلُ[1]
فـــتـــاةٌ هي الـــطـــاووسُ عُـــجْـــبـــاً وذيـــلُـــهـــا
- ولَمْ يكُ ذيلاً - شـــعـــرُهـــا المـــتـــهـــدِّلُ

(١) وجَدَ عليه موجدةً: حقد. والغُلواء: الغلوّ (يريد: حقد الغواني، في البيت السابق).

سعَتْ لاحتكارِ الحُسْنِ فيها بأسْرِهِ
وكمْ حاولتْ حسناءُ مالا يؤمَّلُ
وتجهلُ أنَّ الحسنَ ليس بدائمٍ
وإن هوَ إلا زهرةٌ سوف تَذْبُلُ
وأنَّ حكيمَ القومِ يأنَفُ أنْ يُرَى
أسيرَ طِلاءٍ بعْدَ حينٍ سينصلُ
وكلُّ فتىً يرضى بوجهٍ منمَّقٍ
مِنَ الناعماتِ البيضِ فهو مُغفَّلُ
إذا كان حُسْنُ الوجهِ يُدعى فضيلةً
فإنّ جمالَ النفسِ أسمَى وأفضلُ
ولكنَّما أسماءُ بالغيدِ تَقْتدي
وكلُّ الغواني فِعْلَ أسماءَ تفعلُ
فلو أمِنتْ سُخطَ الرجالِ وأيقَنَتْ
بسخْطِ الغواني أوشكتْ تترجَّلُ[1]
قدِ اتخذَتْ مرآتَها مُرشداً لها
إذا عنَّ أمرٌ، أوتعرَّضَ مُشكلُ
وما ثَمَّ مِنْ أمرٍ عويصٍ وإنَّما
ضعيفُ النُّهى في وهْمِهِ: السَّهْلُ معضلُ
تُكَتِّمُ عمَّن يعقلُ الأمرَ سرَّها
ولكنّها تُفْشيهِ ما ليسَ يعقلُ
فلو كانتِ المرآةُ تحفظُ ظلَّها
رأيتَ بعينيكَ الذي كنتَ تجهلُ
وزادَ بها حبُّ التبرُّجِ أنَّهُ
حبيبٌ إلى فتيانِ ذا العَصْرِ، أوَّلُ

(١) ترجّل (في اللغة): مشى راجلاً. والقصد هنا: أوشكت تكون رجلاً.

أَلَـمُّوا به حـتى لَـقـد أشـبـهـوا الـدُّمى
فـمـا فـاتَـهُمْ، والـلـهِ، إلا الـتـكـحُّلُ
فَـتَى الـعـصـرِ أضـحى في تـطـرّيهِ حُـجَّةً
تُـقـاتـلـنـا فـيـهـا الـنـسـاءُ فَـتَـقْـتُلُ
إذا ابـتـذلَتْ حـسـنـاءُ ثمّ عـذلـتَـهـا
تـولَّتْ وقـالتْ كـلُّـكُمْ مـتـبـذِّلُ

✷✷✷✷

٣ - المودّة

[الخفيف]

مـــا لِـــهـــنْـــدٍ وكلُّ حـــســـنـــاءَ هـــنـــدُ
كلَّ يـــومٍ تـــبـــدو بـــزيٍّ جـــديـــدِ
تـــلـــبَسُ الـــثّـــوبَ يـــومَـــهَـــا وهـي تُـطْـريـ
ـهِ وتُـــطـــريهِ عـــنـــدَهـــا كلُّ خُـــودِ[١]
فـــإذا جـــاء غـــيـــرُهُ أنـــكـــرتْهُ
فـرأيـنـا الحـمـيـدَ غـيـرَ حـمـيـدِ
أولـــعتْ نـــفـــسَـــهـــا بـــكلِّ طـــريفٍ
لـيـتَـهـا أُولـعَتْ بـبـعضِ الـتَّـلـيـدِ[٢]
أصـــبـــحتْ تـــعـــشقُ المِـــشـــدَّ[٣] ولـم أبـ
ـصِـرْ طـلـيـقـاً مـتـيّـمـاً بـالـقـيـودِ
رحـمـةً بـالخـصـورِ أيـتـهـا الـغِـيـ
ـــدُ ورفـــقـــاً رفـــقـــاً بـــتـــلكَ الـــقـــدودِ
مـــا جـــنَـــتْهُ الـــزنـــودُ حـــتى يـــنـــالَ الـ
ـــعُـــرْيُ مـــنـــهـــا، يـــا عـــاريـــاتِ الـــزنـــود؟
وعـلامَ الأذيـــــالُ أمـــــستْ طـــــوالاً
كـلـيـالي الـصُّـدودِ أوكـالـبُـنُـود؟[٤]

---

(١) الأصل: خَود، وهي الحسناء.
(٢) القديم.
(٣) «الكورسيه».
(٤) الأعلام.

لــوتــكــونُ الــذيــولُ أعــمــارَ قــومٍ
لَــضــمــنَّــا لــهُــمْ نــوالَ الخــلــودِ
قــصَــرتْ هــمَّــهــا الحــســانُ عــلى الــلــهـ
ــوِ، ويــا لــيت لــهــوَهــا بــالمــفــيــدِ
ســاء حــالُ الأزواجِ في عــصــرنــا هـ
ــذا، وســاءت أحــوالُ كلِّ ولــيــدِ
كلُّ زوجٍ شــاكٍ، وكلُّ صــغــيــرٍ
دامعُ الــطــرفِ كــارهٌ لــلــوجــودِ
يــظــلُــمُ الــدهــرَ حــين يــعــزو إلــيه الـ
ــبُــؤسَ، والــبــؤسُ كلُّ أمٍ كَــنــودِ[1]
لا رعــى الــلــهُ زوجــةً تــنــفــق الأمْـ
ــوال والــعــمــرَ في اقــتــنــاء الــبُــرُود
لــيسَ في الــلــهــو والــبَــطــالــةِ فــخــرٌ
إنمــا الــفــخــرُ كلُّ عِــرسٍ كــدودِ[2]

****

(١) كافرة بالنعمة.
(٢) شديدة في العمل.

٤ - عن مصر

[البسيط]

لا آخِـذُ الـدّهـرَ مـهـمـا ضنّ أوبـخِلا
تـالـلهِ يـحـملُ وزري وهـو مـا عـقلا[١]
جـنى عـليّ طلابُ الـعـلـم في فـئـةٍ
لا تـعـرف المـرءَ إلا بـالـغـنى رجلا
وكـان لـلـحـرّ أن يُـثـري ثـراءهمُ
لـوكـان يـرضى به من عِـرضه بـدلا
أهـوى الحـيـاة فـإن عـنّت عـلى ضَـعـةٍ
صـدفتُ عـنـهـا كـأني أعـشقُ الأجَلا
لـيـست حـيـاةُ الـفـتى إلا كـرامـتُه
سـاء الـذلـيلُ مُـقَـامـاً أيـنـمـا نـزلا
يـا رُبَّ مـعـتـرضٍ في قـلـبه مـرضٌ
وافى يـسـوق ليَ الـتـعـنـيف والـعَـذَلا
حـتَّـامَ تـدفعُ عن مـصـرٍ ولـست لـهـا
بـابنٍ ولا نـاقـةً تـبـغِي ولا جـملا
فـلُـذتُ بـالـصَّـمتِ حـتى لاح لي عـلَمٌ
ضـافٍ تـداعـبُه أيـدي الـصَّـبـا جَـذلا
وقـلـت: أُنـظـر، فـولّى شـطـرَهُ فـرأى
رسمَ الـهلالِ[٢] فـوارَى وجـهَه خـجلا

---

(١) لا يعقل.
(٢) إشارة إلى الراية العثمانية.

وعـــــــدتُ أرثـي لـه ممـــــــا ألـمَّ بـه
وعـــاد يـــعـــثـــرُ فـي أذيـــاله خَـــبَلا

وقـائلٍ: كـيف تـرقى مـصـرُ؟ قـلت له:
حَسْبُ الـكـنـانـةِ شـعبٌ يـعشقُ الـعـملا
يـــقـــظـــانُ لا جَـزعَـاً ممـا يـــحـــاذرهُ
فـمَن يـخفْ فـشـلاً في سـعـيه، فـشِلا
ثـبْتُ الـعـزيمـةِ لا يَـلـوي بـهـمّـته
كـيـد الـطَّـغَـام ولا بُـعـد الـمَـرام، ولا
خـيـرُ المحـبِّـين صبٌّ لا سـلـوّ له
لا خـيـرَ فـيـمن إذا حُمَّ الـفـراقُ سَلا
شـعبٌ يـسـابقُ نـحـو المجدِ هـاجسَهُ
إنّي وجـدتُ الـتَّـواني يـخـلقُ الـكـسلا
ولا يـــنـي إنْ عَـــرَاهُ حـــادثٌ جـــللٌ
حـتى يـكـونَ عـلـيه حـادثـاً جـللا
حـوادثُ الـدهـر إعـصـارٌ تـهبُّ، فـمـا
يَـبـقى عـلـيـهـا سـوى من أشـبَهَ الجـبلا
ولـــو أقـــال الـــفـــتى من غـــمـــرةٍ وجَلٌ
لم تـلقَ في الـنـاس من لم يـعـرفِ الـوجَلا
شـــعب أحبُّ إلـيه المـوتُ مـحـتـرمـاً
من أن يـعـيشَ طَـوال الـدّهـر مُـبـتَـذَلا

مـا أجـملَ الحكمَ بـين الـقـومِ مـشـتـركـاً
فـالمـرءُ مـنـفـرداً لا يـأمنُ الخـطَلا

لا يَـعـجَب الـنّـاسُ إمـا سـوّدوا رجلاً
فـسـامـهمْ مـا يَـسـوم الجـازرُ الـهَـمَلا
فـالـبـدرُ يـكـسِفُ نـورُ الـشـمسِ طـلـعـتَهُ
والـبـدرُ لـولا ضـيـاءُ الـشـمسِ مـا كـمَلا
إنّ المـمـالكَ قـد تحـيـا بلا مَـلِكٍ،
إذا أرادتْ ، ولا تحـيـا المـلـوكُ بلا...[1]
وإنْ سـرَى الجـهلُ في شـعبٍ فـضـعـضَـعهُ
فـالـعـلـمُ خـيـرُ دواءٍ يُـصـلـحُ الخـللا
بـحـرٌ لـئن غـاضَ[2] مـات الخلقُ من ظمـأٍ
وكـوكبٌ تُـظـلِـمُ الـدّنـيـا إذا أفلا
هـوالجُـرازُ[3] الـذي مـا مَـسّه فـلَلٌ
وكلُّ عـضْبٍ نـرى في حَـدّه فـلـلا
بـلى هـوالـسـيفُ لـكن لا يُـريق دمـاً
ولـيس يـكـتـمُه غـمـدٌ إذا نَـصَلا[4]
لـولاه لـمّـا نـرَ الأمـواجَ حـامـلـةً
من الحـديـد جـبـالاً تحـمل الـقُـلَلا[5]
من كلِّ سـابـحـةٍ في الـلُّجِّ تَـحـسَـبُـهـا
ذا حـاجـةٍ راحَ يـعـدو نـحـوهـا عَـجِلا
جـزءٌ من الأرض فـوقَ المـاء مـنـتَـقلٌ
فـيه من الـنـاس جـزءٌ بـات مُـرتَـحِلا
ولا الـقـطـارُ الـذي أضـحى يـخُبُّ بـنـا
في كل فـجٍّ يـروض الحَـزْن والـسَّـهَلا

---

(١) الملوك لا تحيا بلا شعوب.
(٢) جف.
(٣) السيف.
(٤) نصل: ظهر نصله.
(٥) أعالي الجبال.

من كلِّ مـضـطـربٍ في الأرض ذي لجَبِ
يُـنـسـيكَ مـنـظـرهُ الأحـداجَ[1] والإبلا
لا يـشـتـكي في الـسُّرَى أيْـنـاً ولا لـغَـبـاً[2]
وتـشـتـكي الأرضُ جـهـراً عبءَ مـا حـمَلا
سِـوى عـجـائبَ لا يُـحـصى لـهـا عـددٌ
حـتى يَـعُـدَّ يَـراع الـكـاتب الـرمَلا[3]
ولـو يُـطـيف ذووهـا بـالأُلَى درَجُـوا
من قـبـلـنـا حـسِـبَـتْـهم رُسْـلُـهم رُسُلا
مـا كـان يـخـطـر في قـلـبي ولا خـلَـدي
أنّي أرى المـرءَ في الأفلاكِ مـنـتَـقِلا
سـمـا إلى الأفق فـارتـاعتْ فـراقـدُه
حـتى اغـتـدَى زُحَلٌ يـخـشى به زُحَلا
وأيـقن الـلـيثُ أن لا حـصن يـعـصِـمُه
فـكـاد من ذعـرهِ يـسـتـعـطفُ الحـمَلا
وأصـبح الحـوتُ مـلـتـاعَ الـفـؤاد أسىً
كالحوت في الماء يخشى النارَ والأسَلا[4]
كـذلك الـعـلـمُ يُـعـلـي قـدرَ صـاحـبِهِ
في الـنـاس حتى يُـرى بـالـشـهب مـنـتـعلا
انـظـر إلى الـشـرق في جـهلٍ وخـذ عـظةً
وانـظـر إلى الـغـرب في عـلمٍ وخـذ مـثلا

✱✱✱✱

(١) ما تحمله الجِمال من بيوت الراحلين.
(٢) الأيْن واللغَب: التعب والإعياء.
(٣) يقصد التمهّل في العد.
(٤) الرماح.

٥ - شكوى فتاة

نظمها الشاعر بلسان فتاة أرغمها ذووها على الاقتران برجل طاعن في العمر.

[الرمل]

لـيَ بـــعلٌ ظـــنّهُ الـــنـــاسُ أبـي
صـــدِّقـــوني، إنّـه غـــيـــرُ أبـي
واعـــدِلـــوا عن لـــومِ مَنْ لـــومـــزَجَتْ
مـــا بـــهـــا بـــالمـــاءِ لم يُـــســـتـــعْـــذَبِ
رُبَّ لـــومٍ لم يـــفـــدْ إلا الـــعَـــنَـــا
كم ســـهـــامٍ سُـــدِّدَتْ لم تُـــصـبِ ؟
يـــشـــتـــكي المـــرء لمن يَـــرثي لهُ
رُبّ شـــكـــوى خـــفـــفتْ من نَـــصَبِ

زعـــمـــوا أن الـــغـــواني لُـــعَبٌ
إنّـمـا الـلـعـبـةُ طـبـعـاً لـلـصّـبي
وأنـــا مـــا زلتُ في شَـــرخِ الـــصِّـــبـــا
فـــلـــمـــاذا فـــرّطَ الأهـــلـــونَ بي؟
ليَ قـــدٌّ وجـــمـــالٌ يـــزدري
ذاكَ بـــالـــغُـــصنِ، وذا بـــالـــكـــوْكبِ
قـــد جـــرى حبُّ الـــعُلا مـــجـــرى دمي
فـــهْيَ سُـــؤلي والـــوفَـــا من مَـــشـــرَبي
أنـــا لـــو يـــعـــلمُ أهـــلي درّةٌ
ظُـلِـمَتْ في الـبـيـعِ كـالـمُـخـشـلَبِ[1]

(١) الخرز.

أخـــذوا الـــديـــنـــارَ مـــنّي بَـــدلاً
أتُـــراني ســـلـــعـــةً لـــلـــمـــكـــسبِ ؟
لا، ولـــــكن راعـــــهُمْ عـــصـــــرٌ به
ســـاد في الـــفـــتـــيـــانِ حبُّ الـــذهبِ
لـــيس لـــلآداب قـــدرٌ بـــيـــنـــهمْ
آهِ لـــــوكـــــان نُـــضـــــاراً أدبي !
حَـــسِـــبـــوني حـــين لازمتُ الـــبـــكـــا
طـــفـــلـــةً أجـــهلُ مـــا يَـــدري أبي
ثـمَّ بـــــالـــــغُـــــولِ أبي هـــــدَّدني
أين مِنْ غـــول المـــنـــايـــا مَـــهْـــرَبي ؟
أشـــيبٌ لـــو أنه يـــغـــشى الـــدُّجى
شـــابَ ذعـــراً مـــنهُ رأسُ الـــغَـــيْـــهَبِ[1]
لـــيت مـــا بـــيـــني وبـــين الـــنـــومِ مِنْ
فُـــرقـــةٍ بـــيـــني وبـــينَ الأشـــيبِ
يـــا له فـــظّـــاً كـــثـــيـــرَ الحـــزنِ، لا
يـــعـــرفُ الأنسَ، قـــلـــيلَ الـــطَـــرَبِ
يَـــخْـــضِبُ الـــشَّـــعـــرَ ولـــكنْ عـــبـــثـــاً
لـــيس تـــخـــفى لـــغـــةُ المـــســـتـــعـــربِ

قل لأهل الأرض: لا تـــخـــشُـــوا[2] الـــردى
إنه مـــشـــــتـــــغلٌ في طـــلـــــبي
ولمنْ يـــعـــجبُ مِنْ بُـــغـــضي له:
أيّـــهـــا الجـــاهلُ أمـــري، اتَّـــئبِ[3]

(١) الظلمة.
(٢) الأصل: « تخشَوا».
(٣) اتّأب: تأنّى وتمهّل واستحيا.

إنّـــمـــا الـــغـــصْنُ إذا هبَّ الـــهـــوا
مـــالَ لـلأغـــصـــانِ لا لـــلـــحـــطبِ
وإذا المـــرءُ قـــضـى عـــصـــرَ الـــصِّـــبـا
صـــارَ أولى بـــالـــردَى في مَـــذهَـــبي

✷✷✷✷

٦ - إلى الشبان المتفرنجين

[الكامل]

يـا أيـهـا الـشـرقُ الـتـعـيسُ، انـظُـرْ إلى الـ
ـــقـــومِ الـــذين شـــدَدْتَ أزرَكَ فـــيـــهمُ
مـــا زلتَ تـــكـــلـــؤُهم بـــطـــرْفٍ ســـاهـــرٍ
يُـــحـــيي الـــظّلامَ وهمْ هـــجـــودٌ نـــوّمُ
والـغـربُ يـرنـو خـائـفـاً أن يَـخـلـفـوا
أجـــدادَهُمْ ويـــودُّ لـــو لم يَـــنْـــعَـــمـــوا
حـــتى إذا طـــرَّتْ شـــواربُـــهم وبـــا
تَ من الـــشـــبـــابِ لـــهُم طـــرازٌ مُـــعْـــلَمُ
خـــرجـــوا عـــلـــيكَ وأنتَ لا تـــدري وهمْ
لا يـــشـــعـــرون ولـــو دروا لـــتـــنـــدّمـــوا
يـــا طـــالمـــا مـــثَـــلـــوا لـــديك كـــأنّـــهم
أسْـــدُ الـــشَّـــرَى فـــنـــســـيتَ أنكَ تحـــلُم
ورجـــوتَ مـــا يـــرجـــوهُ كل أبٍ لـــدى
أبـــنـــائه، إنّ الـــعـــقـــوقَ مـــذمَّمُ
ولـطـالمـا شـِدْتَ الـقـصـورَ مِنَ الـمُـنى
خـــابَ الـــرجـــاءُ وســـاء مـــا تَـــتَـــوهَّمُ
ألـــهـــتْـــهُمُ الـــدُّنـــيـــا فـــهـــذا بـــالـــطّلا
صبٌّ، وهـــذا بـــالحِـــســـانِ مـــتـــيَّمُ
والخـــمـــرُ فـــاتـــكـــةٌ فـــكـــيفَ بـــنـــاعمٍ
تـــرِفٍ يـــكـــادُ من الـــنـــســـائمِ يُـــسْـــقَمُ

قد أصبحوا وقفاً على شهواتِهِم
يستسلمون لها ولا تَسْتَسلمُ
لم يفهموا معنى الحياةِ وكُنْهَها
إن البليّةَ أنّهمْ لم يفهموا
فليُقلِعوا عن غيِّهم، إنّي أرى
خَوَرَ الشيوخِ بهم ولمّا يهرموا
قد قلّدوا الغربيَّ في آفاتِه
تقليدُهُ الشرقيُّ فيما يَعْصِمُ
فتنتهُمُ لغةُ الأعاجمِ إنّما
لغةُ الأعاجمِ منهُمُ تتبرَّمُ
أمسى الذي تُهدى إليه لآلئٌ
وكأنّما هو بالحجارةِ يُرجَمُ
لا تعذلِ الشُّعراءَ إن بخلوا بِهِ
إنّ القريضَ على الغبيِّ مُحَرَّمُ
بتْنا وباتَ الشرقُ يمشي القَهْقَرى
مع ذاكَ نحسَبُ أنَّنا نتقدَّمُ!

✱✱✱✱

٧ - هديتي

إلى مدارس الشعب بالاسكندرية (وهي مدارس كان الحزب الوطني قد أنشأها بالمدينة)

[الكامل]

مـا لـلـهُـمـومِ الـطَّـارقـاتِ ومـا لي
أسـهَـرْنـني ورقـدْنَ عن أوجـالي
أمـسـينَ ملءَ جـوانـحي، مـا نـابـني
خـطبٌ، ولا خـطـرَ الـغـرامُ بـبَـالي
أهـوَى وقـد عـبثَ المـشـيبُ بمَـفـرِقي
لـيس الـغِـوايـة لـلـكـبـيـر الـبـالي
مـا ثَمّ داءٌ يُـسـتـطـار له الـكـرى
مـا ثمَّ غـيـرُ كـآبـةٍ ومَلالِ
أرعى الـثـواقبَ[1] فـي الـظّلام كـأنّـهـا
زَهـرُ الحـدائقِ أو نـثـيـرُ لآل
وكـأنّما شـوكُ الـقَـتَـادِ بمـضـجـعي
وكـأنّ حَـشـوَ وسـادتي بَـلْـبـالي[2]
حـتى إذا عـكـفتْ عـليّ وسـاوسي
ونـبَـا الـفـراشُ نـزعتُ لـلـتَّـجْـوال
فـخـرجتُ كـالمـنـشـور بـعـد مماتِه
وركـبتُ مـتنَ الـلـيل غـيـرَ مُـبَـال

(١) الثاقب: صفة للشهاب (شهاب ثاقب) أراد: النجوم الثواقب (جمع: ثاقبة).
(٢) قلقي.

وذهـبتُ اخـتـرقُ المـسـالكَ مـدْلجـاً[1]
وكـــأنّمـــا أُطـــلـــقت من أغلال
أسـعى ومـا من غـايـةٍ أسـعَى لـهـا
ســـعـــيًـــا إلى أملٍ من الآمـــال
فـاسْـتـوقَـفـتـني ضـجّـةٌ في حـانـةٍ...
حـبـستْ مـقـاعـدَهـا عـلى الجّـهـال
حـامـوا عـلى الصَّـهـبـاء يـرتـشـفُـونَـهـا
كـالـطـيـر حـولَ مـصـفّقِ الـسِّـلـسـال[2]
في غـفـلـةِ الـعُـذَّال في غـسَق الـدجى
إنّ الـسّـعـادةَ غـفـلـةُ الـعُـذّال
نـهَبَ الـكـؤوسُ عـقـولَـهمْ ونُـضـارَهم
نـهْبَ المـديـرِ الخـادعِ المحـتـال
أمـسى يـسـوقُ إلـيـهمُ آجـالـهم
وحـتُـوفـهمْ في صـورة الجـريـال[3]
شـرُّ الـشـرابِ الخـمـرُ، يـصـبح صـبُّـهـا
قـيـدَ الـضَّـنَى، ويـبـيُت رهنَ خَـبـال
يـا سـالبَ الأرواحِ بـعض تـرفُقٍ
يـكـفـيكَ أنّك سـالبُ الأمـوال
لا تـدفـعنْ تـلك الـنـفـوسَ إلى الـردى
إنّ الـنـفـوسَ وإن صـغُـرْنَ غَـوال
وإذا بمـخـمـورٍ يـتـيه مُـعـربـداً
خـبَـلٌ بـه، مـا زال تِـيـهُ دلال

(١) سائراً بالليل.
(٢) تصفيق الشراب: تحويله من إناء إلى آخر.
(٣) الخمر.

حـيـرانَ مـضـطـربَ الخُـطـا فـكـأنّمـا
قـد راح يمـشـي فـوق جـمـرٍ صَـال
مـتـخـمِّطٍ[1] في سـيَـرِه مـتـأودٍ
كـالـغـصن بـين صَـبـا وبـين شَـمـال
عـقَـدَ الـشَّـرابُ لـسـانَهُ ولـقـد يُـرى
طـلْـقـاً، وفكَّ مـجـامعَ الأوصـال
فـكَـبَـا كـمـا يـكـبـو الجـوادُ عـلى الثَّرى
شُـدّت عـلـيـه فـوادحُ الأثـقـال
وتـقـدَّم الـشـرطيُّ يمـشـي نـحـوَهُ
مـشيَ الـفـخـورِ بـنـفـسه، المخْـتَـال
مـتـلـفـتـاً عن جـانـبـيه كـعـاشقٍ
مُـتـلـفِّتٍ حـذرَ الـرقـيبِ الـقَـالي[2]
ورأيـتُه وبـنـانُه في جَـيـبِه
فـعَـلِـمتُ سـرَّ تـلـفُّتِ المحـتـال
لا تـعـجَـبُـوا ممَّـا أحـدِّثـكُمْ به
كم تحت ذاك الـثـوبِ من نـشَّـال
ثم انـثـنى مـتـبـسـمـاً وإذا فـتىً
غضّ الإهـاب ممـزَّقَ الـسِّـربـال
وأتى فـحـرَّكَهُ فـألـفى جـثّـةً
هـمَـدتْ فـأَجـفلَ أيّـمـا إجـفـال
وحـنَـا عـلـيه يـضـمُّه ودمـوعُهُ
تـنـهلُّ مـثلَ الـعـارضِ الـهـطَّـال

(١) نوع من أنواع السير.

وأتى ذويهِ نـــعـــيُّه فـــتـــأَلَّـــبُـــوا
والـــغـــيـــدُ تُـــعْـــوِلُ أيُّـــمـــا إعـــوال
أرخـــصنَ مـــاء الجَـــفنِ ثمّ أذلْـــنَه[1]
ولـــقـــد يـــكـــون الـــدمعُ غـــيـــرَ مُـــذَال
ولـــقـــد شـــهـــدتُ صِـــغـــارَهُ في حَـــيـــرةٍ
من أمـــرِهِمْ، لـــهـــفي عـــلى الأشـــبـــال
لا يـــفـــقـــهـــون الحـــزنَ غـــيـــرَ تـــأوّهٍ
مـــا الحـــزنُ غـــيـــرُ تـــأوّهِ الأطـــفـــال
مـــا كـــنتُ أعـــلم قـــبلَ مـــا حـــفّـــوا به
أنّ الـــشـــقـــيَّ الجَـــد[2] ربٌّ عِـــيـــال
أسـفي عـلـيه مُـضـرَجـاً لم تـمـتـشقْ
يـــدُهُ الحـــســـامَ ولم يـــسِـــرْ لـــقِـــتـــال
أودَى ضَـــحـــيَّـــةَ جـــهـــلِه، كم يـــائسٍ
أودى شـــهـــيـــدَ الجـــهلِ والإهـــمـــال
فـــرجـــعتُ مـــصـــدُوعَ الـــفـــؤاد أبـــثـــكُمْ
شَـــجْـــوي وأنـــدبُ حـــالـــةَ الـــعـــمّـــال
بـــاتـــوا من الأرزاء بـــين مـــخَـــالبٍ
من دونـــهنَّ مـــخـــالبُ الـــرِّئـــبَـــال[3]
خَـطَـرانِ من جـهلٍ وفـقـرٍ، مـا الـرَّدَى
غـــيـــرُ اجـــتـــمـــاعِ الجـــهل والإقلال
فـــخُـــذوا بـــنـــاصِـــرهمْ فـــإنّ حـــيـــاتَـــهم
فـي مـــــأزقٍ حـــــرجٍ من الأهـــــوال

(١) الإذالة: الإهانة. أذاله: أهانه.
(٢) الحظ.
(٣) الأسد.

مـــا أجـــدرَ الجـــهلاءَ أنْ يـــتـــعـــلّـــمـــوا
فـــالـــعـــلـمُ مـــصـــدرُ هـــيـــبـــةٍ وجَلال
فـاسـعَـوا لـنـشـر الـعـلم فـيـهمْ إنّـمـا
فـضلُ الـغـمـام يَـبـينُ فـي الإمْـحـال[1]
إنّ الجَـــهـــولَ إذا تـــعـــلّم واهـــتـــدَى
بثّ الـــهـــدَى فـي صـــحـــبِه والآل
يـا قـومُ إن لم تـسـعـفـوا فـقـراءَكُمْ
فَـــلِمَ ادّخـــاركمُ إذًا لـــلـــمـــال
هـلاَّ رضـــيـــتمْ بـــالمحَـــامـــد قُـــنـــيَـــةً
إنّ المحـــامـــدَ قُـــنـــيَـــةُ المـــفْـــضَـــال
أولـــســـتمُ أبـــنـــاء مَن ســـارتْ بـــهمْ
فـي الـــمُـــكْـــرَمـــاتِ روائعُ الأمـــثَـــال
جُـودوا فـغـيـرُ الحـمـد غـيـرُ مـخـلّـدٍ
مـــا المـــالُ؟ إن المـــالَ طـــيفُ خـــيـــال
هـيـهـاتَ ! مـا يـبـقى ولـوعـددَ الحـصى،
أنّـى يـــــــدومُ وربُّـه لـــــــزوال؟

****

(١) الجدب.

٨ - الرجل والمرأة

[البسيط]

يـا رُبَّ قـائـلـةٍ، والـقـولُ أجـمـلُه
مـا كـان من غـادةٍ حـتى ولـو كَـذِبـا
إلامَ تُـحـتَـقَـرُ الـغـاداتُ بـيـنـكمُ
وهنَّ في الـكـون أرقَى مـنـكمُ رُتَـبـا
كـنّـا[1] لـكمْ سـبـبًـا في كـلِّ مـكـرُمَـةٍ
وكـنـتمُ في شَـقـاء المـرأةِ الـسَّـبَـبـا
زعـمـتمُ أنّـهنّ الخـاملاتُ نُـهىً
ولـوأردنَ لـصـيّـرنَ الـثَّـرى ذهَـبـا
فـقـلتُ لـو لم يـكنْ ذا رأيَ غـانـيـةٍ
لـهـاجَ عـند الـرّجـال الـسُّـخطَ والـغَـضَـبـا
لم تـنـصِـفـيـنـا وقـدْ كـنّـا نـؤمِّل أن
لا تُـنـصـفِـيـنـا لـهـذا لا نـرى عَـجَـبـا
هـيـهـاتَ تَـعـدِلُ حـسـنـاءُ إذا حـكَـمتْ
فـالـظـلمُ طـبعٌ عـلى الـغـادات قـد غـلَـبـا

يـحـارب الـرجلُ الـدنـيـا فـيـخـضـعُـهـا
ويـفـزع الـدّهـرُ مـذعـوراً إذا غـضـبـا
يـرنـو فـتـضْـطَـربُ الآسـادُ خـائـفـةً
فـإنْ رنتْ ذاتُ حـسـنٍ ظلّ مُـضْـطـربـا

(١) إشباع الحركة (كنّا) لضرورة الوزن.

فــإن تــشــــأ أودعتْ أحــشــــاءَهُ بَــرَداً
وإنْ تــشــــأ أودعتْ أحــشــــاءَه لــــهَــبــا
يُــفــــني الــلــيــــاليَ في همٍّ وفي تــعبٍ
حِـذارَ أن تـشـتـكي من دهـرهـا تـعَـبـا
ولـو درَى أن هـذي الـشُّـهبَ تـزعـجُـهـا
أمـسى يـروِّع فـي أفلاكـهـا الـشُّـهَـبـا
يـشـقى لـتـصـبحَ ذاتُ الحـلْـي نـاعـمـةً
ويـحـملُ الـهمّ عـنـهـا راضـيـاً طَـرِبـا
فـمـا الـذي نـفـحَـتْهُ الـغـانـيـاتُ به
سِـوى الـعـذابِ الـذي في عَـيـنه عـذُبـا
هـذا هـو المـرءُ يـا ذاتَ الـعـفـافِ، فـمن
يـنـصـفْهُ لاشك فـيه يُـنـصفُ الأدبـا
عـنّـفـتِه وهـــو لا ذنبٌ جـنـــاهُ سِـوى
أنْ لـيس يـرضـى بـأن يـغـدو لـهـا ذَنَـبـا!

****

٩ - عبّاد الذهب

[البسيط]

مـا سـاء نـفـسي مـن الـدنـيـا سِـوى نـفَـرٍ
لا خـيــرَ فـيــهمْ ولـكنْ شــرُّهـمْ عَـمَمُ
مــاتتْ ضــمــائــرُهمْ فـيــهمْ أنــانــيَــةً
فـلـيس تَـنـشــرُ حـتَّى تُـنـشَـرُ الـرِّمم
ســـاءتْ خلائـــقُـــهُمْ، أوْلاَ خلاقَ لـــهم
إلا الــشــراهــةُ والإيــثــارُ والــنَّـــهم
إذا رأوا صـــورةَ الـــديـــنـــارِ بـــارزةً
خــرّوا سُـــجــوداً إلى الأذْقَــانِ كــلُّـــهمُ
قــدْ أقــســمــوا أنــهمْ لا يُــشــركــونَ بهِ
بــئسَ الإلـهُ وبــئسَ الــقــومُ والــقَــسَم

****

١٠ ـ (الإنسان والدنيا)[١]

[الكامل]

المـــرءُ فـي غَـــفَلاتِه وسُـــبَـــاتِه
والـــدّهـــرُ كـالـرئـبـالِ[٢] في وثَـبـاتِه
والـــعـــمـــرُ ظِلٌّ والـــزمـــانُ يَـــجـــدُّ فـي
إخـــفَـــائه، والمـــرءُ في إثـــبـــاته
والحـــربُ لا تـــنـــفكُّ بـيـنـهـمـا ولا
يـــنـــفكُّ هـــذا المـــرءُ في حَـــسَـــراته
لا تـــعـــجـــبـــوا مـن جَـــهـــله وغُـــرورِه
وتـــعـــجَّـــبُـــوا إنْ حـــالَ[٣] عـن حَـــالاته
يـــســـعى ولا يـــدري إلى حـيث الـــردى
وكـــذا الـــفَـــراشُ يـــحـــوم حـــولَ ممـــاتِه
وتُـــحـــبِّبُ الـــدنـيـا إلـيه نـفـسَهُ
فَـيُـطـيـعُـهـا، والـنّـفسُ من آفـاته
ويَـــضـــيـــرُهُ إفلاتُه من قـــيـــدهـــا
وســـعـــادةُ الإنـــســـان فـي إفلاته
يـلـقى الـضَّـراغِمَ[٤] غـيـرَ مـكـتـرثٍ بـهـا
فـإذا ســطَتْ ضـربتْ عـلى ســطـواته
مـا قـاتِلُ الـبطلِ الـنّـجـيـدِ غـضـنـفـرٌ[٥]
إنّ الـغـضـنـفـرَ مَنْ عـصى شـهـواتِه

✱✱✱✱

(١) هذه القصيدة في الأصل بلا عنوان.
(٢) الأسد. (٣) تغيرعنها.
(٤) الأسود. (٥) أسد.

١١ - وردة وأميل

[الكامل]

يـا لـيـتـمـا خُـلقَ الـزمـانُ أصـيلا
إنّي أراهُ كـالـشـبـابِ جـمـيلا
ولَّى فـودّعتِ الـسـمـاءُ بـهـاءَهـا
من بـعـده، وهـوى الـنـهـارُ عـلـيلا
جـنَـحتْ ذُكـاءُ[١] إلى الـغـروب كـأنّـمـا
تـبـغي رُقَـاداً أوتـريـدُ مَـقِـيلا[٢]
وتـنـاثـرتْ قـطعُ الـسَّـحـابِ كـأنـهـا الـ
جـيشُ الـلُّـهـام[٣] إذا انْـثَـنى مـفـلـولا[٤]
هـذا وقـدْ بـسطَ الـسـكـونُ جـنـاحَهُ
والـلـيلُ أمـسى سـتـرُه مَـسْـدولا
قـد بـات كلُّ مـسـهّـد طـوعَ الـرُّقَـا
دِ وكلُّ جَـفـنٍ بـالـكـرَى مـكـحُـولا
إلا مـهـفـهـفـةً[٥] بـهـا نـزل الـهـوى
ضـيـفـاً ولـكن لا يـريـدُ رحـيلا
غـيـداءَ قـد وصـلتْ ذوائـبُـهـا الـثَّـرَى
إنّي لأحـسِـدُ ذلك المـوصـولا

---

(١) الشمس.
(٢) القيلولة: الراحة، وعادة تكون بعد الظهر.
(٣) الكثير العدد، كأنه يلتهم كل شيء.
(٤) يريد: الكسرة.
(٥) ضامرة البطن.

تحـــكي المـــدامـــةَ رقّـــةً وقـــســـاوةً
تحـكي المـهَـاةَ لـواحـظـاً وتـلـيلا[1]
مـاءُ الحـيـاةِ يـجـولُ من وجَـنـاتِـهـا
فـكـأنَّ في تـلك الـكـؤوس شَـمـولا[2]
والخـــدُّ أبـــهـجُ مـــا يـــكـــون مُـــورَّداً
والـطـرفُ أفـتنُ مـا يـكـونُ كـحِـيلا
نـــظَـــرتْ ورُبَّ مـــنـــيَّـــةٍ مـن نـــظـــرةٍ
قـد كـان عـنـهـا ربُّـهـا مـشـغـولا
فـــهَـــوتْ، ورُبَّ هـــوًى تُـــنـــالُ به المـــنى
وهـــوًى يُـــنـــالُ بـه الحِـمَـامُ نـبـيلا
والحبُّ مـــصـــدرُه الـــعـــيـــونُ وربمـــا
تَـخـذَ الـسَّـمـاعَ إلى الـقـلـوب سـبـيلا
فـإذا عـشـقتَ فلا تـلُمْ أحـداً سِـوى
عـيـنـيكَ إنَّ من الـعـيـون قَـتـولا
ودَّتْ وقـــد نـــال الـــذبـــولُ خـــدودهـــا
لـــو أن في الـــشَّـــوق المـــقـــيمِ ذُبـــولا
وإذا تـمـلَّـكَتِ الـصَّـبـابـةُ في امـرئٍ
لم يُـجْـدِ عَـذلُ الـعـاذلـينَ فـتـيلا
ســـمـــعتْ دويّـــاً في الـــظلام فـهـرولتْ
مـــذعـــورةً بـعـد الـــوقـــوفِ طـــويلا
وأنـينَ مـحـتـضَـرٍ يـقـول قـتـلْـتِـني
ثـــكـــلـــتكِ أمُّـكِ لم أنَلْ مـــأمـــولا
تـــعـــدو وتجـــذِبُـــهـــا روادفُـــهـــا إلى
خـلفٍ فـتُـجـهـدُ خـصـرَهـا المـتـبـولا[3]

---

(١) العنق.
(٢) الخمر.
(٣) السقيم، و يعني هنا النحيف.

فـكـأن في ذاكَ الـوشَـاحِ مُـتـيّـمًـا
وكـــــأن فـي ذاك الإزار عَـــــذُولا
تَـخِـذَتْ من الـلـيل المخـيِّمِ صـاحـبـاً
ومـن الأنـــين إلـى الأنـــين دلـــيلا
تـبـغي الـوقـوفَ عـلى حـقـيـقـةِ أمـرهِ
تـــبـــغي جـــلـــيلاً لا تـــراهُ جـــلـــيلا
وتـديـرُ في تـلك الـبَـنـانِ مُـسَـدَّسـاً
تـركت قـذائـفُه الـسّـهـامَ فـضـولا
في طَـــرْفِهِ كَـــمَنَ الـــهلالُ فـــلـــو رَنـــا
طـــرْفُ الـــزمـــانِ إلـــيه عـــاد كَـــلِـــيلا
قـد أسـكَـنتْ أكـرُ الـرّصـاصِ جـفـونَهُ
فـــكـــأن أكـــبـــاداً تُـــجِنُّ غَـــلـــيلا
يـحـمي الـضـعـيفَ من الـقـويِّ وربمـا
قـتلَ الجـبـانُ به الـفـتى الـبُـهـلـولا[1]
ومن الأسَى لم تَـعـرفِ الحـسـنـاءُ هل
قـطـعتْ ذراعـاً في الـسُّـرى أم مـيلا
حـــتّى إذا رأت المـــرادَ ومـــا رأت
إلا خـــيـــالاً واقـــفـــاً مـــجـــهـــولا
حـسِـبـتْهُ قـاتلَ من تحبُّ وأيـقـنتْ
أنّ الـــذي عـــلـــقتْ به المـــقـــتُـــولا
فـدَنتْ وأطـلـقتِ المـسـدسَ نـحـو من
بـصُـرت به عَـرَضـاً، فـخَـرّ قـتـيلا
صـرعتْ فـتًى صـرَعَ الـرقـيبَ، وجـنـدلتْ
أسـداً يـخِـرُّ له الـهـزبْـرُ ذلـيلا

(١) العزيز الجامع لكل خير.

كالبدرِ حُسناً، كالغمامِ سماحةً،
كالغصن غضاً، كالحسام صقيلا
ثبْتُ الجَنانِ قويُّه، عفُّ الإزا
رِ نقيُّه، ما خان قطُّ خليلا
هذا هوالدَّنِفُ[1] الذي أرضى الهوى
فيها، وأغضب كاشحاً وعذولا
ما نال بعدَ جهاده إلا الرّدى،
والبدرُ يُكسبُه المسيرُ أُفُولا
لم تَعْلَمِ الحسناءُ أنّ قتيلَها
مَن لم ترَ[2] أبداً سِواهُ جميلا
عرفتْ، وذلك عندما طلعَ الضُّحى،
ورأت عِياناً نعشَه محمولا
لم يبلغوا القبرَ المعدَّ لدفنه
إلا وقد بلغ الرّدى العُطْبولا[3]
يا صاحبي إنْ جُزتَ في قبريْهِما
فَاتْلُ السلامَ عليهما ترتيلا
من شاعرٍ ما حرّك الغصنَ الهوا
إلا تذكَّرَ «وردةً وأميلا»

✱✱✱✱

(١) المريض.
(٢) مد حركة الراء للضرورة.
(٣) المرأة الممتلئة.

١٢ ـ أنا هو

[الكامل]

كـانت قُـبـيلَ الـعـصـرِ مـركـبـةٌ
تجـري بمن فـيـهـا من الـسَّـفْـرِ[١]
مـا بـين مـنـخـفِضٍ ومـرتـفعٍ
عـالٍ وبـين الـسَّـهلِ والـوعـر
وتَـخُطُّ بـالـعـجلات سـائـرةً
في الأرض أسـطـاراً ولا تـدري
كـتـبتْ بلا حـبـرٍ، وعـزّ عـلى
الأقلام حـرفٌ دونمـا حِـبْـر
سـيـارةٌ في الأرض مـا فَـتـئتْ
كـالـطـيـر من وكْـرٍ إلى وَكْـر
تـأبى وتـأنفُ أن يَـلُـمَّ بـهـا
تـعبٌ، وأن تـشـكـو سـوى الـزّجـر
حـمـلتْ من الـرُّكَـاب كلَّ فـتًى
حـسَـنَ الـرُّواء[٢] وكلَّ ذي قـدْر
يـتـحـدثـونَ، فـذاكَ عن أملٍ
آتٍ، وذا عن سـالفِ الـعُـمْـر
يـتـحـدّثـونَ وتـلك سـائـرةٌ
بـالـقـوم لا تـلـوي عـلى أمـر
فـكـأنمـا ضـرَبتْ لـهـا أجَلاً
أن تـلـتـقي والـشـمسَ في خِـدْر

(١) المسافرون.

حـــتى إذا ســـارت بـــداحـــيـــةٍ[1]
ممـــدودةٍ أطـــرافُـــهَـــا صِـــفْـــر
ســـقـــطتْ من الـــعـــجلاتِ واحـــدةٌ
فـتـحـطَّـمتْ إرْبـاً عـلى الـصّـخـر
فـتَـشـاءمَ الـركّـابُ واضـطـربـوا
ممـــا ألـمَّ بـــهـمْ من الـــضُّـــر
وتـفـرقـوا بـعـدَ انـتـظـامـهمُ
بـــدداً، وكم نـــظْمٍ إلى نَـــثـــر
والـشـمسُ قـد مـالتْ أشـعـتُـهَـا
تـكـســو أديمَ الأرض بـالـتِّـبْـر
والأفْقُ مُـــحـــمـــرٌّ كـــأن به
حـنـقَـاً عـلى الأيّـام والـدهـر
والـقـومُ واجِـفـةٌ قـلـوبُـهمُ
قـلـقـاً كـأنـهمُ عـلى الجـمـر
قـد كـان بـين الجَـمع نـاهـدةُ الـثْـ
ـــثَـديـنِ ذات مَلاحَـةٍ تُـغْـري
تـبـكي بـكـاءَ الـقـانـطِـينَ، ومـا
أسـخى دمـوعَ الـغـادةِ الـبِـكْـر!
وقـفـتْ وشـمسُ الأفْقِ غـاربـةٌ
تـذري عُلاً كـالـورد.. كـالـقَـطْـر
شـمـسـانِ لـولا أن بـيـنـهـمـا
صـلـةً لمـا بـكَـتَـا من الـهَـجْـر
وتـديـرُ عـيـنـيـهـا عـلى جَـزَعٍ
كـالـظـبي مُـلـتـفِـتـاً من الـذُّعْـر

(١) الأرض المنبسطة.

وإذا فـتًى كـالـفَـجْـر طـلـعـتُهُ
بل ربّـمـا أربَى[1] عـلى الـفـجـر
وافَى إلـيـهـا قـائلاً عـجَـبَـاً
ممَّ الـبُـكـاءُ شـقـيـقَـةَ الـبـدر ؟
قـالتْ أخـافُ الـلـيلَ يَـدهـمُـنِي
مـا أوحشَ الـظـلـمـاءَ في الـقَـفْـر
وأشَـدُّ مـا أخـشَـاهُ سـفكُ دمي
بـيَـدِ الأثـيمِ الـلصِّ ذي الـغَـدر
«هـنـري» الـلـعـينُ، ومـا الـفـتى «هـنـري»
إلا ابـنُ أمّ المـوتِ لـو تـدري
رصـدَ الـسـبـيلَ فـمـا تـمـرُّ به
قـدَمٌ، ولا الـنـسَـمـاتُ إذ تـسـري
وا شِـقْـوتي إن الـطـريق إلى
سَـكَـني عـلى مُـسْـتَـحـسَنِ الـنُّـكـر
إنـي لأعـلَـمُ أنّـمـا قَـدَمي
تـسـعى حـثـيـثـاً بي إلى الـقَـبْـر
قـال الـفـتى: هـيـهـاتَ خـوفُك لن
يُـجـديكِ شـيـئـاً ربَّـةَ الـطُّـهـر
فَـتـشَـجَّـعي وعـلـيَّ فَـاتَّـكِـلي
فـأنـا الـذي يـحـمـيكِ من «هـنـري»
قـالت: أخـافُ من الخَـؤونِ عـلى
هـذا الـشـبـابِ الـنـاعمِ الـنَّـضْـر
فـأجـابـهـا: لا تجـزَعي وثِـقي
إني عـلى ثـقـةٍ من الـنّـصْـر

(١) زاد.

عـــادتْ كـــأنْ لم يَـــعْـــرُهَـــا خَـــلَلٌ
تَـخِـدُ[1] الـقـفـارَ، سـفـيـنـةُ الـبَـرّ[2]
والـلـيلُ مـعـتـكـرٌ يـجـيشُ كـمـا
جـاشتْ هـمـومُ الـنـفس في الـصَّـدر
فـــكـــأنّهُ الآمـــالُ واســـعـــةً
والـــبـــحـــرُ في مَـــدٍّ وفي جَـــزْر
وكـــأنَّ أنجـــمَهُ وقـــد ســـطـــعتْ
دمعُ الـــدَّلالِ ونـــاصعُ الـــدُّرِّ
والـبـدرُ أسـفـرَ رغمَ شـامـخـةٍ
قـد حـاولتْ تـطـويه كـالـسِّـر
ألـقَى أشـعَّـتَه فـكـان لـهـا
لـونُ الـلُّـجَـينِ ولـؤلـؤِ الـثَّـغْـر
فـكـأنَّهُ الحـسـنـاءُ طـالـعـةً
من خِـدْرِهـا أو دُمـيـةُ الـقَـصْـر
وكـأنمـا جُـنـحُ الـظلامِ جَـنَى
ذنـبـاً فـجـاء الـبـدرُ كـالـعُـذْر
وضَـحَتْ مـسَـالكُ لـلـمـطـيَّـة قـدْ
كـانت شَـبـيهَ غَـوَامضِ الـبَـحْـر
فـغَـدَتْ تُـحَـاكي الـسَّـهمَ مـنـطـلـقـاً
في جَـرْيِـهـا والـطـيف إذ يـسـري
والـقـومُ في لـهـوٍ وفي طـرَبٍ
يـتـنـاشـدونَ أطـايبَ الـشِّـعـر
حـتـى إذ صـارتْ بمـنـعَـرجٍ
وقـفَتْ كـمـنْـتَـبهٍ من الـسُّـكْـر

---

(١) تشق، (وخد - يخد).
(٢) عادت السيارة إلى السير.

فـتـرجّـلتْ «لـيـزا» وصـاحـبُـهـا
ومـشَتْ وأعـقَـبَـهـا عـلى الإثْـر
واسـتـأنـفتْ تـلك المـطـيَّـةُ مـا
قـد كـان من كَـرٍّ ومن فَـرِّ
مـشت المـلـيـحـةُ وهي مُـطْـرِقـةٌ
مـا ثـمّ من تـيـهٍ ولا كِـبْـر
أنَّى تَـتِـيهُ وقـد أنـاخ[1] بـهـا
همٌّ وبـعضُ الـهمِّ كـالـوِقْـر[2]
لم تحـتسِ خـمـراً وتحـسَـبُـهـا
ممـا بـهـا نـشـوَى من الخـمـر
في غـابـةٍ تحـكي ذوائـبَـهـا
في لـونـهـا واللَّفِ والـنَّـشْـر
ضـاقتْ مـسـالـكُـها فـمـا انـفـرَجتْ
إلا لِـسَـيْـرِ الـذئبِ والـنِّـمْـر
كـالـلـيـلـةِ الـلـيلاءِ سـاجـيـةً
ولـربّ لـيـلٍ سـاطعٍ غـرّ
قـد حـاول الـقـمـرُ المـنـيـرُ بـهـا
مـاحـاولَ الإيمـانُ في الـكُـفـر
تحـنـو عـلى ظـبْيٍ وقَـسْـوَرَةٍ[3]
أرأيـتمُ سـرّينِ في صـدر ؟
صـقـرٌ وورقَـاءُ[4] ومِن عـجبٍ
أن تحـتـمِي الـوَرْقـاءُ بـالـصـقـر

---

(١) ثقل عليها.
(٢) الثقل.
(٣) أسد.
(٤) حمامة.

هـــذا وأعـــجَبُ أنـــهـــا سَـــلِـــمتْ
مـــنه عـــلى مـــا فـــيه من غَـــدْر
ظـلَّتْ تـســيــرُ وظلَّ يـتـبـعُـهَـا
مـــــــــــا ثَـمَّ مـن إثـمٍ ولا وزر
طـال الـطـريقُ وطـال سـيـرُهُـمـا
لـكنّ عُـمْـرَ الـلـيلِ في قُـصْـر
حـتى إذا سـفَـرَ الـصَّـبـاحُ وقـد
رُفِعَ الـظلامُ وكـان كـالـسِّـتْـر
والـغـابُ أوشك أن يـبـوحَ بـهـا
وبه بلا حَـذَرٍ إلى الـنـهـر
نَـظـرتْ إلـيه بمـقـلَـةٍ طـفَـحتْ
سِـحـراً ووجهٍ فـاضَ بـالـبِـشْـر
قـالـتْ له: لم يـبـقَ من خـطَـرٍ
جَمٍّ[1] نُـحـاذِرُه ولا نَـذْر[2]
انـظـر فـإنَّ الـصُّـبحَ أوشك أن
يمـحـو ضـيـاءَ الأنْـجُمِ الـزُّهْـر
وأراهُ دَبَّ إلـى الـظلام فـهـل
هـذا دبـيبُ الـشَّـيبِ في الـشَّـعْـر؟
واسـمعْ فـأصـواتُ الـطـيـورِ عـلَتْ
بـين الـنَّـقَـا والـضَّـالِ والـسِّـدْر[3]

(١) كثير.
(٢) قليل.
(٣) أسماء شجر بالبادية.

قـــال الـــفـــتى: «أوَ كـــنتِ في خـــطـــرٍ؟»
قـــالت له: عـــجـــبـــاً .. ألم تـــدْرِ؟
فـــأجـــابـــهـــا: «مـــا كـــان في خـــطـــرٍ
من كـــان صـــاحـــبُه الـــفـــتى.. هـــنـــري»
فـــتـــقـــهـــقـــرتْ فـــزَعـــاً فـــقـــال لـــهـــا
لا تـــهْـــلَـــعي واصْـــغِي إلى حُـــرِّ
مـــا كـــنتُ بـــالـــشِّـــريـــر قطُّ ولا
الـــرجلِ الـــذي يـــرتـــاحُ لـــلـــشـــرِّ
لـــكـــنـــني دهـــرٌ يـــجـــورُ عـــلى
دهـــرٍ يـــجـــورُ عـــلى بـــني الـــدَّهـــر
بل إنـــني خَـــطَـــرٌ عـــلى فـــئـــةٍ
مـــنـــهـــا عـــلى خـــطَـــرٍ ذووا الـــضُّـــرِّ
قـــتـــلـــوا أبي ظُـــلْـــمـــاً، فـــقـــتـــلـــهمُ
عَـــدْلٌ وحـــســـبي الـــعَـــدْلُ أن يـــجـــري
لا ســـلـــمَ مـــا بـــيـــني وبـــيـــنـــهمُ
لا ســـلـــمَ بـــين الـــهـــرِّ والـــفـــأر
سَـــيَـــرونَ فيَّ المـــوتَ مـــنـــتـــقـــمـــاً
لا شـــافعٌ في الأخـــذِ بـــالـــثَّـــأر
تـــا الـــلـــهِ مـــا أنـــســـاكَ يـــا أبـــتي
أبـــداً ولا أُغْـــضِي عـــلى الـــوِتْـــر
قـــالت له: هـــيَّـــجْتَ لي شـــجـــنـــاً
فـــإلـــيكَ مـــا قـــد كـــان من أمـــري
بـــعثَ المـــلـــيكُ إلى أبي فـــمـــضَى
وأخي مـــعـــاً تـــوَّاً إلى الـــقَـــصـــر

فـــإذا أبي في الـــقـــبـــرِ مـــرتَـــهنٌ
وإذا أخي في ربْـــــقَـــــةِ الأسْـــــر
يـــا ســـاعـــديَّ بُـــتِـــرْتُـــمـــا ويـــدُ الـــدْ
ـــدَهْـــرِ الخَـــؤونِ أحقُّ بـــالـــبَـــتْـــر
نَـــابي وظـــفـــري بِتُّ بـــعـــدَكُـــمـــا
وحـــــدي، بلا نـــــابٍ ولا ظُـــــفْـــــر
ويلاهُ مِن جَـــوْر الـــزمـــان بـــنـــا
والـــويلُ مـــنه لـــكلِّ مُـــغْـــتَـــرّ
وكـــأنـــنـــا والمـــوتُ يـــرتعُ في
أرواحِـــنـــا، مَـــرعًى، ومُـــســـتَـــمْـــري
لـــمَّـــا انـــتـــهتْ وإذا به دَهِشٌ
حَـــيـــرانُ كـــالمـــأخُـــوذِ بـــالـــسِّـــحْـــر
شـــاء الـــكلامَ فـــنـــالَهُ خَـــرَسٌ
كلُّ الـــبلاغـــةِ تحت ذا الحُـــصْـــر[1]
وكـــذلك الـــغـــيـــداءُ أذهـــلَـــهـــا
مَـــيْلٌ إلى هـــذا الـــفـــتى الـــغِـــرِّ
قـــالت .. أخي .. والـــلهِ..واقـــتـــربتْ
تـــرنـــو إلـــيه بمـــقُـــلَـــةِ الـــعُـــفْـــر[2]
وإذا بـه ألـــــقَـى عـــــبـــــاءتَه
بَـــرَحَ الخـــفـــاءُ بـــهـــا عن الجـــهـــر
صـــاحتْ أخي .. فـــكـــتـــورُ.. و اطَـــرَبي
روحي..شـقـيـقي..مـهـجـتي.. ذخـري

(١) قلة الكلام.
(٢) واحدة الأيائل، وهي نوع من الغزلان جميلة المنظر.

وتـعـانـقَـا فـبـكَى الـفـتى فـرحـاً
إن الـبـخـارَ نـتـيـجـةُ الحَـرِّ
وتـسـاقـطتْ في الخـدِّ أدمـعُـهَـا
كـالـقَـطْـرِ فـوق نـواضِـرِ الـزَّهْـر
قل لـلأُلَى يـشـكـون دهـرَهُمُ
لا بـدَّ مِن حـلـوٍ ومِن مُـرِّ
صـبـراً إذا جَـللُ أصـابـكمُ
فـالـعُـسْـرُ آخِـرُه إلى الـيُـسْـر

✱✱✱✱

١٣ - ضيف ثقيل

[الطويل]

أقصُّ عـلـيـكمْ مـا جـرى ليَ بـالأمسِ
فـليْ قَـصَصٌ تجـلـو الـهـمـومَ عن الـنَّفسِ
إذا قـلتُ، قـال الـدهـرُ «أحـسـنتَ يـا فـتًى»
ولـو كـان ذا حسٍّ لـغـابَ عن الحسِّ
فـدونـكُمُ هـذا الحـديثُ فـإنه
ألـذُّ وأشـهى من مُـعَـاقـرةِ الـكـأس
جلستُ إلى طِرسي[١] وقد عسعس الدجى
أسـطِّرُ مـا تُـوحـيه نـفـسيَ في طِرْسي
ولـيس سِـوى نـورٍ ضـئـيلٍ بـجـانـبي
يـلـوح ويَـخـفى كـالـرجـاء لـدى الـيَـأْس
وكـالـنّـقـعِ في جـوفِ الـدواةِ أوالـدُّجى
وكـالـهِـنـدُواني[٢] بـين أنُـمـليَ الخَـمْس
فـصـاحـةُ قُسٍّ[٣] أودِعَتْ في لـسـانه
وحـكـمـةُ لـقـمـانٍ[٤] ويُـحـسَـبُ في الخُـرس
ضـعـيفُ الخـطى بـادي الـنـحـولِ كـأنمـا
يُـشـدُّ إلى قـيـدٍ، يُـشَـدُّ إلى حَـبْس
أقـلِّـبُهُ فـوقَ الـطـروسِ وإنمـا
أُقـلّبُ فـوقَ الـطِّرسِ سـعـديَ أو نـحـسي

---

(١) ورقي
(٢) السيف
(٣) خطيب من خطباء الجاهلية اشتهر بالفصاحة (قُسّ بن ساعدة الإيادي).
(٤) حكيم ورد ذكره في القرآن الكريم.

فَـنـبَّـهـني طَـرْقٌ عـلى بـاب غـرفـتي
وصـوتٌ ضـعـيفٌ وهـو أقـربُ لـلـهـمس
نـهـضتُ ولـكن مـثـلـمـا يـنـهضُ الـذي
به نـــشـــوةٌ أو من يـــفـــيقُ مِن المسِّ
ولـمّـا فـتـحتُ الـبـابَ أبـصـرتُ راهـبـاً
ولـو كـنت طـفلاً قـلت: غـولٌ من الإنس!
فـــأزعـــجَـــني مَـــرآهُ حـــتى كـــأنمـــا
رسـولُ الـردى قـد جـاء يـنـعَى لي نـفـسي
فـقـلتُ: وقـانـي الـلـهُ شـرَّكَ مـا الـذي
أتى بك يـا مـشـؤومُ في سـاعـة الأُنْس؟
أجـابَ: كُـفـيتَ الـسُّـوءَ جـئـتُكَ طـالـبـاً
مـديـحَكَ لي بـين الأعـاربِ والـفُـرس
فـقـلتُ: وحقِّ الـشِّـعـرِ مـدحُكَ واجبٌ
ومـثـليَ يـقْـضِـيه عـلى الـعـين والـرأس
خـبَـرتُ بـني الـدنـيـا وفـتّـشتُ فـيـهمُ
فـلـم تـرَ عَـيْـني قَطُّ.. أثـقـلَ من قَسِّ

✱✱✱✱

١٤ ـ قتل نفسه

[المتقارب]

تـــــأمّلَ في أمـــــسهِ الـــــدابـــــرِ
فـــكـــاد يُـــجَنُّ من الحـــاضـــرِ
أهـــاجَ الـــتـــذكُّـــرُ أشـــجـــانَهُ
وكم لـــلـــسَّـــعـــادةِ من ذاكِـــر
فـــتًى كـــان أنـــعمَ من جـــاهلٍ
فـــأصـــبحَ أتـــعسَ من شـــاعـــر
أضـــاع الـغِـنَى، وأضـــاعَ الـصِّـحـابَ
ورُبَّ مـــــــريـضٍ بـلا زائـــــــر
ويـــا طـالمـــا أحـــدَقُـــوا بـــالـــفـــتى
كـمـــا تُـحْـدِقُ الجـنـدُ بـالـظَّـافـر
فـلـمَّـــا انـقـضَى مـجـدُه أعـرضـوا
ومـــا الـــنـــاسُ إلا معَ الـــقـــادر
ومـــا الـــنـــاسُ إلا عـبـيـدُ الـقـويِّ
فـــكُنْ ذاكَ أو كُنْ بلا شـــاكـــر
أشـــدُّ من الـــدهـــرِ مـــكـــراً بَـــنـــوهُ
فـــويلٌ لمن لـــيس بـــالمـــاكـــر
فـــكن بـــيـــنـــهمْ خَـــاتلاً غـــادراً
ولا تـــشـــتَكِ الـــغـــدرَ مِن غـــادر
تـــعـــيسُ تُـــعـــانـــقُه الـــنـــائـــباتُ
عِـــنـــاقَ الحَـــبـــائلِ لـــلـــطـــائـــر

كـــثـــيـــرُ الـــهـــمـــومِ بلا نـــاصـــرٍ
كـــسِـــيـــرُ الـــفـــؤادِ بلا جَـــابـــر
قـــضى لـــيـــلَهُ ســـاهـــيـــاً ســـاهـــراً
إلى كـــــوكبٍ مـــــثـــــلِه ســـــاهـــــر
يُـــــفـــــتِّشُ عن آفلٍ في الـــــثَّـــــرَى
ومـــا كـــان في الأفْقِ بـــالـــسَّـــافـــر
وتـــالـــلهِ يُـــجـــدي فـــتًى بـــائـــســـاً
كلامُ المـــــنـــــجِّم والـــــســـــاحـــــر
ولـــمّـــا تـــوارتْ درارِي الـــسَّـــمـــاءِ
وغـــاب الـــهلالُ عن الـــنـــاظـــر
بـــكى ثم صـــاح: أحـــتّى الـــنـــجـــومُ
تَـــصُـــدُّ عن الـــرجلِ الـــعـــاثِـــر ؟
إلامَ أعـــانـــدُ هـــذا الـــزمـــانَ
عِـــنـــادَ الـــسَّـــفـــيـــنـــةِ لـــلـــزاخـــر؟
وأدعـــــو ومـــــا ثَـمّ من ســـــامعٍ
وأشـــكـــو ولـــكنْ إلى ســـاخـــر
وأرجـــو الـــوفـــاءَ وتـــأبى الـــنـــفـــوسُ
وأنّى الـــــولادةُ لـــــلـــــعـــــاقِـــــر
ســـئـــمتُ الحـــيـــاةَ فـــلـــيتَ الحِـــمَـــامَ
يـــعـــيـــدُ إلى أصـــلِه سَـــائـــري
فـــتـــنـــطـــلقُ الـــنـــفسُ من ســـجـــنِـــهَـــا
ويُـــســـجَنُ تحت الـــثَّـــرَى ظـــاهـــري
وزاد ســـــوادُ الـــــدُّجى يـــــأسَهُ
وقـــد كـــاد يُـــســـفِـــرُ عن بَـــاهـــر

فـــشـــاء الـــتَّـــخـــلُصَ من دهـــرِه الْـ
ـــــخَـــؤونِ ومن عـــيـــشِه الحَـــازر[1]
فـــأغـــمـــدَ في صـــدره مُـــدْيـــةً
أشـــدَّ مـــضـــاءً من الـــبَـــاتـــر
وكم مـــثـــلُه قـــد قـــضَى نـــحـــبَهُ
شـــهـــيـــدَ الـــتَّـــأملِ في الـــغَـــابـــر

✱✱✱✱

(١) الحامض، يعني الكريه.

١٥ ـ ذكرى وعبرة

[الكامل]

عـاطيـتُـهـا في الـكـأسِ مـثلَ رُضَـابِـهـا
تـسـري إلى قـلـب الجـبـانِ فَـيَـشْـجُعُ
يـطـفـو الحَـبَـابُ عـلى أديمِ كـؤوسِـهـا
فـكـأنَّ تـبـراً بـالـلُّـجـينِ[١] يُـرصَّع
وكـأنمـا تـلك الـكـؤوسُ نـواظـرٌ
تـبـكي، وهـاتـيكَ الـفـواقعُ أدمع
مـشـمـولـةٌ تُـغـرِي بـصُـفْـرتِـهـا الـبـخِـيْـ
ـلَ بـهـا، فـيـطـمعُ بـالـنُّـضـارِ[٢] وتـطـمع
شـمـطـاءُ إلا أنـهـا مـحـجـوبـةٌ
عـذراءُ إلا أنـهـا لا تَـمـنَع
مـا زلتُ أسـقـيـهـا إلى أن أخـضـعتْ
مـنـهـا فـؤاداً لـلـهـوَى لا يَـخـضَع
فـعَـلتْ بـهـا مـثلَ الـذي فـعـلتْ بـنـا
ألحـاظُـهـا، إن الـلِّـحـاظ لـتَـصـرَع
لـمّـا انـتـشتْ ومـضَـى الخـفـاءُ لـشـأنه
بـاحتْ إليَّ بمـا تُـكـنُّ الأضـلُـع
بَـرَحَ الحـيـاءُ وأعـلـنتْ أسـرارَهـا
إن الحـيـاءَ لـكلِّ خَـوْدٍ[٣] بُـرْقُـع

---

(١) الفضة
(٢) الذهب
(٣) الحسناء

فَـعَـلـمتُ أني قـد خُـدعتُ بـحـبِّـهـا
زمـنـاً، وكـنتُ أظـنـني لا أُخـدَع
مـا كـنتُ أعـلمُ قـبل أن أسـكـرتُـهـا
أنَّ الـفـؤادَ بـحبِّ غـيـري مـولَع
فـتـركـتُـهـا نـشـوَى تـغـالبُ أمـرَهـا،
والأمـرُ، بـعـد وقـوعِه، لا يُـدفَع
ورجـعتُ عـنـهـا واثـقـاً من أنّ مـا
قـدْ كـان من حـبي لـهـا لا يَـرجع
وبـكـيتُ لـو أنَّ الـبـكـاءَ أفـادني،
ونـدمتُ لـو أنّ الـنـدامَـة تـنـفَع

✱✱✱✱

١٦ ـ مصرع حبيبين

[الكامل]

في ذلك الـــروضِ الأغنِّ بـــدا فـــتًى
قـد يـبـلـغُ الـعـشـرينَ عـامـاً ذو نُـهَى
كـــالـــبـــدرِ إلا أنـه مُـــتـــكـــتمٌ
والـــغُـــصنِ إلا أنـه غـــصـنٌ ذَوَى[1]
كـتبَ الـضَّـنَى في وجـهِه هـذا الـذي
كـاد الـغـرامُ به يَـؤولُ إلى الـفَـنـا
دَنِفٌ تـروّعُه الـغـصـونُ إذا انـثَـنتْ
طـربـاً، ويـقـلـقُه الـنَّـسـيمُ إذا جَـرَى
حـيـرانُ، يُـقـعِـدُه الـهـوَى ويـقـيـمُه،
فـكـأنه عـلَمٌ يـداعـبُه الـهَـوا
فـــإذا رنـــا لـلأفْق ظنَّ نجـــومَهُ
عـقـدَ الـتي مَن رامَـهـا، رام الـسَّـمَـا
وتـوهَّمَ الـقـمـرَ المحـلِّقَ وجهَ من
ضـنَّتْ وجـادتْ بـالـلـقـاءِ وبـالـنَّـوى
حَـجبَ الـغـمـامُ الـبدرَ عـنـد مسـيـرِه
فـكـأنه (أسـمـاءُ) تـسـري في الـدُّجَى
حـسـنـاءُ قـد عَـشِقَ المحبُّ عـفـافَـهـا
وتـعـشـقتْ آدابَهُ فـهُـمـا سَـوا
كـالـغـصنِ قـامـتُـهـا إذا الـغـصنُ انـثـنَى
وجـبـيـنُـهـا يـحـكي الـصـبـاحَ إذا انجلَى

(١) ذبل.

وقــعتْ غــدائــرُهــا عــلى أقــدامِــهــا
فــكــأنــهــا قــد عَـضَّــهــا نــابُ الــهــوَى
خَــوْدٌ إذا نــطــقتْ حــسِــبتَ حــديــثَــهــا
دُرّاً ولــكن لــيس ممــا يُــشــتَــرَى
وقــفتْ تحــيطُ بــهــا الــزهــورَ كــأنمــا
قــمــرٌ تحــيط به الــكــواكبُ في الــفــضَــا
ومــشتْ تحُفّ بــهــا الــغــصــونُ كــأنــهــا
مــلِكٌ تحُفُّ به الجــنــودُ إذا مــشَى
لــله زورتُــهــا وقــد قَــنَطَ[1] الــفــتى
فــكــأنــهــا روحٌ جــرَى فــيــمَن ثــوَى[2]
هــيــهــاتَ مــا ظَـفَــرُ المــؤمِّلِ بــالــغــنى
بــألــذَّ مِن ظَـفَــرِ المــتــيَّم بــالــلِّــقَــا
فَــدَنــا يــطــارِحُــهــا تحــيــة عــاشقٍ
ويــقــول: أهلاً بــالحــبــيب الــلَّــذْ أتى[3]
بــيــنــا تــصــافحُ من يــصــافــحُــهــا ، إذا
بــدمــوعــهــا سَــحّتْ فــصــافَــحتِ الــثَّــرى
مــا لــلــعــيــون تَــحــدَّرتْ عــبــراتُــهــا
وعلامَ هــذا الحــزنُ يــا ذات الــبَــهــا
قــالت: حــبــيــبي لــو تــرى مــا قــد جــرى
في ربْــعِــنــا[4] شــاركْــتَــني فــيــمــا تــرى
جــارَ الــقــضــاءُ عــليَّ في أحــكــامه
مــا حــيــلــةُ الإنــســانِ إن جــارَ الــقــضــا

---

(١) يأس.
(٢) دفن.
(٣) [اللذ] بمعنى الذي، وهو من الشواذ.
(٤) بيتنا.

فـابكِ مـعي فـلـربمـا نـفعَ الـبُـكـا
إنّ الـلـيـالي لا تـدومُ عـلى الـصَّـفـا
قـال الـفـتى والـدمعُ مـنـتـثـرٌ عـلى
خـدّيه: يـا «أسـمـاءُ» قـولي مـا جـرى
فَـتـلـفَّـتَتْ في الـروضِ خِـيـفَـةَ سـامعٍ
فـكـأنـهـا الـظَّـبيُ الـغـريـرُ إذا رنـا
وتـردَّدَتْ بـكلامِـهـا فـكـأنمـا
تـبـغي ولا تـبـغي الـتـفـوّه بـالـنـبـا
قـالت ودمعُ الـعـينِ يـخـنُقُ صـوتَـهـا:
وشَتِ الحـواسِدُ عـنـد مَن نـخـشَى بـنـا
وغـداً يـعـودُ الـشَّـملُ مـنـفـصِمَ الـعُـرا
هـذا هـو الخـبـرُ الـيـقـينُ بلا خَـفَـا
قـد أنـبـأتْهُ بـالـفُـراقِ ومـا درت
أنَّ الـفـراقَ حِـمـامُ مَن عَـرفَ الـهـوى
فـكـأنمـا سـهـمُ أصـابَ فـؤادَهُ
وكـأنه لـمّـا ارتـمى طـوْدٌ[1] هـوى
أمـا الـفـتـاةُ فـراعَـهَـا مـا صـار في
مـحـبـوبِـهَـا وكـأنـهـا نـدمتْ عـلى...[2]
جـعـلتْ تُـنـاديه بـصـوتٍ مُـحـزنٍ
فـيـجـيـبُـهـا كـنـدائِـهـا رَجْعُ الـصَّـدى
حـتى إذا قَـنَـطتْ دنَتْ مـنه كـمـا
يـدنـو أخـو الـداء الـعُـضـال مِن الـدوا
وَحـنَتْ فـحـرَّكتِ الـفـتى وإذا به
جـسِمٌ ولـكن لا حـيـاةَ به ولا...

---

(١) جبل.

(٢) نوع من البديع يقال له: الاكتفاء، وهو الإتيان بكلمة من العبارة، يستدل على باقيها بالسياق.

قـد فـارقَ الـدنـيـا فـفـارقَـهـا الـرَّجَـا
وهَـوتْ تـعـانـقُه فـفَـارقتِ الـورَى
قـمـرانِ ضَـمَّـهـمَـا الـتـرابُ ومـا عـرفْـ
ـتُ سِواهـمـا قـمـرينِ ضـمَّـهـمـا الـثَّرى

✷✷✷✷

١٧ ـ معركة شمولبو[١] (بين اليابان وروسيا)

[الكامل]

دَبَّتْ وقد ألقى الظلامُ ستارا
ولطالما كتَمَ الدُّجى الأسرارا
سفنٌ هي الأطوادُ لولا سَيْرُها
أعَهِدْتُمُ جبلاً مشى أو سارا؟
كالطيرِ أسراباً ولكن إن عَدَتْ
نفَتِ الرياحَ، وتَسْبقُ الأطيارا
مثلُ الكواكب في النظام وإنها
لكما الكواكبُ تَبعثُ الأنوارا
هيَ كالمدائنِ غيرَ أن نزيلَها
أبداً بها يتوقعُ الأخطارا
وأظنُّها فقدتْ حبيباً أو أخاً
ولذلك ارتدَتِ السوادَ شِعارا
تغشَى المياهَ لعلَّ ما في قلبها
يُطفا فتَزدادُ الضلوعُ أُوارا[٢]
وَتميدُ حتى لا يُشَكُّ بأنها
سكَرى ولم تذُقِ السَّفينُ عُقَارا[٣]
وتُسَرُّ إنْ رأتِ الثغورَ كأنها الْـ
مقرورُ أبصرَ بعد جهدٍ نارا

---

(١) بين اليابان وروسيا (١٩٠٤ ــ ١٩٠٥). انتصرت فيها اليابان فحيّا نصرَها بعض شعراء العرب وجرى أبوماضي على نسقهم.
(٢) اشتعالاً وحرارة.
(٣) الخمر.

وبــوارجٌ قــد سُــيّــرتْ كــالجَــحــفَلِ الْـ
ــجَــرّارِ تحــملُ جــحــفَلاً[1] جــرَّارا
حـمـلتْ أنـاسـاً كـالـقـرودِ، وجـوهُـهُمْ
صــفــراءَ يــحــكي وجــهُــهَــا الــديــنــارا
فُــطْسَ الأنــوفِ، قــصــيــرةٌ قــامــاتُــهمْ،
هــيــهــاتَ لا تــتــجــاوزُ الأشْــبــارا
قــد قــادَهــا «طــوغــو»[2] فــقــادَ ذلــولــةً
تــهــوَى الــصِّــعــابَ وتــعــشقُ الأسْــفَــارا
في قــلــبِه نــارٌ وفي أحــشــائــهــا
مــثلُ الــذي في نــفــسه قــدْ ثــارا
مــا زال يــدفــعُــهــا الــبــخــارُ فــتــرتــمي
كــالــسَّــهم أُطــلقَ في الــفــضــاء فَــسَــارا
طَــوْراً تــراهــا في الــسَّــحــاب، وتــارةً
في الــقــاع يُــوشكُ جِــرمُــهــا[3] يــتــوارى
حــتى دنتْ من ثَــغْــر «شــولــبــو»[4] الــذي
جــمــع الأُلى لم يــعــرفــوا مــا صــارا
نَــفَــرٌ من «الــروس «الــذين ســمــعتُ عن
أفــعــالِــهمْ فــيــمــا مــضَــى الأخــبــارا
مِن كلِّ مــــغــــوارٍ إذا زار الــــوغى
زار الحِــمَــامُ الــفــارسَ المــغــوارا
مــا كــان غــيــرُ «الــفــاريــاجِ»[5] لــديــهمُ

(١) جيشاً.
(٢) قائد ياباني.
(٣) جسدها.
(٤) اسم الميناء.
(٥) اسم بارجة.

وســـفـــيـــنـــةٍ أخـــرى أخفُّ دِثَـــارا
قـــال الـــعـــدوُّ لـــهم وقـــد دانـــاهُمُ
وكـــــفَى بمـــــا وافى به إنـــــذارا
إمـا الـقـتـالُ فَـتُـلْـحـقـونَ بمن مـضَـوا
أوتُـحـســنـونَ فَـتـؤخـذُونَ أُسَـارى
كـــان الجـــوابُ قـــذائـــفـــاً نـــاريـــةً
تـــهـــوى الـــورودَ وتـــكـــرهُ الإصْـــدارا
مـــثلَ الـــرجـــومِ إذا هـــوَتْ لـــكـــنّـــهـــا
لا تـــعـــرفُ الأخـــيـــارَ والأشـــرارا
وأقـلُّـهـا خَـطْـبـاً - فـكـيف أشـدُّهـا -
لـــو نـــالتِ الجـــبلَ الأشمَّ انْـــهَـــارا
حَـفّتْ بـهم ســفنُ الـعـدوِّ وأحـدقتْ
حـــتى لـــكِـــدْتُ إخـــالُـــهـــا أســـوارا
مـــا بـــين بـــارجـــةٍ وطـــرّادٍ إلى
نـــسّـــافـــةٍ والـــكلُّ يَـــقـــذفُ نـــارا
ملأ الـفـضـاءَ دخـانُـهـا، وذُكـاءُ احـ
ـتَـجَـبتْ ومـا بـرِح الـنـهـارُ نـهـارا
والجـــوُّ أظـــلـــمَ واكـــفَـــهـــرَّ أديمُهُ
حـتى كـأن عـلى الـسـمـاء سـتـارا
والـبـحـرُ خُـضّبَ بـالـدمـاء وأصـبـحتْ
أمـــواجُه، وهيَ الـــلُّـــجـــين، نُـــضَـــارا
ذا والـــقـــنـــابلُ لم تـــزلْ مُـــنـــهـــلَّـــةً
مـنـهـا تحـاكي الـصَّـيب الـمِـدرارا

(١) الغَبَرة: وهي الغبار، (والهبْو: ما همد من لهيب النار).

والمـركـبـانِ «الـفـاريـاجُ» وأخـتُـهـا
في هـبـوةٍ[1] لا يـعـرفـان قـرارا
إحـداهُـمَـا ظَـفِـرَت بـهـا مـقـذوفـةٌ
فـكـأن صـاعـقـةً أصـابتْ دارا
فـهـوَتْ بمن فـيـهـا وقـد فَـتـحتْ لـهـا
الأمـواجُ صَـدْراً يـكـتمُ الأسـرارا
هـبَـطتْ وزاد هـبـوطُـهـا المـتـقـاتـلـيـ
ـنَ عـلـى مـداومـةِ الـوغَى إصـرارا
لـكـنـمـا الأخـرى أصـيـبتْ بـالأذى
حـتى غـدَت لا تـمـلكُ الـتَّـسـيـارا
فـرأى الـفـتى رُبّـانُـهـا أن يـفـتـدي الْـ
ـجـنـدَ الـكـرامَ من المـمـاتِ فـرارا
قـدْ فَـرَّ بـعـضُـهمُ ولـكنْ جـلُّـهمْ
طـلـبـوا الـفـرارَ من الـفِـرارِ خَـيـارا
أوْدَواْ بـهـا نـسْـفـاً ومـاتـوا عـنـدهـا
غَـرَقـاً ويـأبى الـبـاسـلـون الـعـارا
هـذي حـكـايـتُـهُمْ أُسَـطِّـرُهـا لـكمْ
لا درهـمـاً أبـغي ولا ديـنـارا
فـلَـئنْ أفـادتـكُمْ فـخـيـرٌ جـاء مِن
شَـرٍّ وإلا فـلـتـكُنْ تَـذكَـارا

✱✱✱✱

١٨ - رسم سياسي

(في وصف رسم سياسي رآه في «جريدة النيل» الأسبوعية القاهرية)

[البسيط]

رسمٌ تعلّمَ منه ناظرِي الولَعَا
كأن طرفيَ قلبي فيه قد وُضعا
يُمثِّلُ «البيضَ» حولَ «الصين» قد وقفوا
وذلك «الدب» في «منشوريَا» رتَعَا
مشى به نحوَها في نفسه أملٌ
وراحَ يمشي إلى ما بعدَهَا جَشَعا
كالنار تأكل أكلاً ما يصادفُها
والسيلُ يَجْرفُ ما يلقاهُ مُندفِعَا
فقام (بالصُّفْرِ)داعٍ من حليفَتِهمْ
مليكةِ الهند، أن هبُّوا فقد طَمِعَا
قالت: أحذِّرُكمْ من أن يُخادِعَكُمْ
فطالما خُدِعَ الإنسانُ فانخَدَعا
إني محضْتُكمُ نُصحَ الصديق عسى
خيراً يُفيدكُم فالنصْحُ كم نفَعا
وغيرُ منتفعٍ بالنصحِ غيرُ فتى
إذا تحدَّثَ ذوعقلٍ صَغا[1] ووَعى
سارت إليهمْ فتاةٌ وانثَنتْ رجلاً
وما رأى أحدٌ هذا ولا سمعا

---

(١) مال (صغا - يصغو).

حـتى إذا مـا رأتْ «مـنـشـوريـا» اخـتـنـقَتْ
بـالـقـومِ ضـيـقـاً وخَـرْقَ الـشـرّ مُـتَّسِـعـا
كـادت تـطـيـرُ سـروراً بـالـنـجـاح وقـد
كـادت عـلى الـهـنـد تـقـضـي قـبل ذا جَـزَعـا
نُـبِّـئتُ أنَّ الـوغَـى في الـصـين دائـرةٌ
فـمَـا لـهـا صـادفَتْ فـي الـنـيلِ مُـرتَـبَـعـا؟

✷✷✷✷

١٩ ـ الكرنفال

[المنسرح]

أمـــستْ ثـــيـــابي وكـــلُّـــهـــا خِـــرقُ
تُـــشـــبهُ روضـــاً ألـــوانُه فِـــرَقُ
من أزرقٍ كـــالـــســـمـــاء جـــاورَهُ
أحـــمـــرُ قـــانٍ كـــأنه الـــشَّـــفَق
وأبـــيـضٍ نـــاصـعٍ وأســـودَ فـــا
حمٍ فـــذاك الـــضُّـــحى وذا الـــغَـــسَق
كـــأنَّ قـــوسَ الـــســـحـــاب بـــات عـــلى
جـــســـمـي رداءً ومـــا أنـــا الأفُق
بُـــرْدٌ عـــجـــيبٌ قـــد خـــاطَهُ لَـــبِقٌ
فـــلـــيس بـــدعـــاً له أن حـــازه لـــبِق
لمـــا تـــنـــكـــرتُ لم يَـــعُـــدْ صُـــحُـــبي
يـــدرون أني الـــصـــديقُ إنْ رمَـــقُـــوا
لـــذاك لم يُـــشـــفِـــقُـــوا عـــلى جـــســـدي
من الـــرَّمـــايـــا[١] ولـــو دَرَوا شـــفِـــقـــوا
مـــررتُ بـــالحَـــانـــقـــينَ فـــابـــتـــســـمـــوا
لمـــــا رأوني وكـــــلُّـــــهم قَـــــلِق
لـــــو عـــــلـــــمـــــوا أنـــــني عـــــدوّهُمُ
أوشك يـــقـــضـي عـــلـــيـــهمُ الـــفَـــرَق[٢]

(١) من البذور والورق، كما يقول بعد. كأنما مفردها: رَمْيَة.
(٢) الخوف.

أرخى الـــدجى ذيـــلَه ورُحتُ أَجـــرْ
رُ الــذيل عُــجْــبــاً وغــيــريَ الــنَّــزِق
والجــمعُ حــولي يــضِجّ مــبــتــهــجــاً
كـــأنه الـــســـيلُ حـــين يـــنـــدفق
تــألــبَّــوا كــالــغَــمَــام واتــصــلــوا
بـــعضٌ بـــبـــعضٍ كـــأنـــهم حَـــلَق
وانـــتـــثـــروا والـــدروبُ واســـعـــةٌ
كــالأنجُمِ الــزُّهــرِ حــين تَــنْــبَــثِق
أطــلــقتُ نــفــسي من الــقــيــود إلى
أن صــرتُ كــالــسَّــهمِ حــين يــنــطــلِق
وبتُّ والــقــومُ كــلّــمــا اجــتــمــعــوا
رمــيــتُــهُم (بــالــبــذور) فــافــتــرَقــوا
أســـخـــرُ مـــنـــهمْ لأنـــهم سَـــخِـــروا
مــنّي، اخــتــلــفْــنَــا ونــحن نــتّــفق
والحــربُ بــيــني وبــيــنــهم نــشِــبَتْ
حــربٌ ولــكنْ سِــهــامَــهــا الــوَرق
فلا رمـــاحٌ هـــنـــاك مُـــشْـــرعَـــةٌ
ولا ســـيـــوفٌ هـــنـــاك تُـــمـــتَـــشَق
لم أخشَ غــيــرَ الحــسَــانِ نــاظــرةً
أشـــدُّ فـــعلاً من الـــظُّـــبى الحَـــدَق
هــذا هــو الــكــرنــفــالُ فــاســتَــبِــقُــوا
إلـــيه فـــهـــو الـــســـرورُ يُـــخـــتَـــلَق

✱✱✱✱

٢٠ ـ أنا .. وهي

[الطويل]

جلستُ إليها والتِّرَامُ[١] بنا يعدو
إلى حيثُ لا واشٍ هناك ولا ضِدُّ
قدِ انتظمتْ هذي القطاراتُ في الثَّرَى
كأن الثرى جِيدٌ وتلك له عِقْد
بَلى هيَ عِقْدٌ، بل عقودٌ، ألا ترى
على الأرض أسلاكاً تدور فتمتدُّ؟
يسير فيطوي الأرضَ طيَّاً كأنما
دوالِيبُه أيدٍ، كأن الثرى بُرْد
فَكالطَّودِ إلا أن ذيَّاكَ ثابتٌ
وكالريح إلا أن هاتيكَ لا تبدو
تَوهَّمتُهُ من سرعة السير راكداً
وأن الدُّنا فيمن على ظهرها تعدو
تحوم عليه المركباتُ كأنه
مليكٌ، وتلك المركباتُ له جُنْد
تُقَصِّرُ عنه الريحُ إمّا تسابقا
فكيف تُجاريه المطهَّمَةُ الجُرْد[٢]
على أنه في كفِّ عبدٍ زمامُهُ
فيا من رأى مَلْكاً يُصَرِّفُه عبد!
كأني به، يا صاحِ، دارُ ضيافةٍ
يغادرُه وفْدٌ ويقصِدُه وَفْد

---

(١) كان الترام حديث العهد في المدينة.
(٢) يريد: الخيل. والمطهّم: المدوّر الوجه، والأجرد: القصير الشعر.

خَـــلَـــوتُ بمَن أهـــوى به رُغْمَ عـــاذِلي
ولم يكُ غـيـرَ الـقُـربِ لي ولـهـا قَـصْـد
فـسـارَ بـنـا في الأرضِ وخْـداً[1] كـأنمـا
دَرَى أنّ مـا نـبـغـيهِ مـنه هـو الـوَخْـد
فـــمـــا راعـــني والـــلهِ إلا وقـــوفُه
فـقـد كـنتُ أخـشى أن يـفـاجِـئـنـا وَغْـد
ولمـا انـتـهى من سـيـرِه وإذا بـنـا
عـلى شـاطئ الـبَـحْـر الـذي مـا له حـدّ
هـنـاك وقـفـنـا والـشِّـفـاهُ صـوامتٌ
كـأن بـنـا عِـيّـاً[2] ولـيس بـنـا وَجْـد
سـكَـتْـنـا ولـكنَّ الـعـيـونَ نـواطِقٌ
أرقُّ حـديثٍ مـا الـعـيـونُ به تـشـدو
سَـكِـرنـا ولا خـمـرٌ ولـكـنه الـهـوَى
إذا اشـتـدَّ في قـلبِ امـرئ صـفَّق الـرُّشـد
فـقـالت، وفي أجـفـانِـهـا الـدمعُ جـائلٌ
وقـد عـاد مـصـفـرّاً عـلى خـدِّهـا الـورد:
ألا حـبّـذا يـا صـاحـبي المـوتُ هـهـنـا
إذا لـم يـكنْ من أنْ نـذوقَ الـردى بُـدّ
فـيـا لكَ من فـكـرٍ مُـخـيفٍ وهـائلٍ
ويـا لكَ من مـرأًى يَـرقُّ له الـصَّـلْـدُ[3]
فـقـلتُ لـهـا: إني مـحبٌ لـكل مـا
تُـحـبـينَ، إن الـسمَّ مـنكِ هـوالـشُّـهْـد

---

(١) نوع من السير.
(٢) عدم القدرة على الكلام.
(٣) الحجر.

فــقــالت: أمِنْ أجــلي تحنُّ إلى الــردى
دَعِ الــهــزْلَ، إن المــرءَ حِــلــيــتُه الجِـدّ
فـقـلت لـهـا: لـوكـنتُ في الخُـلْـدِ راتـعـاً
ولـستِ مــعي، والــلـه مـا سـرَّني الخُـلْـد
فــإن لم يــكن مــهــدٌ إلــيكِ يـضــمُّــني
فـيـا حـبّـذا يـا «هـنـد» لـوضـمَّـنـا لحـد!
فــقــالتْ: لَــعَــمْــرِ الحقِّ إنك صــادقٌ
فــــدُمتَ عــــلى ودٍّ ودام لـك الــــوُدُّ
فـلـو لم أكن من قـبلُ أعـشـقُ حُـسـنَـهـا
لـهِـمتُ بــهـا، والــلـهُ حـسـبيَ مِن بـعـدُ!

✱✱✱✱

٢١ - طفلة والقمر

[الرَّمل]

دمـيـةٌ حـسـنـاءُ تُـغـري الـنَّـظَـرا
أم ملاكٌ طـاهـرٌ فـوق الـثَّـرَى
طـفـلـةٌ سـاذَجـةٌ أطـهـرُ مِن
زهـرةِ الـرَّوض وأنـقى جَـوهَـرا
شَـرُفَتْ أصلاً، وطـابتْ عُـنـصُـرا
وارتـقتْ نـفْـسَـاً، وراقتْ مـنـظـرا
حـمـلتْ قـلـبًـا أبَى أن يـحـملَ الْـ
حـقـدَ أو يـكـتـمَ حـسّـاً كَـدُرا
تجـهـلُ الـشـرَّ، ولا تُـحـسنُ أن
تـخـدعَ الـغَـيـرَ، ولا أن تَـغـدُرا
لا تـبـالي بـبـنـات الـدَّهـرِ إن
أقـبلَ الـدهـرُ بـهـا أو أدبـرا
يَـعـظُمُ الـكـون لـديـنـا جِـرمُهُ
وتـراهُ عـنـدهـا قـد صَـغُـرا
إنمـا الـدنـيـا لـديـهـا كـلُّـهـا
أبـواهـا وهـمـا كلُّ الـورَى
جُـؤذُرٌ لـكـنـهـا آنـسـةٌ
لم يَـرُعْـهـا مـا يَـروعُ الجُـؤذُرا[1]

(١) ولد البقرة الوحشية وعيناه جميلتان.

سُــرِقَ الــتــفــاحُ مِن وجــنــتِــهــا
واســتــعــارَ الــظــبيُ مــنــهــا الحَــوَرا
ذاتُ شَــــعْــــرٍ ذهــــبيٍّ لــــونُه
قــد حــكى نــورَ الــضُّــحى مُــنــتــشِــرا
وعــيــونٍ بــالــنُّــهى عــابــثــةٍ
جَــذَبَ الــغُــنجُ إلــيــهــا الخَــفَــرا
شُــغِــفتْ بــالــبــدر حــبَّــاً فــهي لا
تَــعــرِفُ الــغُــمضَ إلى أن يُــســفِــرا
وقــفتْ تــرقــبه في لــيــلــةٍ
مــثلِ حظِّ الأدبــاء الــشُّــعَــرا
تــكــتمُ الــظــلــمــاءُ من لألائــهــا
أيُّ بــدرٍ في الــظلامِ اسْــتَــتــرا
أرســلتْ نــحــو الــدَّراري لــفــتــةً
أذكَــرتْ تــلك الــدراري الــقــمــرا
واذا بــالــبــدرِ قــد مَــزَّقَ عن
وجــهِهِ بــرقُــعَــهُ ثمَّ انــبــرَى
فــأضــاءَ الجــوَّ والأرضَ مــعــاً
نــورُه الــفــضيُّ لــمّــا ظَــهَــرا
فــرنتْ عن فــاتــرٍ، وابــتــســمتْ
عن نــظــيــمٍ قــد أكَنَّ الــدُّررا
ثم قــالت: يــا حــبــيــبي مــرحــبــاً
لا رآك الــطَّــرفُ إلا نَــيِّــرا
قفْ قــلــيلاً أوكــثــيــراً فــعــسى
نــورُكَ الــبــاهــرُ يــجــلــو الــبَــصَــرا

إن تـغِبْ فـالـصـبحُ عـنـدي كـالـدُّجَى
والـدجى إن جـئتَ بـالـصُّـبحِ ازدرَى
لـمْ تُـحبَّ الـسِّـيـرَ لـيلاً فـإذا
ذَرّ قَـرنُ الـشـمسِ عـانـقتَ الـكـرى؟
أتـخـافُ الـشـمسَ أم أنت كـذا
تـعـشقُ الـلـيل وتـهـوَى الـسـهـرا؟
ثم نـاجتْ نـفـسَـهـا قـائـلـةً
أتُـرى أبـلُـغُ مـنـه وطَـرَا
لـيت لي أجـنـحـةً بل لـيـتـني
نجـمـةٌ أتـبـعُه أنّى سَـرَى
وَهِمَ الـبـعضُ فـقـالـوا درهمٌ
مـا أرى الـدرهمَ إلا حـجـرا
ولـقـد أضـحـكَـني زعـمـهُمُ:
إنه يُـشـبه في الحـجم الـثَّـرَى
زعـمـوا مـا زعـمـوا لـكـنّـمـا
هـو عـنـدي لـعـبـةٌ لا تُـشْـتَـرى!

✱✱✱✱

٢٢ - فنون الوصف

[الطويل]

كـــأنيَ فـي روضٍ أرى المـــاءَ جـــاريـــاً
أمـامـي وفـوقي الـغـيمُ يَـجـهَـدُ بـالـنَّـشْـرِ
تـــوهَّـــمـــتُه هـــمّـــاً فـــقـــلت له: انْـــجلِ
فـإنَّ هـمـومي ضـاقَ عن وصْـفِـهـا صَـدري
بـــربك سِـــرْ حـــيثُ الخَـــليّ فـــإنـــني
فـتًى لا أرى غـيـرَ المـصـائبِ في دهـري
فـــأقـــشـعُ حـــتى لـم أشكَّ بـــأنه
أصـــاخَ إلى قـــولي، ومـــا شكٍّ في أمـــري
رعى الـلهُ ذيَّـاكَ الـغَـمـامَ الـذي رعى
عـــهـــودي، وأولاني الجـــمـــيلَ، ولم يـــدرِ
تـظـلَّـلْتُ بـالأشـجـار عـنـد اخـتـفـائه
ويـــا رُبَّ طَلٍّ كـــان أجـــملَ من قَـــطْـــر
جـلـستُ أبثّ الـزهـرَ سـرّاً كـتـمـتُه
عن الـنـاس حـتى صـرتُ أخـفى من الـسرّ
ولـمّـا شـكـوت الـوجـدَ، وجْـدي، تـمـايـلَتْ
كـأن الـذي أشـكـوه ضـربٌ من الخَـمـر
وأدهـشَـهَـا صـبـري، فـأدهـشـني الـهـوَى،
دُهـشتُ لأن الـزَّهـرَ أدهـشَـهَـا صـبـري
ولـــمّـــا درَتْ أني مـــحبٌّ مـــتـــيَّمٌ
بـكتْ وبـكـاني كلُّ ضـاحك مُـفْـتـرِّ

عـجـبتُ لـهـا تـبـكي لمـا بي ولم يـكن
عـجَيبًا على مثلي البكاءُ من الصَّخـر
كـــأنيَ بـــدرٌ والـــزهـــورُ كـــواكبٌ
وذا الـروضُ أفقٌ ضـاءَ بـالـبدر والـزَّهـر
كـأني وقـدْ أطـلـقتُ نـفـسي من الـعَـنـا
مـليكٌ ليَ الأغصـانُ كـالعسكَرِ الـمَـجْر[1]
فـمـا أسـعـدَ الإنسـانَ في سـاعـةِ الـمُنى!
ومـــا أجـــملَ الأحلامَ في أوَّل الـــعُـــمْـــر!
وهـــاتـــفـــةٍ قـــد أقـــلـــقَـــتـــني بـــنـــوحِـــهَـــا
فـكـنتُ كـمـخـمـورٍ أفـاقَ من الـسُّـكْـر
تُـرى رُوِّعتْ مـثـلي من الـدهـر بـالـفِـرا
قِ أمْ بُدِّلتْ مـثـلي من الـيُـسـر بـالـعُـسْـر؟
بـــكـــيتُ ولـــو لم أبكِ ممـــا بـــكتْ له
بـكـيتُ لمـا بي من سَـقَـامٍ ومن ضُـرّ
ونـــهـــرٍ إذا والى الـــتَّـــجـــعُّـــدَ مـــاؤُه
ذَكَـرتُ الأفـاعي إذ تـلـوّى عـلى الجـمـر
تحـــيطُ به الأشـــجـــارُ من كلِّ جـــانبٍ
كـمـا دار حـول الجـيـدِ عِـقْـدٌ من الـدُّرِّ
وقـــد رفـــعتْ أغـــصـــانُـــهـــا في أديمهِ
كـتـابـاً من الأوراق سـطـراً عـلى سـطـر
كـــأن دنـــانـــيـــراً تـــســـاقطُ فـــوقَهُ
ولـيس دنـانـيـرٌ سِـوى الـورَقِ الـنَّـضـْر
كـــأني به الـمـــرآةُ عـــنـــد صـــفـــائـــهـــا
تُـمـثِّل مـا يـدنـو إلـيـهـا ولا تـدري

(١) الكثيف أو الكثير.

فما كان أدرَى الغصنَ بالنظم والنثرِ
وما كان أدرى الماءَ «بالطيِّ والنَشْر»[1]
ذَرِ المدحَ والتشبيبَ بالخمر والمها
فاني رأيتُ الوصفَ أليقَ بالشِّعر
وما كان نظمُ الشِّعر دأْبي وإنَّما ..
دعاني إليه الحب، والحب ذو أمر
ولي قلمٌ كالرمح يهتزُّ في يدي
الى الخير يسعى، والرماحُ الى الشَّرِّ
وتفتُك هاتيك الأسنّةُ في الحشَا
ويحيا الحشَا إن راحَ يفتُك بالحبر
إذا ما شدا في الطِّرسِ أذهب شدوُهُ
همومَ ذوي الشكوى، ووَقرَ ذوي الوِقْرِ[2]
تبختَرَ فوق الطِّرسِ يسحبُ ذيلَهُ
فقالوا: به كِبْرٌ، فقلتُ عن الكِبْر
لكلٍّ من الدنيا حبيبٌ وذا الذي
أَشُدُّ به أزري، ويعلو به قدْري
ويبقَى به ذكري إذا غالَني الرَّدَى
وحسبُ الفتى ذكرٌ يدوم إلى الحشر

****

(١) من مصطلح العروض.
(٢) الوِقر: الحِمل والوزن. والوَقر: الثقل في الأذن.

٢٣ ـ قصيدة الطبيعة

[مخلع البسيط]

روضٌ إذا زرتَهُ كئيبا
نفَّسَ عن قلبِكَ الكُروبَا
يُعيدُ قلبَ الخليِّ مغرَى
ويُنسي العاشقَ الحبيبا
إذا بكاهُ الغَمامُ شقّتْ
من الأسى زهرُه الجُيوبا
تلقى لديه الصَّفا ضروباً
ولستَ تلقَى له ضَريبَا[1]
وشَّاهُ قَطرُ الندى فأضحى
رداؤه مُعْلَماً قَشِيبا
فَمِن غصونٍ تميسُ تيهاً
ومن زهورٍ تضُوعُ طِيبا
ومن طيورٍ إذا تغنَّتْ
عاد المعنَّى بها طَروبا
ونرجسٍ كالرقيب يرنو
وليس ما يقتضي رقيبا
وأُقْحوانٍ يُريك دُرّاً
وجلَّنارٍ حكى اللَّهِيبا
وجدولٍ لايزال يجري
كأنه يقتفي ... مُرِيبا

(١) مثيل.

تـــــســـــمعُ طـــوراً له خَـــريـــرًا
وتـــارة في الـــثـــرى دبـــيـــبـــا
إذا تـــــرامى عـــــلى جـــــديبٍ
أمـــسى به مَـــرْبـــعًـــا خَـــصـــيـــبـــا
أو يـــتـــجـــنَّى عـــلى خَـــصـــيبٍ
أعـــادَهُ قـــاحلاً جَـــدِيـــبـــا
صَحَّ فـــلـــو جـــاءه عَـــلـــيلٌ
لم يـــأتِ بـــعـــدُ مـــنه طـــبـــيـــبـــا
وكلُّ مَـــعـــنًى به جـــمـــيلٌ
يُـــعـــلِّمُ الـــشـــاعـــرَ الـــنَّـــسِـــيـــبـــا
أرضٌ إذا زارهـــــا غـــــريـــبٌ
أصـــبح عن أرضِهِ غـــريـــبـــا

✱✱✱✱

٢٤ ـ سقوط بورت آرثور[١]

[الخفيف]

مَنْ أُسُـودٌ تـسـربـلتْ بـالحـديـدِ ؟
ومَنِ الجنُّ في رداء الجـنـودِ ؟
يَـنـشـدونَ الـوغى ومـا يَـنـشـدُ الـ
ـحـسـنـاءَ غـيـرُ المـتَـيَّمِ المـعـمُـود
كلُّ قَـرْمٍ[٢] عـلـيه درعٌ من الـصَّـبْـ
ـرِ ودرعٌ مـسـرودةٌ من حـديـد
تحـته أجـردٌ أشـد حـنـيـنـاً
واشـتـيـاقـاً الى الـوغى من نَـجـيـد
سـابحٌ عـنـده الـعـسـيـرُ يـسـيـرُ
والـقـصـيُّ الـقـصـيُّ غـيـرُ بـعـيـد
لـو صَـبـا لـلـنـجـوم مِن قـدْ عَلاهُ
أصـبح الجـو تحـته كـالـصَّـعـيـد
تحـسبُ الأرضَ قـد جـرتْ حـين يـجـري
وتـراه كـأنّـه فـي ركـود
إنمـا يـركبُ الجـوادَ ... جـوادٌ
ويـصـونُ الـذِّمـارَ غـيـرُ بـلـيـد
وخَـمـيسٍ[٣] يـحـكي الـنـجـومَ انـتـظـامـاً
عـجـبـاً من كـواكبٍ في بِـيـد

---

(١) Port Arthur ميناء في شمالي الصين (منشوريا) احتله الروس ١٨٩٨، خلال الحرب اليابانية الروسية، فحاصر اليابانيون الأسطول الروسي واضطروا الروس إلى الجلاء، في النهاية، عن منشوريا، سنة ١٩٠٥

(٢) شجاع.

(٣) جيش.

أوقعَ الــرُّعبَ في قــلــوب الــضَّــواري
فــاسْــتــكَــانتْ كــأنــهــا في قــيــود
أصــبــحتْ تــهــجــرُ المــيــاه وكــانت
لا تــرى المــاءَ غــيــرَ مــاءِ الــورود
خــــافــــقَــــاتٍ أعلامُـهُ، أرأيــــتمْ
كـقـلـوبِ الـعـشَّـاقِ عـنـد الـصُّـدود؟
قــادَهُ ذلك الــغــضــنــفــرُ «تــوجي»[1]
ويــنــاطُ الحــســامُ بــالــصِّــنــديــد ..
رجلٌ دونَهُ الــرجــالُ مــقــامــاً
مُــشْــبِهٌ في الأنــام بــيتَ الــقــصــيــد
كلُّ ســيفٍ في غــيــرِ قــبــضــةِ «تــوجي»
فــهْــو عــنــد الــسيــوفِ غــيــرُ حــديــد
يــا يَــراعي سَلْ «بــورت آرثــرَ» عــنه
إنَّ تــلك الحــصــون خــيــرُ شــهــود
مــعــقلٌ أصــبــحتْ جــحــافلُ «هــيــتــو»[2]
حــولَه كــالــعُــقــودِ حــولَ الجِــيــد
هــجــمــوا هــجــمــةَ الــضــراغم لــمّــا
حــســبُــوهــا فــريــســةً للأُسُــود
وتــعــالى الــضَّــجــيجُ للأفْقِ حــتَّى
كــاد ذاك الــضَّــجــيجُ بــالأفقِ يُــودي
وتــوالى هــجــومُــهُمْ، والمــنــايــا
ضــاحــكــاتٌ، فــيــا لــهــا من صَــيــود!
كَمْ جــريحٍ مُــضــرَّجٍ بــدمــاهُ
وقــتــيلٍ عــلــى الــثَّــرَى ممــدود

(١) قائد ياباني.
(٢) امبراطور اليابان.

وأســـيـــرٍ إلى أســـيـــرٍ يُـــســـاقُـــو
نَ تـبـاعـاً إلى الـشَّـقـاء الـعـتـيـد
أمـــطَـــرتْـــهُمْ مـــدافعُ الـــروسِ نـــاراً
أصـبـحـوا بـعـدهـا بـغـيـرِ جُـلـود
دامتِ الحـــربُ أشـــهـــراً كـــلَّـــمـــا قِـــيْ
ـلَ خَـــبَتْ نـــارُهـــا ذَكتْ من جـــديـــد
والمـــنـــايـــا تحـــومُ حـــولَ الـــسَّـــرايـــا
حَـومـةَ الـعـاشِـقـينَ حـولَ الـغِـيـد
حـــيثُ حظُّ الـــمِـــقْـــدامِ مـــثلُ ســـواهُ
وكَـــحَظِّ الـــكـــبـــيـــرِ حظُّ الـــولـــيـــد
صَـبَـرَ الـروسُ صـبْـرَ أيـوبَ لـلـبَـلْ
ـوَى عـلـى ذلك الـعـدوِّ الـعـنـيـد
غـــيـــرَ أنَّ الأيـــامَ طـــالتْ و«ســـتـــو
سلَ»[1] يُـمـني أجـفـانه بـالـهُـجـود
فـتـولاهمُ الـقـنـوطُ من الـنَّـصْـ
ـرِ فـردُّوا أسـيـافَـهُمْ لـلـغُـمـود
كـان هـذا لـلـصُّـفْـرِ عـيـداً وعـنـد الـرْ
ـروس ضـربـاً من الـلـيـالي الـسُّـود
قـلـعـةٌ صـانـهـا الـزمـانُ فـلـولا
كَـيـدُ «تـوجي» لـبُـشِّـرَتْ بـالخُـلـود

✱✱✱✱

(١) قائد روسي.

٢٥ ـ بلا قلب

[الطويل]

وقـــائـــلـــةٍ: مـــاذا لـــقـــيتَ من الحبِّ
فقلتُ:الردى والخوفُ في البُعدِ والقربِ
فـقـــالت: عـــهـــدتُ الحبّ يُـكـسب ربَّهُ
شـــمـــائلَ غُـــرّاً لا تُـــنـــال بلا حب
فـقـلت لـهـا: قـد كـان حـبَّـاً فـزادَهُ
نـفـورُ المـهـا «راءً» فـأمـسـيتُ في حـرب
وقـــد كـــان لي قـــلبٌ وكـــنتُ بلا هـــوًى
فـلـمَّـا عـرفتُ الحبَّ صِـرتُ بلا قـلب

✱✱✱✱

٢٦ - لقاء وفراق

[البسيط]

صبراً على هَجْرها إن كان يُرضِيها
غيرُ المليحةِ مملولٌ تَجنّيها
فالوصلُ أجملُه ما كان بعد نوًى
والشمسُ بعد الدُّجى أشهَى لرائيها
أسلمتُ للسُّهد طرْفي والضنى بدَني
إن الصبابةَ لا يُرجَى تلافِيها
إن النساءَ إذا أمرضْنَ نفس فتًى
فليس غيرُ تدانيهنَّ يَشفِيها
فاحذرْ من الحبِّ إن الريحَ ما خَفيتْ
لولا غرامٌ عظيمٌ مُختَفٍ فيها
يمضي الصَّفاءُ ويبقى بعدَهُ أثرٌ
في النفسِ يؤلمها طوراً ويُشجِيها
مرَّتْ ليالٍ بنا ما كان أجملَها!
تمَّتْ، فمَا شَانها إلا تلاشِيها
تلك الليالي لا أرجو تذكُّرَها
خوفَ العناء، ولا أخشى تناسيها
أصبو إليها، وأصبو كلّما ذُكِرَتْ
عنديَ اشتياقاً إلى مصرٍ وأهليها
أرضٌ سماءُ سِواها دونَها شَرَفاً
فلا سماءٌ ولا أرضٌ تحاكيها

رَقَّتْ حَواشيُّها واخْضرَّ جانبُها
وأجملُ الأرضِ ما رقَّتْ حَواشِيها
كأنَّ أهرامَها الأطوادُ باذخةً
هذي الى جنبها الأخرى تُساميها
كأنها كعبةٌ حجَّ الأنامُ لها
لولا التُّقَى قلت فيها: جلّ بانيها
ونِيلُهَا العذْبُ ما أحلى مناظرَهُ
والشمسُ تكسوه تِبراً في تواريها
وما أُحَيلَى الجواري[1] الماخِراتِ به
تُقلّ من أرضه أحلَى جَواريها
مِن كلِّ رُعْبُوبَةٍ[2] عَبْلٌ[3] روادفُها
تأبى القعودَ فتأبى أن تجاريها
ضحُوكَةِ الوجهِ يُغرينا تَبَسُّمُها
إن نجتديها ويَثنينا تثنّيها
وناهدٍ حُجِبتْ عن كل ذي بصَرٍ
حُشاشَتي خِدرُها والقلبُ ناديها
في كل جارحةٍ مني لها أثرٌ
«والدارُ... صاحبُها أدرى بما فيها»
وفي الكواكب جزءٌ من محاسنها
وفي الجآذرِ[4] جزءٌ من معانيها
إن عنَّفوني فإني لا أعنِّفُها
وإنْ أُسَمِّ فاني لا أسمِّيها

(١) المراكب.
(٢) البيضاء الناعمة.
(٣) ممتلئة.
(٤) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية، عيناه جميلتان.

يمَّمْتُها ونجومُ الأفقِ تلحَظُني
في السير شَزراً كأني من أعاديها
كادتْ تَساقَطُ غيظًا عندما علِمتْ
أني أؤمُّ التي بالنفس أَفديها
أسْرِي إليها وجنحُ الليل مضطربٌ
كأنه مشفِقٌ ألاّ ألاقيها
والشوقُ يدفعُني، والخوفُ يدفعني
هذا إليها، وهذا عن مغانيها
أطوي الدياجي وتَطويني على جزَعٍ
تخشى افتضاحي وأخشى الصبحَ يطويها
فما بلغتُ مغاني مَن شُغفتُ بها
إلا وقد بلغتْ نفسي تَراقِيها[1]
هناك ألقيتُ رَحْلِي وانتحيتُ إلى
خَوْدٍ[2] يرى الدُّميةَ الحسناءَ رائيها
بيضٌ ترائِبُها[3] ، سودٌ ذوائِبُها
زُجٌّ[4] حواجبها كُحلٌ مآقيها
نهودُها من ثنايا الثوب بارزةٌ
كأنها تشتكي مما يواريها
والثوبُ قد ضاق عن إخفائها فنَبَا
عنها، فيا ليتني بُردٌ لأحميها
وتحت ذلك خَصرٌ يَستقلُّ به
دِعصٌ[5] تَرجْرَجَ حتى كاد يلقيها

---

(١) الترقوة: العظم الواصل بين ثُغرة النحر والعاتق. وجمعها التراقي.
(٢) الشابة الحسناء.
(٣) الترائب: موضع القلادة من الصدر (المفرد: تريبة).
(٤) زججت المرأة حواجبها: دققتها وطوّلتها.
(٥) الرمل.

قـامت تُـصـافـحُـني والـرِّدفُ يمـنَـعُـهـا
والـوجـدُ يـدفـعُـهـا والـقـدُّ يَـثـنـيـهـا
دُهـــشتُ حـــتى كـــأني قطُّ لم أرهـــا
وكـــدتُ واللـهِ أنـــسى أن أُحَـــيِّـــيـــهـــا
بـاتتْ تـكـلـمُـني مـنـهـا.. لـواحـظُـهَـا
بمـــا تـــكنّ وأجـفَـاني تُـنـاجـيـهـا
حـتى بـدا الـفـجـرُ واعـتـلّتْ نـسـائـمُه
وكـاد يـنـشُـرُ أسـراري ويـفـشـيـهـا
بـكتْ دمـوعـاً وأبـكـتـني الـدمـوعُ دمـاً
ورحتُ أكـتُم أشـيـاءً وتـبـديـهـا
كـأنـهـا شـعـرتْ في بُـعـدنـا أبـداً
فـأكـثـرتْ من ودَاعي عـنـد واديـهـا
فـمـا تـعَـزَّتْ بـأنّ الـدهـرَ يـجـمـعُـنـا
يـومـاً، ولا فـرحتْ أني أمـنّـيـهـا
تـقـولُ والـدمعُ مـثلُ الـطلِّ مـنـتـثِـرٌ
عـلى خـدودٍ خـشـيتُ الـدمع يُـدمـيـهـا:
وَا لَـهْفَ نـفـسي عـلى أُنسٍ بلا كـدَرٍ
تُـرى نـنـال من الـدنـيـا أمـانـيـهـا؟
فـقـلت: صـبـراً عـلى كـيـد الـزمـان لـنـا
فـكلُّ حَـافـرِ بـئـرٍ واقـعٌ فـيـهـا

✱✱✱✱

٢٧ ـ بنت الفرقدين [١]

[الطويل]

أزورُ فَتَقصِينَ[٢] وأنأَى فتَعْتِبُ
وأوهَمُ أني مذنبٌ حين تَغضَبُ
وأرجو التَّلاقي كلّما بخِلْتِ به
كذلك يُرجى البرقُ والبرقُ خُلَّب
وأعجبُ من لاحٍ[٣] يُطيل مَلامَتي
ويَعجَبُ مني عاذلي حين أَعجَب
هوالبخلُ طبعٌ في الرجال مُذمَّمٌ
ولكنه في الغِيدِ شيءٌ مُحَبَّب
كلِفْتُ بها بيضاءَ سَكْرَى من الصِّبا
وما شربتْ خمراً ولا هيَ تَشرب
لها الدُّرُّ ثغرٌ واللجَينُ ترائبٌ[٤]
وشمسُ الضحى أمٌّ وبدرُ الدُّجى أب
خليلَيّ أمَّا خدُّها فمورَّدٌ
حياءً وأمَّا ثَغرُها فهْوَ أشْنَب[٥]
لئن فرّقتْ بين الغواني جمالَها
لدام لها ما يَجعلُ الغيدَ تَغضب

---

(١) الليل والنهار.
(٢) قصا يقصو: بعُد.
(٣) لائم.
(٤) موضع القلادة من الصدر (المفرد: تريبة).
(٥) الشنب: بياض الأسنان وبرودتها.

ولـو أنَّ رهـبـانَ الـصَّـوامـعِ أبـصـرُوا
ملاحَـتَـهـا، والـلـهِ، لـم يـتـرهَّـبُـوا
تُـكَـلِّـفِـني في الحبِّ مـا لا أطـيـقُه
وتـضـحكُ إمّـا جـئـتُـهـا أُتَـعَـتَّب
أ فَـاتِـنَـتي حـسْبُ المـتـيَّمِ مـا به ..
وحـسـبُكِ أني دون ذنْبٍ أُعـذَّب
أحـبُّكِ حبَّ الـنـازحِ الـفـرْدِ أهـلَهُ
فـهل مـنكِ حبُّ الأهلِ مَن يـتـغـرَّب
وهَـبـتُكِ قـلـبي واسْـتَـعـضْتُ به الأسى
وهـبـتُكِ شـيـئـاً في الـورَى لـيس يُـوهَب
فـإن يكُ وصلٌ فـهْـوَ مـا أتـطـلَّبُ
وإن يكُ بُـعْـدٌ فـالمـنـيَّـةُ أقـرب

✱✱✱✱

٢٨ ـ أخت ليلى

[الكامل]

ولـقـدْ عَـلِـقتُ من الحِسَـانِ مـلـيـحـةً
تحــكي الــهلالَ بــحــاجبٍ وجَــبــينِ
كـلِـفتْ بـهـا نـفـسي ودونَ وِصـالـهـا
وصْلُ المــنُــونِ، وثَمّ لــيثُ عــرين
حـسـنـاءُ أضـحى كلُّ حُسنٍ دونَـهـا
ولِـذاك عُـشّـاقُ الـمَـحـاسنِ دوني
قــد رُوِّعتْ حـتى لَـتَـخـشى بُـرْدَهـا
من أن يـبـوحَ بـسـرّهـا المـكْـنُـون
وَتُـريـبُـهـا أنـفـاسُـهـا، ويُـخـيـفُـهـا
عـنـد الـلـقـاء تـنـهُّـدُ الـمَـحـزون
هـجـرتْ فـكلُّ دقـيـقـةٍ من هَـجْـرهـا
عـنـدي تُـعـدّ بـأشـهـرٍ وسـنـين
يـا هـذه! لا تجـحـدي حـقِّي فـقـد
أصْـلـيتِ قـلـبي بـالـنّوى فـصِـلـيـني
أطـلـقتِ دمـعـاً كـان قـبلُ مـقـيَّـداً
وسـجـنتِ قـلـبـاً كـان غـيـرَ سـجـين
أشـبـهتِ «لـيـلى الـعـامـريّـةَ «فـاكـتُـمي
خـبـر الـذي قـد صـار كـالمجـنـون[1]

✱✱✱✱

(١) ليلى العامرية معشوقة قيس الذي فتن بها ورفض أهلها زواجها منه، فأصابه الجنون حتى اشتهر به.

٢٩ـ طبيبي الخاص

[الرّمل]

بتُّ أرعَى في الظَّلام الأنجُمَا
ليس للعشَّاقِ حظٌّ في الكَرَى

صرعتْني نظرةٌ حتى لقد
كدتُ أن أَحسُدَ من لا يُبْصِرُ
نظرةٌ قد أورثتْ قلبي الكمدْ
ما بلاءُ القلبِ إلا النظرُ
لا رعاكَ اللهُ يا يومَ الأحدْ
لا ولا حيّاك عنّي المَطَر
أنتَ من أطلعْتَ هاتيكَ الدُّمى
سافِراتٍ فتنةً للشُّعَرا

هِمتُ في من حَسُنتْ صورتُها
مثلما قد حسُنت منها الخصالْ
أخجلتْ شمسَ الضحى طلعتُها
واستحى من لحظِها لحظُ الغزال
كل ما فيها جميلٌ يُشتهَى
ما بها عيبٌ سوى فرْطِ الجمال
لو رآها لائمي فيها لما
لامني في حبّها، بل عَذَرا

ذاتُ حـــسنٍ خـــدُّهـــا كـــالـــورد في
لـــونهِ والـــطِّـــيبِ فـي نـــكـــهـــتهِ
زهـــرةٌ لـــكـــنّـــهـــا لم تُـــقْـــطفِ
وجـــمـــالُ الـــزّهـــرِ في روضـــتِهِ
درّةٌ مـــــا أُخـــــرِجتْ من صـــــدف
تُـــرخِصُ الـــدّرَّ عـــلى قـــيـــمـــتِهِ
بَـــضَّـــةُ الخَـــدينِ والـــنَّـــهـــدينِ، مـــا
ســـفـــرتْ إلا رأيتَ الـــقـــمـــرا

ذاتُ شَـــعْـــرٍ مُـــسْـــبَلٍ كـــالأُفْـــعُـــوَانْ
يـــتـــهـــادى فـــوقَ رِدفٍ كـــالـــكـــثـــيبْ
وقَـــوامٌ لـــو رآه الـــغـــصنُ بـــانْ
خـــجلاً من ذلك الـــغُـــصنِ الـــرطـــيب
كـــاد لـــولا مـــا به من عُـــنـــفـــوانْ
يـــقفُ الـــوُرقُ به والـــعـــنـــدلـــيب[1]
وجـــفـــونٍ أشـــبـــهـــتـــني سَـــقَـــمـــا
كـــمَنَ الـــسّـــحـــرُ بـــهـــا واســـتَـــتَـــرا

تـــبـــعَثُ الحبّ إلى قـــلب الخَـــلِيّ
وهـــو لا يَـــدري ولا يَـــســـتـــشـــعـــرُ
والـــهـــوَى في بَـــدْئه عـــذبٌ شـــهِيّ
كلُّ شـيءٍ بـــعـــدَه مـــحـــتـــقَـــرُ
كلُّ مَن لا يـــعـــرف الحبَّ شَـــقِيّ
لا يـــرى في دهـــرِه مـــا يُـــشـــكَـــرُ

(١) الورْق: الحمائم (الورقاء)، والعندليب: الهزار من الطير.

يــصْــرِفُ الــعــمْــرَ ولــكنْ ســئِــمــا
عــبــثــاً يَــطــلــبُ ألا يَــضْــجَــرا

لم أكنْ أعــرفُ مــا مــعــنى الــهــنــا
قــبلَ أن أعــرفَ مــا مــعــنى الــغــرامْ
يــضــحكُ الــنــاسُ ســروراً وأنــا
عــابسٌ حــتى كــأني في خِــصــامْ
عَــجِــبــوا مــني وقــالــوا عــلَّــنَــا:
قــد رأيــنــا الــصَّــخــرَ في زِيِّ الأنــام
أوشــكــوا أنْ يــحــســبــوني صــنَــمَــا
لــو رأوا[1] الأصــنــامَ تُــخــفِي كَــدَرا

لــم أزلْ في رِبْــقــةِ الــيــأسِ إلــى
أن أعــادَ الحبُّ لي بــعضَ الــرَّجــا
كــنتُ قــبل الحبِّ أَســري في ظَلا
مٍ ولا ألــقَــى لــنــفــسي مَــخْــرجــا
فَــجَــلاهُ الحبُّ عــنّي فــانجــلَى
مــثــلــمــا يــجــلــو ســَنــا الــشَّــمسِ الــدُّجَى
بــاتَ قــلــبي بــالأمــاني مُــفْــعَــمَــا
وهــوَ قــبلاً كــان مــنــهــا مُــقْــفِــرا

روّعــتْــنِي بــالــنَّــوَى بــعــد الــلــقــاءْ
وكــذا الــدُّنــيــا دنــوٌ وافــتِــراقْ

(١) يلزم أن تُقرأ: رؤوا، للضرورة.

غـضِبَ الـدهـرُ عـلى كـأسِ الـصَّـفَـاءْ
مُـــذ رآهـــا فـــأبى ألاّ تُـــراقْ
ولــو اَنَّ الــدَّهــرَ يــدري بــالــشَّــقــاءْ
ســاعــدَ الــصبَّ عــلى نَــيل الــتَّلاق
لم أجـد لي مُـشـبِـهـاً تحت الـسـمـا
في شَــقَــائي لا ولا فــوق الــثَّــرَى!

وأبي! لـــو أنَّ مـــا بي بـــالجـــبـــالْ
أصـبـحتْ تـهـتـزّ من مَـرِّ الـنـسـيمْ
فـــاعـــذروني إن أكنْ مـــثلَ الخـــيـــالْ
واعــذُلــوني إن أكنْ غــيــرَ سَــقــيم
إنّ دائـي جـــــاء مـن صـــــادٍ ودالْ
ودواءُ الـــقـــلبِ في ضَـــادٍ ومِـــيم
بـات صـبـري مـثلَ جـسـمي عَـدَمـا
إنّــمــا يــصــبِــرُ مَن قــد قَــدَرا

رُبَّ لـيلٍ عـادَنِي فـيه الـسُّـهـادْ
ونــأى عن مُــقْــلَــتي طِـيبُ الـكَـرى
هـاجتِ الـذكـرى شُـجـونـاً في الـفـؤاد
فـبـكى طَـرْفي عـقـيـقـاً أحـمـرا
نــبَّهَ الأهلَ بــكــائي والــعــبــادْ
فـأتَـوا يـسـتـطـلـعـونَ الخَـبَـرا
قـلت: داءٌ في الـفـؤاد اسْـتـحـكَـمـا
كـاد قـلـبي مـنه أن يـنـفـطِـرَا

صـــدّقـــوا مـــا قـــلـــتُه ثم مـــضَى
واحـــدٌ مـــنـــهمُ يَـســـتـــدعي الـطـبـيبْ
ســـار والـــكلُّ عـــلى جـــمـــرِ الـغَـضَـا
وأنـــــا بـــــين أنـــــينٍ ونَـــــحـــــيبْ
لـم يـــكـن إلا كـــبـــرقٍ ومَـــضَـــا
وإذا (الـــدكـــتـــورُ) مِن مَـــهـــدِي قـــريبْ
قـــال لـــلـــجـــمـــهـــور: مـــاذا الاجـــتِـــمَـــاع؟
اخـــرجـــوا أوْ زدتـــمُـــوه خَـــطَـــرا

خـــرجَ الـــكلُّ فـــأمـــسَتْ غـــرفـــتي
مـــثلَ قـــلـــبِ الـــطِّـــفلِ أو جَـــيبِ الأديبْ
فَـــدَنـــا يـــســـألـــني عن عـــلّـــتي
وأنـــــا أســـــمـــعُ لـــــكن لا أُجـــــيبْ
فـــنَـــضَـــا الـــثـــوبَ فـــأبـــصـــرتُ الـــتي
كـــاد جـــســـمي في هـــواهـــا أن يـــغـــيب
خـــلـــعتْ عـــنـــهـــا لـــبـــاسَ الحُـــكَـــمَـــا
فـــرَأتْ عـــيـــنـــايَ بـــدراً نـــيّـــرا

واعْـــتَـــرتْـــنِي دهـــشـــةٌ لـــكـــنـــهـــا
دهـــشـــةٌ ممـــزوجـــةٌ بـــالـــفـــرحِ
كِـــدتُ أن أخـــرجَ عن طَـــور الـــنُّـــهَى
رُبَّ سُـــكـــرٍ لم يـــكن من قَـــدَحِ
يـــا لـــهـــا من ســـاعـــةٍ لـــو أنـــهـــا
بـــقـــيتْ كـــالـــدهـــر لم تُـــســـتـــقـــبح

عـــانـــقـــتْـــنـي وأنـــا أبـــكي دمًـــا
وهْيَ تـــبـــكي لـــبُـــكـــائي دُرَرا

وجـعـلـنـا بـعـد أن طـال الـعـنـاقْ
نـتـنـاجَى بـأحـاديث الـقـلـوبْ
بـيـنـمـا نـحنُ عـلى هـذا الـوفـاقْ
قُـرِع الـبـابُ فـأوشـكـنـا نـذوبْ
فـأشـارتْ ليَ: قـد حـانَ الـفـراقْ
فـانـقـطـعـنـا وارتـدتْ ثـوبَ الـطـبـيب
أقـبل الـقـومُ فـقـالت: كلُّ مـا
كـان يـشـكـو مـنـه عـنه قـد سَـرَى

✱✱✱✱

٣٠. حنّة مشتاق

[الطويل]

ألا أيـهـا الـبـاكي فـديـتُكَ بـاكـيـا
عـلامَ وفـيـمـا تـسـتَـحثّ المـآقِـيـا؟
رويـدكَ مـا أرضى لك الحـزنَ خُـلّـةً
وهـيـهـاتَ أن أرضـاكَ بـالحـزن راضِـيـا
يـعـنّـفُـنِي من كـنتُ أدعـوه صـاحـبـاً
فـمـا انـفكَّ حـتى بتُّ أدعـوه لاحـيـا
دعـوتُ لـربِّـي إنْ دعـانـيَ لائمٌ
ولم أعصِ ألا يـسـتـجـيبَ دُعـائـيـا
لـقـدْ أرخصَ الـعُـذَّالَ عـنـديَ قـولُـهم:
إذا هَـمَتِ الـعـيـنـانُ أرخـصْتَ غـالـيـا
أأمـنـعُ مـاءً مـا يُـروِّي أخـا صَـدًى
وقـد كـنتُ لا أحـمي المـنـاهلَ صَـادِيـا[1]
عـليَّ الـبُـكـا والـنـوحُ ضـربـةَ لازبٍ
وإنّي لأبـكي أنـنـي لـسـتُ بـاكـيـا
وكـيفَ ارتـيـاحي بـعـد هـنـدٍ وبـيـنـنـا
مَـهَـامِهُ[2] لا تـلـقى بـهـا الـريحُ هـاديـا
يظلُّ بـهـا السِّرحانُ[3] يـعـوي من الطَّوَى
نـهـاراً ويـطـوي لـيـلَهُ الخـوفُ طـاويـا[4]

---

(١) عطشان.(صَدِيَ – يصدى).
(٢) قفار ومفازات واسعة (مَهْمه).
(٣) الذئب.
(٤) جائعاً.

لـقـد كـنتُ أخـشى أن يُـفَـرَّقَ بـيـنـنـا
فـأصـبـحتُ أخـشى الـيـومَ ألاّ تلاقِـيـا
فـيـا مَن لِـقـلـبٍ لا تـنـامُ هـمـومُه
ويـا مَن لـعـينٍ مـا تـنـامُ الـلـيـالـيـا
رأيتُ الـلـيـالي مـا تـزالُ تَـروعُـني
بـأحـداثـهـا، مـا لـلـيـالي ومـا لِـيـا!
ولم يـبقَ عـنـد الـدهـر خـطْبٌ أخـافُهُ
فـكيف اعتذارُ الـدهـرِ إنْ رحتُ شـاكيا؟
إذا لم تـكنْ لي آسِـيـاً أومـؤاسـيـاً
فلا تكُ لـوّامـاً، وذرْني ومـا بِـيَـا
فـإنّي رأيتُ الـلـومَ يُـذْكِي صَـبَـابـتي
كـذاك عَـهـدتُ الـزَّنـدَ بـالـقَـدْحِ وارِيـا[1]
ألا حـبـذا مِن سـالفِ الـعـيش مـا مـضَى
ويـا حـبّـذا لـو كـان يَـرجعُ ثـانـيـا
زمـانٌ كـقـلب الـطـفل صـافٍ وكـالـمُـنى
لـذيـذٌ ولـكن كـان كـالحُـلم فـانـيـا
أحِنُ إلـيه فـي الـعَـشِيِّ وفي الـضُّـحَى
حـنـينَ غـريبٍ جـاءه الـشـوقُ داعـيـا
وأذكُـرُه ذكـرى الـعـجـوزِ شـبـابَـهـا
وأبـكي لـدى ذكـراهُ أحـمـرَ قـانـيـا
ولـولا أمـورٌ في الـفـؤاد أُسِـرُّهـا
جـعـلتُ عـلـيه الـدهـرَ وقْـفـاً لِـسَـانـيـا
خـلـيـلـيَّ أعـوامُ الـسُّـرور دقـائقٌ

(١) الزَّند: العود الذي يُقدَح به. والواري: المشتعل.

وأيـــامُه كـــادت تـــكـــونُ ثـــوانـــيـــا
وأجـملُ أوقـاتِ الـفـتى زمنُ الـصِّـبـا
وخـيْـرُ الـصِّبـا مـاكـان في الحبّ نـامـيا
رعى الـلهُ أيـامي الـتي قـد أضـعـتُـهـا
فـكـنتُ كـأني قـد أضـعتُ فـؤاديـا
لـيـاليَ لا «هـنـدٌ» تُـصـدِّق واشـيـاً
ولا هي تـخـشى أن أصـدِّقَ واشِـيـا
ويـا طـالمـا بِـتْـنـا ولا ثـالثٌ لـنـا
سـوى الـراحِ نُدنـيـهـا فـتُدْنَى الأمـانـيا
ودارَ حـديثُ الحبِّ بـيـنـي وبـيـنـهـا
فـطَـوراً مـنـاجـاةً وطـوراً تـشَـاكِـيـا
ألم تـرَ أني قـد نـظـمتُ حـديـثَـهـا
لآلئَ غـنَّـاهـا الـرواةُ قـوافِـيـا
تـولَّى زمـانُ الـلـهـوِ كـالـطَّـيفِ في الـكَـرَى
فـلـستَ تـراني بـعـدَهُ الـدهـرَ لاهِـيـا
سـئـمتُ لَـذاذاتِ الحـيـاةِ جـمـيـعَـهـا
ولـو رضـيتْ هـنـدٌ سـئـمتُ شـبـابـيـا
سلامٌ عـلـى «هـنـدٍ» وإن فـات مَـسـمَـعِي
سـلامُ الـتي أُهـدي إلـيـهـا سلامـيـا
تـرى عـنـدهـا أني عـلـى الـعـهـد ثـابتٌ
وإن يكُ هـذا الـبَـيـنُ أوْهَـى عـظـامِـيَـا
فَـوالـلهِ مـا أخـشى الحِـمَـامَ عـلـى الـنَّـوى
ولـكـنَّـنِي أخـشـى خـلـوديَ نـائِـيَـا

✱✱✱✱

٣١ـ الحُسْن لا يُشرى ولا يُسْتجلَب

[الكامل]

سَـفَـرتْ فـقـلتُ لـهـا: أهـذا كـوكبُ؟
قـالت: أجَلُّ وأين مـنِّي الـكـوكبُ؟
وتـبـسّـمتْ فـرأيتُ رِئـماً[١] ضـاحـكـاً
عن لـؤلـؤٍ، لـكـنَّهُ لا يُـوهَب
وتـمـايـلتْ فـالـسّـمْـهَـريُّ[٢] مـصـمِّمٌ
ورنَتْ فـأبـصـرتُ الـسِّـهـامَ تُـصـوَّب
أنـشـبتُ ألحـاظِي بـورْدِ خُـدودِهـا
لـمّـا رأيتُ لِـحـاظَـهـا بي تُـنـشَب
قـد كـلَّـمتْ قـلـبي ولم تَـرْفُقْ بهِ
واللـحظُ، لـو درَتِ المـلـيـحَـةُ، مِـخْـلَب
بـيـضـاءُ نـاصـعـةٌ كـأن جـبـيـنَـهـا
صُـبحٌ، وطُـرّتَـهـا عـلـيه غَـيْـهَب
يـا طـالمـا اكْـتَـسبَ الحـريـرُ مَلاحَـةً
مـنـهـا، ويُـكـسِبُ غـيـرَهـا مـا يُـكسِب
ولـطـالمـا بـعضُ الـنـسـاءِ حَـسَـدنَـهـا
ولـطـالمـا حـسـدَ الـسـلـيمَ الأجـرب
بـين الـطِّلاء وبـيـنـهنَّ قَـرَابـةٌ
مـشـهـورةٌ، عـنـهـا الجـمـيـلـةُ تَـنـكُب[٣]

---

(١) الظبي الخالص البياض.
(٢) الرمح.
(٣) تعدِل عنها.

إن الملاحَـــةَ عـــنـــدهـــا عـــربـــيـــةٌ
وجـمـــالُ هـــاتـيك الـدُّمَى مُـسْـتَـعـرِب
قلْ لـلـــغـــواني: إنـــهـــا خُـلـقتْ كـذا
الحُـسنُ لا يُـشْـرَى ولا يُـســتَـجـلَب
فـــإذا بـلـــغـتنَّ الجـمـــالَ تَـطَـرّيـاً[1]
فـاعـلـمْنَ أن بـقـاءَه مُـســتَـصْـعَب
هـيـهـاتَ، مـا يُـغـنِي الملاحَ الحسنُ إن
كـــانت خلائـــقُـــهنَّ لا تُـــســـتَـــعـــذَبُ
إني بَـلـــوتُ الـغـانـيـات فـلم أجـــدْ
فـــيـــهنَّ قطُّ مـــلـــيـــحـــةً لا تَـكْـذب
وصَـحِبتـهنَّ فـما استفدتُ سِوى الأسَى
مـا يُـسْـتـفـادُ من الـغـواني يُـتْـعِب
وخَـبِـرْتُـهُنّ فـمـا لـبِـكـرٍ حُـرمَـةٌ
تُـــرعى، وأغـــدَرُ مَن رأيتُ الـــثَّـــيِّب
لا يـــخـــدعـــنَّكَ ضَـــعْـــفُـــهُنَّ فـإنمـا
بـالـضَّـعفِ أهـلـكتِ الـهـزبـرَ[2] الأرنبُ!

****

(١) صناعة التجميل.
(٢) الأسد.

٣٢ - أنا إمام الذين هاموا

[مخلع البسيط]

لُـــمـــني إذا حُـــلتُ عن عُـــهـــودي
ولا تَـــلُـــمْـــني عـــلى هُـــيَـــامي
مـــا كـــنتُ أخـــشى من المـــنـــايـــا
فـــكـــيف أخـــشى من الـــمَلام؟
قـــد نـــزلَ الحبُّ في فـــؤادي
ضَـــيـــفـــاً ولـــكنْ عـــلى الـــدوام
فـــبـــاتَ قـــلـــبي له طـــعـــامـــاً
وبِتُّ أنـــأى عن الـــطـــعـــام
أعـــدَى غـــرامي الـــنـــجـــومَ حـــتى
أســـهـــرَهـــا من الـــدُّجى غَـــرامي
لـــو تـــعـــرِفُ الـــشـــمسُ مَـــا الـــهَـــوَى لم
تـــبِنْ لـــطَـــرْفٍ من الـــسَّـــقَـــام
أصـــابَ ســـهمُ الـــفـــراقِ قـــلـــبي
وأخـــطـــأتْ قـــلـــبَهُ سِـــهَـــامي
وكـــان خـــوفي من الـــتـــنـــائي
خـــوفَ كـــفـــيفٍ من الـــتِّـــرام[1]
إنَّ فـــراقَ الحَـــبـــيبِ عـــنـــدي
أشـــدُّ وقـــعـــاً من الحِـــمَـــام
لـــو يـــبـــعُـــدُ الـــبـــعـــدُ عن حـــبـــيبٍ
مـــا عَنَّ يـــومـــاً لِـــمُـــســـتَـــهَـــام

(١) كانت الإسكندرية حديثة العهد بوجود الترام, ومن هنا كان خوف الأعمى شديداً لقرب عهده به.

أنـــا إمَـــامُ الـــذين هَـــامُـــوا
وأيُّ قـــــــــومٍ بـلا إمـــــــــام؟
فـــلـــيس قـــبـــلي ولـــيس بـــعـــدي
ولا ورائـــي ولا أمَـــــــــــــامـــي

✷✷✷✷

٣٣ ـ الرزء الأليم

[البسيط]

في رثاء الشيخ إبراهيم اليازجي

عَـدِمتُ قـلـبيَ إذ لم يَـعـدَم الجـلَـدا
ونـالَ نـفـسي الـردَّى إن لم تـذُبْ كَـمـدَا
آهـاً ولـو نـفَـعتْ «آهًـا» أخَـا شَـجنٍ
لم يـبْـتغِ غـيـرَهـا، عـنـد الأسَى، عَـضُـدا
آهَـاً ولـو لم يـكنْ خَـطْبٌ ألمّ بـنـا
مـا سـطَّـرتْـهـا يـدي في كـاغُـدٍ[1] أبـدا
المـرءُ مـجـتـهـدٌ والمـوتُ مـجـتـهـدٌ
أن لـيس يَـتـرُك فـوق الأرض مُـجْـتـهـدا
سـاوى الـرضـيـعُ به مَن شـاب مـفـرِقُه
والـعـبـدُ سـيّـدَه والـثـعـلبُ الأسـدا
قـد غـادر الـفـضلَ بـالأحـزان مـنـفـرداً
من كـان بـالـفـضل دون الـنـاس مـنـفـردا
مـات الـبـيـانُ بمـوت «الـيـازِجيّ» فـمن
لم يـبكِ هـذا بـكى ذاك الـذي فُـقِـدا
والـلـهِ مـا ولَـدتْ «حـواءُ» أطـهـرَ من
هـذا الـفـقـيـدِ فـؤاداً، لا ولن تـلِـدا!
ابن «الـضـيـاء»[2] الـذي زانَ الـبلادَ كـمـا
يُـزيِّنُ الـبـدرُ في جُـنـح الـدُّجى الجِـلِـدَا[3]

---

(١) الورق.
(٢) اسم المجلة التي كان اليازجي يصدرها.
(٣) جِلْد السماء أديمُها في سفر التكوين !

أين الـيـراعُ الـذي قـد كـان يُـطْـرِبُـنـا
صَـريـرُه في أديمِ الـطِّـرْسِ مُـنـتـقِـدا
وأين أينَ ســجــايــاهُ الــتـي حُــسِــدَتْ
من أجـلِه، وكـذا من أجـلِـهـا حُـسِـدا
حقٌّ عـلى الـعـلم أن يَـبـكي عـلـيه كـمـا
يـبـكي الـشَّـقـيقُ أخـاً والـوالـدُ الـولَـدا
أقـسـمتُ مـا اهـتـزّ فـوق الـطَّرْسِ لـي قـلمٌ
إلا جــعــلتُ له من مَــدْمَــعي مَــدَدا
ولا اتَّـخـذتُ أخـاً في الـدهـر يـؤنـسُـنِي
بـعـدَ الخـلـيلِ سِـوى الحـزنِ الـذي وُجِـدا

✱✱✱✱

٣٤ - الخطبُ الفادح

[الكامل]

رثى بها المغفور له الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية[١]

هـيـهـاتَ بَـعـدَكَ مـا يُـفـيـدُ تَـصـبُّـرُ
ولـئن أفـادَ فـأيُّ قـلـبٍ يَـصـبِـرُ؟
إنَّ الـبـكـاء من الـرجـال مُـذَمَّمٌ
إلا عـلـيكَ فـتَـركُهُ لا يُـشـكَـر
لـو كـان لي قـلبٌ لـقـلتُ له ارْعَـوِ
إنّي بـلا قـلـبٍ فـأنّى أُزجَـر؟
لازَمتُ قـبـركَ والـبـكـاءُ مُلازمِي
والـلـيلُ داجٍ والـكـواكبُ سُـهَّـر
أبـكي عـلـيك بـأدمعٍ هـطّـالـة
ولـقـد يـقِلُّ لك الـنَّـجـيعُ[٢] الأحـمـر
ووددْتُ من شَـجـوي عـلـيكَ وحَـسْـرتي
لـو أنَّ لَـحْـدَكَ في فـؤادِيَ يُـحْـفَـر
إني لأعـجبُ كـيف يـعـلـوك الـثَّـرَى
أنَّى ثـوى تحت الـرَّغَـامِ[٣] الـنِّـيِّـر
أمـسـيتَ مُـسـتـتِـراً به لـكـنَّـمـا
آثـارُ جـودِكَ فـوقه لا تُـسْـتَـر
مـرِضَ الـنـدى لمـا مـرِضْتَ وكـاد أن
يـقـضي من الـيـأس الـمُـلمِّ الـمُـعْـسـر

---

(١) توفي في الإسكندرية سنة ١٩٠٥.
(٢) الدم.
(٣) التراب.

يــرجــوكَ أنّك أنت جــابــرُ كــسْــرِهِ
فــإذا فُــقِــدْتَ فــكَــسْــرُه لا يُــجــبَــر
وعــلَتْ عــلى تــلك الــوجــوه ســحــابــةٌ
كــدْراءُ لا تــصــفــو ولا تُــســتَــمــطَــر
كم حــاولــوا كــتْمَ الأسى! لــكــنه
قــد كــان يــخــتــرقُ الجســومَ فــيَــظــهَــر
حَــامتْ حــوالــيكَ الجــمــوعُ كــأنمــا
تــبــغي وِقَــاءَ الــشَّــرقِ ممــا يَــحــذَر
الــكلُّ يــســأل: كــيف حــالُ إمــامِــنــا؟
مــاذا رأى حــكــمــاؤُنــا؟ مــا أخْــبَــروا؟
والــــداءُ يــقــــوَى ثم يــضــــعُفُ تــــارةً
فــكــأنه يَــبــلــو الــقــلــوبَ ويَــســبُــر[1]
أوردْتَــهُ عــــذْبــــاً فــــأوْرَدَكَ الــــرَّدى
تــبّتْ يــداهُ فــذَنْــبُه لا يُــغــفَــر
هــيــهــاتَ مــا يَــثــني المــنــيــةَ جــحــفلٌ
عــمَّن تــؤمُّ[1] ولا يُــفــيــد الــعــســكــر
رصَــدَ الــردى أرواحَــنــا حــتى لــقــد
كِــدنــا نُــعــزِّي المــرءَ قــبل يُــصــوَّر
نــهــوى الحــيــاةَ كــأنمــا هي نِــعــمــةٌ
وســوى الــفــواجِع حــبُّــهــا لا يُــثــمــر
ونــظنُّ ضِــحْكَ الــدَّهــرِ فــاتحــةَ الــرِّضــا
والــدهــرُ يَــهــزأُ بــالأنــام ويَــســخَــر
أفــقــيــدَ أرضِ الــنــيلِ! أُقــسمُ لــودرَى
بــالخــطبِ أوشكَ مــاؤُه يــتَــسَــعَّــر

---

(١) يجسّ.
(٢) تقصد.

وضَـعُـوكَ في بـطْنِ الـتَّـرابِ ومـا عَـهِـدْ
تُ الـبـحْـرَ قـبـلَكَ فـي الـصَّـفـائحِ يُـذْخَـر
ورأوْا جلالَك في الـضَّـريحِ فـكـلُّـهمْ
يـهـوى ويَـرجـو لـومـكـانَك يُـقـبَـر!
لم تـخلُ من أسفٍ عـلـيك حُـشـاشـةٌ
أبـداً فـيـخـلـو من دمـوعٍ مِـحـجَـر
آبُـوا[1] ومـا آبَ الـعَـزاء إلـيـهِمُ
والحُـزن يُـنـظَم والمـدامعُ تُـنـثَـر
والـكلّ، كـيف يـكـون حـالُ بلادهم
من بـعـدِ مـا مـات الإمـامُ، يُـفـكّـر
لم يـبـلُـنـا هـذا الـزمـان بـفـقـده
لـو كـان ممَّن بـالـرَّزيـةِ يَـشـعُـر!

****

(١) رجعوا.

٣٥ - فقيد الوطنية

[الطويل]

(رثى بها فقيد المنابر، الطيب الذكر، المغفور له مصطفى كامل)

بـكـيتُ ولـكن بـالـدُّمـوعِ الـسَّـخـيـنَـةِ
ومـا نـفـدَتْ حـتى بـكَـيتُ بمُـهـجَـتي
عـلى الـكاملِ الأخلاقِ والـنَّدْبِ[1] مصـطفى
فـقـد كـان زَينَ الـعـقلِ زَينَ الـفُـتُـوَّةِ
نَـعـاهُ لـنـا الـنـاعي فـكـادت بـنـا الـدُّنـا
تَـمـيـدَ لـهَـولِ الخـطْبِ، خـطْبِ المـروءة
وذابتْ قـلـوبُ الـعَـالَـمـينَ تـلـهُـفًـا
وسـالتْ دمـوعُ الحـزنِ من كلّ مُـقْـلـة
أجل قـد قـضى في مـصـرَ أعـظمُ كـاتبٍ
فـخـلّفَ في الأكـبـادِ أعـظمَ حَـسْـرة
فـتًى، وأبي، لـو أنَّ في الـنـاس مِـثـلَه
لـهـانَ عـلـيـنـا وَقْـعُ هـذي الـرزيـئَـة
ولـوكـان يُـفـدَى بـالـنـفـوس من الـرَّدى
جـعـلْـنـا فِـداهُ كلَّ نـفسٍ أبـيَّـة
فـتًى مـات غضَّ الـعُـمرِ لم يَـعرفِ الخَـنَا
ولم يـنـطـوِ في نـفـسِه حُبُّ رِيـبـة
وقـد كـان مـقـداماً جـريـئاً، ولم يـكن
لِـيبـغي الـردى غيـرُ الـنـفـوس الجـريـئة

---

(١) الذي ينتدب في الشدائد.

وكـــان جـــواداً لا يَـــضِنُّ بـــحـــاجـــةٍ
لـــذلك أَعـــطى روحَه لـــلـــمـــنـــيّـــة
سلامٌ عـلى مـصـرَ الأسِـيـفَـةِ بـعـدَهُ
فـقـد أودعتْ آمـالَـهَـا جـوفَ حُـفْـرة
خـطـيبَ بلادِ الـنـيلِ! مـالَكَ سـاكِـتـاً
وقـد كـنتَ تُـلـقي خُـطـبـةً إثـرَ خُـطْـبَـة؟
تـطـاولتِ الأعـنـاقُ حـتى اشـرأبَّتِ
فـهل أنت مُـسْـدِيـهـا ولـو بـعضَ لـفْـظَـة؟
نَـعمْ كـنتَ، لـولا المـوتُ، فـارِجَ كـرْبَـهـا
فـيـا لَـلـردى من غـاشمٍ مـتـعـنِّت!
تَـفـطَّـرتِ الأكـبـادُ حـزنـاً كـأنمـا
ممـاتُك سـهمٌ حلَّ في كل مُـهـجـة
ومـا حـزنتْ أمٌّ بـفـقـدٍ وحـيـدِهـا
بـأعـظمَ من حـزني عـلـيكَ ولـوعَـتِي
تـنـاديكَ مـصـرُ الآن: يـا خـيـرَ راحلٍ
ويـا خـيـرَ مَن يُـرجَى لـدفع الـمُـلـمَّـة
عـهـدتُك تـأبى دعـوةً غـيـرَ دعـوتي
فـمـا لك تـأبَى (مـصـطـفى) كلَّ دعـوة؟
فَـقـدْتُكَ ريّـانـاً فـيـا طـول لَـهْـفَـتي
لـقد كنتَ سيفي في الخُطوب وَجُنَّتي[1]
أجلْ طـالمـا دافـعتَ عن مـصـرَ مـثـلـمـا
يـدافـعُ عن مـأواهُ نَـحلُ الخـلـيَّـة
فـأيـقـظـتَـهـا من رقـدةٍ بـعـد رقْـدةٍ
وأنـهـضْـتَـهـا من كَـبْـوة تِـلْـو كَـبْـوة

(١) وقايتي.

وقَـوَّيتَ في أبـنـائـهـا الحبّ نـحـوَهـا
وكـنتَ لـهـا في ذاك أفـضلَ قُـدْوة
رفـعتَ «لـواءَ»[1] الحقِّ فـوق ربـوعِـهـا
فـضـمَّ إلـيـه كلَّ ذي وطـنـيَّـة
لـئن تكُ أتـرعتَ الـقـلـوبَ مـحـبّـةً
فـإنك لم تُـخـلَقْ لـغَـيـرِ المحَـبَّـة
فـنمْ آمـنـاً وفِّـيتَ قـومَكَ قِـسْـطَـهم
فـيـا طـالمـا نـامـوا وأنت بِـيـقْـظَـة!
سـيُـبـقِي لك الـتـاريخُ ذِكْـراً مُـخـلَّـداً
فـقـد كـنتَ خـيـرَ الـنـاس في خـيـرِ أمَّـة
عـلـيك من الـرحـمن ألفُ تحـيّـةٍ
ومن أرض مـصـرٍ ألفُ ألفِ تحـيـة

✱✱✱✱

(١) اسم الجريدة التي كان الحزب الوطني، بزعامته، يصدرها آنذاك.

٣٦ـ كلُّ مَن عليها فان

[الطويل]

بعث بها إلى صديقه السيّد أفندي فهمي يعزيه وقد فُجع بموت والدته وكريمته وشقيقه، في أسبوع واحد.

فـديـنـاكِ لـو أنَّ الـرَّدى قَـبِلَ الـفِـدا
بـكلِّ نـفـيسٍ بـالـنـفـائسِ يُـفـتَـدَى
أبَى المـوتُ إلا أن يـنـالَكِ سـهـمُهُ
وألا يـرى شـمْلَ الـسَّـخـاءِ مُـبـدَّدا
فـأقْـدَمَ لا يـبـغِي سِـواكِ، وكـلَّـمـا
درَى أنه يـبـغي عـظـيـمـاً تـشـدَّدا
دهـاكِ الـرَّدى لـكن عـلى حـين فـجـأةٍ
فـتـبَّت يـداهُ غـادرٌ صَـرعَ الـنَّـدى
دهـاكِ ولم يُـشـفِقْ عـلى الـصِّـبـيَـةِ الأُلى
تَـركـتِـهِمُ يـبـكـونَ مَـثْـنـى ومَـوْحـدا
فُـقِـدْتِ وأوجَـدتِ الأسَى في قـلـوبـنـا
أسًى كـاد لـولا الـدمعُ أن يـتَـوقَّـدا
بكيناكِ حتى كاد يبكي لنا الصَّفا[1]
وحـتى بـكتْ ممـا بـكَـيـنـا له الـعِـدا
ومـا كـاد يَـرقَـا[2] الـدمعُ حـتى جَـرى به
غـدٌ عَـنْـدَمـاً[3] يـا لـيـتَـنـا لم نـرَ[4] غـدا

---

(١) صفائح الحجر.
(٢) يجف.
(٣) نبات أحمر.
(٤) تُشبع حركة الرّاء للضرورة.

قـضَتْ طـفـلـةٌ تحـكي الـمَلاكَ طـهـارةً
وألحـقَـهـا المـوتُ الـزؤامُ بمن عَـدا
لـقـد ظَـعـنَتْ تـبـغي لـقَـاكِ كـأنمـا
ضَـربتِ لـهـا قـبلَ الـتـفـرِّق مـوعـدا!
كـأنَّ لـهـا نـذْراً أرادتْ قـضـاءَه
كـأنكِ أنتِ الـصـوتُ جـاوبهُ الـصَّـدى
مـشتْ في طـريقٍ قـد مـشى فـيه بـعـدهـا
فـتـاكِ الـذي أعـددتِ مـنه المـهـنَّـدا
فـتىً طـابَ أخلاقـاً وطـابَ مـحـامِـداً
وطـاب فـؤاداً مـثـلَـمـا طـاب مَـحْـتِـدا
فـتًى كـان مـثلَ الـغـصنِ في عـنـفـوانه
فـلـلـه ذاك الـغـصنُ كـيف تـأوّدا
تـعـوّد أن يـلـقـاكِ في كلِّ بُـكـرةٍ
فـكـان قـبـيـحـاً تـركُ مـا قـد تـعـوَّدا
فُـجِـعْـنـا بـه كـالـبـدرِ عـنـد تَـمـامَه
ولم نـرَ بـدْراً قـبـلَه الأرضَ وُسِّـدَا
فـلـم يـبقَ طـرْفٌ لم يَـسِلْ دمـعُه دمـاً
ولم يـبقَ قـلبٌ في الـمَلا، مـا تـصـعَّـدا
كـوارثُ لـو نـابتْ جـبـالاً شـواهِـقـاً
لخـرَّتْ لـهـا تـلك الـشـواهقُ سُـجَّـدا
ولـو أنـهـا في جـلْـمـدٍ صـار سـائلاً
ولـو أنـهـا في سـائلٍ صـار جَـلْـمَـدا
(أفـهـمي)! وإن الـصـبـرَ أليَقُ بـالـفـتى
ولا سـيّـمـا مَن كـان مـثـلَك (سـيّـدا)
فـكن قُـدوةً لـلـصـابـرين، فـإنمـا
بمـثـلِكَ في دفْعِ الـمُـلـمِّـات يُـقـتَـدى

لـعَـمْـرُكَ مـا الأحـزانُ تـنـفـعُ ربَّـهـا
فَـيـجْـمُل بـالمحـزونِ أن يـتَـجـلَّـدا
فـمـا وُجِـد الإنـسـانُ إلا لـيُـفْـقَـدا
ومـا فُـقِـدَ الإنـسـانُ إلا لـيُـوجَـدا
ومـا أحـدٌ تـنـجـو من المـوتِ نـفـسُه
ولـو أنه فـوقَ الـسِّـمَـاكَـيْنِ أصْـعَـدا
فلا يَـحـزنِ الـبـاكي ولا تَـشـمَتِ الـعِـدا
فـكل امـرئٍ يـا صـاحِ غـايـتُه الـرّدى

✱✱✱✱

٣٧ - البدر الآفل

[الوافر]

بكى فيها شقيقه المغفور له طانيوس ظاهر أبي ماضي وقد مات شاباً[١].

أ بَـعْـدَكَ يَـعـرِفُ الـصَّـبـرَ الحـزينُ
وقـد طـاحتْ بمـهـجـتِهِ الـمَـنـونُ!
رمـتْكَ يـدُ الـزَّمـان بـشـرٍّ سـهمٍ
فـلَّـمـا أن قـضـيتَ بـكى الخَـؤون
رمـاكَ وأنت حـبَّـةُ كلِّ قـلـبٍ
شـريفٍ، فـالـقـلـوبُ له رنـين
ولم يكُ لـلـزمـان عـلـيكَ ثـارٌ
ولم يكُ في خلالكَ مـا يَـشِـين
ولـكنْ كـنتَ ذا خُـلُقٍ رَضِيٍّ
عـلى خَـلْقٍ لـغـيـرِكَ لا يـكـون

وكـنتَ تُـحـيطُ عِـلْـمـاً بـالخَـفـايـا
وتـمـنعُ أن تُـحـيطَ بك الـظُّـنـون
كـأنك قـد قـتـلتَ الـدهـرَ بـحـثـاً
فـعـنـدكَ سـرُّه الخـافي مُـبِـين
حـكَـيتَ الـبـدرَ في عـمُـرٍ ولـكنْ
ذكـاؤُكَ لا تـكـوِّنُـه قُـرون
عـجـيبٌ أن تـعـيشَ بـنـا الأمـاني
وأنّـا لـلأمَـاني نَـسـتَـكِـين

(١) مات في الإسكندرية (عن عشرين عاماً) سنة ١٩٠٩، وكان أول إخوته الثلاثة الذين فقدَهم إيليا، واحداً إثر واحد.

ومـــا أرواحُـــنـــا إلاّ أُسَـــارَى
ومـــا أجـــســـادُنـــا إلاّ ســـجـــون
ومـــا فـي الـكـون مـثلُ الـكـون فـانٍ
كـمـا تَـفـنَى الـديـارُ، كـذا الـقـطِـين
لـقـدْ عَـلِـقَـتْكَ أسـبـابُ المـنـايـا
وفِـيّـاً لا يُـخـانُ ولا يَـخـون
أيـدري الـنـعشُ أيَّ فـتًى يُـواري
وهـذا الـقـبـرُ أيَّ فـتًى يَـصـون
فـتًى جُـمِـعتْ ضُـروبُ الحُـسْنِ فـيه
وكـانت فـيه لـلـحُـسْـنى فـنـون
فـبـعضُ صـفـاتِه لـيثٌ وبـدْرٌ
وبـعضُ خِلاله شَـمَـمٌ ولِـين
أمَـاراتُ الـشـبـابِ عـلـيه تـبـدو
وفـي أثـوابِـه كـهـلٌ رزين
ألا لا يـشْـمتِ الأعـداءُ مـنّـا
فـكلُّ فـتًى بمـصْـرَعِه رَهـين

أيـا نـورَ الـعـيـونِ بَـعُـدْتَ عـنّـا
ولـمّـا تـمـتـلئ مـنكَ الـعُـيـونُ
وعـاجَـلَكَ الحِـمَـامُ فـلم تُـوَدِّعْ
وَبِـنْتَ فـلم يـودِّعْكَ الـقَـرين
ومـا عِـفْتَ الـوداعَ قِـلىً ولـكنْ
أردتَ ولم يُـرِدْ دهـرٌ ضَـنـين
فـيـا لَـهَـفِي لأمِّكَ حـينَ يَـدْوي
نَـعِـيُّكَ بـعـدَ مـا طـال الـسُّـكـون

ولَـهْفَ شـقـيـقِكَ الـنـائي بـعـيـداً[1]
إذا مـا جـاءهُ الخـبَـرُ الـيـقـين
سَـتـبـكِـيكَ الـكـواكبُ في الـدَّيـاجي
كـمـا تـبـكـيكَ فـي الـرَّوضِ الـغـصـون
ويـبـكي إخـوةٌ قـد غِـبْتَ عـنـهُمْ
وأمٌ ثـاكـلٌ وأبٌ حـزيـن
فـمـا تَـنْـدى لـنـا أبَـداً ضـلـوعٌ
عـلـيكَ، ومـا تَـجِفَّ لـنـا شـؤون[2]
قـد ازدانتْ بِكَ الـفـتـيـانُ طـفلاً
كـمـا يـزدانُ بـالـتَّـاجِ الجـبـين
ذَهَـبْتَ بـزيـنـةِ الـدنـيـا جـمـيـعـاً
فـمـا في الـدَّهـرِ بـعـدَك مـا يَـزِين
وكـنتَ لـنـا الـرجـاءَ فلا رجـاءٌ
وكـنتَ لـنـا الـمُـعـينُ فلا مُـعـين
أبـعـدَكَ، يـا أخي، أبـغي عـزاءً
إذًا شُـلَّتْ يـسـاري والـيـمـينُ؟
يـهـونُ الـرُّزْءُ إلا عـنـد مِـثْـلي
بمـثـلِكَ، فـهـو رُزْءٌ لا يـهـون
عـلـيكَ تُـقَـطِّعُ الحَـسَـرَاتُ نـفـسي
وفـيكَ أطـاعـنـي الـدَّمعُ الحـرون
فـملءُ جـوانـحي حـزنٌ مـذيبٌ
وملءُ مَـحَـاجِـري دَمْعٌ سـخـين
ومـا أبـقى المـصـابُ عـلى فـؤادي
فـأزعـمُ أنَّـه دامٍ طَـعِـين

(١) يقصد أخاه الأكبر مراد في أمريكة، وقد سبقهم جميعاً إليها.
(٢) العروق التي تدرّ الدمع في العين.

يـــذودُ الـــدمعُ عن عـــيْـــني كَـــرَاهـــاً
وتـــــأبى أن تـــــقـــــارِفـه الجُـــــفـــــون
لـــقـــد طـــالَ الـــسُّـــهـــادُ وطـــالَ لـــيـــلي
فـلا أدري الـــــرُّقـــــادُ مـــــتى يـــكـــــون
كـــأنَّ الـــصُّـــبحَ قـــد لـــبِسَ الـــدَّيـــاجي
عـــلـــيك أسىً لـــذلك مـــا يَـــبِـــين
جـــزاكَ الـــلـــهُ عـــنّـــا كلَّ خـــيْـــرٍ
وجـــادَ ضـــريـــحَكَ الـــغـــيثُ الـــهَـــتُـــون

✱✱✱✱

٣٨ - أنا والنجم

[السريع]

مِـثْـلـيَ هـذا الـنـجمُ في سُـهـدِهِ
ومـثـلُهُ المحـبـوبُ في بُـعـدِهِ
يـخـتـالُ في عُـرْضِ الـسَّـمـا تـائـهـاً
كـأنمـا يـخـتـالُ في بُـرْدِهِ
إن شـئتَ فـهـو المـلْكُ في عَـرْشِهِ
أوشـئْتَ فـهْـوَ الـطِّـفلُ في مـهـدِهِ
يَـرمُـقُـني شـذْرَاً كـأني بهِ
يَـحْـسَـبُـني أطـمعُ في مـجـدِهِ
يـسـعى ولا يـسـعى إلى غـايـةٍ
كَـمَن يـرى الـغـايـةَ في جِـدّه
كـأنمـا يـبـحثُ عن ضـائعٍ
لا يـسـتـطـيعُ الـصَّـبـرَ من بَـعْـدِهِ
طـال سُـرَاهُ وهْـوَ في حَـيْـرةٍ
كـأنه المحـزونُ في وجْـده
في جُـنـحِ لـيلٍ حَـالكٍ فَـاحمٍ
كـأن حَـظْيَ قُـدَّ من جِـلـده
لا يـحـسِـدُ الأعـمى به مُـبـصِـراً
كلاهـمـا قـد ضلّ عن قَـصْـدِهِ
سـاورَني الـهـمُّ وسـاورتُه
مـا أعـجـزَ الإنـسـانَ عن ردّه!

مـــا أعـــجبَ الـــدّهـــرَ وأطـــوارَه
في عَـــينِ مَن يُـــمْـــعِنُ في نَـــقْـــدِه!
جـــرّبـــتُهُ دهـــراً فـــمـــا راقـــني
مِـن هـــــــزْلِـه شـيءٌ ولا جِـــــــدّه
أكـــبَـــرَ مـــني أنـــني زاهـــدٌ
مـــا زَهِـــدَ الـــزاهـــدُ في زُهـــده
أكـــبـــرَ مـــني ذا وأكـــبـــرتُ أن
يَـــطـــمـــعَ، أن أطـــمـــعَ في رِفْـــدِه
وعـــدّني أعـــجـــوبـــةً في الـــورى
مُـــذْ رحتُ لا أعـــجبُ من حِـــقـــدِه
يـــا رُبّ خِلٍّ كـــان دوني نُـــهًى
عـــجـــبْتُ من نَـــحْـــسي ومن سَـــعْـــدِه
وعـــائشٍ يـــخـــطُـــر فـــوق الـــثَّـــرَى
أفـــضلُ مـــنـه المـــيْتُ في لَـــحـــده
أصـــبح يَـــجـــني الـــوردَ من شـــوكِه
وبِتُّ أجـــنِي الـــشَّـــوكَ من ورده
أكـــذبُ إن صـــدّقـــتُه بـــعـــدمـــا
عـــرفتُ مـــنه الـــكِـــذْبَ في وعْـــدِه
لا أشـــتـــكي الـــضُّـــرّ إذا مَـــسَّـــني
مـــــنه، ولا أطـــــربُ من رَغْـــــده
أعـــلمُ أنَّ الـــبـــؤسَ مُـــسْـــتَـــنـــفَـــدٌ
والـــرَّغْـــدَ، مـــا لابـــدّ من فـــقْـــدِه
إذا الـــلـــيـــالي قَـــرّبتْ نـــازحـــاً
وكـــنتُ مـــشـــتـــاقًـــا إلى شَـــهـــدِه

أمـــلِكُ عـــنه الـــنـــفسَ فـي قُـــرْبـهِ
خـــوفـــاً من الـــوَحـــشَـــةِ في صَـــدّه
وأنْ أرى الحُـــــزنَ عـــــلى فـــــائتٍ
أضـــــرَّ بِي الحُـــــزنُ ولـم يُـــــجْـــــدِهِ

✱✱✱✱

٣٩ - في سبيل الإصلاح

[الكامل]

حَـيَّـا الـصَّـبَـا عـني رُبـا لـبـنـانِ
حـيثُ الـهـوى ومـراتعُ الـغِـزلانِ
ورعَى المـهـيـمنُ سـاكـنـيه فـإنـهمْ
في خَـيْـرِ أرضٍ، خـيـرةُ الـسّـكـان
قـومٌ صَـفَتْ أخلاقُـهُمْ ووجـوهُـهُمْ
فـالحُسنُ مـجـمـوعٌ إلى الإحـسَـان
لـهمُ الأيـادي الـبـيضُ والـشِّـيَمُ الـتي
لـومُـثِّـلتْ كـانت عُـقـودَ جُـمَـان[1]
شِـيَمُ الـكـرامِ قـصـائدٌ في الـكـون غُـرْ
رٌ، وهْي في شـيم الـكـرام مَـعـان
قـومٌ إذا زار الـغـريبُ بـلادَهُمْ
جـعـلـوهُ مـنـهمْ في أجلِّ مـكـان
إن خِـفتَ شـرَّ طـوارقِ الحـدْثـانِ فَـاقْـ
صـدْهُمْ تَـخَـفْكَ طـوارقُ الحِـدْثـان
لـو أنّ في كـيـوانَ[2] دارُ إقـامـتي
لـهـجـرتُ كِـيـواناً إلى لـبـنـان
قـيَّـدتُ قـلـبي في هـواهُ فـلم أعـدْ
أهـوى الـسِّـوى إذ لـيس لي قـلـبـان
والحبُّ يـجـمُلُ في الـشـبـيـبـةِ والـصِّـبـا

(١) الجمان: اللؤلؤ.
(٢) المريخ.

كـجـمـالِ زهـرِ الـروضِ في نَـيْـسـان
هـو جـنّـةُ الخُـلْـدِ الـتي مُـنِّي بـهـا
رُسلُ الـهـدَى قِـدْمـاً بـني الإنـسـان
خـلَتِ الـدهـورُ ولا يـزال كـأنمـا
بـالأمسِ شـادتْهُ يـدُ الـرحـمن
يـا سـاكـنـيه تحـيّـةً من نـازحٍ
إنَّ الـتـحـيّـةَ لَـهْيَ جُـهـدُ الـعَـاني[1]
أصـبـحـتمُ فـوق المـمـالك رِفـعـةً
لـولا وجـودُ مـعَـاشـرِ (الـغِـربـان)[2]
قـومٌ قَـدِ اتـخَـذوا الـدِّيـانـةَ بـيـنـكمْ
شـرَكـاً لِـصَـيـدِ الأصـفَـرِ الـرَّنـان
فـتـظـاهـروا بـالـزهـدِ حـتى أوشـكتْ
تَـخـفى دخـائـلُـهُمْ عـلى الـيـقـظـان
وتـفـنَّـنـوا بـالمـكـرِ حـتى أصـبـحـوا
وغـبـيُّـهمْ أدهى من الـشـيـطـان
ضـربـوا عـلى الـشـعب الرسـومَ شـراهـةً
حَـسْبُ الـتـعـيسِ ضـرائبُ الـسـلـطـان
كـفـروا بـنـعـمـتِه الـتي أسـداهمُ
ورمَـوْه بـالإلحـادِ والـكُـفْـران
ولـقـد تـفـانَـوا في انـتـهـاكِ حـقـوقِه
وهـو الـمُـحبُّ رضـاهُمُ، الـمُـتَـفَـاني
حـتى حَـسِـبـنـا أنه يـنـحطُّ عن
كَـسَلٍ، ولم يكُ قطُّ بـالـكَـسلان
لـكـنه يـسـعى ويـذهبُ سـعـيُهُ

(١) المتعب.
(٢) يقصد رجال الدين.

لـــلـــقَسِّ والـــشـــمّـــاسِ والـــمَـــطـــران
لـــولا احـــتـــرامي مـــذهـــبـــاً عُـــرِفـــوا بهِ
لَـــكَـــشَـــفْتُ مَـــسـتُـــوراتِـــهِمْ بـــبَـــيَـــان
فـــتـــنـــبـــهُـــوا إن كـــنـــتمُ في غَـــفـــلـــةٍ
فـــالـــدهـــرُّ بـــالمـــرصـــادِ لـــلـــغـــفْلان
إن الأبـــالسَ حـــين أعَـــيـــا أمـــرُكُمْ
جـــاءتـــكُمُ في صـــورة الـــرُّهـــبـــان
فـــحَـــذارِ من أن تُـــخـــدَعُـــوا بـــلـــبَـــاسِـــهِمْ
فـــهُمُ الـــضـــواري في لـــبـــاسِ الـــضّـــان
مَن يـــتْـــبعِ الـــعِـــمـــيـــانَ حُـــبـــاً بـــالـــهُـــدى
لا يـــأمـــنَنَّ تـــعـــثُّـــرَ الـــعـــمْـــيَـــان

فجعل قوماً يلومونه على ذلك فقال :

إنْ كـــــان لي ذنْبٌ وَهُمْ غُـــــفـــــرانُهُ
آثـــــرتُ أن أبـــــقى بلا غُـــــفْـــــرانِ
أو كـــنتُ في الـــنِّـــيـــرانِ حـــيثُ لـــديـــهِمُ
مـــنـــهـــا الـــنـــجـــاةُ، رضـــيتُ بـــالـــنِّـــيـــران
أشـــهى إلى نـــفـــسي من الـــذلّ الـــرَّدى
لا يـــرتـــضي بـــالـــذلِّ غَـــيـــرُ جَـــبـــان

****

٤٠ـ الحريّة

[الخفيف]

فَـــتَـــنـــتْهُ مـــحـــاسنُ الحـــريّهْ
لا سُـــلـــيـــمى ولا جـــمـــالُ سُـــمـــيّهْ
هي أمـــنـــيّـــةُ الجـــمـــيع ولـــكن
قلَّ من نـــال هـــذه الأمـــنـــيَّهْ
لـــيس هـــذا الإنـــســـان عـــبـــداً ولـــكن
أرهـــقـــتْه الـــطـــبـــيـــعـــةُ الـــبـــشـــريه
وعـــجـــيبٌ أن يُـــخـــلـــقَ المـــرءُ حـــرّاً
ثم يـــأبى لـــنـــفـــسِه الحـــريّه
غـــادةٌ مـــا عـــرَفتُ قـــلـــبـــاً خـــلـــيّـــاً
مِن هـــواهـــا، حـــتى الـــقـــلـــوب الخَـــلـــيَّه
غـــرسَتْ في فـــؤاده الحبّ طـــفـــلاً
فـــنـــمـــا الحبُّ والـــفـــؤادُ سَـــويّه
ثمّ لـــمّـــا فـــشَـــا الـــغـــرامُ وذاعتْ
عـــنـــهـــمـــا في الـــورى أمـــورٌ خـــفـــيّه
حـــجـــبُـــوهـــا عـــســـاه يـــســـلـــو ولـــكنْ
كـــان قـــيـــســـاً وكـــانت الـــعـــامـــريّه
بـــات يـــشـــكـــو الـــنـــوى الـــشـــقـــيَّ وتـــشـــكـــو
مـــانـــعـــيـــهـــا من أن تـــراه الـــشَّـــقـــيّه
مُـــســـتَـــهَـــامٌ قـــضـــى زمـــانـــاً طـــويلاً
في عـــنـــاءٍ من الـــقـــيـــود الـــقـــويّه

وعـــلـــيه من الـــزمـــان رقـــيبٌ
عـــاشقٌ لـــلـــسـيـــادة الـــوهْـــمـــيَّه
ولـــــكلٍّ مـــــطـــــامِعٌ وأمـــــانٍ
يـــبـــذُل الـــنـــفسَ دونَـــهـــا لـــلـــمـــنـــيّه
ويـــــراهَـــــا لـــــديه أشـــــرفَ شيءٍ
وهْـيَ أدنى من الأمـــــور الـــــدنـــــيّه
زعـــمـــوا أنّه الـــمَـــلـــيكُ المـــفـــدّى
بـــالـــرعـــايـــا، من شـّـــرٍّ كلّ بـــلـــيّه
إنمـــا تـــفـــتـــدي الـــرعـــيّـــةُ مَـــلْـــكـــاً
بـــاذلاً نـــفـــسَه فِـــدىً لـــلـــرعـــيّه
ظَـــلَمَ الـــقـــومَ من تـــوهّـــمَهُ الـــقـــو
مُ نـــصـــيـــراً لـلأمّـــة (الـــروســـيه)
وإذا أَحـــرجَ الـــضـــعـــافَ قـــويٌّ
نَـسِـيتْ ضَـعـفَـهـا الـنـفـوسُ الأبـيّه!

****

٤١ ـ تحيّة الدستور العثماني

[الطويل]

إلى حيثُ ألقتْ[١] يا زمانَ المَظالمِ
ولا عُدْتَ يا عهدَ الشَّقا المتقادمِ
ذهبتَ فلا باكٍ وأنّى بكى العَمى
كفيفٌ رأى الأضواءَ مِلءَ العوالِمِ
وما عجبٌ أن ليس في القوم نادبٌ
ولكنْ عجيبٌ أن أرى غيرَ باسم
نزلتَ على الشرقيّ فانحطّ شأنُهُ
وقد كان غضَّ الفخر، غضّ المكارم
ففرّقتَ حتى ليس غيرَ مُفرَّقٍ
وخاصمْتَ حتى ليس غيرَ التخاصُم
أقمتَ فخلّى أهلَه وبلادَهُ
إلى كلّ فجٍّ من خصيبٍ وقاحم[٢]
نأى كاظِماً للغيظ خوفَ شماتةٍ
ولم يطلُبِ الإنصافَ خيفةَ لائم
ولوشاء لم يختَرْ سِوى الشرِّ مركباً
فقد كانت الأحقادُ ملءَ الحَيازم[٣]
صحبناك لا خوفاً ثلاثينَ حُجّةً[٤]

---

(١) أصبح مثلاً بالدعوة إلى الهلاك.
(٢) قاحل.
(٣) الحيزوم: وسط الصدر.
(٤) المدة التي قضاها السلطان عبدالحميد الثاني في الحكم.

ولكنها الدنيا وضعفُ العزائم
وما ذاك عن حبٍّ فما فيك شيمةٌ
تُحَبّ، ولسنا من غُواةِ المآثم
فكنتَ وكان الجهلُ أحسنَ خَلَّةٍ
لنا، ونجاةُ الحقّ إحدى الغنائم
وكنتَ وما فينا فتىً غيرُ ناقمٍ
عليك، ولا ذو سلطةٍ غيرُ غاشم
ثلاثون عاماً والنوائبُ فوقَنا
مخيِّمةٌ مثل الغُيومِ القَواتم
فلا العِلْمُ مَرموقٌ، ولا الحقّ نافذٌ
ولا حُرمةٌ تُرعى لغيرِ الدراهم
وما ثَمّ غيرُ البَغيِ والظلمِ والأذى
فقُبِّحتَ من عصرٍ كثيرِ السَّخائم[1]
فأغرُبْ، شقيتَ الدهرَ غيرَ مودّعٍ
من القوم إلا بالظُّبى والصَّوارم
فَوالله ما ترضَى قيودَك أمّةٌ
من الناس إلا أصبحتْ في البَهائم
ويا أيها الدستورُ أهلاً ومرحباً
«على الطائر الميمون يا خيرَ قادم»[2]
طلعتَ علينا كوكباً غيرَ آفلٍ
على حين أنَّ الشَّرقَ مُقلةُ هائم
فقرَّتْ عيونٌ قبلُ كانت حسيرةً
وجادتْ سروراً بالدموعِ السَّواجِم
وضجّ الورى في الشرق والغرب ضجّةً

(١) الأحقاد (المفرد: سخيمة).
(٢) من شعر البهاء زهير.

أفـاق لـهـا، مُـسـتـيـقِـظـاً، كلُّ نـائم
أهـبتَ فـفـرَّ الـظـلـمُ في الأرض هـاربـاً
ونَـــكَّسَ خِـــزيـــاً رأسَه كلُّ ظـــالم
وفـاضتْ عـلى ثـغرِ الحـزين ابـتـسـامـةٌ
تُـــخـــبِّـــرُ أن الحـــزنَ لـــيس بـــدائم
وأُطـلـقَتِ الأقلامُ بـعـد اعـتـقَـالـهـا
فـأسْـمَـعَتِ الأكـوانَ سـجْعَ الحَـمَـائم
ولم يـــبقَ عـــانٍ[1] لم يُـــفَكّ إسـارُهُ
ولم يـبقَ جـانٍ لم يَـفُـزْ بـالمـراحم
وكـنـا نـرى الأحـزانَ ضَـربـةَ لازبٍ
فـصِـرنـا نـرى الأفـراحَ ضـرْبـةَ لازم
تـوهَّمَ قـومٌ أنمـا الـشـرقُ واهمٌ
وأنك يـا دسـتـورُ أضـغـاثُ حـالم
ورجَّمَ قـومٌ أنمـا تـلك خُـدعَـةٌ
فَـعُـذنـا بـربِّ الـنـاس من كلِّ راجم
تجـلّـيتَ فـاسْـودتْ وجـوهٌ وأسـفـرتْ
وجـوهٌ، وأمـسى غـانمـاً كلُّ غَـارِم
ومـا عـدتَ حـتى كـاد يَـشـتـجـرُ الـقـنـا
لأجـلكَ والخَـطِّيُّ[2] أعـدلُ حـاكم
وأوشك أن يـهـتـزَّ في كل سـاعـدٍ
لـكلِّ أبـيٍّ، كلُّ سـيفٍ وصـارم
أبى الجـيشُ إلا أن تـكـونَ مـؤيَّـداً
وتـأبى سِـوى تـأيـيـدِ جـيشٍ مُـسَـالم
فَـبـورِكـتُـمـا من سـاعـدٍ ومُـهـنَّـدٍ

(١) الأسير (السجين).
(٢) الرمح.

بـــرغم خَـــؤونٍ مـــارقٍ مُـــتـــشـــائم
ولا بـــرِحَ الأحـــرارُ يَـــشـــدو بـــذكـــرهمْ
بنو الشرق، فخراً، في القُرى والعواصم
رجـــالٌ لـــهم ذكـــرُ الـــرجـــالِ وإنمـــا
جـســومـــهمُ فـيـــهـــا نـــفـــوسُ ضَـــراغم
همُ قَـيَّـدُونـــا بـــالـــعـــوارفِ[1] والـــنَّـــدَى
وهُمْ أطـــلـــقـــونـــا من عِـــقَـــالِ المـــغَـــارم
فـــلـم يـــبقَ فـــيـــنـــا حـــاكمٌ غـــيـــرُ عـــادلٍ
ولم يـــبقَ فـــيـــنـــا عـــادلٌ غـــيـــرُ حـــاكم

✱✱✱✱

(١) العارفة: المكرمة.

٤٢ ـ عبد الحميد بعد إعلان الدستور

[الطويل]

أبـا الـشَّـعبِ! اطـلـعْ من حـجـابِكَ يـلـتقِ
بـطـرْفك مـثلُ الـعـارضِ[١] الـمُـتَـدفِّقِ
جـمـاهـيرُ لا يُـحْـصي الـيـراعُ عـديـدَهـا
هـيَ الـــرَّمـلُ إلا أنّـه لـم يُـــنـــسَّـق
هـو الـشـعبُ قـد وافـاكَ كـالـبـحـر زاخـراً
وكـالـجـيشِ يـقـفـو فـيـلـقٌ إثـرَ فَـيـلَق
تَـطـلَّعْ تجـدْه حـول قـصـرِكَ واقـفـاً
يـــحـــدّقُ تحـــديقَ المحبِّ المـــوفَّق
لـقـد ألـبَـسـتْهُ الأرضُ حَـلْـيَـاً كـأنّه
أيـــاديكَ فـــيه لـم تـــزلْ ذاتَ رونَق
وألـقتْ عـلـيه الـشـمسُ نـظـرةَ عـاشقٍ
غـيـورٍ تـلـقَّـاهـا بـنـظْـرةِ مُـشـفق
يـــهَشُّ لمـــرآكَ الـــوسـيمِ وإنمـــا
يـهشُّ لمـرأى الـكـوكبِ الـمُـتَـألّق
ويـعـشقُ مـنك الـبـأسَ والحِـلمَ والـنَّـدى
كـذلك من يـنـظـرْ إلى الحُـسْن يَـعـشَق
يـكـاد به يـرقَى إلـيك اشـتـيـاقُهُ
فـيـا عـجـبـاً: بـحـرٌ إلى الـبـدر يـرتَـقِي!
تـفـرَّقَ عـنك المـفـسـدون وطـالمـا
رموا[٢] الشعبَ بالتفريق خوفَ التفرّق

---

(١) السحاب الممطر.
(٢) تُقرأ بضم الميم للضرورة.

وكم أقـلـقـوا في الأرض ثم تـراجـعـوا
يـقـولـون: شـعبٌ مـقـلِقٌ أيُّ مـقـلِق
وكم زوّروا عـنه الأراجـيفَ وادّعَـوْا
وأيَّـدكم ذيّـاكُمُ الـزاهـدُ الـتَّـقِي
لمن يـرفعُ الـشَّـكـوى وقـد وقـفـوا له
عـلى البـاب بـالمـرصَـادِ، فاسـألْه يَـنْـطِق
وأمّـا ولا واشٍ ولا مـتـجـسِّسٌ
فـقـد جـاء يـسـعى سـعيَ جـذْلانَ شـيّق
يـطـارِحُك الحبَّ الـذي أنت أهـلُه
وحـسـبُكَ مـنه الحبُّ غـيـرَ مـزوّق
فـهـا جـيـشُكَ الـطَّـامي يـضجّ مـكـبِّراً
بمـا نـال من عـهـدٍ لـديك ومَـوْثِق
يُـطـأطئُ إجلالاً لـشـخـصِكَ أرْؤسـاً
يـطـأطئ إجلالاً لـهـا كلُّ مـفْـرِق
لُـهَـامٍ[1] متى تُـنـذِرْ به الـدّهـرَ يَـصَّـعِقْ
وإن يـتـعـرضْ لـلـحـوادثِ تَـفْـرَق
يـفـاخـرُ بـالـسَّـلم الجـيـوشَ، وإنّه
لأَضـربُـهـا بـالـسَّـيفِ في كلّ مـأزق
وأشـجـعُـهـا قـلـبـاً وأكـرمُـهـا يـداً
إذا قـال لم يـتـركْ مـجـالاً لأحـمق
ألا أيـهـا الجـيشُ الـعـظـيمُ تـرفُّـقـاً
ملـكتَ قـلـوبَ الـنـاس بـالـعُرْفِ[2] فَـارْفُق
ويـا أيّـهـا الـمَـلْكُ المـقـيمُ (بـيـلـدزٍ)[3]
أرى كلَّ قـلـبٍ سُـدّةً[4] لك فـارْتَق

---

(١) كثير العدد.
(٢) بالمعروف.
(٣) قصر يلدز: قصر النجم.
(٤) عرش.

ألا حــبّــذا الأجــنــــادُ غَــوثــاً لخــائفٍ
ويــا حــبّــذا الأحــرارُ وِرْداً لِــمُــسْــتَق
ويــا حــبّــذا عــيــدُ الجــلــوسِ فــإنه
أجلُّ الــــذي ولّى وأجـــملُ مـــا بـــقي

✷✷✷✷

٤٣ ـ الذئاب الخاطفة

[الكامل]

ما بالُهمْ نقضوا العهودَ جِهَارا
وتَعمّدوا الإيذاءَ والإضْرَارا
واستأسَدُوا لمّا رأوا ليْثَ الشَّرَى
عافَ الزئيرَ وقلَّمَ الأظفارا
داروا به والشرُّ في أحداقِهمْ
ذا يدّعي حقّاً، وذلك ثارا
لُؤمُ لَعَمرُ أبيكَ لم يَرَ مثلَه التْ
ـتَاريخُ منذُ اسْتقرَأَ الأخبارا
وخيانةُ ما جاءها القوم الأُلَى
تَخِذوا مع الوحشِ القِفارَ ديارا
أمسَى يحرّضُ (عاهلَ الألمان) مَن
أمسى يحرضُ في الخَفا (البُلْغارا)
أَمَعَاشرَ الإفرنجِ ليس شهامةً
ما تفعلون، إذا أمِنْتُمْ عارا
أمِنَ المروءةِ أن يُساءَ جِوارُنا
في حينِ أنّا لا نُسيء جوارا
أمِنَ المروءةِ أن يطأطِئ تاجَهُ
مَلِكٌ ليَملِكَ في الثَّرى أشْبارا؟
البَغْيُ مرتَعُهُ وخيمٌ فاعلموا
والظلمُ يُعْقِبُ للظَّلومِ دمَارا

إن تُـحْـرِجـوا الـرئـبـالَ في عِـرِّيـسه[1]
يَـذرِ الـسـكـوتَ ويَـركبِ الأخـطـارا
وكـمـا عـلِـمـتمْ ذلكَ الجـيش الـذي
دكَّ الـعـروشَ ودوّخَ الأقـطـارا
جـيشٌ يـهـزّ الـراسـيـاتِ إذا انـتـحَى
الـهَـيـجَـا ، وهـزَّ الـصَّـارمَ الـبـتَّـارا
وكـمَـا عـلِـمـتمْ ذلك الـشـعب الـذي
يـأبى ويـأنَفُ أن يُـرى خـوّارا
فـالـويلُ لـلـدنـيـا إذا نـفضَ الـكـرى،
والـويلُ للأيـام إمّـا ثـارا
إني أرى لـيلاً يـخـيّمُ فـوقَـنـا
لا يـنـجـلي حـتى نُـشبِّ الـنَّـارا
فـحـذارِ ثم حـذارِ من يـومٍ به
يـجـري الـنَّـجـيعُ عـلى الـثَّـرى أنـهـارا
يـومٍ تـبـاعُ به الـنـفـوسُ رخـيـصـةً
يـومٍ يـقـصّـرُ هـولُه الأعـمـارا
يـومٍ يـكـون به الجـمـيعُ عـسـاكـراً
والـكلّ يـدخل في الـوغَى مُـخـتـارا

✱✱✱✱

(١) عرينه أو غابته.

٤٤ ـ مريض بالغرور

[الكامل]

وقال ينقد أحدهم :

لـــمّـــا ســـكتُّ حَـــســـبتَ أنّك نـــاجِ
هـــيـــهـــات، إني كـــالمـــنـــون أُفـــاجي
تـــالـــله تـــطـــمعُ بـــالـــسلامـــةِ بـــعـــد مـــا
ألـــقـــاك جـــهـــلُك في يـــدِ الأمـــواج
إنْ كـــان داخـــلَكَ الـــغـــرورُ فـــإنـه
مـــا انـفكّ في الـبُـسـطَـاءِ والـسُّـذّاج
إني أنـــا الأســـدُ الـــهـــصـــورُ بـســـالـــةً
ويلٌ لـــقـــومٍ حـــاولـــوا إحْـــراجي
حـــاولتَ أن تـــهـــتـــاجَـــني عن مَـــرْبِـــضي
لـــتـــنـــال ذِكْـــراً، خِـــبتَ يـــا ذا الـــراجي
عـــارٌ إذا أنـــشـــبتُ فـــيك مـــخَـــالـــبي
إذ لـــيس من خُـــلُـــقي افـــتـــراسُ نِـــعَـــاج
وظـــنـــنـــتَ أنكَ بـــالـــغٌ شـــأْوي إذا
رُمتَ الـقَـريضَ فـمـا ظَـفِـرتَ بـحَـاج[1]
إنَّ الـــقـــوافيْ كـــالخـــرائـــد[2] مِـــنْـــعـــةً
وتَـــفـــوقُـــهـــا في نـــبْـــذِ كل مُـــدَاج
والـــشِّـــعـــرُ تـــاجٌ لـــوعـــلـــمتَ ولم تـــكن
مِـــمّن يَـــلـــيقُ بـــحـــملِ هـــذا الـــتَّـــاج

(١) حاجة أو رغبة.
(٢) الخريدة: اللؤلؤة قبل أن تُثقب.

خـــذهـــا مـــثـــقـــفـــةً إذا وقـــعتْ عـــلى
جـــــبلٍ لأُزعـجَ أيَّـــــمَـــــا إزعـــــاج
أنـــا خـــيـــرُ من قـــال الـــقـــوافي، مـــادحـــاً
أنـــا خـــيـــرُ من قـــال الـــقـــوافيَ، هـــاجي
قـــد كـــنتُ أزهـــدُ في الـــهـِـجَـــا لـــو لم يـــكنْ
لك يـــا مـــريضَ الـــعُـــجْبِ خـــيـــرُ علاج

✷✷✷✷

٤٥ ـ عفو بغير مقدرة

وقال فيه أيضاً :

[البسيط]

سكتَّ خوفاً، وقلتَ: الصفحُ من خُلُقي!
ونِمتَ جُبْنًا، وقلتَ الحِلمُ من شِيمي!
وإنما أنت والأقوامُ قد علِموا
لولا خُمولُكَ لم تسكتْ ولم تنَم
لم تمتَنعْ أنْفةً[1] لكن قد امتنعتْ
عليك أشباهُ ما قد صاغَهُ قلَمي
حاولتَ وِجدان عيبٍ لي فكنتَ كَمَنْ
يحاول الماءَ في البركان ذي الضَّرَم
فقلتَ للقوم ـ في ما قلت ـ تخدعُهُمْ:
لقد هجاني وبعضُ الهجْو كالوصَم
الذمّ عارٌ ولكنْ ذمُّ ذي كَرَمٍ،
والحمدُ لله لم نذمُمْ أخَا كرَم
سأحبِسَنَّ [2] لساني عنك، عن شَمَمٍ،
وحرمةً لأُهَيل الوُدّ والذِّمم
قومٌ لَعَمرُ أبي، لو كان سفْكُ دمي
– ولا مغالاةَ – يُرضيهمْ، سَفكتُ دمي
إني أجلّهمُ عن أن يُغيَّرَهم
كلام ذي حسَدٍ أوقولُ متَّهم

---

(١) يريد: أنَفَة, وسكّن للضرورة.
(٢) جاء بها في موضع: (لأحبسنّ).

مـا الـعـجـزُ أقـعـدني لمـا كـفـفتُ يـدي،
لـكنْ لأجـلـهمُ نـهْـنـهتُ[1] مِن كَـلِـمي
ولـــو أشـــاءُ ملأتُ الأرضَ قـــاطـــبـــةً
قـوافـيـاً، والـفـضـاءَ الـرَّحبَ بـالحِـكَم
ولـستُ أعـجبُ إن لم تـشـتكِ ألـمـاً
إنَّ الجـمـادات لا تـشـكـو من الألم

✱✱✱✱

(١) نهنهه: كفّه.

٤٦ـ فتنة ١٣ أبريل[١]

[المديد]

بـــورك الـــصَّـــمْـــصَـــامُ من حـــكَمِ
بـــين مـــحـــكُـــومٍ ومـــحـــتـــكمِ
إنَّـــــني بِـــــعتُ الـــيَـــــراعَ به
لا أبـــيـــعُ الـــسَّـــيفَ بـــالـــقـــلم
صـــــاحِ إن الـــــعـــــزّ ممـــتـــنِعٌ
نـــــيْـــــلُه إلا عـــــلى الخَـــــذِم[٢]
إنمـــــا الـــــضِّـــــرغَـــــامُ سَـــــوَّدَهُ
نـــــابُهُ المـــــرهـــــوبُ في الـــــبَـــــهَم
لـــو يُـــســـمّى الـــســـيفُ ثـــانـــيـــةً
بـــــات يُـــــدعى: مُـــــنـــــقـــــذَ الأمم
فَـــــلَـــهُ في الـــــغـــــرب مـــــأثَـــــرةٌ
مـــثـــلُـــهـــا في الـــتُّـــركِ والـــعَـــجَم
ضـــيفَ (سَـــالـــونـــيكَ)[٣] مـــا لكَ في
ســـجـــنِـــهَـــا ضـــيْفٌ ســـوى الـــسَّـــأم
ذاك ضـــيفٌ غَـــيـــرُ مُـــحـــتـــشِمٍ
إنْ تحـــــــاولْ طـــــــردَه يُـــــــقِم
قـــد خـــلتْ (يـــلـــديـــز)[٤] مـــنك ومـــا
ذكـــــرُهـــــا يُـــــخـــــلـــــيك من ألم

---

(١) خلع السلطان عبد الحميد الثاني وتولية السلطان رشاد (باسم محمد الخامس) سنة ١٩٠٩.
(٢) سرعة القطع. يريد السيوف.
(٣) السلطان عبد الحميد وقد نزل سجيناً بسالونيك بعد خلعه.
(٤) قصره في استانبول.

زُلتَ عـــنـــهـــا وهْـيَ بـــاقـــيـــةٌ
عِـــظـــةً لـــلـــخَـــلْقِ كـــلِّـــهِم
إن تـــكنْ تـــبـــغِي الـــرجـــوعَ لـــهـــا
ذاكَ مـــقـــضِـيٌّ لـــدى الحُـــلُـم
مـــرتـعُ الـــغـــيـــد الأوانِس بل
مَـــربَعُ الـــواشـــين والـــتُّـــهم
خـــبِّـــريـــنـــا إن فـــيك لـــنـــا
حـــكـــمـــةً تـــعـــلـــو عـــلى الحِـكَم
خـــبِّـــرِيـــنـــا كـــيف عـــاقـــبـــةُ الـ
ـــبَـــغْـيِ: هل كـــانت ســـوى نـــدم؟
جُـــرتَ يـــا عـــبـــد الحـــمـــيـــد بـــنـــا
غَـــيـــرَ أن الجَـــورَ لـم يـــدُمِ
كـــنتَ كـــالأيـــامِ مـــا قـــصَـــدتْ
بـــالـــرزايـــا غـــيـــرَ ذي شَـــمَم
ظَـــلْتَ تَـــقـــري[1] الحـــوتَ من جُـــثَثٍ
أوشَـــكَتْ تُـــبـــلـــيه بـــالـــتُّـــخَم[2]
نِـــعمٌ لـــلـــبـــحـــر.. تـــطـــرحُـــهـــا
يـــا لـــهـــا في الـــبـــرِّ من نِـــقَم
ولَـــكمْ حَـــلَّـــلْتَ من حُـــرَمٍ
ولـــكَمْ أفـــســـدتَ من ذِمَم
لـم تـــراعِ قطُّ ذا صـــلـــةٍ
لا ولم تُـــشـــفق عـــلى رحِم
راعكَ الـــدســـتـــور مـــنـــتـــصـــراً
فَـــأَثَـــرْتَ الجُـــنـــدَ (بـــالـــعِـــمَم)[3]

---

(١) تطعم (من: القرى).
(٢) قيل عن السلطان عبد الحميد: إنه كان يأمر بإلقاء خصومه السياسيين في خليج البسفور المطل عليه قصره طعاماً لحيتانه التي أعدت لهذا الغرض! والمدافعون عنه يقولون: إنه ألقى فيه رجلاً واحداً اغتصب ابنته، فكبُر عليه إثمه.
(٣) أصحاب العمائم.

كـــاد يَـــلـــقَى مـــنك مـــصـــرعَهُ
وهْـــو لـم يَـــبـــلُـغْ إلـى الحُـــلُـم
ربَّ لـــــيـلٍ بـتَّ تَـــــرقْـــــبُـهُ
رِقْـــبَـــةَ الـسِّـــرحـــانِ[1] لـــلـــغَـــنم
ونـــــهـــــارٍ كـــــدْتَ فـــــيـه لـه
غـــيـــرَ خـــاشٍ كـــيْـــد مـــنـــتـــقم
أحـــســـبتَ الـــقـــومَ قـــد غَـــفَـــلـــوا
ونـــسُـــوا مـــا كـــان في الـــقِـــدَم
أم ظـــنـــنـــتَ الـــشـــعـبَ حَنَّ إلى
إمْـــرَةِ الخِـــصْـــيـــانِ والخـــدَم
أم حـــســـبتَ الجـــيشَ مـــبـــتـــعِـــداً
وهـــــو أدنـى مِن يـــــدٍ لِـــــفَم
لم يُـــطِقْ صـــبـــراً عـــلى مـــضضٍ
فـــأتى يـــســـعى عـــلى قـــدَم
عَـــلَـمٌ من خـــلـــفه عـــلَمٌ
وكَـــمِيٌّ [2] يـــقـــتـــفـــيه كَـــمي
حـــاطَ «يـــلـــديـــزا» فـــكـــان لـــهـــا
كَـــسِـــوارٍ غـــيـــرِ مـــنـــفـــصم
ورأتْ عـــيـــنـــاكَ غـــضـــبـــتَهُ
فـــبـــكتْ خـــوفَ الـــرَّدى بـــدم
ثلَّ مـــنك الـــتـــاجَ مـــهـــتـــضَـــمـــاً
مَن يُـــعـــادِ الـــشَّـــعَب يُـــهـــتَـــضَم[3]

---

(١) الذئب.
(٢) شجاع.
(٣) يُخذل وينكسر.

بتَّ لا جـــــــيشٌ ولا عـــــــلَمٌ
يـــا صـــريعَ الجـــيشِ والـــعـــلَم
وفَـــشَـــا مـــا كـــنتَ تُـــضْـــمـــرُه
فـــعَـــرفـــنـــا نـــاقضَ الـــقَـــسَم
كـــنت مـــســـلـــوبَ الـــكَـــرَى حَـــذِراً
ولـــقـــد أُعـــطـــيـــتَه فَـــنَم!
ودَعِ الـــدُّنـــيـــا وبـــهـــجـــتَـــهـــا
مـــا أرى الحـــســـنـــاءَ لـــلـــهـــرِم!
لـــستَ من طِـــرسِي ولا قـــلَـــمي
إنْ كَـــبَـــا في حَـــلْـــبـــةٍ قـــلـــمي
قل لمن رامـــوا مُـــسَـــاجَـــلَـــتي
لـــيس غـــيـــري تـــاجـــرُ الـــكَـــلِم

يـــا رشـــادَ الـــمُـــلْك[1] تـــهـــنـــئـــةً
بـــالـــذي أوتـــيتَ من نِـــعَم
إن تـــكن ذاك الـــسَّـــجـــينُ فـــيـــا
ربَّ عَـــانٍ[2] غـــيـــرَ مُـــجـــتَـــرم
أنت كـــالـــصِّـــدّيق[3] أســـكـــنَهُ
فـــضـــلُه في الـــســـجن من قِـــدَم
كن لـــهـــذا الـــشـــعب «يـــوسُـــفَهُ»
يـــنـــجُ من عُـــدْمٍ ومِن عَـــدَم
لـــستَ تـــرضى أن يـــقـــال: كَـــبـــا
دونَ شـــعبٍ هـــامَ بـــالـــصَّـــنَم

(١) السلطان محمد رشاد الخامس الذي ولي الملك بعد عبد الحميد
(٢) العاني: هو الأسير أو السجين.
(٣) النبي يوسف، ومعروف أنه كان سجيناً قبل أن يلي تموين مصر.

أنت لـــلـــشُّـــورَى نُـــعَـــوِّذُهـــا
بـكَ مـن عَـــــــاتٍ ومِـن نَـــــــهِـم
فـــتـــقـــلـــدْ ســـيفَ جَـــدِّك «عُـــثـ
ـــمـــانَ»[1] جَـــدِّ الـــبِـــيضِ والخُـــذُمِ[2]
وتـــــــولَّ الـــــــمُـــــــلكَ من أَمَـمٍ
وبـــحـــبل الـــلـــه فـــاعْـــتَـــصِم
قـــد شَـــفَـــا مـــرآك مـــقـــلـــتَه
مـن عـــــمًى ، والأذنَ مـن صـــــمَم
دمتَ يـــا خـــيـــرَ المـــلـــوكِ له
غـــــيـــــرَ مـــــا هَمٍّ ولا ســـــقَم

****

(١) عثمان أرطغرل المؤسس الأول لدولة سميت باسمه في آسيا الصغرى «العثمانيون».
(٢) البيض: السيوف. والخذم: سرعة القطع. يريد السيوف القاطعة.

٤٧ ـ الكبرياء خُلّة الشيطان

[الكامل]

لي صـــاحبٌ دخل الـــغـــرورُ فـــؤادَهُ
إن الـــــغُـــــرورَ أُخيَّ من أعـــــدائي
أسـديـتُه نُـصـحي فـزادَ تـمـاديـاً
فـي غَـــــيِّـهِ وازدادَ فـــــيـه بـلائـي
أمسى يُسيءُ بيَ الـظـنـونَ ولم تـسـؤْ،
لـــولا الـــغـــرورُ، ظـــنـــونُهُ بـــولائي
قـد كـنتُ أرجـو أن يُـقـيمَ عـلى الـوَلا
أبـــداً، ولـــكنْ خـــاب فـــيه رجـــائي
أهـوى الـلـقـاءَ به ويـهـوَى ضـدَّه
فـكـأنمـا المـوتُ الـزُّؤامُ لـقـائي
إنـي لأَصـــحـــبُهُ عـــلى عِلاّته
والـبـدرُ من قـدَمٍ أخـو الـظَّـلْـمـاء
يـا صـاحِ إنَّ الـكـبْـرَ خُـلْقٌ سيءٌ
هـيـهـاتَ يـوجـد في سِوى الجُـهَلاء
والـــعُـــجْبُ داءٌ لا يُـــنـــالُ دواؤُهْ
حـتى يُـنـالَ الخـلُـدُ في الـدُّنـيـاء[1]
فـاخـفِضْ جـنـاحَكَ للأنـامِ تَـفُـزْ بـهم
إنَّ الـتـواضعَ شـيـمـةُ الحُـكـمـاء
لـو أُعـجِبَ الـقـمـرُ المـنـيـرُ بـنـفـسِه
لـرأيـتَه يَـهـوِي إلى الـغَـبْـراء

****

(١) يريد: الدنيا، ونمدّها للضرورة.

٤٨ ـ أيها القلم

[البسيط]

مـاذا جـنـيتَ عـلـيـهمْ أيـهـا الـقـلـمُ
والـلـهِ مـا فـيكَ إلا الـنّـصْحُ والحِـكَمُ
إني لـيَـحـزُنُـني أن يَـسـجـنـوك وهم
لـولاكَ في الأرض لم تـثـبُتْ لـهم قَـدَم
خُـلـقتَ حُـراً كـمـوج الـبـحـرِ مـنـدفـعـاً
فـمـا الـقـيـودُ ومـا الأصـفـادُ والـلُّـجُم
إن يَـحـبِـسـوا الـطائـر المحكيَّ في قـفصٍ
فـلـيس يُـحـبَسُ مـنه الـصـوتُ والـنَّـغَم
الـلـهَ في أمـةٍ جـارَ الـزمـانُ بـهـا
يَـفـنَى الـزمـانُ ولا يَـفـنى لـهـا ألَم
كـأنمـا خـصَّـهـا بـالـذلِّ بـارئُـهَـا
أو أقـسمَ الـدَّهـرُ لا يـعـلـو لـهـا عَـلَم
مـهـضـومـةُ الحقِّ لا ذنبٌ جـنـتْه سِـوى
أنَّ الحـقـوق لـديـهـا لـيس تَـنـهـضِم
مـرَّتْ عـلـيـهـا سـنـونُ كـلـهـا نِـقَمٌ
مـا كـان أسـعـدَهـا لـو أنـهـا نِـعَم
عَـدُّوا شـكـيّـتـهـا ظـلـمـاً، ومـا ظـلَـمتْ،
وإنمـا ظـلـمُـوهـا بـالـذي زعـمـوا
مـا ضـرّهُـمْ أنـهـا بـاتت تـسـائـلُـهُمْ
أين المـواثـيقُ؟ أين الـعـهـدُ والـقَـسَم؟

أمـــا كـــفى أنّ في آذانـــهم صـــمـــمـــاً
حـتى أرادوا بـأن يَـنـتـابـهـا الـصَّـمَم
كـــأنمـــا ســـئـــمـــوا ألاّ يـــزالَ بـــهـــا
روحٌ عـلى الـدهـر لم يـظـفـر بـهـا الـسَّـأَم
فـقـيِّـدوهـا لـعل الـقـيـدَ يُـسـكـتُـهـا
وعـزَّ أن يَـسـكُتَ المـظـلـومُ لـو عـلـمـوا
وأرْهَـقُـوا الـصَّـحْفَ والأقلامَ في زمنٍ
يـكـاد يُـعـبَـدُ فـيه الـطِّـرسُ والـقـلم
إن يمـنـعُـوا الـصُّحفَ فـيـنـا بثَّ لـوعـتـنـا
فـكـلُّـنـا صـحُفٌ في مـصـرَ تَـرتـسِم
إنـا لـقـومٌ لـنـا مـجـدٌ سـنـذكُـرُه
مـا دامَ فـيـنـا لـســانٌ نـاطقٌ وفمُ
كـيف الـسـبـيلُ إلى سُـلْـوانِ رفـعـتِـنـا
وهْيَ الـتي تـتـمـنَّى بـعـضَـهـا الأمم
يـأبَى لـنـا الـعـزّ أن نـرضى المـذلّـةَ في
عـصـرٍ رأيـنـا به الـعِـبْـدانَ تُـحْـتَـرم
لَـلـمَـوتُ أجـملُ من عـيشٍ عـلى مـضضٍ
إن الحـــيـــاةَ بلا حـــريّـــةٍ عَـــدمُ

✱✱✱✱

٤٩ ـ مصر والشام

[الوافر]

أ طـالَ الـلـيلُ أم طـالَ الـمُـقـامُ؟
أم الـمَـحـزونُ خـامَـرَهُ الـهُـيَـامُ ؟
فـبـاتَ يُـصَـعِّـدُ الـزفَـرَاتِ وجـداً
وإمَّـا نـاحَ أسـعـدَهُ[1] الحَـمَـام
تـعـوَّدَ جـسـمُه الأسـقـامَ حـتى
لـيَـحـذَرَ أن يُـزايـلَهُ الـسَّـقَـام
وأغـرَى جَـفـنَه بـالـسُّـهـد حـتى
لَـيُـشـفِقَ أن يُـطـيفَ به المـنـام
تجَـمَّـعَتِ الـهُـمـومُ عـلـيه تَـتْـرَى
كـمـا اجـتـمـعتْ عـلى المـاء الـسَّـوَام[2]
وأعْـوَزَهُ عـلى الـبـلـوى مُـعـينٌ
وأعـوزَ لـيـلَهُ الـقـمـرُ الـتَّـمـام
فـضـاقَ فـؤادُه بـالـهمّ ذَرْعـاً
وضـاقَ بـهَـمِّهِ وبه الـظلام
كـأنَّ نجـومَهُ أجـفـانُ بـاكٍ
كـأن الـلـيل صبٌّ مُـسـتَـهَـام
أبِـالأقـمـارِ مـا بي، فـهْيَ مـثـلي
تحـاولُ أن تـنـامَ فلا تـنـام؟
أبتْ إلا الـسـكـوتَ وبتُّ أشـكـو
وأنّى يَـصـحَبُ الـوجْـدَ اكْـتِـتَـام

---

(١) أسعفه وأنجده.
(٢) السوام: الماشية التي ترعى.

ولـيس بـنَـافِـعي مـنـهـا سـكـوتٌ
ولـيس بـنَـافعِ الـشُّـهبِ الـكلام
كـأني قـارئٌ والـلـيلُ سِـفْـرٌ
لـه بـدءٌ ولـيس له خِـتـام
كـذاك الـهمُّ أعـسـرَ مـا تـراهُ
إذا سـكَنَ الـدُّجى وغَـفَـا الأنـام
تحنُّ إلى بلاد الـشـام نـفـسي
أقُـطْـرَ الـشَّـامِ حَـيّـاك الـغَـمَـام
ومـا غـيـرَ الـشـآم وسـاكـنـيه
لِـبَـانَـتُـنـا[1] وإنْ بَـعُـدَ الـشَّـآم
ولـولا أنَّ في مـصْـرٍ مُـقـامي
لـعَـمـرُ أبـيكَ مـا طـال الـمُـقَـام
مـضى عـامٌ عـليّ بـأرض مـصـرٍ
وذا عـامٌ وسـوف يـجيء عـام
ومـا مِـصـرُ الـتي مـلـكَتْ فـؤادي
ولـكنْ أهـلُـهـا قـومٌ كِـرام
وِدادُهُـمُ عـلـى الأيـام بـاقٍ
وجـارهـمُ عـزيـزٌ لا يُـضـام
ومِن أخلاقِـهمْ لـينُ الحُـمـيّـا[2]
إذا انـتـسـبتْ إلى الـلِّـينِ الـمُـدام
وتُـبْـصِـرُ في صـدورهِـمُ أنـاةً
إذا الأحلام[3] طـاح بـهـا الخِـصَـام

(١) غرضنا.
(٢) الخمرة.
(٣) العقول (الحلم).

أَبَتْ إلا عـــنـــادَهُمُ الـــلـــيـــالي
فـمَـا يـئـسـوا الـغـداةَ ولا اسْـتَـنـامـوا
يـــودُّ الـــطـــامـــعـــونَ بـــأرضِ مـــصْـــرٍ
لـــوانَـــهـمُ بـــهـــا أبـــداً أقـــامـــوا
فلا عـــجبٌ إذا خَـــفَـــروا ذمـــامـــاً[1]
شـــديـــدُ الـــبـــطش لـــيس له ذِمـــام
نُلام عـــلى الـــكلام وقـــد أصـــبْـــنـــا
وقـد ضـلّـوا الـصـوابَ فـلم يُلامـوا
أقـــانـــونـــاً قـــيـــودُهُمُ تُـــســـمّى ؟
إذًا قـــد أنّثَ الـــرجلَ الـــلـــثـــامُ
إلامـــا تُـــمـــنعُ الـــدســـتـــورَ مـــصـــرٌ
وقـــد كـــادتْ تـــفـــوز به (سِـــيـــام)[2]
بـــني مـــصـــرٍ عـــلى الأحـــداثِ صـــبـــراً
فـقَـبلَ الـصـبحِ يـجـتـمعُ الـغَـمـاَم
ولا يـــلـــحقْ بـــكم ضـــجـــرٌ فـــإني
رأيتُ الـــظـــلـــمَ لـــيس له دَوام
فـــإن الـــلـــيلَ يـــعـــقُـــبُه صـــبـــاحٌ
وإن الحـــربَ آخـــرُهـــا سلام

✱✱✱✱

(١) العهد.
(٢) من دول الشرق الأقصى. وتمد ميم (إلامَ) في أول البيت للضرورة.

٥٠ - (عام ١٩١٠)

[الكامل]

إني سـكتُّ ومـا عـدِمتُ الـمَـنـطِـقـا
لـولا أخـوكَ سَـبـقتُ فـيك الأسـبَـقـا
وهـززتُ أوتـارَ الـقـلـوبِ بـصـامتٍ
يَـشـتـاقُ كلُّ مـهـذبٍ أن يَـنـطِـقـا
فـبـعـثتُ في أفـواهـهمْ مـثل الـطِّلا
ونـفـثتُ في أسـمـاعـهم شِـبه الـرُّقَى[١]
وألـنْتُ قـاسِي الـشَّـعـرِ حـتى يُـبـتـغَى
وشـددتُ مـنه الـلِّـينَ حـتى يُـتَّـقَى
وجَـلَـوْتُ لـلأبـصـار كلَّ خَـريـدةٍ[٢]
عـصـمـاءَ تحسُـدهـا الـنـفوسُ تـألُّـقـا
تـبـدو فَـتـتْـرُكُ كلَّ قـلـبٍ شـيِّقٍ
خِـلْـواً وتـتـركُ كلَّ خـالٍ شـيِّـقـا
ولّى أخـوكَ فـمـا أمـضَّـنـيَ الـنـوى
ولـقـد قـدمتَ فـمـا هـشَـشتُ إلى الـلـقـا
أقـبـلتَ والـدنـيـا إليّ بـغـيـضـةٌ
هلاّ سَـبـقتَ إليَّ أسـبـابَ الـشَّـقـا
حـنِـقتَ بلا سـبـبٍ عـلـيّ، وإنه
سـببٌ جـديـرٌ عـنـده أن أحـنَـقـا

---

(١) الطلا: الخمر. والرقيّة: العوذة (والجمع: رُقى).
(٢) اللؤلؤة قبل أن تثقب. يريد القصيدة من شعره.

عــلِــقَتْ أخي كفُّ المــنــونِ وكِــدتُ أن
أســعى عــلى آثــارِه لــولا الــتُّــقَى
مــا أشْــفــقَتْ نــفــسي عــليّ وإنمــا
أشْـفـقتُ أن أبـكي الـصَّـديقَ المـشْـفِـقـا
ودّعــتُه كــالــبــدر عــنــد تــمــامِه
والــبــدرُ لــيس بــآمنٍ أن يُــمــحَــقــا
ولــقــد رجــوتُ له الــبــقــاءَ وإنمــا
يــدنــو الحِـمَـامُ لمن يُــحَبُّ له الـبَـقـا
أصـبـحتُ مـثلَ الـنَّـسْـر قُصّ جـنـاحُهُ
فــهَــوَى ولــو سَـلِمَ الجـنـاحُ لحَـلَّـقـا
نــائي الــرجــاءِ فلا أســيــرُ مــوثَقٌ
أرجـو الـفَـكَـاك، ولـستُ حُـرّاً مـطـلـقَـا
ولـقـد لـبـستُ من الـسَّـوادِ شـعـائـراً
حـتى خـضَـبتُ من الحِـداد الـمَـفْـرِقـا
وزجـرتُ عـيـني أن تُـسـرّ بمـنـظـرٍ
ومـنـعتُ قـلـبي بـعـدَهُ أن يَـخْـفِـقـا
لا أظــلِـمُ الأيــامَ في مــا قــد جــنتْ
لا تــأمنِ الأيــامَ أن تــتَــفَــرَّقــا
كنْ كـيف شـئتَ فـلـستُ أسـكنُ لـلـمُـنى
بـعـدَ الحـبـيبِ ولـستُ أحـذَرُ مَـوْبـقـا[1]
عــامٌ نــسِــيتُ سُــعــودَه بــنُــحــوسِه
قـد يَـحـجُبُ الـلـيلُ الـهلالَ الـمُـشْـرِقـا
لم أنسَ طــاغــيَــةَ المــلــوكِ وقــد هــوَى
عن عــرشِه وأســيــرَه لــمّــا ارتــقَى

(١) الموبق: المهلك (وبق – يبِق: هلك).

والـشـاهُ مـنـخـلِعُ الحُـشـاشـةِ واجفٌ
أرأيتَ «شـاهـاً» قطُّ أصـبح «بَـيْـدقَـا»
مـا زال يـحـتـقِـرُ الـظُّـبـا حـتى غـدا
لا تُـذكَـرُ الأسـيـافُ حـتى يُـصْـعَـقـا[1]
بِـتْـنـا إذا الـتـركيُّ ضجّ مُـهـلِّلاً
عـبثَ الـهـوَى بـالـفـارسيّ فـصَـفَّـقـا
ذكْـرَى تُـحـركُ كلَّ قـلـبٍ سـاكنٍ
حـتى لـيَـعـشقَ بـعـدَهـا أن يَـعـشَـقـا
فـيـمـا عـلى الـنِّـيلِ الـنـحـوسُ ولم يـكن
دونَ الخـلـيـجِ ولا الـفُـراتِ تـدفَّـقـا
إن لـم أذُدْ عن أرض مـصـرَ مـوفَّـقـاً
أوْدَى بـآمـالي الـزمـانُ مـوفَّـقـا
مـا بـالُـهـا تـشـكـو زوالَ بـهَـائـهـا
وهي الـتي كـانت تَـزين الـمَـشـرقـا
قـد أخـلـفتْ كفُّ الـسـيـاسـةِ عـهـدَهـا
إن الـسـيـاسـةَ لا تُـراعي مَـوثِـقـا
كَـذَبـوا عـلى مـصـرٍ وصُـدِّقَ قـولُـهم
والـشـرُّ أن تجـدَ الـكَـذوبَ مُـصَـدَّقـا
وأبَـوا عـلـيـنـا أنـنـا لا نـنـتـهي
من مـأزقٍ حـتى نـصـادفَ مـأزِقـا
سَـلـكُـوا بـنـا في كلِّ وادٍ ضـيِّقٍ
حـتى قـنـطـنـا أن يـصـيـبـوا ضـيّـقـا
مـنـعـوا الـصـحـافةَ أن تـبثّ شـكـاتَـنـا
مـنـعـوا الـكـواكبَ أن تَـبـين وتُـشْـرقـا

(١) الظُّبة: حد السيف والسنان والخنجر (والجمع: ظُبا وظبات وظبون).

لـوأنـصـفـوا رفـعـوا الـقـيـودَ فـإنمـا
يـشـكـو الأسـيـرُ الأسـرَ إمّـا أُرهـقـا
وسـعَـوْا إلى سـلْبِ الـقـنـاةِ فـأخـفَـقُـوا
سـعـيَـاً، وشـاء الـلـهُ أن لا نُـخْـفـقـا
عـرضَ الحسـابَ المسـتـشـارُ ولم يـكن
لـولا الـسـيـاسـةُ حـاسـبـاً ومـدقِّـقـا
أيـكـونُ غـاصِـبَـنـا ويـزعُم أنه
أمـسى عـلـيـنـا مُـحـسِـنـاً مـتـصـدِّقـا
أبَـنـي الـكـنـانـةِ! لـسـتُمُ أبـنـاءهـا
حـتّى تَـقُـوا مـصـرَ الـبلاءَ الـمُـطْـبِـقـا
إن تحـفـظـوهـا تحـفـظـوا في نَـسـلِـكُمْ
ذِكْـراً يُـخـلَّـدُ في الـلـيـالي رَونَـقـا

✱✱✱✱

٥١ - دعابة[١]

وقال يداعب صديقاً له يعشق التمثيل:

[الكامل]

نُـبِّـئتُ أنك تـعـشقُ الـتَّـمـثـيلا
عـشـقـاً يمـثِّلُ في حَـشـاكَ فُـصـولا
وتـكـاد من فَـرْط الـصَّـبـابـةِ والجَـوَى[٢]
أن تـهـجُـرَ المـشـروبَ والمـأكـولا!
عـلّـلتَ نـفسك بـالـمُـحـال فـأصـبـحتْ
في غـمـرةٍ، وغـدوتَ أنت عـلـيلا
والـنـفسُ تـقـنـعُ بـالـقـلـيل فـحَـبّـذا
لـو أنت صـيّـرتَ الـقـلـيلَ الـسُّـولا[٣]
تـأبَى «المـراسحُ»[٤] أن تُـنـيـلَكَ وُدَّهـا
إن «المـراسحَ» لا تحبُّ ثـقـيلا!

****

(١) هذا العنوان لا يوجد بالأصل.
(٢) الجوى: الحرقة وشدة الوجد.
(٣) السول هو السؤل، أي الشيء الذي يريده الإنسان.
(٤) هكذا كانت تُنطق هذه الكلمة، أحياناً، في ذلك العصر !

٥٢ - أيا نيل

[الطويل]

وقـفتُ ضـحىً في شـاطئ الـنـيل وِقـفـةً
يـضِنُّ بـهـا إلا عـلى الـنـيل شـاعـرُهْ
تـهـلّلَ حـتى كـاد يـبـدو ضـمـيـرُهُ
وعـبَّسَ حـتى كـاد يُـشْـكِلُ ظـاهـرُه
فـطـوراً أُجِـيلُ الـطَّـرْفَ في صـفـحَـاتِه
وطـوراً أجِـيلُ الـطرف فـيـمـا يُـجَـاوره
فـثَمَّ جلالٌ يملأ الـنـفسَ هـيـبَـةً
وثَمَّ جـمـالٌ يملأ الـعـينَ بـاهِـره
وألحظُ شـمسَ الأفْق وهي مُـطِـلَّـةٌ
تـسـايـرُ فـيه ظـلَّـهـا إذ تُـسَـايـره
فـأحـسَـبُـهـا فـيه تُـسـاهِـمُـني الـهـوى
وتُـحـسـبُـني فـيـهـا الـغـرامَ أُشَـاطـره
إذا هـي ألـقتْ في حـواشـيه نـورَهَـا
رأى الـتِّـبـرَ يـجـري في حـواشِـيه نـاظِرُه
أطـالتْ به الـتَّـحـديقَ حـتى كـأنمـا
تحـاولُ مـنه أن تَـبـيـنَ سَـرائـره
فـيَـا لـهـمـا إلـفَـيْنِ بـاتـا بمـعـزِلٍ
يـخـامـرُهـا من حُـبّه مـا يـخَـامِـره
يـروحُ الـنـسـيمُ الـرطْبُ في جـنَـبـاته
يـداعـبُه طـوراً، وطـوراً يـحَـاوِره

وتَـقـبضُ من مَـبـسـوطِه نـفَـحَـاتُهُ
كـمـا قـبضَ الـثـوبَ المـطـرَّزَ نـاشِـرُه
فـيَـصـدِفُ عـنه وهـو داجٍ مـقـطّبٌ
كـأن عـدواً بـالـنـسـيمِ يُـحـاذِره
كـأني به سِـفْـرٌ تـدانتْ سـطـورُهُ
أوائـلُه قـد شُـكِّـلتْ وأواخِـرُه
إذا مـا جَلا لـلـنـاظـرينَ رمـوزَهُ
تجـلّى لـهم مـاضـي الـزمـان وحـاضـره
أيـا نـيلُ! نـبـئْـني أحـاديثَ من مـضَـوْا
لـعلّ شـفـاءَ الـنـفسِ مـا أنت ذاكِـرُه
حِـيـالكَ صبٌ بـالخـطـوب مـهـدَّدٌ
جـوانـحُه رهنُ الـهـمـومِ وخـاطِـرُه
أطـاع شـجُـونـاً لـو أطـاع فـؤادَه
عـلـيـهـا لـفـاضتْ بـالـنَّـجـيعِ مـحـاجِرُه
يـحُثُّ إليّ الـدهـرُ كلَّ رَزيـئَـةٍ،
عـلـى عـجلٍ، حـتى كـأنيَ واتِـرُه
ومـا أنـا بـالـعـبـد الـذي يَـرهبُ الـعَـصـا
ولـكـنـنـي حُـرٌّ تَـروعُ بـوادره
أيـا نـيلُ! فَـامـنـحْـنِي عـلـى الحقّ قـوةً
فـمـا سـوَّدَ الـضِّـرغـامَ إلا أظـافِـرُه
وهـبـنِيَ بـأسـاً يَـسـكنُ الـدهـرُ عـنـدَهُ
فـقـد طـالمـا جـاشت عـليّ مـنـاخِـره
إذا لم تـكنْ عَـونَ الـشـجيِّ عـلـى الأسَى
فـخـاذِلُه فـيـه سـواءٌ ونـاصِـرُه

قِني اليأسَ، وامنعْ شعبَكَ الضعفَ يتّقي
ويُنصفُه من حُسّادِه من يُناكِره[1]
هو الدهرُ من ضِدّين: ذُلٍّ وعِزّةٍ
فمَن ذلَّ شاكِيَهُ، ومن عَزَّ شَاكِرُه
وللقادر الماضي العزيمةِ حُلوُهُ
وللعاجزِ الواهي الشكيمةِ حازِرُه[2]
وما الناسُ إلا القادرون على العُلا
وليست صنوفُ الطِّيرِ إلا كواسِرُه
ألم تَرَهُ مُنذُ اسْتُلِينَتْ قناتُه
تمشَّتْ إليه الحادثاتُ تُسَاوره
فأُرهِقَ حتى ما يَبينُ كلامُه
وقُيِّدَ حتى ليس تَسْري خواطِره
ولو ملكوا الأقدارَ، أستغفرُ الذي
له المُلْك يؤتيه الذي هو آثِره
لما تركوا شمسَ النهار يَزورُه
سَناها، ولا زُهرَ النجوم تُسَامِره
يريدون أن يبقى ويذهبَ مجدُه
وكيف بقاءُ الشعب بادتْ مآثره
فـ«غورسْتُ»[3] في مصرٍ يسدّدُ سهمَهُ
إليه، وقنّاصُ الوحوشِ يُضَافِره
يَلِجّون في إعْناته، فإذا شكا
يصيحون أن الشعبَ قد ثار ثائره

(١) ينكر حقه في الحياة.
(٢) الحزر من اللبن: أشد من الحامض.
(٣) غورست هو المعتمد البريطاني في ذلك العهد.

لـقـد هَـزِئـوا لـمّـا تـنـبَّه بـعـضُه
فـلِمْ ذُعـروا لـمّـا تـنـبَّه سـائـره؟
يـقـولـون: جـانٍ لا يـحِلُّ فَـكـاكُه
ولـو أنـصـفـوه حُـمِّل الإثمَ آسِـره
عـجـبتُ لـقـومٍ يُـنـكـرون شـعـورَهُ
وهـاتـا مـجَـالـيه وتـلك مـظَـاهِـرُه
ألم يكُ في يـوم الـقَـنـاة ثـبـاتُه
دلـيلاً عـلى أنْ لـيس تُـوهَى مـرائِـره[1]
يـعِـزّ عـلى المـصـريِّ أن يـحـملَ الأسى
وحـاضـرُه يـأبى الـهـوانَ وغـابـرُه
لـئن تكُ لـلـتـاريخ والـله زيـنـةٌ
فـمـا زيـنـةُ الـتـاريخ إلا مـفَـاخِـره
رعى الـلهُ من أبـنـائه مَن يَـذودُ عن
حِـمَـاهُ، ومِن أضـيـافِه مَن يُـظـاهـره[2]
همُ بـعـثـوا فـيه الحـيـاةَ جـديـدةً
فـشُـدَّتْ أواخـيه[3] وعـزّتْ أواصِـره
وهمْ أسـمـعـوا الأيـام صـوتـاً كـأنمـا
هـو الـرعـدُ تـدوي في الـسـمـاء زَمـاجِـرُه
وهمْ أطـلـقـوا أقلامَـهمْ حـين أصـبـحتْ
مـكـبَّـلـةً أقلامُهُ ومَـحَـابـره
كـذلك إن يَـعـدَمْ أخـو الـظـلـمِ نـاصـراً
فـلن يـعـدمَ المـظـلـومُ حـرّاً يـنـاصِـرُه

✱✱✱✱

(١) المِرّة: القوة وشدة العقل.
(٢) يساندُه أو يساعده يقصد السوريين الذين وقفوا إلى جانب المصريين في المطالب الوطنية.
(٣) الآخيَة: عروة تُربط إلى وتد وتُشد فيها الدابة.

٥٣ ـ شكاة إلى صديق[١]

[مجزوء الكامل]

وقال وقد أرسلها إلى صديق

يـــا مَـن قَـــرُبتَ مـن الـــفُـــؤا
دِ وأنتَ عن عـــيـــني بـــعـــيـــدْ
شَـــوقـي إلـــيك أشـــدُّ مـن
شـوق الـسّـلـيم[٢] إلى الـهُـجُـود[٣]
أهـــوَى لـــقـــاءك مـــثـــلَـــمـــا
يـــهـــوَى أخـــو الـــظَّـــمَـــأِ الـــوُرود
وتَـــصـــدُّني عـــنك الـــنَّـــوى
وأصـــدُّ عن هـــذا الـــصُّـــدود
وردتْ نَـــمـــيـــقـــتك[٤] الـــتي
جـــمـــعتْ من الـــدُّررِ الـــنَّـــضِـــيـــد
فـــكـــأنَّ لـــفـــظَك لـــؤلـــؤٌ
وكـــأنمـــا الـــقـــرطـــاسُ جِـــيـــد
أشـــكـــو إلـــيك ولا يُـلا
مُ إذا شـكـا الـعـاني الـقـيـود
دهـــراً بـــلـــيـــداً مـــا يُـــنِـــيـ
ـلُ ودادَه إلا بَـــلِـــيـــد
ومَـــعَـــاشِـــراً مـــا فـــيـــهمُ

---

(١) هذا العنوان غير موجود بالأصل.
(٢) الملدوغ.
(٣) النوم.
(٤) رسالتك.

إن جـئـتـهمْ، غـيـرُ الـوعـود
مُـتَـفـرنِـجـينَ ومـا الـتَّـفَـرْ
نُجُ عـنـدهمْ غـيـرُ الجُـحـود
لا يـعـرفـونَ من الـشَّـجـا
عـةِ غـيـرَ مـا عَـرف الـقـرود
سـيّـانِ قـالـوا بـالـرضـا
عـني أوالـسُّـخط الـشـديـد
من لـيس يـصـدُق في الـوعـو
د فـلـيس يَـصـدق في الـوعـيـد
نـفـرٌ إذا عُـدّ الـرجـا
لُ عَـددْتَـهم طيّ الـلُّـحـود
تـأبى الـسـمـاحَ طـبـاعُـهم
مـا كلُّ ذي مـالٍ يـجـود
أسـخـاهمُ بـنُـضـارِهِ
أقـسى من الحـجـر الـصَّـلـود
جَـعْـدُ الـبـنـان بـعِـرضه
يـفـدي الـلُّـجـين من الـوفـود[1]
ويـخـافُ من أضـيـافهِ
خـوفَ الـصـغـيـرِ من الـيَـهـود[2]
تَـعِسَ امـرؤٌ لا يَـسْـ
ـتَـفـيـدُ من الـرجـال ولا يُـفـيـد
وأرى عـديمَ الـنَّـفـعِ أنّ
وجـودَهُ ضـررُ الـوجـود

(١) جعودة البنان: كناية عن خصلة الكرم. والنضار: الذهب. واللجين: الفضة.
(٢) الشائعة التي تقول: إن اليهود يقتلون الأطفال ويمزجون دماءهم بالفطير في الفصح.

✷✷✷✷

(١) قافية مشتهرة.

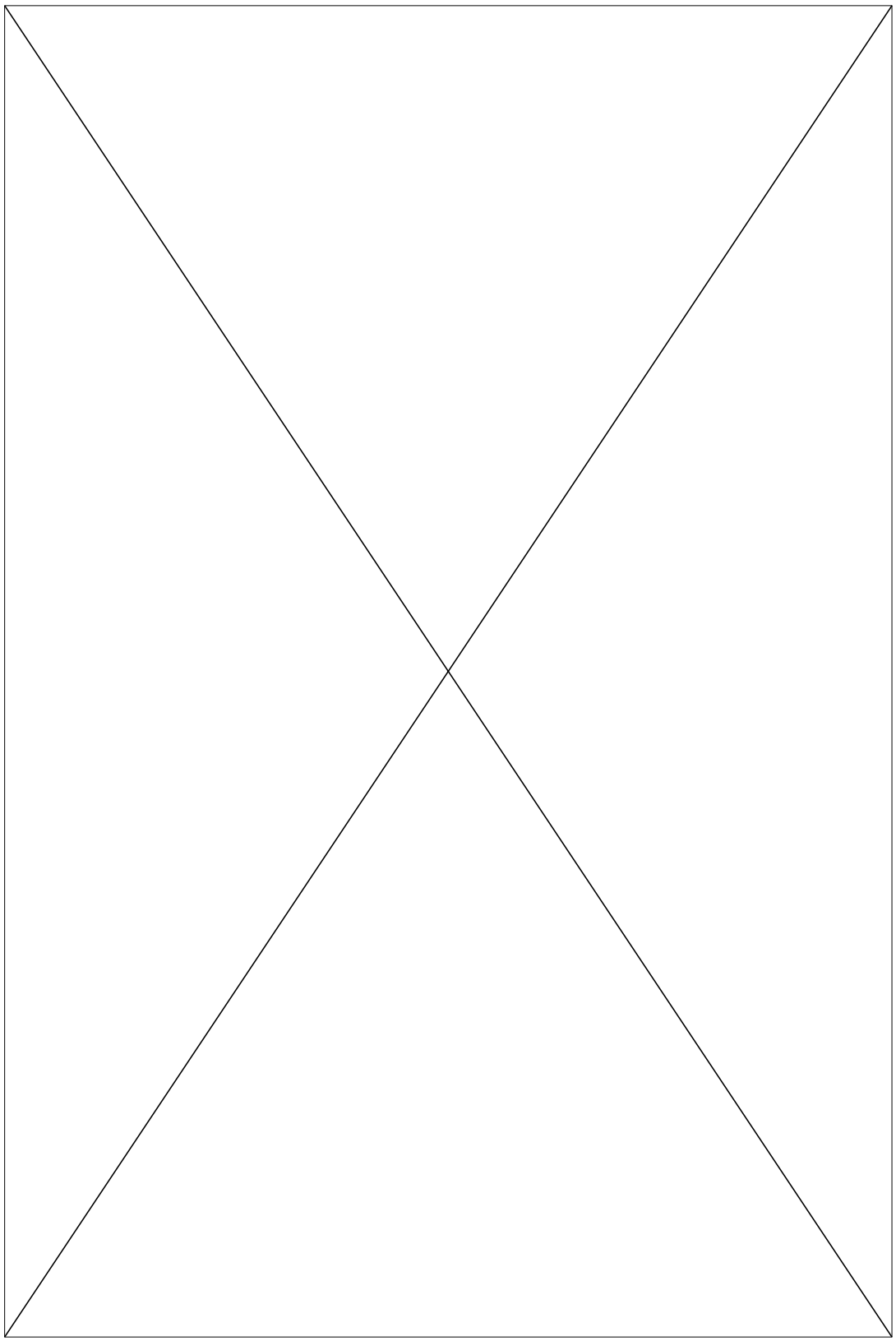

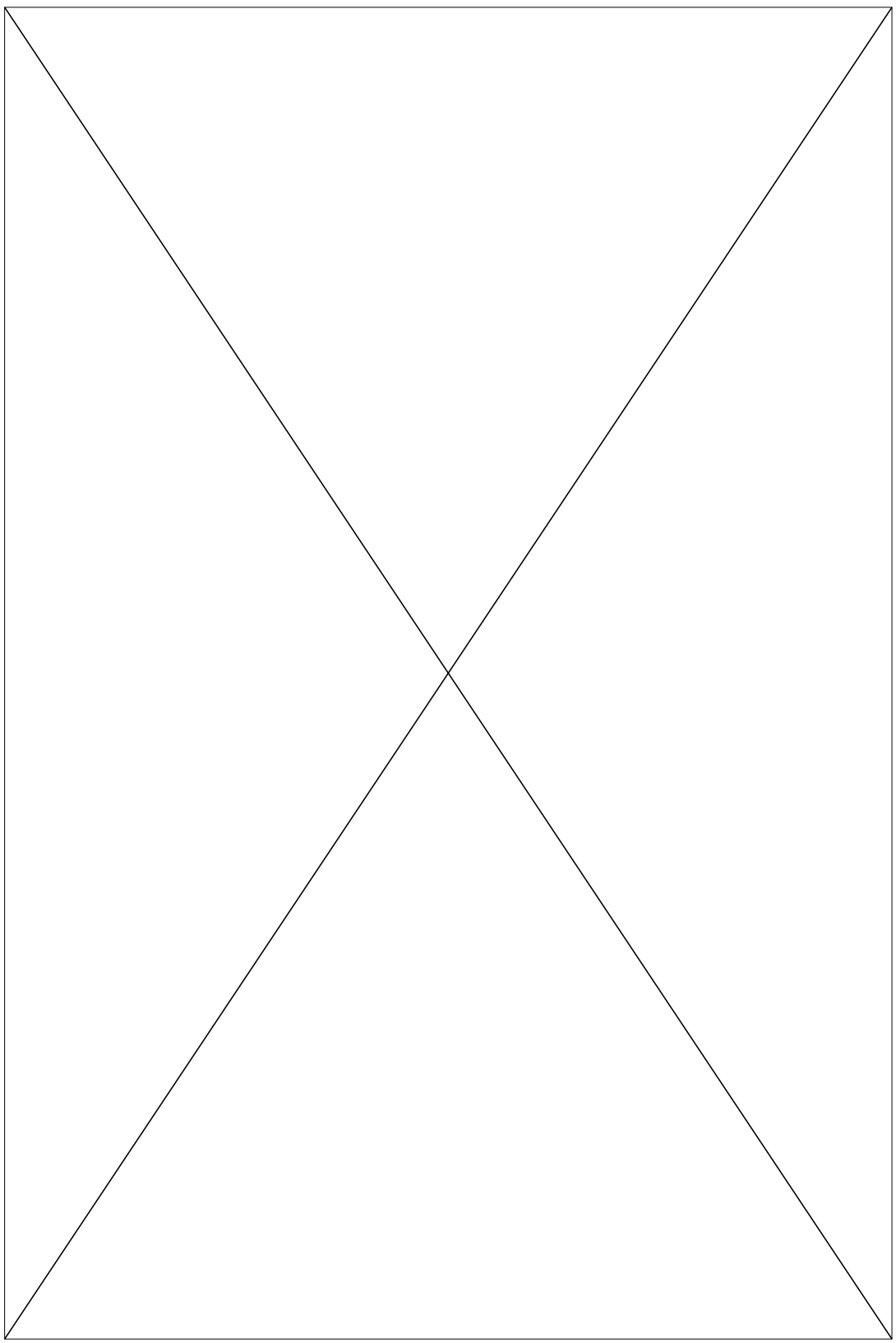

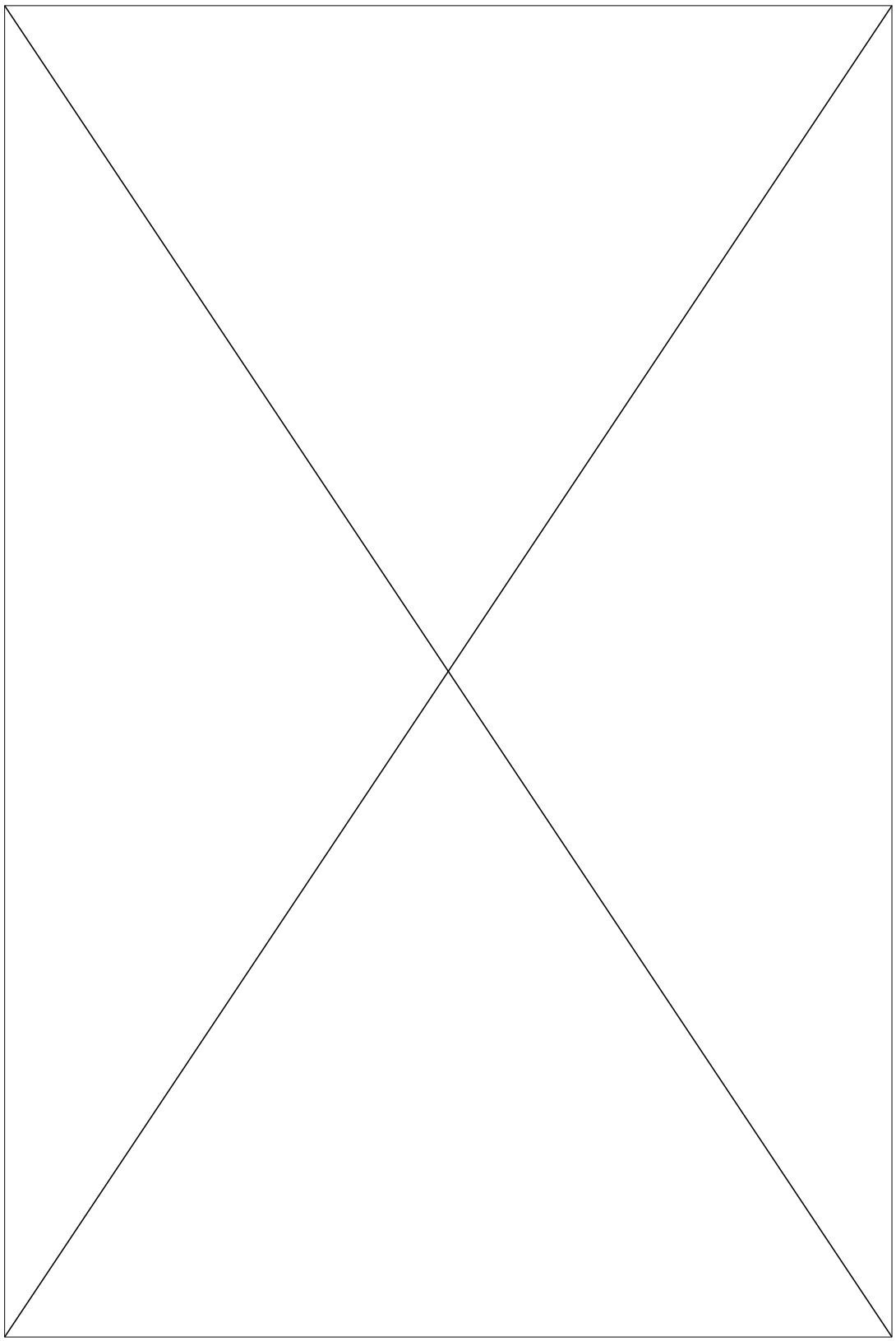

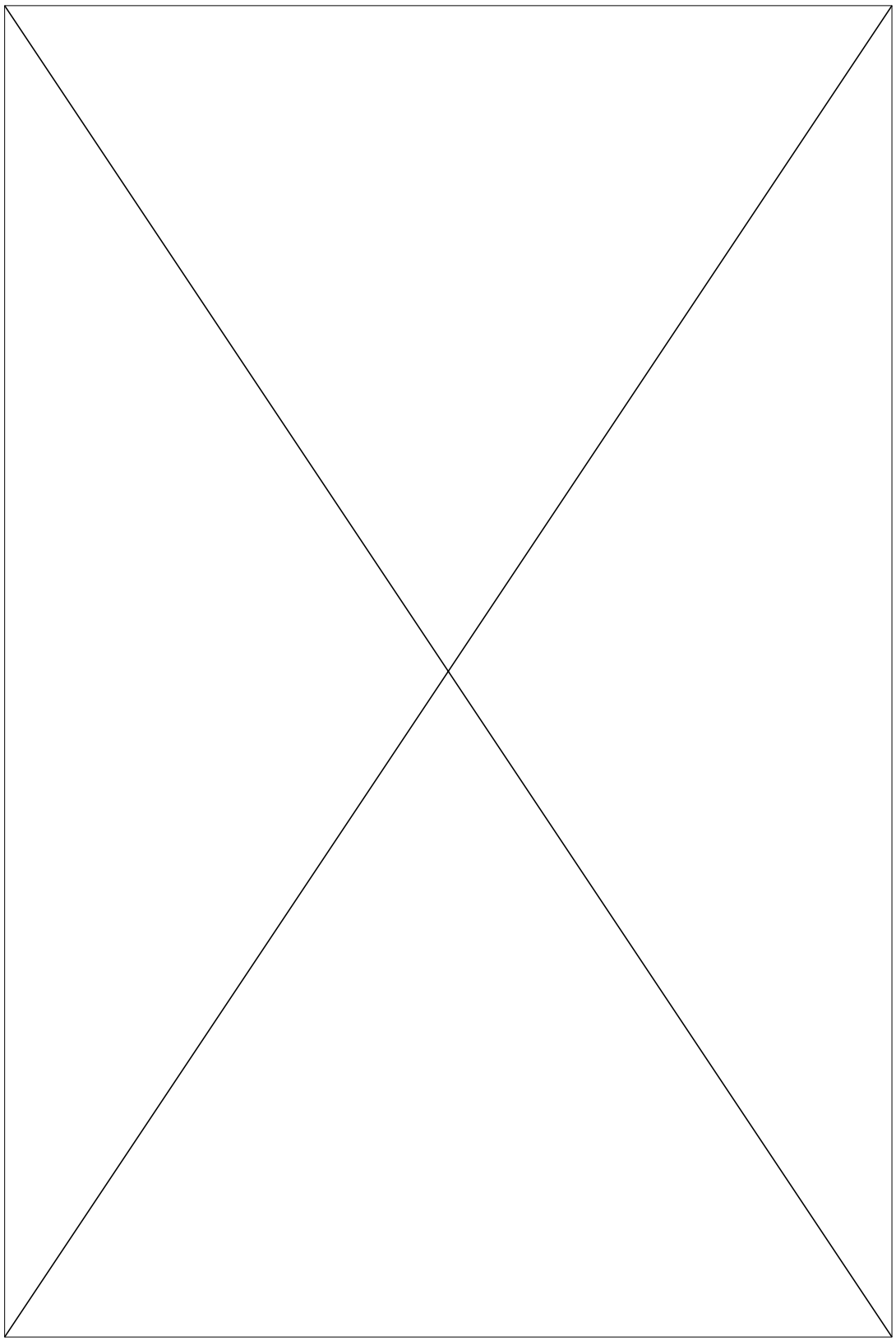

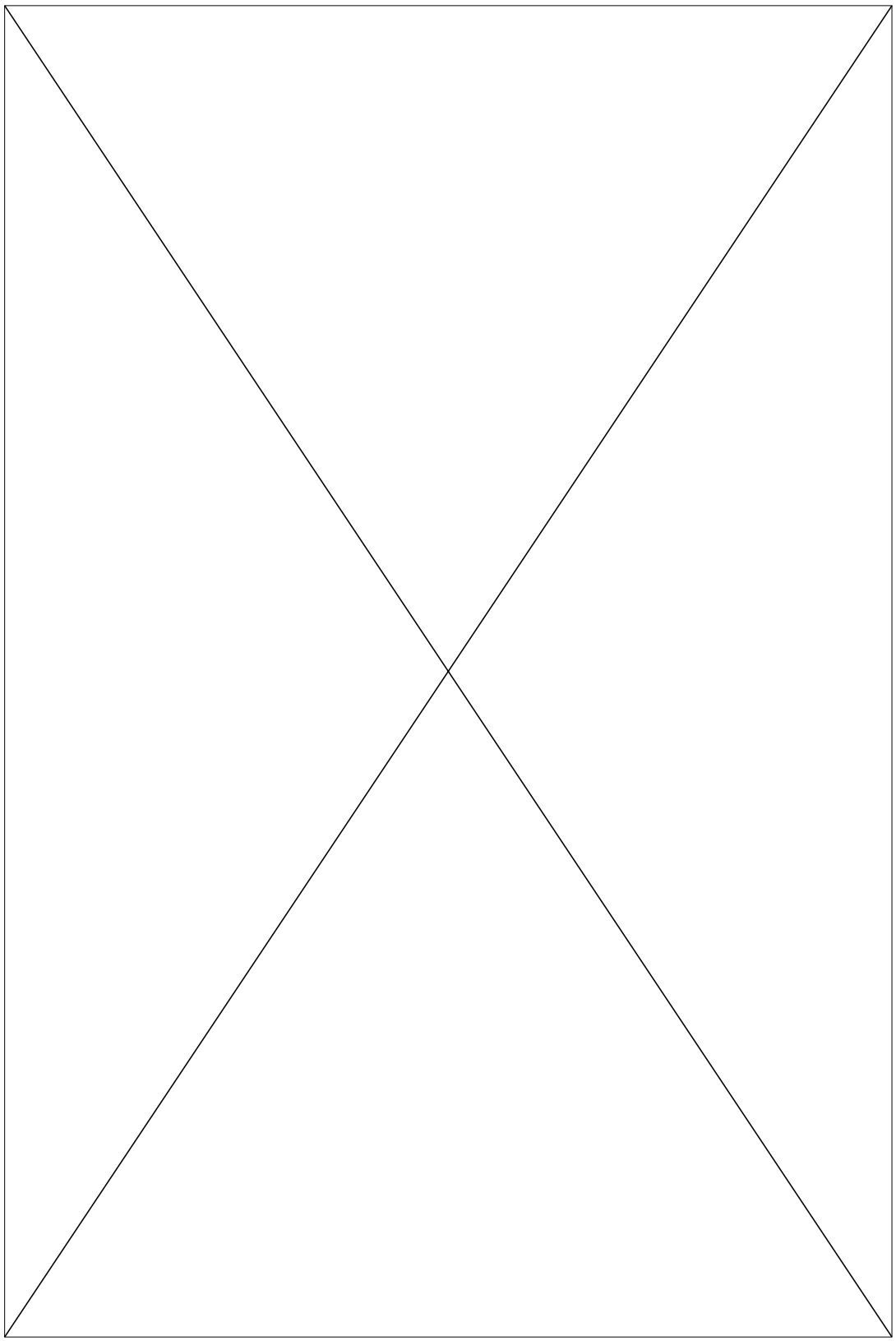

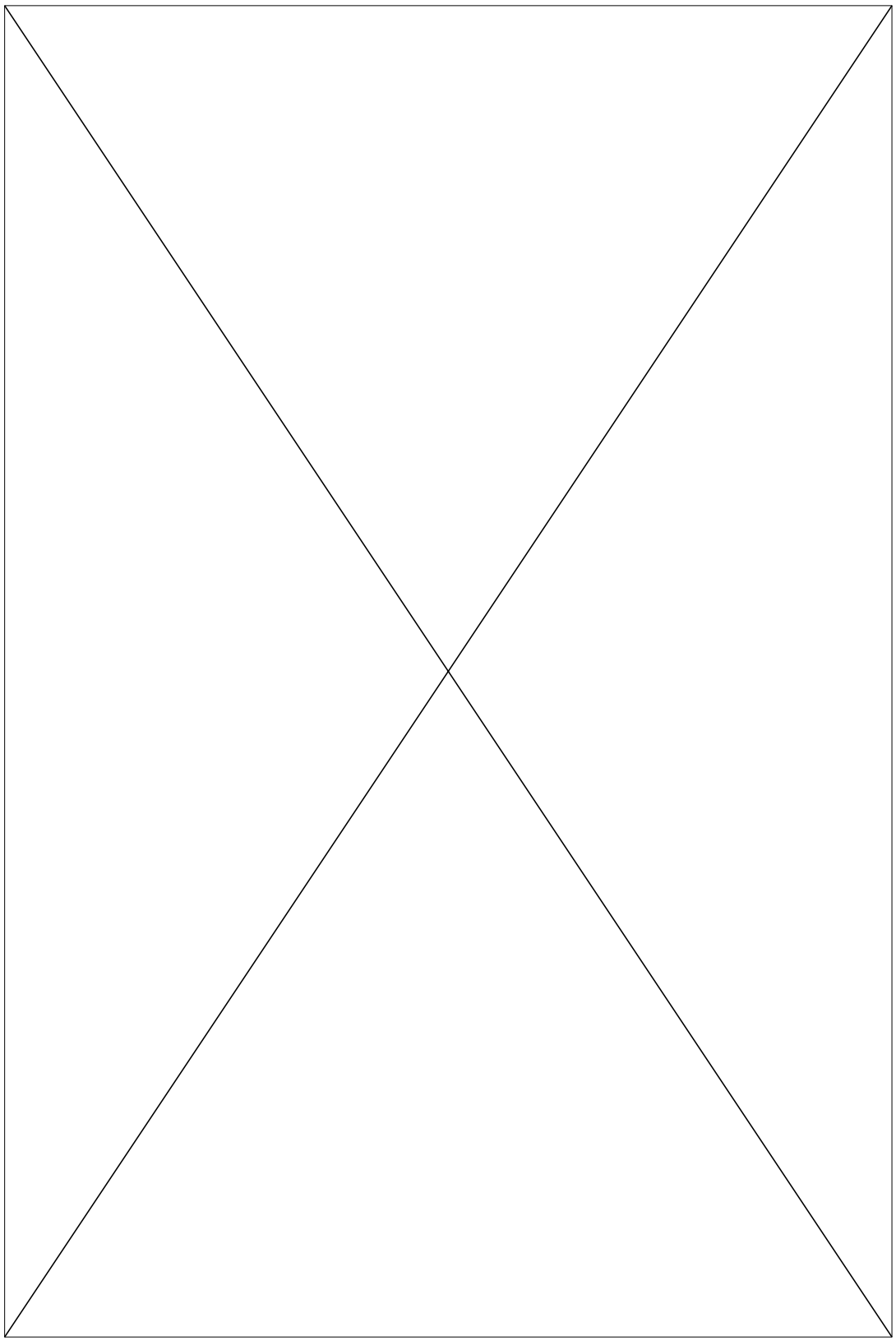

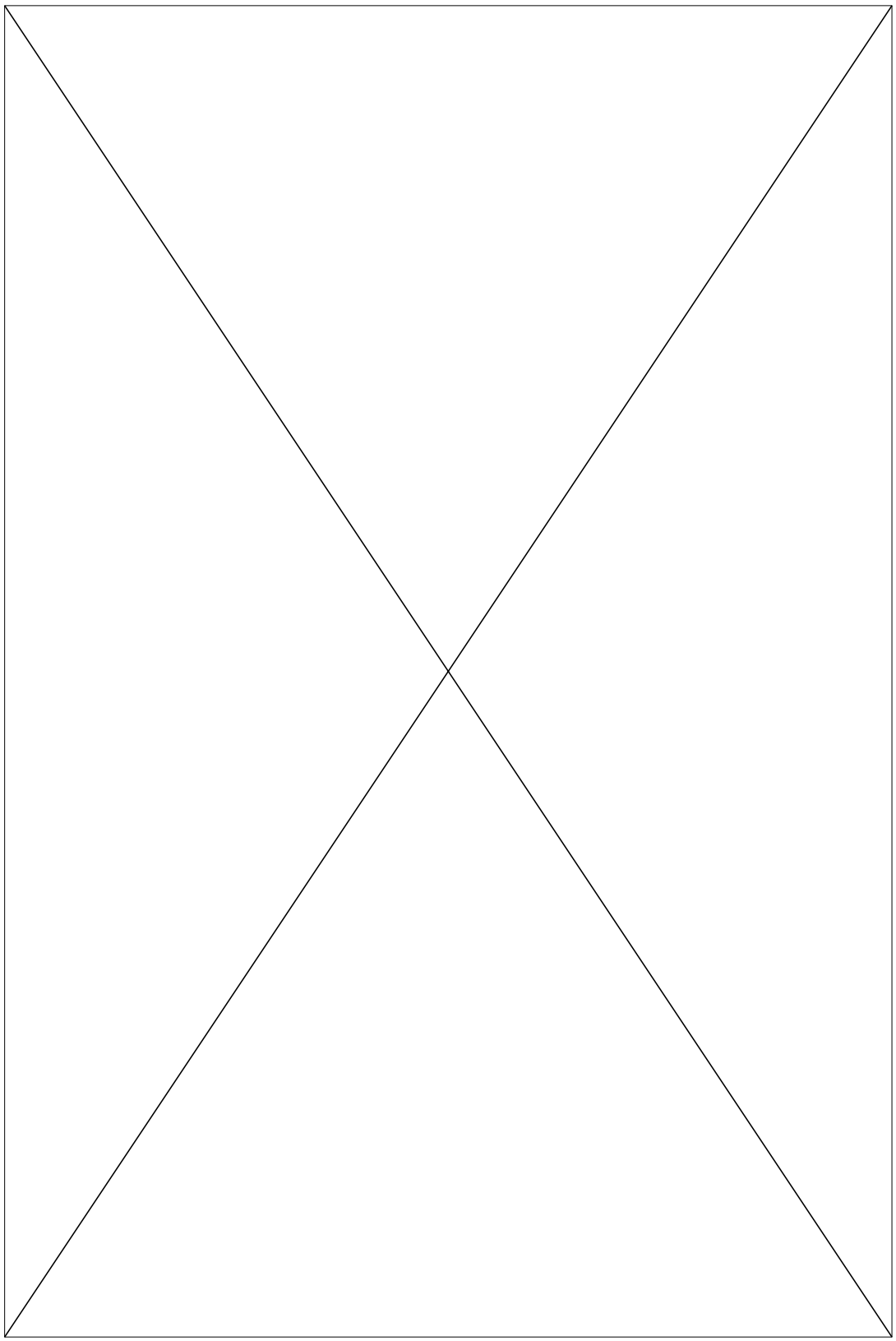

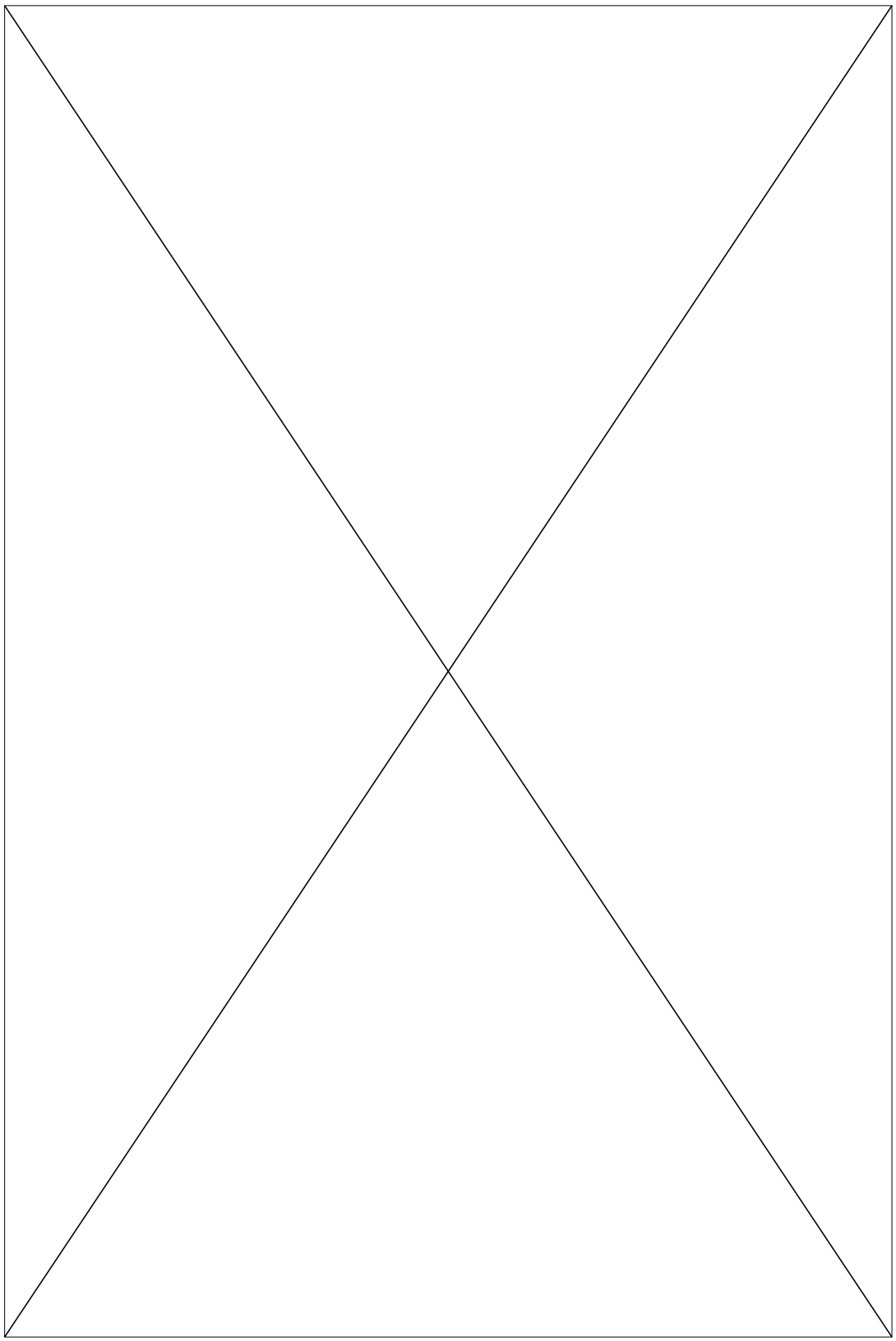

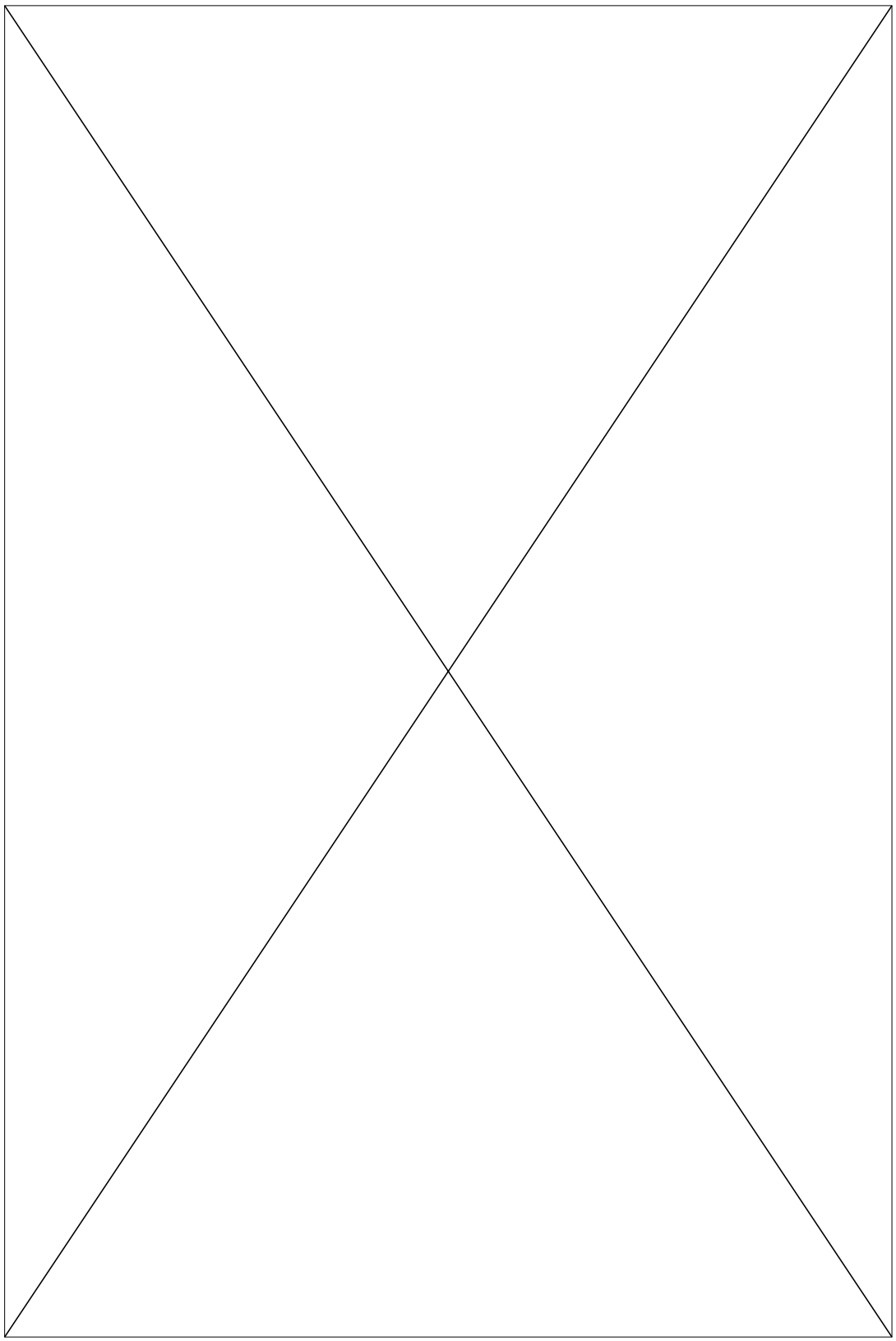

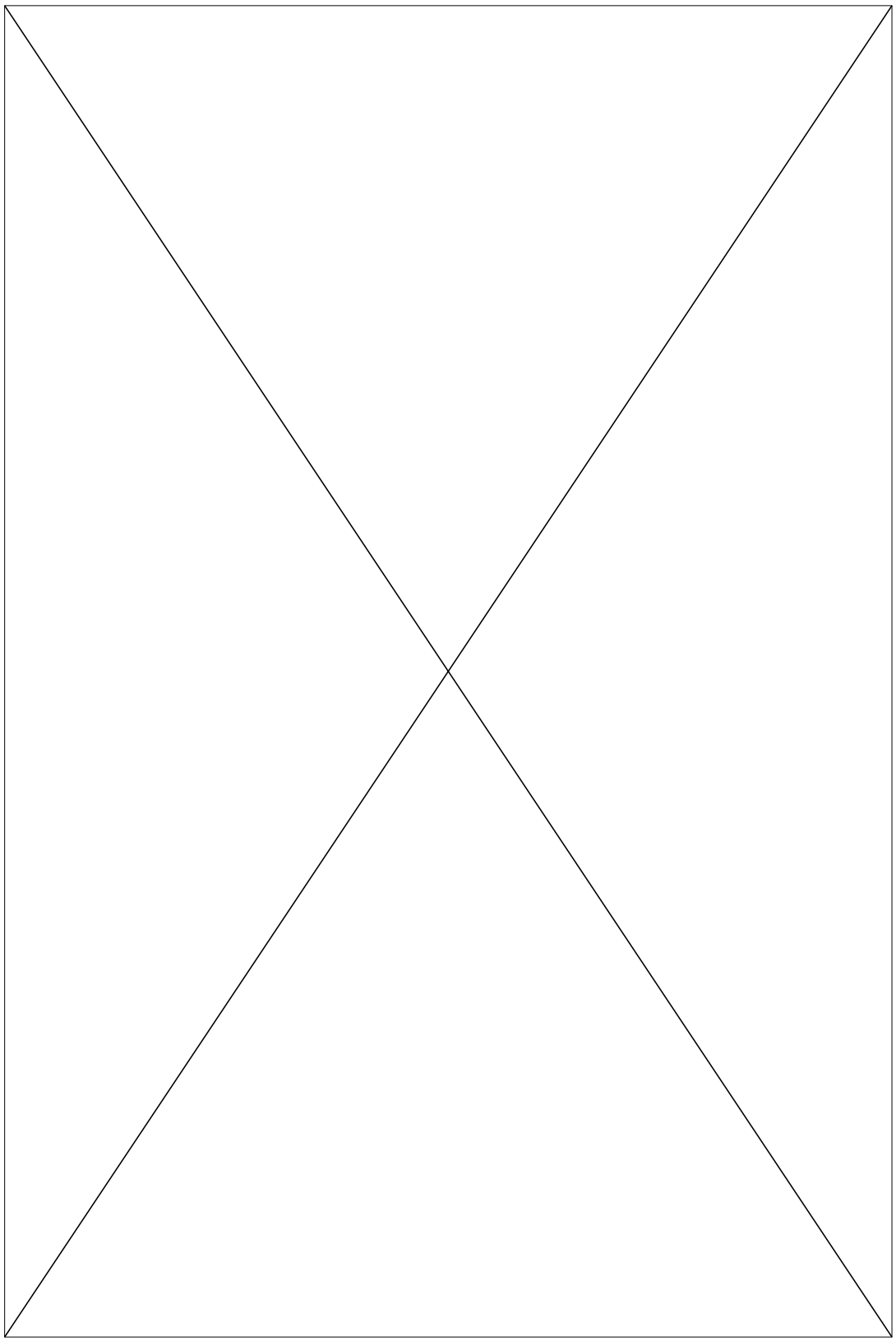

المحتـــوى

■ التصدير.. أ.عبدالعزيز سعود البابطين ٣

■ إيليا أبوماضي.. حياته وشعره (الأعمال الشعرية الكاملة - دراسة)، د.عبدالكريم الأشتر ٧

■ المصادر والمراجع ٧١

■ كلمة موجزة ٧٣

الديوان الأول/ الجزء الأول (تذكار الماضي)

■ إهداء الديوان ٧٩

١ - الإنسان والدين ٨٠

٢ - المرأة والمرآة ٨٣

٣ - المودة ٨٦

٤ - عن مصر ٨٨

٥ - شكوى فتاة ٩٢

٦ - إلى الشبان المتفرنجين ٩٥

٧ - هديتي ٩٧

٨ - الرجل والمرأة ١٠٢

٩ - عبّاد الذهب ١٠٤

١٠ - الإنسان والدنيا ١٠٥

١١ - وردة وأميل ١٠٦

١٢ - أنا .. هو ١١٠

١٣ - ضيف ثقيل ١١٩

١٤ - قتل نفسه ١٢١

١٥ – ذكرى وعبرة ١٢٤
١٦ – مصرع حبيبين ١٢٦
١٧ – معركة شمولبو ١٣٠
١٨ – في وصف رسم سياسي ١٣٤
١٩ – الكرنفال ١٣٦
٢٠ – أنا .. وهي ١٣٨
٢١ – طفلة والقمر ١٤١
٢٢ – فنون الوصف ١٤٤
٢٣ – قصيدة الطبيعة ١٤٧
٢٤ – سقوط بور آرثور ١٤٩
٢٥ – بلا قلب ١٥٢
٢٦ – لقاء وفراق ١٥٣
٢٧ – بنت الفرقدين ١٥٧
٢٨ – أخت ليلى ١٥٩
٢٩ – طبيبي الخاص ١٦٠
٣٠ – حنّة مشتاق ١٦٦
٣١ – الحسن لا يشرى ولا يستجلب ١٦٩
٣٢ – أنا إمام الذين هاموا ١٧١
٣٣ – الرزء الأليم ١٧٣
٣٤ – الخطب الفادح ١٧٥
٣٥ – فقيد الوطنية ١٧٨
٣٦ – كل من عليها فان ١٨١
٣٧ – البدر الآفل ١٨٤

٣٨ – أنا والنجم ١٨٨
٣٩ – في سبيل الإصلاح ١٩١
٤٠ – الحرية ١٩٤
٤١ – تحية الدستور العثماني ١٩٦
٤٢ – عبد الحميد بعد إعلان الدستور ٢٠٠
٤٣ – الذئاب الخاطفة ٢٠٣
٤٤ – مريض بالغرور ٢٠٥
٤٥ – عفو بغير مقدرة ٢٠٧
٤٦ – فتنة ١٣ إبريل ٢٠٩
٤٧ – الكبرياء خلة الشيطان ٢١٤
٤٨ – أيها القلم ٢١٥
٤٩ – مصر والشام ٢١٧
٥٠ – عام ١٩١٠ ٢٢٠
٥١ – دعابة ٢٢٤
٥٢ – أيا نيل ٢٢٥
٥٣ – شكاة إلى صديق ٢٢٩
٥٤ – الشعر والشعراء ٢٣١
■ المحتوى ٢٤٤

✱✱✱✱

الديوان الثاني

(ديوان إيليا أبي ماضي - الجزء الثاني)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «مرآة الغرب اليومية» – نيويورك ١٩١٩) وأعيد طبعه[١] في كتاب عنوانه: (إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر) دار اليقظة العربية – دمشق ١٩٥٤.

أكبر دواوين أبي ماضي، يزيد ما جُمع فيه على ألفي بيت، موزعة على تسعة وسبعين نصاً شعريّاً، ضم نتاج السنين الثماني التي أعقبت صدور ديوانه الأول – وعدّه هو الجزء الأول (١٩١١ – ١٩١٩) – إلى ما امتنع عن نشره فيه، وهو في مصر، لدواع مختلفة. وقدّم له – وقد سماه: الجزء الثاني من ديوانه – جبران خليل جبران، بعد ظهور الرابطة القلمية (١٩١٦) وقبل نشْرِها مجموعتِها المعروفة (١٩٢١) بسنتين.

****

(١) باستثناء نصين لم أقع عليهما في مكان آخر: إهداء الديوان إلى تاجر السجاد الشرقي، في نيويورك (نعمة تادرس – ١٣ بيتاً)، وقصيدة معرّبة عن الإنجليزية عنوانها (نشيد التباراري – ٢١ بيتاً). ونصين آخرين، وقعتُ عليهما في الديوان الذي نشرته دار العودة، بيروت ٢٠٠٢.

مقدمة

الشعر عاطفة تتشوق إلى القصيّ غير المعروف فتجعله قريباً معروفاً، وفكرة تناجي الخفي غير المدرك فتحوله إلى شيء ظاهر مفهوم.

أما الشاعر فهو مخلوق غريب ذو عين ثالثة معنوية ترى في الطبيعة ما لا تراه العيون، وأذن باطنية تسمع من همس الأيام والليالي ما لا تعيه الآذان.

ينظر الشاعر إلى وردة ذابلة فيرى فيها مأساة الدهور، ويشاهد طفلاً راكضاً وراء الفراشة، فيرى فيه أسرار الكون، ويسير في الحقل فيسمع أغاني البلابل والشحارير وليس هناك شحارير ولا بلابل، ويمشي في العاصفة فيخوض غمار معركة هوجاء بين جيوش الأرض وفيالق السماء.

يقف الشاعر أمام شلال، فيقول:

فيه من السَّيف الصَّقيلِ بريقُهُ
وله ضجيجُ الجَحْفلِ الجَرّارِ
أبداً يرشُّ صخورَه بدموعه
أتُراهُ يغسِلُها من الأوزارِ

ويرفع عينيه ليلاً نحو السماء، فيصرخ :

أبكي وتُصغي إلى بكائي
يا ربِّ هل تعشقُ النجومُ؟

ويلتقي بحبيبه فيهمس:

ودِدتُ الإفاضةَ قبلَ اللقاءِ
فلمّا لقيتُك لم أنبِسِ

وبِتُّ وإيّـــــاك فـي مـــــعـــــزلٍ
كـــأني وإيـــاك فـي مـــجـــلس

يرى الشاعر ويسمع كل هذه الأمور من خلال برقع الحياة، وأنت واقف بجانبه لا ترى غير مظاهرها الخارجية، ولا تسمع سوى أصواتها المشوشة، فتقول في ذاتك: يا له من خياليٍّ مجنون، يتمسك بخيوط العنكبوت ويصعد نحو النجوم على سلم مصنوع من أشعة القمر، ويحاول أن يملأ جَرّته من ندى الصباح، بل من السراب! إي، فالشاعر يصعد إلى الملأ الأعلى ولكن على سلم أقوى وأبقى من الجبال – يصعد بعزم الروح، ويتمسك بحبال غير منظورة، ولكنها أمتن من سلاسل الحديد – يتمسك بحبال الفكر، ويملأ كأسه من عصير أرقُّ من ندى الفجر – يملؤها من خمرة الخيال. والخيال هو الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح.

الشاعر يفعل كل ذلك وأنت على الأرض، لا تستطيع المسير إلا على قدميك، ولا الصعود إلا على سلم من خشب، ولا السُّكْر إلا من عصير العنب، ولا المسرّة إلا بالربح، ولا الألم إلا بالخسارة.

الشاعر طائر غريب يُفلِت من الحقول العلوية، ولكنه لا يبلغ الأرض حتى يحِنّ إلى وطنه الأول، فيغرّد حتى في سكوته، ويسبح في فضاء لا حدّ له ولا مدى، مع أنه في قفص.

وإيليا أبو ماضي شاعر، وفي ديوانه هذا سلالم بين المنظور وغير المنظور، وحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها، وكؤوس مملوءة بتلك الخمرة التي إن لم تشفّها تظل ظمآناً حتى تمل الآلهة البشر، فتغمرهم ثانية بالطوفان.

جبران خليل جبران

✱✱✱✱

١ - إهداء الديوان(*)

(ثلاثة عشر بيتاً) إلى الثريِّ «نعمة تادرس» تاجر السجاد الشرقي في نيويورك، وقد تمّ طبع الديوان على نفقته.

(٢ / ٦ / ١٩١٩ وهو تاريخ صدور الديوان)

✷✷✷✷

(*) لم نعثر عليها.

٢ - الشاعر

[مختلط]

قـالتْ وصـفْتَ لـنـا الـرحـيقَ وكـوبَـهـا
وصـريـعَـهـا ومُـديـرَهـا والـعـاصِـرَا
والحـــقلَ والـــفلاّحَ فـــيه ســـائـــراً
عـنـد المـسـا يـرعى الـقـطـيعَ الـسـائـرا
ووقـفتَ عـنـد الـبـحـر يـهـدُر مـوجُه
فـرجـعتَ بـالألـفـاظِ بـحـراً هـادرا
صـوَّرتَ في الـقـرطـاس حـتى الخـاطِـرا
فَـخَـلـبـتَـنـا وسـحَـرْتَ حـتى الـسَّـاحـرا
وأَريـــتَـــنـــا في كلِّ قَـــفْـــرٍ روضـــةً
وأريـــتَـــنـــا في كلِّ روضٍ طـــائـــرا
لـــكنْ إذا ســـأل امـــرؤٌ عـــنك امـــرَأً
أبـصـرتَ مـحـتـاراً يـخـاطبُ حـائـرا
من أنتَ يـا هـذا؟ فـقـلتُ لـهـا: أنـا
كـالـكـهـربـاءِ أُرى خـفـيَّـاً ظـاهـرا
قـالت: لـعَـمُـرُكَ زدتَ نـفـسي ضِـلَّـةً
مـا كـان ضـرّك لـو وصـفتَ الـشـاعـرا؟

فـأجـبـتُـهـا: هـو من يـسـائلُ نـفـسَهُ
عن نـفـسه، في صُـبـحِه ومـسَـائه
والـعـين سـرّ سُـهـادِهـا ورُقـادِهـا
والـقـلب سـرّ قُـنـوطِهِ ورجـائه

فـيَـحـارُ بـين مَـجـيـئه وذَهـابِه
ويـحـارُ بـين أمَـامِه وورائه
ويـرى أفُـولَ الـنـجمِ قـبلَ أفـولِه
ويـرى فَـنـاءَ الـشيءِ قـبلَ فَـنَـائه
ويـسـيـرُ في الـروض الأغنِّ فلا تَـرى
عـيـنـاهُ غـيـرَ الـشُّـوكِ في أرجـائه
إنْ نـام لم تـرقُـدْ هـواجسُ روحِه
وإذا اسـتـفـاقَ رأيـتَه كـالـتَّـائه
مـا إنْ يُـبـالي ضِـحْـكَـنـا وبُـكـاءَنـا
ويُـخِـيـفُـنـا في ضِـحْـكِه وبـكـائه
كـالـنـار يـلـتـهمُ الـعـواطفَ عـقـلُه
فـيُـمـيـتُـهـا ويمـوتُ في صـحـرائه!

☆☆☆☆☆

قـالتْ: أتـعـرفُ مَن وصَـفْتَ؟ فـقـلتُ: مَن؟
قـالت: وصـفتَ الـفـيـلـسـوفَ الـكـافـرا
يـا شـاعـرَ الـدنـيـا وفـيك حَـصَـافـةٌ
مـا كـان ضـرّكَ لـو وصـفتَ الـشـاعـرا؟

☆☆☆☆☆

فـقـلتُ: هـو امـرؤ يـهـوَى الـعُـقَـارا[1]
كـمـا يـهـوَى مُـغـازلـةَ الـعَـذارى
إذا فـرَغتْ من الـرّاحِ الـدِّنـانُ
تـوَّهـمَ أنّ مـا فـرَغَ الـزمـانُ
يُـعَـاقِـرُهـا عـلى ضـوء الـدّراري[2]
فـإنْ غَـرَبتْ، عـلى ضـوء الـنـهـار

(١) العُقار: الخمر. والعُقّار (بالتشديد) أصل الدواء، والعقَار (بالفتح والتخفيف): الأرض والضياع والنخل.

ويـحَـسَبُ مِـهْـرجَـانَ الـنـاسِ مـأتمْ
بلا خـمـرٍ، وجـنَّـتـهُمْ جـهـنّمْ
مَـلـولٌ لا يـدومُ عـلى ولاءِ
ولـكنْ لا يـدومُ عـلى عِـداءِ
أخـو لُـبٍّ ولـكن لا إرادهْ
وذو زهـدٍ ولـكن بـالـزَّهـادَهْ
يمـيل إلى الـدُّعَـابـةِ والمُـزاحِ
ولـو بـين الأسـنَّـةِ والـصِّـفـاحِ
ويـوشكُ أنْ يُـقَـهـقِهَ في الجـنـازهْ
ويَـرقُصَ كـالـعـواصف في الـمَـفَـازهْ
إذا بَـصُـرتْ به عـينُ الأديبِ
فـقـد وقـعتْ عـلى رجلٍ مُـريبِ
يُـعـنِّـفهُ الـصِّـحـابُ فلا يُـنـيبُ
ويَـزْجُـرُه المـشِـيبُ فلا يَـتـوبُ
فـقـالت: جـئتَ بـالـكـلمِ الـبـديعِ
ولـكن مـا وصـفتَ سِـوى «الخـلـيعِ»!

وخِـفْتُ إعـراضَـهـا عـني فـقـلتُ: إذن
هـو الـذي أبـداً يـبـكي من الـزمنِ
كـأنّـمـا لـيس في الـدنـيـا سِـواه فـتًى
مـعـرَّضٌ لخـطـوبِ الـدهـرِ والمحنِ
يشـكو الـسَّـقـام ومـا في جسـمه مـرضٌ
والـسُّـهـدَ وهْـو قـريبُ الـعـهـد بـالـوسَنِ
والـهـجـرَ، وهـو بمـرأىً مِن أحـبّـتِه
والأَسْـرَ، وهـو طـلـيقُ الـروح والـبَـدنِ

ولا يـرى حَـسَـنـاً في الأرض يـألـفُهُ
أو يـشـتـهـيه، وكم في الأرض من حَسَنِ!
يـنـوحُ في الـرَّوضِ والأشـجـارُ مـورقـةٌ
كـمـا يـنـوحُ عـلى الأطلال والـدِّمَنِ
فـقـاطـعَـتْـنِي وقـالتْ: قـد بَـعُـدْتَ بـنـا
ما ذي الـصـفاتُ صـفاتُ الـشـاعرِ الـفَطِنِ

☆☆☆☆☆

قـلـتُ: مـهـلاً إذا ضَـلـلـتُ وعـذراً
ربمـا أخـطـأ الحـكـيمُ وضَـلاَّ
هـو مَن تَـرْسُمُ الجـمـالَ يـداهُ
فـنـراه في الـطِّـرْسِ أشـهَى وأحـلَى
لـوْذَعِيٌّ[1] الـفـؤادِ يـلـعب بـالألْـ
ـبَـاب لِـعْـبـاً إن شـاء أن يـتـسـلّى
ويُـريـنـا مـا لـيس يـبـقَى سـيـبـقَى
ويُـريـنـا مـا لـيس يَـبْـلَى سـيَـبـلى
يـطـبَعُ الـشُّـهبَ لـلأنـامِ نـقـوداً
وهـو يـشـكـو الإملاقَ كـيف تـولّى
أفـهـذا مَن تـبـتـغـينَ وأبـغِي
وصْـفَهُ؟ قـالت المـلـيـحَـةُ: كلاّ!..

☆☆☆☆☆

يـا هـذه إني عَـيِـيتُ بـوصْـفِه
وعـجَـزتُ عن إدراكِ مـكـنـونـاتِهِ
لا تـسـتـطـيع الخـمـرُ سَـرْدَ صـفـاتِه
والـروضُ وصْفَ زهـورِهِ ونَـبـاتِهِ

(١) اللوذعيّ: الحديدُ الفؤادِ واللسان، الظريفُ السريعُ الإدراك (من اللذْع: حدّة النار).

هــو من نــراهُ ســائــراً فــوق الــثَّــرَى
وكـــأنّ فـــوق فـــؤادِه خـــطـــواتِه
إنْ نـــاح فـــالأرواحُ في عَـــبَـــرَاتِه
وإذا شَـــدا فـــالحبّ في نـــغَـــمـــاتِه
يـــبـــكي مع الـــنـــائي عـــلى أوطـــانِه
ويـــشـــاركُ المحـــزونَ في عَـــبـــرَاتِه
وتُـــغـــيِّـــرُ الأيـــامُ قـــلبَ فـــتـــاتِه
ويـــظلّ ذا كَـــلَفٍ بـــقـــلب فـــتَـــاتِه
هــو من يـــعـــيشُ لـــغـــيـــرِه ويـــظـــنُّهُ
مَن لـــيس يـــفـــهـــمُهُ، يـــعـــيشُ لـــذاتِه!!!

✱✱✱✱

٣ - فلسفة الحياة

[الخفيف]

أيـــهـــذا الـــشَّـــاكي ومـــا بك داءٌ
كـــيف تـــغـــدو إذا غـــدوتَ عَـــلـــيلا؟
إنَّ شـــرَّ الجُـــنـــاةِ في الأرض نـــفسٌ
تـــتـــوقّى، قـــبلَ الـــرحـــيلِ، الـــرَّحـــيلا
وتـــرى الـــشَّـــوكَ في الـــورود، وتَـــعـــمَى
أن تـــرى فـــوقَـــهـــا الـــنَّـــدى إكـــلـــيلا
هـــو عبءٌ عـــلـــى الحـــيـــاةِ ثـــقـــيلٌ
مَن يـــظنّ الحـــيـــاةَ عِـــبْـــئـــاً ثـــقـــيلا
والـــذي نـــفـــسُهُ بـــغـــيـــرِ جـــمـــالٍ
لا يـــرى في الـــوجـــود شـــيـــئـــاً جـــمـــيلا
لـــيس أشـــقَى مِـــمّن يـــرى الـــعـــيشَ مُـــرَّاً
ويـــظنُّ الـــلَّـــذاتِ فـــيه فُـــضُـــولا
أحْـــكَمُ الـــنـــاس في الحـــيـــاةِ أنـــاسٌ
عـــلّـــلـــوهـــا فـــأحـــسَـــنـــوا الـــتَّـــعـــلـــيلا
فـــتـــمـــتعْ بـــالـــصُّـــبحِ مـــا دُمتَ فـــيه
لا تـــخـــفْ أن يـــزولَ حـــتـــى يـــزولا
وإذا مـــــــــــا أظـــلَّ رأسَـــك هـــمٌّ
قـــصِّـــرِ الـــبـــحثَ فـــيه كَـــيلا يـــطـــولا
أدركتْ كُـــنْـــهَـــهَـــا طـــيـــورُ الـــرّوابي
فَـــمِن الـــعـــارِ أن تـــظلّ جَـــهُـــولا

مـا تـراهـا، والحـقلُ مِـلْكُ سِـواهـا
تـخـذتْ فـيه مـسـرَحـاً ومَـقِـيلا
تَـتـغـنَّى، والـصـقـرُ قـد مَـلَكَ الجـوَّ
عـلـيـهـا، والـصـائـدونَ الـسَّـبـيلا
تـتـغـنَّى، وقـد رأتْ بـعـضَـهـا يُـؤْ
خَـذُ حـيّـاً والـبـعضَ يَـقـضي قـتـيلا
تـتـغـنَّى، وعـمـرُهَـا بـعضُ عـامٍ
أفَـتـبـكِي وقـد تـعـيشُ طـويلا؟
فـهْيَ فـوقَ الـغـصـون في الـفـجـرِ تـتـلـو
سُـوَرَ الـوجَـدِ والـهـوَى تـرتـيلا
وهْيَ طـوراً عـلى الـثَّـرى واقـعـاتٌ
تـلـقُطُ الحبَّ أو تجـرُّ الـذيـولا
كـلَّـمـا أمـسكَ الـغـصـونَ سـكـونٌ
صـفَّـقَتْ لـلـغـصُـونِ حـتى تَـمـيلا
فـإذا ذهَّبَ الأصـيلُ الـرّوابي
وقـفتْ فـوقـهـا تُـنـاجي الأصـيلا
فـاطـلُبِ الـلّـهـوَ مـثـلـمـا تـطـلبُ الأظْ
ـيَـارُ عـنـد الـهَـجـيـرِ ظلاً ظَـلِـيلا
وتـعـلَّمْ حبَّ الـطَّـبـيـعـةِ مـنـهـا
واتـركِ الـقـالَ لـلـورى والـقِـيلا
فـالـذي يـتّـقي الـعـواذلَ يـلـقى
كلَّ حـين، في كلّ شـخصٍ، عَـذُولا

أنـتَ لـلأرضِ أولاً وأخـيـراً
كـنـتَ مَـلْـكـاً أو كـنتَ عـبـداً ذلـيلا

لا خـــلـــودٌ تحت الـــسَّـــمـــاء لحيٍّ
فـلـمـاذا تُـراودُ المـسْـتَـحِـيلا؟..
كلُّ نجمٍ إلى الأفُـــــول ولـــــكنْ
آفـــةُ الـــنـــجم أن يَـــخـــافَ الأفُـــولا
غـــايـــةُ الـــوَرْدِ في الـــريـــاضِ ذُبـــولٌ
كنْ حـكـيـمـاً واسـبِقْ إلـيه الـذُّبـولا
وإذا مـــــا وجَـــــدتَ في الأرض ظلاّ
فـــتـــفـــيّـــأْ به إلى أن يَـــحُـــولا
وتـــوقّعْ، إذا الـــسـمـــاءُ اكـفـهـرّتْ
مـطَـراً في الـسُّـهـولِ يُـحـيي الـسُّـهُـولا
قلْ لـــقـــومٍ يـســـتـــنـــزفـــونَ المـآقي
هل شَـفـيْـتُمْ مع الـبـكـاء غَـلِـيلا؟
مـا أتـيـنـا إلى الحـيـاة لـنَـشـقَى
فـأريـحـوا، أهلَ الـعـقـولِ، الـعُـقُـولا
كلُّ مَن يَـجـمعُ الـهـمـومَ عـلـيه
أخَـذَتْهُ الـهـمـومُ أخـذاً وَبِـيلا

كنْ هَـزَاراً في عُـشّه يـتـغـنَّى
ومعَ الـكَـبْلِ لا يـبـالي الـكُـبُـولا
لا غُـرابـاً يـطـاردُ الـدُّودَ في الأرْ
ضِ، وبـومـاً في الـلـيل يـبـكي الـطُّـلـولا

كنْ غـديـراً يـسـيـر في الأرض رَقْـرا
قـاً فـيـسـقي مِن جـانـبـيه الحُـقـولا
تـسـتـحـمُّ الـنـجـومُ فـيه ويَـلـقَى
كلَّ شـــخـصٍ وكلَّ شيء مَـــثـــيلا

لا وعـــاءً يـــقـــيِّـــدُ المـــاءَ حـــتى
تـــســـتـــحـــيلَ المـــيـــاهُ فـــيه وحُـــولا

كنْ مع الـفـجـر نَـسـمَـةً تُـوسِعُ الأزْ
هـــارَ شـــمَّـــاً، وتـــارةً تَـــقْـــبـــيلا
لا سَـمُـومـاً من الـسَّـوافي[1] الـلـواتي
تـــمـلأ الأرضَ في الـــظلام عَـــويلا
ومعَ الـلـيلِ كـوكـبـاً يـونِسُ الـغَـا
بـاتِ والـنَّـهـرَ والـرُّبـا والـسُّـهـولا
لا دجًى يـــكـــرهُ الـــعـــوالمَ والـــنّـــا
سَ فـيُـلـقي عـلى الجـمـيع سُـدُولا

أيـــهـــذا الـــشَّـــاكي ومـــا بكَ داءٌ
كنْ جـمـيلاً تـرَ الـوجـودَ جـمـيلا

✱✱✱✱

(١) السافية: الريح التي تسفي التراب (تذروه).

٤ - أم القرى

[الكامل]

أبصرتُها، والشمسُ عند شُروقِها
فرأيتُها مغمورةً بالنّار
ورأيتُها عند الغروب غَريقةً
في لُجَّةٍ من سُنْدُسٍ ونُضَارِ[١]
ورأيتُها تحت الدُّجى، فرأيتُها
في بُردَتَيْنِ: سَكينةٍ ووقارِ
فتنبَّهتْ في النفس أحلامُ الصِّبا
وغرقتُ في بحرٍ من التَّذْكار

☆☆☆☆☆

نفسي لها من جَنّةٍ خَلاّبةٍ
نسجتْ غلائلَها يدُ الأمطار
أنّى مشيتُ نشَقْتُ مِسْكاً أذفَراً[٢]
في أرضها وسمعتُ صوت هَزار[٣]

☆☆☆☆☆

ذاتَ الجبالِ الشَّامخَاتِ إلى العُلا
يا ليتَ في أعلى جبالِكِ داري
لأرى الغزالةَ قبل سُكّان الحِمى
وأُعانقَ النَّسَمَاتِ في الأسْحار

---

(١) السُّندس: رقيق الديباج ورفيعه. والنضار: الذهب الخالص.
(٢) الذفَر: شدة ذكاء الريح من الطيب.
(٣) الهزار: طائر العندليب.

لأرى رُعَـاتَكِ في المُـروج وفي الـرُّبـا
والـشَّـاءَ سـارحـةً مع الأبـقـار
لأرى الـطـيـورَ الـواقـعـاتِ عـلى الـثَّـرى
والـنـحلَ حـائـمـةً عـلى الأزهـار
لأسـاجلَ الـورْقَـاءَ في تَـغـريـدهـا[1]
وتـهـزَّ روحي نـفـحـةُ المـزمـار
لأسـامـرَ الأقـمـارَ في أفلاكِـهـا
تحت الـظلام إذا غَـفـا سُـمّـاري
لأراقبَ «الـدِّلْـوار» في جَـرَيـانه[2]
وأرى خـيـالَ الـبَـدْر في «الـدلْـوار»

☆☆☆☆☆

بـئس المـديـنـةُ إنـهـا سِجن الـنُّـهى
وذوي الـنُّـهى، وجـهـنَّمُ الأحـرار
لا يمـلِكُ الإنـسـانُ فـيـهـا نـفـسَه
حـتى يـروِّعَهُ ضَـجـيجُ قِـطـار
وجَـدتْ بـهـا نـفـسي المـفـاسـدَ والأذى
في كـلِّ زاويـةٍ وكـلِّ جِـدار
لا يـخـدعنَّ الـنـاظـرينَ بُـروجُـهـا
تـلك الـبـروجُ مـخـابئٌ لـلـعَـار
لـو أنّ حـاسـدَ أهـلـهـا لاقى الـذي
لا قَـيتُ لم يَـحـسُـدْ سِوى «بـشّـارِ»[3]
غـفـرانَكَ الـلـهمَّ مـا أنـا كـافـرٌ
فَـلِـمـا تُـعـذّبُ مُـهـجـتي بـالـنـار؟

☆☆☆☆☆

(١) الورقاء: الحمامة.
(٢) الدلوار: نهر جارٍ في المنطقة.

لـلـهِ مـا أشـهى الـقُـرى وأحـبَّـهـا
لِـفَـتًى بـعـيـدِ مـطـارحَ الأفـكـار
إن شـئتَ تَـعْـرَى من قـيـودِكَ كـلِّـهـا
فـانـظـرْ إلى صـدْر الـسـمـاء الـعـاري
وامشِ عـلى ضـوء الـصَّـبـاح، فـإنْ خَـبَـا
فـامشِ عـلى ضـوء الـهِلال الـسَّـاري
عِشْ في الخَلاء تـعِش خَـلـيًّـاً هـانـئـاً
كـالـطَّـيـر.. حُـرّاً، كـالـغـديـر الجـاري
عِشْ في الخَلاء كـمـا تَـعـيشُ طـيـورُه
الحُـرُّ يـأبى الـعـيشَ تحت سِـتـار!

شلاّلُ «مـلـفـردْ» لا يَـقـرُّ قَـرارُه[1]
وأنـا لـشـوقي لا يَـقِـرُّ قـراري
فـيه من الـسَّـيف الـصَّـقـيلِ بَـريـقُه
وله ضـجـيجُ الجـحـفلِ الجَـرّار
أبـداً يَـرُشّ صـخـورَه بـدمـوعه
أتُـراه يـغـسِـلُـهـا من الأوزار؟
فـإذا تـطـايـر مـاؤهُ مـتـنـاثـراً
أبـصـرتَ حـول الـسَّـفح شِـبْهَ غُـبـار
كـالـبـحـر ذي الـتـيـار يَـدفع بـعـضَه
ويـصـولُ كـالـضِّـرغـام ذي الأظـفـار
من قِـمّـةٍ كـالـنِّـهـدِ، أيُّ فـتًى رأى
نِـهـداً يـفـيض بـعـارضٍ مـدرار؟

(١) هي التي يُسميها (أم القرى) في أمريكة.

فـــكـــأنمـــا هي مِـــنْـــبَـــرٌ وكـــأنه
«مـــيـــرابُ» بـــين عـــصَـــائبِ الـــثـــوّار[1]
مَن لم يُـــشـــاهـــد ســـاعـــةً وَثَـــبـــاتِه
لم يـــدْرِ كـــيف تَـــغـــطْـــرُس الجَـــبَّـــار
مـــا زلتُ أحـــسَب كل صـــمْتٍ حِـــكْـــمـــةً
حـــتى بـــصُـــرتُ بـــذلك الـــثَّـــرثـــار
أعـــددتُ، قـــبل أراه، وِقـــفَـــة عـــابـــرٍ
لاهٍ فـــكـــانت وِقـــفَـــةَ اســـتِـــعْـــبـــار!..

☆☆☆☆☆☆

يـــا أختَ دارِ الخُـــلْـــد، يـــا أمَّ الـــقـــرى،
يـــا ربـــةَ الـــغـــابـــاتِ والأنـــهـــار
لـــله يـــومٌ فـــيكِ قـــد قـــضّـــيـــتُه
مـعْ عُـــصْـــبـــةٍ من خِـــيـــرة الأنْـــصـــار
نمـــشي عـــلى تـــلك الـــهِـــضـــاب ودونَـــنـــا
بـــحـــرٌ من الأغـــراس والأشـــجـــار
تَـــنـــســـاب فـــيه الـــعَـــيْن بـــين جـــداولٍ
وخـــمـــائلٍ ومـــســـالكٍ وديـــار
آنـــاً عـــلى جـــبلٍ مَـــكـــينٍ راسخٍ
راسٍ، وآنـــاً فـــوقَ جُـــرْفٍ هـــارِ[2]
تـــهـــوِي الحِـــجـــارةُ تحـــتَـــنـــا من حـــالقٍ
ونـــكـــاد أن نـــهـــوِي معَ الأحـــجـــار
لـــو كـــنتَ شـــاهـــدَنـــا نُـــهـــرولُ من عَلٍ
لـــضـــحـــكتَ مـــنـــا ضِـــحْـــكَـــةَ اســـتـــهـــتَـــار

(١) ميرابو: خطيب الثورة الفرنسية (١٧٨٩).

الـريحُ سـاكـنـةٌ ونـحن نـظـنُّـنـا
لـلـخـوف مـنـدَفـعـين معْ إعـصـار
والأرضُ ثـابـتـةٌ ونـحن نَـخـالُـهـا
تـهـتـزّ معْ دفْعِ الـنَّـسـيمِ الـسّـاري
مـا زال يـسـنُـد بـعـضُـنـا بـعـضـاً كـمـا
يـتـمـاسكُ الـرّوادُ في الأسْـفـار
ويـشـدُّ هـذا ذاكَ من أزراره
فـيـشـدُّنـي ذيّـاكَ من أزْراري
حـتى رجَـعـنـا سـالمِـين ولم نـعُـدْ
لـو لم يَـمُـدَّ الـلـه في الأعـمـار
ولـقـد وقـفتُ حـيـال نـهـرِك بُـكـرةً
والـطَّـيـرُ في الـوُكُـنـاتِ والأوْكـار[1]
مُـتـهـيـبـاً فـكـأنـني في هـيـكلٍ
وكـأنّه سِـفْـرٌ من الأسْـفَـار
مـا كـنتُ من يـهـوَى الـسـكـوتَ وإنمـا
عَـقَـلَتْ لـسـاني رهـبـةُ الأَدْهـار
مـرّ الـنـسـيمُ به فـمـرّت مُـقْـلـتي
مـنـه بـأسـطـارٍ عـلى أسْـطـار
فـالـقـلْبُ مُـشـتـغِلٌ بـتَـذْكـاراتِه
والـطَّـرفُ مـنـدفعٌ مع الـتَّـيّـار
حـتى تجـلّتْ فـوق هـاتـيكَ الـرُّبـا
شـمسُ الـصـبـاح تـلـوحُ كـالـديـنـار
فـعـلى جـوانـبِه وشـاحُ زَبَـرْجَـدٍ[2]
وعـلى غـواربِه وشـاحُ بَـهـار[3]

(١) الوَكن: عش الطائر في جبل أو جدار، وجمعه "وُكُن وأوكُن ".
(٢) الزبرجد: الزمرّد.

لـو أبـصـرتْ عـيـنـاكَ فـيه خـيـالَـهـا
لـــرأيتَ مـــرآةً بـــغَـــيـــرِ إطـــار
يَـمَّـمْـتُه سَـحَـراً وأسـراري مـعي
ورجـــعتُ في أعـــمـــاقه أســـراري!...

إني حـسـدْتُ عـلى الـقُـرى أهلَ الـقُـرى
وغـــبـــطتُ حـــتى نـــافخَ المِـــزْمـــار
لـيلٌ وصُـبْحٌ بـين إخـوانِ الـصَّـفَـا
مـا كـان أجـملَ لـيـلـتي ونـهـاري!

٥ - أنا وأخت المهاة والقمر

[المنسرح]

آهٍ مِن الحبّ، كـــلُّه عِـــبَـــرُ
عـــنـــديَ مـــنه الـــدمـــوعُ والـــسُّـــهـــرُ
ووَيـحَ صـــــرعَى الـــغَـــرامِ إنـــهمُ
مَـــوْتى، ومـــا كُـــفِّـــنـــوا ولا قُـــبـــروا

☆☆☆☆☆

يَـمْـشـــونَ في الأرض لـــيس يـأخُـذُهمْ
زَهْـــوٌ ولا فـي خُـــدودِهم صَـــعَـــرُ[1]
لـــو ولَجَ الـــنـــاسُ في ســـرائـــرهمْ
هـــانتْ، وربي، عـــلـــيـــهمُ سَـــقَـــرُ

☆☆☆☆☆

مـــا خَـــفَـــروا ذمّـــةً، ولا نَـــكـــثُـــوا
عـــهـــداً، ولا مـــالَـــؤوا ولا غَـــدروا
قـد حـمـلـوا الـهُـونَ غـيـرَ مـا سـأمٍ
لـولا الـهـوى لـلـهـوان مـا صَـبـروا

☆☆☆☆☆

لم يُـبقِ مـني الـضّـنَى سِـوى شـبحٍ
يـكـاد، لـولا الـرجـاءُ، يـنـدثـرُ
أمـسى وسَـادي مـشـابـهـاً كَـبِـدي
كلاهُـمـا الـنـارُ فـيه تَـسـتَـعِـر

☆☆☆☆☆

---

(١) إمالة الخدّ من الكِبْر.

أَ كُلُّ صَبٍّ، يـــا لـــيلُ، مَـــضـــجَـــعُهُ
مِـــثـــلـيَ فـــيـه الـــقَـــتَـــادُ والإبَـــر
لـعلّ طـيـفَـاً من هـنـدَ يَـطـرُقُـنِي
فـعـنـدَ هـنـدٍ عن شِـقْـوتي خـبـر

مـــا بـــالُ هـــنـــدٍ عـــلـيَّ غـــاضـــبـــةً
مـــا شـــابَ فَـــودي ولـــيس بي كِـــبَـــرُ
مـــا زلتُ غَضَّ الـــشـــبـــاب لا وَهَنُ
يـــا هـــنـــدُ في عَـــزْمـــتي ولا خَـــوَر

لا دَرَّ دَرُّ الـــوُشـــاةِ قـــد حَـــلـــفُـــوا
أن يُـفـسـدوا بـيـنـنـا وقـد قَـدِروا
واهـــاً لأيـــامِـــنـــا.. أراجـــعـــةٌ؟
فـــإنـــهنّ الحُـــجـــولُ والـــغُـــرَر[1]

أيـــامَ لا الـــدّهـــرُ قـــابضٌ يـــدَه
عـنـي، ولا هـنـدُ قـلـبُـهـا حَـجَـرُ

لم أنسَ لـــيلاً سَـــهْـــرَتُهُ مـــعَـــهـــا
تحـنـو عـلـيـنـا الأفـنـانُ والـشَّـجـرُ
غـــفـــرتُ ذنبَ الـــنَّـــوى بـــزَوْرتِـــهَـــا
ذنْبُ الـنَّـوى بـالـلـقـاء يُـغـتَـفـر

(١) الحجْل: الخلخال. والغرّة: البياض والشرف. كناية عن جمال الأيام وامتيازها.

بِـتْـنـا عن الـراصِـدينَ يَـكـتُـمُـنـا
الأسْـوَدانِ: الـظلامُ والـشَّـعَـرُ
ثلاثـةٌ لـلـسـرور مـا رقَـدُوا
أنـا وأختُ المـهـاةِ[1] والـقَـمَـر

☆☆☆☆☆

فـمـا لـهـذي الـنـجـومِ ساهـيـةٌ
تـرنـو إلـيـنـا كـأنـهـا نُـذُرُ؟...
إنْ كـان صُـبحُ الجـبـين روّعَـهـا
فـإنّ لـيلَ الـشُّـعـورِ مُـعْـتَـكـر

☆☆☆☆☆

أو انـتـظـامُ الـعُـقُـود أغـضَـبَـهـا
فـإنّ دُرَّ الـكلام مُـنـتـثِـر
ومَـا لـتـلك الـغـصـونِ مُـطـرقَـةٌ
كـأنـهـا لـلـسلام تُـخْـتَـصَـر

☆☆☆☆☆

تـبـكي كـأنّ الـزمـان أرهـقَـهـا
عُـسْـراً، ولـكنْ دمـوعُـهـا الـثـمَـر
طَـوراً عـلى الأرض تـنـثـني مَـرَحـاً
وتـارةً في الـفـضـاء تَـشـتَـجِـر

☆☆☆☆☆

وجـفَـلَتْ هـنـدُ عـنـد رؤيـتـهـا
وقـد تَـرُوعُ الجَـآذرَ الـصُّـورُ
هـيـفـاءُ لـو لم تَـلِنْ مَـعـاطـفُـهـا[2]
عـنـد الـتَّـثَـنـي خَـشِـيتُ تَـنـكَـسـر

☆☆☆☆☆

(١) البقرة الوحشية، كناية عنها لجمال عينيها.
(٢) العِطف: الجانب، من الرأس إلى الوَرِك. لأن الانعطاف يكون عنده (المِعطَف).

مِن اللـواتي – ولا شَـبـيهَ لـهـا –
يَـزيـنُـهنَّ الـدَّلالُ والخَـفَـرُ
في كلّ عـضـوٍ وكلِّ جـارحـةٍ
مـعـنىً جـديـدٌ لـلـحُـسْن مـبـتـكَـرُ

⁂

تـبـيتُ زُهـرُ الـنُّـجـوم طـامـعـةً
لـو أنـهـا فـوق نَـحْـرهـا دُرَر
رخـيـمـةُ الـصَّـوت إن شَـدَتْ لَـفـتَتْ
لـهـا الـدّارِيْ وأنـصتَ الـسَّـحَـر

⁂

أبـثُّـهـا الـوجـدَ وهْيَ لاهـيـةٌ
أذهـلَـهـا الحبُّ فـهْي تَـفْـتـكـرُ
يـا هـنـدُ كم ذا الأنـامُ تَـعـذِلُـنـا
ومـا أثِـمْـنـا ولا بِـنـا وَزَر[1]

⁂

فـابـتـدرتْ هـنـدُ وهي ضـاحـكـةٌ :
مـاذا عـلـيـنـا وإن هُمُ كـثُـروا
فـدتك نـفـسي لـو أنـهم عَـقَـلـوا
واسـتـشـعـروا الحبّ مـثـلَـنـا عَـذروا

⁂

مـا جـحـد الحبَّ غـيـرُ جـاهـلِه
أيـجـحـدُ الـشـمسَ من له بـصـرُ؟
ذرْهمْ وإن أجـلَـبـوا وإن صَـخِـبـوا
ولا تـلُـمْـهُمْ فـمـا هـمُ بـشـر!

⁂

(١) أراد (الوِزر) بمعنى: الإثم. أما (الوَزَر) فهو الملجأ.

سِـرنـا الـهُـويـنـا ومـا بـنـا تَـعَبٌ
وقـد سـكـتْـنـا ومـا بـنـا حَـصَـر[1]
لـكنَّ فـرْطَ الـهُـيـام أسْـكَـرنـا
وقَـبْـلَـنـا الـعـاشـقـونَ كم سَـكِـروا!

فـقلْ لمن يُـكْـثِـرُ الـظـنـونَ بـنـا
(مـا كـان إلا الحـديثُ والـنـظَـر)
حـتى رأيتُ الـنـجـومَ آفـلـةً
وكـاد قـلبُ الـظلام يَـنـفَـطِـر

ودَّعـتُـهـا والـفـؤادُ مـضْـطَـربٌ
أُكـفْـكِفُ الـدمعَ وهـو يـنـهَـمِـرُ
وودعـتْـنـي ومِن مـحَـاجـرِهـا
فـوق الـعـقـيقِ الجُـمـانُ يَـنـحـدر[2]

قـد أضـحكَ الـدهـرَ مـا بَـكَـيْتُ له
كـأنمـا الـبَـيْنُ عـنـدَه وَطَـرُ
كـانت لـيـاليَّ مـا بـهـا كَـدرٌ
والآن أمـسـتْ وكـلُّـهـا كَـدَر

إن نـفِـدَ الـدَّمعُ مِن تـذكُّـرِهَـا
فـجَـادَهـا بـعـد أدمـعي المَـطَـرُ
عـسى الـلـيـالي تَـدري جِـنـايـتَـهـا
عـلى قـتـيلِ الـهـوى فـتَـعـتـذِر

✱✱✱✱

(١) الحَصَر: العِيّ (حصِر - يحصَر).
(٢) الجمان: اللؤلؤ (يريد: الدمع). والعقيق: أراد به لون خديها.

٦ - الشاعر والأمة

[الرمل]

خَـيـرُ مـا يـكـتـبُه ذو مِـرْقَمٍ[١]
قـصَّـةٌ فـيـهـا لـقـومٍ تَـذْكِـرَهْ

☆☆☆☆☆☆

كـان في مـاضي الـلـيـالي أمّـةٌ
خَـلـعَ الـعِـزُّ عـلـيـهـا حَـبِـرَه[٢]
يـجـدُ الـنَّـازلُ في أكـنـافِـهـا
أوجُـهـاً ضـاحـكـةً مُـسـتَـبـشِـره
ويـسـيـرُ الـطَّـرفُ من أرْبـاضِـهـا
في مـغَـانٍ حـالـيـاتٍ نَـضِـره
لم يَـقِسْ شَـعبٌ إلى أمـجـادهـا
مـجـدَه الـبـاذخَ إلا اسـتـصـغَـره
هـمُّـهـا في الـعـلـم تُـعـلي شـأنَه
بـيـنـهـا، والجـهلِ تَـمـحـو أثـرَه
مـا تـغـيبُ الـشـمسُ إلا أطـلـعتْ
لـلـورى مَـحْـمـدَةً أو مَـأْثُـره[٣]
فـتـمـنَّى الـصـبحُ تـغـدو شـمـسَهُ
وتـمـنّى الـلـيلُ تـغـدو قـمَـرَه

---

(١) المِرقَم: القلم. والرَقْم: الكتابة.
(٢) الحَبَرَة: بُرد يماني (جمعه: حِبَر).

ومشى الدهرُ إليها طائعاً
فمشتْ تائهةً مُفتَخِرَه

☆☆☆☆☆

كان فيها مَلِكٌ ذو فِطْنةٍ
حازمٌ يصفحُ عند المَقْدِرهْ
يعشقُ الأمرَ الذي تعشقُهُ
فإذا ما استنكرَتْهُ استنكَرَه
بلغتْ في عهدِه مرتَبةً
لم تنلْها أمّةٌ أو جَمْهرَه[1]
فإذا أعطتْ ضعيفاً مَوْثقاً
أشفقتْ أعداؤه أن تَخْفِرَه
وإذا حاربَها طاغيةٌ
كانت الظّافرةَ المنتَصِره
مات عنها، فأقامت مَلِكاً
طائشَ الرأي كثيرَ الثَّرثَره
حولَه عُصْبَةُ سُوْءٍ، كلّما
جاء إدّاً أقبلتْ مُعتَذِره[2]
حسَّنتْ في عينه آثامَهُ
وإليه نَفْسَهُ المستَكْبِره
وتمادى القومُ في غفلتهمْ
فتمادى في الملاهي المُنْكَره
زحزحَ الأمةَ عن مركزها
وطوى رايتَها المنتشِره

(١) الجماعة من الناس.

ورأت فـيـهـا الـلـيـاليْ مـقـتَلاً
فـرمَـتْـهـا فـأصَـابتْ مَـدْبَـره[1]
فـهـوت عن عـرشـهـا مـنـعـفـرَهْ
مـثـلـمـا تُـرمى بـسـهمٍ قُـبَّـرَه[2]

☆☆☆☆☆

كـان فـيـهـا شـاعـر مُـشْـتَـهَـرٌ
ذو قـوافٍ بـيـنـهـا مُـشـتَـهـرهْ
كـلّـمـا هـزّت يـداهُ وتـراً
هـزّ من كلّ فـؤادٍ وتَـره
تَـعِسُ الحظِّ، وهل أتـعَسُ مِن
شـاعـرٍ في أمَّـةٍ مُـحْـتَـضَـره؟
يـقـرأ الـنـاظـرُ في مُـقـلـتِه
ثـورةً طـاهـرةً مـسْـتَـتِـرَه
مـا يـراه الـنـاسُ إلا واقـفـاً
في مـغـاني قـومِه الـمُـنـدثِـرَه
حَـائـراً كـالـريح في أطلالـهـا
بـاكـيـاً والـسُّـحب المـنـهـمِـرَه
وهْيَ في أهـوائـهـا لاهـيـةٌ
وكـذاك الأمـةُ الـمُـسْـتَـهـتِـره
مـا رأتْ مُـهـجـتَهُ الـمُـنـفـطِـرهْ
لا ولا أدمُـعَـهُ المـنـحـدِره
فـشـكـاهُ الـشِّـعـرُ ممـا سـامَهُ
وشـكـاهُ الـلـيلُ ممّـا سَـهِـره

(١) الدَّبْر: الهلاك والموت، ومنها المَدْبَرة.
(٢) طير القبَّرة (وجمعها: قنابر).

ثم لمـــــا عَـــــبَث الـــــيـــــأسُ بهِ
مـــزّق الـــطِّـــرسَ وشَجَّ المِـــحْـــبَـــره!!

مـــرَّ يـــومـــاً فـــرأى أشـــيـــاخَـــهـــا
جـلـســوا يـبـكـون عـنـد المـقْـبَـره
قـــال مـــالَـــكُمُ؟... مـــا خـــطـــبُـــكُمُ
أيُّ كـــنـــزٍ في الـــثَّـــرَى أو جـــوهـــره؟
ومَنْ الـــثّـــاوي الـــذي تـــبـــكـــونَه
قـــيـــصـــرٌ، أم تُـــبَّعٌ، أم عـــنـــتَـــره؟
قـــال شـــيخٌ مـــنـــهمُ مُـــحْـــدَودِبٌ
ودمـــوعُ الـــيـــأسِ تَـــغـــشَى بـــصَـــرَه
إن من نـــبـــكـــيه لـــو أبـــصَـــرَهُ
قـــيـــصـــرٌ أبـــصـــر فـــيه قَـــيْـــصَـــرَه
كـــيف يـــا جـــاهلُ لا تـــعـــرفُهُ
وحُـــداةُ الـــعِـــيسِ[1] تـــروي خَـــبَـــرَه؟
هـــو مَـــلْكٌ كـــان فـــيـــنـــا ومـــضَى
فـــمـــضَتْ أيـــامُـــنـــا المـــزدهِـــره
ولَـــبـــثْـــنـــا بـــعـــدَه في ظُـــلَمٍ
داجِـــيَـــاتٍ فـــوقَـــنـــا مُـــعْـــتـــكِـــره
والـــذي كـــان بـــنـــا «مـــعـــرفـــةً»
لـــصـــروفِ الـــدهـــر أمـــسى «نَـــكِـــره»
فَـــانْـــتـــهَى الـــتـــاجُ إلى مُـــعـــتَـــسِفٍ
لم يـــزلْ بـــالـــتـــاج حـــتى نـــثَّـــرَه

(١) العيس: الإبل البيض (المفرد: أعيس – عيساء).

كل مـــا تَـــصـــبـــو إلـــيه نـــفـــسُهُ
مُـــعْـــصِـــرٌ أو خـــمـــرةٌ مـــعـــتَـــصَـــره
مُـــســـتـــهـــينٌ بـــالـــلـــيـــالي وبـــنـــا
مـــســـتـــعـــينٌ بـــالـــطَّـــغَـــام الـــفَـــجَـــرَه
كـــلّـــمـــا جـــاء إلـــيه خـــائنٌ
واشِـــيـــاً قـــرَّبَـــهُ واســـتـــوزَرَه
فـــإذا جـــاءَ إلـــيه نـــاصِحٌ
شكَّ في نـــيّـــته فـــانـــتَـــهَـــره
مُـــســـتَـــبِـــدٌ بـــاذلٌ في لحـــظـــةٍ
مـــا ادّخَـــرنـــاهُ له وادّخَـــرَه
يـــهَبُ المـــرءَ ومـــا يمـــلِـــكُهُ
وعـــلى المـــوهـــوبِ أن يَـــســـتـــغـــفِـــرَه
هَـــزَأ الـــشـــاعـــرُ مـــنـــهمْ قـــائلاً:
بَـــلَغ الـــسُّـــوسُ أصـــولَ الـــشَّـــجـــره
رحـــمـــةُ الـــلـــهِ عـــلى أسلافِـــكُمْ
إنـــهم كـــانـــوا تُـــقـــاةً بَـــرَره
رحـــمـــةُ الـــله عـــلـــيـــهم، إنـــهم
لم يـــكـــونـــوا أمّـــةً مـــنـــشَـــطِـــره
إنّ مَن تـــبـــكـــونَـهُ يـــا ســـادتي
كـــالـــذي تـــشـــكـــون فـــيـــكم بَـــطَـــرَه
إنمـــا بـــأسُ الأُلى قـــد سَـــلَـــفـــوا
قـــتلَ الـــنـــهـــمـــةَ فـــيه والـــشَّـــرَه
فـــاحـــبِـــسُـــوا الأدمعَ في آمـــاقِـــكمْ
واتـــركـــوا هـــذي الـــعِـــظـــامَ الـــنَّـــخِـــرَه

لـــو فَـــعـــلـــتُمْ فِـــعْل أجـــدادِكُمُ
مـــا قـــضَى الـــظـــالمُ مـــنـــكم وَطَـــره
مـــا لـــكم تـــشـــكُـــونَ من مُـــحْـــتـــكِمٍ
رُضْـــتُمُ ألـــسُـــنَـــكُمْ أن تَـــشـــكُـــره؟
وجـــعـــلـــتمْ مـــنـــكمُ عـــســـكـــرَهُ
وحـــلـــفـــتُمْ أن تُـــطـــيـــعـــوا عـــسْـــكَـــره؟
كـــيف لا يـــبْـــغِي ويـــطـــغَى آمـــرٌ
يـــتَّـــقِي أشـــجَـــعُـــكُمْ أن يـــنـــظُـــره؟
مـــا اســـتـــحَـــالَ الـــهِـــرُّ لَـــيـــثـــاً إنمـــا
أسُـــــدُ الآجَـــــامِ صـــــارتْ هِـــــرَرَه
وإذا الـــلـــيثُ وهتْ أظْـــفـــارُه
أنـــشبَ الـــسِّـــنَّـــوْرُ فـــيه ظُـــفُـــرَه!!

✱✱✱✱

٧ - وأني...

[الخفيف]

نـــــظَـــــرتْ مـــــرّةً إلـيَّ وقـــــالت:
مـــا يـــقـــول الحُـــسّـــادُ عـــنكَ وعـــنّي؟
قـــلتُ: مـــاذا عـــســـاهُمُ أن يـــقـــولـــوا
غـــيـــرَ أنّي جُـــنـــنْتُ فـــيكِ..وأنّي...

✷✷✷✷

٨ - أمّا أنا...

[الكامل]

لا تَـنـثَـني في الـروضِ أغـصـانُ الـشـجـرْ
حـتى تـدغـدغَـهـا الـنـسـائم في الـسَّـحَـر
وأنـا كـذلك لا يـفـارقُـنـي الـضَّـجـر
حـتى تـداعب لِـمَّـتِي[1] بـيـديـهـا

☆☆☆☆☆

الـشـمسُ تُـلـقي في الـصـبـاح حِـبـالَـهـا
وتـبـيتُ تـنـظـرُ في الـغـديـر خَـيـالَـهـا
أمَّـا أنـا فـإذا وقـفتُ حِـيـالَـهـا
أبـصـرتُ نـورَ الـشَّـمس فِي خـدّيـهـا

☆☆☆☆☆

الـطَّـودُ يَـقـرأ في الـسـمـاء الـصَّـافـيهْ
سـفْـراً، جـمـيلٌ[2] مَـتْـنُهُ والحـاشـيه
أمَّـا أنـا فـإذا فـقَـدْتُ كِـتَـابـيَه
أتـلـو كـتـابَ الحبّ في عـيـنـيـهـا

☆☆☆☆☆

الـطّـيـرُ إن عَـطِـشتْ ولجَّ بـهـا الـظَّـمـا
هـبـطتْ إلى الأنـهـار من عُـلْـو الـسـمـا
أمـا أنـا فـإذا ظـمـئْتُ فـإنمـا
ظمـأي الـشـديـدُ إلى لَـمَـى[3] شَـفـتـيْـهـا

☆☆☆☆☆

---

(١) الشعر: لأنه يلمّ بالكتف.
(٢) الصحيح: جميلاً.

الـنَّـدُّ يـطـلـبُهُ الخلائقُ في الـرُّبـا
بـين الـورودِ وفي نُـسَـيـمَـاتِ الـصَّـبـا
أمـا أنـا فـألـذُّ من نـشْـر الـكَـبـا
عـنـدِي، الـذي قـد فـاحَ من نـهـديـهـا

الـرَّاحُ تَـصْـرفُ ذا الـعَـنَـاءِ عن الـعَـنـا
وتـطـيـرُ بـالـصُّـعـلـوك في جـوِّ الـمُـنى
فـيـرى الـكـواكبَ تحـته، أمـا أنـا
فـتـظلّ أفـكـاري تحـوم عـلـيـهـا

فـيـهـا ومـنـهـا ذلّـتي وسَـقَـامي[1]
وبـهـا غـرامي، الـقـاتـلي ؛ وهُـيَـامي
أشـتـاقُـهـا في يَـقْـظَـتي ومَـنـامي
وا طُـولَ شـوقِ الـمُـسـتَـهـام إلـيـهـا!

(١) المرض.

٩ - وداع وشكوى

[الكامل]

أزِفَ الـرحـيلُ وحـانَ أن نـتـفـرّقـا
فـإلى الـلِّـقـا يـا صـاحـبيَّ إلى الـلِّـقـا
إنْ تـبـكِـيـا فـلـقـدْ بـكـيتُ من الأسى
حـتّى لـكِـدتُ بـأدمـعي أن أغْـرَقـا
وتـسـعَّـرتْ عـنـد الـوَداع أضَـالـعي
نـاراً خـشِـيتُ بـحَـرِّهـا أن أُحـرَقـا
مـا زلتُ أخـشى الـبَـين قـبل وقـوعِه
حـتى غـدوتُ ولـيس لي أن أفـرَقـا[1]
يـومَ الـنَّـوى، لـلـه مـا أقـسى الـنَّـوى
لـولا الـنّوى مـا أبـغضَتْ نـفسي الـبَـقـا
رُحـنـا حَـيـارَى صـامـتـينَ كـأنمـا
لـلـهَـولِ نـحْـذَرُ عـنـده أن نـنـطِـقـا
أكـبـادُنـا خـفّـاقَـةٌ وعـيـونـنـا
لا تـسـتـطـيع، من الـبـكـا، أن تَـرمُـقـا
نـتـجـاذبُ الـنـظـراتِ وهـي ضـعـيـفـةٌ
ونـغـالبُ الأنـفـاسَ كَـيلا تُـزهَـقـا
لـو لم نـعـلِّلْ بـالـلـقـاء نـفـوسَـنـا
كـادتْ مع الـعَـبَـراتِ أن تـتـدَفَّـقـا

---

(١) الفرَق: الخوف.

يــا صــاحــبيَّ تــصــبَّــرا فــلــربمــا
عُــدْنــا وعــاد الــشَّــملُ أبــهى روْنــقــا
إن كـــانتِ الأيـــامُ لم تَـــرفُقْ بـــنـــا
فَـمِن الـنُّـهى بـنـفـوسـنـا أن نَـرفُـقَـا
إن الـذي قَـدَر الـقـطـيـعـةَ والـنّـوى
في وُسْـعِه أن يـجـمعَ الـمُـتـفـرِّقـا!..

⁂

ولـقـد ركـبتُ الـبـحـرَ يـزأرُ هـائـجـاً
كـالـلـيثِ فـارقَ شِـبـلَه بل أَحـنَـقَـا
والـنـفسُ جـازعـةٌ ولـستُ ألـومُـهـا
فـالـبـحـرُ أعـظمُ مـا يُـخـافُ ويُـتَّـقى
فـلـقـد شـهـدتُ به حـكـيـمـاً عـاقلاً
ولـقـد رأيتُ به جَـهُـولاً أخْـرَقـا
مُـسْـتَـوفـزٌ مـا شـاء أن يـلـهـو بـنـا
مـتـرفِّقٌ مـا شـاء أن يـتـرفَّـقَـا
تـتـنـازعُ الأمـواجُ فـيه بـعـضَـهـا
بـعـضـاً عـلى جـهلٍ تُـنـازعُـنـا الـبـقَـا
بـيْـنـا يـراهـا الـطَّـرْفُ سُـوراً قـائـمـاً
فـإذا بـهـا حَـالتْ فـصـارتْ خَـنْـدقـا
والـفُـلْكُ جـاريـةٌ تـشُقُّ عُـبـابَه
شَـقّـاً، كـمـا تَـفْـري رداءً أخْـلَـقـا[1]
تـعـلـو فـنـحـسـبُـهـا تَـؤمُّ بـنـا الـسَّـمـا
ونـظن أنّـا راكـبـون مُـحـلِّـقَـا

(١) خَلُق وأخلق: بلي.

حـــتى إذا هَـــبـــطَتْ بـــنـــا في لُـــجَّـــةٍ
أيـــقـــنتُ أن المـــوتَ فـــيـــنـــا أحـــدَقـــا
والأفْقُ قـــد غـــطّى الـــضَّـــبـــابُ أديمَه
فـــكـــأنمـــا غـــشيَ المِـــدادَ الـــمُـــهْـــرَقـــا
لا الشمسُ تسطعُ في الصباح، ولا نرى
إمـــا اســـتـــطـــالَ الـــلـــيلُ ؛ بـــدراً مُـــشـــرِقـــا
عـــشـــرون يـــومـــاً أو تَـــزيـــد قـــضـــيـــتُـــهـــا
كـــيفَ الـــتَـــفَتُّ رأيتُ مـــاءً مُـــغْـــدِقـــا
(نيـويـورك) يا بـنتَ البُـخارِ، بـنا اقـصُـدِي
فـلـعـلّـنـا بـالـغـرب نـنـسى الـمَـشْـرِقـا
وطنٌ أردنـــــاه عـــــلـــى حُبِّ الـــــعُلا
فـأبى سِـوى أن يـسـتـكـينَ إلى الـشَّـقَـا
كـالـعـبدِ يـخـشَى، بـعد مـا أفـنى الـصِّـبـا
يـــلـــهـــو به ســـاداتُه، أن يُـــعـــتَـــقَـــا
أوَ كـــلّـــمـــا جـــاء الـــزمـــانُ بمُـــصـــلِحٍ
في أهـــلـه قـــالـــوا طـــغى وتـــزنْـــدَقـــا؟
فـــكـــأنمـــا لم يـــكـــفِ مـــا قـــد جَـــنَـــوْا
وكَـــأنمـــا لم يـــكـــفِـــهِمْ أنْ أَخـــفَـــقـــا
هـــذا جـــزاءُ ذوي الـــنُّـــهى في أمَّـــةٍ
أخـذَ الجُـمـودُ عـلـى بـنـيـهـا مَـوْثِـقـا
وطنٌ يَـــضـــيقُ الحُـــرُّ ذَرْعـــاً عـــنـــدَهُ
وتـــراه بـــالأحـــرار ذَرْعـــاً أضْـــيَـــقـــا
مـــا إن رأيتُ به أديـــبـــاً مُـــوسِـــراً
فـيـمـا رأيتُ، ولا جَـهـولاً مُـمْـلِـقَـا
مَـشَتِ الجـهـالـةُ فـيه تـسـحبُ ذيـلَـهـا
تِـيـهَـاً، وراحَ الـعِـلْمُ يمـشي مُـطْـرِقـا

أمـــسى وأمـــسى أهـــلُه في حـــالـــةٍ
لـو أنّـهـا تـعـرو الجـمـادَ لأَشـفَـقَـا
شـعبٌ كـمـا شـاء الـتـخـاذلُ والـهـوى
مُـتـفـرِّقٌ ويـكـادُ أن يـتـمـزَّقـا
لا يـرتـضي دينَ الإلهِ مُـوفِّـقـاً
بـين الـقـلـوب، ويـرتـضـيه مُـفـرِّقـا
كَـلِفٌ بـأصـحـاب الـتـعـبُّـد والـتُّـقى
والـشَّـرُّ مـا بـين الـتـعـبُّـدِ والـتُّـقى
مُـسـتـضـعَفٌ، إن لم يُـصبْ مـتـمـلِّـقـاً
يـومـاً تَـمـلّقَ أن يـرى مُـتـمـلِـقـا
لم يـعـتـقـدْ بـالـعـلم وهـو حـقـائقٌ
لـكـنه اعـتـقـدَ الـتـمـائمَ والـرُّقَى!
ولـربمـا كَـرهَ الجـمـودَ وإنمـا
صـعبٌ عـلى الإنسـان أن يَـتَـخـلَّـقـا!..
وحـكـومـةٌ مـا إنْ تُـزَحْـزحْ أحـمـقـاً
عن رأسـهـا حـتى تُـولِّيَ أحـمـقـا
راحتْ تُـنـاصـبُـنـا الـعَـداء كـأنمـا
جـئـنـا فَـريَّـاً أو ركـبـنـا مَـوْبـقـاً[1]
وأبتْ سِـوى إرهـاقـنَـا فـكـأنمـا
كَلُّ الـعـدالـةِ عـنـدهـا أن نُـرْهَـقـا
بـيـنـا الأجـانبُ يـعـبَـثـونَ بـهـا كَـمـا
عَبِثَ الـصَّـبا سَـحَـراً بـأغصـانِ الـنَّـقـا[2]
(بـغـدادُ) في خـطـرٍ و(مـصـرُ) رهـيـنـةٌ
وغـداً تَـنـالُ يـدُ المـطـامعِ (جِـلَّـقَـا)

(١) الفريّ: المصنوع المختلق (من: الفِرية: الاختلاق). والمَوْبق: المهلكة. وبَق وبوقاً: هلك.

ضَـعُـفتْ قـوائـمُـهـا ولـمّـا تـرعَـوي
عن غَـيّـهـا حـتى تـزولَ وتُـمْـحَـقـا
قـيل: اعـشـقـوهـا، قـلت: لم يـبْقَ لـنـا
مـعـهـا قـلـوبٌ كي نُـحبَّ ونَـعـشَـقـا
إن لم تـكن ذاتُ الـبـنـين شـفـيـقـةً
هـيـهـاتَ تـلـقى من بَـنـيـهـا مُـشْـفِـقـا
أصـبـحتُ حـيث الـنـفسُ لا تـخـشَى أذىً
أبـداً، وحـيث الـفـكـرُ يـغـدو مُـطـلَـقـا
نـفـسي اخـلُـدي، ودعي الحـنـينَ، فـإنمـا
جـهْلٌ، بُـعَـيـدَ الـيـومِ، أن نـتَـشـوّقـا
هـذي هي «الـدنـيـا الجـديـدةُ» فـانـظـري
فـيـهـا ضـيـاءَ الـعـلمِ كـيف تـألّـقَـا
إني ضـمـنتُ لكِ الحـيـاةَ شـهـيـةً
في أهـلـهـا، والـعـيشَ أزهـرَ مُـونِـقَـا

✱✱✱✱

١٠ - عصر الرشيد

[الكامل]

كم بـين طـيّـاتِ الـعُـصـور الخـالـيهْ
عِـظـةٌ لأبـنـاء الـدهـور الآتِـيَهْ
عِـبَـرُ الـلـيـالي كـالـلـيـالي جَـمَّـةٌ
لـكـنـمـا الـنَـزْرُ الـقـلـوبُ الـواعـيه
الـدهـرُ يُـفْـنـيـنَـا ونَـحـسَبُ أنهُ
يُـفـنـي بـنـا أيـامَه ولَـيـالِـيَه
فـإذا مـشى فـيـنـا الـفـنـاءُ فـراعَـنـا
خَـلَقَ الخـيـالُ لـنـا الحـيـاةَ الـثـانـيه
إن الحـيـاةَ قـصـيـدةٌ، أبـيـاتُـهـا
أعـمـارُنـا، والمـوتُ فـيـهـا الـقـافـيه
كم تـعـشقُ الـدنـيـا وتُـنـكـر صـدَّهـا
أنـسـيتَ أن الخُـلْفَ طـبعُ الـغـانـيه؟
وتـودُّ لـو يـبـقَى عـلـيكَ نَـعـيـمُـهـا
أجَـهِـلْتَ أنَّ عـلـيكَ ردُّ الـعَـاريه؟
خلِّ الـغُـرورَ بمـا لـديكَ فـإنمـا
دنـيـاكَ زائـلـةٌ ونـفـسُك فـانـيه
إنّ الأُلى وطِـئتْ نـعـالُـهُمُ الـسُّـهـا
وطـئتْ جِـبـاهَـهُمُ نـعـالُ المـاشـيه
لـو أن حـيّـاً خـالـداً فـوق الـثّـرى
مـا مـات «هـارونٌ» وزال «مـعـاويه»

أوَ كـــان عـــزٌّ دائـــمـــاً مـــا أصـــبـــحتْ
«بـغـدادُ» في عَـدَدِ الـطُّـلـولِ الـبَـالـيه
أخـنَتْ عـلـيـهـا الحَـادثـاتُ، فـدُورُهـا
خـرَبٌ تُـعـاودهـا الـريـاحُ الـسَّـافـيه
يـأوي إلـيـهـا الـبـومُ غـيـرَ مُـروَّعٍ
مـن كلِّ نـعّـابٍ أحـمِّ الخَـافـيه[1]
نـزل الـقـضـاءُ فـمـا حَـمـاهـا سـورُهـا
ولـطـالمـا ردّ الجـيـوشَ الـغـازيه
واجـتـاحَ مُـجـتـاحُ الـعُـروشِ مـلـوكَـهـا
فـكـأنـهـمْ (أعـجـازُ نَـخْلٍ خـاويه)
أين الـقـصـورُ الـشـاهـقـاتُ وأهـلُـهـا
بـادَ الجـمـيـعُ، فـمـا لـهـمْ من بـاقـيه
دَرَسَتْ مـعـالِـمُـهـا وغـيَّـرَهـا الـبِـلَى
ولـقـد تُـرَى حُـلَلُ المحـاسنِ كـاسِـيه
أيـــامَ لا دَوحُ المـــعـــارِفِ ذابلٌ
ذاوٍ، ولا دُورُ الـصـنـاعـةِ خَـالِـيه
أيـامَ لا لـغـةُ «الـكـتـابِ» غـريـبـةٌ
فـيـهـا، ولا هِـمَـمُ الأعـاربِ وانـيَه
أيـامَ كـان الـعِـلْمُ يـغـبِطُ أهـلَهُ
أهلُ الـثَّـراءِ، ذوو الـبُـرُودِ الـضَّـافِـيه
أيـامَ كـان لـكلّ حُـسْنٍ شـاعـرٌ
كَـلِفٌ به ولـكلّ شِـعْـرٍ راويه
أيـامَ «دِجـلـةُ» مُـطـمـئنٌ هـادئٌ
جَـذلانُ يـهـزأ بـالـبُـحـورِ الـطَّـامِـيه

(١) الأحمّ: الأسوَد من كل شيء. والخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت. مفردها:خافية.

«الـنِّـيلُ» خـادمُه الأمـينُ، وعـبْـدُه
«نـهـرُ الـفـرات» وكلُّ عـينٍ «جـاريه»
تـهـوَى الـكـواكبُ أنـهـا حَـصْـبـاؤُه
أو أنـهـا شـجـرٌ عـلـيه حَـانـيه
وتـودُّ كلُّ سَـحـابـةٍ مـرّتْ به
لـو أنه سُـحُـبٌ عـلـيـهـا هـامِـيَه[1]
وترى الـغـزالـةُ طـيفَـهـا عـنـد الـضُّـحَى
في سَـطْـحه فـتَـبـيتُ عـطـشَى راويه
أيـامَ كـان الـشَّـرقُ مـرهـوبَ الحِـمَى
يـكـسـو الجَـلالُ سـهـولَه وروابـيَه
أيـامَ تحـسُـدُهـا الـعـواصمُ مـثـلَـمـا
حـسَـدَ الـعـواطلُ أخـتَـهنّ الحَـالـيه
ولـطـالمـا كـانت تَـعِـزّ بـعِـزّهـا
«مـصـرٌ»، وتحـمي ذكـرَهـا «أنـطـاكـيه»

أيـامَ «هـارونٌ» يُـديـر شـؤونَـهـا
يـا عـصـرَ «هـارونٍ» عـلـيكَ سلامِـيَه
مَـلِكٌ أدالَ من الجَـهـالـة عِـلْـمُهُ
وأذلَّ صَـارِمُه المـلـوكَ الـعَـاتـيه
ومَـشتْ تُـطـوِّفُ في الـبلاد هِـبـاتُهُ
تـغـشَى حـواضِـرَهـا وتـغـشى الـبـاديه
ملأ الـبـلادَ عـوارفـاً ومـعـارفـاً
والأرضَ عـدْلاً والـنـفـوسَ رَفـاهـيه

(١) همى: سال، من مطر وغيره.

فـتَـحـضَّـرَ الـبَـادونَ في أيـامِه
واسـتـأنسـتْ حـتى الـوحـوشُ الـضَّـاريه
وتـسَـرْبـلتْ «بـغـدادُ» ثـوبَ مَـهـابـةٍ
لـيـسـتْ تَـراه أو «تُـراه» ثـانـيه
هـاتـيكَ أيـامٌ تلاشَتْ مـثـلَـمـا
تـمـحـو من الـرَّقّ الحـروفَ المـاحِـيَه[1]
لم يـبقَ إلا ذكْـرُهـا يـا حُـسـنَـهـا
ذكـرى تَـهَشُّ لـهـا الـعـظـامُ الـبـالـيه
لـو أن هـذا الـدهـرَ سِـفـرٌ كـنتَ يـا
عـصـرَ الحـضـارةِ مَـتْـنَهُ والحَـاشِـيه
عـصـرٌ لـئن جـاء الـبـشـيـرُ بـعَـوْدِه
فلأخـلـعنَّ عـلى الـبـشـيـر شـبـابـيه!..

إيه «أبـا الـمـأمـونِ» ذكـرُكَ آبـدٌ
في الأرض، مـثلُ الـشـامِـخَـاتِ الـراسِـيه
بـاقٍ عـلى مـرّ الـعـصـور بـقـاءَهـا
وكـذاك ذِكْـرُ ذوي الـنـفـوس الـسَّـامـيه
إن لم يـكن لكَ من مِـثـالٍ بـيـنـنـا
فـلأنّ روحَـك كلَّ حـيـنٍ دانـيـه
هـي في الخـمـائلِ زهـرةٌ فـيّـاحـةٌ
هـي في الـكـواكب شـمـسُـهـا الـمُـتَلالـيه
إني لأعـجَبُ كـيف مُتَّ وفي الـورى
حيٌّ وكـيف طَـوتْكَ هـذي الـطَّـاويه
ومِن الـزَّمـانِ يَـهُـدُّ مـا شـيَّـدْتَهُ
ويْحَ الـزَّمـانِ، أمَـا تـهَّـيبَ بـانِـيَه!

(١) الرِّق: الصحيفة البيضاء. وأراد بالحروف الماحية: الحروف التي تذهب بأثرها.

تـشـكـو إلـيك الـيـومَ نـفـسـي شَـجـوَهـا
فـلأنتَ مَـفْـزَعُ كلِّ نـفسٍ شـاكـيه
أتُـراكَ تـعـلَـمُ أنّ دارَكَ بُـدِّلَتْ
مِن صَـوتِ «إسـحقٍ» بـصـوتِ الـنـاعِـيه؟[1]
أتُـراك تـعـلَـمُ أن مـا أثّـلْـتَهُ
قـد ضـيّـعَـتْهُ الأنـفسُ الـمُـتَلاهِـيه؟
يـا ويحَ هـذا الـشَّـرقِ بـعـدَكَ، إنه
لـلـضـعف بـاتَ عـلى شَـفِـيـرِ الـهـاويه
مـا كـان يـقـنَعُ بـالـنـجـومِ وسـائـداً
والـيـومَ يـقـنَعُ أهـلُه بـالـعـافـيه!
مُـسْـتـرسِـلُـونَ إلى الـذُّهـول كـأنمـا
سُـحِـروا أو اصـطُـرِعُـوا بـبنتِ الخَـابـيه
مُـسْـتَـسـلـمـونَ إلى الـقـضـاءِ كـأنمـا
أُخِـذوا، ولـمّـا يـؤخَـذوا، بـالـغَـاشـيه
المجـدُ إدراكُ الـنـفـيسِ، وعـنـدهمْ
مـا المجـدُ إلا شَـادنٌ أو شَـاديه
يـهـوَى الحـيـاةَ الـنـاسُ طـوعَ نـفـوسِـهمْ
وهُمُ يـريـدونَ الحـيـاةَ كـمـا هِـيه
صَـغُـرتْ نـفـوسُـهُمُ، فـبـاتَ عـزيـزُهمْ
يَـخشى الجبـانَ، كما يـخـافُ الطـاغِيه
حَـمـلـوا المـغَـارمَ سـاكِـتـينَ كـأنمـا
كَـبِـرتْ عـلى أحـنَـاكِـهمْ «لا» الـنَّـاهـيه
لم تَـسْـمَعِ الـدنـيـا بـقـومٍ قـبـلَـهُمْ
مـاتـوا ومـا بَـرِحـوا الـديـارَ الـفـانـيه

(١) اسحق الموصلي: المغني أيام الرشيد.

اللـهَ، لـو حـرَصُـوا عـلى أمـجـادهمْ
فَـلَـتـلكَ عُـنـوانُ الـشـعـوبِ الـراقـيه
مـلَكَ «الـعُـلُـوجُ» أمـورَهـمْ ومـتـاعَـهُمْ
حـتى سَـوامَـهُمُ وحـتى الآنـيَه
واخَـجْـلَـةَ الـعـربيِّ مِنْ أجـداده
صـارتْ عـبـيـدُهُمُ الـطَّـغَـامُ مَـوالـيَه!..

☆☆☆☆☆☆

أبـنِي الـغَـطَـارِفَـةِ الجـبـابـرةِ الأُلى
وطِـئـوا «الـلُّـوارَ» ودوّخـوا «إسـبـانِـيْه»[1]
مِن حَـولِـكُمْ وأمـامَـكُمْ تـاريـخُـهمْ
فـاسـتـخْـبِـروه فـذاكَ أصـدقُ راويه
قـادوا الجـيـوشَ فـكلُّ سـهْلٍ ضَـيِّقٌ
ورَمُـوا المـعـاقلَ فـهْيَ أرضٌ داحِـيه[2]
وسَـطَـوْا فـأَسْـقـطتِ الـعُـروشُ مـلـوكَـهـا
رُعـبـاً وأَجْـفـلَتْ الـصُّـروحُ الـعـالـيهُ[3]
ومـشَـوْا عـلى هـامِ الـنـجـوم فـلـم تـزلْ
في الـلـيل من وجَلٍ تُـحَـدِّقُ سَـاهـيه
ورَدَتْ خـيـولُـهمُ المجـرّةَ شُـزَّبـاً
والـشُّـهبُ من حـولِ المجـرّةِ صـاديه[4]
أعـطـاهُمُ صَـرْفُ الـزمـانِ زِمَـامَه
أمِـنُـوا ومـا أمِنَ الـزَّمـانُ دواهـيه

---

(١) اللوار: أطول أنهار فرنسة (Loire) وعنده جرت المعارك بين العرب (عبد الرحمن الغافقي) والفرنجة في القرن الثامن الميلادي.

(٢) دحا: بسط يريد هنا المدحوّة. (تحويل المعاقل إلى أرض مبسوطة).

(٣) أجفل: شرد فذهب.

(٤) ضامرة (الشازب: الضامر)، وخيل شزّب: ضامرة البطن. وصديَ يصدى: عطش.

لا أسْـــتَـــفِـــزُّكُمُ لمـــثْلِ فُـــتـــوحِـــهمْ
لـكنْ إلى حـفظِ الـبـقـايـا الـبـاقـيه
أتَـــذِلُّ آنـــافَ المـــلـــوكِ جُـــدودُكُمْ
وتَـسـومُـكُمْ خَـسـفـاً رُعـاةُ المـاشـيه؟
كم تَـصـبـرونَ عـلى الـهـوان كـأنـكمْ
في غِـبْـطـةٍ والـذّلُّ نـارٌ حـامـيه
يـا لَـلـرجـالِ! أمَـا عـلـمـتمْ أنَّـكمْ
إن لم تـثـوروا، أمـةٌ مُـتـلاشِـيه؟

☆☆☆☆☆☆

«دارَ الـسـلامِ» تحـيـةً من شـاعـرٍ
حَـسَـدتْ مـدامـعُه عـلـيك قـوافـيه
فَـأَراقَ مـاءَ شـؤونِه ولـو انَّه
في الـغَـادياتِ أراقَ مـاء الـغـاديه[1]
لـو كـان مـجـدُكِ مُـسـتـرَدّاً بـالـبـكـا
قـطَـرتْ مـحَـاجِـرُه الـدِّمـاءَ الـقَـانـيه
فـعـلـيكِ تـذهبُ كلُّ نـفسٍ حَـسْـرةً
ولمـثل خَـطْـبكِ تُـسـتـعَـارُ الـبـاكـيه!!

✱✱✱✱

(١) الغادية: السحابة تنشأ عند الصباح.

١١ - لم أجد أحدا...

[الكامل]

قـــالت: ســـكَتَّ ومـــا ســـكتَّ سُـــدًى
أعْـــيَـــا الـــكلامُ عـــلـــيكَ أم نَـــفِـــدَا؟
إنّـــا عـــرفـــنـــا فـــيكَ ذا كَـــرَمٍ
مـــا إن عـــرفْـــنـــا فـــيكَ مُـــقـــتَـــصِـــدا
فَـــاطـــلـــقْ يـــراعكَ يـــنـــطـــلـــقْ خَـــبـــبَـــاً
واحـــلُلْ لـــســـانَك يَـــحـــلُل الـــعُـــقَـــدا
مـــا قـــيـــمـــةُ الإنـــســـانِ مُـــعـــتَـــقِـــداً
إن لم يَـــقلْ لـــلـــنـــاسِ مـــا اعـــتَـــقَـــدا؟
والجـــيشِ تحت الـــبَـــنْـــدِ مُـــحـــتَـــشِـــداً
إن لم يـــكنْ لـــلـــحَـــرْب مُـــحـــتـــشِـــدا؟
والـــنـــورِ مُـــســـتـــتِـــراً؟ فـــقـــلتُ لـــهـــا:
كُـــفِّي المَلامَـــةَ واقـــصُـــري الـــفَـــنَـــدا[1]
مـــاذا يُـــفـــيـــدُ الـــصـــوتُ مـــرتـــفـــعـــاً
إن لم يـــكن لـــلـــصـــوت ثَمّ صَـــدى؟
والـــنـــورُ مُـــنـــبـــثِـــقـــاً ومـــنـــتـــشـــراً
إن لم يـــكنْ لـــلـــنـــاس فـــيه هُـــدى؟
إن الحـــوادثَ في تـــتـــابُـــعِـــهـــا
أبـــدَلْـــنَـــني من ضَـــلَّـــتِي رَشَـــدا

---

(١) قصُر: ضد طال (يقصُر - قِصَراً) والفنَد هنا: اللوم والعذَل.

مـــا خـــانَـــنِي فِـــكْـــري ولا قـــلَـــمي
لـــكنْ رأيتُ الـــشِّـــعـــرَ قـــد كَـــسَـــدا!

كـــان الـــشَّـــبـــابُ، وكـــان لي أمَلٌ
كـالـبـحـر عُـمْـقـاً، كـالـزمـانِ مَـدَى
وصـــحـــابـــةٌ مـــثلُ الـــريـــاضِ شَـــذَاً
وصـــــواحبٌ كـــــوُرودِهـــــا عـــــددا
لـــكـــنّـــني لـــمَّـــا مَـــددتُ يـــدي
وأدرتُ طَـــــرْفي لم أجـــــدْ أحـــــدا!...

ذهب الـصِّـبَـا ومـضى الـهـوى مـعَهُ
أصَـبَـابـةً والـشَّـيبُ قـد وَفَـدا؟
فـالـيـومَ إن أبـصـرتُ غـانـيـةً
أُغْـضِي كـأنَّ بمـقـلـتِي رَمَـدا
وإذا تُـدارُ الـكـأسُ أصـرِفُـهـا
عـــني، وكـــنتُ ألـــومُ مَن زَهِـــدا
وإذا ســـمـــعتُ هُـــتـــافَ شـــاديـــةٍ
أمـسـكتُ عـنـهـا الـسَّـمْعَ والـكَـبِـدا
كـــفّـــنْتُ أحلامي وقـــلتُ لـــهـــا:
نـــامي! فـــإنّ الحبَّ قـــدْ رَقَـــدا
وقْعُ الخُـــطـــوبِ عـــليّ أخْـــرَسَـــني
وكـذا الـعـواصفُ تُـسـكِتُ الـغَـرِدا
عـمـرُو صـديقٌ كـان يـحـلفُ لي
إن نُـــحتُ نـــاحَ وإن شـــدَوْتُ شَـــدا
وإذا مـــشَـــيْتُ إلى المَـــنـــون مَـــشى
وإذا قـــعـــدتُ لِـــحـــاجـــةٍ قَـــعَـــدا

صـــدّقْـــتُه، فـــجـــعـــلـــتُه عَـــضُـــدي
وأقـــمتُ من نـــفْـــسي له عَـــضُـــدا
لـــكـــنَّـــني لـــمّـــا مـــدَدْتُ يـــدي
وأدَرْتُ طَـــرْفي لـم أجـــدْ أحـــدا!..

☆☆☆☆☆

هـــنـــدٌ، وأحـــســـبُـــني إذا ذُكـــرتْ
أطـــأُ الأفـــاعي، أو أَجُسُّ مُـــدَى[1]
كـــانت إلـــهـــاً، كـــنتُ أعـــبُـــدُه
وأُجـــلّه، والحُـــسْنُ كَمْ عُـــبِـــدا
كم زُرتُـــهـــا والحيُّ مـــنـــتـــبِهٌ
وتـــركـــتُـــهـــا والحيُّ قـــد هَـــجَـــدا
ولـــكم وقـــفتُ عـــلى الـــغَـــديـــر بـــهـــا
والـــريـــحُ تـــنـــســـجِ فـــوقَه زَرَدا
والأرضُ تـــرقُص تحـــتـــنـــا طَـــرَبـــاً
والـــشُّـــهبُ تـــرقُصُ فـــوقـــنـــا حَـــسَـــدا
ولـــكم جـــلـــسْـــنـــا في الـــريـــاض مـــعـــاً
لا طـــارئـــاً نَـــخْـــشَى ولا رَصَـــدا
والـــلـــيلُ فـــوق الأرض مـــنْـــســـدِلٌ
والـــغـــيْمُ فـــوق الـــبَـــدْر قـــد جَـــمَـــدا
قـــد كـــاشـــفـــتْـــني الحبَّ مُـــقـــتـــرِبـــاً
وشـــكتْ إليّ الـــشَّـــوقَ مـــبْـــتـــعِـــدا
لـــكـــنَّـــني لمـــا مـــددتُ يـــدي
وأدرتُ طَـــرْفي لـم أجـــدْ أحـــدا!..

☆☆☆☆☆

(١) المُدية: السكين (والجمع: مُدى).

قــومي، وقــد أَطــربــتُــهمْ زمــنــاً
ســاقــوا إليَّ الحُــزْنَ والــكَــمَــدا
هم عــاهــدوني إنْ مَــددتُ يــدي
لَــيَــمُــدُّ كلُّ فــتًى إليّ يــدا
قــالــوا غــداً تــهــمي سَــحــائــبُــنــا
فــرجــعتُ أدراجي أقــول غــدا
وظــنــنــتُ أني مــدركٌ أَرَبي
إن غــارَ تحت الأرض أو صَــعِــدا
فــذهــبتُ أمــشي في الــثَّــرى مَــرِحــاً
مــا بــين جلاّسي، ومُــنْــفــرِدا
تِــيهُ المجــاهــدِ نــال بُــغْــيــتَه
أو تِــيهُ مــســكــينٍ إذا سُــعِــدا
لــكــنــني لمــا مــددتُ يــدي
وأدرتُ طَــرْفي لم أجــد أحــدا!..

☆☆☆☆☆

هُمْ هــدّدوني حــينَ صِــحتُ بــهمْ
صَــيْــحــاتيَ الــشَّــعــواءِ مــنْــتــقِــدا
ورأيتُ في أحــداقِــهمْ شَــرَراً
ورأيتُ في أشــداقِــهمْ زَبَــدا
وسَــمــعتُ صــائــحَــهمْ يــقــول لــهمْ:
أَنْ أُقْــتُــلــوهُ حــيــثُــمــا وُجــدا
فــرجــعتُ أحــســبُــهمْ بــرابــرةً
في مَــهْــمَــهٍ وأظــنُّــني ولَــدا[1]

(١) المهمه: المفازة البعيدة (والجمع: مهامه).

مَـــرَّتْ لـــيـــالٍ مـــا لـــهـــا عـــددٌ
وأنـــا حـــزينٌ بـــاهتٌ كَـــمَـــدا[1]
أرتـــاعُ إن أبـــصَـــرتُ واحـــدَهمْ
ذُعـــرَ الـــشُّـــوَيْـــهـــةِ أبـــصـــرتْ أَسَـــدا
وإذا رقَـــدتُ رقـــدتُ مـــضـــطـــربـــاً
وإذا صَـــحَـــوتُ صـــحـــوتُ مُـــرتَـــعِـــدا
لـــكـــنـــني لـــمّـــا مـــددتُ يـــدي
وأدرتُ طـــرْفي لم أجـــد أحـــدا!..

لا تـــذكـــروهم لـي، وإن ســـألـــوا
لا تـــذكـــروني عـــنـــدَهم أبـــدا
لا يملأ الـــسِّـــربـــالَ واحـــدُهمْ
وله وعـــودٌ تـــملأ الـــبَـــلَـــدا[2]
يـــا لـــيـــتَـــني ضـــيّـــعت مَـــعْـــرفـــتي
من قَـــبلِ أعـــرفَ مـــنـــهمُ أحـــدا[3]

✱✱✱✱

(١) الكَمِد والكميد: الحزين الذي يكتم حزنه.
(٢) السربال: القميص.
(٣) التقدير: أن أعرف.

١٢ - السرُّ في الأرواح

[الكامل]

قــال الــغــرابُ وقــد رأى كَـلَفَ الــوَرى
وهُــيَــامَــهُمْ بــالــبــلــبل الــصَّــدّاحِ:
«لِمَ لا تَــهــيمُ بيَ المــســامعُ مــثــلَهُ
مــا الــفــرقُ بــين جــنــاحه وجــنــاحي؟
إني أشــدّ قُــوىً وأَمــضى مِــخْــلــبــاً
فــعلامَ نــام الــنــاسُ عن تَــمْــدَاحي»؟

☆☆☆☆☆☆

أمُــفــرّقَ الأحــبــابِ عن أحــبــابــهم،
ومــكــدّر الــلــذّاتِ والأفــراح!
كم في الــسوائل من شــبــيهٍ بــالــطِّلا
فــعلامَ لــيس لــهــا مَــقــامُ الــراح؟
لــيس الحُـظُـوظُ من الجسوم وشـكـلـهـا
الــسِّــرُّ كلُّ الــسِّــرِّ في الأرواح
والــصــوتُ من نِـعَمِ الــسـمـاء، ولم تـكن
تــرضى الــسَّــمــا إلا عن الــصَّــدّاح
حُـكْمُ الـقـضـاءِ فـإن نَـقِـمْتَ على الـقَـضـا
فَــاضْــرِبْ بــعــنــقِكَ مُــدْيَــةَ الجَــرَّاح

✱✱✱✱

١٣ - بنت سورية

[الرمل]

لـيس يـدري الـهمَّ غـيـرُ الـمُـبْـتَـلي[١]
طـــال جـــنحُ الـــلـــيل أو لم يَـــطُلِ
مـا لـهـذا الـنـجمِ مـثـلي في الـثـرى
طـــائـــرَ الـــنـــوم شـــديـــدَ الـــوجَل
أتُـــــراهُ يـــــتّـــــقي طـــــارئَـــــةً
أم بـه أنّـي غَـــــريبُ المـــــنـــــزل؟
كـلّـمـا طـالـعتُ خَـطْـبـاً جَـلَلاً
جـــاءني الـــدهـــرُ بـــخـــطبٍ جَـــلَل
أشـــتـــكي الـــلـــيلَ ولـــو ودّعـــتُه
بتٌّ من هَـــمّي بـــلـــيلٍ ألْـــيَل[٢]
يـــا بـــنـــاتِ الأفْقِ مـــا لـــلـــصَّبِّ مِن
مُـسْـعـدٍ في الـنـاس؛ هلْ فـيـكنّ لي؟
لا عَـــرَفـــتُنّ الـــرزايـــا إنـــهـــا
شـــيّـــبتْ رأسي ولم أكـــتَـــهِل
سَـهِـدتْ سُـهـدي الـدَّراري[٣] إنمـا
شِـدَّ مـا بـين الـمُـعَـنّى والخَـلي
لـيت شِـعـري مـا الـذي أعـجـبَـهـا
فـــهْيَ لا تـــنـــفكُّ تَـــرنـــو من عَلِ

---

(١) يريد: المبتلى.
(٢) شديد الظلمة.
(٣) النجوم لأنها تلمع في السماء كالدُّرَر.

أنـــا لا أغـــبِـــطُـــهـــا خـــالـــدةً
ولـــقـــدْ أحْـــسُـــدُهـــا لم تَـــعْـــقِلِ
كـــلّـــمـــا راجـــعتُ أحلام الـــصِّـــبـــا
قـــلت: يـــا لـــيت الـــصِّـــبـــا لم يَـــزل!..
أيـــهـــا الـــقـــلبُ الـــذي في أضـــلُـــعي
إنمـــا الـــلـــذةُ جـــهلاً فـــاجـــهلِ[1]
تَـــجْـــمُلُ «الـــرِّقَّـــةُ» في الـــعَـــضْبِ فـــإنْ
كـــنتَ تـــهـــواهـــا فـــكن كـــالـــمُـــنْـــصلُ[2]
هـيَ فـي الـــغِـــيـــد الـــغَـــواني قـــوَّةٌ
وهـيَ ضـــعـــفٌ في فـــؤادِ الـــرَّجل
لا يـــغُـــرَّ الحـــسنُ ذا الحُـــسْنِ فـــقـــد
يَـــصـــرعُ الـــبـــلـــبلَ صـــوتُ الـــبـــلـــبل
تُـــقـــتَلُ الـــشـــاةُ ولا ذنْبَ لـــهـــا
هـيَ، لـــولا ضـــعـــفُـــهـــا، لم تُـــقـــتل
إن تـــكنْ في الـــوحش كنْ لـــيثَ الـــشّـــرَى[3]
أو تـــكنْ في الـــطـــيـــر كنْ كـــالأَجْـــدَل[4]
أو تـــكنْ في الـــنـــاس كن أقـــواهُـــمُ
لـــيـــستِ الـــعـــلـــيـــاءُ حظَّ الـــوُكَّل![5]

⁂

مـــا لِـــقـــومِي - لا وهَى حَـــبْـــلُـــهمُ -
قـــنِـــعـــوا من دهْـــرهـمْ بـــالـــوَشَل[6]

---

(١) الصحيح: إنما اللذة جهل... إلا إذا لجأنا إلى التقدير!
(٢) النصل: حديد السيف، والمنصل: السيف.
(٣) موضع تُنسب إليه الأسود.
(٤) الصقر.
(٥) أرادها جمعاً للوَكِل: البليد الجبان، المتكل على غيره.

أنـــــا مِن أمـــــرهِمُ فـي شُـــــغُلٍ
وهُـمُ عـن أمـــــرِهِـمْ فـي شُـــــغُل
كـلّـمـــا فـكَّـرتُ في حـاضـرِنـا
عـاقَـني الـيـأسُ عن المـسـتـقـبَل
نـحن في الجـهل عـبـيـدٌ لـلـهـوى
ومعَ الـعِـلْم عَـبـيـدُ الـدُّوَل
نـعـشقُ الـشَّـمسَ ونَـخـشى حَـرَّهـا
مـا صَـعِـدْنـا وهَيَ لـمّـا تَـنْـزِل
قـد مَـشَى الـغـربُ عـلى هـامِ الـسُّـهـا
ومـشـيـنـا في الحَـضـيضِ الأسْـفل
سـجَّلَ الـعـارَ عـلـيـنـا مَـعـشَـرٌ
سـجّـلـوا المـرأةَ بـين الـهَـمَل
فـهيَ إمّـا سِـلـعـةٌ حـامـلـةٌ
سِـلَـعـاً أو آلـةٌ في مَـعْـمَل
أرسَـلُـوهـا تـزرعُ الأرضَ خُـطَىً
وتُـبـاري كلَّ بـيتٍ مـثل[1]
تـتَـهـادَاهـا الـمَـوامي والـرُّبـا[2]
فـهيَ كـالـديـنـار بـين الأنْـمُل
لا تُـبـالي الـقـيظَ يـشـوي حَـرُّه
لا ولا تحـذرُ بـرْدَ الـشَّـمْـأل
ولـهـا في كل بـابٍ وقْـفَـةٌ
كـامـرئ الـقـيس حِـيـالَ الـطَـلَل[3]

(١) في عجز البيت ركاكة وغموض. لم أجد له في النسخ بين يديّ، صورة أخرى!
(٢) المُوماة: المفازة الواسعة، والفلاة التي لا ماء فيها (وجمعها: الموامي).
(٣) إشارة إلى مطلع معلقته التي طلب فيها من صاحبيه الوقوف على الحبيب ومنزله، بسِقط اللوى...

تـتَّـقي قـولَ «اغـرُبي» خَـشـيـتَـهـا
قـولـةَ الـقـائلِ «يـا هـذي ادخُـلي»
فـهيَ كـالـعـصـفـور وافى صَـاديـاً[1]
فـرأى الـصَّـيّـادَ عـنـد المَـنْـهل
كـامـنـاً، فـانـصـاعَ يُـدنـيه الـظَّـمـا
ثم يُـقـصِـيه اتّـقـاءُ الأجَل
ولـكَمْ طـافتْ به آمِـلَـةً
وانـثـنـتْ تـقـطعُ خـيطَ الأمل
ولـكَمْ مـدَّتْ إلى الـرِّفْـد[2] يـداً
خُـلـقتْ في مِـثـلِـهـا لـلـقُـبَل
مـا بـهـا؟ لا كـان شـراً مـا بـهـا
مـا لـهـا من أمـرِهـا في خَـبَل؟
سـائـلـوهـا أو سَـلـوا عن حـالـهـا،
إنْ جـهـلـتمْ، كلَّ طـفلٍ مُـحْـوِل[3]
في سـبـيل المـال أو عُـشّـاقِه
تـكـدحُ المـرأةُ كـدْحَ الإبِل
مـا تَـراهـا وهي لا حَـوْل لـهـا
تحت عِبْءٍ فـادحٍ كـالجَـبَل
شَـدَّتِ الأمـراسَ في سـاعـدهـا
من رأى الأمـراسَ حـول الجَـدْول؟
جـشَّـمُـوهـا كلَّ أمـرٍ مُـعْـضِلٍ
وهي لم تُـخـلَقْ لـغـيـرِ المـنـزل

---

(١) صدَيَ – يصدى: عطش. والصادي: العطشان.
(٢) الرِفد: العطاء.

فـــإذا فـــارقتِ الـــدارَ ضُـــحًى
لم تـــعُـــدْ إلا قُـــبَـــيلَ الـــطَّـــفَل[1]
ألِـــفَتْ مـــا عـــوّدوهـــا مِـــثـــلَـــمـــا
تـــألَفُ الـــظَّـــبـــيَـــةُ طـــعْمَ الحَـــنْـــظل!
بـــنتَ سُـــوريّـــا الـــتي أبـــكي بـــهـــا
هِـــمّـــةَ الـــلـــيثِ ورُوحَ الحَـــمَل
مـــا أطـــاعـــوا فـــيكِ أحـــكـــامَ الـــنُّـــهى
لا ولا قـــولَ الـــكـــتـــاب الـــمُـــنْـــزَل
قـــد أضـــاعُـــوكِ ومـــا ضـــيَّـــعـــتِـــهمْ
فـــأضـــاعـــوا كلَّ أمٍّ مُـــشْـــبِل[2]

✱✱✱✱

(١) الدخول في المساء.
(٢) قامت على أولادها بعد زوجها، ولبؤة مشبل: معها أولادها.

١٤ - الفقير

[الفقير]

هـمٌّ ألـمَّ بـه مـع الـــظَّـــلـــمـــاءِ
فـــنـــأى بمـــقـــلـــتِهِ عن الإغْـــفَـــاءِ
تـــعِسٌ أقـــام الحـــزنُ بـــين ضـــلـــوعه،
والحـــزنُ نـــارٌ غـــيـــرُ ذاتِ ضـــيـــاء
يـــرعى نجـــومَ الـــلـــيلِ لـــيس به هـــوًى
ويَـــخَـــالُه كَـــلِـــفـــاً بـــهنَّ الـــرائي
فـي قـــلـــبه نـــارُ (الخـــلـــيل) وإنمـــا
فـي وجـــنـــتـــيهِ أدمعُ (الخـــنـــســـاء)[١]
قـد عـضَّهُ الـيـأسُ الـشـديـدُ بـنـابهِ
فـي نـــفـــسه، والجـــوعُ فـي الأحـــشـــاء
يـــبـــكي بـــكـــاءَ الـــطـــفلِ فـــارقَ أمَّهُ
مـــا حـــيـــلـــةُ المحـــزونِ غـــيـــرُ بـــكـــاء!
فـــأقـــامَ حِـــلْسَ الـــدار وهـــوَ كـــأنَّهُ
- لخـــلـــوِّ تـــلك الـــدارِ - في بـــيـــداء
حَـــيـــرانَ لا يـــدري أيـــقـــتلُ نـــفـــسَه
عـمْـداً فـيـخَـلصَ من أذى الـدُّنـيَـاء[٢]
أم يـسـتـمـرُ عـلى الـغَـضـاضـة والـقَـذَى
والـــعـــيشُ لا يـــحـــلـــو مع الـــضـــرّاء

---

(١) النبي إبراهيم الخليل عليه السلام. انظر سورة الأنبياء في القرآن الكريم الآية ٦٩. والخنساء الشاعرة المخضرمة التي بكت أخاها (صخراً) بكاءً مراً.

(٢) أرادها جمعاً (لدنيء).

طـردَ الـكـرَى وأقـام يـشـكـو لـيـلَهُ
يـا لـيلُ طُـلْتَ، وطـالَ فـيك عَـنـائي!
يـا لـيلُ قـد أغـريتَ جـسـميَ بـالـضَّـنـا
حـتى لَـيـؤلِمُ فـقـدُه أعـضـائي
ورمـيـتَـني يـا لـيلُ بـالـهمّ الـذي
يَـفـري الحـشَـا، والـهمُّ أعـسـرُ داء
يـا لـيلُ! مـالكَ لا تَـرِقُّ لحـالـتي
أتُـراك والأيـامَ من أعـدائي؟
يـا لـيلُ! حـسـبي مـا لـقـيتُ من الـشَّـقَـا
رحـمـاكَ لـستُ بـصـخـرةٍ صـمَّـاء
بِنْ[1] يـا ظلامُ عن الـعـيـون فـربمّـا
طـلـع الـصـبـاحُ وكـان فـيه عـزائي
وارحـمـتـا لـلـبـائـسـينَ فـإنـهمْ
مـوتى وتحـسَـبُـهمْ من الأحـيـاء
إني وجـدتُ حـظـوظَـهمْ مُـسـودّةً
فـكـأنمـا قُـدّت من الـظَّـلْـمـاء
أبـداً يُـسَـرُّ بـنـو الـزمـان ومـا لـهم
حظٌ كـغـيـرهمُ من الـسَّـراء
مـا في أكـفِّـهِمُ من الـدنـيـا سِـوى
أن يُـكـثـروا الأحلامَ بـالـنَّـعـمـاء
تـدنـو بـهم آمـالُـهمْ نـحـو الـهـنـا
هـيـهـاتَ يـدنـو بـالخـيـال الـنـائي
بَـطِـرَ الأنـامُ من الـسُّـرور وعـنـدهم
أنّ الـسُّـرورَ مـرادفُ «الـعـنـقـاء»

(١) بانَ، يبين: بَعُد.

إنِّي لأحــزنُ أن تــكــونَ نــفــوسُــهم
غــرضَ الخــطــوب وعُــرضــةَ الأرزاء
أنــا مــا وقــفتُ لــكي أشــبِّبَ بــالــطِّلا
مــا لي ولــلــتــشــبــيب بــالــصَّــهــبَــاء؟
لا تــســألــوني المــدْحَ أو وصْفَ الــدُّمَى
إني نــبــذتُ ســفــاسفَ الــشُّــعــراء
بــاعــوا لأجلِ المــالِ مــاءَ حــيــائــهمْ
مــدْحــاً وبِتُّ أصــونُ مــاءَ حــيــائي
لم يــفــهــمــوا مــا الــشِّــعــرُ، إلا أنه
قــد بــاتَ واســطــةً إلى الإثــراء
فــلــذاك مــا لاقــيتُ غــيــرَ مــشــبِّبٍ
بــالــغَــانــيــاتِ وطــالبٍ لــعــطــاء
ضــاقتْ به الــدنــيــا الــرحــيــبــةُ فــانــثَــنَى
بــالــشِّــعــر يــســتــجــدي بــني حــواء
شــقي الــقــريضُ بــهم ومــا سَــعِــدوا به
لــولاهمُ أضــحــى من الــسُّــعــداء
نــادَوْا عــلــيــنــا بــالمحــبــة والــهــوَى
وصُــدورُهمْ طُــبــعت عــلى الــبــغــضــاء
ألِــفُــوا الــريــاءَ فــصــار من عــاداتــهمْ
لــعنَ المــهــيــمنُ شــخصَ كلِّ مُــراءِ!
إن يــغــضــبــوا ممــا أقــول فــطــالمــا
كــرِهَ الأديبَ جــمــاعــةُ الــغَــوغــاء
أو يــنــكــروا أدبي فلا تــتــعــجَــبُــوا
فــالــرُّمْــدُ يُــؤلــمــهمْ طــلــوعُ ذُكَــاء[1]

(١) ذكاء: الشمس. والرُّمْد: من الرَّمد (أرمد ورمداء).

أوَ كـلـمـا نـصـرَ الحـقـيـقـةَ فـاضلٌ
قـامت عـلـيه قـيـامـةُ الـسُّـفـهـاء!
أنـا مـا وقـفتُ الـيـومَ فـيـكمْ مـوقـفي
إلا لأنـدُبَ حـالـةَ الـتُّـعَـسـاء
عَـلِّي أُحـرّكُ بـالـقـريضِ قـلـوبَـكمْ
إن الـقـلـوبَ مَـواطِنُ الأهـواء
لـهـفي عـلى المحـتـاج بـين ربـوعِـكُم
يُـمـسي ويُـصـبحُ وهْـو قَـيْـدُ شـقـاء
أمـسى سَـواءً لـيـلُه وصـبـاحُه
شـتـانَ بـين الـصُّـبحِ والإمْـسـاء
قـطعَ الـقـنـوطُ عـلـيه خـيطَ رجـائه
والمـرءُ لا يَـحـيـا بـغـيـرِ رجـاء
لـهَـفي! ولـو أجـدى الـتـعـيسَ تـلـهّـفي
لـسـفـكتُ دمـعي عـنـده ودمـائي
قل لـلـغـنيِّ الـمُـسـتَـعِـزّ بمـاله:
مـهلاً لـقـد أسـرفْتَ في الخُـيَلاء
جُـبل الـفـقـيـرُ أخـوك من طـينٍ ومِن
مـاء، ومن طـينٍ جُـبـلتَ ومـاء
فَـمِنَ الـقـساوةِ أن تـكـونَ مُـنـعّـماً
ويـكـونَ رهنَ مـصـائبٍ وبلاء
وتـظلَّ تـرفُل بـالحـريـر أمـامَه
في حـين قـد أمـسى بـغـيـرِ كـسـاء
أتـضِنُّ بـالـديـنـار في إسـعـافِه
وتجـودُ بـالآلاف في الـفـحـشـاء
انـصـرْ أخـاكَ فـإن فـعـلتَ كـفَـيـتَه
ذُلَّ الـسـؤال ومِـنّـةَ الـبُـخـلاء

أذَوي اليَسَارِ! وما اليَسارُ بنافعٍ
إن لم يكن أهلُوه أهلَ سَخاء
كم ذا الجَحُودُ وما لُكم رهنُ البِلى
وبمَ الغُرورُ وكلكم لفَناء؟
إن الضَّعيفَ بحاجةٍ لنُضَاركمْ
لا تقعُدوا عن نُصرةِ الضَّعفاء
أنا لا أذكّرُ منكمُ أهلَ النَّدَى
ليس الصحيحُ بحاجةٍ لدواء
إن كانت الفقراءُ لا تَجزيكمُ
فاللهُ يَجزيكمْ عن الفقراء

✱✱✱✱

١٥ - بين الكاس والطاس

[الرمل]

حَـــملَ الـــشَّـــمسَ إلـــيـــنـــا قـــمـــرٌ
في ســـمـــاءٍ نـــحن فـــيـــهـــا أنجُمُ
شـــادِنٌ حَـــكَّـــمَهُ الحُـــسنُ بـــنـــا
وسِـــوى الحُـــسْنِ بـــنـــا لا يَـــحـــكُمُ
أسْـبلَ الـشّـعـرَ فـيـا عـيـني اسْـهـرِي
إنـه لـــــيلٌ طـــــويلٌ مـــــظـــــلمُ
واحـــذري يـــا مُـــهـــجـــتي مـــنه فـــمـــا
ذلـك الأسْـــــــــــــــودُ إلا أرقـــمُ[1]
كـــاد أن يُـــشـــبِهَ جـــســـمي خَـــصـــرُه
إنّـــــمـــــا رقّـــــتُـه بي سَـــــقَمُ
يـــتَـــلـــظَّى الخـــالُ في وَجـــنـــته
أرأيـــتمْ كـــيف يـــصـــلَى الـــمُـــغْـــرَمُ؟
صـــــنـمٌ في خـــــدّه الـــــنـــــارُ وفي
كـــفِّه ضَـــرّتُـــهـــا تَـــضْـــطَـــرِمُ[2]
بـــنتُ كَـــرْمٍ لم يَـــهِمْ فـــيـــهـــا ســـوى
كلُّ صبٍّ هـــــامَ فـــــيه الـــــكَـــــرَمُ
حُـــبِـــستْ في دَنِّـــهـــا من قِـــدَمٍ
مـــا لـــهـــا ذنبٌ ولـــكنْ ظَـــلَـــمُـــوا

---

(١) الحيّة فيها سواد وبياض.

(٢) يقصد الخمرة وما تفعل حرارتها في النفس.

حَـرَّمُـوهـا حـيـنـمـا خـافـوا عـلـيْ
ـــهَـا سِـواهُمْ فـاسـقِـني مـا حـرَّمـوا
إنـــهـــا سِـــرٌّ فَـــشَـــا بـــين الـــورى
وإذا الـــســـــرُّ فَـــشَـــا لا يُـــكْـــتَم

✷✷✷✷

١٦ - في السفينة

[مجزوء الوافر]

تَـــســـيـــرُ بـــنـــا عـــلـى عـــجَلِ
وإنْ شـــــاءتْ عـــــلـى مَـــــهْلِ
وتـــســـعى سَـــعْيَ مُـــشـــتـــاقٍ
بـلا قـــــــلْـبٍ ولا عـــــــقْـل
وتـــمـــشـي في عُـــبـــاب المـــا
ءِ مـــشْـيَ الـــصِّلِّ فـي الـــرَّمْل[١]
فـــمـــا تـــعـــبِسُ لـــلـــحَـــزْنِ
ولا تـــضـــحكُ لـــلـــسَّـــهل[٢]
أبَتْ أن تَـــعْـــرفَ الـــشَّـــكْـــوى
مـن الـــتَّـــرحـــال والحِلّ
فـــطـــوراً في قَـــرارِ الـــيَمِّ
لـــلـــغـــامض تَـــسـتَـــجـلي
وآونـــةً تُـــنـــاجِـــيـــهَـــا
دَرارِي الأفْق بـــالـــوصل[٣]
وأحـــيـــانـــاً تُـــوالـي سَـــيْـ
ـــرَهـــا ســـاكـــنـــةَ الـــظّلّ
ولـــلـــمَـــوجِ حـــوالَـــيْـــهـــا
زئـــيـــرُ الـــلـــيثِ ذي الـــشِّـــبْل

---

(١) الصِّلّ: الحية التي تقتل، من ساعتها، إذا نهشت.

(٢) الحَزن: غلظة الطريق.

(٣) الدراري: النجوم لأنها تضيء في السماء، مثل الدرر.

رَكِبْنَاهَا ونَارُ الشَّوْ
قِ في أحشائِها تَغْلي
فَيا لِلهِ حتى السُّفْ
نُ مِثْلي ما لَها مُسْلْ[1]
فلا تَعْجَبْ إذا أُعْجِ
بَ من أطوارها مِثْلي
فما أعرفُ مركوباً
سِوى الأفراسِ والإبلِ
وما أعلَمُ قَبْلَ الآ
نَ أنّ الطَّوْد ناقٌ لي[2]
تركنا «غادةَ الشَّرقِ»
إلى «لبنانَ» ذي الفضْلِ
فمن وطنٍ إلى وطنٍ
ومن أهلٍ إلى أهلِ

✱✱✱✱

(١) أسلاه عن همّه فتسلى (من السلوان).
(٢) يريد: ناقة لي، وقد شبه السفينة بالجبل.

١٧ - يا صاح !...

[السريع]

يـــا صـــاحِ كم تـــفَّـــاحـــةٍ غـــضّـــةٍ
يـحـمـلـهـا في الـرّوض غُـصنٌ رطـيبْ
نـــاضـــجـــةٍ تـــرتجّ في جـــوّهـــا
مـثلَ ارتجـاجِ الـشَّـمسِ عـنـد المَـغـيبْ
حـرّضَكَ الـوجَـدُ عـلى قـطْـفـهـا
لـمّـا غـفـا الـواشي ونـامَ الـرقـيب
لـــــــكنْ لأمـــــــرٍ أنـت أدرى بـه
رجـعتَ عـنـهـا رَجْـعَـةَ الـمُـسْـتـريب
تـقـول لـلـنـفسِ الـطَّـمـوحِ: اقـصِـري
مـا سِـرْقـةَ الـتـفـاح شـأنُ الأَرِيْب

☆☆☆☆☆

وربَّ صـفـراءَ كـلـون الـضُّـحى
يـنـفي بـهـا أهلُ الـكـروبِ الـكـروبُ
دارتْ عـلـى الـشَّـرْب بـهـا غـادةٌ
كـأنّـهـا ظـبيُ الـكِـنـاسِ الـرّبـيب[1]
في طـرفك الـسـاجي هُـيـامٌ بـهـا
وبـين أحـشـائكَ شـوقٌ مُـذيب
لـــــــكنْ لأمـــــــرٍ أنـتَ أدرى بـه

(١) الكِناس: موضع الظبي في الشجر، يكتنّ فيه ويستتر. والربيب: المربوب (من:ربّه: أنشأه).

رجعتَ عنها رَجعَةَ المستريب
تقولُ للنفسِ الطَّموحِ اقصِري
ما غُرَّ بالصهباءِ يوماً لَبيب
إيّاكِ إيّاكِ وأكوابَها
أختُ الخَنَا هذي وأمُّ الذّنوب
وكم شِفَاهٍ أرجُوانيّةٍ
كأنها مخضوبةٌ باللهيب
ساعدكَ الدّهرُ على لَثْمِها
ورشفِ ما خلْفَ اللهيبِ العجيب
لكنْ لأمرٍ أنتَ أدرى به
رجعتَ عنها رجعَةَ المُستَريب
تُعنّفُ القلبَ على غَيّه
وتَعذِلُ العينَ التي لا تُنِيب
قَتلْتَ نزْعاتِكَ في مهْدها
ولم تُطعْ في الحبّ حتى الحبيب

والآن لمّا انجابَ عنكَ الصِّبَا
ولاحَ في المَفْرِق ثلْجُ المَشيب
واستسلمَ القلبُ كما استسلمتْ
نفسُكَ لليأس المَخوفِ الرّهيب
أراكَ للحسرةِ تبكي كما
يبكي على النائي الغريبِ الغريب
تودُّ لو أنّ الصِّبَا عائدٌ
هيهاتَ قد مرّ الزمانُ القَشيب

☆☆☆☆☆

خَلِّ الـبُـكـا يـا صـاحـبي والأسى
الـلـيلُ لا يُـقـصِـيه عـنكَ الـنَّـحـيب
لا خـيـرَ في الـشيء انـقـضى وقـتُه
مـا لـقـتـيلٍ حـاجـةٌ بـالـطـبـيب!

✷✷✷✷

١٨ - بلاء أم نعمة

[المتقارب]

أحِبُّ مـــعـــانـــقـــةَ الـــنـــرجسِ
لـعـيـنـيكِ يـا ابـنـةَ كُـولَـمـبُسِ[١]
وأهـوى الـشَّـقـيقَ ولـثْـمَ الـعـقـيقِ
لخـــدِّكِ والـــثَّـــغَـــرِ الألـــعَسِ[٢]
أعِـــنـــدكِ إن غِـــبْتِ عن نـــاظـــري
مـشـيتُ من الـصـبح في حِـنْـدس
وأنّ الـــظـلامَ عـــلـى هَـــوْلِـه
إذا جـــئتِ حـــالَ إلى مُـــشْـــمِس
وفي الـصَّـدرِ قـلبٌ ولا كـالـقـلـوبِ
مـتى شـئتِ يَـسـعـدُ أو يَـتْـعَسِ
ودِدْتُ الإفـاضـةَ قـبل الـلـقـاءِ
فـلـمّـا لـقـيـتُك لم أنْـبِس
وبتُّ وإيّـاكِ فـي مَـعْـزِلٍ
كـأنـي وإيّـاك فـي مـجـلـس
ولـو أنّ مـا بيَ بـالـطّـود دُكّ
وبـالأسَـد الـوَرْدِ لم يَـفْـرِس[٣]
هـمـمْتُ فـأنـكَـرَنـي مِـقْـولي
وشـاء الـغـرامَ فـلم أهـجِس[٤]

---

(١) وجّهها إلى زوجته دوروثي، بصفتها مقيمة في أمريكة مع والدها نجيب موسى دياب صاحب (مرآة الغرب)
(٢) اللعَس: لون الشفة إذا مال إلى السواد.
(٣) الفَرْس: الكسر ودق العنق.

كـــأنـيَ لـــستُ أمـــيـــرَ الـــكلامِ
ولا صـــاحبَ المـــنـــطقِ الأنْـــفَسِ
جلالُكِ، والـــلـــيلُ في صـــمْـــتِه
فلا غَـــرْوَ أن رُحتُ كـــالأخـــرس
ومَـــرّتْ بـــنـــا ســـاعـــةٌ خِـلْـتُـنـــا
خَـــلَـــعْـــنَـــا الجـــســـومَ عن الأنـــفُس
وأنّـــــا من الـــــروض في جـــنّـــةٍ
وأنّـــا من الـــعُـــشْب في سُـــنـــدُس
كـذاكَ الـــهـــوَى فِـــعْـــلُه في الـــنـــفـــوس
كـــفـــعل الـــمُـــدامـــةِ في الأرْؤُس
تـــنـــبّهَ فـــيـــهـــا وفيَّ الـــهـــوى
فَـــلَـــو نَـــعِسَ الـــنـــجمُ لم نَـــنْـــعَس
وكلُّ فـــؤادٍ شـــديـــد الـــعُـــرامِ
إذا رُضْـــتَه بـــالـــهـــوى يُـــسْـــلِس
فـــمـــالت فـــطـــوّقَـــهـــا ســـاعـــدي
مُـــنـــعَّـــمَـــةً بَـــضَّـــةَ الـــمَـــلـــمَس
وإنّ الـــعـــفـــافَ لَـــفي بُـــرْدِهـــا
وإن الإبـــاءَ لَـــفي مِـــعـــطـــسي
وقـــلتُ وكـــفّيَ فـي كـــفِّـــهـــا:
ألا صـــرِّحي لـي أو فـــاهْـــمِـــسي
بـلاءٌ هـــو الحبُّ أم نـــعـــمـــةٌ؟
أجـــابتْ: تجـــلّـــدْ ولا تـــيْـــأسِ!

✱✱✱✱

١٩ - الخلود

[الرمل]

غـــلِطَ الـــقـــائلُ: إنّـــا خـــالـــدونْ
كـلّـنـــا، بـــعـــد الـــرّدى، هَـيٌّ بن بَيْ[١]

☆☆☆☆☆☆

لـو عَـرفـنـا مـا الـذي قـبلَ الـوجـودْ
لـعَـرَفْـنـا مـا الـذي بـعـد الـفـنـاءْ
نـحن لـو كـنّـا «كـمـا قـالـوا» نـعـودْ
لم تَـخفْ أنـفُـسُـنـا رَيْبَ الـقـضـاءْ
إنّـمـا الـقـولُ بـأنّـا لـلـخـلـودْ
فـكـرةٌ أوجـدَهـا حبُّ الـبـقـاءْ
نـعـشقُ الـبُـقْـيَـا لأنّـا زائـلـونْ
والأمـــانـي حـــيّـــةٌ فـي كلّ حَيْ

☆☆☆☆☆☆

زَعـمـوا الأرواحَ تـبـقَـى سَـرْمـدا
خَـدعُـونـا... نـحن والـشـمْـعُ سَـواءْ
يَـلـبَثُ الـنـورُ بـهـا مُـتَّـقـدا
فـإذا مـا احْـتَـرقَتْ بـاد الـضِّـيـاءْ
أين كـان الـنـورُ؟ أنّى وُجِـدا؟
كـيف ولّى عـنـدمـا زال الـبـنـاءْ؟
شـمـعـتي فـيـهـا لـطّلابِ الـيـقـينْ
آيـةٌ تَـدفعُ عـنـهـمْ كلَّ غَيْ[٢]

☆☆☆☆☆☆

(١) هَيٌّ بن بي: كناية عمّن لا يُعرف ولا يُعرف أبوه.
(٢) الضلال (غوَى - يَغوي فهو غوِيّ).

لـيـست الـرُّوحُ سِـوى هـذا الجسـدْ
مـــعَـهُ جـــاءت ومَـــعْـه تَـــرجِـعُ
لم تـــكن مـــوجـــودةً قـــبلَ وُجِـــدْ
ولـــهـــذا حـــينَ يمـــضي تَـــتْـــبَعُ
فـــمن الـــزُّورِ المـــوشَّى والـــفَـــنَـــدْ[1]
قـــولـــنـــا: الأرواحُ لـــيـــست تُـــصْـــرَعُ
تـــلـــبَثُ الأفـــيـــاءُ مـــا دام الـــغُـــصـــونْ
فـــإذا مـــا ذهـــبتْ لم يـــبقَ فَيْ

☆☆☆☆☆

لـــو تـــكـــونُ الـــروحُ مـــا لا يـــضْـــمَـــحِلْ
مـــا جَـــزِعـــنـــا كـــلّـــمـــا جـــسمٌ هَـــمَـــدْ
لـــو تـــكـــون الـــروح جـــســـمـــاً مـــســـتـــقلْ
لـــرآهـــا من يـــرى هـــذا الجـــســـدْ
كلُّ مـــــا في الأرض من عـــــينٍ وظِلْ
ســـوف يـــنـــحـــلُّ كـــمـــا انـــحلَّ الـــزَّبَـــدْ
ولـــئن صحّ بـــأنّـــا مُـــنـــشَـــرُونْ
جـــاز أن يَـــعْـــقُبَ ذاك الـــنـــشـــرَ طيْ

☆☆☆☆☆

لـــيت مَن قـــالـــوا بـــأنّـــا كـــالـــزُّهـــورْ
خـــبِّـــرونـــا أين تـــمـــضي الـــرائـــحهْ؟
أتُـــرى تـــبـــقى كـــألحـــان الـــدُّهـــورْ؟
أم تَلاشَى مـــثلَ صـــوت الـــنـــائـــحهْ؟
لـــيت شِـــعـــري أيُّ خُـــلْـــدٍ لـــلـــبُـــذورْ
بـــعـــد أن تُـــلـــقى بـــنـــارٍ لافِـــحهْ؟

---

(١) الفند: الكذب (أفند: كذب).

قل لمن يَـخـبِطُ في لَـيلِ الـظُّـنـونْ
لـيس بـعـدَ المـوتِ لـلـظـامِئ رِيْ

مِـثـلـمـا يـذهبُ لـونُ الـورقهْ
عـنـدمـا تَـيْـبَس في الأرض الأصـولْ
مـثـلـمـا يُـفـقَـدُ نـورُ الحـدَقَهْ
حـين أَقـضي.. هـكـذا نـفْـسي تَـزولْ
كـتلاشي الـشـمـعـة المحـتـرقَهْ
تـتـلاشى بـين ضِـحْك وعَـويلْ
أنـا بـعـد المـوت شـيـئـاً لا أكـونْ
حـيثُ إني لـم أكن من قـبلُ شَيْ!

إيه أبـنـاءَ الـثَّـرَى نَـسْلَ الـقُـرودْ[1]
عـلّـلـوا أنـفـسَـكُمْ بـالـتُّـرّهـاتْ
إلـبَـسُـوا في صَـحـوِكمْ ثـوبَ الجـمـودْ
واحـلَـمُـوا في نـومـكُم بـالمُـعْـجـزاتْ
فـسـيـأتي زمنٌ غـيـرُ بـعـيـدْ
تـتـهـادى بـيـنـكم فـيه أيـاتْ[2]!
ويـحُلُّ الـلـه في مـاءٍ وطـيـنْ
فـيـراه الـشـيخُ والـشـابُ الأَحَيْ![3]

✱✱✱✱

(١) إشارة إلى نظرية " داروين " في أن أصل الإنسان قرد.
(٢) قرأناها: أيات – آيات!
(٣) الأكثر حياة (صيغة خاصة بالشاعر).

٢٠ - عيناكِ

[السريع]

عـيـنـاكِ والـسِّـحـرُ الـذي فـيـهـمـا
صَـيَّـرَتَـانـي شـاعـراً سـاحـرا
عـلَّـمَـتـانِي الحبَّ عَـلّـمـتُهُ
بـدرَ الـدُّجى والـغـصنَ والـطـائـرا

إنْ غِـبتِ عن عـيـنـي وجَنَّ الـدُّجى
سـألتُ عـنكِ الـقـمـرَ الـزّاهـرا
وأطـرُقُ الـروضـةَ عـنـد الـضّـحى
كـيـمـا أنـاجي الـبـلـبلَ الـشـاعـرا

وأنـشَقُ الـوردةَ في كُـمِّـهـا
لأنّ فـيـهـا أَرَجـاً عَـاطِـرا
يُـذكِّـرُ الـصَّبَّ بـذاك الـشَّـذا
هل تـذكـرينَ الـعـاشقَ الـذاكِـرا؟

كم نـائـمٍ في وَكـرِه هـانـئٍ
نَـبَّـهـتِه من وَكْـرِه بـاكـرا
أصـبح مـثـلي تـائـهـاً حـائـراً
لـمّـا رآني في الـرُّبـا حـائـرا

وراحَ يـــشـــكـــو لي وأشـــكـــو له
بـطْشَ الـهـوى والـهَـجْـرَ والـهـاجِـرا
وكـــوكبٍ أســـمـــعْـــتُه زفـــرتي
فـبـات مـثـلي سـاهـيـاً سـاهـرا

☆☆☆☆☆

زجَـرتُ حـتى الـنـومَ عن مُـقـلـتي
ولـم أُبـــالِ الـلائـمَ الـــزّاجـــرا
يـــا لـــيتَ أني مَـــثَلٌ ســـائـــرٌ
كـيـمـا تـقـولي المـثلَ الـسَّـائـرا

✱✱✱✱

٢١ - ١٩٣١

[المتقارب]

لِـيَـطْـرَبَ من شـاء أن يَـطْـرَبـا
فـلـستُ بمـسـتـمـطِـرٍ خُـلَّـبـا[١]
عـرفتُ الـزمـانَ قـريبَ الأذى
فـصِـرتُ إلى خـوفه أَقْـربـا
وهـذا الجـديـدُ أبـوه الـقـديمُ
ولا تـلـدُ الحـيَّـةُ الأرنَـبَـا
أرى الـكـونَ يـرمُـقُه ضـاحـكـاً
كـمن راءَ في تِـيـهِه كـوكـبـا[٢]
ولـو عَـلِمَ الخَـلْقُ مـا عـنـده
أهَـلّـوا إلى الـله كي يَـغـرُبـا[٣]
ولـو عَـلِم الـعـيـدُ مـا عـنـدهمْ
أبى أن يمـزِّقَ عـنـه الخِـبَـا
ألا لا يَـغُـرَّك تَـهـلـيـلُـهمْ
وقـولـتُـهُمْ لكَ: يـا مـرحـبَـا!
فـقـدْ لَـبِـسـوكَ لـكي يـخـلـعـوكَ
كـمـا تَـخـلَـعُ الـقَـدَمُ الجَـوْربـا
وَلُـوعُـونَ بـالـغـدر من طـبْـعـهمْ

---

(١) ليطربْ: تُحرَك الباء بالفتح ليستقر الوزن.
(٢) راءَ: رأى.
(٣) أهلّوا إلى الله: أرادها هنا بمعنى: رفع الصوت بالدعاء.

فـــمنْ لم يـــكنْ غـــادراً جَـــرَّبـــا
وكـــــائنْ فـــــتًى هـــــزَّني قـــــولُه
أنـــا خِـــدْنُك الـــصَّـــادقُ الـــمُـــجْـــتَـــبى
أُرافِقُ من شـــكـــله ضَـــيْـــغَـــمًـــا
يُـــرافق من نـــفـــسه ثَـــعـــلـــبـــا
هُمُ الـــقـــومُ أَصـــحَـــبُـــهم مُـــكـــرَهـــاً
كـمـا يـصـحَبُ الـقـمَـرُ الـغَـيْـهـبَـا[1]
أرانـيَ أوحـــــــدَ مِن نـــــــاسكٍ
عـــلى أنـــني في عِـــداد الـــدَّبى[2]
وأمـــــرحُ في بـــلـــدٍ عـــامـــرٍ
وأحـسـبُـني قـاطـنـاً سَـبْـسَـبـا[3]
وقـال خـلـيـلي: الـهـنـاءُ الـقـصـورُ
وكـــيف وقـــد مُـــلِـــئتُ أذؤُبـــا
ألـــفتُ الـــهـــمـــومَ فـــلـــو أنـــني
قَـــدَرتُ تـــمـــنّـــعتُ أن أطْـــرَبـــا
كـــأن الجـــبـــالَ عـــلى كـــاهـــلي
كـــأنَّ ســـروري أن أغـــضـــبـــا
وكـــيف ارتـــيـــاحُ أخي غُـــربـــةٍ
يُـــصَـــاحِبُ من هـــمّه عَـــقْـــربـــا
عـــتَـــبْتُ عـــلى الـــدهـــر لـــو أنـــني
أمِـــنْتُ فـــؤاديَ أن يَـــعـــتَـــبـــا

(١) الغيهب: شدة سواد الليل. أو الظلمة إطلاقاً.
(٢) الدّبى: الجراد قبل أن يطير.

وجـــدتُكِ والـــشَّـــيبُ في مَـــفْـــرِقي
وودَّعـــنـي وأخـــوكِ الـــصِّـــبـا
فـــلـــيس بُـــكـــائي عـــامـــاً خَلا
ولـــكنْ شَـــبـــابِي الـــذي غُـــيِّـــبـا
فـــيَـــا فـــرِحـــاً بمـــجيء الـــسِّـــنـــينِ
تجيءُ الـــسِّـــنـــونَ لـــكي تـــذهـــبـا
عـــجـــيبٌ مَـــشِـــيـــبيَ قـــبْل الأوانِ
وأعـــجَبُ ألاّ أُرى أشْـــيـــبَـــا
فـــإنّ نـــوائبَ عـــاركْـــتُـــهـــا
تَـــرُدُّ فـــتى الـــعَـــشْـــرِ مُـــحْـــدَودبـا
ويـــا بـــنتَ «كـــولمب» كم تـــضـــحـــكـــينَ
كـــأنكِ أبـــصـــرتِ مُـــســـتـــغـــرَبـا[1]
ألـــيس الـــبـــيـــاضُ الـــذي تـــكـــرهـــينَ
يُـــحـــبِّـــبُـــنـي ثَـــغـــرَكِ الأشْـــنَـــبـا[2]
فـــمن كـــان يـــكـــرهُ إشـــراقَهُ
فـــإنـيَ أكـــرَهُ أن يُـــخْـــضَـــبـا
أحـــبُّكَ يـــا أيـــهـــا الـــمُـــسْـــتـــنـيـرُ
وإن تَـكُ أشْـــمَتَّ بـي الـــرَّبْـــرَبـا[3]
وأهـــوى لأجـــلكَ لَـــمْعَ الـــبُـــروقِ
وأعـــشقُ فـــيكَ أقـــاحَ الـــرُّبـا

ويـــا عـــامُ هل جـــئـــتَـــنـــا مُـــحْـــرِمـــاً
فـــنـــرجـــوكَ أم جـــئـــتَـــنـــا مُـــحْـــرِبـا

---

(١) إشارة إلى أنها تسكن أمريكة (كريستوف كولمب).
(٢) الشنب: برودة تُحمد في الأسنان.
(٣) الربرب: القطيع من بقر الوحش (في الأصل).

تـــولّى أخـــوكَ وقـــد هـــاجـــهـــا
أقلُّ سلاحِ بـــنـــيـــهـــا الـــظُّـــبى
يُـجَـنـدِلُ فـيـهـا الخـمـيسُ الخـمـيسَ
ويَـصْـطـرِعُ الـمِـقْـنَبُ الـمِـقْـنَـبـا[1]
إذا ارتـــفـعَ الـــطّـــرْفُ في جـــوّهـــا
رأى من عَـجَـاجـتِـهـا هَـيْـدَبـا[2]
وجَـــيِّـــاشَـــةٍ بَـــرْقُـــهـــا رَعْـــدُهـــا
تـــدُكُّ من الـــشـــاهق الـــمَـــنْـــكِـــبـــا
يـسـيـر بـهـا الجُـنـدُ مـحـمـولـةً
قـــضـــاءٌ عـــلـى عَـــجَل رُكّـــبـــا
يَـــــودُّ الـــــفـــــتـى أنه هـــــاربٌ
ويمـــنـــعُه الخـــوفُ أن يَـــهـــرُبـــا
وكـيف الـنـجـاةُ ومَـقْـذوفُـهـا
يَـطـولُ مِن الـشَّـرْق مَن غَـرَّبـا؟
ولـــو أنَّه في ثـــنـــايـــا الـــغُـــيـــومِ
لَـمَـا أمِنَ الـغَـيْـمُ أن يُـطـلـبـا
تَـسُـحُّ فـلَـوْ أنَّ تَـهْـتـانَـهَـا
حَـيَـاً أنـبتَ الـقـاحِلَ الـمُـجْـدبـا[3]
فـمـا الـمـنـجَـنـيقُ وأحـجـارُه
ومـا الـمـاضِـيَـاتُ الـرِّقـاقُ الـشَّـبـا؟[4]

---

(١) أقنَبت الخيل نحو العدو: تجمّعت وصارت مقنباً.
(٢) العجاجة: الغبار (وجمعها: عجاج). والهَيْدَب: السحاب القريب من الأرض.
(٣) التهتان والحيا: المطر الخفيف.
(٤) الماضيات: السيوف. وشباها: حدّها.

أإن شـــكَتِ الأرضُ حَـــرَّ الـــصَّـــدَى
سـقـاهـا الـنَّـجـيـعَ الـورى صَـيِّـبَـا[٥]
فَـيـا لَـلـحـروب وأهـوالِـهـا
أمـا حـانَ يـا قـومُ أن تُـشْـجَـبَـا
هـو المـوتُ آتٍ عـلى رَغْـمِـكُمْ
فـألَـقُـوا المـسـدَّسَ والأشْـطَـبـا[١]
ولـلـخـالقِ الـمُـلْكُ والمـالـكـون
فلا تَـتْـبَـعـوا فـيـكمُ أشْـعَـبـا[٢]
ولم أنسَ مـصـرَعَ «تـيـتَـانك»
ومَـصْـرَعَـنَـا يـومَ طـارَ الـنَّـبـا[٣]
فَـمِنْ شِـدَّةِ الـهـولِ في صِـدْقِه
رغـبـنـا إلى «الـبَـرْق» أن يَـكـذِبـا
لـيـاليَ لا نَـسـتـطـيبُ الـكَـرى
ولا نَـجـدُ المـاءَ مُـسـتـعـذَبـا
وبـاتَ فـؤادي، بهِ صَـدْعُـهَـا
وبِتُّ أحـاذِرُ أن يُـرَأبـا
وليْ نـاظـرٌ غَـرِقٌ مِـثـلُـهـا
من الـدَّمع، بـالـبَـحـر مُـسْـتَـوثِـبـا
إذا مـا تـذكَّـرْتُـهـا هِـجْتُ بي
أسىً تَـتَّـقـيه الحَـشـا مِـخْـلـبـا
فـأُمـسِي عـلى كـبِـدي راحـتي
أخـافُ مع الـدَّمع أن تَـسْـرَبـا[٤]

(١) السيف يترك خطوطاً في الجسم (وهي الشُطَب، الواحدة: شُطبة).
(٢) رمز الطمع في تراث العرب (ت ١٥٤ هـ).
(٣) تيتانك: الباخرة المعروفة التي غرقت في رحلتها الأولى.
(٤) سَرَب: ذهب على وجهه في الأرض.

خُـطُـوبٌ يَـراهـا الـورى مـثـلَـهـا
لـــذلك أُشـــفـقُ أنْ تُـــكـــتـــبـا

⁂⁂⁂⁂⁂

لـقـد نَـكبَ الـشَّـرقَ نـكْـبَـاته
وحـاول أن يَـنـكُبَ الـمَـغْـربـا
وأشـــقـى نـــفـــوسَ بـــني آدمٍ
لـيُـرضي الـسَّـراحـينَ والأعْـقُـبـا[1]
ولـو جـازَ بـين الـضُّـحى والـدُّجى
لـقـاتلَ فـيه الـضُّـحى الـغَـيْـهَـبـا
لـعـلّك تـمـحـو جِـنَـايـاته
فـنـنْـسى بك الـذَّنبَ والـمُـذنِـبـا
إذا كـنتَ لا تـسـتـطـيعُ الخُـلـودَ
فـعِشْ بـيـنـنـا أثـراً طـيـبـاً
فـــإنـك فـي إثْـــره راحـلٌ
مـشَـيتَ الـسِّـواكَ أو الـهَـيْـدَبى![2]

✱✱✱✱

(١) السرحان: الذئب. والأعقُب: العُقبان (جمع عُقاب).
(٢) السواك: السير الضعيف. والهيدَبى: ضرب من مشي الخيل.

٢٢ - بلادي

[الوافر]

تـركتَ الـنـجمَ مِـثْـلَكَ مُـسـتَـهـامـا
فـإنْ تـسْـهُ سَـهـا أو نِـمْتَ نـامـا
بـنـفـسِكَ لـوعـةٌ لـو في الـغَـوادي
لـصـارتْ كلُّ مـاطـرةٍ جَـهَـامـا[١]
وفـيك صـبـابـةٌ لـو في جَـمـادٍ
لأشْـبَهَ دمـعَكَ الجـاري انْـسِـجـامـا
هـوىً بكَ في الـعـظـامِ له دبـيبٌ
أشَـابَكَ[٢] وهْـوَ لم يَـبـرحْ غُلامـا
يـظنّ الـلـيلُ يَـحـوي فـيك شـخـصـاً
ومـا يَـحـوي الـدُّجى إلا عِـظـامـا
نـفـيْتَ الـغـمضَ عن جـفـنـيكَ يـأتي
كـأنك واصلٌ فـيه الـمَـلامـا
أتـأرَقُ ثم تـرجـو الـطّـيفَ يـأتي
شـكـاكَ الـطـيفُ لـو مـلَكَ الـكلامـا
شَـجَـتْك الـنـائـحـاتُ بـجُـنحِ لـيلٍ
فـبتَّ تُـسـاجِلُ الـنَّـوحَ الحَـمَـامـا
لَـكِـدتَ تُـعـلِّمُ الـطـيـرَ الـقـوافي
وكـدتَ تُـعـلِّمُ الـلـيلَ الـغَـرامـا

---

(١) السحاب الذي لا ماء فيه.
(٢) جعل الشيب يلحق بك.

إذا ذُكـــرَ الـــشَّـــآمُ بـــكـــيتَ وجْـــداً
ومـــا تـــنـــفكُّ تَـــدَّكِـــرُ الـــشـــآمـــا
وكـــــنتَ ســـــلـــــوتَهُ إلا قـــلـــــيلاً
وكـــنتَ هـــجـــرتَه إلا لِـــمَـــامـــا

☆☆☆☆☆

رُويـــــدَك أيـــهـــــا اللاحي رويـــــداً
لك الـــــويلاتُ لـــيت ســـــواكَ لامـــا
أأرقُـــدُ والخـــطـــوبُ تـــطـــوفُ حَـــوْلِي
وأقـــعُـــد بـــعـــدمـــا الـــثَّـــقَلانِ قـــامـــا
ويَـــشـــقَى مـــوطـــني وأنـــامُ عـــنه
إذاً مَن يـــدفعُ الخـــطـــرَ الجُـــســـامـــا؟
بـلادي! لا عَـــــــــرَا شَـــــــــرٌ بـلادي
ولا بـــلـغَ الـــعِـــدَا مـــنـــهـــا مَـــرامـــا
لـــبِـــستُ الـــلـــيل إشـــفـــاقـــاً عـــلـــيـــهـــا
وإن شـــاءت لـــبـــستُ لـــهـــا الـــقَـــتَـــامـــا
وقـــفتُ لـــهـــا الـــيـــراعَ أذبُّ عـــنـــهـــا
فـــإن يـــكْـــهَمْ[1] وقـــفتُ لـــهـــا الحُـــســـامـــا
سَـــقَى قُـــطْـــرَ الـــشـــآمِ الـــقَـــطْـــرُ عـــني
وحَـــيّـــا أهـــلَه الـــصِّـــيـــدَ الـــكِـــرامـــا
دوَتْ صـــيـــحـــاتُـــهم في كل صُـــقْعٍ
فـــكـــادتْ تـــنـــشـــرُ المـــوتى الـــرِّمـــامـــا
وتَـــطـــبعُ في الـــمُـــحـــيَّـــا الجَـــهْمِ بِـــشْـــراً
وتُـــغـــلق في فمِ الـــثَّـــكـــلَى ابـــتـــســـامـــا
فـــحَـــوَّلتِ الـــقـــنـــوطَ إلى رَجـــاءٍ
وصـــيّـــرتِ الـــوَنى فـــيـــنـــا اعـــتـــزامـــا

(١) يعني: البطء والتراخي في النجدة (كهُمَ - يَكهَم).

غَـدَونـا كـلّـمـا ذُكـروا طَـرِبـنـا
كـأن بـنـا المـعـتَّـقَـةَ الـمُـداما
ولم أرَ كـالـضـمـيـر الحـرِّ فـخـراً
ولم أرَ كـالـضـمـيـرِ الـعَـبـدِ ذَامـا
إذا غـاب الـذّلـيلُ الـنـفسِ عـني
نـظـرتُ إلى الـذي حَـملَ الـوِسـامـا
إذا جـلَبَ الـكلامُ عـليَّ عـاراً
هـجـرتُ الـنُّـطقَ أحـسَـبَهُ حَـرامـا
وأجـفـو الـقـصـرَ يُـلـزِمـني هـواناً
وأهـوى الـعِـزَّ يُـلـزمُـني الحِـمَـامـا

رجـالَ الـتُّـركِ مـا نـبـغي انـتـقـاضـاً
لَـعـمـرُكمُ ولا نـبـغي انـتـقـامـا
ولـكِـنَّـا نُـطـالـبُـكُمْ بـحقٍّ
ونـكـرَهُ من يـريـد لـنـا اهْـتِـضـامـا
حَـمَـلـنـا نِـيـرَ ظُـلـمـكُمُ قـرونـاً
فَـأبلاهـا وأبلانـا ودامـا
رعَـيـتُمْ أرضَـنـا فـتـركـتُـمـوهـا
إذا وقع الجَـرادُ رعى الـرَّغَـامـا[1]
فـبـاتَ الـذئبُ يـشـكـوكم عُـواءً
وبـات الـظـبيُ يـشـكـوكم بُـغَـامـا[2]
جَـريـتُمْ (بـالـهلال) إلى مِـحـاقٍ
ولـولا جـهـلُـكُمْ بـلـغ الـتَّـمـامـا

(١) الرغام: التراب.
(٢) البغام: صوت الظبية.

وكـــنـــتمْ كـــلَّـــمـــا زِدْنـــا لِـــيـــانـــاً
لِـــنَـــســـبُـــرَ غَـــورَكُمْ زِدْتُمْ عُـــرَامـــا
فـــمـــا راقـــبـــتُمُ فـــيـــنـــا جِـــواراً
ولا حـــفـــظتْ لـــنـــا يـــدُكم ذِمـــامـــا
أثـــرتُمْ بـــيـــنـــنـــا الأحـــقـــادَ حـــتى
لَـيـقـتُلُ بـعـضُـنـا بـعـضـاً خِـصـامـا
وشـــاءَ الـــلـــه كـــيـــدَكُمُ فـــبِـــتْـــنـــا
كـمـثـل المـاءِ والخـمـرِ الـتِـئـامـا
فـجـهلاً تـبـعـثـون الـرُّسْلَ فـيـنـا
تَـدِيفُ لـنـا مع الأَرْيِ الـسِّـمَـامـا[1]
سـنـرمُـقُـهمْ إذا طـلـعـوا عـلـيـنـا
كـأنّـا نـرمُقُ الـداءَ الـعُـقـامـا[2]
فـــإن عُـــرىً شَـــددنـــاهـــا وَثـــاقـــاً
نمـوتُ ولا نُـطـيق لـهـا انـفـصَـامـا
خَفِ الـتُّـركيَّ يَـحـلِفُ بـالَـثـاني
وخَـفْهُ كـلّـمـا صـلّى وصـامـا
ومَنْ يـســتـنـزلِ الأتـراكَ خـيـراً
كـمَنْ يـسـتـقْـبِسُ المـاءَ الـضّـرَامـا
هُمُ نـزعـوا لـواء الـمُـلْك مـنّـا
ونـازَعَـنـا طَـغـامُـهُمُ[3] الـطَّـعـامـا
وقـــالـــوا: نـــحن لـلإسلام سُـــورٌ
وإنّ بـــنـــا الخلافـــةَ (والإمـــامـــا)

---

(١) داف: خلط. والأرْي: العسل. والسَّم: القاتل، وجمعه: سِمام.
(٢) الداء الذي لا برء منه.
(٣) الطغام: الغوغاء.

فـــهل فـي دِين أحـــمـــدَ أن يَـــجـــوروا
وهل في دِين أحـــمـــدَ أن نُـــضَـــامـــا؟
إلى كم يَـحـــصُـــرون الحـــكمَ فـــيـــهمْ
وكم ذا يـبـتـغـون بـنـا احـتِـكـامـا
ألـــسْـــنـــا نـــحن أكـــثـــرَهمْ رجـــالاً
إذا عُـــدّوا وأرفـــعَـــهُمْ مَـــقـــامـــا
إذا طـلـــعتْ ذُكـــاءُ فـلـــيس تـــخـــفَى
ولـــو حـــاكُـــوا الـــظلامَ لـــهـــا لِـثـامـا

☆☆☆☆☆☆

مـــخـــوِّفَـــنـــا المـــثـــقَّـــفَـــةَ الـــعَـــوالي
لـقـد هـدَّدتْ بـالجَـمْـر الـنَّـعـامـا[1]
ســنــوقــدُهــا تُـعـيـر الـشـمسَ نـاراً
ويُـعْـيي أمـرُهـا الجـيشَ الـلُّـهـامـا[2]
وعِـــــلْـمُ المـــــرءِ أنّ المـــــوت آتٍ
يُـــهـــوِّنُ عـــنـــده المـــوتَ الـــزُّؤامـــا

✱✱✱✱

(١) المعروف أن النعامة تدفن رأسها في الرمال الحارّة.
(٢) اللُّهام: الجيش الكثيف الذي يلتهم كل شيء.

٢٣ - البلبل السجين

[مخلع البسيط]

يـــا رُبَّ لـــيلٍ بلا سَـــنـــاءِ[١]
كـــأنّـــمـــا بَـــدرُهُ يـــتـــيمُ
مـــشى به الـــيـــأس في الـــرّجـــاءِ
كـــأنّه الـــنـــارُ والـــهَـــشـــيم

☆☆☆☆☆☆

لـــيت الـــدُّجى رقّ لـــلـــمـــحبِّ
أو لـــيت لي مـــهـــجـــةً حَـــجَـــرُ
أقَضَّ هـــذا الـــفـــراشُ جَـــنْـــبي
كـــأنّ في مَـــضْـــجَـــعي الإبِـــرُ[٢]
هل بك يـــا نجمُ مـــثلُ كَـــرْبي؟
أم أنت من طَـــبـــعكَ الـــسَّـــهَـــرُ؟
ســـهـــرتَ شـــوقـــاً إلى ذُكـــاء؟
أم عـــنـــدك الـــمُـــقْـــعِـــدُ المـــقـــيـــمُ؟
أبـــكي وتُـــصـــغي إلى بـــكـــائـــي
يـــا ربِّ! هل تـــعـــشقُ الـــنـــجـــومُ؟

☆☆☆☆☆☆

قـــد نـــال فَـــرْط الـــسُّـــهـــادِ مـــني
واشـــتـــاق طَـــرْفي إلى الـــهُـــجـــوعِ

---

(١) يريد: السنا، وهو النور.

(٢) أقض المضجعُ، وأقضّ عليه المضجعَ: خشُن، أو جعله خشناً.

وقـــرَّحَ الجـــفنَ مـــاءُ جَـــفْـــني
في الحبِّ، مـــا فـــاض من دمـــوعي
وشـــابَ رأسي من الـــتـــجـــنِّي
يـــا لـــيت ذا الـــشّـــيبَ في الـــوُلُـــوع[1]
لـــعلّ في سَـــلـــوتي شِـــفـــائـــي
هـــيـــهـــات داءُ الـــهـــوى قـــديـــمُ
مـــا يـــحـــسَب الـــنـــاسُ في ردائـــي؟
في بُـــردتـــي هـــيـــكلٌ رَمـــيـــم!

قـــد طـــال يـــا لـــيلُ فـــيكَ صـــبـــري
وأشـــبـــهتْ سَـــاعُكَ الـــقُـــرونـــا
فـــقلْ لـــهـــذي الـــنـــجـــومِ تَـــسـري
أو فـــاســـأل الـــصُـــبحَ أن يَـــبـــيـــنـــا
وإن تـــشـــأ أن تـــكـــون قَـــبْـــري
فـــكنْ كـــمـــا شـــئتَ أن تـــكـــونـــا
فَـــبي ســـكـــونٌ إلى الـــبـــلاءِ
قـــد يـــألف الـــعـــلّـــةَ الـــسَّـــقـــيـــمُ
مَن كـــان في قـــبـــضـــة الـــهـــواءِ
هـــانَ عـــلى نـــفـــسه الـــنَّـــســـيـــمُ!

قـــرّبَ بـــين الـــضَّـــنى وجِـــســـمي
مـــا أبـــعـــدَ الـــنـــومَ عن جُـــفُـــوني
يـــا لـــيلُ فـــيك الـــرّقـــادُ خَـــصْـــمي
يـــا لـــيلُ مـــا فـــيك من مُـــعـــينِ

(١) الوَلوع: مثل الولع (ولِع – يولَع – ولَعاً).

سـوى شَجٍ همُّه كَهَمّي
يُنشِدُ والليلُ في سُكونِ
أيمرحُ البومُ في الخَلاء
وتُمسك البلبلَ الهُمومُ ؟
هذا ضلالٌ من القضاء
فلا تلُمْني إذا أَلومُ

يا سيدَ المُنشدينَ طُرّا
وصاحبَ المنطقِ المُبينِ
لو كنتَ بوماً أو كنتَ نَسْرًا
ما بِتَّ في أسْرِكَ المَهينِ
خُلِقتَ، لمَّا خُلِقْتَ، حُرّاً
فَزَجَّك الحُسْنُ في السُّجونِ
وأطلقَ البومَ في الفضاء
زعْمُ الورى أنه دَميمُ
وأنّه غيرُ ذي رُواءِ
ولا له صوتُك الرَّخيمُ!

تيَّمكَ الروضُ فيه حتى
تَخِذتَ باحاتِه مُقَاما
رأيتَ فيه النعيمَ بَحْتَا
ولم ترَ عندَه الأنامَا
مُدّوا الأحابيلَ فيه شتّى
أقلّها يجلِبُ الحِمَاما

لــو كــنــتَ كــالــبُــوم في الجَــفــاءِ
مــا صــادكَ المــنــظــرُ الــوَســيــمُ
أصــبــحتَ تــبــكي من الــشَّــقــاء
لــيــضــحك الآســرُ الــمُــضــيــمُ!

☆☆☆☆☆

والمــــــرء وحشٌ فــــــإن تَــــــرَقّى
أصــــبح شَــــرّاً من الــــوحــــوشِ
فَــــخَــــفْهُ حُــــرّاً وخَــــفْهُ رِقّــــا
وخَــفْه مَــلْــكــاً عــلى الــعُــروشِ[1]
فــالــشــرُّ في الــنــاس كــان خَــلْــقًــا
وأيُّ طــيــرٍ بــغــيــر ريشِ؟
مــا قــامَ فــيــهم أخــو وفــاءِ
يــحــفظُ عــهــداً ولا رَحــيــمُ
فــكلُّ مُــســتــضــعَفٍ مُــراءٍ
وكــلُّ ذي قــوةٍ غَــشُــومُ!

☆☆☆☆☆

إن كــان لــلــوحشِ من نُــيُــوبِ
فــالــنــاسُ أنــيــابُــهمْ حــديــدُ
مــا كــان، والــلــه، لــلــحُــروبِ
لــولا بــنــو آدمٍ وجــودُ
لــو امّــحَى عــالمُ الخُــطــوبِ
لــقــام مــنــهمْ لــهــا مُــعِــيــدُ
قــد نــسَــبــوا الــظــلــمَ لــلــسَــمــاءِ
وكــلّــهمْ جــائــرٌ ظَــلــومُ

---

(١) يريد بالرِّق: الرقيق.

لم يَخْلُ منه أخو الثَّراء
ولا الفتى البائسُ العديمُ

أعجَبُ ما في بني التُّرابِ
قِتالُهمْ فوقَه علَيهِ
قد صيّروا الأرضَ كالكتابِ
وانحشروا بينَ دَفَّتيهِ
واستعجلوا الموتَ بالعذابِ
وكلُّهُمْ صَائرٌ إليهِ
ما خابَ داعٍ إلى العِداءِ
ولم يفُزْ ناصحٌ حكيمُ
ما رغبَ الناسُ في الفناءِ
لكنّما ضاعتِ الحُلُومُ![1]

لو لم يكُ الظُلمُ في الطبائعْ
ما استنصرَ العاجزُ العدالَهْ
لو عَدَلَتْ فيهِمُ الشرائعْ
ما استحدَثوا للقتال آلَهْ
عجبتُ للقاتل المُدافعْ
جزاؤه الموتُ لا مَحَالَهْ
لكنّما سَافِكُو الدّماءِ
يومَ الوغى قادةٌ قُرومُ[2]

---

(١) الحُلوم: العقول، مفردها: حِلْم.
(٢) القَرْم: السيد المكرم.

وهـــكـــذا الـــمُـــجـــرمُ الـــفِـــدائـــي
فـي عُـــرفـــهِمْ فـــاتـــحٌ عـــظـــيمُ!

☆☆☆☆☆

أقـــــبـحُ مـن هـــــذه الـــــضـلالـهْ
أن يـــحـــكمَ الـــواحـــدُ الأُلـــوفـــا
ويـــدّعي الـــفـــضـلَ والـــنَّـــبـــالـهْ
من يـــسـلُبُ الـعـــاملَ الـــرغـــيـــفـــا
يـــا قـــومُ مـــا هـــذه الجَـــهـــالـهْ
قـد حـانَ أن تُـنـصِـفـوا الـضـعـيـفـا
فـــراقـــبـــوا ذِمّـــــة الإخـــــاءِ
ولْـتـنْسَ أحـقـادَهـــا الخُـصـــومُ![1]
لا تـتـبـعـــوا سـنّـــةَ الـبـقـــاءِ
فـــإنّـــهـــا ســـنـّـــةٌ ظَـلـــلـــومُ !

✱✱✱✱

(١) جعل الخصوم في مقام الجماعة.

٢٤ - أنتِ....

[الخفيف]

مَـــهـــبِطَ الـــوَحْي مَـــطـــلـعَ الأنـــبـــيـــاءِ
كـــيف أمـــســـيتِ مَـــهـــبِطَ الأرْزاءِ؟
في عُـــيـــونِ الأنـــام عـــنكِ نُـــبُـــوٌّ
لم يـكن في الـعـيـون لـو لم تُـسَـائي
أنتِ كـــالحُـــرّة الـــتي انـــقـــلب الـــدّهْـ
ـــرُ عـلـيـهـا فـأصـبـحتْ في الإمـاء
أنتِ كـالـبُـردةِ الـمُـوشّـاة أبـلى الـطْـ
ـــطَيُّ والـنـشـرُ مـا بـهـا من رُواء
أنتِ مـــثلُ الخـــمـــيـــلـــة الـــغـــنّـــاء
عُـــرّيتْ من أوراقـــهـــا الخـــضـــراء
أنتِ كـالـلـيثِ قـلَّمَ الـدهـرُ ظـفـريْـ
ـهِ وأخـــنَى عـــلـــيه طـــولُ الـــثّـــواءِ
أنتِ كـالـشَّـاعـرِ الـذي ألِفَ الـوحْـ
ـــدةَ.. في مَـــحـــفلٍ من الـــغَـــوغـــاء
أنتِ مـــثل الجـــبّـــار يـــرسُفُ في الأغْـ
ـلال، في مـــشـــهـــدٍ من الأعـــداء
لـــو تـــشـــائـــين كـــنتِ أرفَهَ حـــالاً
أوَ لـــستِ قـــديـــرةً أن تَـــشـــائي
أنـــا مـــا زلتُ ذا رجـــاءٍ كـــثـــيـــرٍ
ولـــئن كـــنتُ لا أُرى ذا رجـــاءِ

قـد بـكى الـتَّـارِكُـوكِ مـنكِ قُـنـوطـاً
فـبـكى الـسَّـاكـنـوكِ خـوفَ الـتـنـائي
كـثُـرَ الـنـائـحـون حـولَكِ حـتى
خِـلـتُ أني فـي حـاجـةٍ لـلـعـزاء
بـذلـوا دمـعَـهُمْ وصُـنْتُ دمـوعي
إنّـمـا الـيـائـسـون أهلُ الـبـكـاء
لـو تُـفـيـد الـدمـوعُ شـيـئـاً لأَحـيتْ
كلَّ عـافٍ[1] مـدامعُ الـشـعـراء
أنتِ في حـاجـة إلى مـثل (مـوسى)
لـستِ في حـاجـةٍ إلى (إرْمِـيَـاء)[2]

مُـقـلـةَ الـشَّـرقِ! كم عـزيـزٌ عـلـيـنـا
أن تـكـونـي رمـيَّـة الأقـذاءِ[3]
شـرّدتْ أهـلَكِ الـنـوائبُ في الأرْ
ضِ وكـانـوا كـأنجُمِ الجَـوْزاءِ
وإذا المـرءُ ضـاقَ بـالـعـيش ذَرْعـاً
ركب المـوتَ في سـبـيل الـبَـقـاء
لا يُـبـالـي مُـغـرَّبٌ في ذَويهِ
أن يـراه ذووه في الـغُـربـاءِ

أرضَ آبـائِـنـا عـلـيكِ سلامٌ
وسـقـى الـلـهُ أنـفُسَ الآبـاءِ

---

(١) العافي: طالب المعروف، والجمع عُفاة.

(٢) النبي موسى سعى في خلاص شعبه، أما إرمياء (وهو من كبار أنبياء بني إسرائيل – القرن السابع ق.م) فعكف يبكي ما هم فيه بعد أن تنبأ بسقوط (أورشليم) في يد البابليين. نسب إليه كتاب يجمع مراثيَه!

مـا هـجَـرنـاكِ إذ هـجـرْنـاكِ طَـوعـاً
لا تـظـنّي الـعـقـوقَ في الأبـنـاء
يُـسْـأمُ الخُـلْـدُ والحـيـاةُ نـعـيمٌ
أفَـتَـرضَى الخـلـودَ في الـبـأسـاء؟
هـذه أرضُـنَـا بَلاقعُ، تـمـشي
فـوقـهـا كلُّ عـاصفٍ هَـوجـاء[1]
هـذه دُورنـا مـنـازلُ لـلـبُـو
مِ وكـانت مـنـازلَ الـوَرْقَـاء[2]
بـدّلـتـهـا الـسِّـنـونَ شـوكـاً من الـزّهْـ
ـرِ، وبـالـوَحش من بـني حَـوّاء
مـا طَـوتْ كـارثـاً يـدُ الـصُّـبح إلا
نَـشَـرَتْهُ لـنـا يـد الإمِـسَـاء
نـحن في الأرض تـائـهـون كـأنّـا
قـومُ مـوسى[3] في الـلـيـلـة الـلَّـيْلاء
تـتـرامَى بـنـا الـركـائبُ في الـبَـيْـ
ـداءِ طَـوراً؛ وتـارةً في المـاء
ضُـعـفـاءُ مُـحـقَّـرونَ كـأنّـا
مـن ظلامٍ والـنـاسُ من لألاء
واغـتـرابُ الـقـويِّ عِـزٌّ وفـخـرٌ
واغـتـرابُ الـضَّـعـيفِ بَـدْءُ الـفَـنـاء
عَـابَـنـا الـبِـيضُ أنّـنـا غـيـرُ عُـجْمٍ
والـعِـبِـدَّى[4] بـالـسِّـحـنَـةِ الـبـيـضـاء

---

(١) البلقع والبلقعة: الأرض القفر التي لاشيء فيها. وأراد بالعاصف: العاصفة.
(٢) الورقاء: الحمامة.
(٣) يشير إلى تيه موسى وقومه، في صحراء سيناء، بعد خروجهم من مصر.
(٤) العِبِدّى: أحد جموع العبد، وهي كثيرة.

ويحَ قـومي قـد أطـمعَ الـدهـرُ فـيـهمْ
كلَّ قـومٍ حـتى بـني الـسَّـوداء
فـإذا فـاتـنـا عـدوٌّ تجـنّى
فـأَرانـا الأحـبـابَ في الأعـداء
أطـربـتْـنـا الأقلامُ لـمّـا تـغـنّتْ
بـالمـساواة بـيـنَـنـا والإخـاءِ
فـسـكِـرْنـا بـهـا فـلـمّـا صَـحَـوْنـا
مـا وجـدنـا مـنـهـا سـوى أسـمـاءِ!

☆☆☆☆☆☆

نـحن في دولـةٍ تلاشت قُـوَاهـا
كـالـنُّـضَـار[1] المـدفـونِ في الـغَـبْـراء
أو كَـمِـثلِ الجَـنـينِ مـاتتْ به الحَـا
مِلُ حـيّـاً يَـجـول في الأحـشـاء
عـجـبـاً كـيف أصـبحَ الأصلُ فـرعـاً
والـضُّـحى كـيف حلَّ في الـظَّـلْـمـاء
مـا كَـفَـتْـنـا مـظـالمُ الـتُّـركِ حـتى
زحـفـوا كـالجـراد أو كـالـوبـاء
طُـرِدوا من رُبـوعِـهمْ فـأرادوا
طَـرْدَنـا من رُبـوعـنـا الحـسـنـاء[2]
مـا لـنـا، والخـطـوبُ تـأخـذُ مـنّـا
نَـتـلَـهَّى كـأنـنـا في رَخـاء
ضِـيـمَ أحـرارُنـا ورِيعَ حِـمَـانـا
وسـكـتْـنـا، والـصَّـمتُ لـلـجُـبـنـاء

---

(١) الذهب الخالص.
(٢) يعني: اليهود.

نـهـضـةً تـكـشفُ المـذلّـةَ عـنّـا
فـلـقـد طـال نـومُـنـا في الـشـقـاء
نـهـضـةً تـلـفِت الـعـيـونَ إلـيـنـا
إنّ خـوفَ الـبَلاءِ شَـرٌّ بلاء
نـهـضـةً يـحـمل الأثـيـرُ صَـداهـا
لـلـبـرايـا في أوّلِ الأنـبـاء
نـهـضـةً تُـبْـلـغُ الـنـفـوسَ مُـنـاهـا
فـهْيَ مـشـتـاقـةٌ إلى الـهـيـجـاء
إنّ ذا المُـلكَ هـيـكلٌ نـحن فـيه الْـ
ـقـلبُ، والـقـلبُ سـيّـدُ الأعـضـاء
زعم الخـائـنـون أنّـا بمـا نـبْـغِ
ـيهِ نـبـغي الـوصـولَ لـلـعَـنْـقـاء[1]
سـوف يـدرون أنمـا الـعُـربُ قـومٌ
لا يُـبـالـون غـيـرَ ربِّ الـسـمـاء
يـومَ لا تُـنـبتُ الـسـهـولُ سِوى الـنّـا
سِ، وغـيـرَ الأسِـنّـةِ الـسَّـمـراءِ
يـوم تـمـشي عـلى جـبـالٍ من الأشْـ
ـلاءِ، تـمـشي في أبـحُـرٍ من دمـاء
يـومَ يَـسـتـشـعـرُ المـراؤون مـنّـا
إنّـمـا الخـاسـرون أهلُ الـرِّيـاء

****

(١) أصل العنقاء طائر عظيم، معروف الاسم، مجهول الجسم، خلقَته المخيّلة، وأصبح يعني: الداهية.

٢٥ - معركة بورغاس[١]

[الكامل]

هــذي الــوغَى مَــشــبــوبــةُ الــنــيــرانِ
مــــشــــدودةُ الأســــبــــابِ والأقــــرانِ[٢]
شَــابتْ مــفــارقُــهــا وكــانت طِــفــلــةً
عـــــذراءَ مـــــنـــــذُ دقـــــائقٍ وثـــــوان
طُـوِيَ الـسلامُ فـلـيس يُـنـشـرُ بـعـدَهـا
أو يُــبــعــثَ المَــلــحــودُ في الأكــفــان
شُــقُّــوا الــطُّــروسَ وحــطِّــمــوا أقلامــكُمْ
الــيــومَ يــومُ شــواجِــرِ المُــرَّان[٣]
هــانتْ عــلى الــصَّــمــصَــام كلُّ يَــراعــةٍ
مــا لــلــيــراعــةِ في الحــروب يَــدان[٤]
يــا صــاحــبي! لــيس الــوغى من مــذهــبي
هــاتــيكَ وسْــوسَــةٌ من الــشــيــطــان
فــالــنــاسُ إخــوانٌ ولــيس من الــنُّــهى
أن يــفــتِكَ الإخــوانُ بــالإخــوان
لــو تَــعــقِلُ الأجــنــادُ أنّ مــلــوكَــهــا
أعــداؤهــا انــقــلــبتْ عــلى الــتِّــيــجــان

---

(١) Burgos مدينة في شمال إسبانية كانت فيها وقعة بين الجيش العثماني وقوى أوروبا الشرقية، بعد سقوط مقدونيا (في شبه جزيرة البلقان) في القرن الرابع عشر.

(٢) يريد: مشدودة حبالها: السبب والقَرْن، كلاهما يعني: الحبل.

(٣) المُرّان: الرماح الصلبة اللدْنة. واشتجرت: دخل بعضها في بعض، كأغصان الشجر: كناية عن المواجهة.

(٤) اليراعة: القصبة، والجمع: يَراع.

قــومٌ إذا شــاؤوا الــصــعــودَ لمــطــلَبٍ
تَــخِــذوا مــراقــيَــهمْ من الأديــان
أوَ إن كــرهتَ الحــربَ كــنتَ يَــراعــةً
وإذا قــتــلتَ أخــاك غــيــرَ جــبــان؟
إن كــان قــتْــلِي الــنــفسَ غــيــرَ مُــحــرَّمٍ
مــا الــفــرقُ بــين المــرءِ والحــيــوان؟
الحــربُ مــجــلــبــةُ الــشَّــقــاوة لــلــورَى
والحــربُ يَــعْــشــقُــهــا بــنــو الإنــســان
لمن الخَــمــيــسُ خــوافــقٌ رايــاتُه
مُــتــمــاسكُ الأجــزاء كــالــبُــنــيــان
مــتــألبٌ كــالــلــيل جَنَّ ســوادُه
مُــســتــوفِــزٌ كــالــقــدْرِ في الــغَــلَــيــان
مُــتــدفِّقٌ كــالــسّــيل في الــغُــدْرانِ
مــتــدفِّعٌ كــالــعــاصفِ المِــرْنــان[1]
تــتــزلــزلُ الأطــوادُ من صَــدَمــاته
وتــظلّ مــنــه الأرضُ في رَجَــفَــان
عــجلانُ يــكــتــسحُ الــبلادَ وأهــلَــهــا
إن الــشَّــقيَّ الــعــاجــزُ المــتَــواني
في كلّ سَــرْجٍ ضــيــغمٌ مــتــحــفّــزٌ
في كــفّه مــاضي الــشَّــبَــاةِ يَــمــانِ[2]
سَــمْحٌ إذا ضنَّ الجــبــانُ بــروحِه
فــكــأنّــمــا في جــســمِه رُوحَــان
مــا صــانَ مُــهــجــتَهُ الــتي في صــدرِه
إلا لــيــبــذُلــهــا بــيــومِ طِــعَــان

(١) ذو الرنين، لخفق رياح العاصفة.
(٢) الشباة: الحدّ. يريد: الحدّ الماضي.

لا شيءَ، يــومَ الــروع، أجــملُ عــنــدَه
من أن يُـرى والـقِـرْنَ يَـصْـطَـرعـانِ[1]

☆☆☆☆☆☆

يــا رُبَّ مــعــركــةٍ تَــراكمَ نَــقْــعُــهــا
حـتى اخـتـفى في ظلّـهـا الجـيـشـان[2]
بـاتتْ صِـقـالُ الـهـنـدِ في أفْـيـائـهـا
كــالــبــرقِ يَــســطَعُ من خلال دُخــان
والخــيلُ طــائــرةً عــلى أرسَــانــهــا
تــهــوى لــو انــعــتــقَتْ من الأرسَــان
دوَتِ المــدافعُ كــالــرعــود قــواصِــفًــا
نَــطقَ الحــديــدُ فــعَيَّ كلُّ لــســان[3]
تــرمي بــأشــبــاهِ الــرُّجــوم تَــخــالُــهَــا
حــمــراءَ قــد صِــيــغَتْ من المَــرْجــان
مــا إن تَــطــيشُ وإن نَــأتْ أغــراضُــهــا
ولــكَمْ تَــطــيشُ قــذائفُ الــبُــركــان
صَــخَّــابــةً تــذرُ الحــصــونَ بلاقِــعَــاً
وتــدكُّــهــا دَكّــاً إلى الأركــان
تــنــقضُّ والــفــرســانُ في آثــارهــا
تــنــقضُّ مــثلَ كــواســرِ الــعُــقْــبــان[4]
هي وقــعــةٌ ضــجّتْ لــهــا الــدنــيــا كــمــا
ضــجّتْ وضجّ الــنــاسُ في «سِــيــدان»

---

(١) القِرن: هو القرين المساوي.
(٢) النقع: غبار المعركة. والجيشان هما: الجيش العثماني وقوى أوروبة الشرقية.
(٣) عيَّ وعييَ – يعيا: من الإعياء والتعب.

مشت المنايا حاسراتٍ عندها
تتطلّبُ الأرواحَ في الأبدان
فعلَى أديمِ الجوِّ ثوبٌ أسودٌ
وعلى أديم الأرض ثوبٌ قانِ
وإذا نظرتَ إلى الجُسوم على الثَّرى
أبصرتَ كُثباناً على كُثْبان
لمّا رأوا (بورغاس) ضَرّةَ (مَكْدنٍ)
حملوا عليها حَملَةَ اليابان[1]
وقد انجلتْ فإذا الهلالُ منكَّسٌ
علَمٌ طَوَتْهُ رايةُ الصُّلبان
رجحتْ قُواهمْ أيَّما رُجْحانِ
فيها، وشالَ التُّرْكُ في المِيزان
نفروا لَكالحُمُرِ[2] التي روَّعتَها
بابن الشَّرى المتجهِّمِ الغَضْبان
وقلوبهمْ قد أسرعتْ ضَرَباتُها
وتظنُّها وقفتْ عن الخفقان
مُتلفِّتين إلى الوراءِ بأعينٍ
تَتخيّلُ الأعداءَ في الأجفان
يتلَمَّسون من المنيّة مَهْرَباً
هيهاتَ إنّ الموتَ كلُّ مَكان
واللهِ ما يَنجُونَ من أشراكِهِ
ولو استعاروا أرْجُلَ الغِزلان

(١) يريد: مكدونيا (مقدونية) Macédoine التي سقطت في يد العثمانيين في القرن الرابع عشر.
(٢) يُجمع (الحمار) على حُمْر وحُمُر وأحْمِرة.

أسلابُـهمْ لـلـظـافـرينَ غـنـيـمـةٌ
وجُـسـومـهمْ لـلـحـاجلِ الـغَـرْثـان[1]
إنْ يـأمـنـوا وقْعَ الأسـنّـةِ والـظُّـبَى
فـالـذُّعـرُ طـاعِـنُـهمْ بـشـرٍّ سِـنـان

☆☆☆☆☆

مـا أنسَ لا أنـسى عـصـابـةَ خُـرَّدٍ
في الـلـه مَـسـعَـاهنَّ والإحـسـانِ[2]
عِـفْنَ الـوثـيـرَ إلى وسـائـدَ قَـضّـةٍ
ونـزحْنَ عن أهلٍ وعن أوطـان[3]
ووقـفنَ أنـفـسَـهُنّ في الـدنـيـا عـلى
تـأمـين مُـلْـتـاعٍ ونُـصـرةِ عَـانِ
يـحـمـلْنَ ألـويـةَ الـسلام إلى الأُلى
حَـمَـلـوا لـواء الـشَّـرِّ والـعُـدوان
كم من جـريحٍ بـالـنَّـجـيعِ مُـخَـضّبٍ
في الأرض لا يـحـنـو عـلـيه حـانِ
مـا راعَهُ طـيفُ المـنـيَّـةِ مـثـلَـمـا
راعتْ حَـشَـاهُ فُـرقـةُ الخُلاّن
فـلَهُ، إذا ذَكَـر الـديـارَ وأهـلَهُ،
آهُ الـغـريبِ وأنـةُ الـثَّـكْلان
نـفَّـسْنَ من بُـرَحَـائِه، وأَسَـوْنَهُ
وأعَـضْـنَهُ من خـوفِه بـأمـان[4]

---

(١) حجَل - يحجِل: مشى مشية المقيّد. والغرثان: الجائع (غرَث - يغرِث: جاع).
(٢) الخريدة: البكر من النساء.
(٣) القضّة: من قضّ المضجع وأقضّ: نبا وخشن.
(٤) البُرَحاء: الشر والعذاب الشديد. أسَوْنه: من أساه (داوينه). أعَضْنه: عوّضنه.

مـــا حـــبَّبَ الجـــنّـــاتِ عـــنـــدي أنـــهـــا
مَـــثـــوى سـلامٍ، مُـــســـتـــقَـــرٌّ حِـــسَـــان
لـــولا حـــنـــانُ الـــغـــانـــيـــاتِ وعـــطـــفُـــهـــا
مـــا كـــانت الـــدنـــيـــا سِـــوى أحـــزان

☆☆☆☆☆

مَن مُـــســـمِـعُ الأيـــامَ عـــنّي نَـــبْـــأةً
يـــرتـــاعُ مـــنـــهـــا كلُّ ذي وُجْـــدان
إنّ الأُلى جَـــبُـــنُـــوا أمـــامَ عُـــداتـــهمْ
شَـجُـعـوا عـلى الأطـفـال والـنِّـسـوان
وصَـوارِمـاً قـد أُغـمـدتْ يـوم الـوغى
شُـهِـرَتْ عـلى الأضـيـافِ والـقُـطّـان
أكـــذا يُـــجَـــازَى الآمـــنـــون بـــدُورِهِمْ
أوْ هـــكـــذا قـــد جـــاءَ في الـــقـــرآنِ؟

☆☆☆☆☆

أخـــنَى عـــلى الأتـــراكِ دهْـــرٌ حُـــوَّلٌ
أخـــنَى عـــلى الـــيـــونـــان والـــرومـــان
وطـوى مـحـاسنَ «يـلْـدِزٍ» قَـدَرٌ طـوَى
رَبَّ الـــسَّـــديـــرِ وصـــاحبَ الإيـــوان[1]
فـــالـــيـــومَ لا أسَـــتَـــانـــةٌ أســـتَـــانـــةٌ
تـزهـو ولا الـسـلـطـانُ بـالـسُّـلـطـان[2]
دارتْ دوائـرُه عـلـيـهـا مِـثـلَـمـا
دارتْ دوائـــرُه عـــلـــى «طَـــهْـــران»

(١) (يلدز): قصر السلطان عبد الحميد الثاني. و(السدير) أخو (الخورنق) في الحيرة عاصمة المناذرة. و(الإيوان) إيوان كسرى وهو قائم إلى اليوم.

أمُـنـبِّـهي الأضـغـانِ كـيف هَـجَـعْـتُمُ
لـمّـا تـنـبّهَ نـائمُ الأضْـغـان
وحـكـومـةَ الأشْـيـاخِ ويـحكِ مـا الـذي
خـالـفتِ فـيه عُـصْـبـةَ الـفـتـيـان
قـالـوا: لـنـا الـمُـلْكُ الـعـريضُ وَجـاهُهُ
كَـذَبـوا، فـإنّ الـمُـلْكَ لـلـرحـمن
مـا بـالُ قـومي كـلـمـا اسـتـصـرَخْـتُـهُمْ
وضَـعـوا أصـابـعَـهم عـلى الآذان
أبـنـاءَ سـوريّـا الـفـتـاةِ تـضَـافـروا
وخُـذوا مَـثَـالَـتـكُمْ عن الـبَـلْـقـان[1]
مـا الـتـركُ أهلٌ أن يُـسـودوا فـيـكمُ
أو تُـحْـكَمَ الآسـادُ بـالـظِّـلْـمـان[2]
هم ألـبَـسُـوا الـشـرقيَّ ثـوبَ غَـضـاضـةٍ
وسـقَـوهُ كـأسَـيْ ذِلّـةٍ وهَـوان
فـإذا جـرى ذكـرُ الـشُّـعـوبِ بمـوضعٍ
شـمَـختْ، وطـأطـأ رأسَه الـعـثـمـاني!..

****

(١) أراد بالمثَالَة: المِثال (في المعاجم: حسن الحال).
(٢) الظليم: ذكر النعام (وجمعه: ظِلمان).

٢٦ - خير شيء

[الوافر]

ذهـــبتُ مُـــسَـــائلاً عن خَـــيـــر شيءٍ
لأعـــرفَ كُـــنهَ أخلاقِ الـــبـــريّهْ

فـقـالت لي الـكـنـيـسـةُ: خـيـرُ شيءٍ
هـو الـزُّهـدُ الـذي يمـحـو الخـطـيَّهْ

وقـالت لي الـشَّـريـعـةُ: خـيـرُ شيءٍ
شُـمـولُ الـعـدلِ أبـنـاءَ الـرّعـيّهْ

وقـال: الـشُّـهـرةُ، الجـنـديُّ، خـيـرٌ
وإن كـانت تـقـودُ إلى المـنـيّهْ[1]

وقـال أخـو الحَـصَـافـةِ: خـيـرُ شيءٍ
هـو الحقّ المـبـينُ بلا مَـريّه

وقـال أخـو الجـهـالـةِ: خـيـرُ شيءٍ
سـرورُ الـنـفس في الـدُّنـيـا الـدّنـيَّه

وقـال لي الـفـتى: وصْلُ الـصَّـبـايـا
وقـالت لي: الـهـوى، الـبـنتُ الـصّـبـيّهْ[2]

ولـمّـا أنْ خـلَـوتُ سـألتُ نـفـسي
لأعـرفَ رأيَّـهـا في ذي الـقـضـيّه

فـقـالت: لا أرى خـيـراً وأبـقى
من الإحـسـان لـلـنـفس الـشَّـقـيّه

****

(١) فاعل الفعل في البيت، هو الجندي.
(٢) فاعل الفعل هي البنت الصبية.

٢٧ - حكاية حال

[مجزوء الكامل]

الحـــــــشـــــــدُ ملءُ الـــــــدارِ لـ
ـــكنْ لـم يَـــرَ أحـــداً سِـــواهـــا
فَـــــتَّـــــانَـــــةُ خَـلاّبـــــــةُ
كـالـيـاسَـمـيـنـةِ في شَـذاهـا
أوفَى عـــلـــيـــهـــا وهـي تَـــخْ
ـطِـرُ كـالـفـراشـة فـاشـتـهـاهـا
شَـكَتِ الـصَّـبـابـةَ مُـقـلـتـا
هُ فـجـاوبـتْه مُـقـلَـتـاهـا
حـــتى إذا مـــا اخـــتـــار كُـــلْ
ـلُ فـتىً رفـيـقـتَه اصـطـفـاهـا
ورأتْ بـه مـن تـــبـــتـــغـي
وكـــمـــا رأتـه كـــذا رآهـــا
وتـــقـــدّمـــا لـــلـــرقص يـــقـ
ـــرَأُ نـــاظِـــرَيْـهِ نـــاظِـــراهـــا
مـــتـلاصِـــقِي[1] الجـسـمـين يَـسْـ
ـــنُـــدُ سَـــاعـــديْهِ ســـاعـــداهـــا
وتـــكـــاد لـــولا الخـــوفُ تَـــلْـ
ـــمسُ وَجـنـتـيه وَجـنـتـاهـا
مـــتـــدافـــعَـــيْن كـــمـــوجـــتَـــيْـ
ـنِ، خُـطـاه تـتـبـعُـهـا خُـطـاهـا

(١) يريد: «متلاصِقَي».

يمـــشي فـــتَـــمـــشي وهي تحْ
ـــسَـبُهُ يـسـيـر عـلى حَـشـاهـا
هي في لـــثـــامٍ كـــالـــدُّجى
مُـــحْـــلَـــولكٍ وكـــذا فَـــتَـــاهـــا
لـــكـــنّـــمـــا الألحـــاظُ تَـــخْ
ـــتَـــرِقُ الـــسُّـــتـــورَ ومـــا وَراهـــا
فـــاض الـــغـــرامُ فـــقـــال آ
هِ وقـــالـتِ الحَـــســـنـــاءُ آهـــا
فـــانـــسلّ من أصـــحـــابـه
سِـــرّاً، وأغْـــضَتْ جـــارتـــاهـــا
ومـــشى بـــهـــا في روضـــةٍ
قـد نـام عـنـهـا حـارِسَـاهـا
حـــتى إذا أمِـــنّـــا الـــورَى
وشـكـا الـهـوى وشـكَتْ هَـواهـا
طـــارتْ بـــبُـــرقُـــعِـــهـــا وبُـــرْ
قُـــعِه عـــلى عَـــجَلٍ يـــداهـــا
كَـــيـــمـــا تُـــقَـــبِّلُ ثَـــغْـــرَهُ
ويُـــقَـــبِّلُ المـــعـــشـــوقُ فَـــاهـــا
فـــرأى المـــتـــيَّمُ بـــنـــتَه
ورأتْ مَـلـيـحـتُـنـا أبـاهـا!

****

٢٨ - شكوى

[الرمل]

نَـسِـيتْ عـهـدي، فـلـمّـا جـئـتُـهـا
زعَـمتْ أني تـنـاسَـيتُ الـعـهـودْ
وادّعـتْ أنـي خـلـيٌّ زاهـدٌ،
أنـا لـو كـنت كـذا كـنتُ سـعـيـدْ

⁂

رغـبتْ في الـصَّـدِّ عـني بـعـدمـا
بتّ لا يـحـزُنـني مـثلُ الـصُّـدود
مـثـلـمـا أنـكـرَ ثَـغـريْ خـدُّهـا
أنـكـرتْ فـاتِـنَـتِي تـلك الـوعـودْ

⁂

يـا شـهـودي عـنـدمـا كـنّـا مـعـاً
ذكّـروهـا.. أين أنـتم يـا شُـهـودْ؟
سـكتَ الـبـدرُ الـذي راقـبَـنـا
وذوتْ في الـرّوض هـاتـيكَ الـورودْ

⁂

ومـشَتْ ريحُ الـصَّـبـا حـائـرةً
في المـغـاني حَـيْـرةَ الـصّبِّ الـعـمـيـدْ

يــا هــواهــا قلْ مــتى تــتــركُــني
قــال: أو تَــصْــفــرُّ[1] هــاتــيكَ الخــدودْ

أنــا لا أدعــو عــلــيــهــا بــالــضَّــنَى
أتّــقي أن يَــشــمَتَ الــقــالِي[2] الَــحــســود...

✱✱✱✱

(١) التقدير: لن أتركك أو تصفرَّ.
(٢) المبغض (قلاه - يقليه).

٢٩ - بائعة الورود

[البسيط]

مِن الفِرَنْسيسِ قَيْدَ العين صورتُها
عذراءُ قد مُلئتْ أجفانُها حَوَرا
كأنما وهَبتْهَا الشمسُ صفحتَها
وجهاً، وحاكَتْ لها أسلاكُها شَعَرا
يدُ المنيّةِ طاحتْ غِبَّ مَوْلِدِها
بأمّها، وأبوها ماتَ منتحِرا
في قريةٍ من قُرى باريسَ ما صغُرت
عن الفتاة، ولكنْ همُّها كَبُرا
والنفسُ تَعشقُ في الأهلينَ موطنَها
وليس تعشقُه يَحويهِمُ حُفَرا
وتعظُمُ الأرضُ في عينيكَ محترَماً
وليس تعظُمُ في عينيكَ مُحتقَرا
فَغادَرَتْها وما في نفسِها أثَرٌ
منها، ولا تركتْ في أهلِها أثرا
إلى التي تَفتِنُ الدنيا مَحاسنُها
وحُسْنُ مَن سكَنوها يَفتِنُ البَشرا
إلى التي تَجمعُ الأضْدادَ دارَتُها
ويحرُسُ الأمْنُ في أرجائها الخَطَرا[1]
إذا رآها تقيٌّ ظنَّها «عَدَناً»

(١) الدارة أخَصّ من الدار. وهي الهالة من حول القمر أيضاً.

وإن رآهـا شـقيٌّ ظـنّـهـا «سَـقَـرا»
تـودّ شـمسُ الـضُّـحى لـو أنـهـا فـلَكُ
والأفْقُ لـو طـلَـعتْ في أوْجِهِ قَـمَـرا
والـغـربُ لـو كـان عُـوداً في مَـنـابـرهـا
والـشـرقُ لـو كـان في جُـدرانـهـا حـجـرا
في كلّ قـلـبٍ هـوًى مـنـهـا كـأن له
فـي أهـلـهـا صـاحـبـاً، في أرضـهـا وطَرا
(بـاريسُ) أعـجـوبـةُ الـدنـيـا وجـنَّـتُـهـا
وربَّـةُ الحُـسْن مـطـروقـاً ومـبـتَـكَـرا

حـلَّتْ عـلـيـهـا فـلم تُـنـكـرْ زخـارفَـهـا
فـطـالمـا أبـصـرتْ أشـبـاهَـهـا صُـوَرا
ولا خـلائـقَ أهـلـيـهـا وزيَّـهُـمُ
فـطـالمـا قَـرأتْ أخـلاقَـهـمْ سِـيَـرا
وإنمـا أنـكَـرتْ في الأرض وَحـدَتَـهـا
كـذلك الـطـيـرُ إمَّـا فـارقَ الـوَكَـرا
يـتـيـمـةٌ مـا لـهـا أمٌّ تـلـوذُ بـهـا
ولا أبٌ إن دعـتْه نـحـوَهـا حَـضَـرا
غـريـبـةٌ يَـقـتـفـيـهـا الـبـؤسُ كيف مشتْ
مـا عـزّ في أرض «بـاريسٍ» من افـتَـقَـرا
مـرّتْ عـلـيـهـا لـيـالٍ وهيَ في شُـغُلٍ
عن سـالفِ الـهمِّ بـالـهمِّ الـذي ظـهـرا
حـتى إذا عـضَّـهـا نـابُ الـطَّـوى نـفـرتْ
تـسـتـنـزلُ الـرزقَ فـيـهـا الـفـرْدَ والـنَّـفَـرا
تجـني الـلُّـجـينَ ويـجـني الـبـاذلـوه لـهـا

من كفّها الوردَ منظوماً ومَنتثِرا
لا تتّقِي اللهَ فيه وهوَ في يدها
وتتّقي فيه فوقَ الوَجنةِ النَظَرا
تغارُ حتّى من الأرواح ساريةً
فلو تمُرّ قَبولٌ[1] أطرقتْ خَفَرا
أذالتِ الوردَ قانيه وأصفرَهُ
كيما تصونَ الذي في خَدّها نَضَرا[2]
حَمتْه عن كل طرْفٍ فاسقٍ غَزِلٍ
لو استطاعتْ حَمتْهُ الوهْمَ والفِكَرا
تُضاحِكُ الخَلْقَ لا زَهْواً ولا لَعِباً
وتجحَدُ الفقرَ لا كِبْراً ولا أَشَرا[3]
فإن خَلَتْ هاجتِ الذكرى لواعجَها
فاسْتنفدَتْ طَرْفَها الدّمعَ الذي ادَّخَرا

تعلَّقَتْهُ فتًى كالغصن قامتُهُ
حلوَ اللسان أغرَّ الوجه مُزدَهِرا
وهامَ فيها تُريه الشمسَ غُرّتُها
والفجرَ مرتصِفاً في ثغرها دُرَرا
إذا دنا رغبتْ ألاّ يُفارقَها
وإن نأى أصبحتْ تشتاقُ لو ذُكِرا
تُغالبُ الوجْدَ فيه وهو مقتربٌ
وتهجرُ الغَمضَ فيه كلّما هَجَرا
كانت توقّى الهوى إذ لا يُخامرُها

(١) القَبول: ريح الصبَّا (ضد: الدَّبور).
(٢) أذال: أهان وامتهن. نَضَر: حسُن ونَعُم.
(٣) البَطر (أشِر - يأشَر).

فـأصـبـحت تَـتـوقّى في الـهـوى الحَـذَرا
قـد عـرّضَتْ نـفـسَـهـا لـلـحب واهـيـةً
فـنـال مـنـهـا الـهـوى الجـبّـارُ مُـقـتـدِرا
والحبُّ كـالـلّصِّ لا يُـدريكَ مـوعـدَهُ
لـكـنّه قـلّـمـا، كـالـسَّـارقِ، اسـتَـتَـرا

ولـيـلـةٍ من لـيـالي الـصـيف مُـقْـمِـرةٍ
لا تـسـأمُ الـعـينُ فـيـهـا الأنجُمَ الـزُّهُـرا
تَلاقَـيـا فـشـكـاهـا الـوجَـدَ فـاضـطـربتْ
ثم اسـتـمـرّ فـبـاتتْ كـالـذي سُـحِـرا
شـكـا فـحـرّكَ بـالـشـكـوى عـواطـفَـهـا
كـمـا تُـحَـرِّكُ كفُّ الـعـازفِ الـوَتَـرا
وزاد حـتـى تـمـنّتْ كلُّ جـارحـةٍ
لو أصـبحتْ مَسْمَعاً أو أصبحت بَصَرا
ران الـهُـيـامُ عـلى الـصَّـبَّـيْن فـاعـتـنـقـا
لا يمـلِـكـان الـنُّـهى وِرْداً ولا صَـدَرا[1]
«وكـان مـا كـان ممـا لـستُ أذكـرُه»
تـكـفي الإشـارةُ أهلَ الـفِـطْـنـةِ الخَـبَـرا

هـامتْ به وهْي لا تـدري لِـشَـقْـوتِـهـا
بـأنـهـا قـد أحـبّتْ أرقَـمَـاً ذَكَـرا[2]
رأته خَـشْـفـاً فـأدنَـتْهُ، فـراءَ بـهـا

---

(١) يعني: لا أخذاً ولا رداً.
(٢) الحية فيها بياض وسواد. ويريدها هنا أن تكون: الثعبان.
(٣) راءَ من (رأى - راءةً) - راءَ - يَرْءَ.

شـاةً، فـأنـشبَ فـيـهـا نـابَهُ نَـمِـرا[٣]
مـا زال يـؤمنُ فـيـهـا غـيـرَ مـكـتـرثٍ
بـالـعـاذِلـينَ، فـلـمّـا آمـنتْ كَـفَـرا
جنى علـيـهـا الذي تَـخْشى، وقـاطَـعَـهـا
كـأنّـمـا قـد جـنَتْ مـا لـيس مُـغْـتـفَـرا
كـانتْ وكـان يـرى في خـدّهـا صَـعَـراً
عـنه، فـبـاتت تَـرى في خـدّه صَـعَـرا[١]
فـكـلّـمـا اسـتـعـطـفـتْه ازورّ مُـحْـتَـدِمـاً
وكـلـمـا ابـتـسـمتْ في وجـهه كَـشَـرا
طال الـنِّـفـارُ و«فـرجـيـني» عـلى مَـضَضٍ
تجـرّعَ الأنـقَـعَـيْنِ: الـصّـابَ والـصّـبِـرا[٢]
قـالت، وقـد زارهـا يـومـاً، مُـعـرِّضَـةً:
مـتى، لـعَـمرُك، يَـجـني الـغـارسُ الـثـمـرا؟
كم ذا الـصُّـدودُ ولا ذنبٌ جـنـتْه يـدي
أرجـو بك الـصَّـفْـوَ لا أرجـو بك الـكَـدَرا
تَـركـتَـنـي لا أذوقُ المـاءَ من وَلَـهي
كـمـا تـركتَ جـفـوني لا تَـذوقُ كَـرى
أشْـفِقْ عـلـيَّ ولا تَـنْسَ وعـودَك لي
فـإنّ مـا بيَ لـو بـالـصّـخـرِ لا نـفَـطَـرا
أطـالتِ الـعَـتْبَ تـرجـو أن يَـرقَّ لـهـا
فـؤادُه فـأطـالَ الـصّـمتَ مُـخـتـصِـرا
وأحْـرجـتْهُ لأنّ الـهـمَّ أحْـرجَـهـا
وكـلَّـمـا أحـرجـتْه راغَ مـعـتـذِرا
وضـاق ذَرْعـاً بمـا يُـخـفي فـقـال لـهـا:

---

(١) صَعَر خده: أماله من الكِبْر.

(٢) يريد: النقيعين، لأنهما يُنقَعان في الماء. الصاب: عصارة شجر مرّ (واحدته: صابة). والصبِر: مثله.

إلامَ ألــزمُ فــيكِ الــعِيَّ والحَــصَــرا
أهــواكِ صــاحــبــةً.. أمّــا اقــتــرانُك بي
فــلــيس يــخــطُــرُ في بــالي ولا خَــطَــرا
أهــوى رضــاكِ ولــكنْ إن ســعــيتُ له
أغــضــبتُ نــفــسيَ والــدّيّــانَ والــبَــشَــرا
عــنَــيْتُ مــا ليَ من قــلــبــين في جَــسَــدي
ولــيس قــلــبي إلى قــســمــين مُــنــشــطِــرا
تُــطــالــبِــيــني فــؤادي وهْــوَ مــرتَــهَنٌ
في كفّ غــيــرِكِ، رُمْتِ المَــطْــلبَ الــعَــسِــرا
يــكــفــيكِ أني فــيكِ خُــنتُ إمــرأتي!
ولم يــخُنْ قــلــبُــهــا عــهــدي ولا خَــفَــرا
قــد كــان طــيــشــاً هُــيــامِي فــيك بل نَــزَقــاً
وكــان حــبُّكِ ضَــعــفــاً مــنكِ بل خَــوَرا
قــالت: مــتى صِــرتَ بَــعْلاً؟ قــال: من أَمَــدٍ
لا أحــسَــبُ الــعــمــرَ إلاه وإن قَــصُــرا
يــا هــولَ مــا أبــصــرتْ! يــا هــولَ مــا سمعتْ!
كــادت تُــكَــذّبُ فــيه الــسَّــمعَ والــبَــصَــرا
لــولا بــقــيّــةُ صــبــرٍ في جــوانــبِــهــا
طــارتْ له نــفــسُــهــا من وقْــعِه شَــذَرا
يــا لَــلــخــيــانــةِ! صــاحتْ وهي هــائــجــةٌ
كــمــا تــهــيَّجَ لــيثٌ بــابــنه وُتِــرا
الآن أيــقــنتُ أني كــنتُ واهِــمــةً
وأنّ مــا كلُّ بــرْقٍ يَــصــحَــبُ المــطــرا
وهــبتَ قــلــبك غــيــري وهــو مِــلْكُ يــدي
مــا خِــفْتَ شَــرْعــاً ولا بــالــيتَ مُــزْدَجَــرا
لــيــستْ شــرائــعُ هــذي الأرضِ عــادلــةً

كـان الـضـعـيفُ ولا يـنـفكُّ مُـحـتـقَـرا
قـد كـنتُ أخـشى يـدَ الأقـدارِ تَـصـدَعُـنـا
وكــان أجــدرَ أن أخــشــاكَ لا الــقَــدَرا
وصَـلْـتَـنِي مـثلَ شـمسِ الأفْقِ نـاصـعَـةً
وعِـفْـتَـنِي مـثلَ جُـنحِ الـلـيل مُـعـتـكِـرا
كـمـا تـعـافُ الـسَّـراةُ الـثّـوبَ قـد بَـلـيتْ
خــيــوطُه والــرُّواةُ المَــوردَ الــقَــذِرا
خِـفتَ الأقـاويلَ بي قـد نـام قـائـلُـهـا
هلاّ خـشـيتَ انـتـقـامي وهْـو قـد سـهـرا
يـا سَـالـبي عِـفَّـتِي من قَـبلِ تـهـجـرَني
أُرْدِدْ عـلـيَّ عَـفـافي واردُدِ الـطُّـهُـرا[1]
هـيـهـاتَ هـيـهـاتَ مـا مِن عـفّـتي عِـوَضٌ
لاح الـرّشـادُ وبـانَ الـغَـيَّ وانـحـسـرا...

وأقـبـلتْ نـحـوَه تَـغْـلِي مَـراجـلُـهـا
كـأنـهـا بـركـانٌ ثـار وانـفَـجـرا
في صـدرهـا الـنارُ، نـارُ الحقدِ، مُضْـرَمَةٌ
لـكـنّـمـا مُـقـلـتـاهـا تـقـذفُ الـشَّـرَرا
وأبـصـرَ الـنـصلَ تُـخـفـيه أنـامـلُـهـا
فـراح يـركضُ نـحـو الـبـاب مُـنـذعِـرا
لـكـنـهـا عـاجـلـتْه غـيـرَ وانـيـةٍ
بـطـعـنـةٍ فَـجّـرتْ في صـدره نَـهَـرا
فـخَـرّ في الأرض جـسـمـاً لا حَـراكَ به

(١) أراد: من قبل أن تهجرني.

لـكنَّ «فـرْجـينَ» مـاتتْ قـبـلـمـا احـتُـضِـرا
جُـنَّتْ مِن الـرُّعبِ والأحـزان فـانـتـحـرتْ
مـا حـبَّتِ المـوتَ لـكن خـافتِ الـوَضَـرا

كـانت قُـبـيلَ الـرّدى مـنـسـيـةً فـغـدتْ
بـعـد الحِـمَـامِ حـديثَ الـقـوم والـسَّـمَـرا
تـتـلـو الـفـتـاةُ عِـظـاتٍ في حـكـايـتـهـا
كـمـا يـطـالـعُ فـيـهـا الـنـاشـئُ الـعِـبَـرا

✱✱✱✱

١٩١٤ - ٣٠

[الرّمل]

طُـويَ الـعـامُ كـمـا يُـطـوى الـرَّقـيمْ[١]
وهـوَى في لُـجَّـة المـاضي الـبـعـيـدْ

لم يـكنْ.. بل كـان لـكنْ ذَهَـبـا
وانـقـضَى حـتّى كـأنْ لم يـكُنِ
لـو درى حـين أتى الـمُـنْـقَـلَـبـا[٢]
لَـتـمـنَّى أنه لم يَـبِنِ[٣]
أيُّ نجمٍ شـارقٍ مـا غـرَبـا
أيُّ قـلبٍ خـافقٍ لم يَـسْـكُنِ
جـاهـلٌ من حَـسِبَ الآتي يـدومْ
أحـمـقٌ من حـسِبَ المـاضي يـعـودْ

مـالـنـا يـأخـذُ مـنّـا الـطّـربُ
كـلّـمـا عـامٌ تلاشـى واضْـمَـحلْ
أفَـرِحـنَـا أنـنـا نـقـتـربُ
من غـدٍ؟ إنّ غـداً فـيـه الأجلْ
عـجبٌ هـذا ومـنـه أعـجَبُ
إنّـنـا نَـفـنَى ولا يَـفـنـى الأملْ

---

(١) الرقيم: الكتاب.
(٢) حيث ينقلب مبتعداً.

فـكـأنّـا مـا سـمـعـنـا بـالحُـتـومْ
أو كـأنّـا قـد نـعِـمْـنـا بـالـوجـودْ

يـــا رعَـــاهُ الـــلـهُ من عـــامٍ خَلا
فـلـقـد كـان سَلامـاً وأمـانْ
صـافحَ الجَـحْـفَلُ فـيه الجَـحْـفَلا
واسـتـراحَ الـسـيفُ فـيه والـسِّـنـانْ
مـا انجـلَى حـتى رأى الـنَّـقْـعَ[1] انجـلى
وخـبتْ نـارُ الـوغَى في «الـبـلِـقَـانْ»[2]
لـستُ أنـسى نـهـضـةَ الـشـعبِ الـنَّـؤومْ
إنّ فـيـهـا عِـبـرةً لـلـمـسـتـفـيـدْ

والـتـقَى الـبـحـران فـيـه بـعـدَمـا
مـرَّتِ الأجـيـالُ لا يـلـتـقـيـانْ
أصـبح الـسّـدُّ الـذي بـيـنـهـمـا
تُـرعَـةً يـزخـرُ فـيـهـا الأزرَقـانْ
فـلـتـدُمْ (آمـيـركـا) مـا الـتـطَـمـا
مـا لـهـذا الـفـتْحِ في الـتـاريخ ثـانْ
ولـتـعش رايـتُـهـا ذاتُ الـنـجـومْ
أجـملُ الـرّايـات، أولى بـالخـلـودْ.!

واعـتـلى الـنـاسُ بـه مـتْن الـهـواءْ
فـهُمُ حـول الـدّراريْ[3] يَـمـرحـونْ

---

(١) الغبار (غبار المعارك).
(٢) هي المنطقة الجبلية في جنوب أوروبا وتضم رومانيا وألبانيا وبلغاريا واليونان ويوغوسلافيا وصربيا والجانب الأوروبي من تركية.
(٣) النجوم المضيئة بلون الدر.

يمـخُـرُ المـنـطـادُ فـيـهمْ في الـفـضـاءْ
مـثـلـمـا يمـخُـرُ في الـبـحـر الـسَّـفـينْ
مـعـجـزاتٌ مـا أتـاهـا الأنـبـيـاءْ
لا ولم يـطـمحْ إلـيـهـا الأقـدَمـون
سَـخّـرَ الـعـلـمُ لـهم حـتّى الـغـيـومْ
فـهُمُ، مـثـلُـهُمُ، فـوق الـصَّـعـيـدْ[1]

☆☆☆☆☆

حـلَّقَ الـغـربيّ فـوق الـسَّـمـواتْ
ولـبـثـنـا نـنـدبُ الـرّسـمَ الـمَـحـيـل[2]
فـإذا مـا قـال أهـلُ المـكـرُمَـاتْ
مـا وجـدْنـا، وأبـيـكُمْ، مـا نـقـولْ
لـو فَـقِـهـنـا مـثـلَـهمْ مـعـنـى الحـيـاةْ
مـا أضـعـنـاهـا بـكـاءً في الـطُّـلـولْ
ألـفتْ أنـفـسُـنـا الـضَّـيْـمَ المُـقـيمْ
مـثـلـمـا يـسـتـعذِبُ الـظّـبيُ الـهَـبـيدْ![3]

☆☆☆☆☆

أدركتْ غـايـاتِـهـا كلُّ الـشّـعـوبْ
نـهضَ الـصّـيـنـي ومـا زلْـنـا نِـيـامْ
عـبَـثَتْ فـيـنـا الـرَّزايـا والخـطـوبْ
مـثـلـمـا يَـعـبَثُ بـالحُـرّ الـلِّـئـامْ
صـودِرَ الـكـاتبُ مـنّـا والخَـطـيبْ
مُـنـعـتْ ألـسُـنُـنَـا حـتّى الـكـلامْ

---

(١) الصعيد: التراب، يريد: سطح الأرض.
(٢) المَحيل: حال عليه الحول، يريد الزمان على الإطلاق. يشير إلى بكاء الديار وأطلالها عند الشعراء العرب في القديم.
(٣) الهبيد: الحنظل، أو حَبّه (يُطبخ بعد أن ينقع في الماء لتذهب مرارته)!

نـحن في الـغـفـلـة أصـحـابُ الـرّقـيمْ[1]
نـحن في الـذِّلّـةِ إخـوانُ الـيـهـودْ[2]

☆☆☆☆☆

لـيتَ أنّـا حـينَ مـاتَ الـشّـمَمُ
لحِـقتْ أرواحُـنـا بـالـغـابـريـنْ
مـا تـمـرّدنـا عـلى من ظَـلـمـوا
لا ولم نـفـكُكْ وثـاقـاً عن سـجـينْ
لـيس يمـحـو عـارَنـا إلا الـدّمُ
فـإلى كم نـذرِفُ الـدّمعَ الـسّـخِـين؟
قـام فـيـنـا ألفُ جـبّـارٍ غَـشـومْ
غـيـر أنّـا لم يمتْ مـنّـا شـهـيـدْ

☆☆☆☆☆

يـا لَـقـومي بـلـغ الـسّـيل الـزُّبَـى[3]
واسـتـطـالَ الـبَـغْـيُ واسـتـشـرَى الـفـسـادْ
فـاجـعـلـوا أقلامَـكُمْ بِـيضَ الـظُّـبـا[4]
واسـتـعـيـروا من دم الـبـاغي المِـداد
كـتَبَ الـسـيفُ.. اقـرؤوا مـا كـتَـبـا:
«لا يُـنـالُ المجـدُ إلاّ بـالجـهـادْ»
أيْ رجـالَ الـشّـرقِ أبـنـاءَ الـقُـرومْ![5]
لا تـنـامـوا. آفـةُ المـاءِ الـرُّكـود!!

✱✱✱✱

(١) يشير إلى قصة «أهل الكهف» الذين « لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً» انظر سورة الكهف، في القرآن الكريم (الآية ٩).
(٢) إشارة إلى الآية الكريمة «وضُربت عليهم الذلة والمسكنة » سورة البقرة، الآية ٦١
(٣) الزُّبية: الرابية لا يعلوها الماء.
(٤) الظبة: حد السيف. والجمع: الظبا.

٣١ - بنت الدوالي

[الرجز]

هاتِ اسقِني بالقَدَحِ الكبيرِ
صفراءَ لونَ الذّهب المصْهورِ
كأنها في أكؤس البَلُّورِ
شُعلةُ نارٍ في بقايا نورِ

عجبتُ للكأس التي تَحويها
كيف استقرّتْ والحياةُ فيها
لو لم يُدِرْها بيننا ساقِيها
دارتْ على القوم بلا مُديرِ

هاتِ اسْقنيها مثلَ عينِ الديكِ
صافيةً تنهضُ بالصُّعلوكِ
حتّى يرى التّيهَ على الملوكِ
ولا يُبالي سطوةَ الأميرِ

بنتَ الدّوالي ضَرّةَ الرُّضابِ[١]
أختَ التّصافي زوجةَ السَّحابِ
أنتِ، وإن لام الورى شَرابي
في الخالدَيْنَ: القَرِّ والهَجيرِ[٢]

(١) الرّيق. يريد: طيبه حين يرشفه.

أشــرَبُــهَــا بل أشــربُ الإكــسـيــرا[1]
تَــخْــلُقُ في شــاربــهــا الــسُّــرورا
فــقل لمن يــحــسَــبُــهــا غُــرورا
مــا الــعــيشُ إلاّ ســاعــةُ الــغُــرور

✱✱✱✱

(١) الشراب.

٣٢ - الطيران

[الخفيف]

لـــو رأى «آدمٌ» فـــتـــاهُ لـــزال الْـ
ـــحِـــقـــدُ من قـلـبه عـلى حـوّاءِ
صـيّـر الأرض جـنـةً دونـهـا الجَـنْـ
ـــنَـــةُ في الحُـسْن والـبَـهـا والـرُّواء
مـا أظنّ الـنـعـيمَ فـيه الـذي في الْـ
أرضِ من بـــهـــجـــةٍ ومن لألاء
كلّ مـا في الـوجـودِ لـلـمـرء عَـبْـدٌ
وهـوَ عـبـدُ الـشَّـهْـواتِ والأَهْـواء
كـــائـنٌ كلُّ كـــائـنٍ حـــارَ فـــيه
فـــهـــوَ حُـــلْـــوٌ مُـــرٌّ ودانٍ نـــاء
وهـــوَ طـــوراً يـــكـــون نـــصفَ إلهٍ
وهـــو طـــوراً أدنى من الـعَـجْـمـاء
عـجـبـاً كـيف طـاعَهُ الـطّـينُ والمـا
ءُ ومـا كـان غـيـرَ طـينٍ وماءِ؟
سـادَ في الـكـون مـثـلـمـا سـادَ فـيه
خـالقُ الـكـون مُـبـدعُ الأشـيـاء
فـهـوَ في المـاء سـابحٌ وعـلى الـغَـبْـ
ـــراءِ مـاشٍ وطـائـرٌ في الـفـضـاء
تَـتـخِـذَ الجـوَّ مـلـعـبـاً ثمّ أمـسى
راكـضـاً في الـهـواء ركْضَ الـهـواء

فـهـوَ فـوق الـسّـحـاب يـحـكـيه في مَـسْـ
ـــــرَاهُ لـــكـــــنّه أخـــــو خُـــــيَلاء
وهــوَ بــين الـطـيـور تَـحـسَـبُه الـعَـنْـ
ـقــاءَ لــولا اســتــحــالــةُ الــعــنــقــاء
أبــصَــرَتْهُ فــأكْــبَــرتْ أن تــرى في الـ
ـــجــوّ صــيّــادَهــا عــلى الــغَــبــراء
فــاسْــتــوَى في قــلــوبــهــا الــذّعــرُ حــتى
كــاد يَــحــكي الــبلاءَ خــوفُ الــبلاء
وتــنــاجتْ تَــبــغي الــنــجــاةَ فِــراراً
أين أين المــفــــرُّ مِنْ ذا الــقــضــاء
ويحَ هــذي الــطُّــيــورِ تجــني عــلى المــو
تَى وتــرجــو سِــلْــمَــاً من الأحــيــاء
اِهْــبِــطي أو فــحــلّــقي أو فــســيــري
إنّــمــا المــنــتــهى إلى الأرزاء!

وهــوَ بــين الــنــجــوم يــســتــرقُ الــسّــمـ
ـعَ ولا يــتّــقي رجــومَ الــســمــاء
مــشــهــدٌ روّعَ الــدّراري فــبــاتتْ
حــائــراتٍ في الــقُــبّــة الــزّرقــاء
نــافِــراتٍ كــأنّــهــا ظَــبَــيــاتٌ
رَأتِ الــقــانــصــينَ في الــبــيــداء
ســـــائـلاتٍ أ ذا رســـــولُ سـلامٍ
من بــني الأرض أم نــذيــرُ فــنــاء؟
هــالَــهــا أن تــرى من الإنس قــومــاً
يــتــهــادونَ مــثــلَــهــا في الــفــضــاء
فــرأيتَ الجَــوزاءَ تــشــكــو الــثُّــريّــا
والــثُّــريّــا تــشــكــو إلى الجَــوزاء

لا تُــراعي يــا شــهبُ مــنّــا فــإنّــا
مــا حــمــلْــنــا إلــيكِ غــيــرَ الــولاء
قـد كـرِهْـنـا الـمُـقـامَ في الأرض لـمَّـا
قــيلَ إنّ الــسّــمــا مــقــرُّ الــهــنــاء
إنّــمــا شــوقُــنــا إلــيكِ الــذي أسْـ
ــرَى بــنــا لا الــهُــيــامُ في الإســراء
فَـصِـلـيـنَـا نـزدَدْ غَـرامـاً ووَجْـداً
غــيــرُ مُــسْــتــحــسَنٍ كــثــيــرُ الإبــاء
نــحن يــا شــهبُ في حِـمـاكِ ضـيـوفٌ
وجــمــيلٌ رعــايــةُ الــغُــرَبــاء
أكــرمي ذلكَ المحــلِّقَ فــوق الــسْـ
ــسُـحْبِ يُـثـني عـلـيكِ خـيـرَ ثـنـاء
وأنــيــري طــريــقَه إن دَجــا الــلّــيـ
ـلُ ودبّتْ عــقــاربُ الــظــلــمــاء
صــاغَكِ الــله شــعــلــةً من ضِــيــاءٍ
وبَــرَا المــرءَ شُــعــلــةً من ذَكــاء
تَــخــذِيهِ أخــاً يــكنْ لك عَــوْنــاً
كلُّ نــفسٍ مــحــتــاجــةٌ لـلإخــاء
لا تــفــاخــرْ بــالــواخِـداتِ ولا بــالخَـيْـ
ـلِ من أدهمٍ ومن شَــهْــبــاء[1]
هــانَ عــصــرُ الــنِّــياقِ والــرّاكــبــيــهَــا
عــنــد عــصــرِ الــبُــخــار والــكَــهْــربــاء!

✱✱✱✱

(١) الوخْد: سعة المشي والإسراع فيه.

٣٣ - العاشق المخدوع

[الكامل]

أبـصَـرتُـهـا في الخـمسِ والـعـشْـرِ
فـــرأيتُ أُختَ الـــرِّئمِ والـــبـــدرِ
عــذراءُ لــيس الــفــجــرُ والــدَهــا
وكــأنّــهــا مــولــودةُ الــفَــجْــر
بـــسّـــامـــةٌ في ثـــغـــرهـــا دُرَرٌ
يـهـفـو إلـيـهـا الـشـاعـرُ الـعـصـري
ولـــهـــا قَـــوَامٌ لـــو أُشـــبِّـــهُهُ
بـالـغـصنِ بـاءَ الـغـصنُ بـالـفَـخْـر
مِـثلُ الحَـمـامـةِ في وَداعـتِـهـا
وكـزهـرةِ الـنِّـسْـرينِ في الـطُّـهـر
مـثلُ الحَـمـامـةِ غـيـرَ أنّ لـهـا
صـوتَ الـهَـزارِ ولـفْـتـةَ الـصَّـقْـر

☆☆☆☆☆☆

شـاهـدتُـهـا يـومـاً وقـد جـلـستْ
في الـــرّوض بـــين المـــاءِ والـــزَّهـــر
ويـدُ الـفـتى «هـنـري» تـطـوّقُـهـا
فـحـسـدتُ ذاك الـطّـوقَ في الخَـصْـر
وحـسَـدتُ مـقـلـتَهُ ومَـسْـمَـعَهُ
لجـمـالـهـا وكلامِـهـا الـدُّرِّي
أغـمَـضْتُ أجـفـاني عـلى مـضضٍ
وطـويتُ أحـشـائي عـلى الجَـمْـر

وخَـشِـيتُ أنّ الـوجْـدَ يـسـلُـبـني
حِـلْـمي[1]، ويَـغـلِـبُـني عـلى أمْـري
فـرجـعتُ أدراجي أُغَـالِـبُهُ
بـالـيـأس آونـةً وبـالـصَّـبْـر
ثم انـقـضَى عـامٌ وأعـقـبَهُ
ثـانٍ وذاكَ الـسـرُّ في صـدري
فـعـجـبتُ، مـني كـيف أذكُـرُهـا
وقـد انـقـضى حـولانِ من عُـمـري
خِـلْتُ الـلـيـالي في تـتـابُـعِـهـا
تُـزري بـهـا عـنـدي فـلم تُـزْر
زادتْ ملاحَـتُـهـا فـزِدْتُ بـهـا
كَـلَـفـاً، ومَـوجِـدةً عـلى «هَـنْـري»

وسَـئـمتُ داري وهي واسـعـةٌ
فـتـركـتُـهـا وخـرجتُ في أمـر
فـرأيتُ فـتـيـانَ الحِـمى انـتـظَـمُـوا
كـالـعِـقْـد، أو كـالـعَـسْـكـرِ المَـجْـر[2]
يـتَـفـكَّـهُـونَ بـكلّ نـادرةٍ
وعـلى الـوجـوهِ علائمُ الـبِـشْـر
ساروا فـأعْـجَـبـني تـدفُّـقُـهُمْ
فـتَـبـعـتُـهمْ أدري ولا أدري
مـا بـالُـهم؟ ولأيـةٍ وقـفـوا؟
لمن الـبـنـاءُ يـلـوحُ كـالـقَـصْـر

(١) الحِلم: العقل.
(٢) الجيش العظيم.

أوَّاهُ! هـــــذي دارُ فَـــــاتِـــــنَـــــتِي
من قـــال: مـــا لـــلـــشـــمس من خِـــدْر؟
وعـــرفتُ من «فِـــرْجـــينَ» جـــارتِـــهـــا
مـــــا زادني ضُـــــرَّاً عـــــلى ضُـــــرِّ
قـــد كـــان هـــذا يـــومَ خُـــطـــبـــتِـــهـــا
يـــا أرضُ مِـــيـــدي! يـــا سَـــمـــا خُـــرِّي
ورأيتُ سَـــاعِـــدَهـــا بـــســـاعـــده
فَـــودِدتُ لـــو غُـــيِّـــبْتُ في قَـــبْـــر
وشَـــعـــرْتُ أن الأرضَ واجـــفـــةٌ
تحـــتي، وأنّ الـــنـــارَ في صـــدري
وخـــشِـــيتُ أن الـــوجْـــدَ يـــســـلُـــبـــني
حِـــلـــمي ويـــغـــلـــبُـــني عـــلى أمـــري
فـــرجـــعتُ أدراجي أغـــالـــبُهُ
بـــالـــيـــأسِ آونـــةً وبـــالـــصّـــبـــر

☆☆☆☆☆

قـــالـــوا: الـــكـــنـــيـــســـةُ خـــيـــرُ تـــعـــزيـــةٍ
لمن ابـــتُـــلي في الحبّ بـــالـــهَـــجْـــر
فـــنـــذرتُ أن أقـــضي الحـــيـــاةَ بـــهـــا
وقَـــصـــدتُـــهَـــا كَـــيـــمَـــا أَفِي نَـــذْري
لازمـــتُـــهـــا بَـــدْرينِ مـــا الـــتـــفـــتتْ
عـــيـــنـــي إلى شـــمسٍ، ولا بَـــدْرِ
أتـــلـــو أنـــاشـــيـــدَ الـــنـــبيّ ضُـــحًى
وأطـــالـــعُ الإنجـــيلَ في الـــعَـــصْـــر
حـــيـــنـــاً مع الـــرُّهـــبـــانِ، آونـــةً
وحـــدي، وأحـــيـــانـــاً مع الحَـــبْـــر[1]

(١) الحَبْر: واحد الأحبار من رجال الكنيسة.

في الغابِ فوقَ العشب مضطجعاً
في السّفحِ، مُستنداً إلى الصَّخر
في غرفتي، والريحُ راكدةٌ
بين المَغارسِ، والصَّبَا تَسري
حتى إذا ما القلبُ زايلَهُ
تبريحُه، وصحوتُ من سُكري
وسلوتُها وسلَوتُ خاطبَها
وألِفْتُ عيشَ الضَّنْك والعُسْر
عاد القضاءُ إلى مُحَارَبَتي
ورجعتُ للشكوى من الدّهر

في ضحوةٍ وقفَ النسيمُ بها
متردّداً في صفحَةِ النّهر
كالشاعر الباكي على طَلَلٍ
أو قارئٍ حَيرانَ في سِفْر
والشمسُ ساطعةٌ ولامعَةٌ
تكسو حواشِي النَّهرِ بالتِّبْر
والأرضُ حالِيَةٌ جوانبُها
بالزّهر من قانٍ ومُصْفَرِّ
فكأنّها بالعشب كاسيةٌ
حسناءُ في أثوابها الخُضْر
وعلا هُتافُ الطيرِ إذ أَمِنتْ
بأسَ العُقَابِ وصولةَ النَّسْر
تتلو على أهل الهوى سُوَراً
ليست بمنظومٍ ولا نَثْر

يـحـنـو الـهَـزارُ عـلى ألـيـفَـتِه
ويـداعبُ الـقُـمـريّـةَ الـقُـمْـري[1]
وانْـسَـابَ كلُّ مـصـفّقٍ عَـذبٍ
واهـتـزّ كلّ مُـهَـفْـهَفٍ نَـضْـر
فـتـذكّـرتْ نـفـسي صـبـابَـتَـهـا
مـا أولَعَ المَـهْـجـورَ بـالـذِّكـر
أرسـلتُ طـرفي رائـداً فـجـرى
وجـرى عـلى آثـارِه فِـكْـري
حـتى دوَى صـوتُ الـرئـيس بـنـا
فـهُـرِعتُ والـرهـبـانُ في إثـري
وإذا بـنـا نـلـقى كـنـيـسَـتَـنـا
بـالـوافـدينَ تَـمـوجُ كـالـبـحـر
وإذا «بـهـا» وإذا الـفـتى «هـنـري»
في حُـلّـةٍ بـيـضـاءَ كـالـفـجـر
تـمـشي ويمـشي بـين ذي أدبٍ
حُـلْـوٍ، وبـين مـلـيـحـةٍ بِـكْـر
رفع الـرئـيسُ عـلـيـهـمـا يـدَه
وأنـا أرى ويـدي عـلى صَـدري
يـا قـلبُ ذُبْ! يـا مُـهـجَـتي انـفَـطِـري
يـا طَـرْفُ فِضْ بـالأدمُعِ الحُـمْـر
أغـمـضتُ أجـفـاني عـلى مـضضٍ
وطـويتُ أحـشـائي عـلى الجَـمْـر
وخـشِـيتُ أنَّ الـوجْـدَ يـسـلُـبـني
حِـلْـمي، ويـغـلِـبُـني عـلى أمـري

(١) القُمري: طير أبيض. ومؤنثه قُمرية.

فـــــرجـــــعتُ أدراجـي أغـــــالـــــبُهُ
بـــالـــيـــأسِ آونـــةً وبـــالـــصَّـــبْـــر
وخـــــرجتُ لا ألـــــوي عـــــلى أحـــــدٍ
ورضِـيتُ بـعـد الـزُّهـد بـالـكُـفْـر

أشـــفـــقتُ من هـــمّي عـــلى كَـــبِـدي
وخـشـــيتُ من دمـــعي عـلى نَـــحْـــري
فـكـلِـفْتُ بـالـصَّـهـبـاءِ أشـربُـهـا
في مـــنـــزلي، في الحـــان، في الـــقَـــفْـــر
أبـغي الـشـفـاءَ من الـهـمـوم بـهـا
فـــتَـــزيـــدُني وقْـــراً عـــلى وقْـــرِ[1]
وتَـــزيـــدُني ولَـــعَـــاً بـــهـــا وهـــوًى
وتـــزيـــدُني حِـــقـــداً عـــلى «هَـــنـــري»
قـــال الـــطـــبـــيبُ وقـــد رأى سَـــقَـــمي :
لـــله من فِـــعْل الـــهـــوى الـــعُـــذْري
مـــا لي بـــدائكَ يـــا فـــتى قِـــبَلٌ
الـــسِّـــحـــرُ مـــحـــتـــاجٌ إلى سِـــحْـــر[2]
ومـــضى يـــقـــلّبُ كـــفّهُ أسِـــفَـــاً
ولـــبـــثتُ كـــالمـــقـــتـــولِ في الـــوَكْـــر
مـــا أبـــصـــرتْ عـــيـــنـــاي غـــانـــيـــةً
إلا ذكـــــرتُ إلى الـــــدُّمى فَـــــقْـــــري

وســـــئـــــمتُ داري وهـي واســـــعـــــةٌ
فـــتـــركـــتُـــهـــا وخـــرجتُ في أمْـــر

(١) الثقل.

فـرأيـتُـهـا في الـسـوق واقـفـةً
ودمـوعُـهـا تـنـهلُّ كـالـقَـطْـر
في بُـردةٍ كـالـلـيل حـالـكـةٍ
لَـهَـفي عـلى أثـوابـهـا الحُـمْـر
فَـدنـوتُ أسـألُـهـا وقـد جَـزِعتْ
نـفـسي، وزلـزلَ حـزنُـهـا ظـهـري
قـالت:قـضى «هـنـري»! فـقـلت: قـضى
مـن كـادَ لـي كـيْـداً ولم يَـدْر
لا تـكـرهـوا شـرّاً يُـصـيـبُـكُمُ
فـلَـربّ خـيـرٍ جـاء من شـرِّ
وهـفـا هـواهـا بي فـقـلتُ لـهـا:
قـد حلّ هـذا المـوتُ من أسـري
قـالت: ومن أسـري! فـقـلتُ: إذن
لـي أنتِ؟ قـالتْ: أنت ذو الأمْـر
فـأدرتُ زَنـدي حـول مَـنـكِـبـهـا
ولـثـمـتُـهـا في الـنـحْـر والـثَّـغْـر
وشـفَـيتُ نـفـسي من لـواعِـجِـهـا
وثـأرتُ بـالـتـصـريح من سِـرّي
ثمّ انـثـنـيتُ بـهـا عـلى عَـجَلٍ
بـابَ الـكـنـيـسـةِ جـاعلاً شَـطْـري[1]
وهـنـاك بـاركَـنـي وهـنّـأنِي
مَن هـنَّـؤوا قـبـلِي الـفـتى «هَـنـري»

(١) جعله شطره: اتجه نحوه.

من بـــعـــد شـــهـــرٍ مَـــرَّ لي مـــعـــهـــا
أبـــصـــرتُ وضْحَ الـــشَّـــيبِ في شَـــعَـــري
مـــا كـــنتُ أدري قَـــبلَ صُـــحْـــبَـــتِـــهـــا
أنّ المَـــشـــيبَ يـــكـــونُ في شـــهْـــر
فـــكّـــرتُ في «هـــنـــري» وكـــيف قَـــضى
فـــوجـــدتُ «هـــنـــري» واضـحَ الـــعُـــذْر
يـــا طـــالمـــا قـــد كـــنتُ أحـــسُـــدُه
والـــيـــومَ أحـــسُـــدُه عـــلى الـــقـــبـــر!

✱✱✱✱

٣٤ - أهلها عرب

[مجزوء الوافر]

أقـــــــــاحٍ ذاكَ أم شَـــــــــنَبُ
وريــقٌ ذاكَ أم ضَـــــــــــــرَبُ[١]
ووجْـهٌ ذاك أم قـــــــــمـــــــرُ
وخَـــــــــــــــــدٌ ذاك أم ذهــبُ
جـــمـــالٌ غـــيـــرُ مـــكـــتـــسَبٍ
وبـــعضُ الحُـــسْنِ يُـــكْـــتَـــسَب
ثَـــكـــلْتِ الـــظَّـــرفَ، عـــاذِلـــتي
أهـــذا الحـــسْنُ يُـــجـــتَـــنَب؟
عَـــددْتُ لـــهـــا الـــعـــيـــوبَ ولـــيـ
ـسَ إلاّ الـــــــظَّـــــــرْفُ والأدبُ
فـــتـــاةٌ بـــين مَـــبْـــسَـــمِـــهـــا
وبـــين عُـــقُـــودهـــا نَـــسَب
لـــواحـــظُـــهـــا نمـــتْـــهـــا الـــهِـــنْـ
ـــدُ لـــكـنْ أهـــلُـــهـــا عَـــرَب
مـــرنَّـــحـــةٌ إذا خـــطـــرتْ
رأيتَ الـــغـــصنَ يَـــضـــطَـــرب
مـــشـتْ ووَنَـتْ روادِفُـــهـــا
فـــكـــاد الخَـــصْـــر يَـــنْـــقَـــضِب[١]

---

(١) الضرَب: العسل الأبيض. والشنب: صفة في الأسنان: برودتها.

يُـــسَـــرُّ الـــعَـــاذِلـــون إذا
نـــأتْ ويَـــعـــودُني الـــوَصَب[1]
ويـــصـــطَـــخـــبـــون إن قَـــرُبتْ
وعـــنـــدي يَـــحُـــسن الـــطَّـــرَب
فـــأبـــكي كـــلّـــمـــا ضَـــحـــكـــوا
وأضـــحكُ كـــلّـــمـــا غَـــضِـــبـــوا!

✱✱✱✱

(١) الوجع.

٣٥ - صاحب القلم

[البسيط]

أشقى البريّةِ نفْساً صاحبُ الهِمَمِ
وأتعَسُ الخَلْقِ حظّاً صاحبُ القلمِ
عافَ الزّمانُ بني الدّنيا وقيّدَهُ
والطّيرُ يُحبَسُ منها جيّدُ النَّغم
وحكّمتْ يدُه الأقلامَ في دَمِه
فلم تَصُنْه ولم يَعدِلْ إلى حَكَم
فيا له عاشقاً طابَ الحِمام له
إن المحبَّ لَمَجنونٌ فلا تَلُم
لكلّ ذي همّةٍ في دهره أَمَلٌ
وكلُّ ذي أَمَلٍ في الدّهر ذو أَلَم
ويلَ الليالي لقد قلّدْنَني ذَرِباً
أدنى إلى مُهجتي من مهجة الخَصِمِ[1]
ما حدَّثتنيَ نفسي أن أحطّمَهُ
إلاّ خشِيتُ على نفسي من النّدم
فكلَّما قلتُ: زُهدي طاردٌ كَلَفي
رجعتُ والوجْدُ فيه طاردٌ سَأمِي
يأبى الشَّقاءُ الذي يَدعونه أدباً
أن يَضحكَ الطِّرسُ إلاّ إنْ سفكتُ دَمي
لقد صحِبتُ شبابي واليَراعَ معاً

(١) اللسان الذرِب: الحادّ (ذرِب لسانه - يذرَب: فصُح).

أودى شبابي.. فهل أُبقي على قلمي
كأنّما الشَّعَراتُ البيضُ طالعةً
في مَفْرِقي، أنجُمٌ أشرقْن في الظُلَم
تَضاحكَ الشّيبُ في رأسي فعرَّضَ بي
ذو الشّيبِ عند الغواني موضعُ التُّهَم
فكلُّ بيضاءَ عند الغِيد فاجعةٌ
وكلُّ بيضاءَ عندي ثَغْرُ مُبتَسِم
قل للّتي ضحكتْ من لِمَّتِي: عجباً
هل كان ثَمَّ شبابٌ غيرُ منصرِم؟
أصبحتُ أنْحَلَ من طيفٍ، وأحْيَرَ من
ضَيفٍ، وأسْهَرَ من راعٍ على غَنَم
وليلةٍ بِتُّ أَجني من كواكبها
عِقداً كأنّي أنالُ الشُّهْبَ من أَمَم[1]
لا ذاقَ جَفْنِي الكَرى حتى تنالَ يدي
ما لا يفوزُ به غيري من الحُلُم
ليس الوقوفُ على الأطلال من خُلُقي
ولا البكاءُ على ما فاتَ من شِيَمي
لكنّ (مصراً)، وما نفسي بناسيةٍ
مليكةَ الشَّرقِ ذاتَ النِّيل والهَرَم
صَرَفتُ شطرَ الصِّبا فيها فما خَشِيتْ
نفسي العِثَارَ، ولا نفسي من الوَصَم
في فتيةٍ كالنجوم الزُّهرِ أوجهُهُمْ
ما فيهمُ غيرُ مطبوعٍ على الكرم
لا يقبِضون مع اللأواءِ أيديَهمْ

(١) يعني: طوع يده (من أمامه).

وقــلّــمــا جــاد ذو وَفْــرٍ مع الأَزَم[٢]
حـسـبي من الـوَجْـدِ همٌّ مـا يُـخـامِـرُني
إلاّ وأشْــرقَــني بــالــبــارد الــشَــبِم[١]
في ذمّــةِ الــغــرب مــشــتــاقٌ يُــنــازعه
شــوقٌ إلى مَــهــبِطِ الآيــات والحِــكَم
مــا تــغــرُب الــشــمسُ إلاّ أدمــعي شَــفَقٌ
تَـنـسَى الـعـيـونُ لـديه حُـمـرةَ الـعَـنَم[٢]
ومــا سَـرتْ نـسَـمَـاتٌ نـحـوَهـا سَـحَـراً
إلاّ ودِدْتُ لــو اَني كــنتُ في الــنَّــسَم
مـا حـالُ تـلك الـمَـغـاني بـعـد عـاشِـقـهـا
فــإنّــني بــعــدَهــا لــلــهمِّ والــسَّــقَم
جــادَ الــكــنــانــةَ عــنّي وابلٌ غَــدَقٌ
وإن يكُ الــنّــيل يُــغــنــيــهــا عن الــدِّيَم
الــشَّــرقُ تــاجٌ، ومــصــرٌ مــنــه دُرّتُهُ
والـشَّـرقُ جـيشٌ، ومـصـرٌ حـاملُ الـعَـلَم
هــيــهــاتَ تَــطــرُفُ فــيــهــا عــينُ زائــرِهــا
بــغــيــر ذي أدبٍ أو غــيــرِ ذي شَــمَم
أحــنَى عــلى الحُــرِّ من أمٍّ عــلى ولــدٍ
فــالحُــرُّ في مــصــرَ كــالــورْقَــاءِ في الحَـرَم[٣]
مــا زلتُ والــدّهــرُ تــنــبــو عن يــدي يــدُه
حــتى نــبتْ ضِــلّــةً عن أرضــهــا قَــدَمي[٤]
أصــبــحتُ في مــعــشــرٍ تَـقْـذى الـعـيـونُ بـهم

---

(١) الشَبِم: البارد (تأكيد للماء البارد).
(٢) العنم: أطراف الخرنوب الحُمر، أو هو الزُّعرور.
(٣) الورقاء: الحمامة.
(٤) الضلّة: الغيبوبة في خير أو شر.

شــرٌ من الــدّاء في الأحــشــاء والــتُّــخَم
مــا عــزَّ قــدْرُ الأديب الحُــرِّ بــيــنــهمُ
إلاّ كــمــا عــزَّ قــدْرُ الحيِّ في الــرِّمَم
من كلّ فَظٍّ يُـريك الـقِـرْدَ مـحـتـشِـمـاً
ويـضـحكُ الـقـردُ مـنه غـيـرَ مُـحـتَـشِم
إذا بَـــصُـــرْتَ به لا فـــاتَـهُ كَـــدَرٌ
رأيتَ أســمـجَ خـلْقِ الـلـه كـلّـهِمِ
من الأعــارِبِ لــكنْ حــين أُنــشــدُه
جـواهـرَ الـشّـعـرِ ألـقـاهُ من الـعَـجَم
مــا إنْ تُــحــرّكُهُ هــمّــاً ولا طَـرَبــاً
كـأنّـمـا أنـا أتـلـوهـا عـلى صَـنَم
لا عـيبَ في مـنـطـقي لـكنْ به صـمَمٌ
إنّ الـصَّـوادِحَ خُـرْسٌ عـنـدَ ذي الـصّـمم
حَـجَـبتُ عن كلّ مـعـدومِ الـنُّـهى دُرَري
إني أضِنُّ عـلى الأنْـعَـام بـالـنِّـعَم
قـومٌ أرى الجـهلَ فـيـهمْ لا يـزال فـتًى
في عُـنـفـوانِ الـصِّـبـا، والـعِـلْمَ كـالـهَرَم

✱✱✱✱

٣٦ - إلى الله راجعون

[مخلع البسيط]

بـــيـــني وبـــين الـــعـــيـــون سِـــرٌّ
الـــلـــهَ في الـــسِّـــرّ والـــعـــيـــونْ
إذا عـــصَتْ فِـــكـــرتي الـــقـــوافي
أوحتْ لـــنـــفـــسي بـــهـــا الجُـــفـــونْ
هـــات اســـقِـــني الخـــمـــرَ جَـــهْـــرا
ولا تـــبـــالِ بمـــا يـــكـــونْ
إن كـــان خـــيـــرٌ أو كـــان شـــرٌّ
إنّـــا إلى الـــلـــه راجـــعـــونْ!!

✱✱✱✱

٣٧ - نزوة ألم

[الوافر]

دَعِي لَـــومِي وقَـــاكِ الـــلهُ مـــا بي
فـــغـــيـــرُ الحُـــرّ أولى بـــالـــعِـــتـــابِ
إلى كم تَـــعـــجَـــبـــينَ من انـــفـــرادي
وكم ذا تَـــعـــذُلـــينَ عـــلى اكْـــتِـــئـــابي
وإنكِ لـــو خَـــبَـــرْتِ الخَـــلْقَ خُـــبْـــري
زهـــدتِ الخَـــلْقَ زُهْـــدَ أبي تُـــراب[١]
هُـمُ إمّـــا غَـــبيٌّ لـــيس يَـــدري
وذو عِـــلمٍ وَلَـــوعٌ بـــالـــتَّـــغَـــابي
لـــهـمْ صُـــوَر الملائكِ والأَنـــاسي
وأخـلاقُ الأبـــالسِ والـــذِّئـــاب
أَعـــاذلَ، ربمـــا مـــرَّت بـــرأسي
خـطـوبٌ لا يَـمُـرُّ بـهـا حِـسـابي
أبتْ نـفـسي الـنـزولَ إلى الـدَّنـايـا
وقـلـبي أن يمـيلَ إلى الـتَّـصَـابي
فـمـا دانـيتُ أقـداحَ الحُـمَـيَّـا
ولم أهْـمِمْ بـغـانـيـةٍ كَـعَـاب[٢]
ومـا مـنَـعَ الـزَّهـادةَ فيَّ أنّي
حـديـدٌ نـاظـري، غضٌ إهـابي

---

(١) كنية للإمام علي بن أبي طالب

(٢) الحميَّا: الخمرة. والكعاب: التي كَعَب ثديها (بدا للنهود).

وما كان الشبابُ ليَزْدَهيني
لأني ما أمِنتُ على شبابي
أضِنُّ به على الشَّهَوات ضِنّي
على «هِنْدٍ» بشِعْري «والرَّباب»
ربيعُ العُمْر إن يذهبْ جُزافاً
أكُنْ من بعده صِفْرَ الوِطاب[1]
ذَريني أضطربْ في الأرض، إني
رأيتُ السَّيفَ يصدأُ في القِراب[2]
وما أنا بالغَريبِ الدَّارِ وحْدي
فكلُّ الناس عندي في اغْتِراب
أفكِّرُ كيف جئتُ، وكيف أمضي
على رغمي، فأَعْيا بالجواب
أتيتُ ولم أكن أدري مَجيئي
وأذهبُ غيرَ دارٍ بالإياب
إذا كان المَصيرُ إلى التلاشي
فلِمْ جئنا وكنّا في حِجَاب؟
وإن كان المصيرُ إلى خُلودٍ
فما معنى المنيةِ والتَّباب؟[3]
أمورٌ لا يُحيطُ بهنّ فِكْرٌ
ولو أمسى يُحيط بكلِّ باب
أرِقْتُ لها وأصحابي هُجودٌ
بليلٍ مثلِ خافيةِ الغُراب[4]

(١) الوِطاب: سقاء اللبن – آنية الزاد (ومثله: الوَطَب).
(٢) القِراب: غمد السيف والسكين (الجمع: قُرُب).
(٣) التباب: الهلاك.
(٤) خافية الغراب: ريشة تختفي تحت جنح كل طائر.

سَـــجـــا فـــازْوَرَّتِ الأقـــمـــارُ ذُعـــراً
كـمـا رُعتَ الحَـمـائمُ بـالـعُـقَـاب[1]
فـــبتُّ أبـــثُّـــهـــا هـــمّي وبـــاتتْ
مُـــسـهَّـدةً كـأن بـــهـــا مُـــصـــابي
وألحـــظُـــهـــا زهـــوراً في ريـــاضٍ
وأقـــرؤهـــا حُـــروفـــاً في كـــتـــاب
ومـــا هـــمّي سِـــوى شـــعبٍ تـــعـــيسٍ
شـــتـــيتِ الـــشَّـــملِ جمِّ الإضْـــطِـــراب
يـــحـــاول رِزْقه في المُـــدْن آنـــاً
وآنـاً في الـسَّـبـاسبِ والـهـضـاب[2]
ولـــو عـــرفَ الـــسَّـــحـــابَ يُـدرِّ مـالاً
لأصـبح راكـبـاً مَـتْن الـسَّـحـاب
رمـــتْه الحَـــادثـــاتُ بـــكل ســـهْمٍ
وخـــدَّشه الـــزمـــانُ بـــكلِّ نـــاب
فـــراحَ كـــأنمـــا هـــو شَـــعْب مـــوسى
غـداةَ الـتّـيه في الـقَـفْـر الـيَـبـاب[3]
نـــأى عن أرض مـــصـــرَ حِـــذارَ ضـــيمٍ
فـــفـــرَّ من الـــعـــذاب إلى الـــعـــذاب

بَـــلـــيَّـــتُـــنـــا صَـــحـــافيٌّ مُـــراءٍ
يُـــداجـــيـــنـــا ومـــاليٌّ مُـــرابِ
وصـــحـفٌ لـستُ أدعـوهـا بـصـحـفٍ
فـمـا هيَ بـالـقـشـور ولا الـلُّـبَـاب

(١) سجا الليل: سكن وامتدّ.
(٢) السبسب: المفازة الواسعة، لا شيء فيها.

أرى أنـــهـــارَهـــا فـــأظنُّ مـــاءً
كـذاك الـعَـينُ تُـخـدَعُ بـالـسَّـراب
فـلم أعـثُـرْ عـلى لـفظٍ سـلـيمٍ
ولم أظـفَـرْ بمـعـنىً مُـسْـتَـطـاب
ولا حُـــسْـنٌ هـــنـــاك ولا رُواءٌ
وأنّى الحُـسنُ لـلـطـلَلِ الخَـراب[1]
فـإنْ تَـشْكُ من الـقُـرّاء عـابـاً
شـكـا الـقـراءُ مـنـهـا ألفَ عـابِ[2]

☆☆☆☆☆☆

ذوي الأقلامِ إنّـا في احـتـيـاجٍ
إلى غـيـرِ الـشَّـتـائمِ والـسِّـبَـاب
فـهل من قـائـدٍ فـيـكمْ حـكـيمٍ
يَـسـيـرُ بـنـا إلى الـقَـصْـد الـصَّـواب
فـنـظـفـرَ بـالـرجـاء عـلى يـديْه
ويـظـفـرَ بـالأمـاني والـثَّـواب!

✱✱✱✱

(١) الرُّواء: المنظر.
(٢) العاب: العيب.

٣٨ - الكأسان

[الرجز]

كـــــانَ عـــــلى خِـــــوانِ ربِّ المـــــالِ
كـــــأســـــان: مـن خـــــمـــــرٍ ومـن زُلال[١]
هَـــاتـــيكَ في الحُـــمـــرةِ مـــثلُ الـــعَـــنْـــدم[٢]
وتـــلك في بـــيـــاضِـــهـــا كـــالـــدّرهمِ
فـــقـــالتِ الـــسُّلافـــةُ الـــثّـــرثـــارهْ
عـــنـــديَ حـــديثٌ فـــاسْـــمَـــعي يـــا جـــارهْ
أنـــا الـــتي تَـــخـــضَـــعُ لي الـــرّؤوسُ
أنـــا الـــتي يـــعـــبُـــدني الـــمَـــجـــوسُ
كم قـــائـــدٍ أضـــحـــكتُ مـــنه جُـــنْـــدَهُ
وســـيّـــدٍ حـــكَّـــمتُ فـــيه عـــبـــدَهُ!
ومَـــلِكٍ أســـقـــطتُ عـــنه الـــتّـــاجـــا
وســـاكنٍ هَـــيّـــجـــتُهُ فـــهـــاجـــا
وزوجـــةٍ عـــلّـــمـــتُـــهـــا الخـــيـــانهْ
ووالـــدٍ أنـــســـيـــتُه الأمـــانهْ
وحـــدَثٍ خـــدَعـــتُه فـــانْـــخَـــدَعـــا
حـــتّى إذا مـــا شبَّ عضَّ الإصـــبَـــعَـــا
إنّ الـــغـــنَى والـــصّـــيتَ والـــذّكـــاءَ
مـــتى أُرِدْ صـــيّـــرتُـــهَـــا هَـــبـــاءَ

---

(١) الماء الزلال: الصافي.

(٢) العندم: نبات يُستخرج منه صباغ أصفر.

فسَمِعَ الماءُ فهاجَ غَضَبا
وقال: مهلاً، بلغ السّيلُ الزُّبَى[1]
إنْ تفخري، يا جارتي، بالشّرِّ
فإنّ بالفعل الجميلِ فخْري
أنا الذي تُغْسَلُ بي الكُلومُ[2]
ويَرتوي الظّامئُ والمَحْمومُ
يُحبُّني المالِك والمملوكُ
والسّيدُ المُطاعُ والصُّعلوكُ
حيث أكونُ جارياً يكونُ
اَلوَرْدُ والأَقاحُ والنِّسْرينُ
إنّ المروجَ الخضرَ لا يُحييها
غيرُ وجودي حولَها وفيها
كم سِرتُ في الوادي وفي الغَدير
على شبيه الدُّرّ والكافورِ[3]
وجلس العشاقُ حولي في السَّحَرْ
على بساطِ العُشْب في ضوءِ القمرْ
كم اشتهَوا، إذ سمعوا خَريري،
لو أنني أسيرُ في الصُّدورِ
أنا الذي لولاهُ مات الناسُ
والطيرُ والأسماكُ والأغْراسُ
يا خمرُ كَمْ ذا تدّعينَ الفَضْلا

(١) يقال: بلغ السيل الزبى: أي اشتد الأمر، والزُّبية: الهضبة التي لا يصل إليها الماء.
(٢) الجراح (مفردها: كَلْم).
(٣) نبات له زهر أبيض.

وبـــــالمـــــيـــــاهِ تُـــــقْـــــتَـــــلـــــينَ قَـــــتْلا
وأمُّك الـــــكَـــــرْمَـــــةُ يـــــا صَـــــهْـــــبـــــاءُ[1]
مـــــا وُجِـــــدتْ في الأرض لـــــولا المـــــاءُ!

✱✱✱✱

(١) الخمرة للونها الأصهب.

٣٩ - أقوى من الشيب والهرم

[البسيط]

مـــا زلتُ أحـــسَبُ أنَّ الحبَّ زايـــلَـــني
حـتى نـظـرتُ إلـيـهـا وهْي تَـبْـتـسمُ

☆☆☆☆☆

فـاهـتـزّ قـلـبي كـمـا تَـهـتـزُّ نـابـتَـةٌ
في الـقـفـر مرَّ عـلـيـهـا الـنُّورُ والـنَّسَمُ[1]

☆☆☆☆☆

يـا حُـبَّـهـا لا تَـخفْ شـيـبـاً ولا هَـرَمـاً
فـلـيس يـقـوى عـلـيكَ الـشَّـيبُ والـهَـرَمُ

✱✱✱✱

(١) النَسَم والنسَمة: نَفَس الروح.

٤٠ - لأرفعنَّ للسَّما احتجاجي

[الرجز]

جاء الشتاءُ جِيْئَةَ المُفاجِي
كأنّما قد كان في الرِّتاجِ
فجمَدَ السائلُ في الزُّجاج
واكتَستِ الأرضُ بمثل العاج
فامتنعَ المَرْعى على النِّعاج
وامتنع الحَبُّ على الدَّجاج
وامتَنَع السّيرُ على النّواجي[١]
رُبَّ جوادٍ لاحقٍ هِمْلاج[٢]
مُعوَّدِ الإلجام والإسراج
والوخَدِ والذَّميلِ والإهماجِ[٣]
أصبح مثلَ العِرْقِ في اختلاج
مُنعرِجاً في غيرِ ذي انعراج
لو هاجَه الرّاكبُ بالكُرباج
لما مشى به سوى اعوِجاج
لولا الجليدُ طار بالمِهْتَاج
مثلَ البُراقِ بفتى المِعْراج

---

(١) الناجية: الناقة السريعة التي تنجو بمن يركبها (وجمعها: النواجي).
(٢) حسن السير في سرعة وبخترة.
(٣) الوخد والذميل والإهماج: ضروب من عدو الإبل.

وحَـــــطّهُ والـــــشـــــمسُ في الأبـــــراج
لـــكـــنه مـــنه عـــلى الـــزّجـــاج[1]

وأمـــسكَ الـــنـــاسُ عن الـــلِّـــجَـــاج
أمـــا تـــرى نـــداءَهُمْ تَـــنَـــاج
كـــأنّـــمـــا الجـــمـــوعُ في الـــمَلاجي
عـــلى « مِـــنى » مـــواكبُ الحُـــجّـــاج
ورغِبَ الـــمُـــثْـــري عن الـــدِّيـــبـــاج
إلى الـــلِّـــبـــاس الخَـــشنِ الـــنِّـــسّـــاج
وكـــان أنْ جيء لـه بـــالـــتّـــاج
أعـــرضَ عـــنـــه وارِمَ الأوداج[2]

وانـــقَـــبضَ الـــنـــهـــرُ عن الـــهِـــيَـــاج
وكـــان مـــثلَ الـــزّاخـــرِ الـــعَـــجّـــاج
يـــصـــارعُ الأمـــواجَ بـــالأمـــواج
يـــا مـــسَـــبحَ الإوزّ والـــدُّرّاج
كـــيف غـــدوتَ مـــوطئ الأحـــداج[3]
ومَـــعْـــبَـــرَ الخَـــلْقِ إلى الخَـــراج؟

مـــا ليَ والـــصّـــبحُ عـــلى انْـــبِلاج
أخـــبِطُ كـــالـــعـــشـــواءِ في الـــدَّيـــاجي
إذا أردتُ الـــسّـــيـــرَ في مِـــنْـــهـــاجي

---

(١) بسبب الجليد.
(٢) الوَدَج: عِرْق في العنق (وهما ودَجان).
(٣) الحِدْج: المحفّة، من مراكب النساء.

طـــــالَ عِـــــثـــــاري فـــــيه وانـــــزلاجي
كـــــأنـــــني أمـــــشي عـــــلى زِجـــــاج
مـــحـــتـــذيـــاً بـــالـــزّئـــبق الـــرَّجْـــرَاج
خُـــــيّل لـي، لـــــشـــــدّة ارتجـــــاجي
أنّ دمـي يـــــــــرتجّ فـي أوشَـــــــــاجِي[1]
أرى الـــدُّنـــا ضـــيّـــقـــةَ الـــفِـــجَـــاج
ولم تـــضِقْ، لـــكـــنّـــمـــا احـــتـــيـــاجي
إلى طـــــريقٍ واضحِ الـــــشِّـــــجـــــاج[2]
أســـلُكُ فـــيه غـــيـــرَ مـــا انـــزعـــاج
وحـــاجـــتي بـــالـــكـــوكب الـــوهّـــاج
كـــحـــاجـــةِ الأعـــمى إلى سِـــراج!
إن لـجّ هـــذا الـــقُـــرُّ في إحـــراجي
لأرفـــعنّ لـــلـــسّـــمـــا احـــتـــجـــاجي!

✱✱✱✱

(١) وشج وشْجاً ووشيجاً: تداخل وتشابك. والوشائج: عروق الأذنين.
(٢) أصل الشجّة: الجرح في الوجه والرأس، وجمعه شِجاج. يريد هنا: المسالك.

٤١ - أنتم معي

[الكامل]

في المـــنـــزلِ المـــهـــجـــورِ أذكـــركُمْ
فـــإخَـــالَـــنِي في جـــنّـــةِ الخُـــلْـــدِ

أنـــــتم مـــــعي فـي كلّ آونـــــةٍ
والـــنّـــاسُ تَـــحـــسَبُ أنّـــني وحْـــدي!

٤٢ - الحرب العظمى

[الكامل]

لـو أستـطـيعُ كـتـبتُ بـالـنـيـرانِ
فـلـقـد عَـيـيتُ بـكُمْ وَعَيَّ بـيـاني
ولـكِـدتُ أسـتـحْـيي الـقـريضَ وأتّـقي
أن يـسـتـريبَ يَـراعَـتي وجَـنـاني
أمـسَى يُـعـاصِـيـني لِـمـا جَـشّـمـتُه
فـيـكمْ، وكـنتُ وكـان طـوعَ بـنـاني
يـشـكـو إليَّ وأشـتـكي إعـراضَـكُمْ
الـلـهَ في عـانٍ يـلـوذُ بـعَـانِ
عـاهـدتُهُ ألا أُثـيـرَ شُـجـونَه
أو يـسـتـثـيـرَ كـوامنَ الأشـجـان
يـا طـالمـا اسْـتَـبـكـيـتُه فـبـكَى لـكُمْ
لـولا الـرّجـاءُ بـكـيـتُه وبـكـاني
كم لـيـلـةٍ أحـيـيـتُـهـا مُـتـمـلـملاً
طـرْفي وطَـرْفُ الـنّـجم مُـلـتـقـيـان
تحـنـو عـلى قـلـمي يمـيـني، والـدُّجى
حـانٍ عـلى الـفَـتَـيـاتِ والـفـتـيـان
أجـلـو عـرائـسَه لـكم وأزُفُّـهـا
مـا بـين بِـكـرٍ كـاعبٍ وعَـوَان[1]
مـتـألـماً فـيـكمْ وفي أبـنـائـكمْ
وهـمُ وأنـتم نـائـمـو الأحـزان

(١) العَوان: النّصَف (الجمع: عُون).

مـا غـالَ نـومي حُبٌّ مـعـسـولِ الـلّـمى
ممـــنـــوعه، لـــكنْ هـــوى الأوطـــان
أنـفـقتُ أيّـامَ الـشـبـاب عـلَـيـكُمُ
في ذمّـة المـاضي الـشـبـابُ الـفـاني

☆☆☆☆☆

كم تـســألــوني أن أُعـيـدَ زمـانَه
يـــا قـــومُ، مَـــرّ زمـــانُه وزمـــاني
هـانَ الـيـراعُ عـلى الـبـواتـر والـقَـنـا
مـــا تـــصـــنعُ الأقلامُ بـــالـــمُـــرَّان[1]
لـيس الـكلامُ بـنـافعٍ أو تـغـتـدي
حُـمْـرُ المَـضـاربِ خـلْفَ كلِّ لـسـان[2]
والـــشـــعبُ لـــيس بمـــدركٍ آمـــالَهُ
حـتى يـسـيـرَ عـلى الـنّـجـيع الـقـاني!.

☆☆☆☆☆

صَلَّ الحـديـدُ وشَّـمَـرتْ عن سـاقـهـا
وتـــنـــكَّـــرَ الإخـــوانُ للإخـــوان[3]
فـالخـيلُ غـاضـبـةٌ عـلى أرسَـانـهـا
والـبِـيضُ غـاضـبـةٌ عـلى الأجـفـان[4]
والمـــوتُ من قُـــدّامِـــهمْ ووراءِ هـمْ
والـــهَـــوْلُ كلَّ ثـنـيّـةٍ ومَـكـان
بـسَـطَتْ جـنـاحـيـهـا ومـدّتْ ظـلَّـهـا
فـإذا جـنـاحـا الـسَّـلمِ مَـقـصُـوصـان

---

(١) المُرّان: الرماح (واحدها: مرّانة).
(٢) المِضرَب: ما ضُرب به، والجمع: مضارب.
(٣) صَلّ وصلصل: صوّت.

تَـغـشَى مـواكـبَـهـا ثلاثُ غـيـاهبٍ
من قَـسْـطَلٍ ودُجُـنَّـةٍ ودُخـان[1]
ويـردّ عـنـهـا كلَّ خـائضِ لُـجَّـةٍ
سَـيْلانِ: من مـاءٍ ومن نـيـران
أنّى الـتَـفَتَّ رأيتَ رأساً طـائـراً
أو مـهـجـةً مـطـعـونـةً بـسِـنـان
يمـشي الـردّى في إثـر كلّ قـذيـفـةٍ
فـكـأنّـمـا تَـقْـتـادُه بـعِـنـان
فـالجـوُّ ممّـا فـاضَ من أرواحـهمْ
لا تـسـتـبـينُ نُـجـومَه عَـيـنـان
والـنـهـرُ ممّـا سـالَ من مُـهَـجـاتـهمْ
يـجـري عـلى أرضٍ من المَـرْجـان
والأرضُ حـمـراءُ الأديمِ كـأنّـهـا
خـدُّ الحـيـيّـةِ أو خَـضـيبُ بَـنـان
كم من مُـبـيحٍ لـلـضـيـوفِ طـعـامَه
أمـسى طـعـامَ الأجْـدَلِ الـغَـرْثـان[2]
ومـقـاتلٍ نـاشَ الـكـتـيـبـةَ، نـاشَهُ
ظُـفْـرُ الـعُـقـابِ ومِـخْـلَبُ الـسِّـرحـان
ومُـحـلّقٍ بـين المَـجَـرّةِ والـسُّـهـا
صـعَـد الحِـمـامُ إلـيه في الـطَّـيَـران
ومُـشَـيَّـدٍ وقف الـزمـانُ حِـيـالَه
مُـتـحـيّـراً بـجَـمـاله الـفـتَّـان

(١) القسطل: الدخان.
(٢) الأجدل: الصقر، والغرثان: الجائع.

أخـــنَى عـــلى ذِكْـــر «الخَـــوَرْنَقِ» ذِكْـــرُهُ
وســـمـــا عـــلى «الحـــمـــراء» و«الإيـــوان»[1]
وقـضى الـعـصـورَ الـنـاسُ في تـشـيـيده
أودتْ به مـــــقـــــذوفـــــةٌ وثَـــــوان
ومـــديـــنـــةٌ زهـــراءُ آمـــنـــةُ الحِـــمى
هُـدمَتْ مـنـازلُـهـا عـلى الـسـكّـان
خَرِستْ بلابلُـها الـشـوادي في الـضُّحى
وعَلا صَـيـــاحُ الـبُـومِ والـغِـرْبـــان
وتـعـطـلّتْ جـنّـاتُـهـا وقُـصـورُهـا
ولـقـد تـكـون بـغـبـطـةٍ وأمـــان
حـــربٌ أذلَّ بـــهـــا الـتّـــمـــدُّنُ أهـــلَهُ
وجـنَى الـشـيـوخُ بـهـا عـلى الـشُّـبـان
سـحقَ الـقـويّ بـهـا الـضـعـيفَ وداسَه
ومـــشـى عـــلى أرضٍ من الأبـــدان
بـئسَ الـوغى، يـجـني الجـنـودُ حُـتـوفَـهمْ
في سـاحِـهـا، والـفـخـرُ لـلـتـيـجـان
مـا أقـبحَ الإنـســانَ يـقـتلُ جـارَه
ويـقـول هـذي سُـنّـةُ الـعِـمـران
بَـليَ الـزمـانُ وأنت مـثـلُك قـبـلَه
يـا شِـرْعـةً قـد سَـنّـهـا الجَـدَّان
فـالـقـاتلُ الآلافِ غـازٍ فـاتحٌ
والـقـاتلُ الجـاني أثـيـمٌ جَـان
لا حقَّ إلا مـا تـؤيّـدُه الـظُّـبـا
مـا دام حبُّ الـظـلْمِ في الإنـسـان

(١) (الخورنق والسدير): قصرا المنذر في الحيرة، و(الحمراء) في غرناطة. والإيوان (إيوان كسرى) في العراق.

لـو خُـيِّـر الـضـعـفـاءُ لاخـتـاروا الـرَّدى
لـــكنّ عـــيشَ الأكـــثـــرينَ أَمَـــاني

☆☆☆☆☆☆

مـــا بـــالُ قـــومي نـــائـــمـــين عن الـــعُلا
ولـــقـــد تـــنـــبّه لـــلـــعُلا الـــثَّـــقَلان
تُـــبَّـــاعُ أحـــمـــدَ والمـــســـيحِ، هـــوادةً
مـــا الـــعـــهـــدُ أن يـــتـــنـــكّـــر الأخَـــوان
الـــلـــهُ ربُّ الـــشـــرعـــتَـــين وربُّـــكُمْ
فـــإلى مـــتى في الـــدّين تَـــخـــتـــصِـــمـــان؟
مـــهـــمـــا يـــكن من فـــارقٍ، فـــكلاكـــمـــا
يُـــنْـــمَى إلى قـــحـــطـــانَ أو غـــسّـــانِ[1]
فـــخـــذوا بـــأســـبـــاب الـــوِفـــاقِ وطـــهّـــروا
أكـــبـــادَكمْ من لُـــوثـــةِ الأضْـــغَـــان
في مـــا يَـــحـــيقُ بـــأرضـــكُم ونـــفـــوسِـــكُمْ
شُـــغْـــلٌ لمـــشـــتَـــغِلٍ عن الأديـــان
نِـــمـــتُمْ وقـــد ســـهـــرَ الأعـــادي حـــولَـــكُمْ
وســـكـــنـــتمُ والأرضُ في جَـــيَـــشَـــان
لا رأيَ يَـــجـــمـــعُـــكم إذا اخـــتـــلف الـــقَـــنـــا
وتـــلاقتِ الـــفـــرســـانُ بـــالـــفـــرســـان
لا رايـــةٌ لـــكمُ يـــدافِـــعُ دونَـــهـــا
مُـــرْدُ الـــعـــوارضِ، والحُـــتـــوفُ دواني[2]
لا ذنبَ لـــلأقـــــــدار في إذلالـــــــكم
هـــذا جـــزاءُ الـــغـــافلِ الـــمُـــتَـــواني

---

(١) نماه وأنماه: نسبه.

لــو لم يَــعِــزَّ الجــهلُ بــين ربــوعِــكُم
مــا هــان جــمــعــكُمُ عــلى الحِــدْثــان
المــرءُ، قــيــمــتُه المــعــارفُ والــنُّــهَى
مــــا نــــفعُ بــــاصــــرةٍ بلا إنــســـان
مــا بــالُــكمْ لا تــغــضَــبــونَ لمجــدكمْ
غَــضْــبَــاتِ مَــلــطــومِ الجَــبــين مُــهــان
أوَ لــســتمُ كــالــنّــاس أهلَ حــفــائظٍ
أم أنــتمُ لــســتمْ من الحــيــوان؟
أبــنــاؤكُم، لَــهَــفَي عــلى أبــنــائــكم
يــلــهــو بــهم أبــنــاءُ جــنــكــيــز خــان
الــنّــازعــون الــمُــلْكَ من أيــديــكُمُ
الــعــابــثــونَ بــكمْ وبــالــقــرآن
أوَ كــلّــمــا طــلــعتْ عــلــيــهم أزْمــةٌ
هــاجــوا ضــغــائــنَــكم عــلى الــصُّــلْــبــان
لا تــخــدعــنّــكُم الــســيــاســةُ إنّــهــا
شــتّى الــوجــوه كــثــيــرةُ الألــوان
لــو تــعــقِــلــونَ عــمِــلْــتُمُ لخلاصِــكُم
من دولــة الــقَــيْــنَــاتِ والخِــصْــيــان
عــارٌ عــلى نــسلِ المــلــوكِ بــني الــعُلا
أن يــســتــذلَّــهمُ بــنــو الــرُّعْــيــان
ثــوروا عــلــيــهم واطــلــبــوا اســتــقلالَــكم
وتــشــبّــهــوا بــالــصِّــرْب والــيــونــان
مــاذا يَــروعُ نــفــوسَــكُمْ، مــا فــيــكمُ

(١) الوكِل: البليد والجبان.

وَكِلٌ ولا في الـتُّـرك غـيـرُ جـبـان[1]
وهَـبَـوهُمُ الـرُّومَـانَ في غُـلَـوائـهمْ
أفـمـا غـلَـبْـتُمْ أمَّـةَ الـرّومـان[1]
مـا المـوتُ مـا أعَـيـا الـنِّـطـاسي ردُّه
مـوتُ الـذلـيل وعَـيْـشُهُ سِـيّـان[2]

✱✱✱✱

(١) الغُلَواء: الغللوّ، وحدة الشباب.
(٢) النُطاسيّ: العالم الماهر، والطبيب الحاذق.

٤٣ - دموع وتنهدات

[الطويل]

ألا ليتَ قلباً بين جنبيَّ داميَا
أصابَ سُلُوّاً أو أصابَ الأَمانيا
أجَنَّ الأسى حتى إذا ضاقَ بالأسى
تدفّقَ من عينيَّ أحمرَ قانيا[١]
تَهيجُ بيَ الذكرى البروقُ ضواحكاً
وتُغري بيَ الوجدَ الطيورُ شَواديا
فأبكي لما بي من جَوًى وصَبابةٍ
وأبكي إذا أبصرتُ في الأرض باكيا[٢]
فلا تحسَباني أذرِفُ الدمعَ عادةً
ولا تحسَباني أُنشِدُ الشِّعرَ لاهيا
ولكنها نفسي إذا جاشَ جأشُها
وفاضَ عليها الهمُّ فاضتْ قوافيا
يَشُقُّ على الإنسان خدْعُ فؤادِه
وإن خادَعَ الدنيا وداجَى المُداجِيا[٣]
طلبتُ على البلوى مُعيناً ففاتَني
يُؤاسيكَ من يَحتاج فيكَ مؤاسِيا
ومَن لم تُضَرِّسْهُ الخطوبُ بنَابِها
يظنُّ شكاياتِ النفوسِ تَشَاكِيا

---

(١) أجنَّ: ستر وأخفى.

(٢) الجوى: الحرقة وشدة الوجد من الهوى أو الحزن.

رُمـيْتُ من الـدنـيـا بمـا لـو قَـلـيـلُهُ
رَمَـيْتُ به الأيـامَ صـارتْ لـيـالِـيَـا
فلا يَـشـتكِ غـيـري الـبُـؤوسَ فـإنـني
ضـمنتُ الـرزايـا، واحـتـكرتُ الـعَـواديـا[1]
تـمـرُّ الـلـيـالي لـيـلـةً إثْـرَ لـيـلـةٍ
وأحـزانُ قـلـبي بـاقـيـاتٌ كـمـا هِـيـا
ولـو أنَّ مـا بي الخـمـرُ أو بـاردُ الـلَّـمى
سـلـوتُ، ولـكنْ أمَّـتي وبِلاديـا[2]
إذا خـطـرتْ من جـانبِ الـشـرْقِ نـفـحـةٌ
طـربتُ فـأَلـقَى مَـنـكِـبـاي رِدائـيـا
أَحِنُّ إلى تـلك الـمَـغـاني وأهـلِـهـا
وأشـتـاقُ من يَـشـتـاقُ تـلك الـمَـغـانـيـا
ومـا سَـرّني أن المَلاهيَ كـثـيـرةٌ
وفي الـشَّـرق قـومٌ يـجـهـلـون الـمَلاهـيـا
إذا مَـثُـلـوا والـنـومُ يـأخـذ مُـقـلـتي
بـأهـدابـهـا، أمـسـيتُ وَسْـنـانَ صَـاحِـيـا
وكـيف اغـتـبـاطُ المـرءِ لا أهلَ حـولَه
ولا هـو مَن يَـسـتـعـذِبُ الـصَّـفْـوَ نـائـيـا

تـبـدّلتِ الـدنـيـا من الـسِّـلْم بـالـوَغى
وصـار بَـنـوهـا الـعـاقـلـون ضَـواريـا
فـمـا تُـنـبتُ الـغَـبـراءُ غـيـرَ مَـصـائبٍ
ومـا تُـمـطـرُ الأفلاكُ إلا دَواهـيـا

(١) العوادي: ما يشغل الإنسان عن أموره (المفرد: عادية).
(٢) اللَّمى: سواد مرغوب في الشفة، لامتلائها بالدم.

ونـاكـرَ حـتى الـلـيلُ زُهْـرَ نُـجـومه
ومـاءُ الخِـضَمِّ الـمُـنـشـآتِ الجَـواريـا
وبـات سـبـيلٌ كـان يَـسـري به الـفـتى
بلا حـارسٍ، يَـمشي به الجَـيشُ خـاشـيا
تَـقـطَّـعتِ الأسـبـابُ بـيـني وبـيـنـهمْ
فـلـيس لـهم نَـحـوي وصـولٌ ولا لِـيـا
وكـان لـنـا في الـكُـتْب عـونٌ عـلى الأسى
وفي (البَرْق) ما يُدني الـمَدى الـمُتَراميا
فـلم تـأمنِ الأسـرارُ في (الـسِّـلْك) سـارقـاً
ولم تـأمنِ الأخـبـارُ في الطِّـرسِ مـاحِـيـا[1]
إذا قـيلَ هـذا مُـخْـبِـرٌ مِـلْتُ نـحـوَه
بـسَـمـعي ولـو كـان الـمُـحـدِّثُ واشِـيـا
وتَـعـلـمُ نـفـسي أنه غـيـرُ عـالِمٍ
ولـكـنـني أسـتـدفِعُ الـيـأسَ راجـيـا
سـرَى الـشكُّ حـتى مـا نُـصـدِّقُ راويـاً
وطـالَ فـبـتـنـا مـا نُـكـذِّبُ راويـا
أُقَـضّي نـهـاري طـائـرَ الـنَّـفس حـائـراً
وأقـطَعُ لـيـلي كـاسِفَ الـبـالِ سَـاهـيـا
فـمـا هُمْ بـأمـواتٍ فـنـبـكي عـلـيـهِمُ
ولا هُمْ بـأحـيـاءٍ فـنـرجـو الـتَّلاقـيـا

كـأني بـهمْ قـد أُخْـرجـوا من بُـيـوتـهمْ
حُـفـاةً عـراةً جـائـعـين صَـواديـا[2]
كـأنيَ بـالـغَـوغـاء ثـارتْ عـلـيـهِمُ
وبـالجُـندِ تـعطي الـثـائـرينَ الـمَـواضِـيـا

(١) يعني: أسلاك البرق.
(٢) الصوادي: العطاش (صديَ - يصدى).

كـأني بـهم قـد أُعـملَ الـسَّـيفُ فـيـهِمُ
كـأن الـدَّمَ الـقـاني يـسـيل سَـواقِـيـا
كـــأنيَ بـــالـــدُّورِ الحِـسَـــان خـــرائبٌ
كـأنيَ بـالجـنّـاتِ صـارتْ فَـيـافِـيـا[1]
مـشـاهـدُ لاحتْ لي فـهـزّتْ فَـرائـصِي
كـمـا ذُعِـرَ الـمَـلْـسـوعُ راءَ الأفـاعـيـا[2]
فـبِتُّ كـأنّ الـسَّـهمَ بـين أضـالِـعي
كـأني أُقِلُّ الـشَّـاهـقـاتِ الـرَّواسـيـا
ولـو أجـنـبيٌّ لاتّـقـيـنـا سِـهـامَه
ولـكـنـمـا الإخـوانُ صـاروا أعـاديـا
أطـاعـوا طُـغـاةَ الـتُّـرك فـيـنـا وطـالمـا
عـصى فـيـهِمُ الـتُّركي وفـيـنـا الـنَّواهـيـا
وكم راغَ مـا بـين الـمَـسـيحِ وأحـمـدٍ
وحـاربَ «بـالسُّوري» أخـاهُ «الـيَـمـانـيـا»[3]
فـإن يـنْسَ «حَـوْرانـاً» فـتـاهُ وجـارُه
فـإنّ رُبـا حَـوْران لم تـنْس (سـامـيـا)[4]
ألا لـيت من بـاعـوا عـلى الـغَـبْن وُدَّنـا
من الـتُّـرْك بـاعـوا ذلك الـوُدَّ غـالـيـا
ويـا لـيتَ من بـاع الـبلادَ وأهـلَـهـا
«بـفِلـكَين» لم يـختَرْ لـها الـبُؤسَ شـارِيا[5]

---

(١) الفيفاء (الفيافي) البراري الواسعة البعيدة من الماء.
(٢) الفريصة: لحمة عند منبض القلب. وراء: رأى.
(٣) راغ: حاد ومال إليه سراً (والاسم الروغان).
(٤) يبدو أنه اسم علم لرجل كانت له صلة معروفة بحوران.
(٥) (الفلك) من العملة العثمانية.

فـيـا أمـةً قـد طـالَ عـهـدُ سُـبـاتـهـا
متى يـكـشفُ الإصـبـاحُ عـنكِ الـدَّيـاجِـيـا
إلى كم تَـودّين الـبـقـاءَ لمـعـشـرٍ
بـقـاؤهُمُ يُـدني إلـيكِ الـتَّلاشِـيـا
ثلاثـةُ أجـيـالٍ تـقـضّت وأنـتمُ
تُـسـامـونَ مـنـهم مـا تُـسـامُ المـواشـيـا
أمـا آن أن يَـسـتـرجعَ الـتَّـاجَ أهـلُه
ويـسـتـرجعَ الـتـاجُ المـهـابـةَ ثـانـيـا
متى كان (جـنـكـيـزٌ) «لـقـطـحـانَ» سيّداً
فـيُـمـسي بـنـو هـذا لِـذاكَ مَـوالـيـا؟

ويـا عـقـلاءَ الـعُـرْب هـذا زمـانُـكُمْ
فـكـونـوا لِـمَن ضَلَّ الـمَـحـجّة، هـاديـا[1]
إذا عـذَر الأعـمـى الـورَى في ضَـلالِه
فلا يَـعـذُرون الـنـاظـرَ الـمُـتَـعَـامـيـا
أرى ظُـلُـمَـاتٍ مُـطْـبِـقـاتٍ حَـوالِـكـاً
فـإن تـطـلُـعـوا فـيـهـا رأيتُ الـدَّراريـا[2]
غـداً يَـنـشـرُ الـتـاريخُ عـنـكمْ حـديـثَهُ
ويـتـلـو الـذي يَـتـلـوه مـا كـان خـافـيـا
فـإن شـئـتُمُ أمـسى عـلـيـكمْ مَـحـامِـداً
وإنْ شـئـتمُ أمـسى عـلـيـكمْ مَـسـاوِيـا

ويـا أيُّـهـا الجـالـونَ إنّ بلادَكمْ
تُـنـاديـكُمُ لـو تَـسـمـعـونَ مُـنـادِيـا

(١) المحجة: الطريق المقصودة.

لـقـد عـقَّـدتْ فـيـهـا الخـطـوبُ عَـجَـاجـةً
وسـاق عـلـيـهـا جـيـشَهُ الجـوعُ غـازيـا[1]
وبـات ذَووكُمْ يَـجـهـلـون مَـصـيـرَهُمْ
كـأنـهـمُ مـاءٌ أضـاع الـمَـجـاريـا
مِن الـعـار أن يَـغـشـى الـرُّقـادُ جُـفـونَـكمْ
عـلـى حـينِ يَـغـشـى الـدمعُ تـلك الـمَـآقـيـا
من الـعـار أن يَـكْسـو الحـريـرُ جسـومَـكُمْ
ولـم تُـبْقِ مـنـهـمْ شِـدَّةُ الـضَّـنكِ كـاسِـيـا
من الـعـار أن يَـبـقـى عـلـيـكمْ جُـمـودُكمْ
وقـد بـلـغتْ تـلك الـنـفـوسُ الـتَّـراقـيـا[2]
إذا المـالُ لم يُـنـفـقْهُ في الخـيْـر رَبُّه
رآهُ عـلـيـه الـعَـالَـمـون مَـخـازِيـا
إن المـرءُ لم يـسـعَ لخـيـرِ بلادِه
يـكنْ كـالـذي في ضُـرّهـا بـاتَ سـاعـيـا

✱✱✱✱

(١) العَجاجة: الغبار والدخان.
(٢) التراقي: جمع (الترقوة): العظم الواصل بين ثغرة النحر والكتف.

٤٤ - أخت البلجيك

[الكامل]

يـا لـوعـةً حـار الـنِّـطـاسي فـيكِ
كم يَـشـتـكي غـيـري وكم أُخـفـيكِ
إن بُـحْتُ بـالـشـكوى فـغـايـةُ مُـجـهَـدٍ
لـم تُـبْقِ لي كَـبِـداً فـأسـتَـبْـقـيكِ
أجـنـايـةَ الـطَّـرْفِ الـكـحيلِ عـلى الحشـا
الـله حـسـبي في الـدَّم الـمَـسْـفـوك
مـا في الـشـرائعِ لا ولا في أهـلِـهـا
مَن يَـسـتـحلّ الأخْـذَ مِن جـانـيكِ
يـا هـذه كم تَـشْـحـذينَ غِـرارَه
أوَ مـا خـشِـيتِ حـدَّهُ يُـؤذيك[1]
يـا أختَ ظـبيِ الـقَـاعِ لـو أَعـطـيـتِه
لَـحـظـيكِ صـادَ الـصَّـائـديه أخـوكِ
روحي فِـدى عـيـنـيكِ مـهـمـا جـارتـا
في مـهـجـتي وأبي فـداءُ أبـيكِ
رمـتـا فـكلُّ مُـصـمِّمٍ ومـقـوِّمٍ
نـابٍ، وكلّ مُـسـرَّدٍ وحَـبـيكِ[2]
الـلـهَ في قـتـلى جُـفـونكِ إنـهم
ظـلـمـوا نـفـوسَـهُمُ ومـا ظـلَـمـوك

---

(١) الغرار: حدّ الرمح.

(٢) مسرّد: مثل تسريد الدرع (تداخل الحلَق بعضها في بعض).

إن تُـبْـصِـريـنـي أتّـقي فَـتَـكـاتِـهـا
فلـقـد أَصـولُ على الـقَـنـا الـمَـشـبـوك[1]
كم تجـحَـدينَ دمي وقـد أبـصـرْتِه
ورْداً عـلى خـدّيكِ غـيـرَ مَـشـُوك[2]
رُدّي حـيـاتي إنـهـا في نـظـرةٍ
أو زَوْرةٍ أو رَشْـفـةٍ من فِـيك
لـو تـنـظـرين إلى قـتـيـلِكِ في الـدُّجى
يـرعى كـواكـبَهُ ويَـسـتَـرعِـيك
والـلـيلُ من همّ الـصـبـاح وضـوئه
حـيـرانُ حَـيْـرةَ عـاشقٍ مـهـتـوك
لَـعـجِـبتِ من زُور الـوشـاة وإفـكِـهمْ
ومن الـذي قـاسـيتُ في حُـبّـيكِ
حَـولِي إذا أرخى الـظلامُ سـجـوفَه
لـيلانِ: لـيلُ دُجىً ولـيلُ شُـكُـوك
تـمـتـد فـيهِ بيَ الـكـآبـةُ والأسى
مـثلَ امـتـدادِ الحـرْفِ بـالـتَّـحْـريك
مـا لي إذا شـئتُ الـسـلـوَّ عن الـهـوى
وقـدِرْتُ أن أَسْـلُـوكِ لا أَسْـلـوك
فُـكّي إسـاري إنّ خـلـفي أمّـةً
مـضـنـوكـةً في عـالَمٍ مَـضـنـوك
وأحـبـةً سـدّ الـقُـنـوطُ عـلـيـهمُ
والخـوفُ كلَّ مـعـبَّـدٍ مَـسْـلـوك
لا تـسـألـيـني كـيف أصـبح حـالُـهمْ
إني أخـافُ حـديـثَـهم يـشـجِـيك

(١) أراد (التبصير) بمعنى التعريف والإيضاح.

باتوا برغمهمُ كما شاء العِدا
لا حُزنُهم واهٍ ولا بِرَكِيك
لا يَملِكون سوى التحسُّرِ، إنه
جُهدُ الضَّعيفِ الواجدِ المَفْلوك[1]
تترقرقُ العَبْراتُ فوق خدودهمْ
يا مَن رأى دُرَراً بغيرِ سُلوك[2]
أخذَ العزيزَ الذّلُّ من أَطْواقه
والجوعُ يأخذ مُهجةَ الصُّعْلوك
قل للمبذّر في المَلاهي مالَهُ
ماذا تركتَ لذي الأسى المتْروك
أيبيتُ يَشربُ من مَعين دُموعه
وتبيتُ تَحسوها كعَين الدِّيك؟[3]
ويَروحُ في أَطْماره، وتَميسُ في
ثوبٍ لأيامِ الهناءِ مَحوكِ
إن كنتَ تأبى أن تُشاركَه سِوى
نُعْمَى الحياةِ فأنت غيرُ شَريك
يا ضَرّةَ البلجيكِ في أحزانها
تبكيكِ حتى أُمَّةُ البَلْجيك
حُمِّلْتِ ما يُعيي الشواهقَ حَملُه
يا ليت ما حُمِّلتِ في شَانيك
سلّ البُغاةَ عليكِ حُمْرَ سُيوفهمْ
لا أنتِ جانيةٌ ولا أَهلوك

---

(١) المفلوك: الفقير، وجمعه: مفاليك.
(٢) يريد: دراً لا ينتظمها السلك.
(٣) شراب صافٍ كعين الديك: صافٍ شديد الصفاء.

جُنّ الـقـضـاءُ فـغـالَ حـسـنَكِ قُـبـحُه
وأذلّ أبـنـاءُ الـطَّـغَـامِ بـنـيك[1]
لا أشـتـكي الـدنـيـا ولا أحـداثَـهـا
هـذي مـشـيـئـةُ ذي المـشـيـئـةِ فـيكِ
لـو أمـلِك الأقـدارَ أو تـصـريـفَـهـا
لأمـرتُـهـا فـجَـرتْ بمـا يُـرضـيك
ولـو اَنـهـا تـدري وتَـعـقِل لانـثـنَتْ
تَـرمي بـأسـهُـمِـهـا الـذي يَـرمـيك
إن يـفـتـديكِ أخـو الـغِـنى بـنُـضـارِه
فَـبِـدرهَـمي وبمُـهـجَـتي أَفـدِيك[2]
ومـنـازلُ الـبـؤسـاء أَوْلى بـالـنَّـدى
ولأنتِ أَولاهـا بمـالِ ذويك

☆☆☆☆☆☆

يـا أمـةً في الـغَـرْب يـنـعُم شَـطْـرهـا
رِفـقـاً بـشـطـرٍ بـائسٍ مَـنْـهـوك
جـادت عـلـيـكُمْ، قـبـلـمـا كـنـتُم، بـكمْ
جـودوا بـبـعض الـعَـسْـجـدِ الـمَـسْـبوك!![3]

✱✱✱✱

(١) الطّغام: الأوغاد.
(٢) النضار: الذهب.

٤٥ - بين الضِحْك واللّعبِ

[السريع]

أعـــطَـــيتُ من أَعـــشـــقُـــهـــا وردةً
من بـــعـــدِ أن أودعـــتُـــهـــا قـــلـــبي
فـــجـــعـــلتْ تَـــنـــثُـــر أوراقَـــهـــا
بـــأنمُلٍ كـــالـــعَـــنَم الـــرَّطْبِ[1]
لا تـــســـألـــوا الـــعـــاشقَ عن قـــلـــبهِ
قـــد ضـــاع بـــين الـــضِّـــحْك والـــلّـــعبِ

☆☆☆☆☆

لم أقـــطِفِ الـــوردةَ من غُـــصـــنـــهـــا
لـــو لم تـــكن كـــالخـــدّ في الإِتـــقـــادْ
ولم تُـــمـــزّق هـــنـــدُ أوراقَـــهـــا
لـــولا اشـــتـــبـــاهٌ بـــيـــنَـــهـــا والـــفـــؤادْ!..

✱✱✱✱

(١) العَنَم: شجر أغصانه لينة، يُشبه به بنان المرأة.

٤٦ - أمة تفنى وأنتم تلعبون

[الرمل]

أَ عَـلى عـيـني من الـدمع غِـشـاءْ
أم عـلى الـشـمس حـجـابٌ من غَـمَـامْ؟
غـاضَ نـور الـطَّـرْف أم غـارت ذُكَـاء
لـسـتُ أدري غـيـرَ أني في ظلام

مـا لـنـفـسي لا تُـبـالي الـطَّـربـا
أين ذاك الـزَّهْـو، أين الـكـلَفُ؟
عـجـبـاً مـاذا دهـاهـا عـجـبـاً
فـهْي لا تـشـكـو ولا تَـسـتـعـطِف
لـيـتـهـا مـا عـرفتْ ذاك الـنَّـبـا
فـالـسـعـيـدُ الـعـيشِ مَن لا يَـعـرف
لا ابـتـسـامُ الـغِـيـد، لا رقْصُ الـطِلاءْ[1]
يـتَـصـبّـاهـا ولا شـدْو الحَـمَـامْ
بـالـكـرى عـنـي وبي عـنـه جَـفـاءْ
أنـا وحـدي... أم كـذا كلُّ الأنـامْ؟

لا أرى لي من هـمـومي مـهـربـاً
فـهْي في هـذا وذيّـاك الـطـريقْ
في الـربُـا فـوق الـربُـا تحت الـربُـا
في الـفـضـاء الـرَّحْب، في الـروض الأنـيق

(١) يريد: الطلا: الخمرة.

في اهـتـزاز الـغُـصْن في نَـفْحِ الـصَّـبـا
في انـسـجـام الـغـيثِ في لمح الـبُـروق[1]
كـــلـــمـــا أومضَ بـــرقٌ أو أضـــاءْ
بِتُّ أشـكـو في الـدُّجى وقْـعَ الـسَّـهـامْ
في ابـتـسـام الـفـجـر لـلـمَـرضى شِـفـاءْ
وابـتـســامِ الـفـجْـر فـيه لي سَـقـامْ

☆☆☆☆☆

تـعـتـريـني هِـزَّةٌ كـالـكَـهْـربـا
كـلّـمـا حنّ مَـشـوقٌ لِـمَـشـوقْ
عـلَّـمتْ عـيـني الـسُّـهـادَ الـكَـوكـبـا
وفـؤادي عـلّـمَ الـبَـرْقَ الخُـفُـوق
مـا دعـوتُ الـدَّمع إلا انـسـكَـبـا
يـا دُمـوعي أنتِ لي أوفى صـديق
لم أرَ كـالـيـأس يـغـري بـالـبـكـاءْ
لا ولا كـالَّـدمع يـشـفي المـسـتَـهـام
فـاسـتـعـيـنـوا بـالـبُـكـا يـا تُـعـسـاءْ
كـلـمـا اشـتـدّت بـكم نـارُ الـهُـيـام

☆☆☆☆☆

خِـلتُ قـلـبي بـالأسى مـنـفـرِدا
وأنـا وحـدي صـريعُ المِـحَنِ
وتـوهـمتُ الأسى لن يَـجـدا
سـكـنـاً في غـيـرِ قـلـبي الـمُـثْـخَن
وظـنـنتُ الـدهـرَ مـهـمـا حَـقَـدا
سـوف لا يَـفـجَـعُـني في وطـني

(١) الصَّبا: الريح الندية (القادمة من نجد، في الأصل).

فـــإذا تـــلك المَـــغـــاني في شـــقـــاءْ
وإذا كـلُّ فـــــــؤادٍ فـي ضِـــــــرامْ
ذهـــبتْ كلُّ ظـــنـــوني في الـــهـــواءْ
وتـــولّت مـــثلَ أضـــغـــاث المـــنـــامْ

☆☆☆☆☆☆

لا تـلُـمْـني إن أنـا لُـمتُ الـقَـضـا
ولُمِ الـــدهـــرَ الـــذي أخـــنى عـــليّ
لم تـــدع فيّ الـــلـــيـــالي غَـــرَضًـــا
والـضَـــنى لم يُـبْقَ مـني غـيـــرَ فَيّ
لا تـــســـلْـــني: أيَّ خـــطب عَـــرَضـــا
في الحَـشـا وجـدٌ وفي المِـقْـوَل[1] عِيّ
فلَّ غَـرْبي ســالبُ الـسَّـيفِ المَـضـاءْ[2]
والـشـذا الـزهـرةَ والـعِـقـدِ الـنـظـامْ
وإذا مـــا غـــلبَ الـــيـــأسُ الـــرَّجـــاء
هـانت الـشـكـوى ولم يُـجْـدِ الـكلامْ

☆☆☆☆☆☆

صـرتُ لـكن مـثـلَـمـا شـاء الـكَـمَـدْ
شـــاعـــراً من مُـــقـــلـــتي أرتجلُ
صـدَّ مـا كـان بـنـفـسي عـنه صـدْ
وتجـــافـــاني الـــكلامُ المـــرسَل
عَـقَـد الحـزنُ لـسـاني فـانـعـقـدْ
أيُّ ســيفٍ مـــا اعـــتـــراه الـــفَـــلَل؟

(١) المِقْول: اللسان. والعيّ: انحباس الكلام.

بي هـمـومٌ كـلَّـمـا لاح الـضـيـاءْ
ضـربتْ فـوقَ عـيـوني بـلِـثـامْ
وشـجـونٌ كـلَّـمـا جَنّ المـسـاء
قـطـعتْ بـين جُـفـوني والمَـنـام

لا أرى غـيـرَ خـيـالاتٍ تَـسـيـرْ
مُـهـطِـعـاتٍ[1] عن يَـسـاري والـيـمـينْ
فـوق أرضٍ من دمـاءٍ وسـعـيـرْ
في فـضـاءٍ من هـمـوم وشـجـونْ
عـجـبـاً.. أين ابـتـسـامـاتُ الـثُّـغـورْ
مـا لِـقَـومي كـلُّـهم بـاكٍ حـزين
كلُّ مـا أسـمع نـوحٌ وبـكـاءْ
كلُّ مـا أُبـصـرُ «صـرْعى ورِمـام»
زلـزلتْ زلـزالَـهـا هـذي الـسـمـاءْ
أم تُـرى فـضّتْ عن المـوتى الـرِّجـام[2]

وقـعَ الأمـرُ الـذي لا يُـدفـعُ
وجَـنى الجـاني عـلى تـلك الـربـوعْ
واحـتـواهـا نَـهِـمٌ لا يَـشـبـعُ
فـاحـتـوى سـكـانَـهـا خـوفٌ وجـوع
فـهْي إمـا دِمـنـةٌ أو بَـلْـقـعُ
وهـمُ إمّـا قَـتـيـلٌ أو صَـريع

---

(١) أهطع في السير. أسرع.

إن شكتْ قالت على الدُّنيا العفاءْ
أو شكَوا قالوا على الناس السلامْ
عَبَثَ الإنسان فيها والقَضاءْ
آه من جَور الليالي والطَّغَامْ[1]

☆☆☆☆☆

رُبّ طفلٍ طاهرٍ ما أثِمَا
مات موتَ الآثمِ المُجْتَرِمِ[2]
كان ممن يُرتجى لو سَلِمَا
للعُلا لكنّه لم يَسْلمِ
كوكبٌ ما كاد يَبدو في السَّما
طالعاً حتى اختفى كالحُلُمِ
غاضَ مثلَ الماءِ في الأرض العَراءْ
ما عهدتُ البدرَ مَثواه الرُّغامْ[3]
هكذا أودتْ به ريحُ الشِّتاءْ
زهرةٌ لم تَنفتح عنها الكِمامْ[4]

☆☆☆☆☆

رُبَّ شيخٍ أقعدتْه الحادثاتْ
ومشى «الأبيضُ» في لِمَّته
وثناه الضَّعفُ عن حَمْل القناةْ
وعن السابق في حَلْبته[5]
كان من قبلِ حُلولِ الكارثاتْ
آمناً كالنَّسْر في وُكْنَته[6]

---

(١) الطَّغام: الأوغاد والأوباش.
(٢) المجترم: المرتكب الجرم.
(٣) الرُّغام: التراب.
(٤) الكِمام: غطاء نَور الزهرة.
(٥) القَناة: الرمح (والجمع: القنا). ويقصد بالسابق: الحصان.

لاهـــيـــاً يـــذكُـــرُ أيـــامَ الـــصِّـــبـــاءْ
ولـــيـــالـــيه وفي الـــثَّـــغـــر ابـــتـــســـامْ
حـــكَمَ الـــعـــاتي عـــلـــيه بـــالـــفَـــنـــاءْ
وأبى المـــــقـــــدورُ إلا أن يُـــضـــــامْ

☆☆☆☆☆

وفـــتىً كـــالـــغـــصن ريـــانٌ نَـــضـــيـــرْ
تحـــــلُم الخَـــــوْدُ به إذ تحـــــلُمُ[1]
وتـــراه لـــلـــهـــوى بـــين الـــبُـــدورْ
فـــــتـــــراه فـــــوقَـــــهنَّ الأنجُمُ
ألْـــمـــعيُّ الـــذِّهنِ والـــقـــلبِ الـــكـــبـــيـــرْ
مـــلَكٌ في بُـــردتَـــيْه ضَـــيْـــغمُ[2]
بـــات لا يـــقـــوَى عـــلى حَـــملِ الـــرِّداءْ
مـــنـــكَـــبـــاه وهـــو في الـــعـــشـــرين عـــامْ
مـــا به عـــجـــزٌ ولا داء عَـــيـــاءْ[3]
غـــيـــرَ أن الجـــوعَ قـــد هـــدّ الـــعِـــظـــامْ

☆☆☆☆☆

وصـــغـــارٍ مـــثلِ أفـــراخٍ الـــقَـــطـــا
يـــتـــضَـــاغَـــونَ من الجـــوع الـــشـــديـــدْ[4]
وهـــنَتْ أعـــصـــابُـــهُمْ لـــمّـــا سَـــطـــا
والـــطَّـــوى يُـــوهِنُ عـــزْمَـــاتِ الأُســـودْ
أرأيت الـــعِـــقـــدَ إمّـــا انـــفـــرَطـــا
هـــكـــذا دمـــعُـــهُم فَـــوق الخُـــدودْ

---

(١) الخوْد: الفتاة البكر.
(٢) الضيغم: الأسد.
(٣) الداء العياء: الصعب الذي يعيي الطبيب.
(٤) القطا (ومفرده: قطاة) الطائر. وضغا: صاح من الألم.

زَهـــقَتْ أرواحُـــهُمْ في شـــكل مـــاءْ
للأسى، لـــله مـــا أقـــسى الحِـــمـــامْ
يـــا رعى الـــلهُ نـــفـــوسَ الـــشـــهـــداءْ
وســـقى أجـــداثَـــهُمْ صَـــوْبُ الـــغَـــمَـــام[1]

أيـــهـــا الجـــالُـــونَ عن ذاك الحِـــمى
إنّ في ذاك الحِـــمى مـــا تـــعـــلَـــمـــونْ
ضِـــيمَ في أحـــرارِه واهـــتُـــضِـــمـــا
ووقـــفـــتُمْ من بـــعـــيـــدٍ تَـــنـــظـــرونْ
لا، ومن شـــاء لـــنـــا أن نَـــنـــعَـــمَـــا
مـــا كـــذا يَـــجـــزي الأبَ الـــبَـــرَّ الـــبـــنـــون
كُـــلُّـــكمْ يـــا قـــومُ في الـــبَـــلـــوى ســـواءْ
لا أرى في الـــرُّزء لُـــبـــنـــانـــاً وشـــامْ
في رُبـــا لـــبـــنـــانَ قـــومي الأصـــفـــيـــاءْ
وبـــأرض الـــشـــام أحـــبـــابي الـــكِـــرامْ

الـــلـــيـــالي غـــاديـــاتٌ رائـــحـــهْ
بـــالـــدَّواهي وأَراكُمْ تـــضـــحـــكـــونْ
مـــا اتـــعـــظْـــتُم بـــالـــســـنـــينَ الـــبـــارحـهْ
لا ولا أنـــتمْ غـــداً مُـــتَّـــعِـــظـــونْ
يـــا لَـــهـــول الخـــطب!... يـــا لَـــلـــفـــادحهْ
أمّـــةٌ تَـــفـــنَى وأنـــتم تـــلْـــعـــبـــونْ

(١) صوب الغمام: مطره النازل.

فـادفِـنـوا أضـغـانَـكُمْ يـا زُعَـمـاءْ
يـبـعثِ الـلـهُ من الـقـبـر الـوئـامْ
وابـسُـطـوا أيـديـكمْ يـا أغـنـيـاءْ
أبـغضُ الـسُّحبِ إلى الـصَّادي الجَـهَامْ![1]

✱✱✱✱

(١) الجَهام: السحاب الذي لا ماء فيه.

٤٧ - (في الليل)

متى يذكرُ الوطنَ النوّمُ

[المتقارب]

جلستُ وقدْ هجعَ الغافلونْ
أفكّرُ في أمسِنا والغَدِ
وكيف استَبدَّ بنا الظالمونْ
وجَاروا على الشيخ والأمرَد
فخِلتُ اللواعِجَ بين الجفونْ
وأنّ جهنّمَ في مَرقَدي
وضاقَ الفؤادُ بما يكتُمُ
فأرسلتِ العينُ مِدْرَارها

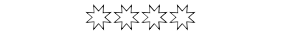

ذكرتُ الحروبَ وويلاتِها
وما صنعَ السيفُ والمدفعُ
وكيف تجورُ على ذاتِها
شعوبٌ لها الرتبةُ الأرفعُ
وتَخضِبُ بالدمّ راياتِها
وكانت تذمُّ الذي تصنَعُ
فباتتْ بما شيَّدَتْ تَهْدِمُ
صروحَ العلومِ وأسرارها

نـــســـــاءٌ تجـــودُ بـــأولادهـــا
عـــلى المـــوت، والمـــوتُ لا يـــرحمُ
وجُـــنْـــدٌ تجـــودُ بـــأكـــبـــادِهـــا
عـــلى الأرض، والأرضُ لا تَـــعـــلَمُ
وتـــغـــدو الـــطـــيـــورُ بـــأجـــســـادِهـــا
فـــإن عـــطـــشتْ فـــالـــشـــرابُ الـــدم
وفـي كلّ مـــنـــزلـــةٍ مـــأتمُ
تـــشُقّ بـــهـــا الـــغِـــيـــدُ أزرارهـــا

لـــقـــد شـــبعَ الـــذئبُ والأجَـــدلُ
وأقـــفَـــرتِ الـــدُّورُ والأربُـعُ
فـــكم يـــقـــتلُ الجـــحـــفلَ الجـــفـــحلُ
ويـــفـــتِكُ بـــالأروَعِ الأروعُ
ولن يُـــرجِعَ الـــقـــتلُ من قُـــتِّـــلـــوا
ولن يَـــســـتـــعـــيـــدَ الـــذي ضـــيـــعـــوا
فـــبـــئسَ الألى بـــالـــوغَى عَـــلَّـــمُـــوا
وبـــئس الأُلَى أجَّـــجُـــوا نـــارهـــا

أمِنْ أجلِ أن يـــســـلَمَ الـــواحـــدُ
تُـــطَلُّ الـــدمـــاءُ وتـــفـــنَى الألـــوفْ؟
ويـــــزرعُ أولادَه الـــــوالـــــدُ
لـــتـــحـــصـــدُهم شـــفـــراتُ الـــسّـــيـــوفُ؟
أمـــورٌ يـــحـــارُ بـــهـــا الـــنـــاقـــدُ
وتُـــدمي فـــؤادَ الـــلـــبـــيبِ الحَـــصِـــيفْ
فـــيـــا لـــيتَ شِـــعـــري مـــتى يـــفـــهمُ
مـــعـــاني الحـــيـــاة وأســـرارَهـــا

وحـــوّلتُ طـــرفي إلى الـــمَـــشـــرقِ
فـــلم أرَ غـــيـــرَ جـــبـــالِ الـــغـــيـــومْ
تحـــومُ عـــلى بـــدرِه الـــمُـــشـــرقِ
كـمـا اجـتـمـعتْ حـول نـفـسي الـغُـمُـوم
فـــأســـنـــدتُ رأسي إلى مِـــرفَـــقي
وقـــلتُ، وقـــد غَـــلَـــبـــتْـــنِي الـــهُـــمُـــوم
بـــــربِّكِ، أيـــــتـــــهـــــا الأنجمُ
مـــتى تـــضعُ الحـــربُ أوزارَهـــا؟

⁂

كـمـا يُـقـتـلُ الـطـيـرُ في الجـنّـةِ
ويُـقْـتَـنصُ الـظَّـبيُ في الـسَّـبـسَبِ[1]
كـــذلك يُـــجـــنَى عـــلـى أمَّـــتي
بـلا ســـــــببٍ وبـلا مُـــــــوجِب
فـــحـــتّـــامَ تُـــؤخـــذُ بـــالـــقـــوةِ
ويُـــقـــتصُّ مـــنـــهـــا، ولم تُـــذْنب؟
وكم تَـــســـتـــكـــينُ وتـــســـتـــســـلِمُ
وقـــد بـــلـغ الـــسَّـــيلُ زُنَّـــارَهـــا

⁂

وســيــقتْ إلى الــنِّــطعِ سَــوقَ الــغــنمْ
مـــغـــاويـــرُهـــا ورجـــالُ الأدبْ[2]
وكلُّ امـــــرئٍ لم يمت بـــــالخَـــــذِمْ
فـــقـــد قـــتـــلـــوه بـــســـيف الـــسَّـــغَب[3]

---

(١) السبسب: المفازة الواسعة الخالية.

(٢) النطع: بساط من جلد، تقطع فوقه الرؤوس.

(٣) الخذم: سرعة القطع، والمِخذم: السيف القاطع. السغَب: الجوع.

فـمـا حـرّك الـضـيمُ فـيـهـا الـشَّـممْ
ولا رؤيـــةُ الـــدَّمِ فـيـــهـــا الـــغـــضبْ
تـــــبـــــدّلتِ الـــــنـــــاسُ والأنجمُ
ولـــمّـــا تُـــبـــدّلُ أطـــوارهـــا

☆☆☆☆☆

أرى الـــلـــيثَ يـــدفعُ عن غَـــيْـــضـــتِهْ
بـــأنـــيـــابهِ وبـــأظـــفـــارِهِ
ويـــجـــتـــمعُ الـــنـــملُ في قـــريـــتهْ
إذا خَـــشـي الـــغـــدرَ من جـــارِهِ
ويَـــخـــشى الـــهَـــزارُ عـــلى وَكْـــنـــتهْ
فـــيـــدفع عـــنـــهـــا بمـــنـــقـــارِهِ[1]
فلا الـــكـــاســـراتُ ولا الـــضَّـــيـــغمُ
ولا الـــشـــاةُ تـــمـــدح جـــزّارهـــا

☆☆☆☆☆

عـــجـــبتُ من الـــضَّـــاحك اللاعبِ
وأهـــلُـــوه بـــين الـــقَـــنـــا والـــسُّـــيـــوفْ
يَـــبـــيُـــتـــونَ في وجَلٍ نـــاصبٍ
فـــإن نـــصـــبـــوا أُلجِـــئـــوا لـــلـــكـــهـــوفْ
ومِـــمنْ يُـــصـــفِّقُ لـــلـــضَّـــاربِ
وأحـــبـــابُه يَـــجـــرَعـــونَ الحُـــتُـــوفْ
مـــتى يـــذكـــرُ الـــوطنَ الـــنُّـــوَّمُ
كـــمـــا تَـــذكُـــرُ الـــطّـــيـــرُ أوكـــارَهـــا؟

✱✱✱✱

(١) الوكْن: عش الطائر أو مأواه في جبل أو جدار.

٤٨ - سقوط أرضروم[١]

[البسيط]

أعِـدْ حـديـثَكَ عـنـدي أيـهـا الـرَّجلُ
وقلْ كـمـا قـالتِ الأنـبـاءُ والـرُّسُل
قـد هـاجَ مـا نـقل الـراوون بي طَـرَبًـا
مـا أجـملَ الـرُّسْل في عـيـني ومـا نَـقَـلـوا
فـاجـمعْ روايـاتِـهمْ واملأ بـهـا أُذُني
حـتى تـراني كـأني شـاربٌ ثَـمِل
دعْ زُخْـرُفَ الـقـولِ فـيـمـا أنت نـاقـلُه
إنّ المـلـيـحـةَ لا يُـزري بـهـا الـعَـطَل[٢]
فـكلُّ سـمْعٍ إذا قـلتَ «الـسُّلافَ» فمٌ
وكل قـولٍ، إلـيـهم يَـنـتـهي، عَـسَل
لا تَـسـقـني الـراحَ إلا عـنـد ذكـرِهِمُ
أو ذكـرِ قـائـدِهم أو ذكْـرِ مـا فَـعَـلـوا
همُ الـمَـسـامـيحُ يُـحـيي الأرضَ جـودُهمُ
إذا تـنـكّبَ عـنـهـا الـعـارضُ الـهَـطِل[٣]
همُ الـمَـصـابـيحُ تسـتـهدي الـعـيونُ بـهـا
إذا اكـفـهـرّ الـدُّجى واحـتـارتِ الـمُـقَل

---

(١) «إيالة» شرقي تركية، احتلها الروس لثالث مرة سنة ١٩١٦ خلال الحرب العالمية الأولى، وعنها كتب أبو ماضي نصه الشعري.

(٢) العَطَل: المرأة الخالية من الحليّ.

(٣) العارض: السحاب يعترض في الأفق.

همُ الـغـزاةُ بـنـو الـصِّـيـدِ الـغُـزاةِ، بـهمْ
وبـطْـشِـهمْ بـالأعـادي، يُـضـربُ الـمَـثَل
قـومٌ يَـبيتُ الضـعـيفُ المستـجـيـرُ بـهم
من حـوله الجـنـدُ والـعَـسّـالـةُ الـذُّبُل[1]
فـمـا يُـلـمّ بمن صـافـاهُمُ أَلَمٌ
ولا يَـدومُ لمـن عـاداهُـمُ أَمَـل

☆☆☆☆☆☆

أيـطـلـبُ الـتُّـركُ أن تَـعـلـو أهـلّـتُـهم
..... [2]
«ولـلـغَـرَنْـدُقِ» رأيٌ مـثلُ صـارمِهِ
يـزِلّ عن صَـفْـحـتـيه الحـادثُ الجَـلَل[3]
الـمُـقْـبِلُ الـصَّـدرِ، والأبـطـالُ نـاكِـصـةٌ
تحت الـعَـجـاجـة لا يَـبـدو لـهـا قُـبُل[4]
والـبـاسمُ الـثَّـغـرِ، والأشلاءُ طـائـرةٌ
عن جـانـبـيه، وحَـرّ الـطَّـعنِ مـتَّـصِل
سـعْـدُ الـسُّـعـود عـلى الـسـؤّال طـالـعُه
لـكـنه في مـيـادينِ الـوغى زُحَل[5]
في كل سـيـفٍ سِـوى بَـتّـارِه فَـلَلٌ
وكـلّ رأيٍ سِـوى آرائـه زَلَـلُ!

☆☆☆☆☆☆

---

(١) عسَلَ الرمحُ: اهتزَّ. والرمح الذابل: الدقيق.

(٢) عجُز البيت محذوف في سائر المصادر بين أيدينا ويبدو أن فيه مواجهة بين الهلال والصليب وهي مواجهة كان عرض لها أبو ماضي في قصيدة أخرى.

(٣) Qrand-DUC، أمير الأسرة الحاكمة في روسية.

(٤) العجاج والعجاجة: الغبار والدّخان أيضاً. والقبُل: عكس الدُّبُر.

(٥) زُحَل: الكوكب المعروف، ويفيد اسمه: الزَّلل والتنحي، ومن هذا المعنى يفيد أبو ماضي.

يـا ابنَ المـلـوكِ الأُلى قـد شـادَ واحـدُهُمْ
مـــا لم تُـــشَـــيِّـــدْهُ أملاكٌ ولا دُوَلُ
وقـائـدَ الجـيشِ مـا لـلـريحِ مُـنـفـرَجٌ
فـيه، ولـكن لـهـا من حَـولـهـا زَجَلُ[1]
تـوهّمَ الـتَّـركُ لـمّـا حـان حَـيْـنُـهُمُ
أنَّ الألى وَتَـــروا آبـــاءَهم غَـــفَـــلـــوا
حـتى طـلـعتَ من «الـقـوقـاس» في لَـجِبٍ
تـضـيق عـنه فِـجـاجُ الأرض والـسُّـبُل
فـــأدركـــوا أنـــهم نـــامـــوا عـــلى غَـــرَرٍ
وأنك الـــبَـــدْرُ في الأفلاك تَـــنـــتـــقِل[2]
يـا يـومَ صـبَّـحـتَـهُمُ والـنـقْعُ مـعـتـكِرٌ
كـأنه الـلـيلُ فـوق الأرض مُـنْـسـدِل
لـيلٌ يَـسـيـر عـلى ضـوء الـسـيـوفِ به
ويـهـتـدي بـالـصـلـيل الـفـارسُ الـبَـطَل
بـــكل أروعَ مـــا في قـــلْـــبِه خَـــوَرٌ
عـنـد الـصِّـدام، ولا في زَنْـده شـلَل
وكلِّ مـــنـــجـــردٍ في سَـــرْجه أسـدٌ
في كـــفِّه خَـــذِم، في حَـــدِّه الأجل[3]
وكلِّ راعـــفـــةٍ بـــالـــموتِ هـــادرةٍ
كـأنـهـا الـشـاعـرُ الـمَـطـبـوعُ يَـرتجل
سـوداءُ تـقـذف من فـوهـاتـهـا حِـمَـمًـا
هي الـــصـــواعقُ إلا أنـــهـــا شُـــعَل

---

(١) الزَّجل: الصوت.
(٢) الغرَر: الخطر.
(٣) الخذِم: السيف الحاد (الخُذم: الحدّة).

لا تحفظُ الدِّرعُ منها جسمَ لابسِها
ولا يُنجّي الحصونَ الصخرُ والرَّمَل
فالبِيضُ تأخذُ منهمْ كيفما انفتلت
والدُّعر يمعن فيهم كيفَما انفتَلوا
وكلما وصلُوا ما انبتّ باغَتَهمْ
ليثٌ يُقَطِّع بالفَصّال ما وَصَلوا
فأسلَموا «أرضَرومًا» لا طواعِيَةً
لو كان في وسْعهمْ إمساكَها بَخِلوا
كم حوّطوها وكم شادوا الحصونَ بها
حتى طلعتَ فلا حِصْنٌ ولا رَجُل
وفرَّ قائدُهمْ لمّا عرضتَ له
كما يَفِرّ أمامَ القشْعَم الحَجَل[1]
ومن يشُكّ بأن الوعْلَ منهزِمٌ
إذا التقى الأسدُ الضِرْغامُ والوَعِل؟
لم يقصُرِ الرُّمحُ عن إدراك مهجتِه
لكنْ حَمَى صدرَه وقْعَ الظُّبَا، الكَفَل[2]
تعلّم الركضَ حتى ليس تلحقُه
هوجُ الرّياح ولا خيْلٌ ولا إبِل
يَخال من رُعْبه الأطوادَ راكضةً
معْه وما ركضَتْ قدّامَه القُلَل
ويحسبُ الأرضَ قد مادتْ مناكبُها
كذاك يَمسَخ عينَ الخائف الوَجَل

(١) القشعم من النسور: المسنّ.

وبـات «أنـورُ» في «يـلـديـزَ» مـخـتـبـئًـا
لأمّه وأبـيـه الـثُّـكْلُ والـهَـبَل[1]
يَـطـيـرُ، إن صـرّت الأبـواب، طـائـرُهُ
ويَـصْـرُخُ «الـغـوثَ» إمّـا وسْـوسَ الـقُـفُل
في جـفـنـه أرَقٌ، في نـفـسـه فَـرَقٌ
في جـسـمه سَـقَم، في عـقـلـه دَخَل[2]
في وجـهه صُـفـرةٌ حـارَ الـطـبـيبُ بـهـا
مـا يـصـنَع الـطِّبُ فـيـمن داؤه الخَـبَل؟
لم يـبقَ فـيه دمٌ كـيـمـا يـجـمّـعَه
في وجـهه، عـنـد ذكـر الخـيـبـةِ، الخَـجَل
يـطـوف في الـقـصْـرِ لا يـلـوي عـلـى أحدٍ
كـأنه نـاسكٌ في الـقـفـر مـعـتـزِل
لا بـهـجـةُ الـمُـلْكِ تُـنـسـيه هـواجِسَه
ولا تـروّح عـنـه الأعـيـنُ الـنُّـجُل
يـزيـد وحـشـتَه إعـراضُ عُـوّدِه
ويـنـكـأ الجـرحَ في أحـشـائه الـعَـذَل
إذا تـمـثّل جـيشَ الـتُّـرك مـنـدحـرًا
ضـاقت به، مـثـلـمـا ضـاقت بـذا، الحِـيَل

يـا كـاشفَ الـضُّـرّ عـمّن طـالَ صـبـرهمُ
عـلـى الـنـوائب، لا مـرّتْ بك الـعِـلَل
أطـلـقـتَـهمْ من قـيـود الـظـلـم فـانـطـلـقـوا
وكـلُّـهمْ أَلْـسُنٌ تـدعـو وتَـبـتـهل

---

(١) « أنور باشا»: قائد تركي وزعيم سياسي، كانت سلطته هي العليا. ويلدز: قصر السلطان « عبد الحميد الثاني» في تركية، خلال الحرب العالمية الأولى، وقت سقوط أرضروم في أيدي الروس. والهَبَل: الهلاك.
(٢) الدَخَل: الفساد في العقل أو الجسم.

لـو كـان يَـنـشـرُ مـيْـتًـا غـيـرُ بـارئه
نـشـرتَ، بـعـد الـرَّدى، أرواحَ من قُـتـلـوا
بـغى عـلـيـهمْ عُـلـوجُ الـتُّـرك بَـغـيَـهمُ
لم يشْـحَـذوا لـلـوغى سـيفًـا ولا صَـقَـلـوا
خـــانـــوهمُ وأذاعـــوا أنـــهم نـــفَـــرٌ
خـانـوا الـبلادَ بمـا قـالـوا ومـا عـمِـلـوا
يـا لَـلـطَّـغـام! ويـا بُـهـتـانَ مـا زعَـمـوا
مـتى أسـاء إلى ذي الـمِـخْـلب الحَـمَل؟
هَـبُـوا الـرجـالَ لأمـرٍ أحـدَثـوا حَـدثًـا
فـمـا الـذي جـنَت الـعـذراءُ والـطِـفلُ؟
أجَـدُّكمْ، كـلَّـمـا جَـوٌّ خَلا، «أسَـدٌ»
وجـدُّكمْ، كـلَّـمـا شـبّت وغىً، «ثُـعَل»؟[1]
قـد جاء من يَـمـنع الـضَّـعـفى ويُـرغِـمُـكُم
أن تحـمـلـوا عـنـهمُ الـنِّـيرَ الـذي حَـمَـلـوا
أمَّـنتَ «أرمـيـنـيـا» ممـا تُـحـاذرُه
فـلـن تَـعـيثَ بـهـا الأوغـادُ والـسَّـفلُ

ظـنـوكَ في شُـغُلٍ حـتى دهـمـتَـهمُ
فـأصـبـحـوا ولـهمْ عن ظـنّـهم شُـغُل
مَـزّقتَ جـمـعَـهُمُ تـمـزيقَ مـقـتـدِرٍ
عـلى المـهـنَّـدِ، بـعـدَ الـله، يـتّـكِل
فـهم شـرازِمُ حَـيْـرى لا نـظـامَ لـهـا
كـأنـهمْ نَـوَرُ الآفـاقِ أو هَـمَـل[2]

(١) ثعالة وثُعل: أنثى الثعالب.
(٢) النوَر: الأوباش والهمج. والهَمَل: المتروكون سُدى.

ألـبـسـتَـهـمْ ثـوبَ عـارٍ لا تُـطَـهِّـرُهُ
نـارُ الجـحـيم ولـو في حَـرّهـا اغـتَـسَـلـوا
«جَـاويـدُ» فـوق فـراشِ الـذُّلّ مـضـطـجِعٌ
و «طـلـعتٌ» بـرداءِ الخـوفِ مُـشْـتـمِل[1]
أتـسـتـقـرُّ جـنُـوبٌ في مـضـاجـعِـهـا
وفي مَـضـاجـعِـهـا الأرزاءُ والـغِـيَل؟
وتـعـرفُ الأمنَ أرواحٌ تـروّعُـهـا
ثلاثـةٌ: أنـتَ والـنِّـيـرانُ والأَسَل؟
لـو لم تـقـاتـلْـهُمُ بـالجـيش قـاتَـلَـهمْ
جـيشٌ بـغـيـر سلاحٍ إسـمه الـوَهَل[2]
أجـريتَ خـوف المـنـايـا في عُـروقـهمُ
فـلن يـعـيشَ لـهم نـسْلٌ إذا نَـسَـلُـوا
قـد مـات كـهـلـهُمُ من قـبلِ مِـيـتـتِه
وشـاخ نـاشـئـهُمْ من قـبلِ يَـكْـتَـهل
وقـد ظـفـرتَ بـهم والـرأسُ مـشـتـعلٌ
كـمـا ظـفـرتَ بـهم والـعـمـرُ مُـقـتَـبِل
فـتْحٌ تـهـلَّـلتِ الـدنـيـا به فَـرَحًـا
فـكل رَبْـعٍ، خلا «أسـتـانـةً» جَـذِل[3]
الـشـعبُ مـبـتـهجٌ، والـعـرشُ مـغـتـبِطٌ
وروحُ جـدِّك في الـفِـردوس تَـحـتـفل!..

****

(١) (جاويد) و (طلعت) من رجال الترك، ومن رجال حزب تركية الفتاة. رأسَ الثاني الوزارة التركية ١٩١٧ – ١٩١٨.
(٢) الوهَل: الخوف والفزع.
(٣) الأستانة: دار الخلافة (استانبول).

٤٩ - سبيل التوحيد

[البسيط]

مـــا كـــان أحـــوجَ ســـوريّـــا إلى بَـــطَلٍ
يـــردُّ بـــالـــسـيف عـــنـــهـــا كلَّ مُـــفْـــتـــرِسِ
ولا يـــزال بـــهـــا والـــسّـــيفُ في يَـــدِه
حـــتى يـــطـــهِّـــرَهـــا من كلِّ ذي دَنَس
ويـــجـــعل الحُبَّ دِينَ الـــقـــاطـــنـــينَ بـــهـــا
دينٌ يـــقـــرِّب بـــين «الـــبـــيـــتش» والـــقُـــدُس
حـــتى أرى ضـــاربَ الـــنـــاقـــوس يُـــطـــربُهُ
صـــوتُ الأذَينِ[1]، وهـــذا رنّـــةُ الجَـــرَس

****

(١) الأذين والأذان واحد.

٥٠ - ١٩١٦

[الكامل]

كم، قَـبْلَ هـذا الجـيلِ، ولّى جـيلُ
هـيـهـاتَ، لـيس إلى الـبـقـاء سـبـيلُ
ضـحكَ الـشـبـابُ من الـكُـهول فـأغـرقـوا
واسـتـيـقـظـوا، فـإذا الـشـبـابُ كُـهـول
نـأتي ونمـضي والـزمـانُ مـخـلَّـدٌ
الـصـبـحُ صـبـحٌ والأصـيـلُ أصِـيل
حَـرٌّ وقُـرٌّ يُـبـلِـيـان جُـسـومَـنـا
لـيت الـزمـانَ، كـمـا نَـحـولُ، يَـحـول[1]
إنّ الـتـحـوّلَ في الجـمـاد تـقـلّصٌ
في الحي مـوتٌ؛ في الـنـبـات ذبُـول
قفْ بـالمـقـابِـر صـامـتًـا مُـتـأمّلاً
كم غـابَ فـيـهـا صـامتٌ وسَـؤول
وسلِ الـكـواكبَ كم رأتْ من قَـبْـلِـنـا
أممًـا، وكم شـهِـدَ الـنـجـومَ قَـبِـيل[2]
تـتـبـدَّلُ الـدنـيـا تـبـدُّلَ أهـلِـهـا
والـلـهُ لـيس لأمْـرِهِ تَـبـديل

☆☆☆☆☆☆

يـا طـالـعًـا لـفتَ الـعـيـونَ طـلـوعُهُ
بـعـد الـطُّـلـوعِ، وإن جـهـلتَ، أُفـولُ

---

(١) حال - يحول: انقلب عن حاله الأولى.

عـطـفًـا ورِفْـقًـا بـالـقـلـوب، فـإنمـا
حِـقْـدُ الـقـلـوبِ عـلى أخـيكَ طَـويل
أُنـظـرْ! فـوجْهُ الأرضِ أَغـبـرُ شـاحبٌ
واسـمعْ! فـأصـواتُ الـريـاح عَـويل
ومِن الحَـديـد صـواعقٌ، ومن الـعَـجَـا
جِ غـمـائِمٌ، ومن الـدمـاء سُـيـول
مـا كـنتُ أعـلمُ قَـبـلَـمـا حَـمِس الـوغى
أنّ الـضـواريَ والأنـامَ شُـكـول[1]
يـا أرضَ أورُبَّـا ويـا أبـنـاءَهـا
في عُـنْقِ مَن هـذا الـدَّمُ الـمَـطّـلُـول؟
في كل يـومٍ مـنـكمُ أو عـنـكمُ
نـبـأ تجيء به الـرُّواةُ مَـهُـول
مـزّقـتُم أقـسـامَـكم وعـهـودَكم
ولـقـد تـكـونُ كـأنـهـا الـتـنـزيل
وبـعـثـتمُ الأطـمـاعَ فـهْي جـحـافلٌ
من خـلـفـهنّ جـحـافلٌ وخُـيـول
ونـشـرتُم الأحـقـادَ فـهْي مـدافِعٌ
وقـذائفٌ وأسِـنّـةٌ ونُـصـول
لـو لم تـكن أضـغـانُـكمْ أسـيـافَـكم
أمـسى بـهـا، ممـا تُـسـامُ، فُـلـول
عـلَّـمـتُمُ «عِـزْريلَ» في هـذي الـوغَى
مـا كـان يَـجـهل عِـلـمَه «عِـزْريل»
إن كـان هـذا مـا يُـسـمّى عـنـدكمْ
عِـلْـمًـا، فـأين الجَـهْلُ والـتَّـضْـلـيل

(١) حَمِسَ الوغى: اشتدّ القتال.

إن كـــان هـــذا مـــا يـــســـمى عـــنـــدكمْ
دِيـنًـــا فـــأين الـــكُـــفْـــرُ والـــتَّـــعـــطـــيل
عَـــودًا إلى عـــصْـــر الـــبَـــداوةِ، إنه
عـــصـــرٌ، جـــمـــيلٌ أن يُـــقـــال جَـــمـــيل
«قـــابـــيلُ»، يـــا جَـــدَّ الـــورى، نم هـــانـــئًـــا
كلّ امـــــرئٍ في ثـــــوبِـه «قـــــابـــــيل»
لا تـــفـــخـــروا بـــعـــقـــولِـكمْ ونِـتـــاجِـــهـــا
كـــانت لـــكمْ، قـــبلَ الـــقـــتـــال، عُـــقـــول
لا أنـــــتمُ أنـــــتمْ ولا أربـــــاضُـــــكُمْ
تـــلك الـــتي فـــيـــهـــا الـــهـــنـــاء يَـــقـــيل[1]
لا تـــطـــلـــبُـــوا بـــالمـــرهَـــفـــاتِ ذُحـــولَـــكم
في نَـــيْـــلِـــهـــا بـــالمـــرهـــفـــاتِ ذُحـــول[2]
إن الأنـــامَ عـــلى اخـــتلاف لُـــغـــاتـــهمْ
وصـــفـــاتـــهمْ، لـــو تـــذكُـــرون، قَـــبِـــيل
يـــا عـــالـــمَـــنـــا! هل فـــيك ثَـــمّـــةَ مـــطْـــمَعٌ
بـــالـــسَّـــلم أم هـــذا الـــشَّـــقـــاءُ يَـــطـــول
مـــرّت عـــلـــيـــهـــا حِـــجَّـــتـــانِ ولم تـــزلْ
تـــتـــلـــو الـــفـــصـــولَ مَـــشـــاهـــدٌ وفُـــصـــول
لم يَـــعـــشقِ الـــنـــاسُ الـــفـــنـــاءَ وإنمـــا
فـــوقَ الـــبـــصـــائِـــر والـــعُـــقـــول سُـــدول
أنـــا إن بَـــسَـــمتُ، وقـــد رأيـــتك مـــقـــبلاً
فـــكـــمـــا يَـــهَـــشّ لـــعـــائـــدِيه عَـــلـــيل
وإذا ســـكـــنتُ إلى الـــهـــمـــوم فـــمـــثـــلَـــمـــا
رضيَ الـــقـــيـــودَ المـــوثَقُ الـــمَـــكْـــبـــول

(١) الرَّبَض: ما يكون من حول المدن. وقال يقيل: من القيلولة.
(٢) الذُحْل: الحقد والعداوة.

لا يستوي الرجُلانِ، هذا قلبُه
خالٍ، وهذا قلبُه (مَجبُول)[1]
لا يخدعنَّ العارفون نفوسَهم
إن المُخادِعَ نفسَه لَجهول
في الشرق قومٌ لم يَسُلُّوا صارِمًا
والسيفُ فوق رؤوسِهم مَسْلول
جهِلوا ولم تجهلْ نفوسُهمُ الأسى
أشقى الأنامِ العارفُ المَجْهول[2]
أكبادُهم مَقروحَةٌ كجُفونهمْ
وزفيرُهمْ بأنينِهِمْ مَوْصول
أما الرجاءُ، وطالما عاشوا به
فالدمعُ يشهد أنّه مقتول
واليأسُ موتٌ غيرَ أن صريعَه
يبقى، وأما نفسُه فتَزول
رباه، قد بلغ الشَّقاءُ أشُدَّهُ
رُحْماكَ إن الراحمينَ قليل

في الله والوطنِ العزيز عصابةٌ
نُكِبوا، فذا عانٍ وذاك قتيل
لو لم يمتْ شَمَمُ النفوس بموتهمْ
ثار الشآمُ، لموتهم، والنيل
يا نازحينَ عن الشَّآم تذكّروا
مَن في الشَّآم وما يليه نُزول

(١) اضطراب في الأصل، وأقرب الكلمات إلى المعنى الذي يريده الشاعر كلمة (مجبول) بالهموم.

هَمُّ المـمـالكِ في الجِـهـادِ، وهـمُّـكم
قـالٌ تـسـيـر به الـطُّـروس وقِـيل
هـبُّـوا ؛ اعـمـلـوا لـبلادكم ولـنَـسْـلـكمْ
بـئس الحـيـاةُ سـكـيـنـةٌ وخُـمُـول
لا تَـقْـبـضـوا الأيـدي فـهـذا يـومُـكم
شَـرُّ الـورَى جَـعْـدُ الـبَـنـانِ بَـخِـيل[1]
وعَـدَ الآلهُ المحـسـنـينَ بـبـرّه
وكـمـا عَـلِـمـتمْ، وعْـدُه تَـنْـوِيل

✱✱✱✱

(١) البنان الجعد: كناية عن البخل.

٥١ - ما للكواكب

[الكامل]

شَـوقٌ يَـروحُ معَ الـزمـانِ ويـغـتـدي
والـشَّـوقُ، إنْ جـدّدتَهُ يـتـجـدّدِ
دعْ عـنكَ نُـصـحي بـالـتـبـلّـد سـاعـةً
يـا صـاحِ، قـد ذهب الأسى بـتَـبـلّـدي
مـا زادَ في أسَفِ الحـزينِ وشـجْـوِهِ
شيءٌ كـقـولك لـلـحـزين: تَـجـلّـد!
مـا زلتُ أعـصِـيه إلى أن هـاجَـني
ذِكْـرُ الحِـمى فـعـصَـيتُ كلَّ مُـفَـنِّـد[1]
وأطـار عن جـفـني الـكَـرى وأطـارَني
عن مَـرْقَـدي مـشْـيُ الـهـمـومِ بمَـرْقَـدي
في جـنح لـيلٍ مـثلِ حـظّي حـالكٍ
كـالـبـحـر سـاجٍ... مـقـفـرٍ كـالـفَـدْفَـد[2]
أقـبـلتُ أنـظـرُ في الـنُّـجـوم مـصـعِّـدًا
عـيـنيَّ بـين مـصـوِّبٍ ومُـصـعِّـد
أو واجفٍ أو راجفٍ مـتـرجـرِجٍ
أو نـافـرٍ أو حـائـرٍ مـتـردّد
يمـشـين في هـذا الـفـضـاء وفـوقَه
وكـأنمـا يمـشـين فـوق الأكْـبُـد

---

(١) التفنيد: اللوم وتضعيف الرأي.
(٢) سجا: امتدّ وسكن. والفدفد: المفازة الواسعة الخالية.

والـبـدرُ مـنـبـعثُ الـشُّـعـاعِ لـطـيـفُه
صـــافٍ كـذهنِ الـشـاعـر المـتـوقِّـد
مـا زال يَـنـفُـذُ في الـدُّجى حـتى اسـتوى
فـيـه، فـيـا لكَ أبـيـضًـا في أسـود
والـشُّـهْب تـلـمع في الـرَّقـيعِ كـأنـهـا
أحلامُ أرواح الـصـغـارِ الـهُـجَّـد
يـنـظُـرْنَ عن كـثَبٍ إلـيه خِـلْـسـةً
نـظـرَ الـمِلاح إلى الـغَـريـر الأمْـرَد[1]
فـعـجـبتُ ممّن نـام ملءَ جـفـونه
والـكـونُ يـشـهـدُ مـثلَ هـذا المـشْـهـد
ورأيـتُـني فـوق الـغَـمـام مُـحـلّـقًـا
في الأفْق مـا بـين الـسُّـهـا والـفَـرقَـد
فـسـمـعتُ صـوتًـا من بـعـيـد قـائلاً
يـا أيُّـهـا الـسـاري مـكـانَكَ تُـحـمـد
مـا دمتَ في الـدنـيـا فلا تـزهـدْ بـهـا
فـأخـو الـزَّهَـادةِ مـيِّتٌ لم يُـلْـحَـد
لا تَـقْـنَـطَنّ من الـنـجـاح لِـعَـثْـرةٍ
مـا لا يُـنـالُ الـيـومَ يُـدركُ في غـد
كم آكلٍ ثـمـرًا سـقـاهُ غـيـرُه
دمَه، وكم من زارعٍ لم يَـحْـصُـد
لـو كـان يَـحـصُـدُ زرعَه كلُّ امـرىءٍ
لم تُـخـلْقِ الـدنـيـا ولم تَـتَـجَـدّد
بـالـذِكْـر يـحـيـا المـرءُ بـعـد مَـمـاته
فـانـهضْ إلى الـذِّكْـر الجـمـيلِ وخـلِّـدِ

(١) الغرير والغِرّ: الشاب الذي لا تجربة له.

فـلـئن ولـدتَ ومُتّ غـيـرَ مـخـلِّـدٍ
أثـرًا فـأنت كـأنمـا لم تـولَـد
حـتّـامَ في لا شيءَ يَـقـتـتل الـورى
إن الحِـمَـامَ عـلى الجـمـيع بمَـرْصَـد
طـاشتْ حُـلـوم المـالـكـين، فـذاهلٌ
لا يَـسـتـفـيقُ، وحـائـرٌ لا يـهـتـدي
وأفـقتُ، إذ قـطع الـكلامَ مـكـلّـمي
فـنـظـرتُـني فـإذا أنـا لم أصْـعَـد

مـا لـلـكـواكبِ لا تـنـام ولا تَـنِي
قـد طـال سُـهـدكِ يـا كـواكبُ فـارقُـدي
كم تـنـظـرين إلى الـثَـرى من حـالِقٍ
مـا في الـثـرى لأخي الأسى من مُـسْـعِـد
أو مـا تـرَيْـني عـنـدمـا اشـتـدّ الـدُّجى
واشـتـدّ دائي نـام عـنـي عُـوَّدي
حـتى لـقـد كـاد الـقَـريضُ يَـعُـقُّـنِي
ويـصـونُ عـنّي مـاءَه وأنـا الـصَّـدِي
أمـسي أهُمُّ به ويـظـلَـعُ خـاطـري
فـكـأنمـا أنـا مـاتح من جَـلْـمـد[1]
لا تـسـألـيـني لِمْ سـهـدْتُ فـإنـني
لـو كـان في وُسْـعي الـكـرى لمْ أسْـهـد
صـرفتْ يـدُ الـبـلـوى يـدي عن أمـرهـا
مـا خِـلتُ أمـري قطُّ يـخـرُج من يـدي
في أضـلـعي نـارٌ أذابت أضـلُـعي
ومـشت إلى كَـبِـدي ولـمّـا تَـخـمُـد

(١) ظلع: عرج وغمز في مشيته. ومتحَ الدلو: جذبه إليه ليستقي منه.

أخشى على الأحشاء من كتمانها
وأخافُ أن أشكو فيشمَتَ حُسَّدي

☆☆☆☆☆

ومليحةٍ لا هندُ من أسمائها
كلا، وليست كالحِسان الخُرَّد[1]
نشَزَ الجواري، والإماءُ تمرّدتْ
وونَتْ فلم تنشُزْ ولم تتمرّد
في النفس منها ما بها من دهرها
أزكى السلامِ عليكِ أرضَ الموعد
يا ليت شِعري كم أقول لها: انهَضي
وتقول أحداثُ الزَّمانِ لها: اقعُدي
ليس الذي لاقتْه هيْنًا إنما
حَمْلُ الأذى هيْنٌ على المتعوِّد!

✱✱✱✱

(١) الخريدة: البكر.

٥٢ - الحاجة إلى الخَرَس

[البسيط]

مـــا كـــان أحْـــوَجَـــني يـــومًـــا إلى أُذُنٍ
صـمّـاءَ إلا عن الـــمَـــحْـــبـــوب ذي الأُنسِ
كي لا يُـصـــدِّعَ رأسي صـــوتُ نـــائـــحـــةٍ
ولا تُـــقـــطِّعَ قـــلـــبي أنّـــةُ الـــتَّـــعِسِ
ولا يمـــــرِّرَ نـــفـــــسي الأدعـــيـــاءُ ولا
ذمّ الأفـــاضلِ من ذي خِـــسّـــةٍ شَـــرِسِ
أقـولُ هـذا عـسى حُـرٌ يـقـول مـعي:
مـا كـان أحْـوجَ بـعضِ الـنـاس لـلـخَـرَس!

****

٥٣ - البغضاء[١]

(معـرّبة)

[البسيط]

لا نُـبـغضُ «الـروسَ» لـكنْ لا نُـحـبُّـهمُ
فـحـربُـنـا حـربُ أقـرانٍ لأقـرانِ
ولا «الـفِـرَنـسـيسَ» مـا همْ بـالـعُـداةِ لـنـا
لـكـنّـهمْ غـيـرُ أصـحـابٍ وإخـوان
إنـا نـبـادلُـهمْ والـنـقْـعُ مُـنـسـدِلٌ
طـعـنًـا بـطـعنٍ ونـيـرانًـا بـنـيـران[٢]
وذي بـيـارقُـنـا في «الـفُـوج» خـافـقـةٌ
وجـيـشُـنـا ظـافـرٌ في كلّ مـيـدان[٣]
قـلـوبُـنـا لـيس فـيـهـا غـيـرُ مَـوْجِـدَةٍ
ذو الـشـيب فـيـهـا وفَـحْم الـشّـعـر سِـيَّان
نـهـوَى ونـحن جـمـوعٌ لا عِـداد لـهـا
كـواحـدٍ وكـذا نـقْـلي[٤] كـإنـسـان
عـدوّنـا واحـدٌ، الـكلُّ يَـعـرفُه
ذاكَ الحَـسـودُ الخـبـيثُ المـاكـرُ الـشَّـاني

---

(١) وردت الملاحظة التالية في الديوان الأصل: «هي القصيدة المشهورة التي نظمها الشاعر الألماني «ارنست ليسوار» في غضون الحرب، فكان لها في ألمانيا دوي ورنين. وقد نال ناظمها من إمبراطوره وساماً عالمياً من نوع «الصليب الحديدي» دلالة على الاستحسان والرضا. ولما كانت هذه القصيدة قد نقلت إلى أكثر اللغات فقد اقترحت جريدة «مرآة الغرب » اليومية على صاحب الديوان أن ينقلها إلى عالم الشعر العربي ففعل ». أحسبه يُسقطها على (الأتراك العثمانيين)!

(٢) النقع: غبار المعارك.

(٣) الفُوج: Vosges جبال في شرقي فرنسة، تمتدّ إلى ١٢٠ كم، كانت ساحة لمعارك كبيرة في الحرب العالمية الأولى.

(٤) قلاه – يقليه: أبغضه (والاسم: القِلى).

تـــردُّنـــا عـــنه أمـــواجٌ يـــلـــوذُ بـــهـــا
سـمـيـكـةٌ كـالـنَّـجـيع[1] الـيـابسِ الـقـاني
أرى به، وهـو في الـطـوفـان مـخـتـبئٌ،
طـوفـانَ غـيظٍ تـوارى خـلـفَ طـوفـان
قـد أصـبح المـاءُ يَـحـمـيه ويَـمـنـعُه
الـويلُ لـلـمـاء مـنّـا، إنه جـانِ
قِـفـوا أمـامَ الـقـضـاء الـعـدْلِ كُـلُّـكُمُ
ولـيـحـلِـفَنّ يَـمـيـنًـا كلُّ ألمـاني
غـلـيـظةً كـالحـديـد الـصُّـلب، صـارمـةً
كـالمـوت، تـبـقى لأدهـارٍ وأزمـان
أن نُـبـغضَ الـبُـغْضَ لا تَـبـلى مَـرائـرُه
ولا يُـقـاسُ ولا يُـحـصى بمـيـزان
وأن نـــردّدَه في كلّ نـــاحـــيـــةٍ
وأن نـكـرّرَهُ تـكـريـرَ ألحـان
وأن نُـعـلّم مـنّـا كلَّ ذي كـبـدٍ
أن يُـبـغضَ الـقـومَ في سـرٍّ وإعلان
بـغـضًـا إلى نَسْلـنـا بـالإرث مـنـتـقلاً
إلى بَـنـيـهمْ ومِن جِـيلٍ إلى ثـانِ
عـدوُّنـا واحـدٌ، الـكلّ يـعـرفُه
ذاكَ الحسودُ الخبيثُ الماكرُ الشَّاني[2]
إنـكـلـتـرا
ألا اسْـمَـعـوا أيـهـا الألمـانُ واعـتـبـروا
فـأنـتمُ أهلُ ألـبـابٍ وأذهـانِ
في مَـحْـفِلٍ جـلس الـقُـوّادُ كـلُّـهُمُ
كـمُـحْـكَمِ الـعِـقـدِ أو مَـرْصـوصِ بُـنـيـان

---

(١) النجيع: دم الجوف.

وقـــام واحـــدُهمْ والـــكـــأسُ فـي يـــده
كـــأنـــهـــا قـــبَسٌ أو عَـــيْنُ غَـــضْـــبـــانِ
فـقـــال: يـــا قـــومُ «هـــذا ســـرٌّ يـــومِـــكُمُ»
ألا اشْـــربـــوا ؛ إن ســـرَّ الـــيـــومِ سِـــرّانِ
مـقـالـةٌ فـعـلتْ في الجـمْع فِـعـلـتَـهـا
فـأصـبـحـوا وكـأنّ الـواحـدَ اثـنـان
مـا ضـرْبـةُ الـسَّـيفِ من ذي مِـرّةٍ بـطلٍ
ومـسـتـطـيـرُ الـلَّـظى من قـلبِ صَـوّان[1]
ولا الـسـفـيـنـةُ في الـتـيّـار جـاريـةً
ولا الـشِـهـابُ هـوى في إثْـر شـيـطـان
أمـضِي وأنـفـذُ مـنـهـا وهي خـارجـةٌ
من فـيه كـالـسَّـهم من أحـشـاء مِـرْنـان[2]
فضـاءَ مَن كـان، في الـكأس الـتي ارتـفعت
ومَن يـريـد ويَـعـني الـقـائلُ الـعـاني؟[3]
إنـــكـــلـــتـــرا
بـني بـريـطـانـيـا نـادوا جـمـوعَـكُمُ
واسـتـصـرخـوا الخَـلْقَ مِن إنسٍ ومن جَـان
وابـنـوا المـعـاقِلَ والأسـوار من ذهبٍ
واسـتـأجـروا الجُـنـدَ مِن بـيضٍ وعِـبـدان
مُـرُوا أسـاطـيلَـكمْ في الـبـحـر تَـرصُـدُنـا
وتـرصـدُ الـبـحـرَ من مـوجٍ وحـيـتـان
تـــالـــلـــهِ لا ذي ولا هـــذي تـــردُّ يَـــدًا
إذا رمَتْ دكَّتِ الـبُـنـيـانَ والـبـاني

(١) المِرّة: القوة وشدّة العقل.
(٢) المِرنان: القوس الذي ينطلق منه السهم.
(٣) ضاء الشيء: أنار وأشرق.

لا نُـبـغِضُ الـروسَ لـكنْ لا نُـحـبُّـهُمُ
فـحـربُـنـا حـربُ أقـرانٍ لأقـران
ولا الـفِـرَنـسيسَ، مـا هم بـالـعُداةِ لـنـا
لـكـنـهمْ غـيـرُ أصـحـابٍ وإخـوان
إنّـا نـبـادلُـهمْ والـنـقْعُ مـنـسـدلٌ
طـعـنًـا بـطـعنٍ ونـيـرانًـا بـنـيـران
نـأتي ويـأتـونَ والـهـيـجـاءُ قـائـمـةٌ
بـكلّ مـاضٍ وفـتّـاكٍ وطـعّـان
لـكـنـمـا في غـدٍ يُـرخي الـسّلامُ عـلى
هـذي الـوغى وعـلـيـهمْ سِـتْـرُ نِـسـيـان
ويمّـحي كلّ بـغضٍ غـيـرَ بـغـضِـكُمُ
فـإنه آمنٌ من كلّ نُـقـصـان
حـقـدُ الـقـلـوب عـلـيـكمْ لا يـزول وإن
زُلْـتمْ وزُلْـنـا وزال الـعـالَم الـفـاني
في الأرض بُـغْـضُـكُمُ والماءُ مـثـلُـهـمـا
والبغضُ في الحُرّ مثلُ البُغض في العاني[1]
الـكوخُ يُـبـغـضـكُمْ والـقَـصْـرُ يُـبـغِـضُـكمْ
وكلٌّ ذي مُـهـجـةٍ مـنّـا ووِجـدان
نـهـوى ونـحن جـمـوعٌ لا عِـداد لـهـا
كـواحـدٍ، وكـذا نَـقـلَى كـإنـسـان
عـدوُّنـا واحـدٌ، الـكلُّ يـعـرفُه
ذاك الحسودُ الخبيثُ الماكرُ الشَّاني
إنـكـلـتـرا

✱✱✱✱

(١) العاني: الذليل والأسير.

٥٤ - حكاية قديمة

[الطويل]

ورُبَّتَ أمـــريـــكـــيَّـــةٍ خِـــلتُ ودَّهـــا
يـــدوم، ولـــكن مـــا لـــغـــانـــيـــةٍ ودُّ
صـبـوتُ إلى هـنـدٍ فـلـمـا رأيـتُـهـا
سـلـوتُ بـهـا هـنـدًا ومـا صـنـعتْ هـنـد
وأوحتْ لـــهـــا عـــيـــنـــاي أنَّ صـــبـــابـــةً
تـلـجـلـجُ في صـدري وأَحـذَرُ أن تـبـدو
فـــألـــقتْ إلى أتـــرابـــهـــا وتـــبـــسّـــمتْ:
أعِيٌ سـكـوتُ الـصَّبِّ أم صـمْـتُه عَـمْـد؟
فـــقـــلـــتُ: سلامُ الـــلـــه، قـــالت: وبِـــرُّه،
فـقـلـت: أهـــزْلٌ ذلك الـــقـــولُ أم جِـدّ؟
وأمـسـكتُ أنـفـاسي وأرهـفتُ مَـسْـمـعي
فـفي نَـفَـسي جـزْر وفي مَـسْـمـعي مَـدّ
فـقـالت: ودِدْنـا لـو عـرفْـنـا مَنِ الـفـتى
ومـا يـبْـتَـغـيه؟ قـلت: مـا يـبـتـغي الـعـبـد؟
له كَـــبِـــدٌ حَـــرّى، وقـــلـــبٌ مُـــكـــلَّمُ
غـلـطتُ، فـمـا لـلـصبّ قـلبٌ ولا كِـبْـد
قـــتـــيـــلٌ ولـــكـــنْ ثـــوبه كَـــفَـــنٌ له
وكل مـــكـــانٍ يـــســـتـــريحُ به لَـــحْـــد
فـإن لـم يـكن من نـظـرةٍ تـرأبُ الـحـشَـا
فـــرُدّي عـــلـــيـــه قـــلـــبَه وبه زُهـــد

فـضَـرّجَ خـدّيـهـا احـمـرارٌ كـأنمـا
تـصـاعـدَ من قـلـبي إلى خـدّهـا الـوجْـد
وقـرَّبـهـا مـنـيّ وقـرّبـنـي الـهـوى
إلى أن ظـنـنّـا أنَّـنـا واحـدٌ فـرْد
وكـهـربَ روحـيـنـا فـلـمـا تـنـهّـدتْ
تـنـهّـدتُ حـتى كـاد صـدريَ يَـنـهـدّ
وكـان حـديثٌ خِـلْتُ أني حـفـظـتُه
فـأذهـلـني عـنه الـذي كـان من بـعْـدُ

أمـرتُ فـؤادي أن يُـطـيعَ فـؤادَهـا
فـيـبكي كما تـبكي ويشدو كما تشدو
وقـلتُ لـنـفـسي: هـذه مـنـتـهى الـمُـنى
وهـذا مـجـالُ الـشـكـر إن فـاتَكَ الحَـمْـد
فـإن تـرغـبي عـنْـهـا، وفـيكِ بـقـيـة،
فـمـا أنتِ نـفـسي إنمـا أنتِ لي ضِـدّ
ومـرّت لـيـالٍ والـمُـنى تَـجـذِب الـمُـنى
وقـلـبي، كـمـا شـاءتْ، يَـلـين ويـشـتـدّ
نـروحُ ونـغـدو والـلـيـالي كـأنـهـا
وقـوفٌ لأمـرٍ لا تـروحُ ولا تـغـدو
ومـا زلتُ تَـسـتَـخـفِي عـليّ عُـيـوبُـهـا
إلى أن تـولَّى الـغَـيُّ واتّـضَـحَ الـرُّشـد
رأى الـدهـرُ سـدًا حـول قـلـبي وقـلـبِـهـا
فـمـا زال حـتى صـار بـيـنـهـمـا الـسـدّ
خُـدِعتُ بـهـا والحُـرُّ سـهْـلٌ خِـداعُهُ
فلا طـالـعي يُـمْـنٍ ولا كـوكـبي سَـعْـد

وكنّا تعاهدْنا على الموتِ في الهوى
فما لبثتْ إلا كما يلبَث الوردْ
كأني ما ألصقتُ ثغري بثغْرِها
ولا باتَ زَندي وهو في جِيدها عِقد
ولم نَشتَملْ بالليل والحيُّ نائمٌ
ولم نستترْ بالروض والليلُ مُمتدّ
ولا هزّنا شدْو الحمائم في الضحى
ولا ضمَّنا بيتٌ ولم يَحْونِا بُرْد

أإنْ لاحَ في فُودي القَتِيرُ نَكَرْتني
أيُزهدُ في الصَّمصَام إن أخَلُقَ الغِمْد[1]
لئن كان لونُ الشَّعرِ ما تعشقينَهُ
فدمْ أبيضًا ما دمتَ يا شعريَ الجَعْد
فلا تشْمَتي مني فلستِ بمأمنٍ
ولا تزهَدي فيه، فليس به زُهْدُ
هو الفاتحُ الغازي الذي لا تردُّه
عن الفاتح الغازي قِلاعٌ ولا جُند
فلو كان غيرَ الشَّيبِ عني صرفتُه
ولكنّ حُكمَ الله ليس له رَدّ
وإن تُعرِضي عن مَفْرِقي وهو أبيضٌ
فيا طالما قبّلتِه وهو مُسْودّ
شفى اللهُ نفْسي لا شفى اللهُ نفْسَها
ولا غاب عن أجفانِها الدمعُ والسُّهد

(١) القتير: الشيب أو أوائله. وخلُق - يخلُق: بليَ (وأخلق أيضاً).

فلا ثـــغـــرُهـــا دُرٌّ ولا أُقـــحـــوانـــةٌ
ولا دمـــعُـــهـــا طلٌّ ولا ريـــقُـــهـــا شَـــهـــد
ولا قَـــدُّهـــا غـــصنٌ ولا خـــيـــزرانـــةٌ
ولا خـــصـــرُهـــا غَـــوْرٌ ولا رِدفُـــهـــا نَـــجْـــد
ولا وجـــهُـــهَـــا شـــمسٌ ولا شَـــعـــرُهـــا دُجىً
ولا صـــدُّهـــا حَـــرٌّ ولا وصْـــلُـــهـــا بـــرد
أحَبّ إلى نـــفـــسي الـــرّدى من لـــقـــائـــهـــا
وأجـــمل في عـــيـــنيّ من وجـــهـــهـــا الـــقِـــرْد!
فـــإن تـــلـــمسِ الـــثـــوبَ الـــذي أنـــا لابسٌ
قَـــددتُ بـــكـــفّي الـــثـــوبَ من قَـــبلِ يَـــنـــقَـــدّ[1]
وإنْ تـــقـــرُبِ الـــدارَ الـــتي أنـــا ســـاكنٌ
هـــجـــرتُ مـــغـــانـــيـــهـــا ولـــو أنـــهـــا الخُـــلْـــد
فـــإن كـــان غـــيـــري لم يـــزلْ ديـــنُه الـــهـــوى
فـــإني، ولا أخـــشـــى الـــمَـــلامَـــةَ، مـــرتـــدُّ!!

✱✱✱✱

(١) التقدير: من قبل أن ينقدّ (قدّه: شقّه بالطول).

٥٥ - لمن الديار

[الكامل]

لِـمَن الـديـارُ تَـنـوحُ فـيـهـا الـشَّـمْـأَلُ
مـا مـاتَ أهـلُـوهـا ولم يَـتَـرحَّـلـوا
مـاذا عَـراهَـا، مـا دَهـا سـكّـانَـهـا
يـا لـيت شِـعـري كُـبِّـلـوا أم قُـتِّـلـوا؟
مَـثَّـلـتُـهـا فَـتـمـثَّـلتْ في خـاطـري
دِمَـنًـا لـغَـيـرِ الـفـكـرِ لا تـتـمـثَّل
تَـمـشـي الـصَّـبَـا مـنـهـا بـرسمٍ دارسٍ
لا رِكْـزَ فـيـه كـأنمـا هـي هَـوْجَلُ[1]
وإذا تـأمَّـلَ زائـرٌ آثـارَهـا
شـخـصتْ إلـيه كـأنـهـا تـتـأمّل
أصـبـحتُ أنـدُبُ أُسْـدَهـا وظـبـاءَهـا
ولـطَـالمـا أبـصَـرتُـنـي أتـغَـزّل
أيـامَ أنـظـرُ في الحِـمى مُـتـهـلِّلا
وأرى الـديـارَ كـأنـهـا تـتـهـلَّل
وأروحُ في ظلِّ الـشـبـاب وأغْـتَـدي
جَـذلانَ لا أشـكـو ولا أتـعَـلَّل
إذْ كلُّ طـيـرٍ صـادحٍ مُـتـرنِّمٌ
إذ كل غـصنٍ يـانعٍ مُـتَـهـدّل
والأرضُ كـاسـيـةٌ رداءً أخـضـرًا
فـكـأنـهـا ديـبـاجَـةٌ أو مُـخْـمَل

---

(١) الرِكز: الصوت. والهجْل والهوجل: المفازة الواسعة.

يـجـري بـهـا، فـوق الجُـمـانِ من الحـصَى
بـين الـزَبَـرْجَـد[1] والـعَـقـيقِ، الجـدولُ
والـزهـرُ في الجـنّـاتِ فـيَّـاحُ الـشَّـذا
بِـنَـدى الـصَّـبـاحِ مـتـوّجٌ ومُـكَـلَّل
والـشـمسُ مـشـرقـةٌ يـلـوحُ شـعـاعُـهـا
خِـلَلَ الـغـصـونِ، كـمـا تـلـوحُ الأَنـصُل
والـظلّ ممـدودٌ عـلـى جَـنَـبـاتِـهـا
والمـاءُ مـغـمـورٌ به الـمُـخْـضَـوضِل
لـلـه كـيف تـبـدّلتْ آيـاتُـهـا
من كـان يـحـسَبُ أنـهـا تـتـبَـدّل؟

زحفَ الجـرادُ بـقـضِّهِ وقـضـيـضِه
سَـيـرَ الـغَـمـامِ إذا زَفَـتْه الـشَّـمـأل[2]
حـجبَ الـسَّـمـاءَ عن الـنـواظـر والـثَّـرَى
فـكـأنه الـلـيلُ الـبـهـيمُ الأَلْـيل[3]
مـن كلِّ طـيـارٍ أرَقَّ جَـنـاحَهُ
لـفحُ الحَـرور وطـولُ مـا يَـتـنـقَّل
عَـجِلٍ إلى غـايـاته مُـسـتـوفِـزٍ
أبـدًا يـشـدُّ الـعَـجْـزَ مـنه الـكَـلـكَل[4]
خَـشِنِ الإهـابِ كـأنّه في جَـوشَنٍ
وكـأنمـا في كل عـضـوٍ مِـنْـجَل[5]

(١) الزبرجد: الزمرّد.
(٢) زفته: دفعته ريح الشمال.
(٣) الأليل: الممتد الطويل.
(٤) الكلكل: الصدر.
(٥) الجوشن: الدرع.

وكـــأنمـــا حِـــلَقُ الـــدُّروع عُـــيـــونُه
وكـــأنـــهنّ شـــواخِـــصًـــا تُـــتـــخـــيَّل
مـصـقـولـةٌ صـقْلَ الـزُّجـاجِ يَـخـالُـهـا
في مَـعـزِلٍ عن جـسـمه، المـسـتـقـبِل
ومِنَ الـعـجـائبِ معْ صـفـاء أديمِـهـا
مـــا إن تـــرفُّ كـــأنمـــا هي جَـــنْـــدل[1]
ضـيفٌ أخفُّ عـلى الـهـواءِ من الـهَـوا
لـــكـــنّه في الأرض مـــنـــهـــا أثْـــقل
ملأ المـســـارحَ والمـطـارحَ والـرُّبـا
فـإذا خَـطَتْ فَـعَـلَـيهِ تـخـطـو الأرجُل
حـصَـدَ الـذي زرعَ الـشـيـوخُ لِـنَـسْـلـهمْ
وقـضـى عـلى الـقُـطّـانِ أن يـتَـحَـوّلـوا
مـــــا ثَـمّ من فَـــــنَـنٍ إلـى أوراقـه
يـأوي؛ إذا اشـتـدّ الـهَـجِـيـرُ، الـبـلـبلُ
وإذا الـقـضـاءُ رمى الـبلادَ بـبـؤسِه
جَفّ الـسَّـحـابُ بـهـا وجفَّ الـمَـنْـهل

وقعَ الـــذي كـــنّـــا نـــخـــافُ وقـــوعَه
فـعـلى المـنـازل وَحـشَـةٌ لا تـرحَل
أشـتـاقُ لـو أدري بـحـالـةِ أهـلِـهـا
فـــإذا عـــرفتُ وددْت أني أَجـــهَل
لم تُـبقِ أرْجـالُ الـدَّبَى في أرضِـهم
مـا يُـسـتـظَلُ به ولا مـا يُـؤكل[2]

(١) الجندل: الحجارة.

أمــستْ ســمــاؤهُمُ بــغــيــر كــواكبٍ
ولــقــد تــكــون كــأنــهــا لا تــأفُل
يمــشــون في نــور الــضُّــحى وكــأنــهُمْ
في جُــنْحِ لــيلٍ حــالكٍ لا يَــنــصُل[1]
فــإذا اضــمــحَلَّ الــنــورُ واعــتــكــر الــدُّجَى
فــالخــوفُ يــعــلــو بــالــصُّــدورِ ويَــسْــفُل
يــتــوسّــلــونَ إلى الــظَّــلُــوم وطــالمــا
كــان الــظَّــلــومُ إلــيــهمُ يــتــوسَّل
أمــسى الــدَّخــيل كــأنه ربٌّ الحِــمَى
وابنُ الــبلاد كــأنه مُــتَــطــفِّل
يــقــضي، فــهــذا في الــسجون مُــغــيَّبٌ
رهْنٌ، وهــذا بــالحــديــد مُــكــبَّل
ويَــرى الجــمــالَ كــأنمــا هــو لا يُــرى
ويــرى الــعــيــوبَ كــأنمــا هــو أحْــول
حــالٌ أشــدُّ عــلى الــنــفــوس من الــرَّدى
الــصَّــابُ شُــهــدٌ عــنــدهــا والحــنــظل[2]

مــا لي أنــوحُ عــلى الــبلاد كــأنمــا
فــي كل أرضٍ لــي أخٌ أو مــنــزل
يــا لــيت كــفّــاً أضْــرَمتْ هــذي الــوغى
يــبِــسَتْ أنــامــلُــهــا وشُلَّ الــمِــفْــصل
تــتــحــوّلُ الأفلاكُ عن دوَرانــهــا
والــشــرُّ في الإنــســان لا يــتــحــوّل

(١) نصُل: ظهر وخرج.
(٢) الصاب: عصارة شجر مرّ (المفرد: صابة).

مـا زال حـتى هـاجَـهـا مَن هـاجَـهـا
حـربًا يَشيبُ لـها الرضـيعُ الـمُحْوِلِ[1]
فـالـشَّـرقُ مُـرتـعِـدُ الـفـرائصِ جـازعٌ
والـغـربُ من وقَـعَـاتِـهـا مُـتـزلـزِلِ[2]
والأرضُ بـالجُـرْدِ الـصَّـواهلِ والـقَـنـا
ملأى تَـجـيش كـمـا تَـجـيش الـمِـرْجَل
والـطَّـودُ آفـاتٌ تـلـوح وتـخـتـفي
والـسَّـهلُ أرْصـادٌ تجيء وتَـقْـفُل
والجَـوُّ بـالـنَّـقْعِ الـمُـثـار مـلـثَّم
والـبـحـرُ بـالـسُّـفُن الـدَّوارعِ مُـثْـقَل[3]
في كلِّ مـنـفـرِجِ الجـوانب جَـحْـفَلٌ
لجَبٌ يُـنـازعُه عـلـيه جَـحْـفَل
مـاتَ الحـنـانُ فـكل شيءٍ قـاتلٌ
وقَسَـا الـقـضـاءُ فـكلُّ عـضْـوٍ مـقْـتَل
فَـمُـعَـقَّـرٌ بـثـيـابه مـتـكـفِّنٌ
ومُـجـرَّحٌ بـدمـائه مُـتَـسَـربِل
كم نـاكصٍ عن مَـأزِقٍ خَـوفَ الـرَّدى
طـلعَ الـردى من خـلـفه يَـتَـصَـلْـصَل[4]
شَـقيَ الجـمـيعُ بـهـا وعَـزّ ثلاثـةٌ
ذئبُ الـفلاةِ ونَـسْـرُهـا والأجْـدَل[5]

---

(١) مضى عامه الأول.
(٢) الفريصة: لحمة في وسط الجنب (الجمع: فرائص).
(٣) النقع: غبار المعارك.
(٤) الصلصلة في الأصل: صفاء صوت الرعد، أو صوت الحديد إذا حُرّك.
(٥) الأجدل: الصقر.

حـامتْ عـلى الأشْلاء في سَـاحـاتِـهـا
فـرَقًـا تَـعُلّ من الـدمـاء وتَـنْـهل[1]
لـهَـفِي عـلى الآبـاء كـيف تَـطـوّحـوا
لـهَـفي عـلى الشُّبـان كـيف تَـجـنـدَلـوا
حـربٌ جـنـاهـا كلُّ عـاتٍ غـاشمٍ
وجـنَى مـرارتَـهـا الـضـعـيفُ الأعْـزل
مـا لـلـضـعـيفِ مع الـقـويّ مـكـانـةٌ
إنَّ الـقـويَّ هـو الأحَبُّ الأفـضَل
تـتـنـصَّلُ الـسُّـوَّاسُ من تَـبِـعـاتِـهـا
إن الـبـريء الـذَّيلِ لا يَـتـنـصَّل[2]
قـد كـان قـتْلُ الـنـفس شـرَّ جـريمـةٍ
والـيـومَ يُـقـتَلُ كلُّ مَن لا يَـقْـتُل
والمـالـكـونَ عـلى الخَلائق، عـدلُـهمْ
جَـورٌ، فـكـيف إذا همُ لم يَـعْـدِلـوا
كـتـبـوا بمـسْـفُـوك الـنَّـجِـيعِ نُـعُـوتَـهمُ
وبـنَـوا عـلى الجُـثثِ الـعـروشَ وأثَّـلـوا
صـرَفَ الجـنـودَ عن المـلـوك وظُـلـمِـهمْ
قَـولُ الـمُـلـوكِ لـهم: جـنـودٌ بُـسلَّ
يـا شـرَّ آفـاتِ الـزمـان المـنـقـضِي
لا جـاءنـا فـيكِ الـزمـانُ الـمُـقْـبِل

☆☆☆☆☆

إنْ أبكِ سـوريّـا فـقـبْـلي كم بـكى الـ
«أعـشـى» مـنـازلَ قـومِه «والأخـطلُ»[3]

---

(١) النَهلة: الشربة الأولى. والعَلّة: الشربة الثانية.
(٢) السُّوَّاس: الساسة.
(٣) «الأعشى» من شعراء الجاهلية، و«الأخطل» من شعراء بني أمية.

مـــا بِي الـــدِّيـــارُ وإنمـــا قُـــطّـــانُـــهـــا
إن الـــنـــفـــوسَ لـــهـــا الـــمَـــقـــامُ الأول
يـــا قـــومُ إن تَـــنْـــسَـــوا فلا تَـــنْـــسَـــوهُمُ
أو تَـــبْـــخـــلـــوا فـــعـــلـــيـــهِمُ لا تَـــبـــخـــلـــوا
لـــبّـــوا نـــداءَ ذوي المـــروءةِ والـــنـــدى
لِـــيُـــقـــالَ أمُّ الـــشـــامِ أمٌّ مُـــشْـــبِلِ[1]
لا تـــبـــتـــغـــوا شُـــكْـــرَ الأنـــام وأجْـــرَهُمْ
عَـــفْـــوُ الإلهِ هـــو الـــثـــنـــاءُ الأجـــزلُ
في كل يـــومٍ بـــيـــنـــكُمْ مـــســـتـــرفِـــدٌ
أو طـــالبٌ أو راهـبٌ مُـــتَـــجـــوِّلِ[2]
يـــأتـــيـــكمُ بـــادي الـــوِفـــاض فَـــيـــنـــثَـــني
وكـــأنمـــا فـي بُـــردِه «الـــمُـــتـــوكّل»[3]
يـــبـــني بمـــالِـــكُمُ الـــقـــصـــورَ لأهـــله
وقـــصـــورُكمْ أثْـــوابُـــكمْ «والـــمَـــعْـــمَل»
قد حانَ أن تـستـيـقـظوا فـاسـتـيـقـظوا
كم تَـــخـــجـــلُـــون وكـــلُّـــهُمْ لا يَـــخـــجل
يـــا لـــيتَ من بـــذلـــوا نُـــضَـــارَهُمُ لـــمَن
خـــبَـــؤوه في أكـــيـــاسِـــهم لم يَـــبْـــذُلـــوا
بل لـــيـــتَـــهمْ جـــادوا عـــلى ذي فـــاقـــةٍ
فـــحـــرٍ بـــعـــطفِ المحـــســـنـــينَ الـــمُـــرْمِلُ[5]

(١) ذات أشبال (ولود).
(٢) المسترفد: طالب الرفد (العون).
(٣) الوفضة: وعاء الزاد (والجمع: أوفاض). و"المتوكل": الخليفة العباسي.
(٤) المُرمِل: من نفد زاده.

يـــا مَن نـــريـــدُ صلاحَهُ وصلاحَـــنـــا
إنّ الـــعُـــدولَ عن الـــهَـــوى بكَ أجـــمل
أيـبـيتُ قـومُك فـوق أشـواك الـغَـضَـا
وتـبـيتُ تـخـطـرُ بـالحـريـر وتـرفُل؟
أين الـهـدى، يـا من يـبـشّـرُ بـالـهـدى
أين الـتُّـقَى، يـا أيـهـا المـزّمِّل[1]
ظـنَّتْ بك الـنـاسُ الـظـنـونَ وإنـني
لأَخَـافُ بـعـد الـظنِّ أن يـتـقـوّلـوا
لكَ مْـقـلـةٌ فـانـظـرْ بـهـا مـتـأمِّلاً
قـد يـسـتـفـيـدُ الـنـاظـرُ المـتـأمِّل
لا قَـدْرَ لـلـجُـهَلاء حـتى يَـعـمـلـوا
لا فـضلَ لـلـعـلـمـاء حـتى يَـعـمـلـوا
سُـكّـانُ لـبـنـانَ الـعـزيـزِ وجـلَّقٍ
حـيّـاكُمُ عـنّـا الـنـسـيمُ الـمُـرسَل
لا نـابَ غـيـرَ عـدوِّكمْ مـا نـابَـكُمْ
وبـلـغـتمُ مـا تـأمُـلُـون ونـأمُل
كم تـتّـقـونَ الـطـارئـاتِ ونـتّـقي
كم تحـمِـلـونَ الـكـارثـاتِ ونَـحْـمِل
لـو يـعـقلُ الـقَـدَرُ الخـؤونُ عـذَلـتُهُ
وعـذَلـتُه، لـكـنه لا يَـعـقِل
أبـكي وأسـتـبـكي الـعـيـونَ عـلـيـكمُ
أيُّ الـدمـوعِ عـلـيـكُمُ لا تَـهـطُل
إن تـغـفُلِ الـدنـيـا ويَـغـفُلْ أهـلُـهـا
عـنـكمْ، فَـخَـالِقُ أهـلِـهـا لا يَـغْـفُل

****

(١) المزّمّل: المتلفف بالثوب.

٥٦ - يا بلادي

[الخفيف]

مـثـلـمـا يَـكـمُنُ الـلَّـظى في الـرَّمـادِ
هـــكـــذا الحبُ كـــامنٌ في فـــؤادي
لـــستُ مُـــغـــرىً بـــشـــادنٍ أو شـــادِ
أنـــا صـبٌ مـــتـــيّمٌ بـــبلادي
يـــا بـلادي عـــلـــيك ألفُ تحـــيّهْ

هـــو حبٌ لا يـــنـــتـــهي والمـــنـــيّهْ
لا ولا يـــضـــمـــحلُّ والأمـــنـــيّهْ
كـان قـبـلي وقـبلَ نـفـسي الـشـجـيّهْ
كـــان من قـــبلُ في حـــشـــا الأزلـــيّهْ
وســـيـــبـــقى مـــا دامت الأبـــديّهْ!

خـلّـيـانـي من ذكـرِ لـيـلى وهـنـدِ
واصـــرفـــاني عن كلِّ قَـــدٍّ وخـــدّ
كلُّ حـسـنـاءَ غـيـرُ حـسـنـاءَ عـنـدي
أو أرى وجْـدَهـا بـقـومي كـوجْـدِي
لا حـــيـــاءٌ في الحبّ والـــوطـــنـــيّهْ

كل شيءٍ في هـــذه الـــكـــائـــنـــاتِ
من جـــمـــادٍ وعـــالَمٍ ونـــبـــاتِ

وقـــــــديمٍ وحـــــــاضـــــــرٍ أو آتِ
صـــائـــرٌ لـــلـــزَّوال أو لـــلـــمَـــمـــاتِ
غـــيـــرَ شـــوقي إلـــيكِ يـــا ســـوريّهْ

أنتِ مـــا دُمتِ في الحـــيـــاة حـــيـــاتي
فـــإذا مـــا رجـــعتُ لـــلـــظُّـــلُـــمـــاتِ
واســـتـــحـــالتْ جَـــوارحي ذرّاتِ
فَـــلـــتـــقلْ كلُّ ذرّةٍ من رُفـــاتي
عـــاش لـــبـــنـــانُ، ولـــتـــعشْ ســـوريّهْ

ولـــتـــقُلْ كلُّ نـــفـــحـــةٍ من نَـــدٍّ
ولـــتـــقلْ كلُّ دمـــعـــةٍ في خَـــدّ
ولـــتـــقلْ كلُّ غـــرســـةٍ فـــوق لحـــدي
ولـــيـــقلْ كل شـــاعـــرٍ مِن بَـــعـــدي
عـــاشُ لـــبـــنـــانُ، ولـــتـــعشْ ســـوريّهْ

رُبَّ لـــيلٍ سَـــهـــرْتُه لـــلـــصـــبـــاحِ
حـــائـــرًا بـــين عَـــسْـــكـــر الأشـــبـــاح
لـــيس لي مـــؤنسٌ سِـــوى مِـــصـــبـــاحي
ونـــــــداءِ الملاّحِ لـــــــلـــــــملاّح
وصـــــراخِ الـــزّوارقِ الـــلـــيـــلـــيّهْ

تـــتـــهـــادى في الـــســـيـــر كـــالـــمَـــلِـــكـــاتِ
أو كـــسِـــرْبِ الـــنَّـــعَـــام في الـــفَـــلـــواتِ

مُـقـبلاتٍ في الـنـهـر أو رائـحـاتِ
تحت ضـوءِ الـكـواكب الـزَّاهِـراتِ
فـوق مـاءٍ كـالـبُـردة الـيـمـنـيّهْ

تـتـمـشَّى في صـفـحَـتـيْهِ الـنـسـائمْ
فـتـرى الـمَـوجَ فـيه مـثلَ الأراقمْ
يـتـلـوّى، وتـارةً كـالـمَـعـاصِمْ
كَـلِفَ المـاءُ بـالـنـسـيم الـهـائمْ
لـيـتـني كـنتُ نـسـمـةً شـرقـيّهْ

هـجع الـنـاس كـلُّـهمْ في المـديـنَهْ
وتـوّلتْ عـلى «نـيـويـورك» الـسَّـكـيـنهْ
وجُـفـوني، بـغـمـضـهـا، مـسـتـهـيـنَه
لا تـرى غـيـرَ طـيفِ تـلك الحَـزيـنه
لـسـتُ أعـنـي بـهـا سـوى سـوريَّهْ

ذاك لـيـلٌ قـطَـعْـتُه أتـأمّلْ
رسْـمَـهـا الـصـامتَ الـذي لـيس يَـعـقِلْ
وبـنَـاني مـعْ خـاطـري تَـتَـنَـقّل
بـين هـذا الحِـمَى وذاك المـنـزِل
والـرُّبـا والخـمـائلِ الـسُّـنـدسـيّهْ

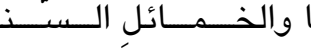

هَـهُـنـا رسمُ مـنـزلٍ أشـتـهـيهِ
هَـهُـنـا مَـربَعٌ أحِبُّ ذَويهِ

هــهــنــا رسْمُ مــعــهــدٍ كــنتُ فــيه
مـعْ رفـــاقي أجـــرُّ ذيلَ الـــتِّـــيهِ
في الـضُّحى، في الأصيل، بعد الـعَشيَّهْ

☆☆☆☆☆

كم تـطـلّـعتُ في الخـطـوط الـدقـيـقهْ
ولـــثَـــمتُ الـــطـــرائقَ الـــمَـــنْـــسُـــوقَهْ
قـنِـعتْ بـالخـيـال نـفـسي الـمَـشـوقَهْ
لـيت هـذا الخـيـالَ كـان حـقـيـقهْ
فـــعـــذابي في لَـــذّتي الـــوهـــمـــيّهْ

☆☆☆☆☆

يـا رُسُـومًـا قـد هـيّـجتْ أشـواقي
طـالَ، لـو تـعـلـمـينَ، عـهـدُ الـفـراقِ
أين تـلك الـكـؤوسُ، أين الـسَّـاقي؟
أين تـــلكَ الأيـــامِ، أين رفـــاقي؟
أين أحلاميَ الحِـسَـانُ الـبـهـيهْ؟

☆☆☆☆☆

يـا رسـومَ الـرُّبـوعِ والأصـحـابِ
بـحـيـاتي عـلـيكِ بـالأحـبـابِ[1]
أخـبـريـني فـقـد عَـرَفْتِ مُـصَـابي
أتُـرى عـائـدٌ زمـانُ الـتَّـصَـابي
أم طـوتْهُ عـنّـا يـد الأبـديّهْ؟

☆☆☆☆☆

سـبـقـتْـني دنـيـا أرادتْ لَـحـاقي
فـأنـا الآن آخِـرٌ في الـسِّـبـاقِ

(١) الرسوم: الآثار.

نـصفُ عـمـري يَـرثـيه نـصـفي الـبـاقي
كـــــــــــرثـــــــــــاء الأوراقِ لـلأوراق
يـــــبِسَ الأصـل والـــــفـــــروعُ نـــــديّهْ

☆☆☆☆☆

مـــا تُـــراني إذا تـــغـــنّى الـــشَّـــادي
ومـــضى في الـــغِـــنـــاء والإنـــشَـــادِ
فـــــأطـــــارَ الأسى عن الأكـــــبـــــادِ
أحـــسَبُ الـــعُـــودَ في يـــديه يُـــنـــادي
أيـــهـــا الـــقـــومُ أنـــقـــذوا ســـوريَّهْ!

☆☆☆☆☆

وإذا مـــا جـــلـــستُ تحت الـــظَّلامِ
أرقُبُ الـــبـــدرَ من وراء الـــغَـــمَـــامِ
رنّ في مَـــسْـــمَـــعي فـــهـــزّ عـــظـــامي
شِـــبْه صـــوتٍ يـــقـــول لـــلـــنُّـــوّامِ
أيـــهـــا الـــقـــوم أنـــقـــذوا ســـوريّهْ!

☆☆☆☆☆

وإذا مـــا ذهـــبتُ في الـــبُـــســـتـــانِ
بـــين زهـــرِ الخُـــزام والأُقـــحُـــوانِ
أســـمَعُ الـــهَـــاتِـــفـــاتِ في الأفْـــنـــانِ
قـــائلاتٍ ولـــلـــكلام مـــعَـــانِ
أيـــهـــا الـــقـــومُ أنـــقـــذوا ســـوريّهْ!

☆☆☆☆☆

وإذا مـــا وقـــفتُ عـــنـــد الـــغـــديـــرِ
حـيث تـمـشي الـطـيـورُ خـلْفَ الـطُّـيـورِ

خِـــلْتُ أن الأمـــواهَ ذاتَ الخَـــريـــرِ
قـــائلاتٌ مـــعي لأهل الـــشُّـــعُـــور
أيـــهـــا الـــقـــومُ أنـــقـــذوا ســـوريّهْ!

مـــا لـــقـــومي وقـــد دهـــتْـــهـــا الـــدَّواهي
بـــالـــذي يُـــطـــفئ الـــنـــجـــومَ الـــزَّواهي
ويـــثـــيـــرُ (الحَـــمـــاسَ) في الأمـــواهِ
قَـــعَـــدوا بـــين ذاهلٍ أو لاهِ
أين أينَ الحـــفـــيـــظـــةُ الـــعـــربـــيهْ؟

هيَ أمٌّ لـــكمْ وأنـــتم بَـــنُـــوهـــا
حـــفـــظتْ عـــهـــدَكمْ فلا تُـــنـــكِـــروهـــا
أنـــتمُ أهـــلُـــهـــا وأنـــتمْ ذَووهَـــا
لا تُـــعـــيـــنوا بـــالـــصـــمت مَن ظَـــلَـــمـــوهـــا
ذاك عـــارٌ عـــلى الـــنـــفـــوس الأبـــيّهْ

كن نـــبـــيّـــاً يَـــسْـــتَـــنـــزِلُ الإلـــهَـــامـــا
كن مَـــلـــيـــكًـــا يُـــصـــدِّرُ الأحـــكـــامـــا
كُن غـــنـــيّـــاً، كُن قـــائـــدًا، كن إمـــامـــا
كُن حـــيـــاةً، كن غِـــبـــطـــةً، كن سلامـــا
لـــستَ مـــني أو تـــعـــشقَ الحُـــريّهْ!

٥٧ - الفردوس الضائع[١]

[الكامل]

مـــا زال يمـــشي في الأمـــورِ بـــفـــكْـــرِهِ
حـــتى تـــمـــشَّى الـــنـــومُ في الأجـــفَـــانِ
وكـــمـــا يـــرى الـــوسْـــنـــانُ راءَ كـــأنه
في الـــنَّـــعشِ مَـــيْتٌ هـــامـــدُ الجُـــثـــمـــان
وعـــلى جـــوانبِ نـــعـــشهِ صَـــفّـــانِ
من جُـــنـــدِ «ألـــبـــرْتِ» الـــرفـــيعِ الـــشَّـــان
يـــبـــكـــونَهُ لا شَـــامـــتـــينَ بمـــوتهِ
لـــيس الـــشَّـــمَـــاتـــةُ عـــادةَ الـــشُّـــجـــعـــان
ورأى حـــوالَـــيه جـــمـــاهـــيـــرَ الـــورى
تـــســـتـــعـــرضُ المـــلْـــحـــودَ في الأكـــفـــان
وكـــأنمـــا كَـــرِهَ اخـــتـــلاطَ رُفـــاتـه
في الأرض، بـــالـــضُّـــعـــفـــاء والـــعِـــبْـــدان
أو أنَّ مـــرأى الحـــشْـــدِ أقـــلقَ روحَه
في جـــســـمه فَـــهَـــفَـــا إلى الـــطَّـــيـــران
ومن الـــعـــجـــائبِ في الـــكـــرى أن الـــفـــتى
يـــغـــدو به وكـــأنّه شَـــخْـــصَـــان

☆☆☆☆☆☆

أمَّ الـــســـمـــاءَ وقـــدْ تـــوهَّمَ أنه
لا شكَّ وَالِـــجُـــهَـــا بلا اســـتـــئـــذان

---

(١) أو رؤيا القيصر الألماني.

مـا زالَ يـرقى صـاعِـدًا حـتى انتـهى
حـيثُ الـغـنـاءُ مَـثَـالثٌ ومـثَـاني
فـرمى بـنـاظـرِه فـأبـصـرَ بـابَـهـا
فـمـشى إلـيه مـشْـيـةَ الـعَـجْلان
وأقـام يَـقْـرَعُهُ فـأقـبلَ «بُـطْـرسٌ»
ذو الأمـر في الـفِـردَوسِ والـسُّـلـطـان
وأدارَ فـيـه لحـظَـهُ فـإذا به
ضـيفٌ، ولـكن لـيس كـالـضِّـيـفَـان
مـا جاءنـا بكَ؟ صَـاحَ «بطـرُسُ» غاضـبًا
يـا شـرَّ إنـسـانٍ عـلى الإنـسـان
اِذهبْ فـمـا لكَ في الـسَّـمـا من مـوضعٍ
يـا أيـهـا الـرجلُ الأثـيم الجـاني
ثم انـثـنَى لـلـبـاب يُـحْـكِمُ سـدَّهُ
والـضَّـيفُ لم يـنـبِسْ بـبـنتِ لـسـان
مـا ذي الـفـظـاظةُ؟ قـال: «ولـيَمُ»، وانـثـنى
لـلـيـأس كـالـمَـصْـفُـود في الأقْـران[1]
وبمـثلِ لَـمحِ الـطّـرْفِ أسـرعَ هـابـطًـا
نـحـوَ الجـحـيم يـقـول: ذاك مـكـاني
هَـيـهـاتَ يُـحْـرَمُ من جـهـنَّمَ عـائـدٌ
من جـانب الـفـردوسِ بـالحِـرْمـان
حـتى إذا مـا صـار دون رِتـاجِـهـا
سـمـعَ «الـزعـيمَ» يـصـيحُ بـالأعـوان
أ بـنـي جَـهـنَّمَ أوصِـدُوا أبـوابَـكُمْ
واسـتـعـصِـمِـوا كـالـطـيـر بـالأوكـان[2]

(١) جمع القَرن الذي هو الحبل، قرون.
(٢) الوَكن: عش الطائر في الجبل أو في الجدار.

كـونـوا عـلى حـذَرٍ فـفي هـذا الـضُّـحى
يــأتي إلــيــنــا قــيــصــرُ الألمــان
إن كـــنـــتمُ لم تـــعـــرفـــوه فـــإنّهُ
رجـلٌ بـلا قـــــلـــبٍ ولا وِجْـــــــدان
أخـــشى عـــلى أخلاقِـــكُمْ إن زاركمْ
وهيَ الحِـسـانُ تـصـيـرُ غـيـرَ حِسَـان
إيـــاكُمُ أن تـــسـمَـــحـــوا بـــدخـــوله
فـدخـولُه خـطَـرٌ عـلى الـسُّـكـان
أمـــري لـــكم أصـــدرتُه، فَـــخُـــذوا به
وحَـــذارِ ثمَّ حـــذارِ من عِـــصْـــيـــاني
مـــاذا تـــراني؟ صـــاح «ولْـيمُ» بـاكـيًـا
حـــتى الأبـــالسُ لا تُـــحبُّ تَـــراني
إبـلـيسُ، يـا شـيخَ الـزَّبـانـيـةِ الأُلى
كـــانـــوا لأخـــدَاني مِن الأخْـــدان
رُحـمـــاكَ بي، فـــالـــلـيلُ قَـاسٍ بَـردُهُ
والـــهَـــولُ يملأ نـــاظـــري وجَـــنـــاني
بـجـهـنَّمٍ، بـالـسَّـاكـني حُـجُـراتـهـا
بمـواقـدِ الـنِّـيـران، بـالـنـيـران
وبـــكلّ شـيـــطـــانٍ مَـــريـــدٍ مـــاكـــرٍ
وبـــكلّ تـــابعِ مـــاردٍ شـيـــطـــان[1]
مُـرْ يَـنـفـتِحْ بـابُ الجـحـيمِ فـإنـني
قـد كـادَ يَـجـمَـدُ لـلـصـقـيعِ لـسـاني

(١) التابع في التراث من الجنّ الذي يتبع الشعراء، ويوحي إليهم.

يـا لـيتَ شِـعْـري أين أذهبُ بـعـدمـا
سُـدَّ الـسـبـيلُ وأُوصِـدَ الـبـابـان
مُـرْ لي بـزاويـةٍ أزجُّ بمُـهـجَـتي
فـيـهـا، وإن تكُ من حـمـيمٍ آن
هلاّ قَـبِـلتَ تـضـرُّعي؟ فـأجـابَهُ
إبـلـيسُ، وهـو يَـروغُ كـالـسِّـرحـان:(١)
لـو كـنتُ أعـلـمُ مـا سـكتُّ فلا تَـزِد
لا رأيَ لـلـحَـيْـرانِ في الحَـيْـران
عـبـثًـا تُـحـاولُ أنْ تُـصـادفَ عـنـدنـا
نُـزُلاً، فـهـذا لـيس بـالإمـكـان
لا تـذكُـرنَّ ليَ الحـنـانَ ومـا جَـرَى
مَـجـراه، إني قـد قَـتـلتُ حـنـاني
لا يـدخـلنَّ جـهـنـمًـا ذو مـطـمَعٍ
بـالمجْـدِ أو بـالأصـفَـرِ الـرَّنّـان
إنْ كـنتَ تـشـتـاقُ الإقـامـةَ في الـلَّـظى
فـالـنـارُ والـكِـبْـريتُ كلَّ مـكـان
فـاجمـعْـهُـما واصنعْ لـنفسكَ منـهـما
ولمن تحـبُّـهُمُ جَـحـيـمًـا ثـان
وهـنـا تـقَـهـقَـهـرَ «وليـمٌ» ثم اخـتـفى
مـا بـين لـيلٍ حَـالكٍ ودُخَـان
فـأفـاقَ مـذعـورًا يـقـلّبُ طـرفَهُ
لـلـرعب في الأبـواب والحـيـطـان

---

(١) السِّرحان: الذئب.

ويــقــول: لا أنــســاكَ يــا حُــلْــمي ولــو
نَــســجَتَ عــلــيّ عــنــاكبُ الــنِّــســيــان
مــا راعــني أني طُــردتُ من الــسَّــمــا
أنــا قــانطٌ من رحــمــةِ الــشــيــطــان
لـــكنَّ طـــردي من جـــهـــنَّمَ، إنه
مــا دارَ في خــلَــدي ولا حِــسْــبــاني

✷✷✷✷

٥٨ - مسرح العشاق

[مجزوء الكامل]

مِن سِـــحْـــرِ طَـــرفِكِ مَن مُـــجِـــيـــري
يـــا ضَـــرَّةَ الـــرَّشَـــأِ الـــغَـــريـــرِ
جـــسمٌ كَـــخَـــصـــرِكِ في الـــنُّـــحُـــو
لِ، ومـــثلُ جـــفـــنكِ في الـــفُـــتُـــور
أصـــــبـــــحتُ أضـــــألَ من هِلا
لِ الـــشَّكّ في عـــين الـــبَـــصـــيـــر
مَـــحَقَ الـــضَّـــنَى جـــســـدي فـــبـــتْ
ـتُّ من الـــهَلاك عـــلى شَـــفِـــيـــر
ومـــشى الـــرّدى في مُـــهْـــجـــتي
الـــلـــهَ، في الـــنـــفَس الأخـــيـــر
جـــهِلَ الـــنِّـــطـــاسيْ عـــلَّـــتِي
لـــلـــه من جـــهل الخَـــبـــيـــر[1]
كم سَـــامَـــنـــي جَـــرْعَ الـــدوا
ءِ، وكم جَـــرَعْتُ من الـــمَـــريـــر[2]
دعْ، أيـــهـــا الآسي، يـــدي
الحبُّ يُـــدرَكُ بـــالـــشُّـــعـــور[3]
يـــدري الـــصَّـــبـــابـــةَ والـــهـــوى
مَن كـــان في الـــبـــلـــوى نـــظـــيـــري!

---

(١) النُّطاسي: العالم الخبير والطبيب الحاذق.

(٢) يريد: المرّ، والمرير: هو الحبل المفتول.

(٣) الآسي: من يعالج الجراحات (والجمع: أساة).

لـــو تَـــنـــظـــرينَ إليّ كـــالْـ
ـــمَـــيْتِ الـــمُـــسـجّى في ســـريـــري
يـــتـــهـــامسُ الـــعُـــوّادُ حَـــو
لي كـــلّـــمـــا ســـمِـــعـــوا زفـــيـــري
وأظُـــنُّـــهُمْ قـــد أدركـــوا
لا أدركـــوا، مـــا في ضـــمـــيـــري
فـــأبـــيتُ من قَـــلَـــقي عـــلـــيـ
ـكِ كـــأنـــني فـــوق الـــسَّـــعـــيـــر
وأدرتُ طـــرفي في الحُـــضُـــو
رِ لـــعلّ شـــخـــصَكِ في الحُـــضُـــور
فـــارتـــدَّ يـــعـــثُـــرُ بـــالـــدمـــو
عِ تـــعـــثُّـــرَ الـــشَّـــيخِ الـــضَّـــريـــر
قـــد زارنـي مَـن لا أحـــبْـ
ـــبُ وأنـــتِ أولـى أن تَـــزوري
صـــدّقتِ مـــا قـــال الحَـــوا
سِـــدُ فـيَّ من هُـــجْـــرٍ وزُور[1]
وأطَـــعتِ بي حـــتى الـــعِـــدا
وضـــنَـــنْتِ حـــتى بـــالـــيـــسـير
أمّـــا خَـــيـــالُكِ، يـــا بَـــخـــيْـ
ـــلَـــةُ، فـــهـــوَ مـــثـــلُكِ في الـــنُّـــفـــور
روحـي فِـــداؤك، وهـيَ لـــو
تـــدرينَ تُـــفـــدَى بـــالـــكـــثـــيـــر
تـــيـــهي عـــلى الـــعـــاني كـــمـــا
تـــاه الـــغـــنيُّ عـــلى الـــفـــقـــيـــر

(١) الهُجر: الباطل والهذيان.

أنـــا لا أبـــالي بـــالـــمَـــصـــيـــر
وأنت أدرى بـــالـــمَـــصـــيـــر
أهـــــواكِ رغمَ مُـــعَـــنِّـــفي
ويـــلَـــذّ نـــفـــسي أن تَـــجُـــوري
لـــــيس المحِبّ بـــــصـــــادقٍ
حـــتى يـــكـــونَ بلا عَـــذيـــر

كم لـــيـــلـــةٍ سَـــاهَـــرتُ فـــيـ
ـــهـــا الـــنَّـــجْمَ أحـسَـبُهُ سَـمِـيـري
والـــشُّـــهبُ أقـــعـــدَهـــا الـــوَنَى
والـــلـــيلُ يمـــشي كـــالأســـيـــر
أرعى الـــبـــدورَ ولـــيس لي
مِن حـــاجـــةٍ عـــنـــد الـــبُـــدور
مُـــتـــذكِّـــرًا زمنَ الـــصِّـــبـــا
زمنَ الـــغَـــوايـــةِ والـــغُـــرور
أيـــامَ أخـــطِـــرُ في الـــمَـــجَـــا
مِعِ والمـــعـــاهِـــد كـــالأمـــيـــر
أيـــــامَ أمـــــري فـي يَـــــدي
أيـــامَ نَـــجْـــمي في ظُـــهـــور
لَـــمعَ الـــقَـــتـــيـــرُ بِـــلِـــمَّـــتِي
ويلَ الـــشـــبـــابِ من الـــقَـــتِـــيـــر[1]

لا «بـــالـــغُـــوَيْـــرِ» ولا «الـــنَّـــقَـــا»
كَـــلَـــفي ولا أهلِ «الـــغَـــوَيْـــر»[2]

---

(١) القتَر، والقتير: الغبار، يريد: الشيب.

(٢) الغوير والنقا: مواضع بعينها. والنقا: من كثبان الرمل.

أرضَ (الجَـــزيـــرةِ) كـــيف حـــا
لُكِ بـــعـــد وقْعِ الـــزَّمْـــهَـــريـــر
نـــزل الـــشـــتـــاءُ فـــأنتِ مَـــلْـ
ـــعبُ كلِّ ســـافـــيـــةٍ دَبـــور[1]
وتَـــبـــدَّلت تـــلك الـــعـــرا
صُ من الـــنَّـــضـــارةِ بـــالـــدُّثـــور
أمـــسـيتِ كـــالـــطـــلَّل الـــمُـــحـــيـ
ـلِ وكـــنتِ كـــالـــروض الـــنَّـــضـــير
آهـــــاً عـــلـــيكِ وآهِ كـــيـ
ـفَ نَـــأتْكِ ربّـــاتُ الخُـــدور
المـــائـــســـاتُ عن الـــغُـــصـــو
نِ، الـــسَّـــافـــراتُ عن الـــبُـــدور
الـــذاهِـــبـــاتُ مع الـــنّـــهـــودِ،
الـــذاهـــبـــاتُ مع الـــصُّـــدور
الحَـــاســـراتُ عن الـــســـوا
عِـــدِ والـــتّـــرائب والـــنُّـــحـــور[2]
الـــقـــاســـيـــاتُ عـــلى الـــقـــلـــو
بِ، الجـــانـــيـــاتُ عـــلى الخُـــصُـــور
المـــالـــكـــاتُ عـــلـــى الـــلاَ
لئ في الـــقـلائـــدِ والـــتُّـــغُـــور
الـــضَّـــاحـــكـــاتُ من الـــدَّلا
لِ اللاعـــبـــاتُ من الحُـــبـــور
الآخِـــذَات قـــلـــوبَـــنـــا
في زِيِّ طـــاقـــاتِ الـــزهـــور

(١) الدَّبور تقابل القَبول من الرياح. وجعلها للسوافي.
(٢) الترائب: موضع القلادة من الصدر (مفردها تريبة).

بِـــيضٌ نـــواعمُ كـــالـــدُّمى
يَـــرْفُـــلْنَ في حُـــلَل الحـــريـــر
مِـــثلُ الحَـــمَـــائمِ في الـــوَدا
عَـــةِ، والـــكـــواكبِ في الـــسُّـــفـــور
مِن كلِّ ضـــاحـــكـــةٍ كـــأنْ
ـنَ بـــوجـــهـــهـــا وجهَ الـــبـــشـــيـــر
أنـى أدرتَ الـــطَّـــرْفَ فـــيـــه
ـــهـــا جَـــال في قـــمَـــرٍ مُـــنـــيـــر

☆☆☆☆☆

يـــا مَـــسْـــرحَ الـــعُـــشّـــاقِ، كم
لـي فـــيكَ من يـــومٍ مَـــطـــيـــر
تَـــنـــسى الـــبـــريّـــةُ عـــنـــدَهُ
يـــومَ الخَـــورْنَقِ والـــسَّـــديـــر[1]
ولـــكمْ هـــبـــطـــتُكَ والحـــبـــيـــ
ـــبَـــةَ فـــازعَـــيْن من الـــهَـــجـــيـــر
فـــي زورَقٍ بـــيـــن الـــزّوا
رقِ كـــالحَـــمَـــامـــة في الـــطُّـــيـــور
مـــتـــمـــهّلٍ في سَـــيْـــرِه
والمـــاءُ يُـــسْـــرعُ في الـــمَـــســـيـــر
والـــشـــمسُ إبّـــانَ الـــضُّـــحى
والجـــوُّ صـــافٍ كـــالـــغـــديـــر
ولـــكَمْ وثَـــبـــنـــا في الـــتِّلا
لِ وكم ركَـــضْـــنـــا في الـــوُعـــور
ولـــكم أصَـــخْـــنـــا لـــلـــحَـــفـــيـــ

(١) قصرا الحيرة في العراق، أيام المناذرة.

ـفِ وكم شَـجـيـنـا بـالخَـريـر
ولـكم جَـلـسْـنـا في الـرِّيـا
ض، وكم نَـشَـقَـنـا من عَـبـيـر
ولـكَم تـبَـرّدنـا بمـاءِ نُـهـيْ
ـرِك الـصـافي الـنَّـمـيـر
طَـورًا نـنـامُ عـلى الـنَّـبـا
تِ وتـارةً فـوق الحَـصـيـر
لا نـتّـقِي عـينَ الـرَّقـيـ
بِ ولا نُـبـالي بـالـغَـيـور
فـكـأنـهـا وكـأنـني الْـ
أَبـوانِ في مـاضي الـعـصـور
حُـسِـدَتْ عـلـيّ من الإنـا
ثِ كـمـا حُـسِـدْتُ من الـذكـور
ظنّ الأنـامُ بـنـا الـظـنـو
نَ ومـا اجـتـرحْـنـا من نَـكـيـر
قـد صـانَ بُـردتَـهـا الحـيـا
ءُ، وصَـانـني شـرفي وخِـيـري[1]

☆☆☆☆☆

ومـطـيَّـةٍ رجْـراجَـةٍ
لا كـالمـطـيَّـةِ والـبَـعـيـر
مـا تـأتـلي في سَـيـرهـا
صَـخَّـابَـةً لا من ثُـبـور[2]
تجـري عـلى أسلاكـهـا

(١) الخِيرة: التخيّر.
(٢) الألْو: التقصير.

جـــــــري الأراقمِ[٣] فـي الحُـــــــدور
طـــــورًا تُـــــرى فـــــوق الجُـــــســـــو
رِ وتـــــــارةً تحت الجُـــــــســـــــور
آنًـــــــا عـــــــلـى قـــــــممٍ وآ
نًـــا في كـــهـــوفٍ كـــالـــقـــبـــور
تـــرقَى كـــمـــا تَـــرقَى (الـــمَـــصـــا
عِـــدُ) ثم تـــهـــبط كـــالـــصـــخـــور
فـــــإذا عَـــــلَتْ حَـــــسِبَ الـــــورى
أنّـــــا نُـــــصـــــعِّـــــدُ في الأثـــــيـــــر
وإذا هـــــــــوَتْ من حَـــــــــالـقٍ
هَـــوَتِ الـــقـــلـــوبُ من الـــصُّـــدور
والـــــرَّكبُ بـــــين مُـــــصـــــفِّقٍ
ومُـــــهـــــلِّلٍ جـــــذِلٍ قـــــريـــــر
أو خـــــائفٍ مُـــــتـــــطـــــيِّـــــرٍ
أو صـــــارخٍ أو مُـــــســـــتـــــجـــــيـــــر
هِيَ في الـــتَّـــقَـــلّبِ كـــالـــزّمـــا
نِ وإنمـــــا هـي لـــــلـــــســـــرور

ومُـــــــدارةٍ في الجـــــوِّ يَـــــحْ
ـــسَـــبـــهـــا الجـــهـــولُ بلا مُـــديـــر
لـــو شـــئتَ نَـــيْل الـــنَّـــجم مِـــنْ
ـــهـــا مـــا صَـــبَـــوْتَ إلى عَـــسِـــيـــر
مـــشـــــدودةٍ لـــكـــنـــهـــا

أجْــرى من الــفــرَس الــمُــغــيــر
زفّــــافَــــــةٍ زفّ الــــــرِّئــــا
لِ تُــسِفُّ إسـفــافَ الــنُّــسـور[1]
ولــهــا حــفــيفٌ كــالــرِّيــا
حِ وهَــدرةٌ لا كــالــهَــديــر
كــــالأرضِ فـي دَوَرانــــهــــا
ولــكــالــمِــظــلّــةِ في الــنُّــشــور
الــقــومُ فــيــهــا جــالــســو
نَ عــلى مــقــاعــدَ من وَثــيــر
والــريحُ تــخــفُق حــولَــهم
وكــأنمــا همْ فـي قــصــور
والجــمعُ يــهــتف كــلّــمــا
مــرّتْ عــلى الحــشْــد الــغَــفــيــر

☆☆☆☆☆

ولــكَم تــأمّــلْــنــا الجُــمــو
عَ تَــمــوجُ كــالــبــحــر الــزَّخــور
يمــشي الخــطــيــرُ مع الحــقــيـ
ـرِ كــأنمــا هــو معْ خــطــيــر
وتــرى الــمَــهــاةَ كــأنــهــا
لــيثٌ مع الــلــيث الــهَــصُــور
مُــتــوافــقــونَ عــلى الــتَّــبَــا
يُن كــالــقَــبــيل أو الــعــشــيــر[2]
لا يــرهــبــونَ يــدَ الخُــطــو

(١) الرأل: ولد النعام. والزفّ: سرعة المشي.
(٢) القبيل: الجماعة من أمم شتى.

بِ كـــأنمـــا هم خـــلْفَ سُـــور
يمـــضي الـــنـــهـــارُ ونـــحن نَـــحْـ
ـــسَبِ مـــا بـــرِحـــنـــا في الـــبُـــكـــور
أبْـــقـــيتَ يـــا زَمَنَ الحَـــرو
رِ بمـــهـــجـــتي مـــثلَ الحَـــرور
ولّـتْ شـــهـــورٌ كـــنتُ أر
جـــو أن تُـــخَـــلَّـــدَ كـــالـــدهـــور
وأتتْ شـــهـــورٌ بَـــعـــدَهـــا
ســـاعـــاتُـــهَـــا مـــثلُ الـــشّـــهـــور
لـــيـــست حـــيـــاةُ المـــرءِ في الـــدْ
دُنـــيـــا ســـوى حُـــلُمٍ قـــصـــيـــر
وأرى الـــشـــبـــابَ من الحَـــيـــا
ةِ لـــكـــالـــلُّـــبـــابِ من الـــقُـــشـــور
ذهـبَ الـــربـــيـــعُ ذهـــابَـهُ
وأتى الـــشـــتـــاءُ بلا نَـــذيـــر
وتـــبـــدَّدَ الـــعُـــشَـــاقُ مِـــثْـ
ـلَ تـــبـــدُّدِ الـــورَقِ الـــنَّـــثِـــيـــر
رضـيَ الـــمُـــهَـــيـــمِنُ عـــنـــهمُ
والـــلـــهُ يـــعـــفـــو عن كـــثـــيـــر

✱✱✱✱

٥٩ - حكاية حال

[الطويل]

هـجـرتُ الـقَـوافي مـا بـنـفـسي مَلالـةٌ
سـوايَ، إذا اشـتـدّ الـزمـانُ، مَـلـولُ
ولـكنْ عَـدَتْـني أنْ أقـولَ حَـوادثٌ
إذا نـزلتْ بـالـطَّـود كـاد يَـزول
وبـغّـضَـني الأشـعـارَ أنَّ دعـاتَـهـا
كـثـيـرٌ، وأن الـصَّـادقـينَ قـلـيل
وأن الـفـتى في ذي الـربـوع عَـقـارُه
وأمـوالُه، والـبـاقـيـاتُ فُـضـول
سكتُّ سكوتَ الطيرِ في الروضِ بعدَما
ذوى الـروضُ واجـتـاحَ الـنـبـاتَ ذبـول
فـمـا هـزّني إلا حـديثٌ سـمـعـتُه
عن الـغِـيـد كـالـغِـيـد الحِسَـانِ جـمـيل
فـمـا أنـا في هـذي الحـكـايـة شـاعـرٌ
ولـكن كـمـا قـال الـرواة أَقـول

☆☆☆☆☆

فـتـىً من سَـرَاةِ الـنـاس، كلُّ جـدوده
سـريٌّ، كـريمُ الـنَـبْـعَـتـينِ، نـبـيل
قـضى في ابـتـنـاء المـكـرُمَـاتِ زمـانَه
يـنـالُ ويـرجـوه الـسِّـوى فَـيُـنِـيل
فَـدَكَّ مـبـاني عـزّه الـدهـرُ بـغـتـةً
وقـلَّمَ مـنه الـظُّـفْـرَ فـهـو كَـلـيل

هـوى مـثـلـمـا يـهـوي إلى الأرض كـوكبٌ
كـــذاك الـلـــيـــالي بـــالأنـــام تَـــدول
وكـــان له في الـــدهـــر بـــطشٌ وصـــولـــةٌ
فـــأمـــستْ عـلـــيه الحـــادثـــاتُ تَـصـــول
وكـــان له ألـــفـــا خـلـــيلٍ وصـــاحبٍ
فـــأعْـــوَزه، عـــنـــد الـــبلاء، خـلـــيل
تـــفـــرّق عـــنه صَـــحْـــبُه فـــكـــأنمـــا
به مـــرضٌ، أعـــيـــا الأُســـاةَ، وَبـــيل
وأنـــكـــرَه مَن كـــان يـحـلـفُ بـاســمه
كـمـا يُـنـكـر الـدَّين الـقـديمَ عـمـيل
فـأصبح مثلُ الفُلْكِ في البحر ضائعًا
يمـــيل مع الأمـــواجِ حـــيثُ تـــمـــيل
يـــكـــاد يمُـــدُّ الـــكفَّ لـــولا بـــقـــيـــةٌ
من الـــصـــبْـــر في ذاك الـــرداءِ تَـجـول

☆☆☆☆☆

زوى نـفـسَه كي لا يَـرى الـنـاسُ ضُـرَّه
فـيـشـمتَ قـالٍ[1] أو يُـسَـرّ عـذول
بـدارٍ.. أنـاخَ الـبـؤسُ فـيـهـا رِكـابَه
وجُـرّتْ عـلـيـهـا لـلـخَـراب ذُيـول
مُـهـدّمـةِ الجُـدران مـثلَ ضـلـوعه
بـهـا الـيـأسُ صـمتٌ والـسَّـقـامُ مـجـول
تـمُـرّ عـلـيـهـا الـريحُ ولـهى حـزيـنـةً
ويـرنـو إلـيـهـا الـنـجمُ وهـو ضـئـيل
إذا مـا تجـلّى الـبـدرُ في الأفْق طـالـعًـا
رعـــاهُ، إلى أن يَـــعـــتـــريه أفُـــول

(١) القالي: المبغض (قلى - يقلي).

حِـبـال الأمـاني عـنـد قـومٍ شُـعـاعهُ
ولـكـنه في مُـقـلَـتـيه نُـصـول
فـيـا عـجَـبًـا حـتى الـنُّـجـوم تُـضـلّه
وفي نـورهـا لـلـمُـدْلِـجـينَ دلـيل
وهل تـهـتـدي بـالـبَـدْر عـينٌ قَـريـحـةٌ
عـلـيـهـا من الـدمع الـسَّـخـينِ سُـدول؟

☆☆☆☆☆☆

غفـا الـنـاس، واسـتولتْ عـلـيـهم سَـكـيـنـةٌ
فـمـا بـالُه اسـتـولى عـلـيه ذُهـول؟
تـأمـلَ في أحـزانه وشَـقـائه
فـهـان عـلـيه الـعـيشُ وهـو جـمـيل
فـمـدَّ إلى الـسّـكّـينِ كـفًّـا نـقـيّـةً
أبتْ أن يَـراهـا تَـسـتـغـيثُ بَـخـيل
وقـرّبـهـا من صـدره ثم هـزَّهـا
وكـاد بـهـا نـحـوَ الـفـؤاد يَـمـيل
وإذ شـبحٌ يـسـتـعـجلُ الخَـطْـو نـحـوَه
وصـوتٌ لـطـيفٌ في الـظلام يـقـول:
رويـدَك، فـالـضَّـنْكُ الـذي أنت حـاملٌ
مـتى زال هـذا الـلَّـيل سـوف يَـزول
نـعمْ؛ هيَ إحـدى مُـحـسـنـاتِ نـسـائـنـا
ألا إنَّ أجـرَ المحـسـنـاتِ جـزيل
أبتْ نـفـسُـهـا أن يـكـحَلَ الـنـومُ جـفـنَـهـا
وجـفـنُ المـعـنّى بـالـسُّـهَـادِ كَـحـيل
وأن تـتـولّى الابـتـسـامـاتُ ثـغـرَهـا
وفي الحي مـكـلـومُ الـفـؤادِ عَـلـيل

فـــألـــقتْ إلـــيه صُـــرّةً وتـــراجـــعتْ
وفي وجـــهـــهـــا نـــورُ الـــسُّـــرور يَـــجـــول
فـلم تـتـنـاقَلْ صُـنْـعَـهـا ألـسُنُ الـورى
ولا قُـــرعتْ في الخـــافـــقَـــينَ طُـــبـــول
ولا أحـسـنتْ كي تُـعلنَ الـصُّـحُفُ اسْـمـهـا
فـــتـــعـــلمَ جـــاراتٌ لـــهـــا وقَـــبِـــيل
كـذا فَـلْـيُـواسِ الـبـائـسـينَ ذَوو الـغِـنى
وإني لـــهمْ بـــالـــصَّـــالحـــاتِ كَـــفـــيل
فـإن الـقـصـورَ الـشَّـاهـقـاتِ إذا خـلت
من الـــبِـــرِّ والإحـــســـان فـــهيَ طـــلـــول
وخـيـرُ دمـوعِ الـبـاكـيـاتِ هي الـتي
مـــتى ســـالَ دمعُ الـــبـــائـــســـين تَـــســـيل!

ألا إنّ شـــعـــبًـــا لا تَـــعِـــزُّ نـــســـاؤه
وإن طـــار فـــوق الـــفَـــرْقَـــدَين، ذلـــيل
وكلُّ نـــهـــارٍ لا يَـــكُنَّ شُـــمـــوسَه
فـــذلك لـــيـــل حـــالِكٌ وطـــويل
وكلُّ ســـرورٍ غـــيـــرَهنّ كـــآبـــةٌ
وكلُّ نـــشـــاطٍ غـــيـــرَهُنّ خُـــمـــول

✱✱✱✱

٦٠ - يا جارتي

[البسيط]

قالت لجارتها يومًا تُسائِلُها
عنّي، وفي طَرْفها الوسنانِ أشجانُ:
ما بالُ هذا الفتى في الدار معتزِلاً
كما توحَّدَ نُسّاكٌ ورهبانُ
يأتي المساءُ عليه وهو مكتئبٌ
ويرجِع الليلُ عنه وهو حَيْران
يمُرّ بالقُربِ منّا لا يكلّمُنا
وللحديث مجالٌ، وهو مِلْسان[1]
وإنْ نكلّمْهُ لا يفقَهْ مقالتَنا
إلا كما يفقَهُ التسبيحَ سكرانُ
إذا تبسَّم، لا تبدو نواجذُه
وإن بكى، فله نَزْعٌ وإرنان[2]
كأنما نِيطَتِ الدنيا بعاتِقِه
كأنما كلُّ عضوٍ فيه بُرْكان
فلا ابتسامُ ذواتِ الغُنْجِ يُطربُهُ
ولا ابنةُ الحانِ تُصْبيهِ ولا الحَان
أما له أملٌ حلوٌ يلَذّ به
كما تلَذّ بمرأى النُّور أجفان

---

(١) ملسان: صاحب لسان ذرب.

(٢) النزْع: المجاذبة والحنين والمغالبة. والإرنان: تصعيد الرنّة، والتصويت.

أمـــا له جِـيـــرةٌ في الأرض يـــألـفُـــهمْ؟
يـــا جـــارتي! كـــان لـي أهلٌ وجِـيـــران
فَـبـتَّتِ الحـربُ مـا بـيـنـي وبـيـنـهمُ
كـمـــا تُـقَـطِّعُ أمـــراسٌ وخِـيـطـان
فـالـيـومَ كلُّ الـذي في مُـهْـجـتي ألَمٌ
وكلُّ مـــا حـــولَـــهمْ بـــؤسٌ وأحـــزان
وكـــــان لـي أملٌ إذا كـــــان لـي وطَنٌ
فـيه لـنـفـسي لِـبـانـاتٌ وخِلاّن
فـجَـرَّدتْهُ الـلَّـيـالي من مَـحـاسـنه
كـمـا يُـعـرّى من الأشـجـار بُـسـتـان
فلا الـمَـغـاني الـتي أشـتـاقُ رؤيـتَـهـا
تـلك الـمَـغـاني، ولا الـسُّـكّـان سُـكّـان
لـــو المـــروءةُ تَـــدري أيَّ فـــاجـــعـــةٍ
بـالـشـام، نـاح عـلـيـهـا الإنسُ والجـانُ
ولـو يـبثّ بـنـو لـبـنـانَ لـوعـتَـهمْ
لاهـتـزّتِ الأرضُ لـمّـا اهـتـزّ لـبـنـان
قـالت: شـكـوتَ الـذي بـالخَـلْق كـلِّـهمُ
ومـــا كـــذَبـــتُك إن الحـــربَ طـــوفـــان
تـسـاوتِ الـنـاسُ في الـبـلـوى، فـقـلتُ لـهـا
هـيـهـاتَ، مـا هـانَ قـومٌ مـثـلـمـا هـانـوا
أمَنْ يمـــوتُ ولا سِـــتْـــرٌ يـــظـــلِّـــلُه
كـمَن عـلـيـه أكـالـيلٌ وتـيـجـان؟
قـالت: ويـا ويحَ نـفـسي من مَـقـالـتـهـا
كَـفْـكِفْ دمـوعَك، بـعضُ الحـزن أهـوان[1]

(١) الهُون: الشدة والمضرة.

لــو كــان قــومُك أهلاً لــلــحــيــاة لمــا
مـــاتـــوا وفي أرضـــهمْ تُـــرْكٌ وألمـــان
وكلُّ من لا يــرى في الــذلّ مَــنْــقــصــةً
لا يــســتــحقّ بــأن يَــبــكــيه إنــســان
كُــفِّي ملامَكِ يــا حــســنــاءُ واتَّــئــدِي
فـــإن مـــدْحَ ذوي الـــعُـــدوان عُـــدوان
وأنتِ من أمَّـــةٍ تـــأبى خلائـــقُـــهـــا
أن يَــقــتلَ الــطَّــيــرَ في الأقــفــاصِ سَــجّــان
وإن قـــومي طـــيـــورٌ غـــيـــرُ كـــاســـرةٍ
ســطتْ عــلــيــهــا شــواهــينٌ وعِــقــبــان[1]
لا تحــسَــبي أنــنــي أبــكي لمــصــرعــهمْ
فــكــلُّــنــا لــلــرّدى شِــيــبٌ وشُــبّــان
لــكن بــكَــيْتُ من الــبــاغي يُــعــذّبُــهم
وهم شـــيـــوخٌ وأطـــفـــالٌ ونِـــســـوان
ورحتُ أشــكــو إلــيــهــا وهي ســاهــيــةٌ
لــكــنــمــا قــلــبُــهــا الخــفّــاقُ يَــقــظــان
حتى انــتــهيتُ فصــاحتْ وهي مُــجْــهِشــةٌ:
يــا لــيت مــا قــلــتَه زُورٌ وبُــهــتــان
بل لــيــتَــني لم أُســائِلْ عــنكَ جــارتَــنــا
بل لــيتَ قــلــبي إذ ســاءلتُ صُــوّان
يــا لــيت شِــعــري وهــذي الحــربُ قــائــمــةٌ
هل تــنــجــلي ولــنــا في الــشَّــام إخــوان؟
وهل تَــعــودُ إلى لــبــنــانَ بــهــجــتُه
وهل أعــود وفي لــبــنــانَ نَــيْــســان؟

(١) الشاهين والعُقاب: من سباع الطير.

فـأسـمعُ الـطَّـيـرَ تـشـدو في خـمـائـلِه
وأُبـصـرُ الحـقلَ فـيه الـشِّـيحُ والـبـان؟
بـــني بلادي! ولا أدعـــو بَـــخِـــيـــلَـــكُمُ
غـــيـــرُ الـــبـــخـــيلِ له قـــلبٌ ووِجـــدان
بـــني بلادي! ولا أدعـــو جـــبـــانَـــكُمُ
مـــا لـــلـــجَـــبـــانِ ولا لي فـــيه إيمـــان
بـــني بلادي! وكم أدعـــو.. ألـــيس لـــكمْ
كـــســـائـــر الخَـــلْقِ أكـــبـــادٌ وآذانُ؟
لا تـضـحـكـوا وبـأرض الـشَّـامِ نـائـحـةٌ
ولا تـــنـــامـــوا وفي لـــبـــنـــانَ سَـــهـــران!

✱✱✱✱

٦١ - هَمْلِت

[السريع]

يـــا نـــبـــأً سُـــرَّ به مَـــسْـــمَـــعي
حـــتى تـــمـــنّى أنه الـــنـــاقلُ
أنْـعشَ في نـفـسي الـمُـنى مـثـلـمـا
يُـحـيي الجـديبَ الـواكفُ الـهَـاطل
عـــرفتُ مـــنـه أنّ ذاك الحِـــمَى
بـالـصِّـيـدِ من فـتـيـانـنـا آهل
عِـصَـابـةٌ كـالـعِـقْـدِ في «أكـرنٍ»
يـعـتـزّ فـيـهـا الـفـضلُ والـفـاضل
مِن كل مِـقـدامٍ رجـيحَ الـنُّـهى
كـالـسَّـيف إذ يـصـقُـلُه الـصَّـاقل
الـبـدْرُ من أزراره طـالـعٌ
والـغـيثُ من راحـتـه هـامِل
وكلُّ طـلْـقِ الـوجـه مـوفـورِه
في بُـردَتـيـهِ سـيّـدٌ مـاثِل

☆☆☆☆☆

شَـبـيـهـةَ الـشـرقِ، انـعـمي واسْـلـمي
كـي تـسـلـمَ الآمـالُ والآمل
بـكُمْ وبـالـرّاقـينَ أمـثـالـكمْ
يـفـتـخـرُ الـعـالِم والـعـامل
بـعـثـتُمُ «هـمـلتَ» من رَمْـسِه
«فَـهَـمْـلَتٌ» بـيـنـكمُ مـاثل

يمـــشي ويمـــشي الـــطـــيفُ في إثـــره
كـلاهـــــــمـــــــا ممّـــــــا بـه ذاهـل
لا يـــضـــحك الـــسَّـــامعُ من هـــزْله
كم عِـــظـــةٍ جـــاء بـــهـــا الـــهـــازل
روايـــةٌ يـــظـــهـــر فـــيـــهـــا لـــكمْ
كـــيف يُـــداجي الـــصَّـــادقَ الخـــاتلُ[1]
وتـــنـــكُثُ المـــرأة مـــيـــثـــاقَـــهـــا
وكـــيف يُـــجـــزَى المجـــرمُ الـــقـــاتل
وإنمـــــــا الإنـــــســـــــانُ أخـلاقُـه
لا يـــســـتـــوي الـــنـــاقصُ والـــكـــامل
والـــنـــفسُ كـــالمـــرآةِ إن أُهـــمِـــلتْ
يـــعـــلـــو عـــلـــيـــهـــا الـــصـــدأُ الآكل
والـــنـــــاسُ أدوارٌ، فَـــذا صـــاعـــدٌ
يـــــراودُ الـــــشُّـــــهبَ وذا نـــــازل
والـــدهـــــر حـــــالاتٌ، فـــيـــومٌ به
نـــحسٌ، ويـــومٌ ســـعـــدُه كـــامل
فَـــمَـــنِّـــلـــوا الجـــهلَ وأضـــرارَه
حـــتى يُـــعـــادي جـــهـــلَه الجـــاهل
ومـــنِّـــلـــوا الـــفـــضـلَ وآيـــاتِه
كي يـــســـتـــزيـــدَ الـــرجلُ الـــفـــاضل
وصـــــــــوِّروا المجـــــــــدَ بـلألائـه
عـــسى يُـــفـــيقُ الـــهـــاجعُ الـــغـــافل
ويـــــرجعُ الـــــشَّـــــرقُ إلى أوْجه

---

(١) المداجاة: المداراة والمخاتلة.

كـــمـــا يـــعـــودُ الـــقـــمـــرُ الآفل
وابـــنـــوا إلى الآتِـــينَ من بـــعـــدِكمْ
يَـــبْنِ لمن يـــخـــلُـــفه الـــقـــابل
مـــا دمـــتُمُ لـــلـــحقّ أنـــصـــارَه
هـــيـــهـــاتَ أنْ يـــنـــتـــصـــرَ الـــبـــاطل

✱✱✱✱

٦٢ - العيون السود

[الكامل]

لـيتَ الـذي خـلَقَ الـعـيـونَ الـسُّـودا
خـلَقَ الـقـلـوبَ الخـافِـقـاتِ حَـديـدا
لـولا نـواعـسُـهـا ولـولا سِـحْـرُهـا
مـا ودَّ مـالك قـلـبِه لـو صِـيـدا
عـوِّذْ فـؤادَكَ من نِـبـال لِـحَـاظـهـا
أو مُتْ كـمـا شـاء الـغـرامُ شَـهـيـدا
إنْ أنت أبـصـرتَ الجـمـالَ ولم تَـهِمْ
كـنتَ امـرءًا خـشِنَ الـطِّـبـاع، بـلـيـدا
وإذا طـلـبتَ مع الـصَّـبـابـةِ لـذةً
فـلـقـد طـلـبتَ الـضـائعَ الـمـوجـودا
يـا ويحَ قـلْـبي إنه في جـانـبي
وأظـنُّه نـائي الـمَـزارِ بـعـيـدا
مُـسـتـوفِـزٌ شـوقًـا إلى أحـبـابه
المـرءُ يـكـره أن يَـعـيشَ وحـيـدا
بـرأَ الإلهُ له الـضـلـوعَ وقِـايـةً
وأرتْهُ شِـقْـوته الـضـلـوعَ قُـيـودا
فـإذا هـفَـا بـرقُ المـنى وهـفـا له
هـاجتْ دَفـائـنُه عـلـيه رُعـودا
جـشَّـمـتُه صـبـرًا فـلّـمـا لم يُـطِقْ

---

(١) التصويب: انخفاض التنفس. والتصعيد: تنفس الصُعَداء، وهو تنفّس يمتد.

جشَّمتُه التَّصويبَ والتَصْعيدا[1]
لو أستطيعُ وقَيتُه بطْشَ الهَوى
ولو استطاع سَلا الهوى مَحْمودا
هي نظرةٌ عرَضتْ فصارت في الحَشا
نارًا، وصار لها الفؤادُ وَقودا
والحبُّ صوتٌ، فهو أنّةُ نائحٍ
طَورًا وآونةً يكون نَشيدا
يَهبُ البواغِمَ أَلْسُنًا صدّاحةً
فإذا تجنّى أسْكتَ الغرِّيدا[1]
ما لي أكلّفُ مُهجتي كتْم الأسى
إن طالَ عهدُ الجرحِ صار صَديدا
ويلَذّ نفسي أن تكونَ شقيّةً
ويلَذّ قلبي أن يكون عَميدا[2]
إن كنتَ تدري ما الغرامُ فداوِني
أو لا، فَخَلِّ العذْل والتَّفنيدا

☆☆☆☆☆

يا هندُ قد أفنى المَطالُ تصبُّري
وفنِيتُ حتى ما أخافُ مَزيدا
ما هذه البِيضُ التي أبصرتِها
في لِمَّتي إلا الليالي السُّودا
ما شِبْتُ من كِبَرٍ ولكنّ الذي
حمّلْتُ نفسي حمَّلَتْهُ الفُودا[3]
هذا الذي أبلى الشَّبابَ ورَدَّهْ

(١) البُغام: عدم الإفصاح في الحديث، وبُغام الظبية: صوتها (بغَمت - تبغُم).
(٢) العميد: الشديد الحزن (مثل المعمود).

خَـلَـقًـا وجـعّـد جـبْـهـتي تَـجـعـيـدا
عـلّـمتِ عـيـنـي أن تـسحَّ دمـوعُـهـا
بـالـبـخل عـلّـمتِ الـبـخـيلَ الجـودا
ومـنـعتِ قـلـبي أن يـقَـرَّ قَـرارُه
ولـقـد يـكـون عـلى الخـطـوب جَـلـيـدا
دلّـهْـتِـنـي وحـمَـيْتِ جـفـنـي غُـمْـضَهُ
لا يـسـتـطـيع مع الـهـمـوم هُـجـودا
لا تـعـجَـبي أنّ الـكـواكبَ سُـهَّـدٌ
فـأنـا الـذي عـلّـمـتُـهـا الـتَّـسْـهـيـدا
أسـمـعـتُـهـا وصفَ الـصَّـبـابـةِ فـانـثـنَتْ
وكـأنمـا وطئَ الحُـفـاةُ صُـرودا[1]
مـتـعـثـراتٍ بـالـظلام كـأنَّـمـا
حـالَ الـظلامُ أسـاودًا وأُسُـودا[2]
ولـو اَنَّـهـا عـرفتْ مـكـانَك في الـثَّـرى
صـارتْ زواهـرُهـا عـلـيكِ عُـقـودا
أنتِ الـتي تُـنـسـي الحـوائجَ أهـلَـهـا
وأخـا الـبـيـانِ بـيـانَه الـمَـعْـهـودا
مـا شِـمْتُ حُـسـنَكِ قطُّ إلا راعَـنـي
فـوددتُ لـو رُزق الجَـمـالُ خُـلـودا
وإذا ذكـرتكِ هـزّ ذكـرُك أضـلـعي
شـوقًـا كـمـا هـزّ الـنـسـيمُ بُـنـودا
فـحـسـبتُ سِـقْطَ الـطلّ ذوبَ مَـحـاجـري
لـو كـان دمعُ الـعـاشـقـين نَـضِـيـدا
وظـنـنتُ خـافـقـةَ الـغـصـونِ أضـالِـعًـا

(١) الصَرَد: مسمار في سنان الرمح، وجمعه: صُرود.
(٢) الأساود (جمع الأُسْد: جمع الجمع).

وثِـمَـارَهنَّ الـفـانـيـاتِ كُـبُـودا
وأرى خـيـالَك كلَّ طَـرْفـة نِـاظـرٍ
ومن الـعـجـائب أن أراه جَـديـدا
وإذا سـمـعتُ حـكـايـةً عن عـاشقٍ
عَـرَضًا حَسِبْتُنيَ الفتى الـمَقْصودا
مـسـتـيـقظٌ ويُـظَنُّ أني نـائمٌ
يـا هـنـدُ، قـد صـار الـذهـولُ جـمـودا
ولـقـد يـكـون لي الـسُّـلـوُّ عن الـهـوى
لـكـنـمـا خُـلـقَ الـمُـحِب وَدودا

✱✱✱✱

٦٣ - هاتها

[مجزوء المديد]

هـــاتِـــهـــا فـي الـــقـــدحِ نـــســـمـــةً في شـــبحِ
هـــاتِـــهـــا فـــالـــنـــفسُ في حـــاجـــةٍ لـــلـــفـــرح
واســقِــنــيــهــا كَــوْثــرًا وعَـــلَـــيّ اقـــتـــرحِ
إن تـــكنْ قـــدْ حُـــرِّمتْ فـعـلـى الـمـسـتـقـبِحِ
هيَ في صُـــفـــرَتـــهـــا طـلـعـةُ المـفْـتَـضِحِ[1]
وهـي في حُـــمـــرَتـــهـــا كَـخُـدَيْـد[2] المـسـتـحي
وهـي في شـــدّتـــهـــا ثـــورة المجـــتَـــرِحِ[3]
وهـي في رِقَّـــتِـــهـــا خـــاطـــرٌ لم يَـــلُـحِ
أتَـــراهـــا شـــفـــقًـــا كُـــلِّـــلتْ بـــالـــصُّـــبُح
أم هـيَ الـوجْـنـاتُ قـد ذُوِّبـتْ فـي قـــــدح؟

****

(١) تغير اللون عند الافتضاح.
(٢) تصغير الخدّ.
(٣) المرتكب أو المكتسب.

٦٤ - إلى صديق

[الكامل]

مـــا عَـــزَّ مَن لم يَـــصـــحبِ الخَـــذِمَـــا
فـــاحْـــطِمْ دواتَك؛ واكـــسـرِ الـقـلـمـا[١]
وارحَـمْ صِـــبـــاكَ الـــغـضَّ، إنـــهـمُ
لا يـــحـــمـــلـــونَ، وتحـــملُ الألمـــا
كم ذا تُـــنـــاديـــهـمْ وقـــد هـــجَـــعـوا
أحـــسِـــبتَ أنك تُـــســـمِعُ الـــرِّممـــا
مـــــا قـــــام في آذانـــــهم صَـــــمَمٌ
وكـــأنّ في آذانـــهمْ صـــمَـــمـــا
الـــقـــومُ حـــاجـــتُـــهمْ إلى هِـــمَمٍ
أوَ أنتَ ممن يَـــخـــلُقُ الـــهِـــمَـــمـــا؟
تـــاللـــهِ لـــو كـــنتَ «ابنَ ســـاعـــدة»
أدبًـــا «وحـــاتِمَ طـــيّئٍ» كـــرمـــا[٢]
وبـــذَذْتَ «جـــالـــيـــنـــوسَ» حـــكـــمـــتَهُ
والـــعِـــلْمَ «رَسْـــطـــالـــيسَ» والـــشَّـــمـــمـــا[٣]
وســـبـــقْتَ «كـــولـــبـــوسَ» مـــكـــتـــشـــفًـــا
وشَـــأوتَ «آديـــســـونَ» مُـــعْـــتـــزِمـــا
فَـــسَـــلَـــبْتَ هـــذا الـــبـــحـــرَ لـــؤلـــؤَهُ
وحـــبـــوتَـــهمْ إيّـــاهُ مُـــنـــتـــظِـــمـــا

---

(١) الخَذَم: سرعة القطع. يريد: السيف.

(٢) قسّ بن ساعدة الإيادي: من حكماء العرب، وحاتم من كرمائهم.

(٣) جالينوس Galènes: الطبيب اليوناني الذي اعتمده أطباء العرب.

وكـــشـــفتَ أســـرارَ الـــوجـــودِ لـــهمْ
وجـــعـــلتَ كلَّ مُـــبـــعَّـــدٍ أَمَـــمـــا[1]
مـــا كـــنتَ فـــيـــهمْ غـــيـــرَ مـــتَّـــهَمٍ
إني وجـــدتُ الحُـــرَّ مُـــتَّـــهَـــمـــا
هـــانـــوا عـــلى الـــدُّنـــيـــا فلا نـــعَـــمًـــا
عَـــرَفَـــتْـــهُمُ الـــدنـــيـــا ولا نِـــقَـــمـــا
فـــكـــأنمـــا في غـــيـــرِهـــا خُـــلِـــقُـــوا
وكـــأنمـــا قـــد آثـــروا الـــعَـــدَمـــا
أوَ مـــا تَـــراهُمْ، كـــلَّـــمـــا انـــتـــســـبـــوا
نَـــصَـــلـــوا[2] فلا عُـــرْبًـــا ولا عَـــجَـــمـــا
لـــيـــســـوا ذوي خَـــطـــرٍ وقـــد زَعـــمـــوا
والـــغـــربُ ذو خـــطَـــرٍ ومـــا زَعـــمـــا
مُـــتَـــخـــاذِلـــينَ عـــلى جـــهـــالـــتـــهمْ
إنّ الـــقـــويّ يَـــهـــونُ مـــنـــقـــسِـــمـــا
فـــالـــبـــحـــرُ يـــعـــظُمُ وهـــو مـــجـــتـــمِعٌ
وتـــراهُ أهـــونَ مـــا يُـــرى دِيَـــمـــا
والـــسُّـــورُ مـــا يـــنـــفكُّ ممـــتـــنِـــعًـــا
فـــإذا يُـــنـــاكِـــرُ بـــعـــضَه انـــهَـــدمـــا
والـــشـــعبُ لـــيس بـــنـــاهضٍ أبـــدًا
مـــا دامَ فـــيه الخُـــلْفُ مُـــحـــتـــكِـــمـــا
يـــا لَلأديبِ ومـــا يُـــكـــابِـــدُه
في أمّـــةٍ لا تـــشـــبه الأُمَـــمـــا
إن بـــاحَ لم تَـــســـلـــمْ كـــرامـــتُه

---

(١) أمامهم، في أنظارهم.
(٢) فصَل ونزَع.

والإثمُ كلُّ الإثمِ إن كَـــتَـــمـــا
يـــبـــكي فـــتـــضـــحكُ مـــنه لاهـــيـــةً
والجـــهلُ إن يَـــبْكِ الحِـــجـــا ابْـــتـــســـمـــا
جـــاءت ومـــا شـــعـــرَ الـــوجـــودُ بـــهـــا
ولَـــســـوفَ تـــمـــضي وهـــو مـــا عَـــلِـــمـــا
ســـار الـــشُّـــعـــوبُ إلى الـــعُلا عَـــنَـــقًـــا
ووَنَتْ فـــلم تَـــنـــقُلْ لـــهـــا قَـــدَمـــا[1]
مـــا أحـــدثتْ في الـــدهـــر طـــارفـــةً
تـــبـــقى، ولـــيس تَـــلـــيـــدُهـــا عَـــلَـــمـــا
ضـــعُـــفتْ فلا عـــجبٌ إذا اهـــتُـــضِـــمتْ
الـــلـــيثُ، لـــولا بـــأسُه، اهـــتُـــضِـــمـــا
فـــلـــقـــد رأيتُ الـــكـــونَ، سُـــنّـــتُه
كـــالـــبـــحـــر يـــأكلُ حـــوتُه الـــبَـــلَـــمَـــا[2]
لا يَـــــرحمُ المـــــقـــــدامُ ذا خَـــــوَرٍ
أو يَـــرحمُ الـــضِّـــرغـــامـــةُ الـــغَـــنَـــمـــا؟

يـــا صـــاحـــبي، وهـــواك يـــجـــذِبُـــني
حـــتى لأحـــسَبُ بـــيـــنـــنـــا رَحِـــمـــا
مـــا ضـــرَّنـــا، والـــوُدُّ مـــلـــتـــئِمٌ
ألا يـــكـــونَ الـــشَّـــملُ مُـــلـــتَـــئِـــمـــا
الـــنـــاسُ تـــقـــرأ مـــا تُـــســـطِّـــرُه
حِـــبـــرًا، ويـــقـــرؤه أخـــوكَ دَمـــا
فـــاسْـــتـــبقِ نـــفْـــسًـــا، غـــيـــرُ مُـــرْجِـــعِـــهـــا

---

(١) العَنَق: السير الفسيح السريع. والوَنى: البطء والتراخي.
(٢) البلم: السمك الصغير.

عضُّ الأنـــاملِ بـــعـــدهَـــا نَـــدَمـــا
مـــا أنتَ مُـــبْـــدلُـــهمْ خلائـــقَـــهُمْ
حـــتى تـــكـــونَ الأرضُ وهْي سَـــمَـــا
زارتْكَ لم تَـــهـــتِكْ مـــعـــانـــيَـــهـــا
غَـــرّاءُ يـــهـــتِكُ نـــورُهـــا الـــظُّـــلَـــمـــا
سَـــبـــقَتْ يـــدي فـــيـــهـــا هـــواجِـــسَـــهُم
ونَـطَـقْتُ لـمـا اسـتـصـحَـبـوا الـبُـكُـمـا
فـــإذا تُـــقـــاسُ إلى روائـــعِـــهمْ
كـــانتْ روائـــعُـــهمْ لـــهـــا خَـــدَمـــا
كـــالـــرّاحِ لم أرَ قـــبلَ ســـامـــعِـــهـــا
سـكـرانَ، جِدَّ الـسُّـكْـر، مُـحْـتـشِـمـا[1]
يَـخِـدُ الـقِـفَـارَ بـهـا أخـو لَـجَبٍ
يُـنـسـي الـقِـفَـارَ الأيـنُقَ الـرُّسُـمـا[2]
أقْـــبَـــسْـــتُه شـــوقي فـــأَضْـــلُـــعُه
كـــأضَـــالـــعِي ممـــلـــوءةٌ ضَـــرَمـــا
إن الـــكـــواكبَ في مـــنـــازلِـــهـــا
لـــو شـــئتُ لاســـتـــنـــزلـــتُـــهـــا كَـــلِـــمـــا

✱✱✱✱

(١) جِدّ السكر: غايته وقوته.
(٢) الوخْد: الإسراع وتوسيع الخطو. والأنيق الرسم: صفة للنوق.

٦٥ - باخرة الإغاثة

[الكامل]

سـيـري تُـراعـيكِ الـنـجـومُ الـسَّـاهـرهْ
لـيـلاً، وعـينُ الـشـمس عـنـد الـهـاجـرَه
فَـلأَنتِ عـنـد الـشَّـرقِ أجـملُ بـاخـره
تجـري إلـيه بـهـا الـمـيـاهُ الـزَّاخـره
يـا لـيـت أني فـيكِ أو إيّـاكِ
سِـيـري تـداعبُ فـوقَكِ الـريحُ الـعَـلَمْ
وتُلاطفُ الـبـحـرَ الخِـضَـمَّ إذا احـتـدمْ
بُـوركتِ بـاخـرةً وبـورِكَ مِن عَـلَمْ
فـيكِ الخلاصُ لـسـاكـني تـلك الأَكَم
يـا لـيـت أني فـيكِ أو إيّـاكِ
في الشَّرقِ أحبابٌ على جَمرِ الغَضَا[1]
نَـقَمَ الـزمـانُ عـلـيـهمُ بـعـدَ الـرضـا
هـجروا الكَرى وتـطلّعوا نـحو الفضـا
يـتـوقّـعـونَكِ كـلـمـا بـرْقٌ أضَـا
سيري فإن الحرب[2] في مَسْراكِ
بـيـروتُ... يـا بـنتَ الـبُـخـارِ الجـاريهْ

---

(١) شجر خشبه صلب، تحرق غصونه، وفحمه صلب. يكثر في نجد.

فـإذا سُـئـلتِ مِن الـبـقـايـا الـبـاقَـيه
قـولي لـهم: إنّ الحـيـاة الـهَـانِـيه
لم تُـنـسِـنـا سُـكَّـان تـلك الـنـاحـيه
أمّـا الـدلـيل، فـحـسْـبُـنـا إيّـاكِ!.

✷✷✷✷

٦٦ - مصرع القمر

[مختلط]

لـوعَـةٌ في الـضُّـلـوعِ مِـثلُ جـهـنَّمْ
تـركتْ هـذه الـضّـلـوعَ رمَـادا
بتُّ مـرمىً لـلـدهـر بي يـتـعـلّمْ
كـيف يُـصـمي الـقـلـوبَ والأكـبـادا
كـيف يـنـجـو فـؤادُه أو يـسـلَمْ
مَن تَـمـادَى به الأسى فَـتَـمـادى
أنـا لـولا الـشُّـعـورُ لم أتـألّمْ
لـيت هـذا الـفـؤادَ كـان جـمـادا

☆☆☆☆☆

كـيف لا أبـكي وفي الـعـين دمـوعْ
كـيف لا أشـكـو وفي الـقـلب صُـدوعْ
قلَّ في الـنـاس من صَـبَـرْ
مختـارا

☆☆☆☆☆

لحـظـةً، ثم صـار ضِـحْـكي وجِـيـبـا
ونـشـيـجًـا، والـنـومُ صـار سُـهـادا
رَبِّ لَـمّـا خـلـقتَ هـذي الخُـطُـوبـا
لِمَ لـمْ تَـخـلُق الحَـشَـا فُـولادا
كـلَّـمـا قـلتُ قـد وجـدتُ حـبـيـبـا
طـلـعَ المـوتُ بـيـنـنـا يَـتَـهـادى

صِــرتُ في هــذه الحــيــاة غــريــبــا
لــيت سُــهــدي الــطــويلَ كــان رُقــادا

فــتــجــلَّــدْ أيــهــا الــقــلبُ الجَــزوعْ
أو تــدفّقْ كــلــمــا شــاء الــوَلُــوعْ
عَــنْــدَمًــا أو دمًــا هُــدِرْ
أو نــــارا[1]

كــان بــين الــكــرى وبــيــنيَ صُــلْحٌ
فــأراد الــقــضــاءُ أن نــتــعــادى
لم أكــدْ أخــلــعُ الــسَّــوادَ وأصــحــو
من ذُهــولي، حــتى لَــبِــستُ الــسَّــوادا
في فــؤادي، لــو يــعــلمُ الــنــاسُ، جُــرحٌ
لا يُلاشَى حــتى يُلاشِي الــفــؤادا
يــا خَــلــيــلي! هــيــهــاتَ يــنــفعُ نُــصْحٌ
بــعــدمــا ضــيّعَ الحــزينُ الــرَّشــاد

أنت لا تــســطــيعُ إحــيــاءَ الــصَّــريعْ
وأنــا، حَــمْلَ الأسى لا أســتــطــيعْ
ذا الــــذي صــــيّــــرَ الــــكَــــدَرْ
أكــــدارا[2]

(١) العَنْدم: نبت يستخرج منه صِباغ أحمر.
(٢) الإكدار: جمع الكدر.

يـا ضَـريـحًـا عـلى ضِـفـافِ الـوادي
جـادَ من أجـلكَ الـغَـمَـامُ الـبلادا
فـيك أودعتُ، مـنـذُ ستٍّ، فـؤادي
وبـرَغـمي أطـلْتُ عـنكَ الـبُـعـادا
غـيـرَ أني، وإن عَـدَتْـني الـعـوادي
مـا عَـدَتـني بـالـروح أن أرتـادا
أنـبـتَتْ حـولكَ الـزهـورَ الـغـوادي
والـلـيـالي أنـبـتنَ حَـوْلِي الـقَـتَـادا

☆☆☆☆☆

وذبـولُ الـغـصنِ في فـصلِ الـربـيعْ
لـو رآه شـجـرُ الـروضِ الـمَـريعْ
جـمَـدَ المـاءُ في الـشـجـرْ
مُحتـارا

☆☆☆☆☆

كـيف لا يـتّـقِي الـكَـرى أجـفـاني
وجُـفـوني قـد اسـتَـحَـلْنَ صـعَـادا
ودمـوعي بـلـونـهـا الأُرجـواني
مَـنـهَلٌ لـيس يُـعـجِب الـورّادا
والـذي في الـضـلـوع من نـيـرانِ
صـار ثـوبًـا ومَـقْـعـدًا ووِسـادا
كـيف يـقـوى عـلى الـشَّـدائـد عـانٍ
أكل الـسُّـقْمُ جـسـمَه أو كـادا

☆☆☆☆☆

فـإذا مـا غَـشِي الـطـرْفَ الـنـجـيعْ
فـتـذكّـرْ أنه الـقـلبُ الـصَّـديعْ

كَـــظَّهُ الحُـــزنُ فـــانـــفـــجـــرْ
انفِجـــــــارا

طـائـرٌ كـان في الـربُّـا يـتـغـنّى
أصـبحَ الـيـومَ يـحـملُ الأصْـفَـادا
غـصُنٌ كـان والـصِّـبـا يـتـثـنّى
هَـصَـرتْهُ يـدُ الـردَى فَـانْـآدا
نـال مـني الـزمـانُ مـا يـتـمـنّى
وأبى أن أنـــالَ مـــنـه مُـــرادا
وتجـنّى مـا شـاء أن يـتَـجـنّى
واسـتَـبـدّتْ صُـروفُهُ اسْـتِـبـدادا

حـطّمَ الـسَّـيفَ ومـا أبـقى الـدروعْ
وتَـداعى دونَهُ الـسُّـورُ المـنـيعْ
وأَراني من الـعِـبَـرْ
أطـــوارا

مـا لـهـذي الـنـجـومِ تـأبى الـشُّـروقـا
أتـخـافُ الـكـواكبُ الأرصـادا
فَـرَطَ الـبـينُ عِـقـدَهـا الـمَـنْـسـوقـا
أمْ لِـمَـا بيْ أرى الـبـيـاضَ سَـوادا
أَمْ فَـقِـدْن كـمـا فـقَـدتُ شـقـيـقـا
فَـلَـبـسْنَ الـدُّجى عـلـيه حِـدادا[1]

(١) فقدَ أبو ماضي ثلاثة من إخوته، والأول أصغر منه، ولعله هو الذي يذكره هنا. وكان رثاه في قصيدته (البدر

مـا لـعـيـنـي لا تُـبـصـرُ الـعَـيُّـوقـا
ولـقـد كـان سـاطـعًـا وقَّـادا[1]

سـافـرًا يـخـتـالُ في هـذا الـرقـيعْ
هل أتـاهُ نـبـأُ الخـطبِ الـفـظـيعْ[2]
أم رأى مَـصـرعَ الـقـمـرْ
فتَوارى

سـدّدَ الـدهـرُ قـوسَه ورمـاني
لم تَـجِـدْ مُـهـجـتي ولا الـسَّـهمُ حـادا
هـكـذا أسـكـتتْ صُـروفُ الـزمـانِ
بُـلـبُلاً كـان نَـوْحُهُ إنـشـادا
فـهُـوَ الـيـومَ في يـدِ الـسَّـجّـانِ
يـشـتـهي كلَّ سـاعـةٍ أن يُـصـّادا
فـاحـسَـبـوني أُدرجتُ في الأكـفـان
إن أَنِـفْـتُمْ أن تحـسَـبـوا الـقـولَ بـادا

لـيس في هـذي ولا تـلك الـربـوعْ
مـا يـسـلّي الـنـفْسَ عن ذاك الـضَّـجـيعْ
قـبـرَهُ، جـادك المـطـرْ
مِـدْرارا

---

(١) العيّوق: نجم أحمر مضيء، في طرف المجرّة الأيمن.
(٢) الرقيع: الرقعة، ويقصد رقعة السماء.

٦٧ - في فراش المرض

[الطويل]

مـرضتُ فـأرواحُ الـصِّـحـاب كـئـيـبـةٌ
بـهـا مـا بـنـفـسي، لـيت نـفـسي لـهـا فِدا
تـرفّ حِـيـالي كـلـمـا أغـمضَ الـكـرى
جـفـوني جـمـاعـاتٍ ومـثْـنَى ومَـوْحـدا
تـراءى فـآنًـا كـالـبـدور سـوافـرًا
وآونـةً مـثلَ الجُـمـان مُـنَـضَّـدا
وطـورًا أراهـا حـائـراتٍ كـأنـهـا
فـراقـدُ قـد ضـيّـعن في الأرض فـرقَـدا
وطـورًا أراهـا جـازعـاتٍ كـأنمـا
تـخـاف مع الـظَّـلـمـاء أن تـتَـبـدّدا
أحِنّ إلـيـهـا رائـحـاتٍ وعـوّدًا
سلامٌ عـلـيـهـا رائـحـاتٍ وعـوّدا
تـهَشُّ إلـيـهـا مـقـبلاتٍ جـوارحي
كـمـا طَـرِب الـسَّـاري رأى الـنـور فـاهـتـدى
وأُلـقي إلـيـهـا الـسَّـمعَ مـا طـال هـمْـسُـهـا
كـذلك يـسـتـرعي الأذانُ الـمُـوحِّـدا
ويـغـلـبُ نـفـسي الحـزنُ عـنـد رحـيـلـهـا
كـمـا تَـحـزنُ الأزهـارُ زايـلَـهـا الـنـدى
كـرهتُ زوالَ الـلـيـل خـوفَ زوالـهـا
وعـوّدتُ طـرفي الـنـومَ حـتـى تـعـوَّدا

ولو أنها في الصحْوِ تطرُق مَضْجَعي
حمَيْتُ الكرى جفني وعِشتُ مُسَهّدا
ولو لم تكن تعتاد منيَ مثلَها
خيالاتُها همّتْ بأن تتقيّدا
فيا ليتني طيفٌ أروح وأغتدي
ويا ليتَها تستطيعُ أن تتقيّدا
نحَلْتُ إلى أن كِدتُ أُنكرُ صورَتي
وأخشى لفَرطِ السُّقم أن أتنهّدا
مَبيتي على مثلِ الوثيرِ لِيانةً
وأحسبني فوق الأسنّة والمُدى
كأن خيوطَ المَهد صارت عقاربًا
كأن وِسادي قد تحوّل جَلْمدا
لقد توشك الحمّى، إذ جَدّ جِدُّها
تُقوّم من أضلاعيَ المتأوّدا[1]
تُصوِّرُ لي طيفَ الخيال حقيقةً
وأحسَب شخصًا واحدًا متعدّدا
لقد ضعضعتْني، وهي سرٌّ، ولم يكن
يُضعضعُني صَرْفُ الزمان إذا عَدا
إذا ما أنا أسندتُ رأسي إلى يدي
رمتْنيَ منها بالذي يوهنُ اليدا
تغلغلَ في جسمي النحيلِ أُوارُها
فلو لم أقُدَّ[2] الثوبَ عنه توقّدا
رأيتُ الذي لم يُبصرِ الناسُ نائمًا
وطُفتُ الدُّنا شرقًا وغربًا مُوسَّدا

(١) المتأود: المتمايل.

يـقـول الـنِّـطـاسي لـو تـبـلّـدتَ سـاعـةً
تـبـلّـدتُ لـو أني أُطـيق الـتَّـبـلُّـدا[1]
تـهـامسَ حـولي الـعـائـدونَ ورجَّـمـوا
وعـنّفَ بـعضُ الجـاهـلـينَ وفـنَّـدا
فـمـا سـاءني إلا شـمـاتـةُ مـعـشـرٍ
رجـوتُ بـهم عـنـد الـشـدائـد مُـسـعِـدا[2]
أسـأتُ إلـيـهمْ، بل أسـاؤوا فـإنـني
ظـنـنـتـهمُ شـرواي خُـلْـقًـا ومَـحْـتِـدا
أحبَّ الـضـنـى قـومٌ لأنـيَ ذُقـتُه
وأحـبـبـته، كـيـمـا يُـحبَّ ويُـحـسـدا
وودّ أنـاسٌ لـو يـعـاجـلُـني الـرّدى
كـأنـيَ أرجـو فـيـهمُ أن أُخـلَّـدا
ومـا ضَـمِـنـوا ألا يمـوتـوا، وإنمـا
يـودّ زوالَ الـشـمس مَن كـان أرمَـدا[3]
إذا الـلـيلُ أعـيـاه مـسـاجـلـةُ الـضُّـحى
تـمـنّى لـو اَن الـصُّـبحَ أصـبحَ أسـودا
عـلـى أنـني والـداء يـأكل مُـهـجـتي
أرى الـعـارَ، كلَّ الـعـارِ، أن أَحـسُـد الـعِدا
فـإن الـذي بـالجـسم لا بـدّ زائلٌ
ولـكنّ مـا بـالـطـبع يـنـفكُّ سَـرْمَـدا
لـئن أَجْـلَبَ الـغـوغـاءُ حَـولِي وأفْـحَـشـوا

---

(١) النِّطاسي: العالم الخبير والطبيب الحاذق.
(٢) الإسعاد: البكاء مع الآخر في مصيبته.
(٣) الرمد: ما يصيب العين (أرمد – رمداء).
(٤) أجلبوا: تجمعوا.

فكم شتموا موسى وعيسى وأحمدا[٤]
ولا عجبٌ أن يُبغضَ الحُرَّ جاهلٌ
متى عشِق البومُ الهَزارَ المغرّدا؟[١]
وإني في كبْت العُداةِ وكيدهم
كَمَن يسلك الدرْب القصيرَ المعبّدا
ولكنني أعفو وللغيظ سَوْرة
أعلِّمُ أعدائِي المروءةَ والنَّدى
ألا رُبّ غِرٍّ خامرَ الشكُ نفسَه
فلمّا رآني أبصرَ البحرَ مُزْبدا
فأصبح يخشَاني وقد بِتُّ ساكتًا
كما كان يَخشاني وقد كنتُ مُنشدا
ويرهبُ اِسْمي أن يُطيفَ بسمعه
كما تتّقي الدّرداءُ حرفًا مشدّدا[٢]
ومن نال منه السّيفُ وهو مُجرَّدٌ
تهيّب أن يرنو إلى السّيف مُغْمَدا
أُحِبُّ الأبيَّ الحُرَّ لا وُدّ عنده
وأقلي الذليلَ النفسِ مهما تَودّدا
وبين ضُلوعي قُلَّبٌ ما تمرّدتْ
عليه بناتُ الدهر إلا تمرّدا
ولو أن مَن أهوى أطال دَلاله
منعتُ هواه أن يَجوزَ بيَ المَدى
لترْمِ العَوادي بِي العَوادي، فإنني
تركتُ لمن يَهواهما اللَّهو والدَّدا[٣]

---

(١) الهزار: هو العندليب.
(٢) الدَرَد: خلوّ الفم من الأسنان (أدرد - درداء).
(٣) الدّد: اللهو واللعب.

✱✱✱✱

٦٨ - رثـــــاء

المثلث الرحمة المطران رفائيل هواويني

[الكامل]

أودَى فـنـورُ الـفـرقَـدينِ ضـئـيلُ
وعـلى المـنـازل رهـبَـةٌ وذهـولُ
خَـلَقَ الأسى في قـلبِ من جَـهِلَ الأسى
قـولُ الـمُـخـبّـرِ: مـاتَ رافـائـيل
فـمِنَ الجَـوى بـين الـضُّـلـوع صـواعقٌ
وعـلى الخُـدود من الـدُّمـوع سُـيـول
قـال الـذي وَجَـد الأسى فـوقَ الـبُـكـا
وبـكى الـذي لا يَـسـتـطـيعُ يَـقـول
يـا مُـؤنسَ الأمـواتِ في أرْمـاسـهـا
في الأرض بَـعْـدكَ وَحـشـةٌ وخُـمـول
لا الـشـمسُ سـافـرةٌ ولا وجه الـثَّـرى
حـالٍ، ولا ظِلُّ الحـيـاة ظَـلـيل
مـا زال هـذا الـكـونُ بـعـدَك مـثـلَه
لـكنّ نـورَ الـبَـاصِـرات كَـلـيل
نِـبْـراسُـنـا في لـيلِ كلِّ مـلـمَّـةٍ
الـلـيلُ بـعـدكَ حـالكٌ وطـويل
هَـبـني بَـيـانَك، إنَّ عـقـلي ذاهِلُ

ســـاهِ وغَـــرْب يَـــراعـــتي مَـــفْـــلـــول
قـــد فتّ في عَـــضُـــد الـــقَـــريضِ وهَـــدَّه
هـــولُ المـــصـــابِ، فـــعِـــقْـــدُه مَـــحـــلـــول
مـــا لي أرى الـــدنـــيـــا كـــأني لا أرى
أحـــدًا، كـــأن الـــعـــالَـــمـــين فُـــضـــول
أبـــكي إذا مـــرّ الـــغـــنـــاءُ بمَـــسْـــمـــعي
فـــكـــأن شـــدْوَ الـــشَّـــاديـــات عَـــويل
نـــفـــسي الـــتي عـــلَّـــلـــتِـــني بـــلـــقـــائه
الـــيـــومَ لا أمَلٌ ولا تَـــعـــلـــيل
ذوبي فـــإنّ الـــعِـــلْم مـــادَ عِـــمـــادُه
والـــدِّينُ أُغـــمـــدَ ســـيـــفُه الـــمَـــسْـــلـــول
هـــذا مـــقـــامٌ لا الـــتـــفـــجعُ سُـــبّـــةٌ
فـــيه، ولا الـــصـــبْـــرُ الجـــمـــيلُ جـــمـــيل
مـــا كـــنتُ أدري قـــبل طـــارَ نـــعـــيُّه
أن الـــنـــفـــوسَ من الـــعـــيـــون تَـــســـيل
مـــا أحـــمقَ الإنـــســـانَ يَـــسْـــكن لـــلـــمـــنى
والمـــوتُ يـــخـــطـــر حـــولَه ويَـــجـــول
يَـــهـــوى الحـــيـــاةَ كـــأنمـــا هـــو خـــالـــدٌ
أبـــــدًا ويـــــعـــــلَمُ أنه سَـــــيَـــــزول
ومِن الـــعـــجـــائبِ أن يَـــحِنّ إلى غـــدٍ
وغـــدٌ، ومـــا يـــأتي به، مَـــجْـــهـــول
لا تـــركَـــنَنَّ إلى الحـــيـــاة فـــإنـــهـــا
دنـــيـــا هَـــلـــوكٌ لـــلـــرجـــال قَـــتـــول
ســـكَتَ الـــذي راضَ الـــكلامَ وقـــادَه
حـــتى كـــأن لـــســـانَه مَـــكْـــبـــول
يـــا قـــائلَ الخُـــطَبِ الحِـــسَـــانِ كـــأنـــهـــا

لجمالها، الإلهامُ والتَنْزيل
إن كان ذاك الوجهُ حجَّبَه الثَّرى
للنجم في كَبِد السماء أُفول
ليس الحِمَامُ بناقدٍ لكنما
قدْرُ العظيم على العظيم دَليل[1]
نَمْ تَحرُسُ الأملاكُ قبرَكَ، إنه
فيه الوقارُ وحولَه التبجيل
فلكم قطعتَ الليلَ خافٍ نجمُه
متهجِّدًا، والساهرون قليل
مُستنزلاً عفْو الإله عن الورى
حتى كأنَّك وحدك المَسئولُ
تبغي اللذاتِ النفوسُ وتَشتهي
واللهَ ما تَبغيه والإنجيل
لولا مدارس شِدْتَها وكنائسٌ
ما كان إلا الجهلُ والتَّعْطيل
أنفقتَ عمرَكَ في الإله مُجاهدًا
أجْرُ المجاهدِ في الإله جزيل

✱✱✱✱

(١) إشارة إلى قول الشاعر الأيوبي (كمال الدين ابن النبيه ت ٦١٩ هـ):
«والموت نقّاد على كفه جواهرٌ يختار منها الجيادْ»

(١) يريد بالهلال: الأتراك، لأنه مرسوم على علَمهم، ويرمز إليهم. ولكن هل يمكن فصله عن التراث الإسلامي ؟ ودالَ: غُلب ودارت الدائرة عليه، والإدالة: النكبة.

(٢) القَرْم: السيد. والأصْيد من الصيَد، وهو: رفعُ الرأس رفعة وكبراً.

(٣) يريد الجزيرة العربية.

٦٩ - فتح أورشليم

[الكامل]

لـــله مـــا أحـــلى الـــبـــشـــيـــرَ وقـــولَه:
ســـقط الـــهلالُ إلى الحَـــضـــيضِ ودَالا[١]
بُـــشـــرَى نَـــسِـــيـــنـــا كلَّ شيءٍ قَـــبـــلَـــهـــا
الـــــنـــــاسَ والـــــدُّولاتِ والأجـــــيـــــالا
ردّت عـــلى الـــشـــيخ المـــسنِّ شـــبـــابَه
وعـــــلى الحَـــــزين الـــيـــائسِ الآمـــــالا
وعـلى الـصـديق صـديـقَه، وعـلـيـهـمـا
أبـــويْـــهـــمـــا ؛ وعـــلى الأب الأطـــفـــالا
لـــو ســـاومَ الخـــلقَ الـــذي وافى بـــهـــا
بـــــــذلـــــــوا له الأرواحَ والأمـــــــوالا

☆☆☆☆☆☆

مَن مُـــبْـــلِغُ الأبـــطـــالِ عـــنّي أنـــني
أهـــوى الـــقُـــرومَ الـــصِّـــيـــدَ والأبـــطـــالا[٢]
بـــالأمسِ قـــطَّـــعتِ الجـــزيـــرةُ قـــيـــدَهـــا
ورمتْ بـــــوجه الـــــغـــــاشم الأغلالا[٣]
والـــيـــومَ ودَّعتِ المـــظـــالـــمَ أخـــتُـــهـــا

---

(١) أزاحوا: طردوا.
(٢) السَّمَيْذع: السيد الكريم السخيّ. والعجاج: الغبار (ومفرده: عجاجة).
(٣) الغطريف: السيد السخيّ الكثير الخير.
(٤) يصل الأتراك بالمغول لقرب الموطن.
(٥) الباشَق: من الطيور الحادّة. والرئبال: الأسد أو الذئب.

ومـــشَتْ تَـــجـــرُّ ذيـــولَـــهـــا إدلالا
أَبـــنـــاتِ أورشـــلـــيمَ ضـــمِّـــخْنَ الـــثَّـــرى
بـــالـــطِّـــيب واملأنَ الـــدّروبَ جـــمـــالا
حـــتى يمُـــرَّ الـــفـــاتحـــون، فـــإنـــهم
كَـــشُّـــوا[1] الأذى عـــنـــكنّ والإذلالا
فـــاخـــلـــعْنَ أثـــوابَ الـــكـــآبـــةِ والأسى
والـــبَـــسْن من نُـــور الـــضـــحى سِـــرْبـــالا
وانـــفَـــحن بـــالـــبـــســـماتِ كلّ سُـــمَـــيْـــذَعٍ
خـــاض الـــعَـــجـــاجَ ووجـــهُه يَـــتَلالا[2]
هـــذا مـــجـــالٌ لـــلـــفـــتى أن يَـــزدهي
فـــيه، ولـــلـــحـــســـنـــاءِ أن تـــخْـــتَـــالا
يـــا قـــائـــدَ الـــصِّـــيـــد الـــغَـــطـــارفَـــةِ الألى
تُـــحـــنى الـــرؤوسُ، لـــذكـــرهم، إجلالا[3]
ظنَّ الـــمَـــغـــولُ جـــنـــودَهـــمْ تحـــمـــيـــهمُ
والـــقـــردُ يـــحـــســـَبُه أبـــوه غَـــزالا[4]
فـــتـــألّـــبـــوا وتـــهـــدّدوا وتـــوعَّـــدوا
حـــتى طـــلـــعتَ فـــأَجـــفـــلـــوا إجـــفـــالا
ذُعْـــرُ الـــطُّـــيـــورِ سَـــطـــا عـــلـــيـــهمْ بـــاشقٌ
وبـــنـــاتُ آوى أبـــصـــرتْ رئـــبـــالا[5]
كم جـــحـــفلٍ بـــعـــثـــوا إلـــيكَ مع الـــدُّجى
لاقـــاه جـــيـــشُك، والـــصـــبـــاحُ، فـــزالا
طـــاردْتَـــهمْ فـــوق الجـــبـــال وتحـــتَـــهـــا
كـــالـــلـــيث يـــطـــرُد دونَه الأَوْعـــالا
فَـــملأْتَ هـــاتـــيكَ الأبـــاطحَ والـــرُّبـــا

---

(١) الوجى: الحفا وشدّته (أن يحفى الحافر من كثرة المشي).
(٢) الكَفَل: العجُز.

بـــجـــســـومـــهم، وملأتَـــهم أهـــوالا
وحـمَـيْتَ إلا الـسُّـهـدَ عن أجـفـانـهم
ومـــنـــعتَ إلا عـــنـــهمُ الأوجـــالا
ســاقـوا إلـيكَ مِـئـيـنَـهم وألـوفَـهم
فِـــرَقًـــا وسُـــقتَ إلـــيـــهمُ الآجـــالا
وصـــنـــعتَ من أســيـــافـــهم ودروعِـــهم
لـــــرقـــــابـــــهم وزنـــــودِهم أغلالا
لـو لم تـسـاقِـطْـهم إلـيك جـبـالُـهم
عـنـد الـضـحى زلـزلـتَـهـا زِلـزالا
إن يـامَـنـوا وجـدوا المـنـايـا يَـمـنـةً
أو يـاسَـروا وجـدوا الجـيـوش شِـمـالا
وشـكتْ خـيـولُك في المـيـادين الـوَجى
فـجـعـلتَ أرؤسَـهم لـهنّ نـعـالا[1]
ورأوكَ قـد عـرّضتَ صـدرك لـلـظُّـبـا
عـنـد الحـصـونِ فـعـرّضـوا الأَكْـفـالا[2]
هُـنّـئتَ بـالـنـصـر الـمُـبـين، فـإنه
نـصـرٌ يَـعُـزّ عـلى سِـواكَ مَـنـالا
هـذي الـقـلـوبُ نـسـجْـتُـهـا لك أحـرفًـا
لـو أسـتـطـيع صـنـعـتُـهـا تـمـثـالا
أرْضَـيْتَ مـوسى والمـسـيحَ وأحـمـدًا
والـــنـــاسَ أجـــمعَ والإلهَ تـــعـــالى

****

(١) (اللنبي) القائد الإنجليزي الذي دخل القدس في الحرب العالمية الأولى بعد هزيمة الجيش العثماني.

٧٠ - إلى الفاتح[١]

«ألانْبي»، لو طبعنا الشمسَ يومًا
وقلّدناكها سيفًا صفيحا
ورصّعناه بالشُّهب الدَّراري
لما زدناكَ فخرًا أو مديحا
لأنك أشجعُ الأبطال طُرّاً
وأعظمُ قادة الدنيا فتوحا
إذا مرّ ذكرُك بين قومٍ
رأيتَ أشدّهم عِيّاً فَصيحا
فكم داويت سوريّاً مريضًا
وكم أسقمتَ تركيّاً صحيحا
وكم قد صُنْت في بيروتَ عِرْضًا
وكم أمّنتَ في الشهباءِ روحا
غضبتَ على «الهلال» فخرّ ذعرًا
ولُحتَ له فحاذَرَ أن يلوحا
عصفتَ بهم فأمسى كلُّ حِصْنٍ
لخيلِ النَّصرِ ميدانًا فسيحا
مشتْ بك همّةٌ فوق الثُّريّا

---

(١) أحسبه يشير إلى ضريح السيد المسيح الذي نهض منه، في العقيدة المسيحية.
(٢) المدينة المعروفة في فلسطين. دخلها يشوع بن نون فاتحاً، بعد الخروج من مصر، وجرت فيها مقتلة عظيمة من سكانها الكنعانيين.

فــزلــزلتِ المــعــاقلَ والــصُّــروحــا
من الــوادي إلى صــحــراء ســيــنــا
إلى أن زُرتَ ذيّــاك الــضَّــريــحــا[1]
إلى بــحــر الجَــلــيلِ إلى دمــشقٍ
تُــطــارد دونَك الــتــركي الــقــبــيــحــا
فــكــان الجــنــدُ كــلُّــهمُ يَــشــوعًــا
وكــانت كلُّ ســوريّــا «أريــحــا»[2]
فــإنْ يــكنِ المــسيحُ فِــدى الــبَــرايــا
فــإنّك أنت أنــقــذتَ الــمَــسيــحــا!

✱✱✱✱

(١) ألقاها في الحفلة الشائقة التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية في مونتريال كندا لسيادة الأرشمندريت أفثيموس عفيش، عندما انتخب لأسقفية بروكلن، وكان مع الوفد النيويوركي.

٧١ - في القطار[١]

[الوافر]

سَـرَى يـطـوي بـنـا الأمـيـالَ طـيّـاً
كـمـا تَـطـوي الـسِّـجلَّ أو الإزارا
فـلـم نـدر وجـنـحُ الـلـيل داجٍ
أ بَـرْقًـا مـا ركـبـنـا أم قـطـارا
بـنـا وبه حـنـينٌ واشـتـيـاقٌ
ولـولا ذانِ مـا سِـرنـا وسـارا
ولـكـنّـا وسـعْـنـا الـشَّـوق ذَرْعًـا
وضـاق به فَـصـعَّـدَهُ بُـخـارا
وسـمّـيـنـا الـذي يُـخـفـيه وجْـدًا
وسـمّـيـنـا الـذي يُـخـفـيه نـارا
غـفـا صـحـبي وبـعـضـهمُ تَـغـافى
ولـم أَذُقِ الـكـرى إلا غِـرارا
جـلـسـتُ أراقبُ الجـوزاءَ وحْـدي
كـمـا قـد يـرقُب الـسَّـاري الـمَـنـارا
يـسـيـر بـنـا الـقـطـارُ ونـحن نـرجـو
لـو اخـتـصـر الـطـريقَ بـنـا اخـتـصـارا
وأُقـسـمُ لـو أحـدّثُه بمـا بي
لحـلّق في الـفـضـاء بـنـا وطـارا
إلى الـبـلـد الأمـينِ، إلى كـرامٍ

---

(١) السبسب: الأرض القفر البعيدة. والوخْد: سعة الخطو في المشي، والإسراع فيه.
(٢) العُقار:الخمرة.

يُـــراعـــون المـــودّة والجِـــوارا
إلى الـــمُـــزدادِ وُدُّهُمُ لـــديـــنـــا
إذا زِدنـــا صـــفـــاتِـــهمُ اخـــتـــبـــارا
إذا ســـتـــرتْ مـــحـــبـــتَـــهـــا قـــلـــوبٌ
فُـــحـــبّي لا أُطـــيقُ له اســـتـــتـــارا
فـــيـــا إخـــوانَـــنـــا في كلّ أمْـــرٍ
أصِـيـخـوا كي أخـاطـبَـكم جِـهـارا
طـويـنـاهـا سَـبـاسبَ شـاسـعـاتٍ
تـسـيـر الـواخـداتُ بـهـا حَـيـارى[1]
ولـــولا أن تـــســـيَـــرَ بـــنـــا إلـــيـــكم
ركـائـبُـنـا مَـشـيـنـاهـا اخـتـيـارا
لـنـنـقُلَ من «نُـيـورْك» لـكمْ تحـايـا
تحـاكي في لـطـافـتـهـا الـعُـقـارا[2]
ونـــنـــقلَ عـــنـــكمُ أخـــبـــار صـــدقٍ
تحـاكي الـنَّـدَّ في الـروض انـتـشـارا
ســمــعــنــا بــالــهَــزارِ ونــحن قــومٌ
كـمـا نـهـوى الـغِـنـا نـهـوى الـهَـزارا
لـــديـــكُم كـــوكبٌ وبـــنـــا ظلامٌ
وأنـــتم تـــكـــرهـــون لـــنـــا الـــعِـــثَـــارا
جـــعـــلـــنـــا رســـمَه في كلّ نـــادٍ
وصـــيّـــرنـــا الـــقـــلـــوبَ له إطـــارا
أجل، هـــذا الـــذي نـــبـــغـــيه مـــنـــكم
ونـرجـو لا الـلُّـجـينَ ولا الـنُّـضـارا

(١) النَجر والنجار: الأصل والحسب.

أتـــيـــنـــاكمْ عـــلى ظَـــمـــأٍ لأنّـــا
عـرفـنـا فـيـكمُ الـسُّـحُب الـغِـزارا
وأنـتم مـعـشـرٌ طـابـوا نـفـوسًـا
وأخلاقًـا كـمـا كَـرُمـوا نِـجـارا[1]
بـقـيـتم في سلامٍ واغـتـبـاطٍ
تـضيء وجـوهُـكم هـذي الـدّيـارا

✱✱✱✱

(١) ألقاها في حفلة أقيمت لتكريمه، بعد سيامته، في نزل سان جورج في بروكلن (نيويورك).
(٢) الكِباء: عود البخور، أو ضرب من البخور (الجمع: كُباً).
(٣) الأرَج: توهج ريح الطيب (أرِج – يأرَج).

٧٢ - السيد المجتبى[١]

[المتقارب]

سلامٌ عـلى الـسـيِّـد الـمُـجْـتَـبى
كـقَـطْـر الـغَـمـام ونـشـرِ الـكِـبَـا[٢]
ويـا مَـرْحـبًـا بـأمـيـرِ الـسلامِ
وقَـلّ له قـولُـنـا: مـرحَـبـا
قُـدومُكَ بـدّد عـنـا الأسى
كـمـا يـكـشِفُ الـقـمـرُ الـغَـيْـهَـبـا
وأحـيـا الـمُـنى في فـؤاد الـفـتى
وردّ إلى الـشـيخ عـهـدَ الـصِّـبـا
كـأني «بـأيـارَ» خـيـرِ الـشـهـورِ
أتـاهُ الـبـشـيـرُ بـذاك الـنَّـبـا
فـوشّى الـريـاضَ، وحـلّى الحُـقـولَ،
وزان الـوهـادَ، وزانَ الـرُّبـا
وقـال لأغـصـانه: صَـفِّـقي
ولـلـطـيـرِ في الأرضِ أن تَـخـطُـبـا
ولـلـنّـسَـمـاتِ تَـجـوبُ الـبلادَ
وتـمـلـؤهـا أَرَجًـا طـيّـبـا[٣]
ورنّتْ بـأذني أغـاريـدُهـا
فـقـلتُ لـكـفّيَ: أن تـكـتُـبـا
فـهـذا الـقـريضُ حـفـيفُ الـغـصـونِ

---

(١) حبا واحتبى: جلس على إليتيه وضمّ فخذيه وساقيه إلى بطنه، بذراعيه، ليستند. الاسم الحبوة، والجمع: حَبىً.
(٢) الصيّب: السحاب ذو المطر.
(٣) السبسب: المفازة الواسعة لا شيء فيها.

وشــدْوُ الــطــيــورِ، ونــفحُ الــصَّــبــا
طــلــعتَ فــطــال خُــفــوق الــفــؤادِ
كــــأنَّ به هِــــزَّةَ الــــكَــــهْــــربــــا
ولــــيسَ به هِــــزّة الــــكَــــهْــــربــــاءِ
ولــكنْ رأى الــتــائهُ الــكَــوْكَــبــا
وألــقَتْ إلــيكَ مــقــالــيــدَهــا
نــفــوسٌ تَــخــيّــرتِ الأَنْــسَــبــا
فــيــا صــاحبَ الــشِّــيَمِ الــبــاهــراتِ
ويــا من تُــحَلّ لــديه الحُــبــا[1]
تــقــوَّلَ عــنكَ صــغــارُ الــنــفــوس
لأمــرٍ فــمــا أدركــوا مــأْرَبــا
ومن يَــسْــلُب الــشــمس أنــوارَهــا
ومن ذا الــذي يُــمــسكُ الــصَّــيّــبــا؟[2]
فــأحــسِنْ إلــيــهم وإن أخــطــؤوا
وكنْ كالحَيا يُمطر السَّبْسَبا[3]
إذا لم تُــســامحْ وأنت الــكــريمُ
فــمن ذا الــذي يَــرحم الــمُــذْنِــبــا؟

☆☆☆☆☆

لــقــد طــرِب الــتــاجُ والــصَّــولجــانُ
وحُــقَّ لــهــذين أن يَــطــربــا
فــإنْ هــنــؤوكَ بمــا نِــلْــتَه
فــإنّي أهــنّي بك الــمَــنْــصِــبــا

✱✱✱✱

(١) الفتاة إذا كعَب ثديها.
(٢) حَمَس الوغى: اشتدّ القتال.

٧٣ - مرآة الغرب
في سنتها التاسعةَ عشْرةَ

[الطويل]

سلامٌ عليها طفلةً وفتيّةً
كزهر الرُّبا البسَّامِ باكَرهُ القَطْرُ
كَعابٌ تَلاقى الحُسنُ والفضلُ عندها
كما يلتقي في الصفحة السَّطرُ والسَّطر[١]
لها صولةُ الأبطال إن حَمِسَ الوغى
وفيها حياءُ البِكْرِ عمّا به وِزر[٢]
وفيها من الشيخ الحكيم وقارُه
وفيها من الخَوْدِ المَلاحةُ والطُّهر
ألا إن حُسْنًا لا يرافقُه النُّهَى
وإن دام يومًا، لا يدوم له قَدْر

⁂

هي الروضُ فيه النّبتُ والندُّ والنَّدى
وفيه الشَّوادي المطرباتُ والزّهر
هي الشمسُ تبدو كلَّ يومٍ جديدةً
يروح بها ليلٌ ويأتي بها فجرُ
لكلِّ فتاةٍ خِدْرُها وسِوارُها
ولكنّ هذي كلُّ قلبٍ لها خِدْر

---

(١) خلُق الثوب – يخلُق: بليَ. وأخلقه: أبلاه.

يَـزيـد سـنـاهـا الـطّيُّ والـنَّـشْـرُ رونـقًـا
ويُـخلِقُ، حتى الـمُـصْـحَفَ، الطيُّ والنشرُ[1]
أنـيسُ الـفـتى إن غـابَ عـنه أنـيـسُه
وأنجـمُه إن غـابتِ الأنجمُ الـزُّهـر
وسِـفـرٌ تـلـذّ المـرءَ مـحـتـويـاتُه
إذا لم يـكن في الـبـيت نـاسٌ ولا سَـفْـر
إذا رضِـيتْ فـالـنّـورُ في كـلـمـاتِـهـا
وإن غـضـبتْ فـهيَ الأسـنّـة والجَـمـر
وفي كلّ حـربٍ يـعـقِـدُ الحقُّ فـوقـهـا
أكـالـيلَ نـصـرٍ يَـشـتـهي مـثـلَـهـا الـبدرُ
ولا غـروَ إن عـزَّتْ وهـانَ خـصـومُـهـا
فـلـلـحقّ، مـهـمـا جَـعـجعَ الـباطلُ، الـنـصر
فـكم مُـرجِفٍ أغـراه فـيـهـا سـكـوتُـهـا
فـلـمّـا أهـابتْ كـاد يـقـتُـلُه الـذُّعـر
وكم كـاشـحٍ غـاوٍ أراد بـهـا الأذى
ثـنى طـرفَه عـنـهـا وفي نـفـسه الـضُّـرّ
لـهـا في ربـوعِ الـشـرق جـيشٌ عـرمـرمٌ
وأعـوانُـهـا في الـغـرب لـيس لـهم حـصـر
ولـو كـان في المـرّيخ أرضٌ وأمّـةٌ
لـكـان لـهـا في أرضه عـسـكـرٌ مَـجْـر[2]
لـتـسـحبْ ذيـولَ الـفـخـر تـيـهًـا فـوحـدَهـا
يـحِقّ لـهـا من بـين أتـرابِـهـا الـفـخـرُ

(١) الفَيش: الفخر (فاشَ فيْشاً). والهُجر: الهذيان، والقول السيّئ.

ولا غَـرْوَ إنْ أهـدى لـهـا الـشِـعـرُ وحـيَه
فـيـا طـالمـا سـارتْ وسـار بـهـا الـشِّـعـر
ولا غـرو إن صُـغْـنـا لـهـا الـنـثـرَ حِـلْـيـةً
«فـفـي عُـنُقِ الحسـنـاء يُـسـتـحـسن الـدُّرّ»
وإن يـكـن الأحـرارُ من نُـصَـرائـهـا
فـكم نـصـرَ الأحـرارَ صـاحـبُـهـا الحـرّ
أديبٌ عـفـيف قـلـبُه ويـراعُه
بـغـيضٌ إلـيه الـطـيشُ والـفَـيْشُ والـهُـجْـر[1]
ثـمـانٍ وعـشـرٌ وهـو يـخـدُم قـومَه
ألا حـبّـذا تـلك الـثـمـانيُّ والـعَـشْـر
ففي الـعُـسْـر لم يـجـهَـر بـشـكـوىً لـسـانُه
وفي الـيُـسـر لم يـلـعب بـأعـطـافِه الـكِـبْـر
وشـرُّ المـزايـا أن يـصـيـبَك حـادثٌ
وتجـهَـرَ بـالـشـكـوى وفي وسْـعك الـصّـبـر
أهـذا كـمن يُـمـسي ويُـضـحي مـعـربِـدًا
وقـدّامَه طـبـلٌ ومن خـلـفه زَمْـر؟
أهـذا كـمـغـتـابٍ يـروح ويـغـتـدي
وفي نُـطْـقه شـرٌّ وفي صـمْـته شـرُّ؟
أهـذا كـمـفـطـورٍ عـلى الـشـرِّ والأذى
أحـاديـثُه نُـكـرٌ وأعـمـالُه سُـكْـرُ
أهـذا كـأفـعى هـمّـهـا نـفْث سـمِّـهـا
ونـهشُ الـذي تـلـقى ولـو أنه صـخـر
أهـذا كـمن يمـشي إلى الـوِزْر عـامـدًا

ويـضـحكُ مـخـتـالاً إذا مـسّه الـوزِر؟
أهـذا الـذي قـد حـاذر المـكـرَ جُـهـدَهُ
كَـمَن شـابَ فُـوداهُ وديـدنُه الـمَـكْـر؟
إذا الـدَّهـرُ لم يـعـرفْ لـكلٍّ مـكـانَه
إذن قُلْ لأهلِ الـدّهـر قـد فـسَـدَ الـدّهـر

✱✱✱✱

٧٤ - مَزْح في جِدّ

(معربة)

[المتقارب]

رأيتُ غلامًا مليحَ الرُّواءْ
تلوح النّباهةُ في مقلتهْ
فقلت: تجنّى علينا الشتاءْ
وقد نفِدَ الفحمُ معْ كثرته
فهل من دواءٍ لهذا البلاءْ
لديك؟ أجاب: اقفلوا المدرسهْ!
فقلتُ: صغيرٌ يحبّ الفضاءْ
ويكرهُ ما ليس من فطرتِه!

⁂

وأبصرتُ لصّاً على الزاويهْ
كثيرَ التّلفّتِ نحو القصورْ
فقلت: منازلنا خاليه
من الفحمِ، والفحمُ نارٌ ونورْ
فقال: ليالِيكمُ الدّاجيه
تزول، ولكن بهدْم السُّجونْ!
فقلت: شقيٌّ من الأشقياءْ
يجاهد من أجل حريّتهْ!

⁂

وعُدْتُ إلى رجلٍ مُوسرٍ
له شهرةٌ وله منزلَهْ

فـــقـــلت: سَـــريٌّ كلامُ الـــسَّـــريْ
إذا وقعَ الـــنـــاس في مـــشـــكـــلـه
فـــمـــا هـــو رأيك؟ قـــال: اقـــصِـــرِ
مع الـــبـــرد لا تَـــنـــفع الـــولـــوله!
فـــأدركت أن فـــتى الأغـــنـــيـــاءْ
ضـــنـــينٌ يـــخـــاف عـــلى ثـــروته!

وأبـصـرتُ شـخـصًـا كـثـيـر الحـذرْ
فـــــرُحت أبثّ لـه لـــــوعـــــتي
فـــحـــمـــلقَ حـــتّى رأيتُ الـــشَّـــررْ
يـــطـــيـــر سِـــراعًـــا إلى مُـــهـــجـــتي
وصـــاح: هي الحـــرب أصلُ الخـــطـــر
فـــرُدّوا الحـــســـام إلى غِـــمـــدِه!
فـــقـــلت: عـــدوٌّ قـــلـــيل الحـــيـــاء
يـــحـــاذرُ شـــرّاً عـــلى دولـــته!

(هـــيـــوزُ) وقـــد كـــان قـــبلاً «مُـــرَشَّحْ»
شـــكـــوتُ إلـــيه انـــقلابَ الأمـــورْ
ولّـــمـــا طـــلـــبتُ الجـــوابَ تـــنـــحـــنحْ
وقـــال: الحِلاقـــةُ أصلُ الـــشُّـــرور!
فـــقـــلت: المـــرشّح لا شكّ يمـــزحْ
ومـــا زلتُ في حـــيـــرةٍ واضـــطـــرابْ
كـــطـــيّـــارةٍ في مَـــهبّ الـــهـــواءْ
إلى أن نـــظـــرتُ إلى لحـــيـــتهْ!

(*) لم نعثر على هذا النشيد.

✷✷✷✷

٧٥ - نشيد التباراري[*]

(معرّبة)(٢١ بيتًا)

✷✷✷✷

٧٦ - ذكرى

[الكامل]

ولـــقـــد ذكـــرتُكِ بـــعـــد يـــأسٍ قـــاتلٍ
في ضَـــحْـــوةٍ كـــثُـــرتْ بـــهـــا الأنْـــواءُ
فـــــودِدْتُ أنّـي غَـــــرْسَـــــةٌ أو زهـــــرةٌ
وودِدتُ أنكِ عـــــــاصـفٌ أو مـــــــاءُ

✷✷✷✷

(١) إرنان: الصياح والتصويت (أرنّت القوس: صوّتت).

٧٧ - جرجي زيدان

[مختلط]

ثَــكِل الــشَّــرقُ فــتــاهُ
لــيــتــني كــنتُ فــداهُ
لــيــتــني كــنتُ أصــمّــاً
عــنــدمــا الــنّــاعي نَــعَــاه
قــد نــعى الــنّــاعــون «زَيــدا
نًــا» إلى الــبــدر ســنــاه
وإلى الــتــاريخ والــعِــلْـ
ـمِ أبــــــاه وأخــــــاه!

سـرَى نـعـيُه فـالـدَّمعُ في كلّ مَـحْـجِـرٍ
كـأنّ قـلـوبَ الـنـاسِ خـلْفَ الـمَـحـاجـرِ
ولـلـطـيـر في الجـنّـات إرنـانُ ثـاكلٍ
ولـلـمـاء أنّـاتُ الـغـريب المـسـافـر[1]
ولـلـنـجم، وهـو الـنـجمُ، مِـشْـيـة ظـالـعٍ
وللأرض، وهـي الأرضُ، وِقْـفَـةُ حـائـر
ومـا كـامنٌ فـيه الأسى غـيـرُ كـامنٍ
ولا ظـاهـرٌ فـيه الأسى غـيـرُ ظـاهـر
فـمن لم يـرَ الـبـاكـين في كلّ مـنـزلٍ
فـمـا أبـصـرتْ عـيـنـاه شَقَّ الـمَـرائـر
وهـى «الـبـرقُ» ممـا حـمّـلـوه فـلم يُـطِق

يـحـدّثُـنـا عـنه بـغـيـر الأشـائـر
فـيـا خـبَـرًا ألـقى الـفـجـيـعـةَ بـيـنـنـا
لأنت عـلـيـنـا الـيـومَ أشـأمُ طـائـر
ويـا نـاقلَ الأنـبـاءِ يـجـهلُ كُـنـهَـهـا
كـرهـنـاك حـتى قـادمًـا بـالـبَـشـائـر
أقـام الأسى بـين الـعـزاءِ ومُـهـجَـتي
وبـاعـدَ مـا بـين الـقَـريض وخـاطـري
فـأمـسـيتُ لا أدري أسِـتْـرٌ من الـدُّجى
على الشمس أم ضـيّعتُ أسْود نـاظري؟
وبـات فـؤادي يـتّـقي نـزَواتِه
كـمـا يـتّـقي الـعـصـفـورُ بـأسَ الـكـواسـر
كـأنّ بـقـلـبي شـاعـرًا يـنـظمُ الأسى
كـأنّي تـولّى مَـدمـعي كلُّ نـاثـر
ألا لـيت شـعـري بـعـد مـا طـار نـعـيُه
أفي أرض مـصـرٍ نـائمٌ غـيـرُ سـاهـر
وهل في سـمـاء الـنـيلِ غـيـرُ ديـاجـرٍ
وهل في مـيـاه الـنـيل غـيـرُ مَـجـامـر
وهل في ضِـفـاف الـنـيل بـين نـخـيـلِه
مـغـرّدَة أو آنسٌ غـيـرُ نـافـر
بمَ سَـمِـرَ الإخـوانُ في كلّ لـيـلـةٍ
وصـاحـبُـهم في الـلـحـدِ غـيـرُ مُـسـامـر؟
لـيـبكِ عـلـيه المـسـلـمـون فـإنّـهم
أضـاعـوا به مُـحـيـي الـعـصـورِ الـدواثـر
وتـبكِ الـنَّـصـارى فـخـرَهـا وعـمـيـدَهـا

(١) المَعْثر: موضع الزلة والعثرة.

فـمـا بـعـدَه من حُـجَّـةٍ لـمُـفـاخـر
فـمـا جَـادتِ الـدنـيـا عـلـيـهم بمـثـلِه
وغـيـرُ يَـسـيـرٍ أن تجـودَ بـآخَـر
أيـا جـبلَ الـعـلـمِ الـذي مـاد هـاويًـا
عـزيـزٌ عـلـيـنـا أن تُـرى في الحَـفـائـر
عـلـيك يـودّ الـغـربُ لـو كـان مَـشـرِقًـا
وفـيك يُـحبّ الحيُّ أهلَ الـمَـقـابـر
ويـغـبِطُ تـبـرُ الأرض فـيك تـرابَـهـا
ويَـحـسُـدُ مـاءُ الجَـفنِ مـاءَ الـمَـحـابـر
ومـا عـادةٌ خـفضُ الـرجـالِ رؤوسَـهـا
ولـكـنّـمـا في الأرض كـنـزُ الجـواهـر
لِـتفخرْ على الشُّهبِ الجنادلُ والحصى
ففـيـهـا هـلالُ الـعلم شـمسُ الـمَـحـاضـر
شـأوتَ الأوالي جـامـعًـا ومـؤلِّـفًـا
وزدتَ بـأنْ أحـرزتَ فـضـل الأواخـر
تَـخـيَّـرُ أحـداثُ الـلـيـالي كـبـارَنـا
كـأنّ المـنـايـا صَـبَّـةٌ بـالأكـابـر
ونـضـحكُ لـلآمـال ضـحـكـةَ وامقٍ
فـيضـحكُ منّـا الدهـرُ ضِـحْـكةَ سـاخـر
رضِـيـنـا بـأن تـغـشـى الـغـزاةُ بلادنـا
ونِـمْـنـا ومـا نـامتْ عـيـونُ الـمَـعـاثـر[1]
لـهـا كلَّ يـوم بـيـنـنـا حـكمُ جـائـرٍ
وإقـدامُ مـوتـورٍ وفَـتـكـةُ ثـائـر
عـلـى أنـهـا تـقـتصّ من غـيـرِ مُـذنبٍ

(١) السيوف: وأمضاها: أشدّها وأحسنها مضاءً.

وتــأخــذُ بــالأوتــار من غــيــرِ واتــر
فـيـا ويحَ هـذا الـشَّـرقِ كـيف اغـتـبـاطُه
وأمـضَى مَـواضـيه[1] كـلـيلُ الأظـافـر؟

جــللٌ في مــصــرَ لــكنْ
في الــعــراقَــينِ صــداهُ
مــادَ لــبــنــانُ ومــاد
الــشــام لّــمــا ســمــعــاهُ
كــاد أن يــخــذُلَ فــيه
كلُّ طَــودٍ مَــنــكَــبــاه
أيــهــا الــراحلُ عــنّــا
بــلــغ الحــزنُ مَــداه
قــد بــكــاك الأفقُ حــتّى
فــرقــداه وســهــاه
يــا خــلــيــليّ أعَــيْــنــا
مَن عــصــاه مُــسْــعِــداه
خــانت الــنــفسَ قُــواهــا
خــانت الــبــينَ قُــواه
قــد مــضى مَن تــتــمــنّى
كلُّ عــــينٍ أن تــــراه
فــتــمــنّى كلُّ قــبــرٍ
حــين أودى لــو حَــواه
مــات «زيــدانُ» أبــو الــتّــا
ريخِ فــلــيــحيَ فــتــاه!

---

(١) يبدو أنه يخاطب راعي الكنيسة.
(٢) النقَد: صغار الغنم، الواحدة: نقَدَة، والجمع: نِقاد ونِقادة.

✱✱✱✱

٧٨ - أيها الراعي[١]

[الوافر]

شـــهـــورُ الـــعـــام أجـــمـــلُـــهـــا «ربـــيعٌ»
وأبـــغـــضُـــهـــا إلى الـــدنـــيـــا «جُـــمـــادى»
وخـــيـــرُ المـــالِ مـــا أمـــسى زكـــاةً
وخـــيـــرُ الـــنـــاس من نَـــفَعَ الـــعِـــبـــادا
بـــــربّكَ قلْ لـــــنـــــا وخلاكَ ذمٌّ
أعـــيـــسى كـــان يـــدّخـــرُ الـــعَـــتـــادا؟
تـــنـــبّهْ أيـــهـــا الـــراعي تـــنـــبَّهْ
فَـــمَنْ حَـــفِظَ الـــورى حَـــفظَ الـــعِـــبـــادا
خِـــرافُكَ بـــين أشْـــداقِ الـــضَّـــواري
ومـــثـــلُك مَن حَـــمى ووقَى الـــنِّـــقـــادا[٢]
تـــبـــدّل أمـــنُـــهُمْ رعـــبًـــا وخـــوفًـــا
وصـــارتْ نـــارُ أكـــثـــرِهِمْ رمَـــادا
لـــقـــد أكل الجَـــرادُ الأرضَ حـــتّى
تـــمـــنَّـــوا أنـــهم صـــاروا جَـــرادا

---

(١) الزعفران.

(٢) القتاد: الشوك، وشجر له شوك.

فـــمـــا لَك لا تجـــودُ لـــهم بـــشيءٍ
وقـــد رقّ الـــعـــدوُّ لـــهم وجـــادا؟
ومـــا لَك لا تُـــجِـــيبُ لـــهم نـــداءً
كـــأنّ سِـــواكَ، لا أنت، الـــمُـــنـــادى؟

☆☆☆☆☆

ورُبَّـــةَ ســـاهـــرٍ في «بـــعـــلـــبكٍ»
يـشـاطـرُ جَـفـنُه الـنـجمَ الـسُّـهـادا
يَـزيـدُ الـلـيلُ كُـربـتَهُ اشْـتـدادًا
وفَـــرْطُ الـــهمِّ لـــيـــلـــتَهُ ســـوادا
إذا مـــالَ الـــنـــعـــاسُ بـــأخْـــدَعـــيه
ثَـــنى الـــذّعـــرُ الـــكَـــرى عـــنه وذَادا
به الـــــدّاءان من سَـــــغَبٍ وخـــــوفٍ
فـــمـــا ذاقَ الـــطـــعـــامَ ولا الـــرُّقـــادا
تـــطـــوفُ به أُصَـــيـــبِـــيَـــةٌ صـــغـــارٌ
كـــأنّ وجـــوهَـــهُمْ طُـــلـــيتْ جِـــســـادا[1]
جـــيـــاعٌ كـــلّـــمـــا صـــاحـــوا ونـــاحـــوا
تـــــوهّـــمَ أنّ بـــــعضَ الأرضِ مَـــــادا
إذا مـــا اسْـــتـــصـــرَخُـــوه وضـــاقَ ذَرْعًـــا
نَـــبـــا عـــنـــهمْ ومـــا جَـــهِل الـــمُـــرادا
ولـــكنْ لم يـــدعْ بـــؤسُ الـــلـــيـــالي
طـــريـــفًـــا في يـــديه ولا تِلادا
ولـــو تـــرك الـــزمـــانُ له فـــؤادًا
لمـــا تـــركَتْ له الـــبـــلـــوى فُـــؤادا

☆☆☆☆☆

أتـــفـــتـــرشُ الحـــريـــرَ وتـــرتـــديه

ويـفـتَـرِشُ الجـنـادلَ والـقَـتَـادا[٢]
ويَـطـلـبُ من نـبـاتِ الأرض قُـوتًـا
وتـأبَى غـيـرَ لحمِ الـطِّـيـرِ زادا
وتـهـجعَ هـانـئًـا جَـذْلاً قـريـرًا
وقـد هـجـرَ الـكَـرَى وجَـفـا الـوِسـادا
عـجـيبٌ أن تـكـونَ كـذا ضـنـيـنًـا
ولم تُـبْـصـرْ بـنـا إلا جَـوادا
أمـا تـخـشى مـقـالـةَ ذي لـسـانٍ:
أمـاتَ الـنـاسَ كي يُـحـيي الجـمـادا؟

لِـداتُكَ هـمّـهمْ نـفـعُ الـبَـرايـا
وهـمُّكَ أن تـكـيـدَ وأن تُـكـادا
نـزلتَ بـنـا فـأنـزلـنـاكَ سـهلاً
وزدنـاك الـنُّـضـارَ الـمُـسـتَـفـادا
فـكـان جـزاؤنـا أن قُـمتَ فـيـنـا
تُـعَـلِّـمُـنـا الـقـطـيـعـةَ والـبِـعـادا
فـلـمّـا ثـارَ ثـائـرُ كلِّ حُـرٍّ
رَجـعتَ الـيـومَ تـمـتـدحُ الحِـيـادا
أتـدفعُ بـالـغَـويِّ إلى الـتّـمـادي
وتـعـجَبُ بـعـد ذلك إن تَـمـادى؟
سـكتّ فـقـام في الأذهـان شكٌ
وقـلتَ فـأصـبحَ الـشَّكُ اعـتـقـادا
تجـهّـمتَ الـقـريضَ فـفـاضَ عـتْـبًـا
وإنْ أحـرجـتَهُ فـاضَ انـتـقـادا
ولـولا أن أثَـرْتَ الخُـلْفَ فـيـنـا

ودِدْنـــا لـــو مَـــحَـــضـــنـــاكَ الـــودَادا

****

٧٩ - ابنة الفجر

[الخفيف]

أنـــا إنْ أغْـــمضَ الحِـــمَـــامُ جـــفـــوني
ودوَى صـــوتُ مَـــصـــرعي في المـــديـــنهْ
وتـــــمـــــشّى في الأرض دارًا فـــــدارًا
فـــســـمـــعتِ دويّهُ ورنـــيـــنَهْ
لا تـــصـــيـــحي «وا حَـــسْـــرتـــاهُ» لـــئلا
يـدركَ الـسَّـامـعـون مـا تُـضْـمِـريـنَهْ
وإذا زرتِـــني وأبـــصَـــرْتِ وجـــهي
قـــد مـــحَـــا المـــوتُ شـــكّهُ ويـــقِـــيـــنه
ورأيتِ الـــصِّـــحـــابَ جـــاثِـــينَ حَـــوْلِي
يَـــنـــدبـــونَ الـــفـــتى الـــذي تَـــعـــرِفـــيـــنه
يـــتـــعـــالى الـــعـــويلُ حـــولَكِ ممّن
مـــارسُـــوه وأصـــبـــحـــوا يُـــحـــسِـــنـــونه
لا تَـــشـــقِّي عـــليّ ثـــوبَكِ حُـــزنًـــا
لا ولا تـــذرِفي الـــدمـــوعَ الـــسَّـــخـــيـــنه

(١) الحمأ والحمأة: الطين الأسود. والمسنون: المتغير المُنتن.

غـالـبي الـيـأسَ واجـلـسي عـنـد نـعـشي
بـــســـكـــونٍ، إني أحبُّ الـــسَّـــكِـــيـــنه
إنَّ لـــلـــصـــمتِ في المـــآتم مـــعـــنى
تـــتـــعـــزَّى به الـــنـــفـــوسُ الحـــزيـــنه
ولَـــقـــولُ الـــعُـــذّالِ عـــنكِ: «بـــخـــيلٌ»
هـو خـيـرٌ من قـولـهم: «مـسـكـيـنه»
وإذا خِـــفتِ أن يـــثـــورَ بك الـــوجـ
ـــدُ فـتـبـدو أسـرارُنـا المـكـنـونه
فـــارجِـــعي واســـكُـــبي دمـــوعَكِ ســـرّاً
وامـسـحي بـالـيـدين مـا تـسـكُـبـيـنه

يـــا ابـــنـــةَ الـــفـــجـــرِ! مَن أحـــبَّكِ مَـــيْتٌ
ولأنتِ بمـــــثل هـــــذا رهـــــيـــــنه
زايل الـــنـــورُ مـــقـــلـــتـــيه وغـــابتْ
تحت أجـــفـــانِه المـــعـــاني المـــبـــيـــنه
فـأصـيـخِي! هل تـسـمـعـينَ خُـفـوقًـا
كـنتِ قـبلاً في صـدره تَـسـمـعـيـنه؟
وانـــظـــري ثم فـــكّـــري كـــيف أَمـــسى
لـــيس يـــدري عـــدوَّه وخَـــدِيـــنَه!
ســاكـتًـا لا يـقـول شـيـئًـا ولا يـسْـ
ـــمَعُ شـيـئًـا ولـيس يـبـصـر دونه
لا يـــبـــالي أأودعـــوه الـــثُّـــريـــا
أم رمَـــوه في حَـــمْـــأةٍ مَـــسْـــنـــونه[1]
وإذا الحـــارســـان نـــامـــا عِـــيـــاءً

ورأيتِ أصـــحـــابَهُ يـــتـــركُـــونه
فـــتـــعـــالَي وقـــبّـــلي شـــفـــتـــيه
ويـــديه وشـــعـــرَهُ وجَـــبـــيـــنه
قـبلَ أن يُـســدَل الحـجـابُ عـلـيه
ويُـــوارَى عـــنكِ فلا تُـــبـــصِـــريـــنه
واحـــذري أن تـــراكِ عـــينُ رقـــيبٍ
ولـــئن كـــان جُلَّ مـــا تحـــذريـــنه
فـــإذا مـــا أمـــنْتِ لا تـــتـــركـــيه
قَـبـلَـمـا يـفـتحَ الـصَّـبـاحُ جـفـونَه

☆☆☆☆☆

وإذا الـسَّـاعـةُ الـرهـيـبـةُ حـانتْ
ورأيتِ حُـــرّاسَه يـــحـــمـــلـــونه
وسـمـعتِ الـنـاقـوسَ يُـقـرعُ حُـزنًـا
فـيـردُّ الـوادي عـلـيه أنـيـنه
زوّدي الـراحلَ الـذي مـات وجْـدًا
بـالـذي زوّد الـغَـريقُ الـسـفـيـنهْ
نـظـرةً تَـعـلـمُ الـسـمـاواتُ مـنـهـا
أنه مـات عن فـتـاةٍ أمـيـنه

☆☆☆☆☆

طـوتِ الأرضُ مَن طـوى الأرضَ حـيّـاً
وعـلاهُ مَـن كـان بـالأمس دونه
واخـتـفى في الـتـراب وجهٌ صـبـيحٌ
وفـؤادٌ حُـرٌّ ونـفسٌ مَـصُـونه

---

(١) الحَزْن: ما غلظ من الأرض (في الأرض حُزونة).
(٢) النفار: النفور.

وإذا مـــا وقـــفتِ عـــنـــد الـــسَّـــواقي
وذكـــــرتِ وقـــــوفَـهُ وســـــكـــــونه
حـيث أقـسـمتِ أن تـدومي عـلى الـعَـهْـ
ـــــدِ وآلى بـــــأنه لن يـــــخـــــونه
حـيث عـلّـمـتِه الـقـريضَ فـأمـسى
يـتـغـنّى كي تـسـمـعي تـلـحـيـنَه
فـــاذكـــريه مع الـــبـــروقِ الـــسّـــواري
وانـــدبـــيه مع الـــغُـــيـــوثِ الـــهَـــتُـــونه
وإذا مـــا مـــشـــيتِ في الـــروض يـــومًـــا
ووطـــئْتِ ســـــهـــــوله وحُـــــزونه[1]
وذكـــــرتِ مـــــواقفَ الـــــوجْـــــدِ فـــــيه
عـنـدمـا كـنتِ بـالـهـوى تُـغـريـنه
حـيثُ عـلّـمـتِه الـفُـتـونَ فـأضـحى
يـحـسَبُ الأرضَ كـلَّـهـا مـفـتـونه
حـــيث وسّـــدْتِه يمـــيـــنَك حـــتى
كـــاد يـــنـــسى شِـــمـــالَهُ ويمـــيـــنه
حـيث كـنتِ وكـان يَـسـقـيك طَـوراً
من هـــواه، وتـــارةً تَـــســـقـــيـــنه
حـتى حـاكَ الـربـيعُ لـلـروض ثـوبًـا
كـان أحـلى لـديهِ لـو تـرتـديـنه
فـــالـــثِـــمي كلَّ زهـــرةٍ فـــيه إني
كـــنت أهـــوى زهـــورَه وغُـــصـــونه
ثم قـولي لـلـطـيـر: مـات حـبـيـبي!
فـلـمـاذا يـا طـيـرُ لا تَـبـكـيـنه؟

(١) القطين: الساكن. والفعل: (قطنَ).

المحتـــوى

ديوان إيليا أبي ماضي (الجزء الثاني)

■ مقدمة: (جبران خليل جبران) ٢٤٧

١ - إهداء الديوان ٢٤٩

٢ - الشاعر ٢٥٠

٣ - فلسفة الحياة ٢٥٥

٤ - أم القرى ٢٥٩

٥ - أنا وأخت المهاة والقمر ٢٦٥

٦ - الشاعر والأمة ٢٧٠

٧ - وإني ٢٧٦

٨ - أمّا أنا ٢٧٧

٩ - وداع وشكوى ٢٧٩

١٠ - عصر الرشيد ٢٨٤

١١ - لم أجد أحدا ٢٩١

١٢ - السرّ في الأرواح ٢٩٦

١٣ - بنت سوريا ٢٩٧

١٤ - الفقير ٣٠٢

١٥ - بين الكاس والطاس ٣٠٧

١٦ – في السفينة ٣٠٩
١٧ – يا صاح ٣١١
١٨ – بلاء أم نعمة ٣١٤
١٩ – الخلود ٣١٦
٢٠ – عيناكِ ٣١٩
٢١ – ١٩٣١ ٣٢١
٢٢ – بلادي ٣٢٧
٢٣ – البلبل السجين ٣٣٢
٢٤ – أنتِ ٣٣٨
٢٥ – معركة بورغاس ٣٤٣
٢٦ – خير شيء ٣٥٠
٢٧ – حكاية حال ٣٥١
٢٨ – شكوى ٣٥٣
٢٩ – بائعة الورود ٣٥٥
٣٠ – ١٩١٤ ٣٦٣
٣١ – بنت الدوالي ٣٦٧
٣٢ – الطيران ٣٦٩
٣٣ – العاشق المخدوع ٣٧٢
٣٤ – أهلها عرب ٣٨٠

٣٥ – صاحب القلم ٣٨٢
٣٦ – إلى الله راجعون ٣٨٦
٣٧ – نزوة ألم ٣٨٧
٣٨ – الكأسان ٣٩١
٣٩ – أقوى من الشيب والهرم ٣٩٤
٤٠ – لأرفعنّ للسما احتجاجي ٣٩٥
٤١ – أنتم معي ٣٩٨
٤٢ – الحرب العظمى ٣٩٩
٤٣ – دموع وتنهدات ٤٠٦
٤٤ – أخت البلجيك ٤١٢
٤٥ – بين الضحك والجد ٤١٦
٤٦ – أمة تفنى وأنتم تلعبون ٤١٧
٤٧ – في الليل(متى يذكر الوطن النوّم) ٤٢٥
٤٨ – سقوط أرضروم ٤٢٩
٤٩ – سبيل التوحيد ٤٣٦
٥٠ – ١٩١٦ ٤٣٧
٥١ – ما للكواكب ٤٤٢
٥٢ – الحاجة إلى الخرَس ٤٤٦
٥٣ – البغضاء ٤٤٧

٥٤ – حكاية قديمة ٤٥١

٥٥ – لمن الديار؟ ٤٥٥

٥٦ – يا بلادي ٤٦٣

٥٧ – الفردوس الضائع ٤٦٩

٥٨ – مسرح العشاق ٤٧٤

٥٩ – حكاية حال ٤٨٣

٦٠ – يا جارتي ٤٨٧

٦١ – هملِت ٤٩١

٦٢ – العيون السود ٤٩٤

٦٣ – هاتها ٤٩٨

٦٤ – إلى صديق ٤٩٩

٦٥ – باخرة الإغاثة ٥٠٣

٦٦ – مصرع القمر ٥٠٥

٦٧ – في فراش المرض ٥١٠

٦٨ – رثاء(المطران رفائيل هواويني) ٥١٤

٦٩ – فتح أورشليم ٥١٧

٧٠ – إلى الفاتح ٥٢٠

٧١ – في القطار ٥٢٢

٧٢ – السيد المجتبى ٥٢٥

٧٣ – مرآة الغرب (في سنتها التاسعة عشرة) ٥٢٧

٧٤ – مزح في جد (معرّبة) ٥٣١

٧٥ – نشيد التباراري ٥٣٣

٧٦ – ذكرى ٥٣٣

٧٧ – جرجي زيدان ٥٣٤

٧٨ – أيها الراعي ٥٣٨

٧٩ – ابنة الفجر ٥٤١

■ المحتوى ٥٤٦

✷✷✷✷

الديوان الثالث

(الجـداول)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «مرآة الغرب اليومية» ـ نيويورك ١٩٢٧)

يضم، في هذه الطبعة التي أصدرها الشاعر نفسه، ستة وثلاثين نصّاً شعريّاً، وقع، في آخرها، نصّه الطويل المعروف «الطلاسم». وتولى التقديم للديوان: ميخائيل نعيمة، أمين سرّ «الرابطة القلمية».

وما زِيد على «الجداول»، في الطبعات التي ظهرت من بعد، في الشرق، جمعناه كلَّه في شعره الذي لم تجمعه دواوينه الخمسة، في طبعاتها الأولى .

****

المقدمة

بقلم ميخائيل نعيمة

«خـلتُ أني فـي الـقـفـر أصـبـحت وحـدي
فـــإذا الـــنـــاسُ كـــلـــهـمْ فـي ثـــيـــابي»

لقد قرأت لأبي ماضي كثيراً من طيب الشعر وجميله، غير أني لست أذكر أني قرأت له أصدق من هذا البيت، وأدلّ منه على بعد غور شاعريته، ومدى خياله ورحابة آفاق فكره . أو لستَ تسمع، عند قراءته، قلوب الإنسانية بأسرها نابضة في قلبك، وتشهد أمواج أفكارها متلاطمة في بحر فكرك ؟

ألست تحس أنك وكل الذين ولدوا وماتوا، والذين سيولدون ويموتون، واحد؟

ألست تحس كأن مواكب الأجيال كلها تزدحم وتتألب في كيانك ؟

ألست ترى ضعف الضعيف في قوتك، وضعة الوضيع في رفعتك، وحماقة الأحمق في حكمتك، وقبح القبيح في جمالك، وفقر الفقير في مالك؟

أو لست تراك رفيقاً لكل وحيد في وحدته، ولكل غريب في غربته، وشريكاً لكل آثم في إثمه، ولكل عالم في علمه ؟

وأخيراً ألست تدرك أن لا مهرب لك من الناس؟ لعمري ليس يدرك مثل هذه الحقيقة فيقبض عليها ويبرزها إليك في حلة هي غاية في الجمال؛ لأنها غاية في البساطة، غير شاعر ملهم أو نبي مرسل.

إن في هذا البيت وحده مثالاً جلياً للحقائق التي يدركها الخيال بوثبة واحدة. ولا يدركها العلم بأجيال طويلة، فمن ذا يلوم الشرق إن استسلم لوحى أنبيائه، وتعلق بوحي شعرائه، أو أعرض عن منقب آثاره وعلمائه؟

ألا أعطني الشعر ووجدانه، وخذ العلم وبرهانه.

وقد كان يجمل بي وأنا أقدم إليك كتاباً من الشعر؛ أن أتجلبب بجلبات المعرفة البحاثة، فأحدثك عن الشعر وتاريخه وأصنافه وأهديك إلى مصادره ومسالكه؛ وأحلل لك معانيه ومراميه؛ وأفسر لك أسراره، وأنثر عليك جواهره، وأريك نفعه من ضرره.

نعم! لقد كان يجمل بي كل ذلك لو أني وجدت إليه سبيلاً . غير أني أعترف اليوم بما لم أعترف به من قبل. وهو أني لا أعرف عن الشعر ومصدره وكنهه أكثر مما أعرف عن حياتي ومصدرها وكنهها وقد كنت أحسبني أعرف الكثير، فإذا بما أعرفه وأنوء به نقيض المعرفة، وإذا بالذي أعرفه اليوم لا يذعن للساني فأنطق به، ولا ينقاد لقلمي فأسطره. والذي أحاوله الآن هو القول : إني آنس اليوم قرابة روحيه بيني وبين صاحب «الجداول» ما كنت أشعر بمثلها بيني وبين ناظم الجزء الأول والثاني من ديوان إيليا أبي ماضي، «ترى أتغير أبو ماضي إلى هذا الحد، في السنوات الثماني الأخيرة، أم تراني تغيرت ؟

فبين هذه «الجداول» ما تنساب معه روحي مترقرقة، مترنمة، مطمئنة جذلة بنور عينيها، وجمالٍ عن جانبيها، مرحة بحريّة لا أرصاد ولا قيود، ومدى لا آفاق له ولا حدود.

هكذا أقرأ قصيدة «الطين» فأسمع لها أصداء كثيرة في نفسي: ومثال «تعالي» و«ريح الشمال» و«في القفر» و«المساء» و«العميان» و«الزمان» وسواها. أقرؤها غير ناظر إلى قافية مقلقة أو كلمة شاردة، بل إلى جملة ما يتجلى لي فيها من الرسوم، وما تحدثه في نفسي من الرعشة، وتنبهه في وجداني من الشعور والخيالات، وقد أكتفي من القصيدة كلها ببيت واحد، إذا كان لذاك البيت وقع في روحي ولا يندر أن أجد لذة حتى في قصيدة لا تأتلف مع أهوائي ومنازعي كقصيدة «برّدي يا سحب» لأني وإن كنت أنكر على نفسي أن تقول:

«كل نجمٍ لا اهتداء به لا أبالي لاح أو غربا»

لا أنكره على أبي ماضي. بل أعجب لقوة بيانه لمعتقده ، إذا كان ذلك ما يعتقد.

لاشك عندي قط، في أن فريقاً من الذين (نذروا حياتهم للذب عن حياض اللغة العربية) - يصمون آذانهم عن خرير هذه «الجداول» الشجيّ ويفتحون أبصارهم علهم يجدون في حصبائها ما ينطبق على مقاييسهم، ويوزن بموازينهم، ولعلهم يظفرون ولو ببعض ما يطلبون . أما أنا فأبارك هذه الجداول المنسابة إلى بحر شعرنا الواسع. لأنها ستزيده اتساعاً، وهيبة، وصفاء.

١ ـ الفاتحة

[مجزوء الرمل]

يـا رفـيـقي.. أنـا لـولا أنت مـا وقَّـعْتُ لحـنـا
كـنتَ في سـرّيَ لـمّـا كـنتُ وحـدي أتـغـنى
أُلـبسُ الـروضَ حُلاهُ، إنه يـومـاً سـيُـجـنَى
هـذه أصـداءُ روحي فـلـتـكنْ روحُكَ أُذْنـا
إنْ تجدْ حُسناً فخذْهُ، واطَّرحْ ما ليس حُسْنا
إن بـعضَ الـقـولِ فنٌّ، فـاجـعلِ الإصـغـاءَ فـنـا
تـلك كـالحـقلِ يـردُّ الـكـيلُ لـلـزارعِ طُـنّـا
رُبَّ غـيمٍ صـار لـمّـا لمسـتْهُ الـريحُ مُـزْنـا
ربمـا كـنـتُ غـنـيّـاً غـيـرَ أني بك أغـنى
مـا لـصـوتٍ أُغـلـقتْ من دونه الأسـمـاعُ مـعنى
كلُّ نـورٍ غـيـرَ نـورٍ مـرَّ بـالأعـين وسْـنَى
وإذا رحت بـكَـرْمِي زدته خِـصْـبـاً وأمـنـا
قد سكبتُ الخمرَ كي تشربَ، فاشربْ مطمئنا
واسقِ مَن شـئتَ كـريمـاً، لا تـخفْ أن تَـتَـجـنَّى
كـلـمـا أفـرغتُ كـأسي زدتَ في كـأسي دَنّـا
فـهي بـالإنـفـاقِ تـبـقى، وهي بـالإمـسـاك تـفـنى

لـستَ مـني أنْ حَـسِبتَ الـشِّـعـر ألـفـاظًـا ووزنـا
خَـالَـفتْ دربُكَ دربي، وانـقـضَى مـا كـان مـنّـا
فـانـطـلقْ عـني لـئلا تَـقْـتَـنِي هـمّـاً وحـزنـا
واتّـخـذْ غـيـري رفـيـقـاً وسِـوى دنـيـاي مـغـنى

✷✷✷✷

٢ ـ العنقاء

[الكامل]

أنـــا لـــستُ بـــالحـــســـنـــاء أوّلَ مُـــولَعِ
هيَ مـطـمـعُ الـدنـيـا كـمـا هي مـطـمـعي
فـاقـصُصْ عـلـيّ إذا عـرفتَ حـديـثَـهـا
واســكنْ إذا حـدَّثتَ عـنـهـا واخـشَع
أَلمحْـتَـهـا في صـورةٍ؟ أشَـهِـدْتَـهـا
في حـالـةٍ؟ أرأيـتَـهـا في مـوضع ؟
إني لـــذو نَـــفْسٍ تـــهـــيمُ، وإنـــهـــا
لجـمـيـلـةٌ فـوقَ الجـمـالِ الأبـدع
ويـــزيـــدُ في شـــوقي إلـــيـــهـــا أنـــهـــا
كـالـصَّـوتِ لم يُـسْـفِـرْ ولم يـتـقـنَّع
فَـتَّـشتُ جـيبَ الـفـجـر عـنـهـا والـدجى
ومَـددتُ حـتى لـلـكـواكبِ إصْـبَـعي
فـإذا هـمـا مُـتـحـيـرانِ كلاهـمـا
في عـاشقٍ مُـتـحـيـرٍ مُـتَـضـعْـضِعِ
وإذا الـنـجـومُ لـعِـلْـمـهـا أو جَـهـلِـهـا
مُـتَـرجـرجـاتٌ في الـفـضـاء الأوسع
رقـصتْ أشـعـتُـهـا عـلى سـطح الـدجى
وعـلـى رجـاءٍ فيَّ غـيـرَ مُـشَـعـشِعِ

والـبـحـرُ كم سَـاءلـتُهُ فـتـضـاحـكَتْ
أمـواجُه من صـوتي الـمُـتـقَـطِّع
فـرجَـعتُ مُـرتـعشَ الخـواطـرِ والـمُـنى
كـحـمـامـةٍ مـحـمـولـةٍ في زَعـزَع[1]
وكـأنَّ أشـبـاحَ الـدهـورِ تـألَّـبَتْ
في الـشطِّ تـضـحكُ كـلُّـهـا من مـرجـعي
ولـكَمْ دخـلتُ إلى الـقُـصـور مـفـتـشـاً
عـنـهـا، وعـجْتُ بـدارسَـاتِ الأربُع
إنْ لاحَ طـيفٌ قـلتُ يـا عـينُ انـظـري!
أو رنَّ صـوتٌ قـلتُ: يـا أذنُ اسْـمَـعي!
فـإذا الـذي في الـقَـصـرِ مـثـلي حـائـرٌ
وإذا الـذي في الـقَـفْـرِ مـثـلي لا يَـعِي

قـالـوا: تـورّعْ ! إنـهـا مـحـجـوبـةٌ
إلا عن الـمُـتَـزهـدِ الـمُـتَـورِّع
فَـوَأدتُ أفـراحي وطـلّـقتُ الـمُـنى
ونـسـختُ آيـات الـهـوى من أضـلـعي
وحَـطَـمتُ أقـداحي ولـمّـا أرتـوي
وعَـفَـفتُ عن زادي ولـمّـا أشـبع
وحـسـبـتُـني أدنـو إلـيـهـا مـسـرعـاً
فـوجَـدتُ أني قـد دنـوتُ لمـصـرَعي
مـا كـان أجـهلَ نُـصَّـحِي[2] وأضـلَّـني
لـمّـا أطـعـتُـهمُ، ولم أتـمـنَّع

(١) ريح زعزع : تحرك الأشياء .
(٢) جمع لِـ (ناصح) مثل عاجز وعجّز .

إني صَـرفتُ عن الـطَّـمـاعـةِ والـهـوى
قـلـبي، ولا ظَـفَـرٌ لمن لم يَـطْـمع
فـكـأنِّيَ الـبـسـتـانُ جـرَّدَ نـفـسَهُ
من زهـرِه المـتـنـوِّعِ الـمُـتـضَـوِّع
لـيُـحِسَّ نـورَ الـشَّـمسِ في ذرَّاتِه
ويُـقـابلَ الـنَّـسَـمـاتِ غـيـرَ مُـقَـنَّع
فـمـشى عـلـيه من الخـريفِ سُـرادقٌ
كـالـلـيل خـيَّمَ في المـكـان الـبَـلْـقَع
وكـأنـني الـعـصـفـورُ عَـرَّى جـسـمَه
من ريـشِه الـمُـتـنـاسِقِ الـمُـتـلَـمِّع
لـيَـخِفَّ مـحـمـلُه ؛ فـخـرَّ إلى الـثَّـرَى
وسـطـا عـلـيه الـنـملُ غـيـرَ مُـروَّع
وهَـجَـعتُ أحـسَبُ أنـهـا بـنتَ الـرُّؤى
فـصـحـوتُ أسـخـر بـالـنِّـيـام الـهُـجَّع
لـيـستْ حُـبـوراً كـلّـهـا دنـيـا الـكـرى
كم مـؤلمٍ فـيـهـا بـجـانبِ مُـفـزَّع
تُـخـفي أمـانيَّ الـفـتى كـهـمـومِه
عـنـه، وتحـجـبُ ذاتَهُ في بُـرقِع
ولـربَّـمـا الـتَـبـستْ حـوادثُ يـومِه
بـالـغـابـر المـاضي وبـالمـتـوقّع
يـا حـبَّـذا شـطـطُ الخـيـالِ وإنمـا
تُـمْـحَى مـشـاهـدُهُ كـأنْ لم تُـطـبَع
لـمّـا حـلـمتُ بـهـا حـلـمتُ بـزهـرةٍ
لا تُـجـتَـنَي، وبـنـجـمـةٍ لم تَـطـلع
ثمَّ انـتـبـهتُ فـلم أجـدْ في مَـخـدَعي
إلا ضـلالي والـفِـراشَ ومَـخـدَعي

من كـــان يـــشـــربُ من جـــداول وهـــمِهِ
قـــطعَ الحـــيـــاةَ بـــغـــلّـــةٍ لم تُـــنْـــقَع
ذهب الـربـيـعُ فـلم تـكنْ فـي الجـدول الـشّـ
ـــشَـادي، ولا الـــرّوضِ الأغنّ الـــمُـــمْـــرِع
وأتى الـشـتـاءُ فـلم نـكن في غـيـمِه الـ
ـــبـاكي، ولا في رعـــدِه الـــمُـــتـــفـــجِّع
ولمحتُ وامـضـةَ الـبُـروقِ فَـخِـلـتُـهـا
فـيـهـا، فـلم تكُ في الـبـروقِ الـلُّـمَّع
صَفِرتْ[1] يدي منـها وبي طيشُ الـفتى
وأضـــلَّـــني عـــنـــهـــا ذكـــاءُ الألمـــعي
حـتى إذا نـشـر الـقـنـوطُ ضـبـابَهُ
فـوقي فـغـيَّـبـني وغـيّبَ مـوضـعي
وتَـقـطَّـعتْ أمـراسُ آمـالي بـهـا
وهـي الـتي من قـبل لم تَـتـقـطَّع
عـصَـرَ الأسى روحي فـسـالتْ أدمـعـاً
فـلـمـحـتُـهـا ولمـسـتُـهـا في أدمـعي
وعـلـمتُ حـين الـعـلْمِ لا يـجـدي الـفـتَى
أنَّ الـتي ضـيَّـعـتُـهـا كـانت مـعي!

✱✱✱✱

(١) خلت خلوّاً كاملاً .

٣ـ السجينة

[الطويل]

لَـعَـمْـرُكَ مـا حُـزْني لمـالٍ فـقَـدتُه
ولا خـانَ عـهـدي في الحـيـاة حـبـيبُ
ولـكـنـني أبـكِي وأنـدبُ زهـرةً
جـنـاهـا ولُـوعٌ بـالـزهـورِ لَـعُـوب
رآهـا يـحلُّ الـفـجـرُ عِـقْـدَ جُـفـونِـهَـا
ويُـلـقي عـلـيـهـا تِـبـرَهُ فـيـذوب
ويـنـفضُ عن أعـطـافِـهـا الـنـورَ لـؤلـؤاً
مِن الـطّلِّ مـا ضُـمَّتْ عـلـيه جُـيـوب
فـعـالجَـهـا حـتى اسـتـوت في يمـيـنه
وعـادَ إلى مَـغْـنـاه وهـو طَـروب
وشـاء فـأمـستْ في الإنـاء سـجـيـنـةً
لـتـشْـبَعَ مـنـهـا أعـينٌ وقـلـوب
ثَـوَتْ بـين جـدرانٍ كـقـلب مُـضِـيـمِـهـا
تـلـمَّسُ فـيـهـا مـنـفـذًا فـتـخـيب
فـلـيست تحـيّي الـشـمسَ عـند شـروقِـهـا
ولـيـست تحـيّي الـشـمسَ حـين تـغـيب
ومَن عُـصِـبتْ عـيـنـاه فـالـوقت كـلُّه
لـديه ـ وإن لاحَ الـصَّـبـاحُ ـ غَـروب

لـهـا الـحـجـرةُ الـحـسـنـاءُ في الـقـصـر إنـمـا
أحَبُّ إلـيـهـا روضـةٌ وكَـثِـيب

وأجـملُ من نـورِ المـصَـابـيح عـنـدهـا
حَـبـاحبُ تـمـضي في الـدجى وتـؤوب
ومن فـتـيـاتِ الـقـصـر يـرقـصنَ حـولـهـا
عـلـى نـغَـمَـاتٍ كـلـهنَّ عـجـيب
تـراقصُ أغـصـان الحـديـقـةِ بـكـرةً
ولـلـريح فـيـهـا جَـيْـنَـةٌ وذَهُـوب
وأجـمل مـنـهنَّ الـفـراشـاتُ في الـضـحى
لـهـا كـالأمـاني سَـكْـنـةٌ ووثُـوب
وأبـهى من الـدِّيـبَـاج والخـزِّ عـنـدهـا
فَـراشٌ من الـعـشب الخَـضـيلِ رطـيب
وأحـلى من الـسَّـقف المـزخـرفِ بـالـدُّمى
فـضـاءٌ تـشعُّ الـشُّـهبُ فـيه رحـيب
تحنُّ إلى مَـرأى الـغـديـر وصـوتهِ
وتُـحـرَمُ مـنه، والـغـديـرُ قـريب
ولـيس لـهـا لـلـبـؤس في نـسَم الـربُّـا
نـصـيبٌ، ولم يـسـكنْ لـهنَّ هَـبُـوب
إذا سُـقـيتْ زادتْ ذبـولاً كـأنمـا
يـرشُّ عـلـيـهـا في المـيـاه لـهـيب
وكـانت قـلـيلُ الـطّلِّ يـنـعشُ روحَـهَـا
وكـانت بمـيـسـورِ الـشُّـعـاع تَـطِـيب
بـهـا من أنـوف الـنـاشـقـينَ تـوَعُّكٌ
ومن نـظـراتِ الـفـاسـقـينَ نـدوب
تـمشّى الـضَّـنَى فـيـهـا وأيـارُ في الحِمى
وجَـفَّتْ وسـربـالُ الـربـيـع قـشِـيب

فـفـيـهـا كـمـقـطـوعِ الـوريـدينِ صُـفْـرةٌ
وفـيـهـا كـمـصـبـاحِ الـبَـخـيلِ شُـحُـوب

أيـا زهـرةَ الـوادي الـكـئـيـبـةِ إنـني
حـــزينٌ لمـــا صـــرتِ إلـــيه كـــئـــيب
وأكـثـرُ خـوفي أن تـظـنـي بـنـي الـورى
ســواءً، وهُمْ مـثـلُ الـنَّـبـاتِ ضُـروب
وأعـظـمُ حـزني أن خـطـبَكِ بـعـدَهُ
مـصـائبُ شـتّى لم تـقـعْ وخـطـوب
سـيـطْـرحُكِ الإنـسـانُ خـارجَ دارِهِ
إذا لم يـكن فـيك الـعَـشـيَّـةَ طِـيب
فَـتُـمـسـينَ لـلأقـذارِ فـيك ملاعبٌ
وفي صَـفـحَـتـيكِ لـلـنِّـعـالِ ضُـروب
إسـارُكِ يـا أختَ الـريـاحـينِ مُـفـجعٌ
ومـوتُكِ يـا بـنتَ الـربـيـعِ رَهِـيب
ولـكـنـهـا الـدنـيـا؛ ولـكـنه الـقـضـا
وهـذا لـعَـمـري مـثـلُ تـلك غـريب
فـكمْ شَـقِـيتْ في ذي الحـيـاة فـضـائلُ
وكم نـعِـمتْ في ذي الحـيـاة عـيـوب
وكمْ شـيـمٍ حـسـنـاءَ عـاشتْ كـأنـهـا
مـسـاوئُ يُـخـشَى شـرُّهـا وذنـوب

٤ - الضفادع والنجوم

[الرمل]

صـاحتِ الـضّـفـدعُ لـمّـا شـاهـدتْ
حـولَـهـا في المـاء أظلالَ الـنـجـومْ:
«يـا رفـاقي يـا جـنـودي احـتـشـدوا
عـبَـرَ الأعـداءُ في الـلـيل الـتُّـخـوم
فـاطـردوهمْ واطـردوا الـلـيلَ مـعـاً
إنه مـثـلُـهمُ بـاغٍ أثـيـم»
زعـقـةٌ سـار صـداهـا في الـدجى
فـإذا الـشطُّ شـخـوصٌ وجُـسُـوم
في أديم المـاء من أصـواتِـهـا
رعـدَةُ الحِـمى وفي الـلـيل وجُـوم
مـزَّقَ الـفـجـرُ جلابـيبَ الـدجى
ومـحـا من صـفـحـةِ الأرض الـرُّسـوم
فـمـشتْ في سِـربـهـا مـخـتـالـةً
كـمَـلـيكٍ ظـافـرٍ بـين قُـروم[1]
ثم قـالتْ: لـكمُ الـبـشـرَى ولِيْ
قـد نجـونـا الآن من كـيـدٍ عـظـيم
نـحن لـو لم نـقـهـرِ الـشُّـهبَ الـتي
هـاجَـمـتْـنـا لأذاقَـتـنـا الحُـتـوم

(١) جمع (قَرْم) وهو السيد .

وأقـــامتْ بـــعـــدَنـــا من أرضـــنـــا
في نـــعـــيمٍ لم تجـــدْه في الـــغـــيـــوم
أيـــهـــا الـــتـــاريخُ ســـجِّلْ أنـــنـــا
أمَّـــةً قـــد غـــلَـــبتْ حـــتى الـــنـــجـــوم

✷✷✷✷

٥ ـ السماء

[الخفيف]

لا تَسلْني عن السَّماءِ فما عنْ
ـدِيَ إلا النعوتُ والأسماءُ
هيَ شيءٌ، وبعضُ شيءٍ، وحينًا
كلُّ شيءٍ، وعند قومٍ هَباء

☆☆☆☆☆

فسماءُ الراعي كما يتَمنَّا
ها مروجٌ فسيحةٌ خضراء
تلبسُ التِّبرَ مئزراً ووشاحاً
كلّما أشرقتْ وغابتْ ذُكَاء
أبداً في نضارةٍ، لا يجفُّ الْـ
عشبُ فيها، ولا يغيضُ الماء

☆☆☆☆☆

وهيَ عندَ الأمّ التي اخترمَ المو
تُ بنيها، وضلَّ عنها العزاء
موضعٌ لا ينالُهمْ فيه ضَيْمٌ
لا ولا يُدركَ الشَّبابَ الفناء
وكذا يُولدُ الرجاءُ من اليَأْ
سِ إذا مات في القلوب الرجاء

☆☆☆☆☆

وهيَ عند الفقيرِ أرضٌ وراءَ الْـ
أُفقِ؛ فيها ما يشتهي الفقراء

لا يـخـافُ الـمُـثْـريْ، ولا كـلـبُه الـضَّـا
ري؛ ولا لامـــرئٍ به اسْـــتِـــهـــزاء
وهي عـنـد المـظـلـومِ أرضٌ كـهـذى الْـ
ـأرضُ لـكنْ قـد شـاعَ فـيـهـا الإخـاء
يـجـمعُ الـعـدلُ أهـلَـهـا في نـظـامٍ
مـثـلـمـا يـجـمعُ الخـيـوطَ الـرداء
لا ضـعـيفٌ مـسـتـعـبَـدٌ، لا قـويٌّ
مُـسـتـبـدٌ، بل كـلُّـهمْ أكـفـاء
كلُّ شيءٍ لـلـكلّ مُـلْـكٌ حلالٌ
كلُّ شيءٍ فـيـهـا كـمـا الـكلُّ شـاؤوا

☆☆☆☆☆

وهْيَ عـنـد الخـلـيـعِ أرضٌ تـمـيسُ الْـ
ـحـورُ فـيـهـا، وتَـدفُقُ الـصَّـهـبـآء
كلُّ مـا الـنـفْسِ تـشـتـيه مُـبـاحٌ
لا صـدودٌ، لا جـفـوةٌ، لا إبـاء
أكـبـرُ الإثمِ قـولـةُ المـرءِ هـذا الْـ
ـأمـرُ إثمٌ، وهـذه فـحـشـاء
لـيس بـين الـصَّلاح والـشـرِّ حـدٌّ
كـالـذي شـاء وضـعَهُ الأنـبـيـاء
وإذا لـم يـكنْ عـفـافٌ وفِـسْقٌ
لـم تـكن حِـشـمَـةٌ ولا اسْـتـحـيـاء

☆☆☆☆☆

كلُّ قـلـبٍ له الـسـمـاءُ الـذي يَـهْـ
ـوَى، وإن شـئتَ كلُّ قـلـبٍ سـمـاء
صُـوَرٌ في نـفـوسِـنـا كـائـنـاتٌ
تـرتـديـهـا الأفـعـالُ والأشـيـاء

رُبَّ شيءٍ كـــالجـــوهـــرِ الـــفَـــرْدِ فـــذٍّ
عـــــــدَّدتـهُ الأغـــــــراضُ والأهـــــــواء
كلُّ مـــا تـــقْـــصُـــرُ المـــدارِكُ عـــنه
كـائنٌ مـثـلـمـا الـظـنـونُ تـشـاء

✷✷✷✷

٦ ـ بردّي يا سحب !

[المديد]

رَضِـيَتْ نـفـسي بـقـسـمَـتِـهـا
فَـلْـيُـراودْ غـيـريَ الـشُّـهُـبـا
كـلُّ نجـمٍ لا اهـتـداءَ بـهِ
لا أُبَـالـي : لاحَ أو غَـرُبَـا
كـلُّ نـهـرٍ لا ارتـواءَ بـه
لا أُبَـالـي: سـال أو نَـضَـبـا
مـا غـدٌ ـ يـا مَن يُـصـوِّرُه
ليَ شـيـئـاً رائـعـاً عـجَـبـا
مـا لـه عـيـنٌ ولا أثـرٌ
هـو كـالأمسِ الـذي ذهـبـا
اسـقـني الـصَّـهـبـاءَ إنْ حـضـرتْ
ثمّ صِفْ لِي الـكـأسَ والحَـبَـبـا
لـيس يَـرويـني مـقـالُك لي:
«أنـهـا الـعـقـيـانُ[1] مـنـسـكِـبَـا»
إنَّ صـدقـاً لا أحـسُّ بـه
هـو شيءٌ يـشـبـهُ الـكَـذِبـا
لا يُـنـجِّي الـشَّـاةَ من سـغَـبٍ:
أنّ في أرضِ الـسُّـهـا[2] عَـشَـبـا

---

(١) الذهب الخالص .
(٢) كوكب خفيّ، يريد: السماء بنجومها .

مـــا عـــلى مَن لا يَـــطـــيقُ يـــرى
نـــوَّرَ الـــوادي أو اكْـــتَـــأَبـــا
مـــا يـــفـــيـــدُ الـــطَّـــيـــرَ في قـــفصٍ
ضـــاقَ هـــذا الجـــوُّ أو رَحِـــبَـــا

☆☆☆☆☆

بـــرِّدي يـــا ســـحبُ مِن ظـــمَـــئِي
واهـــطُـــلي مِن بـــعـــد ذا ذَهَـــبـــا
أو فَـــكُـــوني – غـــيـــرَ راحِـــمَـــةٍ –
حِـــمَـــمـــاً حـــمـــراءَ لا سُـــحُـــبـــا
ولأكنْ وحـــدي لـــهـــا هـــدفـــاً
ولـــتـــكنْ نـــفـــسي لـــهـــا حَـــطَـــبـــا
أنـــا من قـــومٍ إذا حَـــزِنـــوا
وجـــدوا في حُـــزنِـــهمْ طَـــرَبـــا
وإذا مـــا غـــايـــةٌ صَـــعُـــبَتْ
هـــوَّنُـــوا بـــالـــتّـــركِ مـــا صَـــعُـــبَـــا

✱✱✱✱

٧ـ العَيْر المتنكر

[الكامل]

زَعمَ المؤدِّبُ أنَّ عَيْراً[١] ساءَهُ
ألاّ يُسارَ به إلى الميدانِ
فمضى فقصَّرتِ القواطعُ ذيلَهُ
وسطَتْ مَواضيها على الآذان
حتى إذا جاء المروِّضُ واعتلَى
مَتْنَيْهِ رابَ الفارسُ الكَشْحَان[٢]
لكنه ما زالَ غيرَ مُصدّقٍ
حتى علا صوتٌ كصوتِ الجان
فاستلَّ صارمَهُ فطاحَ برأسه
ورمى بجثته إلى الغِرْبان
مادام يصحبُ كلَّ حيٍ صوتُهُ
هيهاتَ يُخفي العَيْرَ جلدُ حصان

✱✱✱✱

(١) الحمار الوحشي والأهلي .
(٢) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.

٨ـ تعالَي

[الهزج]

تعالَيْ نتعاطاها كَلوْنِ التِّبرِ أو أسْطَعْ
ونسقي النّرجسَ الواشي بقايا الراحِ في الكاسِ
فلا يعرفُ من نحن ولا يُبصِرُ(*) ما نَصنعْ
ولا ينقلُ عند الصُّبحِ نجوانا إلى الناسِ

⁂

تعالَيْ نسرقُ اللذاتِ ما ساعفنا الدهرُ
وما دمنا وما دامتْ لَنا في العيشِ آمالُ
فإنْ مرّ بنا الفجرُ وما أوقظنا الفجرُ
فما يوقظنا عِلمٌ ولا يوقظنا مالُ

⁂

تعالَيْ نطلقُ الروحينِ من سجنِ التقاليد
فهذي زهرةُ الوادي تذيعُ العطرَ في الوادي
وهذا الطيرُ تيّاهٌ فخورٌ بالأغاريد
فَمَن ذا عنَّفَ الزهرةَ أو مَن وبّخَ الشَّادي ؟

⁂

أرادَ اللهُ أن نعشقَ لمّا أوجدَ الحُسْنا
والقى الحبَّ في قلبكِ إذ القاهُ في قلبي
مشيئتُهُ.. وما كانت مشيئتُهُ بلا معنى
فإنْ أحببتِ ما ذنبُكِ أو أحببتُ ما ذنبي ؟

⁂

(*) في النسخة التي أرسلها د. عبدالكريم الأشتر، وردت [ولا يبصُّ] وشرحها في الهامش بقوله: بصّ، لمع، حملها هنا معنى رأى أو كشف (كما هي في دارجة مصر). ولكن بهذه الكلمة ينكسر الوزن. ولعل الصواب ما أثبتناه

دعي اللاحي ومـــا صـــنَّفَ والـــقَـــالي[1] وبـــهـــتـــانَهْ
ولـــلـــجـــدولِ أن يـــجـــري، ولـــلـــزهـــرة أن تـــعـــبقْ،
وللأطـــيـــارِ أن تـــشـــتـــاقَ أيـــاراً وألـــوانَهْ،
ومـــا لـــلـــقـــلبِ، وهـــو الـــقـــلب، أن يـــهـــوى وأن يـــعـــشَقْ؟

تـــعـــالَيْ إنَّ رَبَّ الحبِّ يـــدعـــونـــا إلى الـــغـــابِ
لـــكي يمـــزجـــنـــا كـــالمـــاء والخـــمـــرةِ في كـــاسِ
ويـــغـــدو الـــنـــورُ جـــلـــبـــابَكِ في الـــغـــابِ وجِـــلْـــبـــابي
فـــكم نُـــصـــغي إلى الـــنـــاس ونـــعـــصي خـــالقَ الـــنـــاسِ!

يـــريـــد الحبُّ أن نـــضـــحَكَ، فـــلـــنـــضـــحكْ مع الـــفـــجـــرِ
وأن نـــركضَ، فـــلـــنـــركضْ مع الجـــدولِ والـــنَّـــهـــرِ
وأنْ نـــهـــتفَ، فـــلـــنـــتـــهفْ معَ الـــبـــلـــبلِ والـــقُـــمْـــري[2]
فـــمَن يـــعـــلَمُ بـــعـــد الـــيـــومِ مـــا يـــحـــدثُ أو يـــجـــري؟

تـــعـــالَيْ قَـــبـــلَـــمـــا تـــســـكتُ في الـــروضِ الـــشَّـــحـــاريـــرُ
ويـــذوي الحَـــورُ والـــصـــفـــصـــافُ والـــنّـــرجسُ والآسُ
تـــعـــالى قـــبـــلـــمـــا تـــطـــمـــرُ أحلامي الأعـــاصـــيـــرُ
فـــنـــســـتـــيـــقظُ لا فـــجـــرٌ، ولا خـــمـــرٌ، ولا كـــاسُ

---

(١) قلاه : أبغضه .
(٢) طير أبيض (أقمر – قمر قمري).

٩ - ريح الشمال

[المتقارب]

سألتُ وقدْ مرَّتِ الشَّمألُ
تنوحُ وآونَةً تُعْوِلُ
إلى أيُّما غايةٍ تركضينَ
أَلا مستقرٌ؟ ألا مَوئلُ؟
وكم تَعْوَلينَ وكم تصرخينَ
كعصفورةٍ راعها الأجْدَلُ؟(١)
لقد طرَحَ الغصنُ أوراقَهُ
مِن الذُّعرِ واضْطَربَ الجدول
وضلَّ الطريقَ إلى عشهِ
فهامَ على وجهِه البلبل
وغطى السُّهى وجهَهُ بالغَمامِ
كما ينزوي الخائفُ الأعْزَل
وكادتْ تخرُّ لديكِ الهضابُ
وتركضُ قدَّامكِ الأجبُل

أبنتَ الفضاءِ أضاقَ الفضاءُ
فأنتِ إلى غَيرِه أمْيَلُ؟
أَغاظَكِ أن الدَّجى لا يزولُ
وأن الكواكبَ لا تَأفلُ

---

(١) الصقر .

أتـبـكـينَ آمـالَكِ الـضـّائـعـات
هل الـريحُ مـثلُ الـورى تـأمل
أيـعـدو وراءكِ جـيشٌ كـثـيفٌ
أَمـثـلكِ يـرهـبُهُ الجَـحـفَل
ومـا فـيكِ عـضـوٌ ولا مـفـصلٌ
فـتـقـطعُ أوصـالَكِ الأنـصُل
فـجَـاوَبـني هـاتفٌ في الـظلام :
غـلـطتَ فـمـا هـذه الـشـّمْـأَل
ولـكـنـهـا أنـفُسُ الـغـابـرينَ
تجـوسُ الـديـارَ ولا تـنـزل
فـقـلتُ: أيـنـهضُ مَن في الـقـبـورِ
وفـوقـهمُ الـتـُّربُ والجَـنـدل؟
أجـابَ الـصـّدى ضـاحـكـاً سـاخـراً:
إلـى كم تحـارُ وكم تـسـال ؟
وتـرفعُ عـيـنـيكَ نـحـوَ الـسـمـاءِ
ولـيـسـتْ تُـبـالي ولا تَـحـفَل
منَ الـبـحـرِ تـصـعـدُ هـذي الـغـيـوثُ
وتَـهـطلُ في الـبـحـر إذْ تـهـطِل
وفي الجـوِّ إنْ خـفـيتْ نـسـمـةٌ
وفـي الأرض إن نَـضَبَ المـنـهَل

☆☆☆☆☆

لـقـد كـان في أمسِ مـا قَـبْـله
وفي غَـدِه يـومُكَ الـمُـقـبِل
عـجـبتُ لـبـاكٍ عـلـى أوَّلٍ
وفـي الآخِـرِ الـنـائـحُ الأول

☆☆☆☆☆

هـمُ فـي الــشَّــرابِ الــذي نــحــتــسي
وهُـمْ فـي الــطــعــامِ الــذي نــأكل
وهُـمْ فـي الــهــواء الــذي حــولــنــا
وفـي مــا نــقــولُ ومــا نــفــعَل
فَـمَن حـسِبَ الـعـيشَ دنـيـا وأخـرى
فــــذا رجلٌ عــــقــــلــه أحــــول

✱✱✱✱

١٠ - الحجر الصغير

[الخفيف]

سَـمعَ الـلـيلُ ذو الـنُّـجـومِ أنـيـنـاً
وهـو يـغـشى المـديـنـةَ الـبـيـضـاءَ
فـانـحـنَى فـوقَـهـا كـمـسـتَـرِقِ الـهَـمْـ
ـسِ يـطـيـلُ الـسـكـوتَ والإصـغـاء
فـرأى أهـلَـهـا نـيـامـاً كـأهل الْـ
ـكَـهفِ لا جَـلْـبـةً ولا ضـوضـاء
ورأى الـسـدَّ خـلـفَـهـا مُـحـكمَ الـبـنْـ
ـيـان والمـاءَ يُـشـبـهُ الـصـحـراء
كـانَ ذاكَ الأنـينُ من حَـجَـرٍ في الـسـنْـ
ـسَـدِّ يـشـكـو المـقـادرَ الـعـمـيـاء
أيُّ شـأنٍ يـقـول في الـكـونِ شـأني
لـستُ شـيـئـاً فـيه ولـستُ هـبـاء
لا رخـامٌ أنـا فـأنـحتَ تِـمـثَـا
لاً ولا صـخـرةٌ تـكـونُ بـنـاء
لـست أرضـاً فـأرشفُ المـاءَ أو مَـا
ءً فـأروي الحـدائقَ الـغـنَّـاء
لـستُ درَّاً تُـنـافسُ الـغـادةُ الحَـسـنْـ
ـنـاءُ فـيه المـلـيـحـةَ الحـسـنـاء
لا أنـا دمـعـةٌ ولا أنـا عـيـنٌ
لـستُ خـالاً أو وجـنـةً حـمـراء

حَـــجَـــرُ أغـــيـــرٌ أنـــا وحـــقـــيـــرٌ
لا جـــمـــالاً لا حـــكـــمـــةً لا مَـــضَـــاء
فَلأغـــادرْ هـــذا الـــوجـــودَ وأمـــضِي
بـــسلامٍ، إني كـــرهتُ الـــبـــقـــاء
وهـــوَى من مـــكـــانِه؛ وهـــو يـــشـــكـــو الْـ
أرضَ والـــشُّـــهبَ والـــدجى والـــسَّـــمـــاء
فـــتحَ الـــفـــجـــرُ جـــفـــنَهُ... فـــإذا الـــطّـــو
فَـــانُ يـــغـــشى «المـــديـــنـــةَ الـــبـــيـــضـــاء»

✱✱✱✱

١١ - الطين

[الخفيف]

نـــسِيَ الـــطـــينُ - ســـاعـــةً - أنه طـــيـ
ـنٌ حـقـيـرٌ فـصَـالَ تِـيـهَـاً وعَـرْبَـدْ
وكـســا الخـزُّ جـســمَهُ فـتـبـاهَى
وحـــوى المـــالَ كـــيـــسُهُ فـــتَـــمـــرَّد
يـــا أخي. لا تَـــمِلْ بـــوجـــهكَ عـــني،
مَـــا أنـــا فـــحـــمـــةٌ ولا أنت فَـــرْقَـــد
أنتَ لم تَـــصـــنعِ الحـــريـــرَ الـــذي تَـــلْ
بَسُ والـــلـــؤلـــؤَ الـــذي تـــتَـــقـــلَّـــد
أنت لا تـــأكلُ الـــنُّـــضَـــارَ إذا جُـــعْ
تَ ولا تـشـربُ الجُـمـانَ الـمُـنـضَّـد
أنتَ في الـــبـــردةِ المـــوشَّـــاةِ مـــثـــلي
في كِـسـائي الـرَّديمِ تـشـقَى وتـسـعَـد
لكَ في عـــالَمِ الـــنـــهـــارِ أمَـــانٍ،
ورؤىً، والـــظلامُ فـــوقكَ ممـــتَـــد
ولـــقـــلـــبي كـــمـــا لـــقـــلـــبكَ أحْلا
مُ حـســانٌ، فـإنهُ غـيـرُ جَـلْـمَـد

أأمـــانـــيَّ كـــلُّـــهـــا من تـــرابٍ
وأمـــانـــيك كـــلّـــهـــا من عَـــســـجَـــد؟
وأمـــانـــيَّ كـــلُّـــهـــا لـــلـــتلاشي
وأمـــانـــيكَ لـــلـــخـــلـــودِ المـــؤكَّـــد !؟

لا. فـــهـــذي وتـــلكَ تـــأتي وتـــمـــضِي
كَـــذَويـــهـــا. وأيّ شيءٍ سَـــرمَـــد ؟
أيُّـــهـــا الـــمُـــزدهي.. إذا مَـسَّك الـسُّـقْ
مُ ألاّ تـــشـــتـــكي ؟ ألا تـــتـــنـــهَّـــد ؟
وإذا راعكَ الحـــبـــيبُ بـــهـــجـــرٍ
ودعَـــتْك الـــذكـــرى ألا تـــتَـــوجَّـــد؟[1]
أنتَ مـــثـــلي يـــبشُّ وجـــهُكَ لـــلـــنُّـــعْ
ـــمَى وفي حـــالـــةِ الـمـصـيـبـةِ يَـكـمَـد
أَدمـــوعـي خَلُّ ودمـــعُكَ شـــهـــدُ؟
وبـــكـــائي ذُلٌّ ونـــوحُكَ سُـــؤْدد ؟
وابـــتـــســـامي الـــسَّـــرابُ لا رِيّ فـــيه ؟
وابـــتـــســـامـــاتُكَ الـــلآلِئُ خُـــرَّد؟[2]
فَـــلَكُ واحـــدٌ يُـــظلُّ كِـــلَـــيْـــنـــا
حـــارَ طـــرفي به وطـــرفُكَ أرمَـــد[3]
قـــمَـــرٌ واحـــدٌ يُـــطِلُّ عـــلـــيـــنـــا
وعـــلى الـــكـــوخِ والـــبـــنـــاءِ الـــمُـــوطَّـــد
إن يـــكنْ مـــشـــرقـــاً لـــعـــيـــنـــيكَ إني
لا أراهُ من كُـــوّةِ الـــكـــوخِ أســـود
الـــنـــجـــومُ الـــتي تـــراهـــا أراهـــا
حـــينَ تـــخْـــفَى، وعـــنـــدمـــا تَـــتَـــوقَّـــد
لـــستَ أدنى عـــلى غـــنـــاك إلـــيـــهـــا
وأنـــا مَعْ خَـــصَـــاصـــتي[4] لـــستُ أبـــعَـــد

(١) من الوجد .
(٢) اللؤلؤ قبل أن يثقب (الخريدة).
(٣) من الرمد : أرمد ورمداء .
(٤) الفقر .

أنتَ مـــثـــلي مِن الـــثَّـــرى وإلـــيهِ
فـلـمـاذا يـا صـاحـبي الـتـيهُ والـصَّـد
كـنتَ طـفـلاً إذ كـنتُ طـفـلاً، وتـغـدو
حـين أغـدو شـيـخـاً كـبـيـراً أدْرَد[1]
لـــستُ أدري من أين جـــئتُ ولا مـــا
كـنتُ، أو مـا أكـونُ يـا صـاحِ في غَـد
أفـــتَـــدري؟ إذنْ فـــخـــبِّـــرْ، وإلا
فـــلـــمـــاذا تـــظُنُّ أنكَ أوحَـــد؟

☆☆☆☆☆

ألكَ الـقـصـرُ دونَهُ الحـرسُ الـشَّـا
كِي ومِن حـولـه الجـدارُ المـشـيَّـد
فـامـنـعِ الـلـيلَ أن يَـمُـدَّ رِواقًـا
فـوقَهُ؛ والـضَّـبـابَ أن يـتـلـبَّـد
وانـظـرِ الـنـورَ كـيف يـدخلُ لا يَـطْ
ـلُبُ إذنـاً، فـمـا له لـيس يُـطـرَد ؟
مَـرقَـدٌ واحـدٌ نـصـيـبُكَ مـنهُ
أفـتـدري كم فـيك لـلـذَّرِّ مَـرقَـد ؟
ذُدتَـني عـنه، والـعـواصفُ تـعـدو
في طِلابي والجـوُّ أقـتـمُ أرْبَـد[2]
بـيـنـمـا الـكـلبُ واجـدٌ فـيه مـأوًى
وطـعـامـاً، والـهـرُّ كـالـكـلب يُـرفـد
فـسـمـعتُ الحـيـاةَ تـضـحكُ مـني
أتَـرَجّى، ومـنكَ تـأبى وتَـجـحَـد؟

☆☆☆☆☆

(١) من ليس في فمه سنّ (والأنثى : درداء) .

ألكَ الـروضـةُ الجـمـيـلـةُ فـيـهـا الْـ
ـــمـــاءُ والـــطـــيـــرُ والأزاهـــرُ والـــنَّـــدْ؟
فـــازجُـــرِ الـــريحَ أن تـــهـــزَّ وتـــلـــوي
شـــجـــرَ الـــروض ـ إنه يـــتَـــأوَّد
والْـــجُمِ المـــاءَ في الـــغـــديـــرِ ومُـــرْهُ
لا يُـــصَـــفِّقْ إلا وأنت بِـــمَـــشـــهَـــد
إنَّ طـــيـــرَ الأراكِ[1] لـــيس يُـــبـــالي
أنت أصـــغـــيتَ أم أنـــا إن غَـــرَّد
والأزاهـــيـــرُ لـــيس تـــســـخـــرُ مِن فـــقـ
ـــري ولا فـــيكَ لـــلـــغِـــنَى تـــتـــودَّد

ألكَ الـــنـــهـــرُ؟ إنه لـــلـــنـــســـيمِ الـــرْ
ـــرَطْبِ دربٌ ولـــلـــعـــصـــافـــيـــرِ مَـــوْرِد
وهْـــوَ لـــلـــشُّـــهبِ تـــســـتـــحِمُّ به في الـــصَّـ
ـــصَـــيفِ لـــيلاً كـــأنـــهـــا تـــتـــبَـــرَّد
تَـــدَّعـــيه فـــهلْ بـــأمـــرِكَ يـــجـــري
في عُـــروقِ الأشـــجـــار أو يـــتـــجـــعَّـــد
كـــان من قَـــبْلِ أن تجيءَ، وتـــمـــضي
وهْـــوَ بـــاقٍ في الأرض لـــلـــجَـــزْرِ والـــمَـــد

ألكَ الحـقلُ؟ هـذه الـنـحلُ تجـني الـشْـ
ـــشَـــهـــدَ من زهـــرِهِ ولا تـــتـــردَّد
وأرى لـــلـــنِّـــمـــالِ مُـــلـــكـــاً كـــبـــيـــراً
قـــد بَـــنـــتهُ بـــالـــكَـــدْحِ فـــيه وبـــالـــكَـــد

(١) شجر طيب الرائحة، تتخذ منه المساويك .

أنتَ في شـرعِـهـا دخـيلٌ عـلى الحَـقْـ
ـلِ ولصٌّ جـنى عـلـيـهـا فـأفـسَـد
لـو مـلـكتَ الحـقـولَ في الأرضِ طُـرّاً
لم تـكن من فـراشـةِ الحـقلِ أسـعَـد
أَجَـمـيلٌ؟ مـا أنت أبـهى من الـورْ
دَةِ ذات الـشَّـذَا، ولا أنت أجـوَد
أمْ عـزيـزٌ؟ ولـلـبَـعـوضـةِ من خَـدْ
دَيْكَ قُـوتٌ وفي يـديكَ الـمُـهـنّـد
أمْ غـنـيٌّ؟ هـيـهـاتَ تـخـتـالُ لـولا
دودةُ الـقَـزِّ بـالـقَـبـاءِ الـمُـبـجّـد
أمْ قـويٌّ؟ إذنْ مُـرِ الـنـومَ إذ يَـغْـ
ـشَـاكَ والـلـيلَ عن جـفـونِكَ يَـرْتَـد
وامـنـعِ الـشَّـيبَ أن يُـلِـمَّ بِـفَـوْدَيْـ
كَ ومُـرْ تـلـبَثِ الـنـضـارةُ في الخَـد
أَعـلِـيمٌ؟ فـمـا الخـيـالُ الـذي يَطْـ
ـرُقُ لـيلاً؟ في أيِّ دنـيـا يُـوَلَّـد؟
مـا الحـيـاةُ الـتي تَـبـين وتَـخـفَى؟
مـا الـزَّمـانُ الـذي يُـذَمُّ ويُـحـمَـد؟
أيـهـا الـطـينُ لـستَ أنـقى وأسـمى
مِن تـرابٍ تـدوسُ أو تـتـوسَّـد
سُـدْتَ أو لم تَـسُـدْ فـمـا أنت إلا
حـيـوانٌ مُـسـيَّـرٌ مُـسـتـعـبَـد!!
إنَّ قـصـراً سَـمـكْـتَهُ سـوف يـنـدكْـ
ـكُ وثـوبًـا حَـبـكـتَهُ سـوف يَـنـقَـدّ[1]

(١) قدّه : قطعه .

لا يــكُنْ لــلــخــصــام قــلــبُكَ مــأوًى
إنّ قــلــبي لــلــحبِّ أصــبح مَــعْــبَــد
أنـــا أولى بـــالحبِّ مـــنكَ وأحـــرى
مِن كِــســاءٍ يَــبْــلَى ومــالٍ يَــنْــفَــد!

✷✷✷✷

١٢- التينة الحمقاء

[البسيط]

وتـيـنـةٍ غـضَّـةِ الأفـنـانِ بـاسـقـةٍ
قـالت لا تـرابِـهـا، والـصَّـيفُ يُـحـتَـضَـرُ:
«بـئسَ الـقـضـاءُ الـذي في الأرض أوجـدَني
عـنـدي الجـمـالُ وغـيـري عـنـدَه الـنَّـظَـر»
«لأحْـبـسَـنَّ عـلـى نـفـسـي عـوارفَـهـا
فـلا يـبـيـنُ لـهـا فـي غـيـرِهـا أثـر»
«كم ذا أُكـلِّفُ نـفـسـي فـوقَ طـاقـتِـهـا
ولـيس لـي بلْ لـغـيـري الـفيءُ والـثَّـمـر»
«لـذي الجـنـاحِ وذي الأظـفـارِ بي وَطَـرٌ
ولـيس في الـعـيش لي فـيـمـا أرى وَطَـرُ»
«إني مُـفـصَّـلـةٌ ظِـلِّـي عـلـى جـسـدي
فـلا يـكـونُ به طـولٌ ولا قِـصَـر»
«ولـسـتُ مـثـمـرةً إلا عـلـى ثِـقَـةٍ
أنْ لـيس يَـطـرقُـنـي طـيـرٌ ولا بـشَـر»

عـاد الـربـيـعُ إلى الـدنـيـا بمـوكـبِهِ
فـازَّيـنتْ واكتـستْ بـالـسُّـنـدُسِ الـشَّـجـرُ

وظـلَّتِ الـتـيـنـةُ الحـمـقـاءُ عـاريـةً

كـأنـهـا وتِـدٌ في الأرضِ أو حَـجـر

ولم يُـطِقْ صـاحبُ الـبـسـتـانِ رؤيـتَـهـا

فـاجـتـثَّـهـا فـهَـوتْ في الـنـارِ تـسـتَـعِـر

مَن لـيس يـسـخـو بمـا تَسـخـو الحـيـاةُ به

فـإنه أحـمـقٌ بـالحِـرْصِ يَـنـتـحِـر

✱✱✱✱

١٣ ـ في القفر

[الخفيف]

سَـئِـمتْ نـفـسِيَ الحـيـاةَ معَ الـنَّـا
سِ، ومَـلّتْ حـتى من الأحْـبَـابِ
وتـمـشَّتْ فـيـهـا الملالـةُ حـتى
ضـجِـرتْ من طـعـامـهمْ والـشَّـراب
ومنَ الـكِـذْبِ لا بـسَـاً بُـرْدةَ الـصِّـدْ
قِ وهـذا مُـسَـربَلاً بـالـكِـذاب
ومِن الـقُـبحِ في نـقـابٍ جـمـيلٍ
ومن الحُـسنِ تحت ألفِ نِـقَـاب
ومِن الـعـابـديـنَ كلَّ إلهٍ
ومن الـكـافـريـنَ بـالأربـاب
ومنَ الـواقـفـينَ كـالأنـصَـابِ
ومنَ الـسَّـاجـديـنَ لـلأنـصَـاب
ومن الـراكـبـينَ خـيلَ المـعـالي
ومن الـراكـبـينَ خـيلَ الـتَّـصَـابي
والأُلى يـصـمُـتُـونَ صَـمْتَ الأفـاعي
والأُلَى يَـهـزِجُـونَ هـزْجَ الـذُّبـاب
صـغُـرتْ حـكـمـةُ الـشـيـوخِ لـديـهـا
واسـتـخـفَّتْ بـكل مـا لـلـشـبـاب
قـالتِ: اخْـرُجْ من المـديـنـةِ لـلـقَـفْـ
ـرِ فـفـيـه الـنـجـاةُ من أوصَـابي

ولكَ الـلـيلُ راهـبي، وشـمـوعي الـشـْ
ـشُـهْبُ؛ والأرضُ كـلُّـهـا مِـحـرابي
وكـتـابي الـفـضـاءُ اقـرأُ فـيهِ
سُـوَراً مـا قـرأتُـهـا في كـتـاب
وصلاتي الـذي تـقـول الـسَّـواقي
وغـنـائي صـوتُ الـصَّـبَـا في الـغـاب
وكـؤوسي الأوراقُ ألـقتْ عـلـيـهـا الـشـْ
ـشَمسُ ذَوْبَ الـنُّـضَـار عـنـدَ الـغِـيـاب
ورحـيـقي مـا سـال من مُـقـلـةِ الـفـجْـ
ـرِ عـلى الـعـشْبِ كـالـلُّـجـينِ الـمُـذاب
ولْـتُـكَـحِّلْ يـدُ المـسـاء جـفـوني
ولْـتُـعـانقْ أحلامُـه أهـدابي
ولْـيُـقـبِّلْ فمُ الـصّـبـاحِ جَـبـيـني
ولْـيُـعـطِّـرْ أريـجُه جِـلـبـابي
ولأكُنْ كـالـغُـراب: رزقيَ في الحـقْـ
ـلِ وفي الـسَّـفحِ مـجْـثَـمي واضـطـرابي
سـاعـةٌ في الخلاء خـيـرٌ من الأعْـ
ـوامِ تُـقـضَى في الـقـصـرِ، والأحـقـابِ

☆☆☆☆☆

يـا لَـنَـفْـسي فـإنـهـا فَـتَـنَـتْـني
بـالحـديثِ المـنـمَّقِ الخلاَّب
فـإذا بي أَقـلي[1] الـقـصـورَ وسُـكْـنـا
هـا وأهلَ الـقـصـورِ ذاتِ الـقِـبـاب
فـهـجـرتُ الـعـمـرانَ تـنـفضُ كـفيِّ
عَن ردائي غـبـارَهُ وإهـابي

(١) قلاه – يقليه قلىً: أبغضه.

وتـــركتُ الحِـــمَى وسِـــرتُ وإيّـــا
هـــا وقـــدْ ذهَّبَ الأصـــيلُ الـــرَّوابي
نـهـتـدي بـالـضـحـى فـإن عَـسْـعَسَ الـلـيـ
ـلُ جـعـلـنـا الـدلـيلَ ضـوءَ الـشِّـهـاب
وقـضَـيـنـا في الـغـاب وقـتـاً جـمـيلاً
في جـــوارِ الـــغُـــدرانِ والأعـــشـــاب
تـــــارةً فـي مُـلاءةٍ مـن شُـــــعـــــاعٍ
تـــــارةً فـي مـلاءةٍ مـن ضَـــــبـــــاب
تـــارةً كـــالـــنـــســـيم نمـــرحُ في الـــوا
دي، وطـــوراً كـــالجـدولِ الـــمُـــنـــسَـــابِ
في ســفــوحِ الـهـضـابِ والـظلُّ فـيـهـا
ومعَ الـــنُّـــورِ وهْـــو فـــوقَ الـــهـــضـــاب
إنمـــا نـــفـــسيَ الـــتي مـــلّت الـــعُـــمْـ
ـــرَانَ مـلّتْ في الـغـاب صـمْتَ الـغـاب
فـــأنـــا فـــيه مـــســـتـــقلٌّ طـــلـــيقٌ
وكـــــــــأنـي أدِبُّ فـي سِـــــــــرداب

عـلَّـمـتـني الحـيـاةُ في الـقَـفْـرِ أني
أيـنـمـا كـنتُ ـ ســاكنٌ في الـتُّـراب
وســأبـقى مـا دمتُ في قـفصِ الـصَّـلْـ
ـصـالِ عـبـدَ الـمُـنى أسـيـرَ الـرِّغَـاب
خِـلْتُ أني في الـقَـفـر أصـبـحتُ وحـدي
فـإذا الـنـاسُ كـلُّـهمْ في ثـيـابي

✱✱✱✱

١٤ - التمثال

[الطويل]

مِنَ المرمَرِ المسْنونِ صاغوا مِثالَهُ
وطافوا به من كلِّ ناحيَةٍ زُمَرْ
وقالوا: صنعناهُ لتخليدِ رسمِهِ
فقلتُ: ألا يفنى كما فَنيَ الأثَرْ؟
وقالوا: نصَبْناه اعترافاً بفضلِهِ
فقلتُ: إذنْ من يعرفِ الفضلَ للحجَر؟
وقالوا: غنيٌّ كان يسخو بماله
فقلت لهم: هل كان أسخى من المطر؟
وقالوا: قويٌّ عاش يحمي ذِمارَنا
فقلتُ لهم: هل كان أقوى من القَدَر؟
أكانَ غنياً أم قويّاً فإنه
بمالِكُمُ استغنَى وقوتِكمْ ظفِر
فَلَمْ يتَعشقْكمْ ولا همتمْ به
كما خلتمُ، لكنه النفعُ والضَّرَر
ولم ترفعوا التمثالَ للبأسِ والنَّدَى
ولكنْ لضَعْفٍ في نفوسكمُ اسْتتَر
فَلستمْ تحبون الغنيَّ إذا افتقرْ
ولستمْ تحبونَ القويَّ إذا اندَحر
رأيتكمُ لا تعرُجونَ بروضةٍ
إذا لم يكنْ في الروضِ فيءٌ ولا ثَمر

ولا تَـعْـلِـفـون الـشـاةَ إلا لِـتَـسْـمـنـوا
ولا تَـقْـتَـنـونَ الخـيلَ إلا عـلى سَـفَـر
إذا كـان حبُّ الـفـضلِ لـلـفـضلِ شـأنـكمْ
ولم تُخطِئوا في الحسِّ والسَّمعِ والبَصَر
فـمـا بـالـكُمْ لم تُكرمـوا الـليل والـضُّحَى؟
ولم تَـنـصـبـوا الـتِّـمـثـالَ لـلـشمسِ والقـمر؟

✱✱✱✱

١٥ - المساء

[مجزوء الكامل]

السُّحبُ تركضُ في الفضاءِ الرَّحبِ ركضَ الخائفِينْ
والشمسُ تبدو خلْفَها صفراءَ عاصبَةَ الجبينْ
والبحرُ ساجٍ صامتٌ فيه خشوعُ الزاهدينْ
لكنَّما عيناكِ باهِتتَانِ في الأفق البعيدْ
سلمى!... بماذا تُفْكرينْ؟
سلمى!... بماذا تَحْلَمينْ؟

أرأيتِ أحلامَ الطفولةِ تختفي خلف التُّخومْ؟
أم أبصرَتْ عيناكِ أشباحَ الكهولةِ في الغيومْ؟
أم خفْتِ أن يأتى الدّجى الجاني ولا تأتي النجومْ؟
أنا لا أرى ما تَلْمحينَ من المشاهدِ إنَّما
أظلالُها في ناظريكِ
تَنِمُّ يا سلمى عليكِ

إني أراكِ كسائحٍ في القَفْر ضلَّ عن الطريقْ
يرجو صديقاً في الفلاةِ، وأين في القَفْر الصَّديقْ
يهوى البروقَ وضوءَها ويخافُ تخدعُه البروقْ
بل أنتِ أعظمُ حيرةً من فارسٍ تحت القَتَامْ[1]
لا يستطيعُ الانتصارْ
ولا يطيقُ الانكسارْ

(١) الغبار .

هــذى الــهــواجِسُ لم تــكن مــرســومــةً في مــقــلَــتــيْكِ
فــلــقــدْ رأيــتُك في الــضّــحى ورأيــتُه في وجــنَــتــيْكِ
لــكنْ وجــدتُك في المــســاء وضَــعتِ رأسكِ في يــديكِ
وجلــستِ في عــيــنــيكِ ألــغــازٌ وفي الــنــفسِ اكــتــئــابْ
مــثلُ اكــتــئــابِ الــعــاشــقــيْنْ
ســلــمى... بمــاذا تــفْــكــريْنْ؟

☆☆☆☆☆

بــالأرضِ كــيف هــوتْ عــروشُ الــنــور عن هــضــبــاتِــهــا؟
أمْ بــالمــروجِ الخُــضْــرِ ســادَ الــصــمتُ في جــنــبــاتِــهــا؟
أم بــالــعــصــافــيــرِ الــتي تــعــدو إلى وُكُــنــاتِــهَــا؟
أم بــالمــســا ؟ إنَّ المــســا يُــخــفي المــدائنَ كــالــقــرى
والــكــوخَ كــالــقَــصــرِ المــكــيْنْ
والــشَّــوكَ مــثلَ الــيــاســمــيْنْ

☆☆☆☆☆

لا فــرقَ عــنــد الــلــيل بــين الــنــهــرِ والمــســتــنــقَعِ
يــخــفي ابــتــسَــامــاتِ الــطــروبِ كــأدمُعِ المــتــوجِّعِ
إنَّ الجــمــالَ يــغــيبُ مــثلُ الــقــبحِ تحت الــبُــرقع
لــكنْ لمــاذا تجــزعــينَ عــلى الــنــهــارِ ولــلــدُّجى
أحــلامُــهُ ورغــــــائــــــبهْ
وســــــمــــــاؤُهُ وكــــــواكــــــبُهْ

☆☆☆☆☆

إن كــان قــد ســتــرَ الــبلادَ ســهــولَــهــا ووعــورَهَــا
لم يــســلُبِ الــزَّهــرَ الأريجَ ولا المــيــاهَ خــريــرَهــا
كلا. ولا مَــنعَ الــنَّــســائمَ في الــفــضــاء مــســيــرَهَــا
مــا زالَ في الــورقِ الحــفــيفَ وفي الــصَّــبَــا أنــفــاسَــهَــا

والـــــعـــــنـــــدلـــــيـبِ صُـــــداحَهُ
لا ظـــــفـــــرَهُ وجـــــنـــــاحَهُ

فـاصـــغَيْ إلى صـــوتِ الجـداولِ جـاريـاتٍ في الـســفـوحْ
واســتـــنـــشـــقي الأزهـــارَ في الجـنَّـاتِ مـا دامتْ تـفـوحْ
وتـــمـــتَّـــعي بـــالـــشُـــهْبِ في الأفلاكِ مـــا دامتْ تـــلـــوحْ
مِن قَـــبْلِ أن يـــأتي زمـــانٌ كـــالـــضّـــبـــابِ أو الـــدخـــانْ
لا تـــبـــصـــرينَ به الـــغـــديـــرْ
ولا يَـــــلَـــــذُّ لكِ الخـــــريـــــرْ

لـــتـــكُنْ حـــيـــاتُكِ كـــلُّـــهـــا أملاً جـــمـــيلاً طـــيِّـــبَـــا
ولْـــتـــملأِ الأحلامُ نـــفـــسَكِ في الـــكـــهـــولـــةِ والـــصِّـــبـــا
مـــثلَ الـــكـــواكب في الـــســـمـــاء وكـــالأزاهـــرِ في الـــرُّبـــا
لـــيـــكنْ بـــأمـــرِ الحبِّ قـــلـــبُكِ عـــالَـــمـــاً في ذاتهِ
أزهـــــــــارُه لا تـــــــــذبُـلُ
ونجـــــــــومُـهُ لا تـــــــــأفُـلُ

مـــات الـــنـــهـــارُ ابنُ الـــصـــبـــاحِ فلا تـــقـــولي كـــيف مـــاتْ
إن الـــتَّـــأملَ في الحـــيـــاة يـــزيـــدُ أوجـــاعَ الحـــيـــاةْ
فـــدعي الـــكـــآبـــةَ والأسى واســـتـــرجـــعي مـــرَحَ الـــفـــتـــاةْ
قـــد كـــان وجـــهُكِ في الـــضـــحى مـــثلَ الـــضـــحى مـــتـــهـــلّلا
فـــيـــه الـــبـــشـــاشـــةُ والـــبـــهـــاءْ
لـــيـــكنْ كـــذلكَ في المـــســـاءْ

١٦ - الكمنجة المحطمة

[الكامل]

شـــاهـــدتُـــهـــا كـــالمـــيْتِ في أكـــفـــانه
فَـــوجَـــمتُ إلا عَـــبْـــرةً أُذريـــهـــا
مـــهـــجـــورةً كـــســـفـــيـــنـــةٍ مَـــنـــبـــوذةٍ
في الـــشَّطِ غـــابَ وراءَهُ مـــاضـــيـــهـــا
نـسَجتْ عليـها الـعنـكبوتُ خيـوطَهَا
وكـســا الـغـبـارُ غُلالـةً تـكـسـوهـا
أقـوَتْ وبـانتْ كـالمـسـامعِ بـعـدَهـا
لا شيءَ يُـطـربُـهَـا ولا يَـشْـجِـيـهـا
وكـأنـهـا في صَـمـتـهـا مـشـدوهـةٌ
ألاّ تـرى بـهُـتَـافِـهَـا مَـشْـدوهـا
لا حسَّ في أوتـارهـا، لا شـوقَ في
أضلاعِـهـا، لا حُـسْنَ في بـاقـيـهـا
فـارزحْ بـحـزنِكَ يـا حـزينُ فـإنـهـا
لا تـنـشـرُ الـشـكـوى ولا تـطـويـهـا
وإذا انـقـضى عـهـدُ الـتـعـلُّلِ بـالمـنى
فـالـنـفسُ يَـشْـفـيـهـا الـذي يُـرديـهـا

☆☆☆☆☆☆

لـلهِ عـهْـدٌ مَـرَّ لي في ظـلِّـهـا
أبـكي عـلـيه وتـارةً أبـكـيـهـا

كـانتْ كـأن ضـلـوعَـهـا مـوصـولـةٌ

بـأضـالِـعي، وسـرائـري في فِـيـهـا

كم مَـرَّةً حـامتْ غـرابـيبُ[1] الأسى

لِـتُـقـيتَ من قـلـبي الجـريحِ بَـنـيـهَـا

فـإذا الأغـاريـدُ الـلـطـيـفـةُ دونَـهـا

سُـوْرٌ يـصـونُ حُـشـاشَـتي ويـقـيـهـا

كم هـزّني الـشَّـدوُ الـرخـيمُ فـسـاقـطتْ

نـفـسي هُـمـومـاً أوشـكتْ تُـبـلـيـهـا

فـإذا أنـا مـثلُ الـبـنـفـسـجـةِ الـتي

ذَبُـلتْ فـبـاكَـرَهـا الـنـدى يُـحـيـيـهـا

ولـكمْ سـمـعتُ خـفـوقَ أجـنـحـةِ المـنى

وحـفـيـفَـهَـا في نـغـمـةٍ تـوحـيـهـا

فـسـكـرتُ حـتى مـا أعي، سُـكْـرَ امـرئٍ

بـالخـمـرِ أتـرعَ كـأسَهُ سـاقـيـهـا

ورأيـتُـنـي في جـنـةٍ سـحـريّـةٍ

لا يـرتـوي من حُـسـنِـهـا رائـيـهـا

ولمحتُ أحلامَ الـشـبـابِ مـواكـبـاً

تَـتـرَى أمـامي، والـهـوى حـاديـهـا

سِـرُّ الـسـعـادةِ في الـرؤى إن الـرؤى

لا كفَّ تُـثـبـتُـهـا ولا تـمـحُـوهـا

---

(١) شديدة السواد .

ولـكمْ سـمـعتُ دبـيبَ أشـبـاحِ الأسى
عـنـد المـسـا في أنّـةٍ تُـزجِـيـهـا
فـذكـرتُ ثَمّ مـحـاسـنـاً تحت الـثـرى
غـابتْ وشـوَّهَـهـا الـبِـلَى تـشـويـهـا
فـإذا أنـا كـالـسِّـنـديـانـةِ شـوّشتْ
أغـصـانَـهـا الـريحُ الـتي تَـلـويـهـا
أو كـالـسـفـيـنـةِ في الـضَّـبـابِ طـريـقَـهـا
ضـلّتْ، وغـابتْ أنجمٌ تَـهـديـهـا
شَـهِـدَ الـدُّجى والـفـجـرُ أني جـازعٌ
لـسـكُـوتـهـا جـزعَ الـغَـديـرِ أخـيـهـا
مـا إن سـمـعتُ أنـيـنَهُ ونـشـيـجَهُ
إلا ويـعـرو الـنـفسَ مـا يَـعْـرُوهـا
روَّى الـثَّـرى يـا لـيتَ روحيَ في الـثـرى
أو في الـنـبـاتِ لـعـلَّهُ يُـرويـهـا
يـا صـاحـبيَّ وفي حـنـايـا أضـلـعي
همٌّ يـكُظُّ الـروحَ بل يُـدمـيـهـا
إن الـتي نـقـلتْ حـكـايـاتِ الـهـوى
لم يـبقَ غـيـرُ حـكـايـةٍ تَـرويـهـا
كـمـديـنـةٍ دَكَّ الـقـضـاءُ صـروحَـهـا
دكّـاً، وكـفّن بـالـسـكـوتِ ذويـهـا
نُـعِـيَتْ فَـرِيعَ الـفـجـرُ وارتـعشَ الـدُّجى،
مـا كـان أهـونَـهـا عـلى نـاعِـيـهـا

لا تـعـجـبـا في الـغـاب من نَـوْحِ الـصَّـبَـا
وعَـويـلِـهـا إنّ الـصَّـبـا تَـرثـيـهـا
لـو تـسـمـعـانِ نجـيَّـهـا مـتـمـشـيـاً
كـالـسِّـحـرِ في الأرواحِ يَـسْـتَـهـويـهـا
لَـعَـلِـمْـتُـمـا أن الـقـضـاءَ اغـتـالـهـا
كَـيـلا تـبـوحَ بـكلِّ سـرٍّ فـيـهـا

✱✱✱✱

١٧ - زهرة أقحوان

[مجزوء الرمل]

كـــان في صـــدريَ ســـرٌّ كـــامِنٌ كـــالأُفـــعـــوانِ
أتـــوقّـــاهُ وأخـــشـى أن يـــراهُ من يـــراني
وإذا لاحَ أمـــامي عَـــقَلَ الـــذُّعـــرُ لـــســـاني
فـــكـــأني عـــنـــدَ بـــحـــرٍ هـــائجٍ أو بُـــرّكـــان[١]
لـم أخَـــفْهُ غـــيـــرَ أني خـــفتُ أبـــنـــاءَ الـــزمـــان
ولـــكَم فَـــانٍ نـــظـــيـــري خـــافَ قـــبـــليَ بـــطشَ فَـــانِ

☆☆☆☆☆☆

لـم يَـسَـعْ سـرِّي فـؤادي، لـم تـسَـعْ نـفـسي المـعـاني
فـقـصـدتُ الـغـابَ وحـدي والـدجى مُـلْـقى الجِـران[٢]
ودفـنـتُ الـسـرَّ فـيه مـثـلـمـا يَـدفنُ جَـان
ورأى الـلـيلُ قـتـيـلي فـبـكـاهُ وبـكـاني
إنَّ لـلـيلِ دمـوعـاً لا تـراهـا مُـقـلـتـان

☆☆☆☆☆☆

كـنتُ حـتى معْ ضَـمـيـري أمس في حـربٍ عَـوانِ
فـانـقـضَى عـهـدُ الـتَّـجـافي وأتى عـهـدُ الـتَّـداني
خُـدِّرَتْ روحي فـأمـسَى شـأنُ جُلِّ الخَـلْقِ شـاني
لا أرى في الخـمـر مـعـنًى، ولـكَمْ فـيـهـا مـعـانِ!
فـكـأني آلـة الـعـاصـرِ أو إحـدى الأواني
لـم يَـعُـدْ قـلـبيَ كـالـبـرقِ شـديـدَ الخَـفـقَـان

---

(١) التشديد لضبط الوزن .

(٢) مقدم عنق البعير، يمده على الأرض فيقال : ألقى جرانه بالأرض .

لم تَـعُـدْ نـفـسيَ كـالـنـجـمـةِ ذاتِ الـلـمـعـان
بتُّ لا أبـكى لمـظـلـومٍ ولا حُـرٍّ مُـهَـان
لا ولا أحـفِلُ بـالـبـاكي ولـو ذو صَـولجَـان
صِـرتُ كـالـصَّـخـرِ، سـواءٌ هـادمٌ عـنـدي وبـانِ !

☆☆☆☆☆

يَـالأَمَـانيَّ الـغَـوالي! يـا لأحلامِي الحِـسَـانِ!
طـوَتِ الـغـابـةُ سـرِّي فـانـطـوتْ مَـعْه الأمـاني
ضـاعَ لـمّـا ضـاعَ شيءٌ من كـيـاني، بل كـيـاني
في صـبـاحٍ مـسـتـطـيـرٍ كـصـبـاحِ المِـهـرجَـان
لَـبِـسَتْ فـيـه الـروابي حُـلّـةً من أُرجـوان
وتَـبـدّى الـغـابُ من أوراقه في طـيـلـسـان
سـاقـنـي روحٌ خـفـيٌّ نـحـوَ ذيَّـاكِ المـكـان
فـإذا بـالـسِّـرِّ أضـحَـى زهـرةً من أُقـحـوان!

✱✱✱✱

١٨ - الأسرار

[الكامل]

يـا لـيـتَـني لصٌّ لأسـرُقَ في الـضَّـحَى
سـرَّ الـلَّـطـافـةِ في الـنَّـسـيمِ الـسَّـاري
وأجسَّ مـؤتَـلِقَ الجـمـالِ بـإصـبـعي
في زرقـةِ الأُفق الجـمـيلِ الـعـاري
ويـبـينَ لي كُـنْهُ المـهَـابـةِ في الـربُّـا
والـسـرُّ في جـذَل الـغـديـرِ الجـاري
والـسِّـحـرُ في الألـوانِ والأنـغـام والْـ
أنـداءِ والأشْـذاءِ والأزهـار
وبـشَـاشـةُ المـرجِ الخـصـيبِ ووحـشـةُ
ـوادي الـكـئـيبِ وصـولـةُ الـتَّـيـار
وإذا الـدُّجى أرخى عـلـيَّ سُـدولَهُ
أدركتُ مـا في الـلـيـلِ من أسـرار
فـلـكَمْ نـظـرتُ إلى الجـمـالِ فَـخِـلـتُهُ
أدنى إلى بـصـري من الأشـفَـار[1]
فـطـلَـبـتُهُ فَـإذِ الـمَـغـالقُ دونَهُ
وإذا هـنـالكَ ألفُ ألفِ سـتـار
بـادٍ ويـعـجِـزُ خـاطـري إدراكَهُ
وا فِـتْـنَـتي بـالـظـاهـرِ المـتَـواري!

****

(١) شُفر العين : حرف الجفن الذي ينبت عليه الهدب .

١٩ ـ العميان

[الخفيف]

كَمْ خفَضْنا الجناحَ للجاهلينا
وعَذرناهمُ فمَا عذَرونا
خبِّروهُمْ يا أيها العاقلونا
إنَّما نحنُ معشرَ الشُّعراءِ
يتجلَّى سرُّ النبوَّةِ فينا

ذكّروهُمْ فربَّ خيرٍ كبيرِ
فعَلَتْهُ الهُداةُ بالتَّذكيرِ
إنما الناسُ من ترابٍ ونورِ
فَبَنو النورِ يعبدونَ النُّورا
وبنو الطينِ يعبدون الطِّينا

قيلَ عنَّا قُصُورنا من هباءِ
تتلاشى في ضَحوةٍ ومساءِ
أو سطورٌ بالماء فوقَ الماءِ
لو سكَنتمْ قصورَنا بعضَ ساعهْ
لَنسيتمْ شهورَكُمْ والسِّنينا

لو دخلتُمْ هياكلَ الإلهامِ
وسرحتُمْ في عالمِ الأحلامِ
واجْتليتُمْ سرَّ الخيالِ السَّامي

وعــرفــتُمْ كــمــا عــرَفــنــا الــلهَ
لخــررتُمْ أمــامــنــا ســاجــديــنــا

قـد سَـقـتْـنـا الحـيـاةُ كـأسـاً دهـاقـا
حــسُــنتْ نـكــهــةً، وطــابت مَـذاقــا
وسَـقَـيْـنَــا ممـا شـربْـنَـا الـرِّفـاقـا
فــتــركــنــاهُمُ حــيــارى سُــكــارى
يــتــمــنَّــونَ أنــهمْ لا يَــعــونــا

هَــمُّــكُمْ في الــكــؤوسِ والأكــوابِ
آهِ لــو كــان هَــمُّــكُمْ في الــشــرابِ
لــطَـرحــتمْ عــنــكمْ قــيــودَ الــتُّــراب
وشــعــرتُمْ بــلــذَّةٍ أو عــذابِ
هــذه الخــمــرُ لــيــتــكُمْ تــشــربــونــا!

أتــقــولــونَ: إنه مــجــنــونُ!
أتــقــولــونَ: إنه مــفــتــونُ!
أتــقــولــونَ: شــاعــرٌ مــســكــينُ!
كم مــلــيكٍ، كم قــائــدٍ، كم وزيــرٍ
ودَّ لــو كــان شــاعــراً مــســكــيــنــا

عــاش «مِـلــتــن» فـلـم يـكنْ مـذكـورا
و«هـومـيـروسُ» «كـالـشـيخ» كـان ضـريـرا
ولــقــد مــاتَ «ابن بُــردٍ» فــقــيــرا
أرأيــتمْ كــمــا رأى الــعــمــيــانُ؟
أفــلــســتمْ بــنــورهِمْ تَــهــتَــدونــا ؟

✱✱✱✱

٢٠ - الزمان

[الكامل]

يمشي الزَّمانُ بمَنْ ترقّبَ حاجةً
مُتَثاقلاً كالخائفِ المتردِّدِ
حتى ليحسَبَهُ أسيرًا مُوثَقاً
ويراهُ أبطأَ من كسِيحٍ مُقعَدِ
ويخالُ حاجتَهُ التي يصبو لها
في دارة الجوزاءِ أو في الفَرْقَدِ
ويكونُ ما يرجوهُ زَوْرةَ صاحبٍ
ويكونُ أبعدَ ما يُرجِّي في غدِ

⁂

فإذا تولَّى النفسَ خوفٌ في الضحى
من واقبٍ[١] تحت الدجى أو معتَدِ
طارتْ بها خَيْلُ الزمانِ ونُوقُهُ
نحو الزمانِ المدلَهمِّ الأسودِ
فكأنها محمولةٌ في بارقٍ
أو عارضٍ أو عاصفٍ في فَدْفَدِ[٢]

⁂

ويكونُ أقصرَ ما يكونُ، إذا الفتى

---

(١) داخل (وقب : دخل).
(٢) الأرض الواسعة المستوية .

مَـدَّتْ له الـدنـيـا يـدَ المـتـودَّد
فـتـوسّطَ الـلَّـذاتَ غـيـرَ مُـنـفَّـرٍ
وتـوسَّـدَ الأحلامَ غـيـرَ مـنـكَّـد
فـإذا لـذيـذُ الـعـيشِ نُـغـبـةَ طـائـرٍ
وإذا طـويلُ الـدهـرِ خـطـرةَ مِـرْود

وإذا الـفـتى لَـبِسَ الأسى ومـشى به
فـكـأنمـا قـد قـال لـلـزمنِ اقْـعُـدِ
فـإذا الـثـواني أشـهـرٌ، وإذا الـدَّقـا
ئقُ أعـصُـرٌ، والحـزنُ شيءٌ سَـرمـدي
وإذا صـبـاحُ أخي الأسى أو لـيـلُهُ
مـتـجـددٌ مع هـمِّهِ المـتـجـدِّد
قـهَـرَ الـوَرى وأذلَّـهمْ أنَّ الـورى
مـتـعـللٌ أو طـامعٌ أو مُـجـتَـدِ
جـعـلـوا رغـائـبَـهُمْ قـيـاسَ زمـانِـهمْ
والـدهـرُ أكـبـرُ أن يـقـاسَ بمـقْـصِـد
وقـتـلتُ في نـفـسي الـرغـائبَ والمـنى
فـقـهـرتُه بـتَـجَـرُّدي وتـزهُّـدي
يشـكـو الـذي تـشـكـو الـسُّـهـادَ جـفـونُه
لـو لم يـكن ذا نـاظـرٍ لم يـسْـهَـد
إنْ كـان شيءٌ لـلـنـفـادِ أعـدَّهُ
في مـا انـقـضَى ومـضى، وإن لم يـنـفَـد
مـا إن رأيتُ الـكُـحلَ في حَـدَقِ الـمَـهـا
إلا لمحتُ الـدّودَ خـلـف الإثـمِـد
من لـيس يـضـحكُ والـصـبـاحُ مُـورِّدٌ

لم يكتئبْ والصبحُ غيرُ مُوردٍّ
سيّانِ أحلامٌ أراها في الكرى
عندي، وأشياءٌ بها اشتملتْ يدي
أنا في الزمانِ كموجةٍ في زاخرٍ
أنا فيه إنْ يُزبِدْ وإنْ لم يُزبد
مهما تلاطمَ فهوَ ليس بمُغْرقِي
أو مُخْرِجي منه ولا بمُبَدِّدي
هيهاتَ ما أرجو ولا أخشى غداً
هل ارتجي وأخافُ ما لم يوجِد
والأمسُ فيَّ فكيفَ أحسَبَهُ انتهى
أفما رأيتُ الأصلَ في الفرْعِ النَّدِي؟
قبْلٌ كبَعْدٍ حالةٌ وهميَّةٌ
أمسي أنا، يومي أنا، وأنا غدي

✱✱✱✱

٢١ - اليتيم

[الخفيف]

خـــبِّـــروني مـــاذا رأيـــتمْ ؟ أأطـــفـــا
لاً يـــتـــامى أمْ مـــوكـــبـــا عَـــلَـــويَّـــا
كـــزهـــورِ الـــربـــيعِ عَـــرْفـــاً زكـــيَّـــاً
ونجـــومِ الـــربـــيعِ نُـــوراً ســـنـــيّـــا
والـــفـــراشـــاتِ وثـــبـــةً وســـكـــونـــاً
والـــعـــصـــافـــيـــرِ بل ألـــذُّ نجـــيّـــا
إنـــني كـــلـــمـــا تـــأمَّـــلتُ طـــفلاً
خِـــلتُ أني أرى ملاكـــاً ســـويّـــا
قل لمن يـبـصـرُ الـضَّـبـابَ كـثـيـفـاً
إن تحت الـضَّـبـاب فـجـراً نـقـيّـا
الـيـتـيـمُ الـذي يـلـوحُ زريّـاً
لـيس شـيـئـاً، لـو تـعـلـمـونَ، زريَّـا
إنَّهُ غـرسَـةُ سَـتُـطْـلِعُ يـومـاً
ثـمـراً طـيـبـاً وزهـراً جـنـيّـاً
ربمـــا كـــان أودعَ الـــلـــهُ فـــيه
فـيـلـسـوفـاً، أو شـاعـراً، أو نـبـيّـا
لم يـكنْ كلُّ عـبـقـريٍّ يـتـيـمـاً
إنمـا كـان كـالـيـتـيمِ صـبـيّـا
لـيس يـدري لـكـنه سـوف يـدري
أن ربَّ الأيـتـامِ مـا زال حـيّـا

عـنـدمـا يـصـبحُ الـصـغـيـرُ فـتـيّـاً
عـنـدمـا يـلـبسُ الـشَّـبـابُ حُـلـيّـا
كلُّ نجمٍ يـكـونُ، من قَـبِل أن يَـبْـ
ـدو سـديمـاً، عن الـعـيـون خـفـيّـا
إنْ يكُ المـوتُ قـد مـضى بـأبـيه
مـا مـضى بـالـشـعـور فـيك وفـيّـا
وشـقـاءٌ يُـولِّـد الـرفقَ فـيـنـا
لَـهُـوَ الخـيُـر بـالـشـقـاء تَـزيّـا
لا تـقـولـوا مَن أمُّهُ ؟ مَن أبـوه ؟
فـأبـوهُ وأمّـهُ سـوريّـا
فـأعـيـنـوه كي يـعـيشَ ويـنـمـو
نـاعمَ الـبـالِ في الحـيـاة رضـيّـا
رُبَّ ذهنٍ مـثلَ الـنـهـارِ مُـنـيـرٍ
صـار بـالـبـؤس كـالـظلامِ دَجِـيّـا
كم أثـيمٍ في الـسـجنِ لـو أدركـتْهُ
رحـمـةُ الـلـهِ كـان حُـرّاً سَـرِيّـا
حـارِبـوا الـبـؤسَ في الـصِّـغـار صـغـاراً
قـبل أن يـسـتـبـد فـيـهم قـويّـا
كـلُّـهمْ ذلك الجـريحُ المـلـقَّى
فـلـنـكنْ كـلـنـا الـفـتى «الـسَّـامِـريّـا»[1]

✱✱✱✱

(١) قصته في القرآن الكريم (سورة طه، الآيات : ٨٥ وما بعدها). وهو الذي أخرج لقوم موسى العجل الذهبي بعد خروجهم من مصر.

٢٢ - المجنون

[مختلط]

أطـار عـني الـنـومَ صـوتٌ في الـدَّجى
كـــأنه دمـــدمـــةُ الـــشَّلالِ
يـصـــرخُ والـــريحُ تـــردِّدُ الـــصَّـدى
في أذُنِ الـــفـــضـــاء والـــتِّلال
يـــا لـــيلُ قفْ هـــنـــيـــهَـــةً قُـــبَـــالي
تـــرى الـــبَـــرايـــا وأرى الـــلـــيـــالي
أنـــا الـــشَّـــادي، أنـــا الـــبـــاكي،
أنـــا الـــعـــاري، أنـــا الـــكـــاسي
أنـــا الخـــمـــرة والـــدَّنُّ
أنـــا الـــسَّـــاقي، أنـــا الحـــاسي

☆☆☆☆☆

خـلـعتُ ثـوبـاً لم تـفـصِّـلْهُ يـدي
وهـــمتُ في الـــوادي بلا ســـربـــال
وخـلْـتُـنِي انـطـلـقتُ من سَلاسـلِي
وخَـــلُـــصتْ ذاتي من الأوحـــال
فـــلـــم أزلْ أرسـفُ فـي أغـلالـي
ولم أزل في حـــنـــدسِ الـــمُـــحـــالِ
فـــمـــا أبـــكي من الـــغُـــرْبَـ
ـــــة عن جـــارٍ وعن خَـــدَن
فـــقـــد يـــرجعُ جـــيـــراني
وتُـــنـــفَى غُـــرْبَـــتي عَـــنِّي

☆☆☆☆☆

عــرفتُ في الــنــهــارِ كلَّ مُــقــبلٍ
ومُــدبــرٍ، ومــا عــرفتُ حــالي
واسْـتَـتَـرتْ عـني الـسـهـولُ والـرُّبـا
تحت الـدُّجى، والـبـحـرُ ذو الأهـوالِ
لـكـنَّـمـا لم تـسـتـتـرْ آمـالـي
عــني ولا نــقــصي ولا كــمــالـي
ولا ضــعــفي ولا عــزمي
ولا قُــبــحي ولا حــسـني
فــكم أهــربُ من نــفــسي
ومــا لـي مــهــربٌ مــني

فـقـلتُ: من هـذا ؟ فـقـال صَـحـبي:
مُــوَسْــوَسٌ يــهــذي من الخــيــال
يــأوي إلى الأدغــال في نــهــارِه
كــأنه جــزءٌ من الأدغَــال
وفـي الــدُّجى له صــراخٌ عــالِ
كــأنه والــلــيلَ في نــضــالِ
كــأنَّ الــلــيلَ يــوثِــقُهُ
بــأغـلالٍ وأمــراسِ
ويــضــربُ جــسـمَهُ الــعــاري
بــسَــوطِ الــظــالم الــقــاسي

مــا إنْ رآه أحــدٌ إلا رآ
هُ شــاخصَ الــطَّــرفِ إلى الأعــالي

كـــأنمـــا يـــرقبُ ركْـــبَـــاً صـــاعـــداً
أو هـــابـــطـــاً ولـــيس غـــيـــرَ الآل[1]
كـــأنمـــا يـــخـــشى عـــلى الـــهـلالِ
وســـائـــرِ الـــشُّـــهبِ من الـــزوال
فـــصـــاحَ الـــصـــوتُ : مـــا أرجـــوه
فـي نـــفـــسـي ومـــا أحـــذَرْ
فـــمـــهـــمـــا رحُـبَ الأفقُ
فـــنـــفـــسي الأفقُ الأكـــبَـــرْ

☆☆☆☆☆☆

لـــيس جلالُ الـــلـــيلِ مـــا أدهـــشـــني
وإنمـــا أدهـــشـــني جَلالـي
ولا جـمـــالُ الـــشُّـــهب مـــا حَـيّـرني
وإنمـــا حـــيَّـــرني جـــمـــالي
إن كـــان بي شَـــوقٌ إلى وِصَـــالِ
فـــإنمـــا شـــوقي إلى خـــيـــالي
تـــوشَّـــحتُ الـــضُّـــحى والـــلـــيـ
ـلَ في أُنْـــسِي وفـي حـــزنـي
فـــمـــا زاد الـــدّجى خـــوفي
ولا زاد الـــضّـــحى أمـــنـي

☆☆☆☆☆☆

لم أهـجـرِ الـنـاسَ فـأصـنـافُ الـورى
من الـــسَّلاطـــينِ إلى المـــوالي
إلى ذوي الـــعـــلم إلى أهل الـــغـــنى
من واصلٍ وهـــاجـــرٍ وســـالِ

---

(١) السراب .

وحـــــاضـــــرٍ وســـــابـقٍ وتـــــالِ
في قـبـضـتي «الـيـمـنى» بلا جـدالِ
تـلاق الأحـــــــــمـقُ الجَـــــــاهِـ
ـلُ والـــــــعـــــالِمُ فـي كـــــفّي
ومَـــن كـــــــــــــــان لـــه إِلْـفٌ
ومَـــن كـــــــــــــــان بـــلا إِلْـف

☆☆☆☆☆

وفي يـدي «الـشِّـمَـالُ» أشـكـالُ المـنى
وصـــــوَرُ الـــيـــقـــينِ والـــضَّـلالِ
وكلُّ مـــــا لـــــعـــــاقلٍ أو جـــــاهلٍ
مَـن لـــــــذَّةٍ أو ألـمٍ قَـــــتَّـــــالِ
وســـــائـــــرُ الأمـــــورِ والأحـــــوالِ
وكلُّ شـيء قـــــال شـــــخـصٌ: ذا لـي
وكـــــان الـــــلـــــيلُ قـــــد أزمـ
ـعَ أن يـــــحـــــدو مـــــطـــــايـــــاهُ
فـــســـاد الـــصَّـــمتُ في الـــوادي
كـــــأن المـــــوتَ يـــــغـــــشـــــاهُ

☆☆☆☆☆

فـسـرتُ، والـفـجـرُ دلـيلٌ، بـاحـثـاً
في الـــغـــابِ والـــسَّـــفـــوحِ والـــتلال
فـــلـم أجـــدْ غـــيـــرَ صـــريعٍ هـــامـــدٍ
مـــنـــطـــرحٍ في جـــانبِ الـــشَّلال
«لا شيء» في قـبـضـتهِ الـشِّـمـالِ
ولـيس في الـيُـمـنى سـوى «صَـلْـصَـال»!

✱✱✱✱

٢٣ - قطرة الطلّ

[مجزوء الرمل]

إنْ تـــرَ زهـــرةَ وردٍ، فـــوقَـــهـــا لـــلـــطلّ قـــطـــرَهْ
فـــتـــأمَّـــلْـــهـــا كـــلَـــغْـــزٍ غـــامضٍ تَـــجـــهلُ سِـــرّه
ولـــتـــكنْ عـــيـــنُكَ كـــفّـــاً، ولـــيـــكُنْ لَـــمـــسُكَ نـــظـــرَهْ
لـــيـــست الحـــمـــراءُ جِـــمـــرَهْ؛ لا ولا الـــبـــيـــضـــاءُ دُرَّه

رُبَّ روحٍ مـــثلِ روحي عـــافت الـــدنـــيـــا الـــمُـــضِـــرَّه
فـــارتـــقتْ في الجـــوّ تـــبـــغي مـــنـــزلاً فـــوق الـــمَـــجـــرَّه
عـــلّـــهـــا تحـــيـــا قـــلـــيلاً في الـــفـــضـــاء الحـــر حُـــرَّه
ذَرفَـــتْـــهـــا مُـــقـــلـــةُ الـــظـــلـــماءِ عـــنـــد الـــفـــجـــرِ قـــطـــرَه

✱✱✱✱

٢٤ - نار القرى[١]

[الكامل]

رُوحي الـــتي بـــالأمس كـــانت تـــرتَعُ
في الـغـاب مِـثلَ الـظـبـيَـةِ الـقَـمـراءِ
تـقـتَـاتُ بـالـثـمـرِ الجـنـيِّ فـتـشـبعُ
ويـــبُلُّ غُـــلَّـــتـــهـــا رِشـــاشُ المـــاء
نـظـرتْ إلـيك فـأصـبـحت لا تـقـنعُ
بـــالمـــاء والأفـــيـــاء في الـــغَـــبـــراء
تُـصـغِي وتُـنـصتُ، والحـمـامـةُ تـسـجَعُ
إصـــغَـــاؤهـــا لك لـــيس لـــلـــورْقَـــاء
نـاديـتَـهـا فـلَـهـا إلـيك تَـطـلُّعُ
هـذا الـتَّـطـلـعُ كـان أصلَ شـقـائي
جَـنَّـحْـتَـني كَـيـمـا أطـيـرَ فـلم أطـرْ
هـيـهـاتَ إنك قـد طـويتَ سـمـائي

قـد كـان يَـسْـبـيـني الجـمـالُ الـرائعُ
حـتى لـمَـحْـتُكِ فـهْـوَ لا يَـسْـبـيـني
عـصَـفتْ بـصـدري لـلـيـقـين زوابعُ
ثـلَّتْ عُـروشَ تـوهـمي وظـنـوني
فـأنـا عـلى مـا ضـاعَ مـنيَ جـازعُ
إن الـذي قـد ضـاعَ جِـدٌّ ثـمـين

(١) رمز، في الشعر القديم، لمواطن الوحي وضوئه، تعشو إليه الأنظار .

لــولاكِ مــا مــات الخــيــالُ الــيــافعُ
أفــتــعْــجَــبــينَ إذا كــرهتُ يــقــيــني
هــذا صَــنــيــعُكِ بي، فــمــا أنــا صــانعُ
قــد شــاء بــحــرُكِ أن تَــضلَّ سَــفِــيــني
جَــرَّدْتِ هــذا الــطــينَ من أوهــامِه
وكَــبِــرتِ عن قــارورةٍ من طــين

كــيف الــوصــولُ إلــيكِ يــا نــارَ الــقــرى
أنــا في الحــضــيضِ وأنتِ في الجــوزاء
لي ألفُ بــاصــرةٍ تَــحنُّ كــمــا تــرى
لــكــنّ دونَك ألفُ ألفِ غِــطــاء
لــو مِن ثــرىً، مــزَّقــتُــهــا بــيــدِ الــثَّــرى
لــكــنــهــا سِــجْفٌ من الأضــواء
ســاءلتُ قــلــبي إذ رأى فــتــحــيَّــرا
مــاذا شــربتَ فــمِــدْتَ ؟ قــال : دمــائي
يــا لــيــتَهُ قــد ظلَّ أعــمى كــالــورى
فــلــقــدْ نــعــمتُ، وكــان في ظــلــمــاء
قــد شَــوَّشتْ كفُّ الــنــهــارِ سَــكِــيــنــتي
يــا هــذه رُدّي إليَّ مــســائي

أمــسيتُ حــينَ لَــمــسْــتــني بــيــديكِ
لي ألفُ بــاصــرةٍ وألفُ جــنــاحِ
ولمحتُ نــار الــوحي في عــيــنــيكِ
والــوحيُ كــان سُلافــةَ الأرواح
فــنــشَــرْتُ أجــنــحــتي وحَــمتُ عــلــيكِ
مــتــوهِّــماً أني وجــدتُ صــبــاحي

قــد كــان حَــتــفي في الــدُّنِّــو إلــيكِ
حَــتْفَ الــفــراشــةِ في فمِ المــصــبــاح
فــســقــطتُ مــرتــعــشــاً عــلى قــدمــيكِ
الــنــارُ مَــهــدي والــدخــانُ وِشَــاحي
يــا لــيتَ نــورِكِ حــين أحــرقــني انــطــوى
فــعــلى ضــيــائكِ قــد لمــستُ جــراحي

✱✱✱✱

٢٥ - ابن الليل

[مجزوء الرمل]

أشــرفَ الــبــدرُ عــلى الــغــابــة في إحــدى الــلــيــالي
فــرأى الــثــعــلبَ يمــشي خِــلْــسَــةً بــين الــدوالي
كــلّــمــا لاحَ خــيــالٌ خــافَ من ذاكَ الخَــيــالِ
واقْــشَــعــرَّا

ورأى لَــيــثــاً هَــصُــوراً واقــفــاً عــنــد الــغــديــرْ
كــلــمــا اســتــشــعــرَ حــسّــاً ملأَ الــوادي زئــيــرْ
فــإذا بــالمــاء يــجــري خــائــفــاً عــنــد الــصــخــورْ
مُــكْــفــهــرَّا

ورأى الــبــدرَ ابنُ آوى يــتــهــادَى في الــفــضــاءْ
كــمَــلــيكٍ حــولَهُ الــشُّــهبُ جــنــودٌ وإمَــاء
قــالَ: لــو كــنتُ رفــيقَ الــبــدرِ، أو بــدرَ الــسَّــمــاء
أو خــيــالَهْ

عِــشْتُ حُــرّاً جــيــرتي الــشُّــهْبُ، ولي الــظــلــمــاءُ مــركبْ
آمــنــاً، ألــعبُ بــالــبــرقِ وطــوراً بيَ يــلــعبْ
لا أبــالي ســطــوةَ الــراعي ولا الــكــلبَ المجــرَّبْ
وصــيــالَهْ

غــيــرَ أنَّ الــلــيثَ لمــا أبــصــرَ الــبــدرَ الــضَّــحُــوكــا
قــال: يــا ابنَ الــلــيلِ مــهــمــا أشــتــهي لا اشْــتَــهــيــكــا
أنت وضَّــاحٌ ولــكنْ قــاحلٌ لا صَــيــدَ فِــيــكــا
أو حــيــالَكْ

لكَ هـــذا، الأُفق لـــكنْ هـــو أيـــضـــاً لـــلـــكـــواكبْ
إنمـــا لـــو كـــنتَ لَـــيـــثـــاً ذا نـــيـــوبٍ ومـــخَـــالبْ
لم تـــعِثْ في وجـــهكَ الـــوضَّـــاحِ ألحـــاظُ الـــثـــعـــالبْ
صُن جـمـالكْ

✷✷✷✷

٢٦ - أنا

[الكامل]

حُـــرٌ ومـــذهَبُ كلِّ حُـــرٍّ مـــذهـــبي
مـــا كـنتُ بـالـغـاوي ولا المـتـعـصِّبِ
إني لأغـــضبُ لـــلـــكـــريم يـــنـــوشُهُ
مَن دونَـهُ وألـــــومُ مَـن لـم يـــــغـــــضَب
وأُحـبُّ كـلَّ مـــــــهـــــــذبٍ ولـــــــو أنـهُ
خـــصـــمي، وأرحم كلَّ غـــيـــرِ مـــهـــذب
يـــــأبَـى فـــــؤادي أن يمـــــيلَ إلى الأذى
حُبُّ الأذيـــةِ من طِـــبـــاعِ الـــعـــقـــرب
لِـيَ أن أردَّ مَـــــســـــــاءةً بمَـــــســـــــاءةٍ
لـــــو أنـــــني أرضَـى بـــبـــرقٍ خُـــلَّب
حـسبُ المـسـيـئِ شـعـورُهُ، ومـقـالُهُ
في ســـرّهِ: يـــا لـــيـــتَـــني لم أذنب

أنـا لا تـغـشُّـنيَ الـطَّـيـالسُ والحُـلى
كم في الـطَّـيـالـيسِ من سـقـيمٍ أجْـربِ
عـــيـــنـــاكَ من أثـــوابهِ في جـــنَّـــةٍ
ويـــداكَ من أخلاقـه في سَـــبْـــسَب
وإذا بـصُـرتَ به بـصـرتَ بـأشـمطٍ
وإذا تُـــحَـــدِثُه تَـــكَـــشَّفَ عن صـــبي

إني إذا نـــزلَ الـــبَلاءُ بـــصـــاحـــبي
دافـعتُ عـنه بـنَـاجِـذِي[1]وبمـخـلـبي
وشـددتُ سـاعِـدَهُ الـضـعـيفَ بـسـاعـدي
وسـتـرتُ مـنـكِـبَهُ الـعُـريَّ بمَـنـكـبي
وأرى مـــســـــاوئَـهُ كـــأنيَ لا أرى
وأرى مـــحـــاســـنَهُ وإنْ لم تُـــكـــتَب
وألـومُ نـفـسـي قَـبْـلَهُ إن أخـطَـأَتْ
وإذا أســـــاء إليَّ لم أتـــــعـــــتَّب
مُـتـقـرّب من صـاحـبي، فـإذا مـشَتْ
في عِـطـفِه الـغُـلَـواء[2] لم أتـقَـرَّب
أنـا من ضـمـيـري سـاكنٌ في مـعـقِلٍ
أنـــا من خَلالِي[3] ســـائـــرٌ في مَـــوكب
فـــإذا رآني ذو الـــغـــبـــاوةِ دونَهُ
فـكـمـا يـرى في المـاء ظلَّ الـكـوكب

✱✱✱✱

(١) السنّ بين الناب والأضراس (الجمع : نواجذ) .
(٢) الغُلواء : الغلوّ والشطط .
(٣) الخَلّة : الخَصلة، من صفات الناس .

٢٧ - الإله الثرثار

[الخفيف]

زعمَ المـــــرءُ أنَّـــــمـــــا هُـــــوَ رَبٌّ
كم يـــلـــــوك الـــكلامَ هـــذا الإلهُ!
يـلـفظُ الـبـحـرُ، وهـو مـلحٌ أُجـاجٌ
لـؤلـؤاً يـبـهـر الـعـيـونَ سـنـاه
مـــا ادَّعى الـــدرُّ أنه صـــورةُ الـــبَـــحْـ
ـــــرِ ولا قـــــالَ: إنـــــني إيّـــــاه
لا ولا قـــــــــال كلُّ شـيءٍ إلـى المحْـ
ـــوِ ومـــا خُصَّ بـالخـلـــودِ سِـواه
إنْ تـكنْ لـلـخـلـودِ ذاتُكَ في الـدّنـ
ـــيـا، فـمـاذا الأمـرُ الـذي تـهـواه؟
وإذا صِـرتَ غـيـرَ شـخـصكَ في الأُخْـ
ـرَى، فـهـذا الـفَـنـا الـذي تـخـشـاه
في الـتّـرابِ الـذي تـدوسُ عـلـيه
ألفُ دنـــيـــا وعـــالَمٌ لا تـــراه
أنت جـزءٌ من الـكـيـان، وفـيه
كَـثَـرَاهُ كـنَـبْـتِهِ كـحَـصـاه
كـالـورودِ الـتي تُـحبُّ شَـذَاهـا
والـبـعـوضِ الـذي تـخـافُ أذاه
مـا لحيٍّ بـالموتِ عـنه انـفـصـالُ
إنَّ دنـــيـــاهُ هـــذه أُخْـــراه

****

٢٨ - الأشباح الثلاثة

[المتدارك]

رَاوَدْنِي الـــنَّـــومُ ومـــا بـــرِحـــا
حـــــتى طـــــأطَـــــأتُ لـه راسـي
أطـــبـــقتُ جـــفـــونيَ فـــانـــفَـــتَـــحَـــا
بـــاب الـــرؤيـــا والـــوسْـــوَاس

أبـــصـــــرتُ كـــأنيَ في مـــوضعْ
مـــــا فـــــيه غـــــيـــــرُ الأرواح
فـــوقَـــفتُ بـــعـــيـــداً أتـــطـــلّعْ
فـــلَـــمـــحْتُ ثلاثـــةَ أشـــبـــاح

ولـــدٌ يـــتَـــهَـــادى في الـــعَـــشْـــرِ
وفـــتىً في بُـــرْدِ الـــعِـــشْـــريـــنـــا
والـــثـــالثُ شـــيخٌ في طِـــمْـــرِ[١]
ذو جـــسمٍ يـــحـــكي الـــعُـــرْجُـــونـــا[٢]

وإذا بـــــالأوَّلِ يـــــقـــــتـــــربُ
مـــني كـــالـــطـــائـــرِ في الـــوثْبِ
فـــشـــعـــرتُ كـــأنيَ أضـــطـــربُ
وكـــأنَّ خـــطـــاهُ عـــلى قـــلـــبي

(١) الطِّمر: الثوب الخَلَق البالي (وجمعه أطمار) .

يـــا نـــفـــسي مـــا هـــذا الـــفَـــرَقُ ؟
لا رمـحٌ مـــــــــعـه ولا نَـــــــــبْـلُ
ولمـــاذا الخَـــشْـــيـــةُ والـــقـــلَقُ
والخـــلْـقُ أحـــبـــهمُ الـــطِّـــفْل

وإذا بـــالـــطِّـــفلِ يـــخـــاطِـــبُـــني
بـــــكلامٍ لا يـــتـــكـــلّـــفُهُ
ويُـــمَـــازِحُـــني ويُـــداعِـــبُـــنِي
فـــكـــأنيَ شـــخصٌ يـــعـــرفُهُ:

«مـــا بـــالكَ مـــنـــكـــمِـــشًـــا كَـــمِـــدا؟
قم نـــلـــعب في فيء الـــشَّـــجَـــرِ
ونـــهـــزّ الأغـــصُن والـــعُـــمُـــدا
ونـــذود الـــطـــيـــر عن الـــثَّـــمَـــر

أو نـــصـــنعُ خـــيلاً من قَـــصَبِ
أو طـــــــيَّـــــــاراتٍ مـن ورَقِ
ومُـــدىً وســـيـــوفـــاً من خـــشبِ
ونَـــجُـــولُ ونـــركضُ في الـــطُّـــرُق

أو نـــأتي بـــالـــفـــحم الـــقـــاتِمْ
ونـــصـــوِّرُ فـــوق الأبـــوابِ
تـــنّـــيـــنـــاً في بـــحـــرٍ عـــائمْ
أو لـــيـــثـــاً يـــخـــطُـــر في غـــاب

أو كـــلـــبـــاً يـــعـــدو، أو حَـــمَلاً
يـــرعى، أو نـــهـــراً، أو هـــضـــبَهْ
أو ديـــكـــاً يـــنـــقُـــدُ[1] أو رَجُلاً
يمـــشي، أو مُـــهـــراً، أو عَـــرَبَهْ

أو نجـــبُل مـــاءً وتـــرابـــا
ونَـــشـــيـــدُ بـــيـــوتـــاً وقِـــبَـــابـــا
أو نجـــعلُ مـــنه أنـــصَـــابـــا
أو نـــصـــنعُ حـــلـــوىً وكَـــبَـــابـــا»

مَـــثّـــلتُ الـــطـــفلَ ودنـــيـــاهُ
فـــأحَـــبَّتْ نـــفـــسي دنـــيـــاهُ
ووددْتُ لـــــــو أنـي إيّـــــــاهُ
بَلْ خِـــــلتُ كـــــأني إيّـــــاهُ

فـــضَـــحـــكتُ ولجَّ بيَ الـــضـــحكُ
حـــتى اســـتـــلـــقـــيتُ عـــلى ظـــهـــري
فـــاســـتـــيـــقظَ في الـــولـــد الـــشكُّ
فـــتـــوقَّفَ يَـــعـــجبُ من أمـــري

ويـــقـــول: أيـــا هـــذا قَـــدْكَـــا[2]
فـــوحـــقَّكَ ذا الـــطـــيشُ الأكـــبـــرْ
مـــا تـــضـــحكُ مـــني بل مِـــنْـــكـــا
إيّـــاكَ أنـــا لـــو تَـــتَـــذكَّـــرْ !

---

(١) نقد الطائر الحب : لقطه واحدةً واحدة .

وتَــوارَى عـــني واحْـــتـــجَـــبـــا
كـــالمـــوجَـــةِ في عُـــرضِ الـــنـــهـــر
فـــتـــضـــايقَ قـــلـــبي واضـــطـــربـــا
وارتجَّـتْ روحـي فـي صـــــــــدري

وإذا الـــشـــبحُ الـــثـــاني أقـــبلْ
يـــتـــرنَّحُ مـــثلَ المخـــمـــورِ
الـــلـــيلُ عـــلى الـــدنـــيـــا مُـــســـدَلْ
وعـــلـــيه وشِـــاحٌ من نـــورِ

مَـعـصـوبُ الـمُـقـلـةِ، والـدّربُ
وَعِـــرٌ وكـــثـــيـــرُ الآفـــاتِ
كَـــسَـــفِـــينٍ لـــيس لـــهـــا رَبٌّ
تجـــري في بـــحـــرِ الـــظُّـــلُـــمـــات

مـــاذا في الأفقِ؟ فـــقـــد وقَـــفَـــا
يـــتـــأمَّلُ فـــيـه ويـــبـــتَـــسِمُ
هـل لاحَ لـه وجـهٌ عَـــــرَفَـــــا
أم هـــــزَّ جـــــوارحَـهُ نـــــغَـمُ؟

أم أبـــــصـــــرَ آلـــــهـــــةَ الحبِّ
تَـــدعـــوهُ إلـــيـــهـــا إيمـــاءَ
لا شـيءٌ فـي الأفُـقِ الـــــــــرَّحـبِ
وكـــأنَ هـــنـــالكَ أشـــيـــاءَ

الـــطَّـــيـــرُ تُـــغـــنـي لـــلـــزَهْـــرِ
ويـــظنُّ الـــطـــيـــرَ تُـــسَـــاجِـــلُهُ
والـــزّهـــرُ تـــرحّبُ بـــالـــفـــجـــرِ
ويـــظنُّ الـــزهـــرَ تُـــغَـــازلُهُ

ونـــظـــرتُ إلـــيه في الـــبَـــرِّ
يـــتـــمـــنّى لـــو خـــاضَ الـــبـــحـــرا
ونـــظـــرتُ إلـــيه في الـــبـــحـــرِ
يـــتـــمـــنَّى لـــو بـــلغَ الـــبَـــرَّا

يـــتَـــأفَّفُ من بُطءِ الـــدهـــرِ
والـــدهـــرُ يـــســـيُـــر به وَثْـــبَـــا
ويـــنـــامُ لـــيـــحـــلُمَ بـــالـــفـــجـــرِ
والـــفـــجـــرُ يـــضـيءُ له الـــدّرْبـــا

ويُـــســـائلُ عن كـــأسِ الخـــمـــرِ
ويُـــســـائـــلُه عـــنـــهـــا الـــنـــاسُ
في الـــلـــيل وفي وضح الـــفـــجـــرِ
والخـــمـــرةُ فـــيه والـــكـــاسُ

فـــصـــبـــرتُ ولازمتُ الـــصَّـــمْـــتـــا
حـــتـــى دانى الـــظـــلَّ الـــظـــلُّ
فـــأشـــرتُ إلـــيه : من أنـــتـــا ؟
فـــأجـــاب: أنـــا ذاكَ الـــطـــفـــلُ

ومـــضى كـــالـــظلّ إذا انـــتـــقلا
وأنـــــا أرجـــــو لـــــو لم يمضِ
فـــأعـــدتُ لـــنـــفـــسي مـــا ارتجَلا
فـــتـــعـــجَّبَ بـــعـــضي من بـــعـــضي

الـــــشـــــمسُ تَـــــزِلُّ عن الأفُقِ
كـــالـــروح الـــمُـــحـــتـــضَـــر الـــسّـــاجي
غَـــمَـــرَتْـــهـــا أمـــواجُ الـــغَـــسَقِ
فـــتـــــوارتْ خـــــلفَ الأمـــــواجِ

والـــغـــيمُ الأســـودُ يـــحـــتـــشـــدُ
طَـــبَـــقَـــاً في الجـــوّ عـــلى طَـــبَقِ
والـــلـــيلُ يـــطـــولُ ويـــطَّـــردُ
والأرضُ كـــــســـــارٍ في نـــــفَق

وإذا شـــــيخٌ في صـــــحـــــراءِ
كـــالـــزورق في عـــرْضِ الـــبـــحـــرِ
أعـــيـــاهُ الـــصـــلحُ مع المـــاءِ
وأضـــاعَ الـــدّربَ إلى الـــبـــرّ

يمـــشي في الأرض عـــلى مَـــهَلٍ
وعـــلى حـــذرٍ، لـــكنْ يمـــشي
كـــالـــشـــاةِ تُـــســـاقُ إلى الـــقَـــتلِ
بـــعـــصـــا جـــبَّـــارٍ ذي بـــطش

يـــا شـــيخُ.. لمـــاذا لا تَـــقِفُ
دَمِـــيَتْ رجلاكَ مـن الـــركْضِ
فـــأجـــابَ بـــصـــوتٍ يـــرتجفُ:
الأرضُ تـــســـيـــرُ عـــلى الأرض!

يـــا شـــيخُ.. رويـــداً فـــالـــبـــدرُ
ســـيـــضيءُ الـــدربَ فـــتـــسْـــتَـــهـــدي
فـــأجـــابَ: ويـــتـــلـــوهُ الـــفـــجـــرُ
لـــكن ســـيـــضيءُ لـــمَن بَـــعـــدي

أيـــلَـــذُّ لـــغـــصنٍ مُـــنـــكَـــسِـــرٍ
عَـــــرَّتْـــهُ الـــــريحُ من الـــــورَقِ
أن يـــبـــصـــرَ في ضـــوء الـــقـــمـــرِ
مـــا كـــان عـــلـــيه عـــلى الـــطُّـــرُق

مـــــا لـــــذَّةُ مـــــيْتٍ في الـــــرَّمسِ
بـــالـــزهـــرِ الـــفـــوّاح الـــعَـــطِـــر
نـــورٌ لا يـــشـــــرقُ في الـــنـــفسِ
كـــغـــنـــاءٍ في أُذْنِ الحَـــجَـــر

مـــا اسْـــتَـــخْـــفَتْ عـــني الأفلاكُ
والـــشُّـــهبُ بل اســـتـــخـــفى حـــبّي
لـم تـــــــمـلأْ دربـي الأشـــــــواكُ
إنَّ الأشـــــواكَ لَـــــفِي قـــلـــبي !

يـــا شـــيخُ.. شَـــجَـــاني مـــا قُـــلـــتـــا
وزرعـتَ بـــــــنـــــــفـــــــسـيَ آلامـكْ
من أنـتَ ؟ أجـــــابَ: أنـــــا أنـــــتـــــا
أنـــــا ذاتُـكَ تـــــمـــــشـي قـــــدَّامَـك

كـم أبـــــــحـثُ بـــــــين الأجْـــــــرَامِ
عـــــــنـي، وأنـــــــقِّـبُ فـي الأرض
أحـلامـي تـــــطـــــمُـــــرُ أحـلامـي
بـــعْـــضـي مـــدفـــونٌ فـي بـــعـــضـي

لـم أبـــــــصِـــــــرْ ذاتـيَ بـــــــالأمـسِ
فـي لَـــــــوحِ زجـــــــاجٍ أو مـــــــاءِ
بل لاحتْ نـــفـــســيَ فـي نـــفـــسـي
فَـــــهْيَ المـــــرئـــــيَّـــــةُ والـــــرَّائـي

✱✱✱✱

٢٩ - العليقة

[مجزوء الرمل]

ذاتُ شـــوكٍ كـــالحِـــرابِ، أو كـــأظـــفـــار الـــعُـــقـــابِ
رَبَـــضَتْ في الـــغـــابِ كـــالـــلصِّ، لِـــفَـــتْكٍ واســـتِلاب
تَـــقْـــطَعُ الـــدَّربَ عـــلى الـــفلاح والمـــولى الـــمُـــهـــاب
صُـــنْتُ عـــنـــهـــا حُـــرَّ وجـــهي، فـــتَـــصـــدَّتْ لـــثـــيـــابي
كـــلّـــمـــا أَفـــلَتُّ من نـــابٍ تَـــلـــقَّـــتْـــنِي بـــنَـــابِ
فـــلـــهـــا نـــهْشُ الأفـــاعي، ولـــهـــا لـــسْعُ الـــذبـــاب
وأذاهـــا في ســـكـــوني، كـــأذاهـــا في اضـــطـــرابي
وهي كـــالـــقَـــيْـــدِ لـــســـاقي، ولِـــجِـــيـــدي كـــالـــسِّـــخـــاب[1]
فـــكـــأنَّـــا في عِـــنـــاقٍ، لا نـــضـــالٍ ووِثـــاب
قـــلتُ يـــا ســـاكـــنـــةَ الـــغـــابِ ويـــا بـــنتَ الـــتّـــراب
لا تَـــلُـــجَّي في اجـــتـــذابي، أو فَـــلُـــجَّي في اجـــتِـــذابي
إنّ عُـــوداً فـــيه مـــاءٌ لـــيس عُـــوداً لاحـــتِـــطـــاب
أنـــا في فـــجـــرِ حـــيـــاتي، أنـــا في شَـــرْخ شـــبـــابي
الـــهـــوى ملءُ فـــؤادي؛ والـــصِّـــبـــا ملءُ إهـــابي
والمـــنـــى تَـــنـــبتُ في دربي، وتـــمـــشـــي في رِكـــابي
أنـــا لم أضـــجـــرْ مِنَ الـــعـــيش ولم أَمـــلُلْ صِـــحـــابي
لم أزلْ ألمحُ طـــيفَ المجـــدِ حـــتى في الـــسَّـــرَاب
لم أزلْ أســـتـــشـــعِـــرُ الـــلَّـــذةَ حـــتى في الـــعـــذاب
لم أزلْ أســـتـــشـــرفُ الحُـــسنَ ولـــو تحت نِـــقـــاب

---

(١) القلادة

مـــا بـــنـــفـــسي خـــشـــيـــةُ المـــوتِ ولا مِـــنْهُ ارتِـــهـــابي
أنـــــا لـلأرضِ، وإنْ طـــــالَ عـن الأرضِ اغـــــتـــــرابي
غـــيـــرَ أني لـم يـــزلْ ضِـــرعي لمـــرْيٍ[1] واحـــتِلاب
لـم أهبْ كلَّ الـــذي عـــنـــدي، ولـم يَـــفـــرَغْ وِطـــابي[2]
أنـــا نـــهـــرٌ لم أتـــمِّم بـــعـــدُ في الأرض انـــســـيـــابي
أنـــــا روضٌ لـم أُذعْ كلَّ عـــــبـــــيـــــري ومَـلابي[3]
أنـــا نجمٌ لم يُـــمـــزِّقْ بـــعـــدُ جِـــلْـــبـــابَ الـــضَّـــبَـــاب

أنـــا فـــجـــرٌ لم تـــتـــوِّجْ فِـــضَـــتي كلَّ الـــرَّوابي
لي رِغـــابٌ لم تـــلـــدْ بـــعـــدُ فَـــتُـــبْـــلى بـــالـــتَّـــبـــاب[4]
وبـــنـــفـــسي ألفُ مَـــعـــنًى لم يُـــضـــمَّنْ في كـــتـــابِ

فـــإذا اســـتـــنـــفـــدتُ مـــا في دَنّ نـــفـــسي من شـــرابِ
وإذا أنجُـمُ آمـــــالـي تـــــوارتْ في الحِـــــجـــــاب
وإذا لـم يـــبقَ في غَـــيـــمـيَ مـــاءٌ لانـــسِـــكـــاب
وإذا مـــا صِـــرتُ كـــالـــعُـــلَّـــيقِ[5] تـــمـــثـــالَ اكـــتـــئـــاب
لا يُـــرجّـــيـــنـيَ مـــحـــتـــاجٌ، ولا يـــطـــمـعُ سَـــابِ[6]
فـــاجْـــذِبـــيـــني.. إنْ يـــكُنْ مـــنِّي نـــفـعٌ لـــلـــتّـــراب

✱✱✱✱

(١) مرى الضرع : مسحه ليدرّ .
(٢) الوطب والوطاب : إناء للبن من الجلد .
(٣) المَلاب : ضرب من الطيب
(٤) الهلاك وضعف الشيخوخة .
(٥) نبت يتعلق بالشجر .

٣٠ - هي[١]

[السريع]

أروي لـــكُمْ عن شـــاعـــرٍ ســـاحـــرٍ
حـــكـــايَـــةً يُـــحـــمـــدُ راويـــهـــا
قـــالَ: دعـــا أصـــحـــابَهُ ســـيّـــدٌ
في لـــيـــلـــةٍ رقّتْ حَـــواشِـــيـــهـــا
فـــانـــتـــظـــمتْ في قـــصـــرِهِ عُـــصْـــبـــةٌ
كـــريمـــةٌ لا واغلٌ فـــيـــهـــا
مِن نُـــبَلاء الـــشَّـــعبِ، ســـاداتِـــهـــا
وخِـــيـــرةِ الـــغِـــيـــدِ غَـــوانـــيـــهـــا
حـــتّى إذا جـــلـــســـوا كـــلُّـــهمْ
وطـــافَ بـــالأكـــوابِ سَـــاقـــيـــهـــا
قـــام أمـــيـــرُ الـــقـــصـــرِ في كـــفّهِ
كـــأسٌ أعـــارتْهُ مـــعـــانـــيـــهـــا
وقـــال: يـــا صَـــحبُ عـــلى ذكْـــرِكمْ
امـــلَـــؤُهـــا حُـــبّـــاً وأحْـــسُـــوهـــا
وذِكْـــرُ مَن قـــلـــبيَ عـــبْـــدٌ لـــهـــا
ومُـــهـــجـــتي إحـــدى جـــواريـــهـــا
حـــبـــيـــبـــتي «لمـــيـــاءُ»، ســـمـــيـــتُـــهـــا
ولم أكن قَـــبـــلاً أُســـمِّـــيـــهـــا

(١) اتهمه أحمد زكي أبو شادي بنقلها إلى العربية، عن أحد شعراء الإنجليز، ولم ينكر أبو ماضي التهمة .

فَـــشَـــربـــوا كـــلُّـــهمُ سِـــرَّهـــا
وهـــتَـــفـــوا كـــلُّـــهمُ تِـــيـــهـــا
فـــأجْـــزلَ الـــشـــكـــرَ لأصـــحـــابهِ
الـــشـــكـــرُ لـــلـــنـــعـــمـــةِ يُـــبـــقِـــهـــا
وصـــاحَ بـــالـــسَّـــاقي عـــلـــيـــنـــا بـــهـــا
فـــطـــافَ بـــالأكـــوابِ ســـاقـــيـــهـــا
وقـــال للأضـــيـــاف: ســـمـــعـــاً فـــلـي
كِـــلْـــمـــةٌ، الـــعـــدلُ يُـــمـــلِـــيـــهـــا
مـــا أنـــا وحَـــدِي الـــصَّبُّ فـــيـــكمْ ولا
كلُّ الـــعَـــذَارى مَن أنـــاجـــيـــهـــا
فـــكلُّ نـــفسٍ مـــثلُ نـــفـــسي، لـــهـــا
في هـــذه الـــدنـــيـــا أمـــانـــيـــهـــا
وكلُّ قـــلـــبٍ مـــثلُ قـــلـــبي، له
حـــســـنـــاءُ تـــرجـــوهُ ويـــرجـــوهـــا
يـــا صَـــحبُ من كـــانت به صَـــبْـــوةٌ
يُـــعْـــلِـــنـــهـــا الآنَ ويُـــبـــدِيـــهـــا
فـــنـــهَـــضُـــوا ثـــانـــيـــةً كـــلُّـــهمْ
ورفـــعـــوا الـــكـــاســـاتِ تـــنـــويـــهـــا
كـــلـــهمُ يـــشـــربُ ســـرَّ الـــتي
يـــهـــوى من الـــغِـــيـــدِ ويُـــطـــريـــهـــا

وكـــان في الـــشَّـــرْبِ فـــتىً بـــاسلٌ
طَـــلـــعـــتُه تـــســـحـــرُ رائـــيـــهـــا
شـــــاركَ فـي أوَّل أقـــــداحِـــــهمْ
ولم يـــشـــارِكْـــهُمْ بـــثَـــانـــيـــهـــا

وأنتَ ؟ قـال الـصَّـحبُ، واسْـتَـضْـحـكوا:
هل لكَ حـســنــاءُ تُـحـيِّـيـهـا ؟
قـــال: أجل! أشـــربُ سَّـــرَّ الـــتي
الـــروح تـــفـــديـــني وأفْـــدِيـــهـــا
صُـورتُـهـا في الـقـلب مـطـبـوعـةٌ
لا شيءَ حـــتى المـــوتِ يمـــحُـــوهـــا
لا تـــتـــــرضّـــــاني ريـــــاءً ولا
تَـلـثُـمـنُي كِـذْبـاً وتـمـويـهـا
يـضـيـعُ مـالي ويـزولُ الـصِّـبـا
وحـبُّـهـا بـاقٍ وحـبَّـيـهـا
قـدْ وهَـبَـتْـني روحَـهَـا كـلَّـهـا
ولم تـخـفْ أني أضـحِّـيـهـا
ســرَّ الـتي لا غـادةٌ بـيـنـكمْ
مـهـمـا سَـمَتْ في الحبِّ تَـحـكـيـهـا
فـأجـفَـلـوا مـنه كـمنْ حـيَّـةٍ
نـهّـاشَـة قـد عـزَّ راقِـيـهـا
وقـالتِ الـغَـاداتُ: أُفٍّ لـه
قـد شَـوَّه المجـلسَ تـشـويـهـا
لـو ظلَّ في مـا بـيـنـنـا صـامـتـاً
لم تَـسـمعِ الآذانُ مـكـروهـا
وقـلـقلَ الـفـتـيـانُ أسـيـافَـهَمْ
فـأوشـكتْ تـبـدو حَـواشِـيـهـا
وتَـعـتَعَ الـشَّـادي بـألحـانه
ومـاجتِ الـدارُ بمن فـيـهـا

وقـــالَ قـــومٌ: خـــلَـــبَـــتْهُ الـــطِّلا
وقـــال قـــومٌ: صـــار مَـــعـــتُـــوهـــا
فـــصـــاحَ ربُّ الـــدارِ: يـــا ســـيّـــدي
وصَـــفْـــتَـــهـــا لِمْ لا تُـــســـمِّـــيـــهـــا
أتـــخـــجـــلُ بـــاسمِ من تـــهـــوى ؟
أحـــســـنـــاءٌ بـــغـــيـــرِ اسمِ ؟
فـــأطـــرقَ غـــيـــرَ مـــكـــتـــرثٍ
وتـــمـــتمَ خـــاشـــعـــاً... أُمّي !

✱✱✱✱

٣١ - لا أنت ولا أنا

[الكامل]

قـلتُ: الـسـعـادةُ في الـمُـنى، فـردّدْتَـني
وزعـــمتَ أنَّ المـــرءَ آفـــتُهُ الـــمُـــنى
ورأيتَ في ظلِّ الـغِـنَى تـمـثـالَـهـا
ورأيتَ أنتَ الـبـؤسَ، في ظلّ الـغِـنَى
مـا لي أقـولُ بـأنـهـا قـد تُـقـتـنَى
فـتـقـول أنتَ بـأنـهـا لا تُـقـتَـنى!
وأقـولُ: إنْ خُـلـقتْ فـقـد خُـلـقتْ لـنـا
فـتـقـولُ: إن خُـلـقتْ فـلم تُـخـلقْ لـنـا
وأقـولُ: إني مـؤمنٌ بـوجـودِهـا
فـتـقـولُ مـا أحـراكَ ألاّ تُـؤمِـنـا
وأقـولُ: سـرٌّ سـوفَ يُـعـلنُ في غَـدٍ
فـتـقـولُ: لا سـرٌّ هـنـاك ولا هـنـا
يـا صـاحـبي! هـذا حـوارٌ بـاطلٌ
لا أنت أدركتَ الـصَّـوابَ ولا أنـا

****

٣٢ - الناسكة

[السريع]

أبـصَـرتُ في الحـقلِ قُـبَـيْلَ المـغـيبْ
سـنـبـلـةً في سـفـحِ ذاكَ الـكـثـيبْ
حـانـيـةً مُـطـرقـةَ الـرأْسِ
كـأنمـا تـسـجـدُ لـلـشـمسِ
أو أنـهـا تـتـلـو صلاةَ المـسـاءْ

فـمـلـتُ عن راهـبـةِ الحـقلِ
وسـرتُ لا ألـوي عـلـى ظـلّي
ألـتـقـط الحـبَّ وأذريـه
وتـارةً في الـنـار أُلـقـيـه
مُـسـتـخـرِجـاً مـنه لجـسـمي غـذاءْ

قـد غـابتِ الـشـمسُ وراءَ الـقـممْ
وسـكتَ الـطـيـرُ الـذي لم يَـنَمْ
لـكنّ نـاري لم تـزلْ تَـرْعُجُ[1]
ولم أزلْ آكلُ مـا تُـنْـضِجُ
يـا حـبـذا الـنـارُ ونـعِمَ الـشّـواءْ

وإنـنـي فـي مَـرَحـي والـدَّدِ
إذ صـاحَ بـي صـوتٌ بلا مُـوعـدِ

(١) رعج البرق : اضطرب وتتابع .

مـــا الحَّبُّ يـــا هـــذا ولا الـــسُّـــنـــبلُ
مـــا تـــأكلُ الـــنـــارُ ومـــا تـــأكلُ
وإنمـــــا أسلافُكَ الأصـــــفـــــيـــــاءْ

لا بـــشَـــرٌ لا طـــائـــرٌ مـــاثـلُ
يـــا عـــجـــبـــاً ! نُـــطْـقٌ ولا قـــائلُ
مـن أين جـــاء الـــصـــوتُ ؟ لا أدري
لـــكـــنَّـــمـــا نـــاســـكـــةُ الـــبُـــرِّ[1]
قـــد رفـــعتْ هـــامـــتَـــهـــا لـــلـــعلاءْ

(١) يريد :طاحونة القمح (النسيكة : الذبيحة) .

٣٣ـ عيد النُّهى[١]

في اليوبيل الذهبي لمجلة المقتطف.

[الكامل]

قلْ للحمَائمِ في ضفافِ الوادي:
يا ليتَكنَّ على شَغَافِ فؤادي
لِتَرينَ كيف تبعثرتْ أحلامُهُ
وجَرتْ به الآلامُ خَيْلَ طِرَاد
كانت تَشعُّ على جوانبه المنى
فخَبَتْ وبُدِّلَ جمْرَها برمَاد
أسْعِدْنَهُ فعسى يخفُّ وَلوعُه
إن الشَّجيَّ أحقُ بالإسعاد[٢]
ذهب الصِّبا وبقيتُ في حسَرَاته
ليت الأسى مثلَ الصِّبا لِنَفَاد
إن الشبابَ هو الغِنَى فإذا مضى
وأقمتَ لا ينفكُّ فقْرُكَ بادي
أمسيتُ أنظر في الحياة فلا أرى
إلا سواداً آخذاً بسواد
ألقى الصباحَ فلا يطولُ تأمُّلي
حتى يحولُ شعاعُهُ لصُعَاد[٣]
وإذا تقابلُني النجومُ تخاوصتْ[٤]
فكأنما هي أعينُ الحُسَّاد

---

(١) جمع نُهية، وهي العقل .
(٢) شارك ووقف إلى جانبه .
(٣) أصعدت السفينة إصعاداً : مدت شراعها فذهبت بها الريح صعَداً .
(٤) ضيق عينه في النظر، ومثله تخاوص .

مـــا ثمَّ من ذكـــرى إذا خـــطـــرتْ عـــلى
قـلـبي اســتـراحَ، سِـوى خـيـالِ الـوادي
أفـلا تـــزالُ الـــشـــمسُ تـــصـــبغُ وجـــهَهُ
بـــالـــوَرْسِ آونـــةً وبـــالـــفِـــرْصَـــاد[1]
أفـلا يـــــزالُ يـــــذوبُ فـي أمـــــواجِه
ذهَبُ الأصـــــيلِ وفـــــضَّـــــةُ الآراد
لـــهـــفي إذا وردَ الـــرفـــاقُ عـــشـــيَّـــةً
وذكـــــرتُ أني لـــــست في الـــــورّاد
وإذا الحَـــمـــامُ شَـــدا وصـــفّقَ مـــوجُهُ
ألاّ أصـــفِّقَ لـــلـــحَـــمـــامِ الـــشَّـــادي
وإذا الـــنـــخـــيلُ تـــطـــاولتْ أظلالُهُ
ألاّ يـــكـــونَ مِـــظَـــلَّـــتي ووِســـادي
وإذا الـــكـــواكبُ رصَّـــعَتْ آفـــاقَهُ
ألاّ يـــكـــونَ لـــرعْـــيـــهنَّ سُـــهَـــادي
ذقتُ الـــهـــوى وعـــرفـــتُهُ في شـــطّهِ
إنَّ الـــهـــوى لـــلـــمـــرءِ كـــالمـــيلاد
لا تـــدركُ الأكـــبـــادُ ســـرَّ وجـــودِهَـــا
حـــتى يـــجـــولَ الحبُّ في الأكـــبـــاد
مـــا عِـشتَ لم يمـسسْ جـوانـحَكَ الـهـوى
لـم تـــدرِ مـــا فـي الـــعـــيشِ من أمـــجـــاد
لا تُـبـصِـرُ الـعـينُ الـريـاضَ وحَـلْـيَـهـا
إلاّ عـــلى ضـــوء الـــصـــبـــاحِ الـــهـــادي

(١) التوت الأحمر .

وَطَـنَـانِ أشْـوَقُ مـا أكـونُ إلـيـهـمـا
مـصـرُ الـتي أحـبـبـتُـهـا وبلادي
ومـواطنُ الأرواحِ يـعـظُمُ شـأنُـهَـا
في الـنـفس فـوق مـواطنِ الأجـسـاد
حِـرصِي عـلى حبِّ (الـكـنـانـةِ) دونَهُ
حـرصُ الـسَّـجـينِ عـلى بـقـايـا الـزاد
بـلـدُ الجـمـالِ خَـفِـيِّهِ وجَـلـيِّهِ
والـفنُّ من مُـسـتَـطـرَفٍ وتِلاد
عـرضَتْ مـواكبَـهـا الـشـعـوبُ فـلم أجِدْ
إلا بمـصـرَ نَـضـارةَ الآبـاد
كم من دفـينٍ في ثـراهـا لم يـزلْ
كـالحيِّ ذا مِـقَـةٍ وذا أحـقَـاد
ومـشـيَّـدٍ لـلـنـاس إذ يـغـشَـونَهُ
من كل أرضٍ خـشـيـةَ الـعُـبّـاد
عـاش الجـدودُ وأثَّـلـوا مـا أثَّـلـوا
والـيـومَ يـنـبـعـثـون في الأحـفـاد
الـمُـسـبـغـينَ عـلى الـنـوابغِ فـضـلَـهُمْ
كـالـفـجـرِ مـنـبـسـطـاً عـلى الأطْـواد[1]
أبـنـاءَ مـصـرَ الـنـاهـضـينَ تحـيـةً
كَـوِدادِكـمْ إنْ لـم أقُـلْ كَـوِدَادي

من شـاعـرٍ كَـلِفٍ بـكـمْ وبـأرضِـكُمْ
أبـداً يُـوالي فـيـكـمُ ويُـعَـادي
إنْ تُـكـرمـوا شـيخَ الـصـحـافـةِ تُـكْـرِمُـوا

(١) الطود : الجبل .

أسـنى الـكـواكبِ في سـمـاءِ الـضَّـاد
خـلعَ الـشـبـابُ عـلى الـكـنـانَـةِ مِـطْـرفًـا
هـوَ كـالـربـيـع عـلى رُبَـاً ووِهَـاد
مـا زالَ يـقـحـمُ في الجـهـالـةِ نـورُه
حـتى تـقـاصـرَ لـيـلُـهـا المـتَـمـادي
بـصـحـيـفـةٍ نـورُ الـعـيـونِ سـوادُهَـا
وبـيـاضُـهـا من نـاصعِ الأجـيـاد
يـنـبـوعُ مـعـرفـةٍ وهـيـكلُ حـكـمـةٍ
ووعـاءُ آدابٍ وكـنـزُ رشَـاد
أغـلـى المـواهبِ والـعـقـولِ رأيـتُـهـا
سـكـنتْ قـصـورَ مَـهـارقٍ[1] ومِـداد
ذِكـرُ المجـاهـدِ في الحـقـيـقـة خـالـدٌ
ويـزولُ ربُّ الـسـيفِ والأجـنـاد
لـولا جـبـابـرةُ الـقـرائح لم يَـسِـرْ
في الأرض ذِكْـرُ جـبـابـرِ الـقُـوَّاد
مـا ذلَّـلتْ سـبُـلَ المـعـالي أمّـةٌ
إلا بـقـوةِ مُـصْـلـحٍ أو هـادِ

☆☆☆☆☆

(صَـرُّوفُ)[2] يـسـأَلُكَ الأنـامُ فـقلْ لـهمْ:
كم في حـيـاتِكَ سـاعـةٌ اسـتـشْـهـادِ؟
طـلـع الـقـنـوطُ عـلـيك من أغـوارِه
فـرددتَ طـائـرهُ وجـأشُكَ هـادِ
ومـضـيتَ تـسـتـقـصي الحـيـاةَ وسـرَّهـا

(١) المُهرق : الصحيفة البيضاء، يكتب فيها (والجمع : المهارق) .
(٢) يعقوب صرّوف : منشئ (المقتطف) وصاحبها .

في كل عـــاقـــلـــةٍ وكلِّ جـــمـــاد
حـتى لـكـدتَ تُـحسَّ هـاجـسـةَ المـنى
وتَـبـــينَ كم في الـنـــفسِ من أضـــداد
أنت الـــذي أسْـــرَتْ به عـــزَمَـــاتُه
والـدَّربُ غـامـضـة عـلى الـروّاد
والـلـيلُ آفـاتٌ عـلى أغـوارِهَـا
والـهـولُ أنجـادٌ عـلى الأنجـاد[1]
إن الحـقـائقَ أنت نـاشـرُ بـنـدهـا
في حـينِ كـان الـعـلمُ كـالإلحـاد
والـعـقلُ في الـشـرقيِّ من أوهـامِه
كـالـنَّـسْـر في الأوهـاقِ[2] والأصـفـاد
تشقى، متى تشقى، الشعوبُ بجهلها
وتـعِـزُّ حـين تـعِـزّ بـالأفـراد
الـسـاهـرينَ الـلـيل مـثلَ، نجـومِه
فـكـأنـهمْ لـلـدهـر بـالمـرصـاد
الـبـاذلـينَ نـفـوسَـهُمْ لم يـسـألـوا
وعـلى الـنـفـوس مَـدارِعُ الـفُـولاد
خَـفَـضُـوا جـنـاحـهَمُ وتحت بـرودِهمْ
هِـمَمُ المـلـوكِ وصـولـةُ الـمُـرّاد
لـهمُ الـزمـانُ قـديمُه وحـديـثُه
مـا الـنـاسُ في الـدنـيـا سـوى الآحـاد
إن الأنـامَ عـلى اخـتلافِ عـصـورهمْ
جـعـلـوا لأهل الـعـلمِ صـدْرَ الـنـادي
مـا الـعيدُ لـلـخمـسينِ بل عـيدُ النُّـهى

(١) أنجد : ارتفع . يريد تراكم الأهوال والمصاعب في الطريق .
(٢) الوهق : الحبل الذي تشد به الخيل حتى لا تبتعد .

وفـــنـــونِه والخـــاطـــرِ الـــوقَّـــاد
عـيـدُ الحـصـافَـةِ والـصـحـافـةِ كـلِّـهـا
في مـــصـــرَ، في بـــيـــروتَ، في بـــغـــداد
مـــا الـعـيشُ بـالأعـوامِ كم من حِـقْـبـةٍ
كـالمَـحْـو في عـمـرِ الـسـوادِ الـعـادي
الـــعـــمـــرُ، إلا بـــالمـــآثـــرِ، فـــارغٌ
كـالـقـفـرِ طـالَ به عَـنَـاءُ الحـادي
وسـوى حـيـاةِ الـعـبـقـريِّ نـقِـيـسُـهـا
فَـــتُـــقـــاسُ بـــالآجـــالِ والآمـــاد

✱✱✱✱

٣٤ - موت العبقري

في رثاء سليمان البستاني[١]

[الخفيف]

كلُّ مـــيْتٍ مـــهـــمـــا علا في حـــيـــاتهْ
كلُّ ثـــاوٍ تحت الـــثَّـــرَى من لِـــداتهْ
لا حـــدودٌ ولا مـــقـــايـــيسُ في المـــو
تِ تَـــسـاوى الجـمـيعُ في ســاحـــاته
حـاصـــدٌ حـقـلُه الـوجـودُ، ومـا الأحْـ
ـــيـــاءُ إلا كـــشَـــوكهِ ونـــبـــاته
مَن نجـــا مـــنه وهْـــوَ في روحَـــاتِهْ
إنمـــا قـــد نجـــا إلى غُـــدُواته
لـــيس زرعُ الـــغُـــصّـــاتِ مـــنه لـــثـــأرٍ
لـــيس حـــصـــدُ الـــلـــذاتِ من لـــذَّاته
إنه يـــســـلُبُ الـــغـــوايـــةَ كـــالـــرشْـ
ـــد، فـــلـــيس الـــتـــمـــيـــزُ من عـــاداته
لا تـــــقل: مـــــا وراءَهُ؟ ذاكَ ســـــرٌّ
خَـــبَّـــأتْهُ الحـــيـــاةُ في ظـــلـــمـــاته
رُبَّ قـــبـــرٍ نمـــشي عـــلـــيه وفـــيه
شَـــهـــواتٌ تُـــربي عـــلى ذرّاته
كلُّ ذي رَغـــبـــةٍ دنَتْ أو تـــســـامتْ
ســـوف يمـــضي يـــومـــاً بلا رغـــبـــاته

(١) مترجم الإلياذة إلى العربية شعراً .

لـــيس عـــمـــرُ الـــفـــتى وإن طـــالَ إلا
مـــا حـــوتْهُ الحـــيـــاةُ من مَـــكـــرُمـــاته
يَـــعِظُ الـــنـــابغُ الخلائقَ حـــيّـــاً
إنمـــا مـــوتُـهُ أجلُّ عِـــظـــاته

☆☆☆☆☆

ظـــهـــر المـــوتُ لـــلـــعـــيـــونِ جـــديـــداً
أمس في بـــطـــشِه وفي فَـــتَـــكَـــاته
وهـو تِربُ الإنســانِ منذُ استوى في الْـ
أرضِ حـــيّـــاً مـــشى عـــلى خـــطـــواته
مـــا الـــرّدى بـــالحـــديثِ في الـــنـــاس لـــكنْ
نـــكـــبـــةُ الـــعِـــلمِ ضـــاعـــفتْ روْعـــاته
فَـــقَـــدَ الخـــلقُ واحـــداً من بـــنـــيه
وأضـــاعَ الـــقَـــريضُ خـــيـــرَ حُـــمـــاته
شـــاعـــرٌ كـــان يَـــرقصُ الـــدهـــرُ أحـــيـــانًـــا
ويـــبـــكي حـــيـــنـــاً عـــلى نَـــغَـــمـــاته
ذَهبَ الـــســـاحـــرونَ والـــسّـــحـــرُ بـــاقٍ
في عـــيـــون الـــمَـــهـــا وفي كـــلـــمـــاته
مـــنـــشئٌ رقَّ لـــفـــظُه كـــسَـــجـــايـــا
هُ ورفَّ الجـــمـــالُ في جـــنـــبـــاته
تـــوَّجَ «الـــضـــادَ» بـــالملاحـــةِ حـــتى
خـــالـــهـــا الـــقـــومُ بـــعضَ مُـــخـــتـــرعـــاته
نـــقَلَ الأعْـــصُـــرَ الخـــوالي إلـــيـــنـــا
في كـــتـــابٍ، لـــله، من مـــعـــجـــزاته
فـــرأيـــنـــا «هـــومـــيـــرُ» يـــنـــشـــدُ فـــيـــنـــا
شـــعـــرهُ مـــثلُ واحـــدٍ من رواته

كـــان في دولـــةِ الـــسُّـــيـــوفِ وزيـــراً
ألمـــــعـــــيِّـــــاً، ودولـــــةً في ذاته
مـــا بـكـيـنـا الـرَّفـاتَ لـمّـا بـكـيـنـا
كم رفـــاتٍ في الأرض مـــثلُ رفـــاته؟
بل بـــكـــيـــنـــا لأنـــنـــا قـــد حُـــرمـــنـــا
بـــالمـــنـــونِ المـــزيـــدَ من آيـــاته
رَاعَـــنـــا أن يـــزولَ عـــنّـــا، وأنّـــا
لم نُـــطِقْ أن نـــطـــيلَ حـــبلَ حـــيـــاته
قـد أردنـا حـملَ الـبـشـائـرِ لـلـعـلـ
ـمِ فـــكـــنّـــا لأهـــلِه من نُـــعَـــاته
إنَّ في «مـــصـــرَ» والـــشـــآم دويّـــاً
مـــا ســـمـــعـــنـــاهُ قـــبل يـــومِ وفـــاته
وأحسَّ «الـــعـــراقُ» حـــين أتـــاهُ الـــنْـ
ـــنَـــعْي طـعـم الـرَّدَى بمـاء (فُـراته)
و «بـلـبـنـانَ» رجـفـةٌ تـتـمـشَّى
في يـــنـــابـــيـــعِه وفي نـــسَـــمَـــاته
فَـتَّحَ المـوتُ، حـين أغـمضَ عـيـنـيه،
عـــيـــونَ الـــورَى عـــلى حَـــسَـــنـــاته
فـــهْـــوَ مـــاضٍ له جلالـــةُ آتٍ
من فـــتـــوحـــاتِه ومن غـــزواته
والـفـتى الـعـبـقـريُّ يـولـدُ إذ يـو
لَـــدُ في مـــهـــدِه، ويـــومَ ممـــاته

✱✱✱✱

٣٥ - الغدير الطموح

[مجزوء الكامل]

قـــال الـــغـــديـــرُ لـــنـــفـــسه:
يـــا لـــيـــتَـــنِي نـــهـــرٌ كـــبـــيـــرْ
مـــثلُ الـــفـــراتِ الـــعـــذْبِ أو
كـــالـــنـــيلِ ذي الـــفـــيْضِ الـــغَـــزيـــر
تجـــري الـــســـفـــائنُ مُـــوقَـــرا
تٍ فـــيه بـــالـــرزقِ الـــوفـــيـــر
هـــيـــهـــاتَ يـــرضى بـــالحـــقـــيـــرِ
من المـــنـــى إلا الحـــقـــيـــر
وانـــســـابَ نـــحـــو الـــنـــهـــرِ لا
يـــلـــوي عـــلى المـــرجِ الـــنَّـــضـــيـــر
حـــتـــى إذا مـــا جـــاءهُ
غَـــلبَ الـــهـــديـــرُ عـــلى الخـــريـــر

****

٣٦ - الطلاسم

[مجزوء الرمل]

جـئتُ، لا أعـلَمُ من أينَ، ولـكـنِّي أتـيْتُ
ولـقدْ أبـصـرتُ قُدَّامي طـريـقـاً فـمـشـيْتُ
وسـأبـقى سـائـراً إن شـئتُ هـذا أم أبَـيْت
كـيف جـئتُ ؟ كـيف أبـصـرتُ طـريـقي ؟..
لـــستُ أدري!
أجـديـدٌ أم قـديمٌ أنـا فـي هـذا الـوجـودْ
هل أنـا حـرٌّ طـلـيقٌ أم أسـيـرٌ فـي قـيـود
هل أنـا قـائـدُ نـفـسي في حـيـاتي أم مَـقُود
أتـــمـــنَّى أنـــني أدري ولـــكنْ.
لـــستُ أدري!
وطـريـقي! مـا طـريـقي؟ أطـويلٌ أم قـصـيرْ ؟
هل أنـــا أصـــعَـــدُ أم أهـــبِطُ فـــيه وأغُـــور
أأنـا الـسـائـرُ في الـدَّربِ أم الـدربُ تـسـيـر
أم كِلانـــا واقف والـــدهـــر يـــجـــري؟....
لـــستُ أدري!
لـيتَ شـعـري وأنـا فـي عـالَمِ الـغـيبِ الأمـيـنْ
أَتُـــراني كـــنتُ أدري أنـــني فـــيه دَفـــين
وبـــأني ســـوف أبـــدو وبـــأني ســـأكـــون
أم تُـــراني كـــنتُ لا أُدركُ شـــيـــئـــا
لـــستُ أدري!

أتُراني قَبلَما أصبحتُ إنساناً سَويّا
كنت محواً أو محالاً أم تُراني كنت شيّا
ألهذا اللَّغز حلٌّ ؟ أم سيبقى أبديّا
لستُ أدري ولماذا .. لستُ أدري ؟
لستُ أدري!

البحر

قد سألتُ البحرَ يوماً: هل أنا يا بحرُ منكا؟
أصحيحٌ ما رواهُ بعضُهمْ عني وعَنكا؟
أم تُرى ما زعموا زوراً وبهتاناً وإفْكا؟
ضحكتْ أمواجُهُ مني وقالت :
لستُ أدري!
أيها البحرُ أتدري كم مضت ألفٌ عَلَيكا
وهلِ الشاطئُ يدري أنه جاث لديكا
وهل الأنهارُ تدري أنها منكَ إليكا
ما الذي الأمواجُ قالت حين ثارَت ؟
لستُ أدري!
أنت يا بحرُ أسيرٌ آه ما أعظمَ أسركْ!
أنت مثلي أيها الجبَّارُ لا تملكُ أمرَك
أشبَهَتْ حالُك حالي وحكى عذريَ عُذرَك
فمتى أنجو من الأسرِ وتنجو؟
لستُ أدري!
تُرسِلُ السُّحْبَ فتَسقي أرضَنا والشَّجرَا
قد أكلناك وقلنا قد أكلنا الثَّمَرا
وشربناك وقلنا قد شربنا المطرا
أصَوابٌ ما زعَمْنا أم ضَلالٌ؟
لستُ أدري!

قد سألتُ السُّحْبَ في الآفاقِ هل تذكرُ رملَكْ؟
وسألتُ الشجرَ المُورقَ هل يعرفُ فضلَكْ؟
وسألتُ الدُّرَّ في الأعناقِ : هل تذكرُ أصلَكْ؟
وكأني خلتُها قالتْ جميعاً :
لستُ أدري!

يرقص الموجُ وفي قاعكَ حربٌ لن تَزولا
تخلُقُ الأسماكَ لكن تخلُقُ الحوتَ الأكولا
قد جمعتَ الموتَ في صدركَ والعيشَ الجميلا
ليت شعري أنت مَهْدٌ أم ضريحٌ ؟
لستُ أدري!

كم فتاةٍ مثلِ ليلَى وفتىً كابنِ الملوَّحْ!
أنفقا الساعاتِ في الشاطئ تشكو وهو يشرح
كلما حدّثَ أصغَتْ وإذا قالت ترنَّحْ
أحفيفُ الموجِ سرٌّ ضَيَّعَاهُ ؟
لستُ أدري!

كم ملوكٍ ضربوا حولكَ في الليل القِبَابا
طلعَ الصبحُ ولكن لم يجدْ إلا ضبابا
ألَهُمْ يا بحرُ يوماً رجعةٌ أم لا مآبا؟
أَهُمُ في الرَّملِ ؟ قال الرملُ: إني:
لستُ أدري!

فيكَ مثلي أيها الجبَّارُ أصدافٌ ورملُ
إنما أنت بلا ظلٍّ ولي في الأرض ظِلّ
إنما أنت بلا عقْلٍ ولي يا بحرُ عقل
فلماذا يا تُرى أمضي وتبقى ؟
لستُ أدري!

يـا كـتـابَ الـدَّهـرِ قل لي: أَلَهُ قـبلٌ وبـعـدُ؟
أنـا كـالـزورقِ فـيه، وهْـوَ بـحْـرٌ لا يُـحَـدُّ
ليس لي قصدٌ؛ فهل للدهر في سَيْرِيَ قصْد؟
حـبَّـذا الـعـلـمُ ولـكنْ كـيف أدري؟
لـسـتُ أدري!

إنَّ في صـدريَ يـا بـحْـرُ لأسـراراً عُـجَـابـا
نـزل الـسِّـتـرُ عـلـيـهـا وأنـا كـنتُ الحِـجـابـا
ولـذا أزدادُ بُـعـداً كـلـمـا ازدَدْتُ اقـتـرابـا
وأَراني كـلَّـمـا أوشـكْتُ أدري...
لـسـتُ أدري!

إنـنـي يـا بـحـرُ بـحْـرٌ شـاطـئـاهُ شـاطِـئـاكـا
الـغـدُ المجـهـولُ والأمسُ الـلـذان اكْـتـنَـفَـاكـا
وكـلانـا قـطـرَةٌ يـا بـحـرُ في هـذا وذاكـا
لا تَـسـلـنـي مـا غـدٌ مـا أمسُ ؟ إني
لـسـتُ أدري!

في الدير

قـيلَ لي في الـدَّيـرِ قـومٌ أدركُوا سـرَّ الحـيـاةْ
غـيـرَ أني لم أجـدْ غـيْـرَ عُـقـولٍ آسـنـاتْ
وقـلـوبٍ بـلـيَتْ فـيـهـا الـمُـنى فـهيَ رُفـاتْ
مـا أنـا أعـمى فـهل غَـيْـريَ أعـمى؟
لـسـتُ أدري!

قيلَ أدْرى الناسِ بالأسرار: سكّانُ الصَّوامعْ
قلتُ: إن صحَّ الذي قالوا فإنَّ السرَّ شائع
عجباً كيف ترى الشمسَ عيونٌ في براقع

والــتي لم تــتَــبــرقعْ لا تــراهــا ؟...

لــستُ أدري!

إنْ تكُ العزلة نُسكاً وتُقىً، فالذئب راهبْ

وعَـرينُ الـلـيث ديـرٌ حُـبُّهُ فـرضٌ وواجب

ليت شعري أيُميت النُّسكُ أمْ يُحيي المَواهب؟

كـيف يمـحـو الـنُّـسكُ إثـمـاً وهـوَ إثمٌ ؟

لــستُ أدري!

لــستُ أدري!

إنني أبصَرتُ في الدَّيرِ ورداً في سياجِ

قنِعتْ، بعد الندى الطاهرِ، بالماء الأُجاجِ[1]

حَولَها النورُ الذي يُحيي، وترضَى بالدَّياجي[2]

أمِنَ الحـكـمـةِ قـتلُ الـقـلـبِ صـبْـراً ؟...

لــستُ أدري!

قد دخلتُ الديرَ عند الفجرِ كالفجر الطَّروبْ

وتركتُ الديرَ عند الليل كالليل الغَضُوبْ

كان في نفسيَ كرْبٌ صار في نفسي كُروب

أمِنَ الـدَّيــرِ أم الـلــيلِ اكـتـئـابي؟ ...

لــستُ أدري!

قد دخلتُ الديرَ أستنطقُ فيه الناسكينا

فـإذا الـقـومُ من الحَـيرَةِ مِـثلي بـاهِـتُـونـا

غـلبَ الـيـأسُ عـلـيـهم فـهمُ مُـسـتـسـلـمِـونـا

---

(١) الشديد الملوحة .

(٢) الظلمات (دجية - دجىً).

وإذا بـــالـــبـــاب مـــكـــتـــوبٌ عـــلـــيه:...

لـــستُ أدري!

عـجَـباً لـلـنـاسِك الـقـانت وهْـو الـلَّـوذَعي[1]

هَـجَـرَ الـنـاسَ وفـيـهم كلُّ حُـسْنِ الـمُـبـدعِ

و مـضـى يـبـحثُ عـنه فـي الـمكـانِ الـبـلـقَعِ

أَرأى في الـــقـــفْـــرِ مـــاء أم ســـرابـــاً ؟...

لـــستُ أدري!

كم تُمارِي أيـها الناسكُ في الحقِّ الصَّريحْ

لـو أراد الـلـهُ ألا تـعـشـقَ الـشـيءَ الـمـلـيحْ

كـــان إذ ســـوَّاكَ ســـوَّاك بلا قـــلبٍ وروحْ

فـــالـــذي تـــفـــعـلُ إثمٌ.. قـــال: إني ...

لـــستُ أدري!

أيـهـا الـهـاربُ! إن الـعـارَ في هـذا الـفِرارِ

لا صـلاحٌ في الـذي تـصـنع حـتى لـلـقِـفـارِ

أنت جَـانٍ، أيُّ جـانِ، قـاتلٌ في غـيـرِ ثـارِ؟

أَفـيـرضـى الـلـهُ عن هـذا ويـعـفـو ؟...

لـــستُ أدري!

بين المقابر

ولـقـد قـلتُ لـنـفـسي وأنـا بـينَ الـمـقـابـرْ

هل رأيت الأمنَ والـراحـةَ إلا في الـحـفـائـرْ

فـأشـارتْ فـغـدا لـلـدُّودِ عَـيْـثٌ في المحَاجـر

ثم قـــالـت: أيـــهـــا الـــســـائلُ إني...

لـــستُ أدري!

---

(١) لذع برأيه : أسرع في الفهم كإسراع النار إلى الإحراق، فهو (لوذعيّ)

أُنظُري كيف تساوى الكلُّ في هذا المكانِ
وتلاشَى في بقايا العبدِ ربُّ الصَّولَجانِ
والتقى العاشقُ والقَالي[1] فما يفترقانِ
أفَبِذَا مُنتهَى العدلِ ؟ فقالت :
لستُ أدري!

إنْ يكُ الموتُ قِصاصَاً أيُّ ذنب للطهارَهْ
وإذا كان ثواباً، أيُّ فضل للدَّعَارهْ
وإذا كان وما فيه جزاءٌ أو خسارَهْ
فَلِمَ الأسماءُ : إثمٌ وصلاحٌ ؟
لستُ أدري!

أيها القبرُ تكلَّمْ واخْبرِيني يا رِمامْ[2]
هل طوى أحلامَكِ الموتُ وهل ماتَ الغَرام ؟
من هو المائتُ من عامٍ ومن مليونِ عام ؟
أيصيرُ الوقتُ في الأرماسِ مَحواً ؟
لستُ أدري!

إن يكُ الموتُ رُقاداً بعدَهُ صحوٌ طويلْ
فلماذا ليس يبقى صَحْوُنا هذا الجميلْ ؟
ولماذا المرءُ لا يدري متى وقتُ الرَّحيلْ ؟
ومتى ينكشِفُ السِّرُّ فيدري ؟
لستُ أدري!

---

(١) المبغض (قلاه).
(٢) بقايا .

إن يكُ الموتُ هُجُوعاً يملأ النفس سلاما
وانعتاقاً لا اعتقالاً وابتداءً لا خِتاما
فلماذا أعشَقُ النوم ولا أهوى الحِمَاما
ولماذا تجزَعُ الأرواحُ منه ؟
لستُ أدري!

أوراءَ القبر بعد الموتِ بعثٌ ونُشورُ
فحياةٌ فخلودٌ أم فناءٌ فدُثُورُ
أكلامُ الناسِ صدقٌ أم كلامُ الناس زورُ
أصحيحٌ أنَّ بعضَ الناسِ يَدري ؟
لستُ أدري!

إن أكنْ أُبعَثُ بعدَ الموتِ جُثماناً وعَقْلا
أتُرى أُبعَثُ بعضاً أم تُرى أُبعثُ كُلاّ
أتُرى أُبعَثُ طفلاً أم تُرى أُبعثُ كَهلا
ثُمَّ هل أعرفُ بعدَ البعث ذاتي ؟
لستُ أدري!

يا صديقي لا تُعلِّلْني بتَمْزيقِ السُّتُورِ
بعدما أقضي، فعقلي لا يُبَالي بالقشُور
إن أكُن في حالةِ الإدراكِ لا أدري مَصيري
كيف أدري بعدما أفقِدُ رُشْدي ؟
لستُ أدري!

القصر والكوخ

ولقد أبصَرْتُ قصراً شاهقاً عالي القبابْ
قلتُ ما شادكَ مَن شادكَ إلا للخَرابْ

أنت جزءٌ منه لكنْ لستَ تدري كيف غابْ
وهو لا يعلمُ ما تحوي .. أيدري؟
لستُ أدري!
يا مثالاً كان وهْماً قبلما شاء البُناةُ
أنتَ فكرٌ من دماغٍ غيّبَتْه الظلماتُ
أنتَ أمنيّةُ قلبٍ أكلَتْهُ الحشراتُ
أنت بانيكَ الذي شادَكَ.. لا . لا
لستُ أدري!
كم قصورٍ خالها الباني ستبقى وتدومْ
ثابتاتٍ كالرَّواسي، خالداتٍ كالنجوم
سحَبَ الدهرُ عليها ذيلَهُ فهْي رسوم
مالنا نبني وما نبني لهدمٍ ؟
لستُ أدري!
لم أجد في القصرِ شيئاً ليس في الكوخ المَهينِ
أنا في هذا وهذا عبدُ شَكّي ويقيني
وسجينُ الخالدَيْنِ: الليلِ والصبحِ المبين
هل أنا في القصر أم في الكوخ أرقى؟
لستُ أدري!
ليس لي في الكوخ أو في القصر من نفسي مهربْ
إنني أرجو وأخشى، إنني أرضى وأغضب،
كان ثوبي من حريرٍ مُذْهبٍ أو كان قِنَّب
فلماذا يتَمنَّى الثوبَ عارٍ ؟
لستُ أدري!
سَائلِ الفجرَ أعندَ الفجرِ طينٌ ورخامْ ؟
واسألِ القصرَ ألا يُخفِيه كالكوخِ الظلام ؟

واسـألِ الأنجمَ والريحَ وسلْ صـوبَ الغَمَام
أتَــرى الــشيءَ كــمــا نــحن نــراه ؟
لــستُ أدري!

الفكر

رُبَّ فـكـرٍ بـانَ في لـوحـةِ نـفـسي وتجـلّى
خِـلـتُه مـنّي ولـكنْ لم يُـقمْ حـتى تـولّى
مـثلَ طيفِ لاحَ في بـئـرٍ قلـيلاً، واضمـحلاّ
كـــيف وافـى ولمـــاذا فَـــرّ مـــنى ؟
لــستُ أدري!
أتَراهُ سائـحاً في الأرض من نَفْسٍ لأخرى
رابَهُ مـنيَ أمـرٌ فـأبى أن يـسـتَـقِـرَّا
أم تـراهُ مَرَّ في نـفسي كما أعبُرُ جسرا
هل تـراه قـبل نـفـسي غـيـرُ نـفـسي ؟
لــستُ أدري!
أتُـراه بـارقـاً أومضَ حـيـنـاً وتـوارى
أم تُراه كان مـثلَ الطيـر في سجنٍ فطارا
أم تُراه انـحلّ كـالموجـةِ في نـفسي وغـاَرا
فـأنـا أبـحثُ عـنه وهـوَ فـيـهـا ؟
لــستُ أدري!

صراع وعراك

إنـني أشـهـدُ في نـفسي صـراعـاً وعِـراكا
وأرى ذاتيَ شـيـطـانـاً وأحـيـانـاً مَلاكـا
هل أنا شخصَان يأبى ذاك مع هذا اشتراكا
أم تُـــراني واهِـــمـــاً فـــيـــمَـــا أراهُ ؟
لــستُ أدري!

بينما قلبيَ يَحكي في الضحى إحدى الخَمائلْ
فـيه أزهـارٌ، وأطـيـارٌ تُـغـنِّي، وجـداول
أقبلَ العصرُ فأمسى موحشاً كالقفرِ قاحل
كـيف صـار الـقـلبُ روضـاً ثم قَـفـراً ؟
لـــستُ أدري!

أين ضـحـكي وبـكـائي وأنـا طفلٌ صـغـيرُ
أين جـهـلي ومِـرَاحي وأنـا غضٌّ غَـريـرُ
أين أحلامي وكانت كيفما سِرتُ تسيرُ
كـلّـهـا ضـاعتْ ولـكن كـيف ضـاعتْ ؟
لـــستُ أدري!

ليَ إيمـانٌ، ولـكنْ لا كـإيمـاني ونُـسْـكي
إنـني أبـكي، ولـكنْ لا كـمـا قـد كـنتُ أبـكي
وأنـا أضـحكُ أحـيـانـاً ولـكنْ أيَّ ضِـحْكِ!
لـيت شِـعـري مـا الـذي بـدّل أمـري ؟
لـــستُ أدري!

كلَّ يـومٍ ليَ شـانٌ، كلَّ حـينٍ لي شـعـورْ
هل أنـا الـيـومَ أنـا، مـنـذُ لـيـالٍ وشـهـور
أم أنا عندَ غروب الشمسِ غَيرِي في البُكُور
كـلّـمـا سـاءلتُ نـفـسـي جـاوبَـتـني:
لـــستُ أدري!

ربّ أمـرٍ كـنتُ، لـمّـا كـان عـنـدي، أتّـقـيهْ
بِتّ لـمّـا غـاب عـني وتـوارى أشـتَـهـيه
مـا الـذي حـبّـبَهُ عـنـدي ومـا بـغّـضـنـيه
أأنـا الـشـخصُ الـذي أعـرض عـنهُ ؟
لـــستُ أدري!

رُبَّ شخصٍ عشتُ مَعْهُ زمناً ألهو وأمرحْ
أو مكانٍ مَرّ دهرٌ وهوَ لي مَسْرًى ومسرح
لاح لي في البُعدِ أجلَى منه في القُربِ وأوضَح
كيف يبقى رسمُ شيءٍ قد توارى ؟
لستُ أدري!

رُبَّ بستانٍ قضَيتُ العمرَ أحمي شجَرهْ
ومنعتُ الناسَ أن تقطِفَ منه زهَرَه
جاءتِ الأطيارُ في الفجر فناشَتْ ثمرَه
أَ لأِطْيارِ السّما البستانُ أم لي ؟
لستُ أدري!

رُبَّ قُبحٍ عند زيدٍ هوَ حُسْنٌ عند بَكْرِ
فهما ضِدَّانِ فيه، وهو وهْمٌ عند عمرِو
فمن الصّادقُ فيما يدّعيه ليت شعري
ولماذا ليس للحُسنِ قياسٌ ؟
لستُ أدري!

قد رأيتُ الحُسنَ يُنسى مثلما تُنسى العيوبْ
وطلوعُ الشمس يُرجى مثلما يُرجى الغروب
ورأيتُ الشرَّ مثلَ الخيرِ يَمضي ويؤوب
فلماذا أحَسبُ الشرَّ دخيلاً ؟
لستُ أدري!

إنَّ هذا الغيثَ يهمي حين يَهمي مُكْرَها
وزهورُ الروض تُفشي مُجبراتٍ عِطرَها
لا تَطيقُ الأرضُ تخفي شوكَها أو زهرَها
لا تسلْ: أيهما أشهى وأبهى ؟
لستُ أدري!

قد يصيرُ الشّوكُ إكليلاً لملْكٍ أو نبيْ
ويصيرُ الوردُ في عُروَة لصٍّ أو بغيْ
أيغارُ الشوكُ في الحقلِ من الزهر الجَنيْ
أم تُرى يَحسَبَه أحقرَ منهُ ؟

لستُ أدري!

قد يقيني الخطرَ الشوكُ الذي يجرحُ كفِّي
ويكون السمُّ في العطر الذي يملأ أنفي
إنما الوردُ هو الأفضلُ في شَرْعي وعُرفي
وهوَ شرعٌ كلُّهُ ظلمٌ ولكنْ

لستُ أدري!

قد رأيتُ الشُّهبَ لا تدري لماذا تُشرقُ
ورأيتُ السُّحبَ لا تدري لماذا تُغدِق
ورأيتُ الغابَ لا تدري لماذا تورُق
فلماذا كلها في الجهل مِثلي ؟

لستُ أدري!

كلما أيقنتُ أني قد أمَطتُ الستِّترَ عنّي
وبلغتُ السرَّ سِرِّي، ضحِكتْ نفسيَ منّي
قد وجدتُ اليأسَ والحَيرةَ لكن لم أجِدْني
فهل الجهلُ نعيمٌ أم جحيمٌ ؟

لستُ أدري!

لَذَّةٌ عندي أن أسمعَ تغريدَ البلابلْ
وحفيفَ الورَقِ الأخضرِ أو همسَ الجداول
وأرى الأنجُمَ في الظلماء تبدو كالمشاعِل
أتُرى منها أم اللَّذةُ منِّي ؟

لستُ أدري!

أَتُـراني كـنتُ يـومـاً نـغَـمـاً في وتَـرِ
أم تُـراني كـنت قَـبلاً مـوجـةً في نَـهَـر
أم تراني كنتُ في إحدى النجوم الزُّهُر
أم أريـجـاً أم حـفَـيـفـاً أم نـسـيـمـاً ؟
لـــستُ أدري!

فِيَّ، مـثلُ الـبـحـر، أصـدافٌ ورملٌ ولآلْ
فِيّ كـالأرض مـروجٌ وسـفـوحٌ وجـبـال
فِيّ كـالجـوِّ نجـومٌ.. وغـيـومٌ وظِلال
هل أنـا أرضٌ وبـحـرٌ وسـمـاءٌ ؟
لـــستُ أدري!

من شرابي الشُّهدُ والخمرةُ والماءُ الزُّلالْ
من طعامي البَقلُ والأثمار واللحمُ الحَلالْ
كم كيانٍ قد تلاشَى في كِياني واستحالْ
كم كـيـانٍ فـيه شيءٌ من كِـيـاني ؟
لـــستُ أدري!

أأنا أفصَحُ من عصفورةِ الوادي وأعذبْ ؟
ومن الزهرة أشهى ؟ وشذا الزهرةِ أطيب ؟
ومن الحيَّة أدهى ؟ ومن النملة أغرب ؟
أم أنـا أَوضَعُ من هـذي وأدنى ؟
لـــستُ أدري!

كلُّها مثليَ تحيا، كلُّها مِثلي تموتُ
ولها مثلي شرابٌ، ولها مثليَ قوتُ
ورقادٌ وانتباهٌ وحديثٌ وسكوتُ
فبما أمتازُ عنها ليت شِعري ؟
لـــستُ أدري!

قد رأيتُ النملَ يسعى مثلما أسعى لرزقي
وله في العيش أوطارٌ وحقٌ مِثلُ حقِّي
قد تساوى صمتُهُ في نظرِ الدهر ونُطقي
فكِلانا سائرٌ يوماً إلى ما...
لستُ أدري!

أنا كالصَّهباءِ، لكنْ أنا صَهبائي ودَنِّي
أصلُها خافٍ كأصلي، سِجْنها طينٌ وسجني
ويزاحُ الخَتْمُ عنها مثلما ينشَقُّ عني
وهي لا تفقَهُ معناها، وإني...
لستُ أدري!

غَلِطَ القائلُ: إنَّ الخمرَ بنتُ الخابيهْ
فهيَ قبلَ الزِّقِ كانت في عُروق الدَّالِيه
وحواها قبلَ رَحْم الكرْمِ رحمُ الغادِيَه
إنما من قبلِ هذا أينَ كانت ؟
لستُ أدري!

هيَ في رأسيَ فِكرٌ وهيَ في عَينيَ نورُ
وهيَ في صدريَ آمالٌ وفي قلبي شُعورُ
هيَ في جسمي دمٌ يسرُبُ[1] فيه ويَمور
إنما من قبلِ هذا كيفَ كانت؟
لستُ أدري!

أنا لا أذكرُ شيئاً من حياتي الماضيهْ
أنا لا أعرفُ شيئاً من حياتي الآتيه

(١) سرب في الأرض : ذهب على وجهه

ليَ ذاتٌ غـيـرَ أني لـستُ أدري مـا هـيَه
فـمـتى تـعـرفُ ذاتي كُـنْهَ ذاتي ؟
لـستُ أدري!
إنـني جـئتُ وأمـضي، وأنـا لا أعـلَمُ
أنـا لَـغْـزٌ، وذهـابي كـمـجـيـئي طِـلْـسَم
والـذي أوجـدَ هـذا الـلَّـغـز لَـغـزٌ مُـبـهَم
لا تُـجـادِلْ ذا الحِـجـا من قـال: إني
لـستُ أدري!

✱✱✱✱

المحتـــوى
الديـــوان الثـالـث
(الجـداول)

■ مقدمة بقلم ميخائيل نعيمة ٥٥٣

١ – الفاتحة ٥٥٥

٢ – العنقاء ٥٥٧

٣ – السجينة ٥٦١

٤ – الضفادع والنجوم ٥٦٤

٥ – السماء ٥٦٦

٦ – برّدي يا سُحُبُ ٥٦٩

٧ – العَيْر المتنكر ٥٧١

٨ – تعالَيْ ٥٧٢

٩ – ريح الشمال ٥٧٤

١٠ – الحجر الصغير ٥٧٧

١١ – الطين ٥٧٩

١٢ – التينة الحمقاء ٥٨٥

١٣ – في القَفْر ٥٨٧

١٤ – التمثال ٥٩٠

١٥ – المساء ٥٩٢

١٦ – الكمنجة المحطّمة ٥٩٥

١٧ – زهرة أقحوان ٥٩٩
١٨ – الأسرار ٦٠١
١٩ – العميان ٦٠٢
٢٠ – الزمان ٦٠٤
٢١ – اليتيم ٦٠٧
٢٢ – المجنون ٦٠٩
٢٣ – قطرة الطَلّ ٦١٣
٢٤ – نار القرى ٦١٤
٢٥ – ابن الليل ٦١٧
٢٦– أنا ٦١٩
٢٧ – الإله الثرثار ٦٢١
٢٨ – الأشباح الثلاثة ٦٢٢
٢٩ – العُلّيقة ٦٣٠
٣٠ – هي ٦٣٢
٣١ – لا أنتَ ولا أنا ٦٣٦
٣٢ – الناسكة ٦٣٧
٣٣ – عيد النُّهى ٦٣٩
٣٤ – موت العبقري ٦٤٥
٣٥ – الغدير الطموح ٦٤٨
٣٦ – الطلاسم ٦٤٩
■ المحتـوى ٦٦٥

✷✷✷✷

الديوان الرابع

(الخمـــائل)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «السمير» - نيويورك ١٩٤٠).

يضم سبعة وخمسين نصّاً شعريّاً، بين طويل ومعتدل وقصير، يقع ضمنها نصُّه الكبير المعروف «الأسطورة الأزلية». وهو آخر ديوان صدر له في حياته، وتمّ طبعه في مطبعة جريدته «السمير»، قبل وفاته بسبعة عشر عامًا (١٩٥٧).

****

١ - المدخل

[الخفيف]

وقــعتْ نــحــلــةٌ عــلى الأُقــحُــوانِ
فــإذا في الــقَــفــيــرِ شُــهْــدُ
ومــشَتْ بــعــدَهــا عــلى الأغــصــانِ
دودةٌ فــالــغــصــونُ جُــرْد

⁂

وهَـمَـى الـغـيثُ في الحـقـول فـفـيـهـا
شــجــرٌ وارفٌ وزهــرُ
وأطــابَ الــرِّمــالَ كي يُــحْــيــيــهــا
فــهُــمــا مــيِّتٌ وقَــبْــر

⁂

أنــا غــيثٌ، فــإنْ وجــدتُكَ حــقلاً
فــأنــا الــعــشبُ والــشــجــرْ
غــيــرَ أني، إذا لــقِــيــتُكَ رملاً،
لــستُ شــيــئــاً حــتى المــطــرْ

⁂

وأنــا الأقــحــوانُ سِــيَّــانُ عــنــدي
عــشتُ يــومــاً أو بــعضَ يــومِ
لا أُبــالي الــفــنــاءَ إن كــان مــجــدي
في فــنــائي أو مــجــدُ قــومي

⁂

إنْ تَـــغِبْ في فـــراشـــةٍ ألـــواني
فـــأنـــا زهـــرةٌ تـــطـــيـــرُ
وإذا انـــحلَّ في الـــشُّـــعـــاعِ كـــيـــاني
فـــأنـــا في الـــضُّـــحَى عـــبـــيـــرُ

☆☆☆☆☆

جَـــنِّـــبـــوني الـــفـــنـــاءَ في الـــديـــدانِ
إنّهُ الـــمَـــصـــرعُ الـــكَـــريهْ
وانـــعـــدامُ الأريـجِ والألـــوانِ
وانـــدثـــارٌ لا مـــجـــدَ فـــيهْ

☆☆☆☆☆

كُنْ شُـــعـــاعـــاً يَـــبـــينُ فـــيه كِـــيـــاني
لا ظـلامًـــــــا ولا رَغـــــــامْ[1]
ولأعِشْ في الـــشُّـــعـــاعِ بـــضعَ ثـــوانِ
فـــهـيَ خـــيـــرٌ من ألفِ عـــامْ

✱✱✱✱

(١) التراب.

٢ - الشاعر والملك الجائر

[مختلط]

أمَرَ السلطانُ بالشاعرِ يوماً فأتاهُ
في كساءٍ حائلِ الصِّبغةِ واهٍ جانباه
وحذاءٍ أوشكت تُفلتُ منه قدماه
قال: صِفْ جاهي، ففي وصفكَ لي للشِّعرِ جاه
إنّ لي القصرَ الذي لا تبلُغُ الطيرُ ذراه
وليَ الروضُ الذي يعبَقُ بالمسكِ ثراه
وليَ الجيشُ الذي ترشحُ بالموتِ ظُباه[1]
وليَ الغاباتُ والشُّمُّ الرواسي والمياه
وليَ الناسُ .. وبؤسُ الناس مِني والرَّفاه
إن هذا الكونَ مُلكِي، أنا في الكونِ إلهُ!

☆☆☆☆☆☆

ضحكَ الشاعرُ مما سمعتْهُ أذُناهُ
وتمنّى أن يُداجي[2] فعصَتْهُ شفتاهُ
قال: إني لا ارى الأمرَ كما أنت تراهُ
إن مُلِكي قد طوَى ملكَكَ عني ومَحَاهُ

☆☆☆☆☆☆

القصرُ يُنبئُ عن مهارةِ شاعرٍ
لَبِقٍ، ويُخبرُ، بَعدهُ عنكا

---

(١) الظبة: حد السيف.
(٢) المداجاة: المداراة.

هـــو للأُلى يَـــدرونَ كُـــنْهَ جـــمـــالِه
فـــإذا مـــضـــوا فـــكـــأنه دُكَّـــا
ســـــتـــــزولُ أنت ولا يـــــزولُ جلالُهُ
كـالـفُـلك تـبـقى، إن خَـلَتْ، فُـلـكـا
والـروضُ؟ إن الـروضَ صَـنـعـةُ شـاعـرٍ
سَـــــمْحٍ طـــــروبٍ رائقٍ جـــــزلِ
وشّى حـــــواشـــــيَهُ وزيّن أرضَـهُ
بـــــروائعِ الألـــــوانِ والـــــظّلِّ
لـفـراشـةٍ تحـيـا له، ولـنـحـلـةٍ
تحـــيـــا به، ولـــشـــاعـــرٍ مِـــثـــلي!
ولـدِيَـمـةٍ تَـذري عـلـيه دمـوعَـهَـا
كـيـمـا تَـقـيه غـوائلَ الـمَـحلِ
ولـبـلـبلٍ غَـرِدٍ يـسـاجلُ بـلـبلاً
غَـــرِداً، ولـلـنـسـمـاتِ والـطلِّ
فـإذا مـضى زمنُ الـربـيعِ أضـعـتَهُ
وأقـــام في قـــلـــبي وفي عـــقـــلي!

☆☆☆☆☆

والجـيشُ مـعـقـودٌ لـواؤكَ فـوقَهُ
مـا دمتَ تـكـسـوهُ وتـطـعِـمُهُ
لـلـخـبـزِ طـاعـتُهُ وحُـسْنُ ولائه
هـو « لاتُهُ » الـكـبـرى و« بَـرْهَـمُهُ»[1]
فـإذا يـجـوعُ بـظلِّ عـرشِكَ لـيـلـةً
فـهـو الـذي بـيـديه يَـحْـطِـمُه
لك مـنـه أسـيُـفُهُ[2] ولـكنْ في غـدٍ
لـسـواكَ أسـيُـفُه وأسـهُـمُهُ

(١) يريد: اللات. وبْراهما الإله الذي خلق العالم واتحد به في عقائد الهندوكية، والنسبة إليه: برهمي.
(٢) يجمع السيف، في معاجم اللغة، على: أسياف وسيوف.

أتــراهُ ســار إلى الــوغى مُــتــهــلَّلاً
لــولا الــذي الــشّــعــراءُ تَــنــظِــمُه؟
وإذا تــرنّمَ هلْ بــغــيــرِ قــصــيــدةٍ
من شــاعــرٍ مــثــلي تــرنُّــمُه؟

والــبــحــرُ، قــد ظــفِــرتْ يــداكَ بــدُرِّهِ
وحــصــاهُ، لــكن هل مــلــكتَ هــديــرَهُ؟
هُــوَ لــلــدجى يُــلــقِي عــلــيه خــشــوعَهُ
والــصُّــبحُ يــسكبُ، وهــو يــضــحكُ، نــورَهُ
أَمَــرجْتَ أنت مــيــاهَهُ؟ أصَــبــغتَ أنـ
ـتَ رمــالَهُ؟ أجَــبــلتَ أنت صــخــورَه؟
هــو لــلــريــاحِ تــهــزُّهُ وتــثــيــرُهُ
والــشــهبُ تــسمعُ في الــظلامِ زئــيــرَهُ
لــلــطــيــرِ هــائــمــةً به مــفــتــونــةً
لا لــلــذينُ يــروِّعــونَ طــيــورَه
لــلــشــاعــرِ المــفــتــون يــخــلقُ لاهــيــاً
مِن مَــوجِه حُــوراً ويــعــشقُ حــورَه
ولمنْ يــشــاهــدُ فــيه رمــزَ كــيــانِه
ولمن يــجــيــدُ لــغــيــرِه تــصــويــرَه
يــا مَن يــصــيــدُ الــدُّرَّ من أعــمــاقِه
أخــذتْ يــداكَ من الجــلــيلِ حــقــيــرَه
لا تــدَّعــيهِ.. فــلــيس يُــمْــلَكُ، إنه
كــالــروضِ جــهــدُكَ أن تــشَــمّ عــبــيــرَه

ومــررتُ بــالجــبلِ الأشمِّ فــمــا زوَى
عــني مــحــاســنَهُ ولــستُ أمــيــرا

ومـــررتَ أنت فـــمـــا رأيتَ صـــخـــورَهُ
ضـــحـــكتْ ولا رقـــصتْ لـــديكَ حُـــبـــورا
ولـــقـــد نـــقَـــلتُ لـــنـــمـــلهِ مـــا تـــدَّعي
فـــتـــعـــجـــبتْ، ممـــا حـــكـــيتُ، كـــثـــيـــرا
قـالت: صـديـقُكَ مـا يـكـونُ؟ أقَـشْـعَـمـاً
أم أرْقَـمـاً؟ أم ضَـيـغَـمـاً هَـيـصُـورا؟[1]
أيـــحُـــوكُ مـــثلَ الـــعـــنـــكـــبـــوتِ بـــيـــوتَهُ
حَـوْكـاً؟ ويـبـنـي كـالـنّـسـورِ وكـورا؟
هل يملأُ الأغـوارَ تِـبـراً كـالـضُّـحى
ويـــردُّ كـــالـــغـــيثِ المَـــواتَ نـــضـــيـــرا؟
أيـــلفُّ كـــالـــلـــيل الأبـــاطحَ والـــرُّبـــا
والمـــنـــزلَ المـــعـــمـــورَ والمـــهـــجُـــورا؟
فـــأجـــبـــتـــهـــا: كلاّ! فـــقـــالتْ: سَـــمٍّ
في غـــيـــرِ خـــوفٍ، «كـــائـــنـــاً مـــغـــرورا!»

فـــاحـــتـــدمَ الـــســـلـــطـــانُ أيَّ احـــتـــدامْ
ولاحَ حبُّ الـــبـــطشِ في مـــقـــلـــتـــيهْ
وصـــاحَ بـــالجلاّدِ: هـــاتِ الحـــســـامْ!
فـــأســـرعَ الجلاّدُ يـــســـعى إلـــيهْ
فـــقـــال: دحـــرجْ رأسَ هـــذا الـــغلامْ
فـــرأسُهُ عبءٌ عـــلى مَـــنْـــكـــبـــيهْ
قـــد طُـــبع الـــســـيفُ لحـــزَّ الـــرقـــابْ
وهـــذهِ رقْـــبـــةُ ثـــرثـــارِ

(١) القشعم: النسر الذكر العظيم. والأرقم: ذكر الحيات أو أخبثها. والضيغم: الأسد. يريد بالهيصور: الهصور

اقـتـلْهُ.. واطـرحْ جـسـمَهُ لـلـكلابْ
ولـتـذهبِ الـروحُ إلى الـنـار

سـمْـعًـا وطَـوعـاً سـيـدي!.. وانـتـضَى
عَـضْـبـاً [1] يمـوجُ المـوتُ في شـفـرتـيهْ
ولـم يـكنْ إلا كـبـرقٍ أضَـا
حـتى أطـار الـرأسَ عن مَـنـكِـبـيه
فـسـقط الـشـاعـرُ مُـعْـرَوْرَضًـا
يُـخـدِّش الأرضَ بـكـلـتـا يـديه[2]
كـأنمـا يـبـحثُ عن رأسه
فـاسـتـضْـحكَ الـسلـطـانُ من سـجـدتهْ
ثم اسـتـوى يـهـمسُ في نـفـسه
«ذو جُـنّـةٍ»[3] أمـسى بلا جُـنّـتِهْ

أجلْ، هَـكَـذا هـلكَ الـشَّـاعـرُ
كـمـا يـهـلِكُ الآثمُ المـذنبُ
فـمـا غَصَّ في روضـةٍ طـائـرٌ
ولم يـنـطـفئْ في الـسَّـمـا كـوكب
ولا جـزِعَ الـشـجـرُ الـنـاضـرُ
ولا اكـتـأبَ الجـدولُ الـمُـطـرَب
وكُـوفئَ عن قـتـلـه الـقـاتلُ
بمـالٍ جـزيلٍ وخـدٍّ أسـيلْ
فـقـال له خُـلْـقُهُ الـسَّـافلُ،
ألا لـيـت لي كلّ يـومٍ قـتـيلْ!

---

(١) السيف القاطع (عضب: قطع).
(٢) المَرْميّ بما يقتله ويرميه معترضاًبم على الأرض. (٣) السترة.

في لـــيـــلـــةٍ طـــامِـــسَـــةِ الأنجمِ
تَـــســـلّلَ المـــوتُ إلى الـــقـــصـــرِ
بـــين حـــرابِ الجـــنـــدِ والأســـهُمِ
والأســـيُفِ الـــهـــنـــديّـــةِ الحُـــمـــر
إلـى سَـــريـــرِ المـــلـــكِ الأعـــظـمِ
إلى أمـــيـــرِ الـــبـــرِّ والـــبـــحـــر!!
فـــفـــارقَ الـــدنـــيـــا ولـــمّـــا تـــزلْ
فـــيـــهـــا خُـــمـــورٌ وأغـــاريـــدُ
فـــلـم يَـمِـدْ حُـزنـاً عـلـيه الجـبَلْ
ولا ذوَى في الـــــروضِ أُمـــــلُـــــود

في حـــوْمـــةِ المـــوتِ وظِلِّ الـــبِـــلَى
قـد الـتَـقى الـسـلـطـانُ والـشـاعـرُ
هـــــذا بلا مـــــجْـــــدٍ، وهـــــذا بلا
ذلٍّ، فـلا بـــــــاغٍ ولاثـــــــائـــــــرُ
عـــانـــقتِ الأســـمَـــالُ تـلك الحُـلى
واصـــطـــحبَ المـــقـــهـــورُ والـــقـــاهـــر
لا يَـــجـــزعُ الـــشـــاعـــرُ أن يُـــقـــتَلا
لـــيس وراءَ الـــقـــبـــرِ ســـيفٌ ورمحْ
ولا يـــبـــالـي ذاك أن يُـــعْـــذلا
سِـــيّـــانِ عـــنـــد المـــيْتِ ذمٌ ومـــدح

وتـــوالتِ الأجـــيـــالُ تَـــطَّـــردُ
جـــيلٌ يـــغـــيبُ وآخـــرٌ يـــفِـــدُ

أخـنتْ عـلى الـقـصـرِ المـنـيفِ فلا
الجـدرانُ قـائـمـةٌ ولا الـعُـمُـدُ
ومـشتْ عـلى الجـيش الـكـثـيفِ فلا
خـيـلٌ مُـسـوَّمـةٌ ولا زَرَدُ
ذهـبتْ بمَن صـلُـحُـوا ومن فـسَـدوا
ومـضتْ بمن تـعِـسُـوا ومن سَـعِـدوا
وبمن أذابَ الحبُّ مـهـجـتَهُ
وبمن تـأكَّلَ قـلـبَهُ الحـسـدُ
وطـوتْ مـلـوكـاً مـا لـهمْ عـددٌ
فـكـأنـهمْ في الأرض مـا وجـدوا
والـشـاعـرُ المـقـتـولُ بـاقـيـةٌ
أقـوالُهُ فـكـأنـهـا الأبَـد
الـشـيخُ يـلـمِسُ في جـوانـبـهـا
صُـورَ الـهـوى، والحِـكـمـةَ الـولـد

✱✱✱✱

٣ - الدمعة الخرساء

[الكامل]

سَمِعَتْ عويلَ النائحاتِ عشيَّةً
في الحيِّ يَبْتَعِثُ الأسى ويُثِيرُ
يَبْكينَ في جُنحِ الظلام صبيَّةً
إنَّ البكاءَ على الشّبابِ مَرِير[1]
فَتَجهَّمتْ وتلفَّتَت مُرتاعةً
كالظبيِ أيقنَ أنه مأسُور
وتحيَّرتْ في مقلتيها دمعةٌ
خرساءُ لا تَهْمي وليس تغور
فكأنها بَطلٌ تكنَّفَهُ العِدا
بسيوفهمْ وحُسَامهُ مكسور
وجمتْ فأمسى كلُّ شيءٍ واجماً
النورُ والأظلالُ والدَّيجور
الكونُ أجمعُ ذاهلٌ لذهولها
حتى كأن الأرضَ ليس تدور
لا شيءَ مما حولَنا وأمامنا
حسَنٌ لديها والجمالُ كثير
سَكتَ الغديرُ كأنما الْتَحَفَ الثَّرَى
وسَهَا النَّسيمُ كأنه مذعور
وكأنما الفَلَكُ المُنوَّرُ بُلقعٌ

(١) يريد: مرّ، على الشائع في الاستعمال.

والأنجمُ الـــزهـــراءُ فـــيه قـــبـــور
كـانت تـمـازِحُـني وتـضـحكُ، فـانـتـهى
دَوْرُ المُـزاحِ، فَـضِـحْـكـهـا تـفـكـيـر
قـالت، وقـد سَـلخَ ابـتـسـامـتَـهـا الأسى،
«صَـدقَ الـذي قـال: الحـيـاةُ غـرور»
أكـذا نمـوتُ وتـنـقـضي أحلامُـنـا
في لحـظـةٍ، وإلى الـتُّـرابِ نـصـيـر»
وتـمـوجُ ديـدانُ الـثَّـرى في أكْـبُـدٍ
كـانت تـمـوجُ بـهـا الـمُـنى وتـمـورُ
«خـيـرٌ إذن مـنـا الأُلى لم يـولـدوا
ومِن الأنـام جَلامـدٌ وصـخـور»
«ومن الـعـيـونِ مـكـاحِلٌ ومَـراودٌ
ومنَ الـشِّـفـاهِ مـسـاحِقٌ وذُرور»
«ومن الـقـلـوبِ الخـافـقـاتِ صـبـابـةً
قـصَبٌ لـوقْـعِ الـريحِ فـيه صـفـيـر»
وتـوقـفتْ، فـشَـعـرتُ، بـعـد حـديـثـهـا،
أن الـوجـودَ مُـشـوَّشٌ مـبـتـورُ
الـصـيفُ يـنـفُثُ حَـرَّهُ من حـولـنـا
وأنـا أحِسُّ كـأنـني مَـقْـرور
صـارت إلى قـلـبي الـشـكـوكَ فـنـغَّصتْ
لَـيـلِيْ، ولـيس مع الـشـكـوكِ سُـرور
وخـشـيتُ أن يـغـدو، مع الـرَّيبِ، الـهـوى
كـالـرسمِ، لا عِـطـرٌ، وفـيه زهـور
وكـدُمـيـةِ الـمَـثَّـالِ حُـسْنٌ رائعٌ
ملأ الـعـيـون ولـيس ثَمّ شـعـور
فـأجـبـتُـهـا: «لـتـكُنْ لـديـدانِ الـثَّـرى

أجسامُنا! إن الجسومَ قُشور»

«لا تجزعي فالموتُ ليس يَضيرُنا

فلَنا إيابٌ بعدَهُ ونُشور»

«إنّا سنبقى بعد أن يمضي الورَى

ويزولَ هذا العالَمُ المنظور»

«فالحُبُّ نورٌ خالدٌ مُتَجَرِدٌ

لا ينطوي إلا ليسطعَ نور»

«وبنو الهوى أحلامُهم ورُؤَاؤهم

لا أعينٌ ومراشفٌ ونحور»

«فإذا طَوتْنا الأرضُ عن أزهارها

وخلا الدجى منا وفيهِ بدور»

«فسترجعينَ خميلةً معطارةً

أنا في ذُراها بلبلٌ مسحور»

«يشدو لها ويطيرُ في جنباتها

فتَهِشُّ إذ يشدو، وحين يطير»

«أو جدولاً مُترقرقاً مترنِّماً

أنا فيه موجٌ ضاحكٌ وخرير»

«أو تَرجِعينَ فراشةً خطّارةً

أنا في جناحيها الضُّحى الموشُور»[1]

«أو نسمةً أنا همسُها وحفيفُها

أبداً تُطوّفُ في الرُّبا وتدور»

«تغشى الخمائلَ في الصباح بليلةٍ

وتؤوبُ، حين تؤوبُ، وهي عبيرُ»

«أو تلتقي عندَ الكثيبِ، على رِضاً

(١) الوشْر: تحديد الأسنان وترقيقها. لعله يريد: شفافية النور في الضحى.

وقـنـاعـةٍ، صـفـصـافـةٌ وغـديـر»
«تـمـتـدُّ فـيه وفي ثـراهُ عـروقُـهـا
ويـسـيلُ تحت فـروعِـهـا ويـسـيـر»
«ويـغـوصُ فـيه خـيـولُـهـا فـيـلـفُّهُ
ويَـشِفُّ فـهـو الـمُـنـطـوي المـنـشـور»
«يـأوي إذا اشـتـدَّ الـهـجـيـرُ إلـيـهـمـا
الـنـاسـكـان: الـظـبيُ والـعـصـفـورُ»
«لـهـمـا سـكـيـنـتُـهـا ووارفُ ظِـلِّـهـا،
والمـاءُ إن عـطِـشـا لـديه وفـيـر»
«أعـجُـوبـتـانِ: زَبَـرجَـدٌ مـتـهـدِّلٌ
نـامٍ، تـدفَّقَ تحـتَهُ الـبـلُّـور»[1]
«لا الـصـبحُ بـيـنـهـمـا يـحـولُ ولا الـدُّجى
فـكلاهـمـا بـكـلـيـهـمـا مـغـمـور»
«تـتـعـاقبُ الأيـامُ وهيَ نـضـيـرةٌ
مـخـضـرَّةُ الأوراق وهـو نَـمـيـر»
«فـالـدهـرُ أجـمـعُه لـديـهـا غـبـطـةٌ
والـدهـرُ أجـمـعهُ لـديه حُـبـور»
فـتَـبـسـمتْ، وبـدا الـرضـا في وجـهـهـا،
إذ راقـهـا الـتـمـثـيلُ والـتَّـصـويـر
عـالجـتُـهـا بـالـوهمِ، وهي قَـريـرةٌ،
ولَـكَم أفـادَ الـمُـوجَعَ الـتَـخـديـرُ
ثم افـتَـرقـنـا ضـاحـكَـيْنِ إلى غـدٍ
والـشُّـهبُ تـهـمُسُ فـوقـنـا وتـشـيـر
هيَ كـالمـسـافـرِ آبَ بـعـد مـشـقَّـةٍ
وأنـا كـأني قـائـدٌ مـنـصـور

(١) الزبرجد: جوهر يقال إنه الزمرّد.

لـكـنـني لـمّـا أوَيْتُ لمـضْـجَـعي
خَـشُنَ الـفـراشُ عـليَّ وهـو وثـيـر
وإذا سِـراجي قـد وَهَتْ وتـلـجْـلَـجتْ
أنـفـاسُهُ، لـكـأنه الـمَـصـدور
وأجَـلْتُ طـرفي في الـكِـتـاب فلاحَ لي
كـالـرسم مـطـمـوساً وفـيه سـطـور
وشـربتُ بـنتَ الـكـرمِ أحـسبُ راحـتي
فـيـهـا، فـطـاشَ الـظنُّ والـتـقـديـرُ
فـكـأنـني فُـلْكٌ وهتْ أمـراسُـهـا
والـبـحـرُ يـطـغى حـولـهـا ويـثـور
سـلَبَ الـفـؤادَ رُؤاه والجـفنَ الـكـرى
همٌّ عَـرَا فـكلاهـمـا مَـوتـور
حـامتْ عـلى روحي الـشـكـوكُ كـأنـهـا
وكـأنـهنَّ فـريـسـةٌ وصـقـور
ولـقـد لجـأتُ إلى الـرجـاء فـعـقَّـني
أمـا الـرجـاء فـخَـائبٌ مـدحـور
يـا لـيلُ! أينَ الـنـور؟ إني تـائهٌ،
مُـرْ يَـنـبَـثِقْ، أمْ لـيس عـنـدكَ نـور
أكـذا نمـوتُ وتـنـقـضي أحلامُـنـا
في لحـظـةٍ، وإلى الـتـرابِ نـصـيـر

✱✱✱✱

٤ - الفيلسوف المجنّح

[الكامل]

يـا أيـهـا الـشّـادي المـغـرّدُ في الـضـحى
أهــواكَ إنْ تُــنْــشِــدْ وإن لـم تــنــشــدِ
الــفنُّ فــيكَ سَــجــيّــةٌ لا صَــنــعــةٌ
والحبُّ عـنـدكَ كـالـطـبـيـعـةِ سَـرمـدي
فــإذا ســكتَّ فــأنتَ لحنٌ طــائــرٌ
وإذا نــطــقتَ فــأنت غــيــرُ مــقــلِّــد
لــلــهِ دَرُّكَ شــاعــراً لا يــنــتــهي
من جــيّــدٍ إلا صَــبَــا لـلأجــود
مــرَحُ الأزاهــرِ في غِــنــائِكَ، والــشَّــذا،
وطلاقــةُ الــغُــدْرانِ والــفــجــرِ الــنَّــدي
وكــأن زَوْرَكَ فــيه ألفُ كــمــنــجــةٍ
وكــأنَّ صــدرَكَ فــيه ألفُ مُــرَدِّد
كم زهـرةٍ في الـسّـفحِ خَـادرةٍ[1] الـمُـنى
سـكـنتْ عـلى يـأسٍ سـكـونَ الجَـلْـمـد
غـنَّـيـتَـهـا فـاسـتـيـقـظتْ وتـرنَّـحتْ
وتــألّــقتْ كــالــكــوكبِ المــتَــوقِّــد
وجـرى الـهـوى فـيـهـا، وشـاعَ بَـشـاشـةً
مَن لم يُــحــبَّ فــإنه لـم يــولــدِ
وكــأنــني بكَ، حــينَ تــهــتفُ، قــائلٌ
لــلــزهــرِ: إنَّ الحـسـنَ غـيـرُ مُـخَـلّـد

(١) الخادر: الفاتر الكسلان.

فـاسْـتـنـفِـدي في الحبِّ أيـامَ الـصِّـبـا
واسْـتـرشـديه فـهْـوَ أصـدقُ مُـرشِـد
واِسـتشـهـدِي فـيه، فَمِنْ سُـخْـرِ الـقَضـا
أن لا تـذوقـيه وأن تُـسـتَـشـهَـدي

☆☆☆☆☆

يـا فـيـلـسـوفـاً قـد تلاقى عـنـدَهُ
طَـرَبُ الخَـلـيِّ وحُـرْقـةُ المـتـوجِّـد[1]
رفعَ الـربـيـعُ لك الأرائِكَ في الـرُّبـا
وكَـسـا حـواشِـيَـهـا بُـرودَ زَبَـرجـد
أنت المـلـيكُ له الـضـيـاءُ مـقَـاصِـرٌ
وتـعـيشُ عَـيشَ الـنـاسكِ المـتـزهّـد
مـسـتـوفـزاً فـوق الـثـرى، مـتـنـقّلاً
في الـدَّوحِ، من غـصنٍ لـغـصنٍ أمْـلـد[2]
مـتـزوِّداً من كلّ حُـسْـنٍ لمحـةً
شـأنُ المحبِّ الـثـائـرِ الـمُـتَـمـرِّد
وإذا ظـفِـرتَ بـنـفـحـةٍ وبـقـطـرةٍ
فـلـقـد ظـفـرْتَ بـروضـةٍ وبمَـوْرِد
تـشـدو وتَـبـهَتُ حـائـراً مـتـرددا
حـتى كـأنك حـين تُـعـطي تَـجْـتـدي
وتـمـدُّ صـوتَكَ في الـفـضـا مـتـلـهّـفـاً
في ذلَّـةِ المـسـتـرحمِ المـسـتـنـجِـد
فـكـأنمـا لك مـوطنٌ ضـيَّـعـتَهُ
خـلـفَ الـكـواكبِ في الـزمـان الأبـعـد

---

(١) من الوجد الذي هو الحزن.
(٢) الأملد والأملود: الناعم.

وطنٌ جـــمـــيلٌ كـــنتَ فـــيه ســـيّـــداً
فـــمـــضى، ودامَ عـــلـــيكَ همُّ الـــسَّـــيِّـــد
طـورِدْتَ عـنه إلى الحـضـيضِ فـلم تـزلْ
مـــتـــلـــفّـــتـــاً كـــالخـــائفِ المـــتـــشـــرِّد
يـــبـــدو لـــعـــيـــنكَ في الـــعـــقـــيقِ خـيـالُهُ
وتـــراهُ في ورَقِ الـــغـــصـــونِ المـــيَّـــد
صـــورٌ مُـــعـــدَّدةٌ لـــغـــيـــر حـــقـــيـــقـــةٍ
كـــالآلِ[1] لاحَ لـــمُـــعـــطَشٍ في فَـــدْفَـــد[2]
فَـــتَـــهُمُّ أن تـــدنـــو إلـــيه، وتـــنـــثـــني
حـــتى كـــأنك خـــائفٌ أن تـــهـــتـــدي!
وكـــأنه حـــلُمٌ يـــصِحُّ مع الـــكَـــرى
فـــإن انـــتـــهـــيتَ مع الـــكـــرى يـــتـــبـــدَّدِ
كم ذا تـــفـــتِّشُ في الـــســـفـــوح وفي الـــذُّرا
عـــنـــقـــاءُ[3] أقـــربُ مـــنه لـــلـــمـــتـــصـــيِّـــد

يـــا أيـــهـــا الـــشـــادي المـــغـــرّدُ في الـــضـــحى
أهـــواكَ إن تـــنـــشـــدْ وإنْ لـم تُـــنـــشِـــد
طـــوبـــاكَ إنك لا تـــفـــكِّـــرُ في غـــدٍ
بَـــدْءُ الـــكـــآبـــةِ أن تـــفـــكّـــر في غـــد
إن كـــنت قـــد ضـــيّـــعتَ إلـــفَكَ إنـــني
أبـــكي عـــلـــى إلـــفِي الـــذي لم يـــوجَـــد!

✱✱✱✱

(١) السراب.
(٢) الفلاة التي لاشيء فيها.
(٣) العُقاب.

٥ - ماء وطين

[الخفيف]

سـألـتْـنِي وقـدْ رجـعتُ إلـيـهـا
وعـلى مَـفْـرِقي غـبـارُ الـسِّـنـيـنـا:
أيَّ شيءٍ وجـدتَ في الأرض بـعـدي؟
قـلـتُ: إني وجـدتُ مـاءً وطـيـنـا
جـمَـعَ الحُـسـنَ والـدمـامـةَ والإقْـ
ـدامَ والخـوفَ والـنُّـهَى والجـنـونـا
والـرجـاءَ الـذي يـصـيـرُ به الـفَـدْ
فَـدُ[1] روضـاً وشـوكُهُ نَـسْـريـنـا
والـقـنـوطَ الـذي يُـعـرِّي من الأوْ
رَاقِ، في نـشـوةِ الـربـيع، الـغـصـونـا
ووجـدتُ الـهـوى كـمـا كـان قِـدْمـاً
ثـقَـةً تـارةً، وطـوراً ظـنـونـا
وشـبـابـاً سـكـرانَ من خـمـرةِ الـوَهْـ
ـمِ يـخـالُ المحـالَ أمـراً يـقـيـنـا
فـإذا شـاختِ الـرؤى وتـلاشتْ
وصَـحـا، بـاتَ جَـزمُهُ تَـخْـمـيـنـا
لا يـزالُ الإيمـانُ نـوعـاً من الـرّهْـ
بَـةِ، والحُـسْنُ لـلـغـرورِ خَـدِيـنـا
لا يـزال الـغـنـيُّ يـخـتـالُ في الأرْ
ضِ وإنْ كـان جـاهـلاً مـأفُـونـا

(١) المفازة الواسعة الخالية.

كلُّ مَن قــد لــقــيتُ مــثــلُكِ يــانَــفْ
سي في مــا تُــبــدينَ أو تُــخْــفِــيــنــا
فــانــظــري مــرَّةً إلــيكِ مَــلــيّــاً
تُــبــصِــري الأولــينَ والآخِــرِيــنــا

✷✷✷✷

٦ - الإبريق

[الطويل]

ألا أيـــهـــا الإبـــريقُ مـــا لكَ والـــصَّـــلَفْ
فـــمـــا أنتَ بـــلّـــورٌ ولا أنت من صَـــدَفْ
ومـــا أنت إلاّ كـــالأبـــاريقِ كـــلِّـــهـــا
تـــرابٌ مَـــهِـــينٌ قـــد تـــرقّى إلى خـــزَف
أرى لكَ أنـــفـــاً شـــامـــخـــاً غـــيـــرَ أنهُ
تـــلـــفَّعَ أثـــوابَ الـــغـــبـــارِ ومـــا أنِف
ومـــسَّـــتْهُ أيـــدي الأدنـــيـــاءِ فـــمـــا شـــكـــا
ومـــصَّـــتْهُ أفـــواهُ الـــطَّـــغـــامِ فـــمـــا وجَف
وفـــيكَ اعـــتـــزازٌ لـــيس لـــلـــديكِ مـــثـــلُهُ
ولـــستَ بـــذي ريشٍ تـــضـــاعَفَ كـــالـــزّغَف[1]
ولا لكَ صـــوتٌ مـــثـــلُه يـــصـــدعُ الـــدُّجى
وتـــهـــتِفُ فـــيه الـــذكـــريـــاتُ إذا هَـــتَف

وأَنْـصَتُّ أســتــوحــيهِ شــيــئــاً يــقــولُهُ
كـمـا يَـسـكتُ الـزّوارُ في مَـعـرِض الـتُّـحَفْ
وبـــعـــد ثـــوانٍ خِـــلتُ أني ســـمـــعـــتُهُ
يُـــثـــرثِـــرُ مـــثلَ الـــشـــيخِ أدركَهُ الخَـــرَف
فـقـال: «سـقـيتُ الـنـاسَ»، قـلتُ له: أجلْ
ســقـــيـــتَـــهمُ مـــاءَ الـــسَّـــحـــابِ الـــذي وَكَف

(١) زغفت البئر: كثر ماؤها، وزغف كلاماً كثيراً: زاد فيه بالكذب.

ودمعَ الـسـواقي والـعـيـونِ الـذي جـرى
ومـاءَ الـيـنـابـيعِ الـذي قـد صَـفـا وشَفْ
فـقـال: لِـيـذْكُـرْ فـضـليَ المـاءُ ولـيُـشـدْ
بمـدحي ألَم أحـمِـلْه؟ قـلتَ: لك الـشَّـرَف!
فـقـال: ألَمْ أحـفـظْهُ؟ قـلتُ: ظـلـمـتَهُ
فـلـولاهُ لـم تُـنـقَل ولـولاك مـا وقَف!

✷✷✷✷

٧ ـ أمنيّة إلهة

[مختلط]

أحَبَّ إلهُ في صِبَاهُ إلاهةً
جرى السِّحرُ في أعطافِها والترائبِ[١]
تمنّتْ عليه آيةً لم يجيءْ بها
إلهٌ سِواهُ في العصورِ الذَّواهب
ليُمسي على الأربابِ أجمعَ سيِّداً
وتُمسي تُباهي كلَّ ذاتِ ذوائب
وكان إلهاً جامحاً متضرِّماً
هوىً، فأتى بالمعجِزاتِ الغرائب
كسا الأرضَ بالزهرِ البديعِ لأجلها
ورصَّعَ آفاقَ السَّما بالكواكب
وما زال حتى علَّمَ الطيرَ ما الهوى
فحَنّتْ وغنّتْ في الذُّرا والمَناكب[٢]
وأنشأَ جناتٍ وأجرى جداولاً
ومدّ المروجَ الخضرَ في كلِّ جانب
وشاء فشاعَ العطرُ في الماء والضِّيا
وفي كل صوتٍ أو صدىً مُتَجاوب

☆☆☆☆☆

ومسّ الضُّحى فارفضَّ تِبْراً على الرُّبا
وسال عقيقاً في حواشي السَّباسبِ[٣]

---

(١) موضع القلادة من الصدر (مفردها: تريبة).
(٢) يقصد: سفوح الجبال، مادون ذراها.
(٣) السبسب: الأرض القفر البعيدة.

وقـــال لأحلامِ الـــبـــحـــار: تجـــسَّـــدي
مـــواكبَ ألـــوانٍ وجـــيشَ عـــجـــائب
فـكـانتْ لآلٍ في الـشـطوطِ، وفي الـفـضـا
غُـيـومٌ، ومـوجٌ ضـاحكٌ في الـغَـوارب[1]
ولـمـا رأى الأشـيـاءَ أحـسنَ مـا تُـرى
وتـمَّتْ له دنـيـا بـغَـيـرِ مَـعـايب
دعـاهـا إلـيه كي تُـبـاركَ صُـنـعَهُ
ولم يـــدرِ إن الحبَّ جَمُّ المـــطـــالب
فـقـالت له أحـسـنتَ! أحـسـنتَ مُـبْـدِعَـاً
فـيـا لكَ ربّـاً عـبـقَـريَّ المـواهب
ولـكنّ لي أُمـنـيـةً مـا تحـقَّـقتْ
إذا لم تُـنِـلْـنـيـهـا فـمـا أنتَ صـاحـبي!

فـدنـيـاكَ هـذي عـلى حُـسـنـهـا
وسِـحـرِ مَـشـاهـدِهَـا والـصـورْ
تُـشـاركـنـي سـائـرُ الآلـهـاتِ
لَـذاذاتِـهـا ونـسـاءُ الـبـشـر

أريـدُ دنـيـا فـيـهـا شُـعـاعٌ
يـبـقى إذا غـابتِ الـنـجـومْ
أريـدُ دنـيـا تُـحِسُّ نـفـسي
فـيـهـا نـفـوسـاً بلا جـسـوم
أريـدُ خـمـراً بلا كـؤوسٍ
من غـيـرِ مـا تُـنـبِتُ الـكـروم

(١) غوارب الماء: أعاليه.

أريـــــد عـــــطـــــراً بلا زهـــــورٍ
يَـــســـــري وإن لم يَـــكُنْ نـــســـــيم

☆☆☆☆☆

وزَادتْ فـــقـــالتْ: أريـــدُ أنـــيـــنـــاً
يُـــشـــوِّشْ روحي ولا مُـــحْـــتَـــضَـــرْ
ومـــــــاءً يمـــــــوجُ ولا جـــــدولٌ
ونـــاراً بلا حـــطبٍ تَـــســـتَـــعِـــر
فـــأطـــرقَ ذاكَ الإلـهُ الـــفـــتيُّ
وفي نـــفـــسهِ ألمٌ مُـــسْـــتَـــتِـــر
وقـــال: أمـــهـــلـــيـــني ثلاثَ لـــيـــالٍ
أذلِّلُ فـــيـــهـــا المـــرادَ الـــعَـــسِـــر!

☆☆☆☆☆

وراحَ يـــجـــوبُ رحـــابَ الـــفـــضـــاءِ
يـــحـــدوه شـــوقٌ ويـــدعـــوه سِـــرّ
فـــســـالَ مع الـــشـــمس فـــوق الـــرُّبـــا
وغـــلـــغلَ في الحِـــنْـــدِسِ[1] المـــعـــتـــكِـــر
وأصـــغى إلى نـــســـمـــاتِ المـــروجِ
وأصـــغَى إلى نَـــفـــحـــاتِ الـــزَّهَـــر
وبـــعـــدَ ثلاثِ لـــيـــالٍ أتـــاهـــا
فـــظـــنَّـــتهُ جـــاء لـــكي يـــعـــتَـــذِر
فـــقـــال: وجـــدتُ الـــذي تـــطـــلُـــبـــينَ
لـــدى شـــاعـــرٍ ســـاحـــرٍ مُـــبـــتَـــكِـــر
وأخـــرجَ خـــيـــطـــاً قـــصـــيـــرَ المـــدى
بـــلـــونِ الـــتـــرابِ ولِـــينِ الـــشَّـــعَـــر

(١) الظلمة.

فـــلـــمـــا رأتْهُ عَـــرَاهـــا الأسى
وغـــوَّر إيمـــانَـــهـــا وانـــدثـــر
فـصـاحتْ بـغـيظٍ: أتـسـخَـرُ مـنِّي؟
إذن فـاحـملِ الـعـارَ، أو فـانـتَـحِـر!
أجـــاب: رُويـــدَكِ يـــا رَبَّـــتِي
فـمـا في الـتـعـجُّلِ إلا الـضَّـرَر!
وشَـــدَّ إلى آلـــةٍ خـــيـــطَهُ
ودغْـــدغهُ صـــامـــتـــاً في حَـــذَر
فـفـاضتْ خُـمـورٌ وسـالت دمـوعٌ
وشَـــعّتْ بـــروقٌ ولاحتْ صـــور!
فـصـاحتْ به وهي مـدهـوشـةٌ:
ألا إنَّ ذا عـالَمٌ مُـخـتَـصَـر!
فـيـا لـيتَ شِـعـريَ مـاذا يُـسـمَّى؟
فـقـال لـهـا: إن هـذا الـوتَـر!

✱✱✱✱

٨ - ليل الأشواق

[الخفيف]

رُبَّ لـــيلٍ نجـــومُهُ ضـــاحـــكـــاتٌ
مِـــثلُ أحلامِ غـــادةٍ في صِـــبـــاهـــا
لمـستْ إصـبعُ الـسـكـيـنـةِ أشـوا
قي فَـــهـــبّتْ مـــذعـــورةً من كَـــرَاهـــا
كـطـيـورٍ في الأسْـرِ تـبـغي انـعـتَـاقـاً
قـــبلَ أن يُـــفـــســـدَ الإســـارُ لُـــغَـــاهـــا
أَبِقَ[1] الـنَّـومُ، فـانـطـلـقتُ إلى الـنَّـهْـ
ـرِ بـــنـــفسٍ كـــادتْ تـــســـيلُ دمـــاهـــا
ومـــعي صـــاحبٌ رقـــيقُ الحـــواشي
تجـــدُ الـــنـــفسُ في رُؤاهُ رؤاهـــا
إن دَجَتْ لـــيـــلـــةٌ أراكَ ضُـــحَـــاهـــا
أو ذوتْ زهـــــرةٌ أراكَ شَـــــذاهـــــا

☆☆☆☆☆

قـــال: مـــا أجـــملَ الـــكـــواكبَ! مـــا أحْـ
ـــلى ســـنـــاهـــا! فـــقـــلتُ: مـــا أحلاهـــا
قـــال: لا شـــوقَ، لا صـــبـــابـــةَ لـــولا
هـــا! فـــتـــمـــتـــمتُ قـــائلاً: لـــولاهـــا!
قـــال: هل تـشـتـهي الـوصـول إلـيـهـا؟
قـــــلت: إنـي لا أشـــــتـــــهي إلاّهـــــا!

☆☆☆☆☆

(١) هرب.

كــان طـرفي يـجــولُ في الــعــالم الأعـ
ــلى وروحي تجــول في مَــغْــنــاهــا
وجَـلـيـسي يـظنُّ في الـشُّـهبِ قـصـدي
وأنــا أحــسَبُ الجــلــيسَ عَــنــاهــا
قـال: والــنــهــرُ كم طـوى من صَـبـابـا
تٍ! فــأطـرقتُ اسـتــشِفُّ الــمِـيــاهــا
فــإذا الــنــهــرُ فــيه رعــشــةُ روحي
حــين يَـدْوِي فـيــهــا صــدَى ذكْـراهــا
قــال: والــلــيلُ.. قـلـتُ حــسْــبُكَ إعـنـا
تُ لــنــفــسي وحَـسْبُ نـفـسي دُجـاهـا
فــانــقــطَــعْــنــا عن الــكلام وبــتِــنــا
كلُّ نــفسٍ لِــذَاتِــهــا نَــجــواهــا

خِــلتُ أني إذا بَــعُــدتُ سَــأنــسَــا
هــا ويـطـوي الــزمــانُ سِـفـرَ هـواهـا
وتَــوهَّــمتُ أنــنــي ســوف ألــقى
ألفَ لــيــلى، وألفَ هــنــدٍ، سِــواهــا
فــإذا الحبُّ كــالــفَــضــاء وقــلــبي
طــائــرٌ في الــفَــضــاء ضَلَّ وتــاهــا
أنــا فـي عــالَمٍ قَــصِـيٍّ سَــحــيقٍ
لا أراهــا لــكنّ روحي تَــراهــا
قــد نــشِــقتُ[1] الأزهــارَ في كل أرضٍ
يــا شــذاهُنَّ لــستَ مِــثلَ شــذاهــا!

---

(١) نشِق: شمّ.

كـيف أنـسى وأيـنـمـا سِـرتُ في الـدُّ
نـيـا أراني أسـيـرُ في دنـيـاهـا
وإذا مـا لمحتُ في الأرض حُـسـنـاً
فـكـأني لمحْـتُـهـا إيـاهـا
وإذا داعبَ الـنـسـيـمُ رِدائي
قـلـتُ: قـد عـلَّـمَـتْهُ هـذا يـداهـا!
هـي أدنـى مـن الأمـانـي إلـى قـلْـ
ـبي، وقـلـبي يـصـيحُ: مـا أقـصـاهـا!
لـستُ أشـكـو الـنـوى مَلالاً ولـكنْ
طَـربُ الـروحِ أن تُـذيعَ جَـواهـا[1]

قـال قـومٌ: إنّ المحـبَّـةَ إثمٌ!
ويْحَ بـعضِ الـنـفـوسِ مـا أغـبـاهـا!
إنّ نـفـسَـاً لم يُـشـرقِ الحبُّ فـيـهـا
هـي نـفسٌ لم تـدرِ مـا مـعـنـاهـا
خـوَّفـوني جـهـنّـمـاً ولـظـاهـا
أيُّ شيءٍ جـهـنّمُ ولـظـاهـا؟
لـيس عـنـدَ الإلهِ نـارٌ لـذي حبٍّ
ونـارُ الإنـسـانِ لا أخـشـاهـا!
أنـا في الحبّ قـد وصـلتُ إلى نـفـسي
وبـالحبِّ قـد عَـرَفتُ الـلـهَ!

(١) الجوى: الحرقة وشدة الوجد.

٩ - عِش للجمال

[البسيط]

عِشْ لـلـجـمـالِ تـراهُ الـعـينُ مُـؤتَـلِـقـاً
في أنجمِ الـلـيل أو زَهـرِ الـبـسـاتـينِ
وفي الـرُّبـا نـصَـبَتْ كفُّ الأصـيلِ بـهـا
سُـرادِقـاً من نُـضَـارٍ لـلـريـاحـين
وفي الجـبـال إذا طـافَ المـسـاءُ بـهـا
ولـفَّـهَـا بـسَـرابـيلِ الـرَّهـابـين[1]
وفي الـسَّـواقي لـهـا كـالـطـفلِ ثـرثـرةٌ
وفي الـبـروقِ لـهـا ضِـحْكُ المجـانـين
وفي ابـتـسـامـاتِ «أيّـارٍ» وروعـتِـهَـا
فـإن تـولّى، فـفـي أجـفـان «تـشـرين»
لا حـينَ لـلـحـسنِ لا حـدٌّ يـقـاسُ به
وإنمـا نـحن أهلُ الحـدِّ والحـين
فـكم تَـمـاوجَ في سِـربـالِ غـانـيـةٍ
وكم تـألَّقَ في أسـمـالِ مِـسـكـين
وكم أحسَّ بـه أعـمـى فَـجُـنّ لـه
وحـولَهُ ألفُ راءٍ غـيـرِ مَـفـتُـون

---

(١) الرهبان.

عِشْ لـلـجـمـالِ تـراهُ هـهـنـا وهـنـا

وعشْ له وهـو سـرٌّ جِـدُّ مـكـنـون

خـيـرٌ وأفـضلُ ممن لا حـنـينَ لـهم

إلى الجـمـالِ، تـمـاثـيلٌ من الـطِّـين

✷✷✷✷

١٠ - وقائلة

[الوافر]

وقـائـلـةٍ: هـجَـرْتَ الـشَّـعـرَ حـتى
تـغـنّى بـالـسَّـخـافـاتِ الـمُـغـنِّي
أتـى زمـنُ الـربـيـعِ وأنت لاهٍ
وقـد ولّى ولم تـهـتِفْ بـلـحنِ
ونـفـسُكَ كـالـصَّـدى في قـاعِ بـئـرٍ
ومـثلِ الـفـجـرِ مـلـتـحـفـاً بـدَجْنِ[1]
فـمَـا لكَ لـيس يَـسْـتـهـويكَ حُـسْنٌ
وأنتَ المـرءُ تـعـشقُ كلَّ حُـسْنِ
أتـسـكتُ والـشـبـابُ عـلـيك ضـافٍ
وحـولكَ لـلـهـوى جـنّـاتُ عـدْنِ؟
ركـودُ المـاء يـورثُه فـسـاداً!
فـقـلتُ لـهـا: اسْـتَـكـيـني واطـمَـئِـنّي
فـمـا حـطَـمَتْ يـدُ الأيـامِ روحي
وإنْ حـطـمتْ أبـاريـقي ودَنِّي
ولم أعـقِـد عـلى خـوفٍ لـسـاني
ولا ضَـنّـاً عـلى الـدنـيـا بـفَـنِّي
ولـكـنّي امـرؤٌ لـلـنـاس ضِـحْـكي
ولي وحـدي تـبـاريـحي وحُـزْني
إذا أشـكـو إلى خِـدْنٍ هُـمـومي
وفي وُسْـعي الـسُّـكـوتُ، ظـلـمتُ خِـدْني

(١) الغيم المطبق في السماء.

وتَـــأَبَّى كـــبـــريـــائي أن يَـــراني
فـــتًى مُـــغـــرورَقَـــاً بـــالـــدمع جـــفـــني
فـــأســـتـــرُ عَـــبـــرتي عـــنه لـــئلا
يـــضـــيقُ بـــهـــا وإنْ هيَ أحـــرقَـــتْـــني
ويـــبـــكي صـــاحـــبي فـــإخـــالُ أني
أنـــا الجـــاني وإنْ لم يـــتَّـــهِـــمـــني
فـــأمـــسحُ أدمـــعـــاً في مـــقـــلـــتـــيهِ
وإنْ حـــكَتِ الـــلـــهـــيبَ، وإنْ كَـــوتْـــني
لأني كـــلّـــمـــا رفَّـــهْتُ عـــنه
طـــربتُ كـــأنـــني رفّـــهتُ عـــنّي
كـــذلك كـــان شـــأني بـــين قـــومي
وهـــذا بـــينَ كلِّ الـــنـــاسِ شـــأني
أقـــولُ لـــكل نـــوَّاحٍ رويـــداً
فـــإن الحُـــزنَ لا يُـــغـــني، ويُـــضـــني
وجـــدتُ الـــدمعَ بـــالأحـــرارِ يُـــزري
فـــلـــيت الـــدمعَ لم يُـــخـــلَقْ بـــجَـــفن!

سـبـيلُ الـعِـزّ أن تَـبـني وتُـعـلي
فلا تَـقـنَعْ بـأنَّ سـواكَ يَـبْـني
ولا تكُ عَـالَـةً في عُـنْقِ جَـدٍّ
رمـيمِ الـعـظمِ أو عِـبْـئـاً عـلى ابنِ
فَـمنْ يَـغـرِسْ لـكي يـجـني سـواهُ
يـعِشْ، ويمـوتُ مَنْ يـحـيـا لـيَـجـني!

ألائِـمَـتِي اتـرُكِـيـنـي فـي سُـكـونـي
ولُـومي من يـضِجُّ بـغـيـرِ طِـحْنِ[1]
إذا صـار الـسَّـمـاعُ بلا قـيـاسٍ
فـلا عـجَبٌ إذا سـكَتَ المـغـنـي
أنـا ولَـئِنْ سـكتُّ وقـال غـيـري
وجَـعـجـعَ صـاحبُ الـصـوتِ الأرنّ
إذا أنـا لم أجِـدْ حـقلاً مَـريـعـاً[2]
خَـلـقتُ الحـقلَ في روحي وذِهـنـي
فـكـادتْ تـمـلأُ الأثـمـارُ كَـفِّي
ويَـعـبَقُ بـالـشَّـذا الـفـوّاحِ رِدْني

✱✱✱✱

(١) الدقيق.
(٢) الخصيب.

١١ - موميات

[المجتث]

عرَّج صاحبُ الديوان في إحدى سفراته على فندقٍ فخمٍ، فلم يرَ إلا عجائز فقال:

لِـــمَنْ يـــضـــوعُ الـــعَـــبـــيـــرُ؟
لِـــمَن تُـــغَـــنِّي الـــطُّـــيـــورُ؟
لِـــمَنْ تُـــصَفُّ الـــقـــنـــاني؟
لمن تُـــــصَبُّ الخُـــــمـــــور؟
ولا جـــــمـــــالٌ أنـــــيـــقٌ
ولا شـــبـــابٌ نَـــضـــيـــر
بل مُـــومـــيَـــاتٌ عـــلـــيـــهـــا
أطـــــالِسٌ وحـــــريـــــر
راحتْ تُـــقـــعـــقِـــعُ حَـــولِي
فـــكـــادَ عَـــقـــلـــي يـــطـــيـــر
ولاذ قـــلـــبـــي بِـــصَـــدري
كـــأنـــهُ عُـــصْـــفُـــور
لاحتْ لـه فـي الأعـــــالـــي
بـــــواشِـقٌ وصُـــــقـــــور
وقـــال: ضُـــوِيـــقْتَ فـــاهـــربْ!
قـــلتُ: الـــفـــرارُ عـــسـيـــر
مـــــا لي جَـــــنـــــاحٌ ولا لـي
سَـــيّـــارةٌ أو بـــعـــيـــر
صـــبـــراً فـــهـــذا بـلاءٌ
مـــقـــدَّرٌ مـــسـطـــور

ورحــتُ أســـــــــــــــــألُ ربِّــي
وهـــو الـــلـــطـــيفُ الخـــبـــيـــر
أين الحِـــسَـــانُ الـــصّـــبـــايـــا
إن كـــانَ هـــذا الـــنـــشـــورُ؟
لـــيت الحـــضـــورَ غِـــيـــابٌ
والـــغـــائـــبـــينَ حـــضـــور
بل لـــــيتَ كلَّ نـــســـــيجٍ
بـــــراقـــعٌ وسُـــــتـــــور
فـــــقـــــد أَضـــــرّ وآذى
عـــيـــنيّ هـــذا الـــسُّـــفُـــور

هـــذي الـــعُـــصـــورُ الخـــوالي
تـــــطـــــوفُ بـي وتـــــدورُ
من كلِّ شَـــمـــطـــاءَ ولّى
شـــبـــابُـــهـــا والـــغـــرور
كـــأنمـــا الـــفمُّ مـــنـــهـــا
مـــــقـــــطَّبٌ مَـــــزرور
كـــــأنمـــــا هـــــوَ جـــــرحٌ
مـــرّت عـــلـــيه شـــهـــور
يـــا طـــالبَ الـــشُّـــهـــدِ أقـــصِـــرْ
لم يـــبقَ إلا الـــقَـــفِـــيـــر[1]
كـــأنمـــا الـــوجهُ مـــنـــهـــا
قـــد عـــضّهُ الـــزَّمـــهَـــريـــر

(١) خلية النحل.

كـــــالـــــبَـــــدرِ حـــــين تـــــراهُ
يُـــعـــيـــنكَ «الـــنـــاظـــور»
تـــبـــدو لِـــعَـــيـــنـــيكَ فـــيه
بـــــرازخٌ وبُـــــحـــــور
وأنجُـــــــــدٌ ووهـــــــــادٌ
لـــــكـــــنّه مَـــــهـــــجـــــور!
مـــــــثلُ المِـــــسَنّ ولـــــكن
لا مـــــــاءَ فـــــيه يمـــــور
مـــا لـــلـــبـــعـــوضـــةِ فـــيه
قـــوتٌ بل الـــتَّـــضْـــويـــر
ولا يـــــــؤثِّـــــــرُ فـــــيه
نـــــابٌ ولا أُظْـــــفُـــــور
ولـــلـــيـــدينِ ارتـــعـــاشٌ
ولـــلـــعـــظـــامِ صَـــريـــر
أمـــا الـــعـــيـــونُ فـــغـــارتْ
ولا تـــــــزالُ تـــــــغُـــــور
مَـــغَـــاوِرٌ، بل صـــحَـــارَى
بـل أكـــــهـفٌ، بـل قـــــبـــــور
والخـــصـــرُ، عـــفـــواً وصـــفـــحـــاً!
كـــــانت لـــــهنّ خُـــــصـــــور!

هُنَّ الـــسَّـــعَـــالَى[1] ولـــكنْ
سُـــعـــالُـــهنَّ كـــثـــيـــر

(١) السِّعلاة: أخبث الغيلان، مما خلقته المخيلة.

حـــديـــثُـــهُنَّ انـــتـــفـــاضٌ
وضِـــحـــكـــهنَّ هَـــريـــر[1]
ومَـــشـــيـــهُنّ ارتـــبـــاكٌ
وتـــــارةً تـــــقـــــديـــــر
يَـــغـــضَـــبنَ إن مـــــال ظِلٌ
وإنْ شَـــــدا شُـــــحـــــرور
وإنْ تـــهـــادتْ غـــصـــونٌ
وإن تَـــسَـــارى[2] عـــبـــيـــر
وإنْ تـــمـــايـلَ عـــشـبٌ
وإنْ تـــمـــاوجَ نـــور
فـــكـلُّ شـيءٍ قـــبـــيـحٌ
وكـلّ شـيءٍ حـــقـــيـــر
وكـــيف يـــفـــرحُ قـــلـبٌ
رجـــاؤهُ مَـــدحـــور؟
مـــا لـــلـــرَّمـــادِ لـــهـــيبٌ
مـــا لـــلـــجـــلـــيـــدِ خَـــريـــر

⁂

مِن حَـــولـــهِنّ الأقـــاحي
والـــوردُ والمـــنـــثـــور
وهـنّ مـــكـــتَـــئـــبـــاتٌ
كـــأنَّـــهنّ صُـــخـــور
لا يـــبـــتَـــسِـــمنَ لـــشيءٍ
أمَـــا لـــهُنَّ ثُـــغـــور؟

---

(١) صوت الكلب دون نباحه.
(٢) تفاعل من (سرى) !

بـــــلى، لَـــــهُنَّ ثُـــــغـــــورٌ
وإنمّـــــــا لا شـــــعـــــورُ!
كـــــأنمَّـــــا الحُـــــسْنُ في الأرْ
ضِ كـــــلُّـه تَـــــزويـــــر

☆☆☆☆☆

فـي فُـــــنـــــدقٍ أنـــــا أم فـي
جـــهـــنّمٍ مـــحـــشـــورُ؟
وهـل أنـــــا فـــــيـه ضـــــيفٌ
لـــســـاعـــةٍ أم أســـيـــر
يـــا لـــيـــتـــنـي لـم أزُرْهُ
ولـــيـــتَـهُ مَـــهـــجـــور
فـــلـــيس يـــهـــنَـــأُ فـــيه
إلاّ الأصـمُّ الـــضَّـــريـــر!

✱✱✱✱

١٢ - هدايا العيد

[الخفيف]

خـرجَ الـنـاسُ يـشـتـرونَ هـدايـا الْـ
عـيـدِ لـلأصـدقـاءِ والأحـبـابِ
فـتـمـنَّـيتُ لـو تُـسـاعِـفُـنـي الـدُّنْـ
يـا فـأقـضِي في الـعـيـدِ بـعضَ رِغـابي
كـنتُ أُهـدي، إذَنْ، من الـصَّـبـرِ أرْطَـا
لاً إلى المُـنـشـئـيـنَ والـكـتَّـاب
وإلـى كلّ نـابـغٍ عـبـقـريٍّ
أمَّـةً أهـلـهـا ذوو أَلـبـاب
وإلـى كلّ شـاعـرٍ عـربـيٍّ
سـلَّـةً من فـواكهِ الألـقـاب
وإلـى كلِّ تـاجـرٍ حُـرِمَ الـتَّـوْ
فـيقَ زِقّـيْنِ من عـصـيـرِ الـكِـذَاب
وإلى كلِّ عـاشقٍ مُـقـلـةً تُـبْـ
ـصِـرُ كم من مَلاحـةٍ في الـتّـراب
وإلى الـغـادة الجـمـيـلـة «مـرآ
ةً» تُـريـهـا ضـمـائـرَ الـعُـزّاب
وإلى الـنـاشئ الـغـريـرِ مِـرَانًـا
وإلى الـشـيـخِ عَـزْمَـةً في الـشَّـبـاب
وإلى مـعـشـرِ الـكَـسَـالى قُـصـوراً
من لُـجَـينٍ وعـسـجـدٍ في الـسَّـحـاب
عـلَّـني أسـتـريحُ مـنـهم فـقـد صـا
روا كـظـلِّي في جَـيْـئـتي وذَهـابي

وإلى ذي الـغِـنَى الـذي يَـرْهَبُ الـفَـقْـ
ـرَ ازديـــادَ الـــذي به من عـــذاب
كـلّـمـا عَـدّ مـالَهُ مـطـمـئـنّـاً
أبـصـرَ الـفـقـرَ واقـفـاً بـالـبـاب
وإلى الـصـاحبِ الـمُـراوغِ وجـهـاً
أسـوداً حـالِـكـاً كـوجه الـغُـراب
فـإذا لاحَ فـرّتِ الـنـاسُ ذُعـراً
من طـريقِ المـنـافقِ الـكـذَّاب
وإلى المـؤمـنـينَ شـيـئـاً من الـشكْـ
ـكِ وبـعضَ الإيمـانِ لـلـمُـرتَـاب
وإلى من يـسـبُّـني في غـيـابي
شَـرَفَـا كي يـصـونَه من سِـبـابي
وإلى حـاسِـديَّ عُـمـراً طـويلاً
لـيـدومَ الأسى بـهمْ ممّـا بي
وإلـى الحـقـلِ زهـرَه وحُـلاهُ
من نـدىً لامعٍ ومن أعـشـاب
فـقـبـيحٌ أن نـرتـدي الحُـللَ الـقُـشْـ
ـبَ وتـبـقى الـرُّبـا بـغـيـرِ ثـيـاب
لم يـكنْ لي الـذي أردتُ، فـحـسـبي
أنـني بـالمـنى ملأتُ وِطـابي[1]
ولـو اَن الـزمـانَ صـاحبُ عـقلٍ
كـنتُ أهـدي إلى الـزمـان عِـتـابي

✱✱✱✱

(١) الوطب والوطاب: سقاء اللبن.

١٣ - الفراشة المحتضَرة

[البسيط]

لـو كـان لي غـيـرُ قـلـبي عـنـد مَـرآكِ
لمـا أضـافَ إلى بـلـواهُ بَـلـواكِ
فـيمَ ارتجـاجُكِ؟ هلْ في الجـوّ زلـزلـةٌ؟
أم أنتِ هـاربـةٌ من وجهِ فَـتّـاك؟
وكم تـدورينَ حـولَ الـبـيت حـائـرةً
بـنتَ الـرُّبـا، لـيس مـأوى الـنـاسِ مـأواكِ
قـالـوا: فـراشـةُ حـقلٍ لا غَـنَـاء بـهـا،
مـا أفـقـرَ الـنـاس في عـيـني وأغـنـاكِ!
سـيـمـاءُ غـاويـةٍ، أطـوارُ شـاعـرةٍ،
عـلـى زَهـادةِ عُـبَّـادٍ ونُـسَّـاك
طُـغْـراءُ[1] مَـمْـلـكـةٍ وشَّى حـواشـيَـهـا
مَن ذوَّبَ الـشـمسَ ألـوانـاً ووشَّـاكِ
رأيتُ أحـلامَ أهـلِ الحبّ كـلِّـهـمُ
لـمّـا مـثَـلتِ أمـامي، عـنـد شُـبَّـاكي
من نـائـمـينَ عـلـى ذُلٍّ ومَـتْـربـةٍ
ومـن تجـارٍ وأشـرافٍ ومُـلاّك[2]
وقَصَّ شـكـواكِ قـلـبي قـصـةً عـجـبـاً
من قَـبْلُ أنْ سـمـعتْ أُذنـاي شـكـواك

---

(١) الطُّغرَاء: الطرّة في أعلى الرسائل، تتضمن نعوت الحاكم وألقابه.
(٢) المتربة: الفاقة والمسكنة.

ألـيس فـيك من الـعُـشَّـاقِ حَـيْـرتُـهم؟
فـكـيف لا يـفـهمُ الـعُـشَّـاقُ نجـواك؟

حَـلِـمتِ أن زمـانَ الـصـيفِ مـنـصـرمٌ
ويلاهُ! حَـــقَّـــقَتِ الأيـــامُ رُؤيـــاكِ
فـقـد نـعـاهُ إلـيك الـفـجـرُ مُـرتـعـشـاً
ولـيس مـنـعـاهُ إلاّ بـعضَ مَـنْـعـاك
فـالـزهـرُ في الحـقلِ أشلاءٌ مُـبـعـثَـرةٌ
والـطَّـيـرُ؟.. لا طـائـرٌ إلا جـنـاحـاك
مَـدَّ الـنـهـارُ إلـيه كفَّ مـخـتـلِسٍ
وفَـتَّحَ الـلـيلُ فـيه عـينَ سـفَّـاك
شـاء الـقـضـاءُ بـأنْ يـشـقَى فـجَـرّدَهُ
من الحُـلـيِّ وإن تـشْـقَيْ فـأبـقـاك
لم يـبقَ غـيـرَك شيءٌ من مـحـاسـنه
ولا من الـعـابـديـنَ الحـسْنَ إلاَّك
تَـزوّدَ الـنـاسُ مـنه الأُنسَ وانـصـرفـوا
ومـا تـزوَّدَ إلا الـيَـأسَ جَـفـنـاك

يـا روضـةً في سـمـاء الـرَّوضِ طـائـرةً
وطـائـراً كـالأقـاحِي ذا شـذاً ذاكِ
مـضى مع الـصَّـيفِ عـهـدٌ كـنتِ لاهـيـةً
عـلى بـسـاطٍ من الأحلام ضَـحَّـاك
تُـمـسـينَ عـنـد مـجـاري المـاء نـائـمـةً
ولـلأزاهـرِ والأعـشـابِ مَـغْـداك
فـكـلَّـمـا سـمـعتْ أذنـاكِ سـاقـيـةً
حـثـثتِ لـلـسـفحِ من شـوقٍ مـطـايـاك

وكـلّـمـا نـوَّرتْ في الـسـفح زنـبـقـةٌ
صـفّـقْتِ من طَـربٍ واهـتـزّ عِـطـفـاك
فـمـا رشـفتِ سـوى عـطـرٍ ولا انـفـتـحتْ
إلا عـلـى الحَـسَنِ المحـبـوبِ عـيـنـاك
وكم لـثـمتِ شـفـاهَ الـوردِ هـائـمـةً
وكم مـسـحتِ دمـوعَ الـنـرجسِ الـبـاكي
وكم تـرجّـحتِ في مـهـد الـضـيـاء عـلى
تـوقـيعِ لحنِ الـصَّـبَـا أو رَجْـعِه الحـاكي

وكم ركـضتِ فـأغـريتِ الـصـغـارَ ضُـحىً
بـالـركض في الحقل ملـهـاهُمْ ومَـلـهـاك!
مَـنَّـوا بـأسـرهِمُ إيـاكِ أنـفـسَـهمْ
فـأصـبـحـوا بـتـمـنّـيـهم أُسَـاراك
جَـرَوا قُـصـاراهمُ حـتى إذا تـعـبـوا
وقـفتْ سـاخـرةً مـنـهمْ قُـصَـاراك
لـولا جـنـاحـاكِ لم تَـسـلـمْ طـريـدتُـهمْ،
قـد نَـجَّـيـاكِ، ولـكنْ أين مَـنـجـاك؟
هـا أنتِ كـالحـقلِ في نـزعٍ وحـشـرجـةٍ
وهَتْ قُـواكِ كـمـا اسـتـرخَى جـنـاحـاك
أصـبـحتِ لـلـبـؤس في مـغـنـاكِ تـائـهـةً
كـأنه لم يـكن بـالأمسِ مَـغـنـاك

فـراشـةَ الحـقلِ.. في روحي كـآبـتُه
ممـا عَـراهُ وممـا قـد تـولاّكِ
أحـبـبـتُهُ وهـو دارٌ تـلـعـبـينَ بـهـا
وسـوف تـهـواه نـفـسي وهـو مـثـواك

قـد بـات قـلـبيَ في دنـيـا مُـشـوَّشـةٍ
مـنـذُ الـتَـفتُّ إلى آثـارِ دنـيـاك
لا يـسـتـقـرّ بـهـا إلاّ عـلـى وَجَلٍ
كـالـطـيـر بـين أَحـابـيلٍ وأَشـراك

☆☆☆☆☆

خَـلتْ أرائكُ كـانت أمسِ آهـلـةً
غـنّـاءَ، فـالـيـومُ لا شـادٍ ولا شـاك
أرضٌ خلاءٌ وجـوّ غـيـرُ ذي ألَقٍ
بـلى، هـنـاك ضـبـابٌ فـوق أشـواك
فـيـا ريـاحَ الخـريفِ الـعـاتـيـاتِ كَـفَى
عَـصْـفـاً فـقـد كثُـرتْ في الأرض قـتْلاك
كـيف اعـتـذارُكِ إن قـال الإله غـداً:
هل الـفـراشـةُ كـانت من ضـحـايـاكِ؟
يـا نـغـمـةً تـتلاشى كـلّـمـا بَـعُـدَتْ
إن غـبتِ عن مـسـمـعي مـا غـاب مـعـنـاك
مـا أقـدرَ الـلـهَ أن يُـحـيـيك ثـانـيـةً
مع الـربـيـع، كـمـا من قـبلُ سَـوّاك
فـيـرجعُ الحـقلُ يـزهـو في غلائـلِه
وتـرجـعـينَ، وأغـشـاهُ فـألـقـاك!

✱✱✱✱

١٤ - ابتسم

[الكامل]

قال: «السماءُ كئيبةٌ!» وتجهَّمَا
قلتُ: ابتسمْ، يكفي التَّجهّمُ في السما!
قال: الصِّبا ولّى! فقلتُ له: ابتسمْ
لن يُرجعَ الأسفُ الصّبا المُتصرِّما!
قال: التي كانت سمائي في الهوى
صارتْ لنفسي في الغرامِ جهنّما
خانتْ عهودي بعدما ملَّكتُها
قلبي، فكيف أُطيقُ أن أتبسَّمَا؟
قلتُ: ابتسمْ واطرَبْ فلو قارنتها
قضَّيتَ عمرَكَ كلّه مُتألِّما!
قال: التجارةُ في صراعٍ هائلٍ
مثلُ المسافرِ كاد يقتله الظَّما
أو غادةٍ مسلولةٍ محتاجةٍ
لدمٍ، وتنفُث، كلَّما لهثتْ، دما!
قلتُ: ابتسمْ ما أنت جالبَ دائها
وشِفائها، فإذا ابتسمتَ فربَّما...
أيكونُ غيرُكَ مُجرمًا وتبيتُ في
وجَلٍ، كأنك أنت صرتَ المجرما؟

⁂

قال: العِدا حولي عَلَتْ صَيْحاتُهمْ
أأُسَرُّ والأعداءُ حولِي في الحِمى؟

قـلت: ابـتـسمْ، لم يـطـلـبـوكَ بـذمّـهمْ
لـو لم تـكُنْ مـنـهمْ أجلَّ وأعـظَـمـا!

قـال: المـواسمُ قـد بـدَتْ أعلامُـهـا
وتـعـرَّضتْ لي في الملابس والـدُّمى
وعـلـيَّ للأحـبـابِ فـرضٌ لازمٌ
لـكنّ كـفّي لـيس تـمـلكُ دِرهـمـا
قـلتُ: ابـتـسمْ، يـكـفـيكَ أنك لم تـزلْ
حـيّـاً، ولـستَ من الأحـبّـةِ مُـعـدِمـا!

قـالَ: الـلـيـالي جـرّعـتـني عَـلـقـماً
قـلتُ: ابـتـسمْ ولـئن جـرَعتَ الـعـلـقـما
فـلـعلَّ غـيـرَك إن رآكَ مُـرنَّـمـاً
طـرحَ الـكـآبـةَ جـانـبـاً وتـرنَّـمَـا
أتُـراكَ تـغـنَمُ بـالـتـبَـرُّم درهـمـاً
أم أنتَ تـخـسـرُ بـالـبَـشـاشـةِ مَـغْـنـمـا؟
يـا صـاحِ، لا خـطـرٌ عـلى شـفـتـيكَ أن
تـتـثَـلَّـمـا، والـوجهِ أن يـتـحـطـمّـا
فـاضـحكْ فـإن الـشُّـهبَ تـضـحكُ والـدُّجى
مـتـلاطمٌ، ولـذا نـحبُّ الأنجُـمـا!
قـال: الـبـشـاشـةُ لـيس تُـسـعـدُ كـائـنـاً
يـأتي إلى الـدنـيـا ويـذهبُ مُـرغَـمـا
قـلتُ: اِبـتـسمْ مـا دام بـيـنك والـردى
شـبـرٌ، فـإنك بـعـدُ لن تـتـبـسَّـمَـا!

✱✱✱✱

١٥ - لو أستطيع

[مجزوء الكامل]

لـــو أســـتـــطـــيعُ سَـــكـــبتُ رو
حي خـــمـــرةً في كـــاســـهـــا
حـــتى إذا حـــالَ الـــنَّـــوى
بـــيـــني وبـــين كِـــنـــاسِـــهـــا[١]
وتجـــاهـــلتْ أو أنـــكـــرتْ
أمـــري لـــدى جُـلاّسِـــهـــا
أطـــلـــلتُ من أجـــفـــانـــهـــا
وجـــريتُ مـعْ أنـــفـــاســـهـــا!

✱✱✱✱

(١) بيت تلجه الظباء والبقر، تستكنّ فيه من الحر.

١٦ - يا نفس

[السريع]

يـــا نـــفسُ لـــو كـــنتِ تـــرَين الـــشُّـــؤونْ
كـــمـــا يـــراهـــا ســـائـــرُ الـــنـــاسِ
لمـــا رمـــاني بـــعـــضُـــهمْ بـــالجـــنـــونْ
ولـم أجـــدْ فـي الـــنـــاس من بـــاس

بـــالأمسِ مَـــرَّ المـــوكبُ الأكـــبـــرُ
فـــيه الـــفـــتى الـــراكبُ والـــنـــاعلُ
واقـــبـــلتْ غِـــيـــدُ الحِـــمى تـــخـــطِـــرُ
يـــهـــتـــفنَ: عـــاد الـــبـــطلُ الـــبـــاسِلِ
مـــا لكِ يـــا هـــذي لا تـــهـــتِـــفـــينْ
لـــصـــاحبِ الـــدولـــةِ والـــبـــاس؟
فـــقـــلتِ لي ضـــاحـــكـــةً تـــســـخـــرينْ:
ويـــلكَ! هـــذا قـــاتلُ الـــنـــاس!

ومـــجـــلسٍ دارتْ به الأَكْـــؤُسُ
فـــشـــربَ الـــقـــومُ ولم تـــشـــربي
وامـــتلأتْ بـــالـــطـــربِ الأنـــفسُ
وأنتِ في صـــمـــتكِ لم تَـــطـــرَبي
كـــأنمـــا غـــيَّـــبَكِ الحِـــنـــدِسُ
أو تـــاهت الـــلـــذاتُ في سَـــبْـــسب[١]

(١) المفازة والقفر.

مـــا لكِ يـــا هـــذي لا تـــضـــحـــكـــينْ
لـــلـــحـــبَبِ الـــضـــاحكِ في الـــكـــاسِ؟
قـــالت: نـــهـــاني أنَّ مـــوجَ الـــســـنـــينْ
ســـيـــغـــمـــرُ الأقـــداحَ والحـــاسي!

وسِـرْتِ في الـروضـةِ شـاعَ الجـمـالْ
فـيـهـا، وشـاعَ الحبُّ بـين الـطـيـورْ
الـطلُّ فـيـهـا كـدمـوعِ الـدَّلالْ
والـشـوكُ فـيـهـا كـحـديثِ الـغـرور
مَـشـيتِ في أرجـائـهـا كـالخـيـالْ
يـطـوفُ في الـظـلـمـاء بـين الـقـبـور
كـأنَّـمـا لا وردَ في الـيـاسَـمـينْ
كـأنّـمـا لا عـطْـرَ في الآس
ويـحكِ! لا في عُـزلـتي تـطـربـينْ
ولا إذا كـنـتِ مع الـنـاس

كـان زمـانٌ كـنتِ تـسـتـأنـسـينْ
بـكلِّ وهْمٍ خـادعٍ كـالـسَّـرابْ
حـتى إذا أسـفـرَ وجهُ الـيـقـين
رأيـتِهِ كـالـوهمِ شـيـئـاً كِـذاب
دنـيـا الـورى لـيلٌ وصـبحٌ مُـبـين
ولـيس في دنـيـاكِ إلاّ الـضَّـبـاب
مـا لاحت الأشـجـارُ لـلـنـاظـرينْ
إلا رأيتِ شـبـحَ الـفـاسِ!

ولا سـمـعتِ الـكـاسَ ذاتَ الـرنـينْ
إلا سـمـعتِ حـطْـمـةَ الـكـاس!

مَـسَـخْتِ في عـيـنيَّ لـونَ الـنـهـارْ
لـمّـا لمحتِ الـلـيلَ بـالمَـرصـدِ
ومـات في أذْنـيَّ لحنُ الـهَـزَارْ
لـمّـا سـبـقتِ الـصَّـمتَ لـلـمُـنْـشِـدِ
فَـرَرتِ بـالـلَّـذّاتِ قـبل الـفـرارْ
فـضـاعَ يـومي حـائـراً في غـدي
خـالـفتِ مـقـيـاسَ الـورى أجـمـعـينْ
فـكـيف يـرضَـونَ بمـقـيـاسي؟
مـا بـرِحَ الـنـاسُ كـمـا تـعـلـمـينْ
ولـم أزلْ فـردا من الـنـاس

✱✱✱✱

١٧ - الكنار الصامت

[مجزوء الكامل]

نـــسِيَ الـــكـــنـــارُ نـــشـــيـــدَه
فـــتـــعـــالَ كي نـــنـــسى الـــكـــنـــارْ
ولـــيـــقـــذِفنَّ به الـــمَلالُ
من الـــقـــصـــور إلى الـــقِـــفَـــار
ولـــتـــرمـــيَنَّ بـــريـــشه
للأرضِ عـــاصـــفـــةُ الـــنِّـــفـــار[١]
ولـــنـــســـتـــعضْ عـــنه بـــطـــيـــرٍ
من لُـــجَـــينٍ أو نُـــضَـــار[٢]
لا، لا، فـــإن ســـكَتَ الـــكـــنَـــا
رُ فـــلـــم يـــزلْ ذاك الـــكَـــنـــارْ
أو كـــانَ فـــارقَهُ الـــصُّـــدا
حُ فـــلـــم يـــفـــارقْهُ الـــوَقـــار
صـــمْتُ الـــكـــنـــار، وإنْ قـــسَـــا
خـــيـــرٌ من الـــنَّـــغَم الـــمُـــعـــار
صـــبـــراً فـــســـوف يـــعـــودُ لـــلـــتْـ
ـــتَـــغْـــريـــدِ إنْ عـــادَ الـــنـــهـــار

****

(١) الهرب أو التفرق والمجانبة.
(٢) الفضة أو الذهب.

١٨ - لم يبق غير الكأس

[الكامل]

لم يـبقَ مـا يُـسـلـيكَ غـيـرُ الـكـاسِ
فـاشـربْ، ودعْ لـلـنـاسِ مـا لـلـنـاسِ!
ذهب الـشـبـابُ عـلى الـشـجـون تـبـثُّـهـا
لأخٍ مُـــؤاسٍ أو لـــغـــيـــرِ مُـــؤاس
وعـــلى الحـــيـــاةِ تحـــارُ في أطـــوارهـــا
وتحـــارُ في تـــعـــلـــيلِ كلِّ نـــطـــاسي
ثمَّ اسْـتـفـقـتَ ولـيس في روض المـنى
إلاّ الـضـبـابُ، وغـيـرُ شـوكِ الـيـاس
وجـراحُ نـفسٍ يـنـظـر الآسي لـهـا
فـــيـــعـــودُ لآخَـــرَ آس
الحسُّ مـجـلـبـةُ الـكـآبـةِ والأسى
قُمْ نـنـطـلِقْ من عـالمِ الإحـسَـاس
وأرى الـسـعـادةَ لا وصـولَ لـعـرشِـهـا
إلاّ بـأجـنـحـةٍ من الـوسـواس
فـكـأنّـمـا هي صـورةٌ زيـتّـيَّـةٌ
لـلـشطّ فـيـه مـراكبٌ ومَـراسي
تـبـدو لـعـيـنـيكَ السَّـفـائنُ عُـوَّمَـاً
وتـكـادُ تـسـمعُ رَعـشـةَ الأمْـرَاس
لـكنْ إذا أدنـيـتَـهـا ولَـسْـتَـهـا
لم تـلقَ غـيـرَ الـصَّـبْغِ والـقِـرطـاس

دنـــيـــا مُـــزيّـــفـــةٌ ودهـــرٌ مـــاذقٌ[1]
مـــا في انـــفلاتِكَ مـــنـــهـــمـــا من بـــاس
إنَّ الـــلَّـــذاتِ الـــتي ضـــيّـــعـــتَـــهـــا
رجـــعتْ إلـــيكَ عُـــصـــارةً في الـــكـــاس
فـــاصـــبِغْ رؤاكَ بـــهـــا تَـــعُـــدْ ذهـــبـــيَّـــةً
عِـــطـــريّـــة الألـــوانِ والأنـــفـــاس
واخـــلُقْ لـــنـــفـــسِكَ بـــالـــمُـــدامَـــةِ جَـــنّـــةً
فـي الأربع المـــهـــجـــورة الأدراس[2]
الحُبُّ فـــيـــهـــا بـــلـــبلٌ وخَـــمـــيـــلـــةٌ
ونـــدىً وأضـــواءٌ عـــلى الأغـــراس
لِـــلـــقـــصـــرِ يـــخـــلُـــقُه خـــيـــالكَ روعـــةٌ
كـــالـــقـــصـــرِ من جُـــدُرٍ ومن آســـاس

يـــا أيـــهـــا الـــســـاقي! أدرْ كـــاســـاتِـــهـــا
كـــمَـــشـــاعلِ الـــرُّهـــبـــانِ في الأغلاس[3]
وانسَ الـــهـــمـــومَ فـــلـــيس يَـــســـعـــدُ ذاكـــرٌ
واسقِ الـــنـــجـــومَ فـــإنـــهـــا جلاّسي
واصـــرعْ بـــهـــا عـــقلَ الـــنـــديمِ ولُـــبَّهُ
مـــا نـــغَّصَ الحـــاسي كـــعـــقلِ الحـــاسي
واهـــجـــرْ أحـــاديثَ الـــســـيـــاســـةِ والأُلَى
يـــتـــعـــلَّـــقـــون بـــحـــبلِ كلَّ ســـيـــاس
إني نـــبـــذتُ ثـــمـــارَهـــا مـــذ ذقـــتُـــهـــا
ووجـــدتُ طـــعمَ الـــغـــدرِ في أضْـــرَاسي

---

(١) المذْق: قلة الإخلاص.
(٢) الرَّبع الدارس: العافي بفعل الزمن.
(٣) الغَلَس: ظلمة آخر الليل.

وغسلتُ منها راحتي فغسلتُها
من سَائر الأوضَارِ والأدناس
وتركتُها لاثنينِ: غُرٍّ ساذَجٍ،
ومُشعْوذٍ، وكُذبُذبٍ[1] دسّاس
يرضى لموطنِه يصيرُ مَوَاطناً
وتصيرُ أمَّتُه إلى أجناس
ويبيعُها بدراهمٍ معدودةٍ
ولو أنَّها جاءتْ من الخُنَّاس[2]
ما للمنافقِ من ضميرٍ رادعٍ
أيُّ الضميرِ لِحَيَّةِ الأجراس؟
ولربَّ قائلةٍ تعاتِبُني على
صمتي، وبعضُ القولِ حَزٌّ مَواسي:[3]
اثنانِ ما لاقيتُ أقسى منهما:
صمتُ الدجى والشاعرِ الحسَّاسِ
فأجبتُها: أقسى وأهولُ منهما
في مِسْمعي: هذا العتابِ القاسي
لم تعلمي، والخيرُ ألا تعلمي،
كم في السكوتِ فواجِعاً[4] ومآسي
قالتْ: أظنكَ قد نسيتَ. فقلتُ: لا
ما كنتُ بالناسي ولا المتناسي
لكنّ جرحاً كلّما عالجتُه
غمر القنوطُ جوارحِي وحواسي

(١) تتعدد الصيغ في العربية لتسمية الكاذب، ومنها: الكيذُبان ومكذبان وكُذبذب.
(٢) خنس: تأخر وغاب. والخناس: الشيطان لأنه يغيب عند ذكر الله.
(٣) الموسى الذي يحلق به، وشفرته حادة وجمعه: مواسٍ.

ولــو اَنّه في الــرأسِ كــنتُ ضَــمَــدْتُه
لــكــنّه في الــقــلب لا في الــراس
إن الأُلَى قــد كــنتُ أرمي دونــهمْ
غَــلُّــوا يــديَّ وحــطَّــمُــوا أقــواسي
واستبدلوا سيفي الجُرازَ[1] بأسيُفٍ
خشبٍ، وباعوا عَسْجدي بنحاسي
والــطَّلّ غــيــرُ المــاسِ، إلا أنــهم
خُدعوا برقَرقةِ النَّدَى عن ماسي
وإذا حَسِبتَ الروضَ تُغني صورةٌ
عــنه، فــذلك مُــنــتــهى الإفلاس
أسَدُ الرُّخامِ وإن حكى في شكله
شكلَ الغَضنفرِ، ليس بالفَرَّاس

قــد كــان لي حُــلمٌ جــمــيلٌ مُــونِقٌ
فــأضــعــتُه لــمّــا أضــعتُ نُــعــاسي
فــكّــرتُ في مــا نــحن فــيه كــأمّــةٍ
وضــربتُ أخــمــاسي إلى أســداسي
فــرجــعتُ أخــيبَ مــا يــكــونُ مــؤمِّلٌ
راجٍ وأخْــسَــرَ مــا يــكــونُ الخَــاسي[2]
نــرجــو الخلاص بــغــاشمٍ من غــاشمٍ
لا يُــنــقَــذُ الــنَّــخّــاسُ من نَــخَّــاس
ونــقــيسُ مــا بــين الــثُّــريّــا والــثَّــرى
وأمــورُنــا تجــري بــغــيــرِ قِــيــاس

(١) القاطع.
(٢) الخيس: التغير والنقص والخيانة والغدر.

نــغــشـى بـلادَ الــنــاسِ فـي طـلَبِ الــعُلا
وبـلادُنــا مَــتــروكــةٌ لــلــنــاس!
ونـكـادُ نـفـتـرشُ الـثَّـرى، وبـأرضِـنـا
لـلأجــنــبيّ مــوائــدٌ وكَــرَاسِ
ونـلــومُ هــاجِــرَهــا عــلى نــسـيــانهِ
والـلائـمُ الــنــاســيــنَ أوّلُ نــاسِ
ونـبـيتُ نـفـخـرُ بـالـصَّـوارم والـقَـنَـا
ورقــابُــنَــا ممــدودةٌ لــلــفــاس
كَمْ صــيــحَــةٍ لــلــدهــر في آذانــنــا
مــرّتْ كــمــا مــرّتْ عــلى أرْمَــاس!

✱✱✱✱

١٩ - رأي الأكثريَّة

[البسيط]

لـــمّـــا ســـألتُ عن الحـقـيـقـةِ قـيلَ لي:
الحقُّ مـــا اتّـــفقَ الـــسَّـــوادُ عـــلـــيهِ
فعجبتُ كيف ذبحتُ ثوري في الضُّحى،
والـــهـــنـــد ســـاجـــدةٌ هـــنـــاك لـــديهِ
نـرضَى بـحـكمِ الأكـثـريـةِ مـثـلـمـا
يـــرضـى الـــولـــيـــدُ الـــظـــلـــمَ من أبـــويه
إمّـــا لـــغُـــنمٍ يـــرتَـــجِـــيه مـــنـــهـــمـــا
أو خـــيـــفـــةً مِن أن يُـــســـاء إلـــيه

✱✱✱✱

٢٠ - كتابي

[الطويل]

وســـائـــلـــةٍ: أيُّ المـــذاهب مـــذهـــبي
وهل كـان فـرعـاً في الـديـانـاتِ أمْ أصلا
وأيُّ نـــبيٍّ مُـــرْسَلٍ أقـــتـــدي به
وأيَّ كـتـابٍ مُـنـزَلٍ عـنـديَ الأغـلـى؟
فـقـلتُ لـهـا: لا يـقْـتَـني المـرءُ مـذهـبـاً،
وإنْ جلَّ، إلاّ كـــان في عـــنـــقِهِ غُلاّ
فـمـا مـذهبُ الإنـســانِ إلاّ زجـاجـةٌ
تـقـيَّـدَه خـمـراً وتـضـبِـطُه خَلاّ
فـإنْ كـان قُـبْـحـاً لم يـبـدّلْهُ لـونُـهـا
جـمـالاً، ولا نُـبْلاً إذا لم يـكن نُـبلا
أنـــا آدميٌّ كـــان يـــحـــسِبُ أنّهُ
هـو الـكـائنُ الأسـمى وشِـرْعـتُهُ الـفُـضـلى
وأنّ له الـدنـيـا الـتي هـو بـعـضُـهـا
وأنّ له الأخُـــرى إذا صـــامَ أو صـــلّى
أمُنُّ عـلى الـصَّـادي[1] إذا مـا سـقـيـتُهُ
وأُلـزمهُ شـكـري، ولـستُ أنـا الـوَبْلا
وأُزهـى إذا أطـعـمتُ جَـوْعـانَ لـقـمـةً
كـأني خـلـقتُ الحَبَّ في الحـقل، والحَـقلا
تـتـلـمـذتُ للإنـسـان في الـدَّهـر حـقـبـةً
فـلـقَّـنَـني غَـيّـاً، وعـلّـمـني جَـهـلا

(١) الصادي: العطش (والفعل: صدَيَ).

نـهَـانيَ عن قـتْلِ الـنـفـوسِ، وعـنـدمـا
رأى غِـرّةً مـنّي تـعـلَّم بي الـقـتْلا!
وذمَّ إليّ َالـرِّقَّ ثم اسـتـرقَّـني
وصـوّرَ، ظـلـمـاً فـيه، تـمـجـيـدَه عـدلا
وكـان يُـريـني الإثمَ في كلّ مـا أرى
وكلَّ نـظـامٍ غـيـرَ مـا سنَّ مُـخـتلاً
فـصـار الـورَى عـنـدي: عـدوّاً وصـاحـبـاً،
وأنـفـسُـهمْ صـنـفـينِ: عـلـيـاءَ أو سُـفـلى
وصـرتُ أرى بـغـضـاً، وصـرتُ أرى هـوىً،
وصـرتُ أرى عـبـداً، وصـرتُ أرى مَـوْلى
ويـا رُبّ شـرٍّ خِـلـتُه الخـيـرَ كـلَّهُ،
ويـا رُبَّ خـيـرٍ، خـلـتُه نَـكْـبـةً جُـلَّى
إلى أنْ رأيتُ الـنـجمَ يـطـلُعُ في الـدُّجى
لـذي مُـقـلـةٍ حَسْـرَى، وذي مُـقـلـةٍ جَذْلَى
وشـاهـدتُ كـيف الـنـهـرُ يـبـذُلُ مـاءهُ
فلا يـبـتـغي شـكـراً ولا يـدّعي فـضـلا
وكـيف يَـزينُ الـطلُّ ورداً وعَـوْسَـجـاً
وكيف يُـروِّي الـعارضُ[1] الـوعْـرَ والـسـهلا
وكـيف تُـغـذّي الأرضُ أَلْـأمَ نـبـتِـهـا
وأقـبـحَهُ شـكـلاً كـأحـسـنِـه شـكـلا
فـأصـبحَ رأيي في الحـيـاة كـرأيـهـا
وأصـبـحتُ لي دينٌ سِـوى مـذهـبي قَـبْلا

(١) السحاب، لأنه يعترض الأفق.

وصـــار نـــبـــيّي كلُّ مـا يُـطـلـقُ الـعَـقْلا
وصـارَ كـتـابي الـكـونُ لا صـحـفٌ تُـتْـلى

فَـديـنِي كـدِينِ الـروضِ يـعـبَقُ بـالـشَّـذا
ولـو لـم يـكُنْ فـيه سِـوى الـلصَّ مُـنْـسَلاّ
فـلـيـستْ تُـخـومُ المـالـكـيـةِ تُـخـومَهُ
وإنّ له، إنْ يـعـلَـمـوا، غـيـرَهم أهلا
فـكَمْ هشَّ لـلأنـسـامِ والـنـورِ والـنَّـدى
وآوى إلـيـه الـطـيـرَ والـذَّرَّ والـنـملا
وكم بَـعَـثَـتْهُ لـلـحـيـاة من الـبِـلى
قـريـحـةُ فـنّـانٍ، فـأورقَ واخْـضَلاّ
وأصـبح يُـجـلى «طـيـفُهُ» في قـصـيـدةٍ
وفي رُقـعـةٍ أو لـوحـة «وهـو» لا يُـجْـلى
ودِيـني الـذي اخـتـارَ الـغـديـرُ لـنـفسه
ويا حُسنَ ما اختارَ الغديرُ وما أحلى!
تَـجيءُ إلـيه الـطـيـرُ عـطـشى فـتـرتـوي
وإنْ وَردَتْـهُ الإبلُ لم يَـــزجُـــرِ الإبلا
ويـــغـــتـــسلُ الـــذئبُ الأثـــيمُ بمـــائه
فلا إثمُ ذا يُـمـحـىَ، ولا طُـهْـرُ ذا يَـبـلى!
وديـني كـدينِ الـشُّـهبِ تـبـدو لـعـاشقٍ
وقَـالٍ[1]، وفـيـهـا مـا يُـحَبُّ ومـا يُـقـلى
فـمـا اسـتـتـرتْ كـيـمـا يـضِلَّ مـسـافـرٌ
ولا بـزغتْ كي يَـسـتـنـيـرَ الـذي ضَلاّ

(١) من القلى: البغض (قلاه – يقليه).

ولـيس لـهـا أن تـمـنـعَ الـنـاسَ ضـوءَهـا
ولـو فـتـلـوا مـنه، لـتـكـبـيـلـهـا، حَـبْلا
وديــنـي كـدِينِ الــغـيثِ إن سحَّ لم يُــبَلْ
أروَّى الأقاحي أم سقىَ الشوكَ والدِفْلى[1]
فـلـم يـتـخـيَّـرْ في الـفـضـاء مـسـيـرَهُ
ولم يـنـهـمـرْ جـوداً ولم يـنـحـبسْ بُـخلا
وإنْ لم أكنْ كـالـروضِ والـنـجم والحَـيـا
فـحـسـبي اعـتـقـادي أنَّ خِـطَّتـهـا الـمُـثلى

يـرى الـنـحلَ غيري إذْ يرَى الـنـحلَ حـائماً
وأُبـصِـرُ قِرْصَ الشُّـهدِ إذ أُبـصـرُ النَّـحلا
وألمح واحــاتٍ من الــنَّــخلِ في الــنّــوى
إذا جـرَفَ الإعـصـارُ من واحـتي الـنَّـخْلا
وإنْ أشــربِ الــصَّــهــبــاءَ أعــلمُ أنــني
شـربتُ بـشـاشـاتِ الـزمـان الـذي ولّى
ومـا هـمـسَـتْهُ الـريحُ في أذُنِ الـثـرى
ومـا ذرفَتْ في الـلـيل نجـمـتُهُ الـثـكـلى
وغَصّاتِ من ماتوا على اليأسِ في الهوى
فـيـا شـاربـيـهـا هل لمحـتم دمَ الـقـتـلى؟
وإنْ مَـــرَّ بي طـــفلٌ رأيتُ بـه الـــورى
من الــمَــثلِ الأدنى إلى المــثَلِ الأعــلى
فـيـا لكِ دنـيـا حـسـنُـهـا بـعض قُـبـحـهـا
ويـا لكَ كـونـاً قـد حـوى بـعـضُهُ الـكلاّ

✱✱✱✱

(١) الأصل: لم يبالِ.

٢١ - كن بلسماً

[الكامل]

القصيدة التي ألقاها صاحب الديوان في المأدبة الكبرى التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية، على شرف المندوب البطريركي المطران ثيودوسيوس أبو رجيلي في بروكلن - نيويورك .

كنْ بلسماً إن صارَ دهرُكَ أرقَمَا[١]
وحلاوةً إن صار غيرُكَ عَلْقَما
إن الحياةَ حَبَتك كلَّ كنوزِها
لا تبخلنَّ على الحياةِ ببعض ما...
أحسِنْ وإنْ لم تُجْزَ حتى بالثنا
أيَّ الجزاءِ الغيثُ يبغي إن همَى؟
من ذا يكافئُ زهرةً فوّاحةً؟
أو مَن يُثيبُ البلبلَ المُترنّما؟
عُدَّ الكرامَ المحسنينَ وقِسْهُمُ
بهما تجدْ هذين منهمْ أكرما
يا صاحِ خُذْ علْمَ المحبّةِ عنهما
إني وجدتُ الحُبّ علْماً قَيّما
لو لم تَفُحْ هذي وهذا ما شدَا
عاشتْ مُذمَّمةً وعاشَ مُذمَّما
فاعملْ لإسعادِ السِّوى وهنائهمْ
إن شئتَ تسعدَ في الحياةِ وتنعُما[٢]

(١) الحية التي فيها سواد وبياض.

أيــقظ شــعــورَكَ بــالمحــبّــة إن غــفــا
لــولا الــشُّــعــورُ: الــنــاسُ كــانــوا كــالــدُّمى
أحــبِبْ فــيــغــدو الــكــوخُ كــونــاً نــيّــراً
ْأبــغِضْ فَيُمسي الكونُ سجناً مُظلما
مــا الــكــأسُ لــولا الخــمــرُ غــيــرُ زجــاجــة
والمــــرءُ لــــولا الحبُّ إلا أعــــظُــــمــــا
كَــرِهَ الــــدُّجى فــــاســــودّ إلا شُــــهْــــبَه
بــقــيتْ لــتــضــحكَ مــنه كــيف تجــهَّــمــا
لــو تــعــشقُ الــبــيــداءُ أصــبحَ رمــلُــهــا
زهــراً، وصــار سَــرابُــهــا الخــدَّاعُ مــا[1]
لــــو لم يــــكنْ في الأرض إلا مــــبــــغضٌ
لــــتــــبــــرَّمتْ بــــوجــــودِه وتــــبــــرَّمــــا
لاح الجــــمــــالُ لــــذي نُــــهىً فــــأحــــبَّه
ورآه ذو جــــــهلٍ فــــظنّ ورجَّــــمــــا
لا تــــطــــلــــبنَّ مــــحــــبّــــةً من جــــاهلٍ
المــرءُ لــيس يُــحَبُّ حــتى يُــفْــهَــمــا
وارفُقْ بــأبــنــاء الــغــبــاءِ كــأنَّــهمْ
مــرضى، فــإنّ الجــهلَ شيءٌ كــالــعَــمى
وَلْهُ بــــوَرْدِ الــــروضِ عن أشــــواكه
وانْسَ الــعــقــاربَ إن رأيتَ الأنجــمــا

يــا مَن أتــانــا بــالــسلام مُــبــشَّــرًا
هشَّ الحِــمَى لمــا دخــلتَ إلى الحِــمَى
وصَــفُــوكَ بــالــتــقــوى وقــالــوا: جِــهْــبِــذٌ،

(١) ماءً.

علاّمــةٌ، ولــقــد وجــدتُكَ مــثــلــمــا
لــفظٌ أرَقُّ من الــنــســيمِ إذا سَــرَى
سَـحَـراً، وحـلـوٌ كـالـكَـرى إنْ هَـوَّمـا
وإذا نــطــقتَ فــفي الجــوارحِ نــشــوةٌ
هي نـشـوةُ الـروحِ ارتـوتْ بـعـد الـظَّـمـا
وإذا كـتـبتَ فـفي الـطـروسِ حـدائقٌ
وشَّى حـواشـيَـهـا الـيَـراعُ ونمـنـمـا
وإذا وقــفتَ عــلى المــنــابــرِ أوشــكتْ
أخـشـابُـهـا لـلـزهـوِ أنْ تـتـكـلـمـا
إنْ كـنتَ قـد أخـطـاكَ سـربـالُ الـغِـنَى
عــاش ابنُ مــريمَ لـيس يمـلِكُ درهــمـا
وأحَـبَّ حـــــــتـى مـن أحـبَّ هـلاكَـه
وأعــانَ حــتى من أســاء وأجْــرَمــا
نــامَ الــرعــاةُ عن الخِــرَافِ ولم تــنَمْ
فـإلـيكَ نـشـكـو الـهـاجِـعـين الـنـوَّمـا
عــبــدوا الإلهَ لمــغــنَمٍ يــرجــونَهُ
وعـبَـدتَ ربّك لـست تـطـلبُ مَـغـنـمـا
كم روَّعُــوا بــجــهــنّمٍ أرواحَــنــا
فــتــألّمْتَ من قَــبْلُ أن تــتــألّــمــا!
زعــمــوا الإلهَ أعــدَّهــا لــعــذابــنــا
حــاشــا، وربُّك رحــمــةٌ، أن يَـظْـلـمـا
مــا كــان مِن أمــرِ الــورَى أن يـرحـمـوا
أعــــــداءَهـمْ إلاّ أرقَّ وأرحــــــمــــــا
لـيـستْ جـهـنّمُ غـيـرَ فـكـرةِ تـاجـرٍ
الــلــهُ لم يَــخْــلُقْ لــنــا إلاّ الــسَّــمــا

✷✷✷✷

٢٢ - الخمر والدنيا

[الرجز]

يـشـربُ بـنتَ الـكـرْمِ بـعضُ الـنـاسِ
لـكُـرْبـةٍ في الـنـفسِ أو وِسْـواسِ
وبـعـضُـهُمْ لأنه قـد ظَـفِـرا
وبـعـضُـهُمْ لأنه قـد خَـسِـرا
وبـعـضُـهُمْ لأنه في فـرَحٍ
وبـعـضُـهُمْ لأنه في تـرحِ
وبـعـضـهمْ كي يـسـتـردَّ الأمْـسَـا
وبـعـضـهم يَـجـرعُـهـا كي يَـنـسى
وبـعـضُـهمْ لـيـسـتـفـيـدَ قـوّهْ
وبـعـضـهمْ لـسَـوْرةِ الـفـتـوَّهْ
وبـعـضُـهمْ كـيـمـا يـحُلَّ مـشـكـلهْ
وبـعـضُـهمْ لأنه لا شُـغْلَ لهْ
وبـعـضُـهمْ عن رغـبـةٍ وعن هـوىً
وبـعـضُـهُمْ لـعـلَّهُ يُـرضي الـسِّـوى
وبـعـضُـهمْ مِن حُـبِّهِ لـلـبـائعِ
وبـعـضُـهمْ نـكـايـةً لـلـمـانعِ!
وبـعـضُـهمْ يـشـربُـهـا أحـيـانـا
وبـعـضُـهمْ في أيَّ وقتٍ كـانـا
وبـعـضُـهُمْ مع صـحْـبِهِ في الـدارِ
وبـعـضُـهمْ في حـانـةِ الخَـمَّـارِ

وبـــعـــضُـــهمْ في زمـــرةِ الـــنُّـــدمـــانِ
وبـــعـــضُـــهمْ في وَحـــدةِ الـــرُّهـــبـــانِ
وبـعـضّـهمْ في الـصـيف ذي الـرمـضـاءِ
وبـــعـــضُـــهمْ في زمن الـــشـــتـــاءِ
وبـعـضُـهمْ عـنـد انجـيـابِ الـظـلـمهْ
وبـعـضُـهمْ عـنـدَ طـلـوعَ الـنـجـمهْ
وبـعـضُـهمْ يـذمُّـهـا اسـتـهـجـانـا
وبـعـضُـهمْ يمدحُـهـا اسـتـحـسـانـا
لـكـنَّـهمْ كـلّـهُمُ يـحْـسُـوهـا
المـادِحُـوهـا والمـقـبِّـحُـوهـا
فـمـا وجـدتُ في زمـاني رجلا
وقـلتُ: هل تحـبُّـهـا؟ فـقـال: لا
وسِـرٌّ هـذا أنـهـا كـالـدنـيـا
تـؤذي ولـكن مع أذاهـا تُـهـوَى

✱✱✱✱

٢٣ - لمّا

عـــجـــبـــاً لمن أمـــسى وكلُّ فـــخَـــارِهِ
بـــنُـــضـــارهِ المخـبـــوءِ في الـــصـــنـــدوقِ
مـــاذا يـقـولُ إذا الـلـصـوصُ مـضَـوا به
وأقـــامَ بـــعـــد نُـــضـــارهِ المـــســـروقِ؟
إنْ يـــرفـعِ المـــالُ الـــكـــريمَ فـــإنه
لـلـنـذْلِ مـثلُ الحـبلِ لـلـمَـشْـنـوقِ
لـمّـا صـديـقي صـار من أهل الـغِـنَى
أيـقـنتُ أني قـد أضـعتُ صـديـقي!..

****

(١) السراب.

٢٤ - تأمّلات

[الكامل]

لـيت الـذي خـلقَ الحـيـاةَ جـمـيـلـةً
لم يُـسـدلِ الأسـتـارَ فـوقَ جـمـالِـهـا
بل لـيـتَهُ سـلَبَ الـعـقـولَ فـلم يـكنْ
أحـدٌ يـعـلّلُ نـفـسَهُ بمُـنـاهـا
لـلهِ كم تُـغـرِي الـفـتَى بـوصـالِـهَـا
وتـضِنُّ، حـتى في الـكـرى، بـوصَـالـهـا
تُـدنـيه من أبـوابـهـا بـيَـمـيـنِـهـا
وتـردُّه عن خِـدْرهـا بـشِـمَـالـهـا
كم قـلتُ: هـذا الأمـرُ بـعضُ صـوابـهـا
فـوجـدتُه بـالخُـبْـر بـعضَ مُـحَـالـهـا
ولَـكَم خُـدِعتُ بـآلـهـا[1] وذممـتُهُ
ورجـعتُ أظـمـأَ مـا أكـونُ لآلـهـا
قـد كـنتُ أحـسَـبُـني أمِـنتُ ضَلالَـهـا
فـإذا الـذي خَـمَّـنتُ كلّ ُضلالـهـا
إنَّ الـنـفـوسَ تَـغـرُّهـا آمـالُـهـا
وتـظلّ عـاكـفـةً عـلى آمـالـهـا
ذهَبَ الـصِّـبـا وأنـا أعـالجُ سـرَّهـا
مُـتـحـيِّـراً في كُـنـهِـهَـا ومَـآلـهـا
حـتى رأيتُ الـشـمسَ تُـلـقي نـورَهـا
في الأرض، فـوقَ سـهـولِـهـا وجـبـالـهـا

---

(١) القُلّة: الذروة.

ورأيتُ أحـــقَـــرَ مـــا بـــنـــاهُ عَـــنْـــكَبٌ
مـتـلـفّـفـاً ومـطـوَّقًـا بـحِـبـالـهـا
مـثلُ الـقـصـورِ الـعـالـيـات قِـبـابُـهـا
الـشَّـامـخـاتِ عـلى الـذُّرا بـقُلالـهـا[1]
فَـعَـلِـمْتُ أنَّ الـنـفسَ تـخـطـرُ في الحُـلى
والـوشيِ، مـثلُ الـنـفس في أسْـمَـالـهـا
لـيـستْ حـيـاتُكَ غـيـرَ مـا صـوّرتَـهـا
أنت الحـيـاةُ بـصَـمْـتِـهـا ومـقـالـهـا
ولـقـد نـظـرتُ إلى الحَـمَـائم في الـرُّبـا
فـعـجـبتُ من حـال الأَنـام وحـالـهـا
لـلـشَّـوكِ حظُّ الـوردِ من تـغـريـدِهـا
وشـريـكُه، من بَـعْـدُ، في إعْـوالـهـا
تـشـدو وصـائـدُهـا يمـدّ لـهـا الـردى
فـاعـجبْ لمحـسـنـةٍ إلى مُـغْـتَـالـهـا
فَـغِـبـطـتُـهـا في أمْـنـهـا وسلامِـهـا
وودِدْتُ لـو أُعـطـيتُ راحـةَ بـالـهـا
وجـعـلتُ مـذهَـبَـهـا لـنـفـسيَ مـذهـباً
ونـسـجتُ أخلاقي عـلى مـنـوالـهـا
مَن لجَّ في ضَـيْـمي تـركتُ سـمـاءَهُ
تـبـكي عـليّ بـشـمـسِـهـا وهِلالـهـا
وهـجـرتُ روضـتَهُ فـأصـبحَ وَرْدُهـا
لـلـيـأسِ، كـالأشـواكِ في أدغـالـهـا
وزجَـرتُ نـفـسي أن تـمـيلَ كـنـفـسِه
عن كـوثـرِ الـدنـيـا إلى أوحـالـهـا

(١) الصلّ: الحية التي تقتل إذا نهشت، من ساعتها.

نِـسْـيـانكَ الجـانـي المـسـيءَ فـضـيـلَـةٌ
وخـمـودُ نـارٍ جَـدّ في إشـعـالـهـا
فـاربـأْ بـنـفـسِكَ، والحـيـاةُ قـصـيـرةٌ،
أن تجـعلَ الأضـغـانَ من أحـمَـالِـهـا

☆☆☆☆☆

زمنَ الـشـبـاب رحـلتَ غـيـرَ مُـذمَّمٍ
وتـركتَ لـلـحـسـراتِ قـلـبي الـوَالِـهـا
دبَّتْ عـقـاربُـهـا إلـيه تـنـوشُهُ
ورمتْ بـقـايـاهُ إلى أصـلالـهـا[1]
لـم يـبـقَ من لـذّاتِه إلا الـرؤى
ومِن الـصَّـبـابـةِ غـيـرُ طيفِ خَـيـالـهـا
ومن الـكـؤوسِ سِـوى صَـدَى رنّـاتـهـا
والـرَّاحِ غـيـرُ خُـمَـارهـا وخَـبـالـهـا
يـا جـنَّـةً عُـوجِـلتُ عن أثـمَـارِهـا
ولـذاذةً عُـرّيتُ مِن سِـربـالـهـا
مـا عـابـهـا شيءٌ سِـوى اضـمـحلالِـهـا
والـذنبُ للأقـدارِ في اضْـمِـحْلالـهـا

☆☆☆☆☆

ومـلـيـحـةٍ في وجـهِـهـا أَلَقُ الـضُّـحى
والـسِّـحـرُ والـصَّـهـبـاءُ في أقـوالـهـا
قـالتْ: أيـنـسى الـنـازحـونَ بلادَهُمْ؟
مـا هـاجَ حُـزنَ الـقـلـبِ غـيـرُ سُـؤالِـهـا
الأرضُ، سـوريّـا أحَبُّ ربـوعِـهـا

---

(١) المطر.
(٢) الأسد.
(٣) خيمة الناطور
(٤) الطائر، ومفرده: قطاة.

عـنـدي، ولـبـنـانٌ أعـزُّ جـبـالـهـا
والـنـاسُ أكـرمُـهمْ عـليّ عـشـيـرُهَـا
روحي الـفـداءُ لـرهـطِـهـا ولآلـهـا!
والـشُّـهبُ أَسـطـعُـهـا الـتي في أُفـقِـهـا
لـيس الجلالُ الحقُّ غـيـرَ جلالـهـا
وأحَبُّ غـيثٍ مـا هـمَى في أرضـهـا
حـتى الحَـيـا[1] الـبـاكي عـلى أطلالـهـا
مـرحُ الـصِّـبـا الجـذلانِ في أسـحَـارِهـا
ومُـنى الـصِّـبـا الـولـهـانِ في آصَـالـهـا
إني لأعـرفُ ريـحـهـا من غـيـرِهـا
بـنَـوافحِ الأشْـذاءِ في أذيـالـهـا
تـلك المـنـازلُ كم خـطَـرتُ بـسـاحِـهَـا
في ظلّ ضَـيْـغَـمِـهـا[2] وعـطْفِ غـزالـهـا
وشـدوتُ معْ أطـيـارهـا، وسـهـرتُ مع
أقـمَـارِهـا، ورقـصتُ مع شلاَّلـهـا
وسـجـدتُ للإلـهـامِ معْ صـفـصَـافِـهـا
وضـحـكتُ لـلأحلامِ مع وَزّالـهـا[3]
وملأتُ عـقـلي من حـديثِ شـيـوخِـهـا
وأخـذتُ شـعـري من لُـغَى أطـفـالـهـا
تـشـتـاقُ عـيـني قَـبْلَ يُـغـمـضُـهَـا الردى
لـو أنـهـا اكـتـحـلتْ ولـو بـرمـالـهـا
مـرَّتْ بيَ الأعـوامُ تـقـفـو بـعـضَـهـا
وثْبَ الـقَـطـا[4] تـعـدو إلى آجـالـهـا
وتـعـاقـبتْ صـورُ الجـمـالِ فـلم يـدُمْ
في خـاطـري مـنـهـا سِـوى تِـمـثـالـهـا

(١) الكوكب الدرّي: النجم المضيء.

✷✷✷✷

٢٥ - شاعر الشهور

[مخلع البسيط]

«أيـــارُ» يـــا شـــاعـــرَ الـــشُّـــهـــورِ
وبـــســـمـــةَ الحبِّ في الـــدهـــورِ
وخـــالـقَ الـــزهـــرِ في الـــرَّوابي
وخـــالـقَ الـــعِـــطـــرِ في الـــزهـــور
وبـــاعثَ المـــاءِ ذا خَـــريـــرٍ
ومُـــوجـــدَ الـــسِّـــحـــرِ في الخـــريـــر
وغـــاسِلَ الأفـقِ والـــدراري[1]
والأرضِ، بـــالـــنـــورِ والـــعَـــبـــيـــر
لـــقـــد كـــسَـــوتَ الـــثَّـــرى لـــبـــاســاً
أجـــملَ عـــنـــدي من الحـــريـــر
مـــا فـــيكَ قَـــرٌّ ولا هـــجـــيـــرٌ
ذهـــبتَ بـــالـــقـــرِّ والـــهـــجـــيـــر
فـلا ثـــلـــوجٌ عـــلـى الـــروابي
ولا غَـــمـــامٌ عـــلـى الـــبـــدور
أتـــيتَ فـــالـــكـــونُ مِـــهـــرجَـــانٌ
من الـــلـــذاتِ والحُـــبـــور
أيـــقـــظت في الأنـــفسِ الأمـــاني
والابـــتـــســـامـــاتِ في الـــثُّـــغـــور
وكـــدتَ تُـــحْـــيي المـــوتى الـــبَـــوالي
وتُـــنـــبتُ الـــعُـــشبَ في الـــصـــخـــور
وتجـــعـــلُ الـــشّـــوكَ ذا أريـجٍ

وتجـــعلُ الـــصَّـــخـــرَ ذا شـــعـــور
فـــأيـــنـــمـــا سِـــرتَ صـــوتُ بُـــشْـــرَى
وكـــيـــفـــمـــا مِـــلتُ طـــيفُ نـــور
تـــشـــكـــو إلـــيكَ الـــشـــتـــاءَ نـــفـــسي
ومـــا جـــنـــاهُ من الـــشُّـــرور
كم لـــذَّعَ الـــزَّمـــهـــريـــرُ جـــلـــدي
ودَبَّ حـــتـــى إلى ضـــمـــيـــري
فـــلُـــذْتُ بـــالـــصُّـــوف أتّـــقـــيه
فـــاخـــتَـــرَقَ الـــصُّـــوفَ كـــالحـــريـــر
وكم لـــيـــالٍ جـــلـــستُ وحـــدي
مُـــنـــقَـــبضَ الـــصـــدرِ كـــالأســـيـــر
يـــهـــتـــزُّ مـعْ أُنمـــلـي كـــتـــابي
ويـــرجُفُ الحِـــبْـــرُ في الـــسُّـــطـــور
تُـــعْـــوِلُ فـــيـــهـــا الـــريـــاحُ حـــولي
كـــنـــائـــحـــاتٍ عـــلـى أمـــيـــر
والـــغـــيثُ يـــهْـــمِي بلا انـــقـــطـــاعٍ
والـــرعـــدُ مـــســـتـــتـــبِعُ الـــزئـــيـــر
والـــلـــيلُ مُـــحـــلَـــوْلِكُ الحـــواشي
وصـــامتُ الـــبَـــدءِ والأخـــيـــر
والـــشُّـــهبُ مـــرتـــاعـــةٌ كـــطـــيـــرٍ
مُـــخْـــبـــئـــاتٍ من الـــصُّـــقـــور
في غـــرفـــتي مـــوقـــدٌ صـــغـــيـــرٌ
لـــلـه منْ مـــوقـــدي الـــصَّـــغـــيـــر!
يـــكـــاد يـــنـــقـــدُّ جـــانـــبـــاهُ

(١) الالتياح: العطش.

من شـــدةِ الـــغـــيظِ لا الـــسَّـــعِـــيـــر
لـــولا لـــظـــاهُ رقـــصتُ فـــيـــهـــا
بـــغـــيـــر دُفٍّ عـــلى ســـريـــري
وســـاعـــةٌ وجـــهُـــهـــا صـــفـــيقٌ
كـــأنه وجْـهُ مُـــســـتَـــعِـــيـــر
أبـــطـــأ في الـــسَّـــيـــر عَـــقْـــربـــاهـــا
فـــأبـــطـــأَ الـــوقتُ في المـــسِـــيـــر
حـــتى كـــأنَّ الـــزمـــانَ أعـــمى
يمـــشي عـــلى الـــشَّـــوْكِ في الـــوعـــور
كـــنَّـــا طـــويـــنـــا الـــمُـــنى وقـــلـــنـــا:
مـــا لـــلأمـــانيِّ من نـــشـــور
فـــلـــو يـــزورُ الـــصـــدورَ حُـــلْمٌ
عَـــرَّجَ مـــنـــهـــا عـــلى قـــبـــور
لـــقـــد تـــولَّى الـــشـــتـــاءُ عـــنّـــا
فـــصـــفّـــقِي يـــا مـــنًى وطـــيـــري!

✱✱✱✱

٢٦ - الكأس الباقية

[الخفيف]

دمعة على جبران خليل جبران

أيّـهـا الـشَّـاعـرُ الـذي كـان يـشـدو
بـــين ضـــاحٍ من الجَـــمـــالِ وضـــاحِكْ
جَـــللٌ أن يـــصـــيـــدَكَ الـــقـــدرُ الأعْـ
ـــمَى ويَـمـشي مِـقـصُّهُ في جـنـاحِك
مـــوكبُ الـــشِّـــعـــرِ تـائهٌ في فـضـاءٍ
لـــيس فـــيه ســـوى حَـــطـــيمِ سلاحِك
والـــبـــســـاتـــينُ، والـــبلابلُ فـــيـــهـــا
تـــتـــغـــنّى، حـــزيـــنـــةٌ لـــرَواحِك
قـــنِـــعتْ بـــالـــنُـــواحِ مـــنك فـــلَـــمّـــا
زالَ عـــاشتْ بـــذكـــريـــاتِ نُـــواحِك
والـــدُّجَى، والـــنـــجـــوم تُـــســـطعُ فـيه،
واجمٌ حـــســـرةً عـــلى مـــصـــبـــاحِك
تـــلـــمِسُ الـــعـــينُ أيـــنـــمـــا لمـــسَـــتْهُ
جَـمَـراتِ الـتِـيـاحِـنـا والـتِـيـاحِك[1]
قـــد تـــولّت جلالـــةُ الـــسِّـــحـــرِ عـــنهُ
واضْـمـحَـلَّتْ مُـذْ صـار غـيـرَ وشَـاحِك

☆☆☆☆☆

هـــبـــطتْ ربّـــةُ الحـــيـــاة لـــكي تَـــسْـ
ـــكُبَ خـــمـــرَ الجَـــمـــالِ في أقْـــداحِك
فـــإذا أنتَ في الـــسَّـــريـــرِ مُـــسَـــجّى

صـــامتٌ كـــالـــطـــيـــوفِ في ألـــواحِك
فـــتَـــولّت مـــذعـــورةً تـــلـــطِمُ الـــوجْـ
ـهَ وتَـبـكـيكَ، يـا قـتـيلَ سَـمـاحِك!
سَـبـقَـتْـهـا إلاهـةُ المـوتِ كي تَحْـ
ـظَى ولـو بـالـيـسـيـرِ من أفـراحِك
ويـحَـهـا! ويحَ حـبّـهـا من أثـيمٍ
طَـرَدتْـنـا ولم تُـقمْ في سَـاحِك
أيـبـسـتْ روضَكَ الجـمـيلَ، ولم تَظْ
ـفَـرْ بـغـيـرِ الـتُّـرابِ من أَدْواحِك
ذهبَ المـوتُ بـالـكـؤوس جـمـيـعـاً
غـيـرَ كـأسٍ مَلأْتَـهـا من جِـرَاحِك!

✱✱✱✱

(١) الغيم الكثيف.

٢٧ - الشجاع

[الخفيف]

لا أحِبُّ الإنـــســـانَ يَـــرضـخُ لـــلـــوهْـ
ـمِ ويـــرضَى بـــتَـــافـــهَـــاتِ الأمـــاني
إنّ حـــيّـــاً يـــهـــابُ أنْ يـــلـــمسَ الـــنُّـــوْ
رَ كَـــمـــيْتٍ في ظُـــلـــمـــة الأكـــفـــان
وحـــيـــاةً أمـــدّ فـــيـــهـــا الـــتَّـــوقِّي
لا تـــوازي في المجـــدِ بـــضـــعَ ثـــوان
الـــشـــجـــاعُ الـــشـــجـــاعُ عـــنـــدي من أمـ
ـسَى يـــغـــنِّي والـــدمعُ في الأجـــفَـــان

****

(١) عش الطائر في جبل أو جدار (أقل من الوكر).

٢٨ - أبي

[الطويل]

طَوى بعضَ نفسي، إذْ طواكَ الثَّرى عني
وذا بعضُها الثاني يَفيض به جفني
أبي! خانني فيك الرَّدى فتقوَّضتْ
مقاصيرُ أحلامي كَبَيتٍ من التِّبْن
وكانتْ رياضِي حاليات ضواحكاً
فأقوتْ، وعفّى زهرَهَا الجَزَعُ المُضني
وكانت دِناني بالسرور مليئةً
فطاحتْ يدٌ عمياءُ بالخمرِ والدَّن
فليس سِوَى طَعْم المنيّةِ في فمي
ولَيس سوى صوتِ النوادبِ في أُذْني
ولا حَسَنٌ في ناظريَّ وقلّما
فَتَحتُهما من قبلُ إلاّ على حُسْن
وماصُوَرُ الأشياء بعَدَك غيرَها
ولكنمّا قد شوَّهتْهَا يدُ الحزن
على منكبي تِبْرُ الضُّحى وعقيقُهُ
وقلبيَ في نارٍ وعينايَ في دَجْن[1]
أَبحتُ الأسَى دمعي وأنهبتُه دمي
وكنتُ أَعدُّ الحزنَ ضرباً من الجُبْن
فَمسْتَنكِرٌ كيف استحالتْ بشاشَتي

---

(١) ضعف الرأي (ومنه: مأفون).
(٢) العبد القِنّ: هو العبد المملوك هو وأبواه.

كمستنكرٍ في عاصفٍ رَعشةِ الغصن
يقولُ المعزّي ليس يُجْدي البُكا الفتى
وقولُ المعزّي لا يُفيدُ ولا يُغني

☆☆☆☆☆

شَخَصتُ بروحي حائراً متطلِّعاً
إلى ما وراء البحرِ أدنو وأسْتَدني
كَذاتِ جناحٍ أدركَ السيلُ عشَّها
فطارتْ على رَوْعٍ تحومُ على الوَكْن[1]
فَواهاً لو اَنّي كنتُ في القومِ عندما
نظرتَ إلى العُوّادِ تسألهمْ عنّي
ويا ليتَما الأرضُ انطوَى لي بساطُها
فكنتُ مع الباكينَ في ساعةِ الدَّفن
لَعَلّي أفِي تلك الأبوّةَ حقَّها
وإنْ كان لا يُوفَى بكيلٍ ولا وزن
فأعظَمُ مَجْدي كان أنك لي أبٌ
وأكبرُ فخري كان قولَكَ: ذا إبني!
أقولُ: لو اَني.. كي أُبرِّدَ لوعَتي
فيزدادُ شَجْوِي كلّما قلتُ: لو أني!
أحتّى وداعُ الأهلِ يُحْرَمُهُ الفتى؟
أيا دهرُ هذا منتهى الحَيْفِ والغَبْن!
أبي! وإذا ما قلتُها فكأنني
أنادي وأدعو يا مَلاذي ويا رُكني
لمن يلجأُ المكروبُ بعدكَ في الحِمَى
فيرجعَ ريّانَ المُنى ضاحِكَ السِّنّ؟

خلعتَ الصِّبا في حَوْمَة المجدِ ناصعاً
ونُزِّهَ فيك الشيبُ عن لُوثةِ الأَفْن[1]
فذهنٌ كنجم الصيفِ في أوّل الدُّجى
ورأيٌ كحدِّ السّيفِ أو ذلكَ الذهنِ
وكنتَ ترى الدنيا بغير بشَاشةٍ
كأرضٍ بلا ماءٍ وصوتٍ بلا لحن
فما بكَ من ضُرٍّ لنفسكَ وحدَها
وضِحْكُكَ والإيناسُ للجارِ والخِدْن
جريءٌ على الباغي، عَيُوفٌ عن الخَنا،
سريعٌ إلى الداعي، كريمٌ بلا مَنّ
وكنتَ إذا حدّثتَ حَدّثَ شاعرٌ
لبيبٌ دقيقُ الفهمِ والذوقِ والفنّ
فما اسْتشعَرَ المُصغي إليك مَلالةً
ولا قلتَ إلاّ قال من طَرَبٍ: زِدْني!

بِرغْمِكَ فارقتُ الربوعَ، وإننا
على الرَّغم منّا، سوف نلحقُ بالظَّعْن
طريقٌ مشى فيها الملايينُ قبْلَنا
من المَلِكِ السَّامي إلى عبدِه القِنّ[2]
نظنُّ لنا الدنيا وما في رحَابها
وليستْ لنا إلاّ كما البحرُ للسُّفن
تروحُ وتغدو حُرّةً في عُبَابِه
كما يتهادَى ساكنُ السّجنِ في السِّجن
وزَنْتُ بسرّ الموتِ فلسفةَ الورى

(١) طير أبيض. والذكر قُمْري.

فـشـالتْ، وكـانت جـعـجـعـاتٍ بلا طِـحْن
فـــأصـــدقُ أهلِ الأرضِ مـــعـــرفـــةً به
كـــأكـــثـــرِهِمْ جـــهلاً يُـــرَجَّمُ بـــالـــظّن
فـذا مـثلُ هـذا حـائـرُ الـلبّ عـنـدَهُ
وذاكَ كـــهـــذا لـــيس مـــنه عـــلى أَمْن
فـيـا لكَ سِـفـراً لم يـزلْ جِـدّ غـامضٍ
على كثرةِ التفصيلِ في الشَّرحِ والـمَتْن
أيـا رمـزَ لـبـنـانٍ جلالاً وهـيـبـةً
وحـصنَ الـوفـاء المحْضِ في ذلك الحِـصْن
ضـريـحُكَ مـهـمـا يـسـتـسـرُّ، وبـلـدةٌ
أقـمتَ بـهـا تـبـني المحـامـدَ مـا تـبـني
أَحَبُّ من الأبـــراجِ طـــالتْ قِـبـــابُـــهـــا
وأجـــملُ في عـــيـــنيَّ من أجـــملِ المـــدْن
عـــلى ذلك الـــقـــبـــرِ الـــسلامُ فَـــذِكـــرُهُ
أريجٌ به نـفـسي، عن الـعِـطْـرِ تَـسـتـغـني

****

(١) الصحيح «أحدٌ».

٢٩ ـ ذكرى

[الكامل]

إنِّي امْـــرُؤٌ لا شيءَ يُـــطْـــرِبُ روحَهُ
ويَـــهُـــزُّهـــا كـــالـــزهـــرِ والألحـــانِ
الـــلـــحنُ من قُـــمْـــريّـــةٍ[1] أو مُـــنـــشـــدٍ
والـــزهـــرُ في حـــقلٍ وفي بـــســـتـــان
هـــذا يُـــحـــرِّكُ بي دفـــينَ صَـــبـــابـــتي
ويـــهـــزّ ذاك مـــشـــاعـــري وكـــيـــاني
يـــهـــوى المَلاحـــةَ نـــاظـــري صـــوراً تُـــرى
وأحَـــبُّـــهـــا في مَـــسْـــمـــعيَّ أغـــانِ
وأحـــبّـــهـــا نـــوراً جـــمـــيلاً صـــافـــيـــاً
مـــتـــألّـــقـــاً في الـــنـــفس والـــوجـــدان
وأحـــبُّـــهـــا سِـــحْـــراً يـــرِفُّ مع الـــنـــدى
ويمـــــوجُ في الألـــــوان كـــــالألـــــوان
وأحـــبُّـــهـــا ذكـــرى تُـــطـــيفُ بـــخـــاطـــري
لأخٍ هَـــــوَيْتُ، وغـــــادةٍ تـــــهـــــواني
أو مـــجـــلسٌ لـــلـــحبّ في ظِلّ الـــصِّـــبـــا
إن الحـــيـــاةَ جـــمـــيـــعَـــهـــا هَـــذان
أو في خـــيـــالِ مـــنـــازلٍ أشـــتـــاقُـــهـــا
كم من جـــمـــالٍ في خـــيـــالِ مـــكـــان
ولـــقـــد نـــظـــرتُ إلـــيـــكمُ فـــكـــأنمـــا
أنـــا في الـــربـــيعِ، وفي رُبـــا لـــبـــنـــان
أُصـــغي إلى الـــنَّـــسَـــماتِ تـــروي لـــلـــرُّبـــا

مـــا قـــالتِ الأشـــجـــارُ لـــلـــغُـــدْران
وإلى الـسَّـواقي وهي تُـنـشِـدُ لـلـصَّـبـا
والحبَّ، في الـفـتـيـاتِ والـفـتـيـان
وإلى الأزاهـــرِ كـــلَّـــمـــا مـــرَّتْ بـــهـــا
عـــــذراءُ ذات ملاحَـــــةٍ وبـــيـــان
مُـتَـهـامِـسـاتٍ: « مـا نـظنّ (فلانـةً)
أحـــداً[1] بـــهـــا أولى من (ابن فلان)
يـا لـيتَ يـنـثـرُنـا الـغـرامُ عـلـيـهـمـا
من قَـبْلُ يَـنْـثُـرنـا الخـريفُ الجـاني»
ألِـفَتْ مُـجـاورةَ الأنـامِ فـأصـبـحتْ
وكـــأنّـــهـــا شيءٌ من الإنـــســـان
فـإذا نـظـرتَ إلـيـهـمـا مـتـامِّلاً
شـــاهـــدتَ حـــولَكَ وَحـــدةَ الأكْـــوان

✱✱✱✱

٣٠ - يا جنّتي

[الكامل]

لـــمّـــا رأيتُ الـــوردَ في خـــدَّيكِ
وشـــقـــائقَ الـــنُّـــعـــمـــانِ في شـــفـــتـــيكِ
ونـــشَـــقْتُ من فَـــوْديكِ نَـــدّاً عـــاطـــراً
لـــمّـــا مـــشتْ كـــفـــاكِ في فـــودَيْك
ورأيتُ رأسكِ بـــالأقـــاح مـــتـــوجّـــاً
والـــفلَّ طـــاقَـــاتٍ عـــلى نـــهْـــديك
وسـمـعتُ حـولَكِ هـمسَ أرواحِ الـصِّـبـا
عـنـدَ الـصـبـاحِ، تُـهـزُّ من عِـطْـفـيك
أيـــقـــنتُ أنكِ جَـــنَّـــةٌ خلاّبـــةٌ
فـحـنـنْتُ، مِن بـعـدِ المـشـيبِ، إلـيكِ
ولـذاكَ قـد صـيَّـرتُ قـلـبي نَـحـلـةً
يـا جـنّـتي، كـيـمـا يـحـومَ، عـلـيك
روحي فـــداؤكِ إنـــهـــا لـــو لم تـــكنْ
في راحَـــتـــيكِ هَـــوَتْ عـــلى قـــدمـــيك

****

(١) الذي يعيي الأطباء.

٣١ - الشاعر في السماء

[مخلع البسيط]

رآنـيَ الـــــــــلـهُ ذات يـــــــــومٍ
فـي الأرض أبـــكي مـن الـــشَّـــقَـــاءْ
فَـــــرَقَّ، والـــــلـهُ ذو حـــــنـــــانٍ،
عـــلى ذوي الـــضُّـــرِّ والـــعـــنـــاء
وقـــــال: لـــــيس الـــــتُّـــــرابُ داراً
لـلـشِّـعـرِ، فـارجعْ إلى الـسَّـمـاء!
وشـــادَ فـوقَ الـسِّـمـاكِ بـيـتي
ومَـدّ مُـلـكِي عـلى الـفـضـاء
فـالـتـفّتِ الـشُّـهْبُ حـولَ عـرشي
وسـار في طـاعـتي الـضِّـيـاء
وصـــرتُ لا يـــنـــطـــوي صـــبـــاحٌ
إلاّ بـــأمـــري ولا مـــســـاء
ولا تـــســـوقُ الـــغـــيـــومَ ريحٌ
إلاّ ولـي فـــوقَـــهـــا لـــواء
فـالأمـرُ بـينَ الـنـجـومِ أمـري
لِي الْـحُـكمُ فـيـهـا ولِي الْـقَـضـاء

⁂

لـــكـــنَّـــني لم أزلْ حـــزيـــنـــاً
مُـــكـــتـــئبَ الـــروحِ في الـــعلاءْ
فـاسْـتـغـرَبَ الـلـهُ كـيفَ أشْـقَى
فـي عـالمِ الـوحيِ والـسَّـنـاء

وقـــــال: مـــــا زالَ آدمـــــيّـــــاً
يـــصـــبـــو إلى الـــغِـــيْـــدِ والـــطَّلاءْ
ومسَّ روحي واســـــتلَّ مـــنـــهـــا
شـــوقي إلى الخـــمـــرِ والـــنِّـــسَـــاء
وظـنَّ أنـي انـــــــتَـــــــهَـى بـلائـي
فـــــلـــم يَـــــزِدْنـي سِـــــوى بـلاء
واشـــتـــدَّ نَـــوْحي وصـــارَ جـــهـــراً
وكـــــانَ من قَـــبْلُ في الخـــفـــاء
وصـــــارَ دمـــعـي ســـيـــولَ نـــارٍ
وكـــان قـــبلاً ســـيـــولَ مـــاء

يـــا أيُّـــهـــا الـــشَّـــاعـــرُ المـــعـــنّى
حـــيَّـــرني داؤُكَ الـــعَـــيـــاءْ[1]
هل تـــشـــتـــهي أن تـــكـــونَ طـــيـــراً؟
فـــقـــلـــتُ: كلاّ، ولا غِـــنـــاء!
هل تـــشـــتـــهي أن تـــكـــون نجـــمـــاً؟
أحـــبـــبـــتُ: كلاَّ، ولا بَـــهَـــاء!
هل تـــبـــتَـــغِي المـــالَ؟ قـــلتُ: كلاّ
مـــا كـــانَ من مـــطـــلـــبي الـــثَّـــراء
ولا قـــصـــوراً، ولا ريـــاضـــاً
ولا جـــنـــوداً ولا إمـــاء
ولـــيس مـــا بـي يـــا ربُّ داءٌ
ولا احـــتـــيـــاجِي إلى دواء
ولا حـــنـــيـــني إلى الـــقـــنَـــاني

(١) الجبل.

ولا اشْـــتِـــيـــاقي إلى الـــظِّـــبـــاء
ولا أريـــــدُ الـــــذي لِـــــغَـــــيْـــــرِي
ذا حـــكـــمـــةٍ كـــانَ أمْ مَـــضَـــاء
لـــكنّ أمـــنـــيّـــةً بـــنـــفـــسي
يَـــسْـــتـــرُهـــا الخـــوفُ والحـــيـــاء!
فـــقـــال: يـــا شـــاعـــراً عـــجـــيـــبـــاً
قُـلْ لي: إذن مـــا الـــذي تَـــشَـــاء؟
فـــقـــلتُ: يـــا ربِّ فـــصلَ صـــيفٍ
في أرضِ لـــبـــنـــانَ أو شـــتـــاء
فـــإنـــني هـــهـــنـــا غـــريبٌ
ولـــيس في غُـــربـــةٍ هـــنـــاء!
فـــاســـتـــضـــحكَ الـــلهُ من كلامي
وقـــالَ: هـــذا هـــو الـــغَـــبـــاء
لـــبـــنـــانُ أرضٌ كـــكُلِّ أرضٍ
ونـــاسُـــهُ والـــــورَى سَـــــواء
وفـــيه بُـــؤسى وفـــيه نَـــعْـــمَى
و أرديـــــاءٌ وأتـــــقِـــــيـــــاء
فـــأيَّ شيءٍ تَـــشـــتـــاقُ فـــيه؟
فـــقـــلت: مـــا ســـرَّني وسَـــاء!
تحِنُّ نـــفـــسي إلى الـــسَّـــواقي،
إلى الأقـــاحِي، إلى الـــشَّـــذاء
إلى الـــرَّوابي تَـــعـــرى وتُـــكـــسَـــا
إلى الـــعـــصـــافـــيـــر والـــغـــنـــاء
إلى الـــعـــنـــاقِـــيـــدِ والـــدَّوالي

(١) الظبة: حدّ السيف.، وجمعها في المعاجم: ظبات (ولامها واو: ظبوتٌ).

والمـــــاءِ والـــــنـــــورِ والـــــهـــــواء!
فـــــــأشـــــــرفَ الـــــــلـــهُ مـن عُـلاهُ
يـــشـــهـــدُ «لـــبـــنـــانَ» فـي المـــســـاء
فـــقـــالَ: مـــا أنتَ ذا جـــنـــونٍ
وإنمـــــــــــا أنـتَ ذو وفـــــــــــاء
فـــإنَّ لـــبـــنـــانَ لـــيس طَـــوْداً،[1]
ولا بـلاداً، لـــــكنْ سَـــــمـــــاء!

✱✱✱✱

(١) السادة والقادة.

٣٢ - كلوا واشربوا

[المتقارب]

كُـلـوا واشـربـوا أيُّـهـا الأغـنـيـاءُ
وإن مَلأَ الـسِّـكَ الجـائـعـونْ
ولا تـلـبـسـوا الخـزَّ إلا جـديـداً
وإن لَـبسَ الخِـرَقَ الـبـائـسـون
وحُـوطُـوا قـصـورَكمُ بـالـرجـالِ
وحـوطـوا رجـالَـكمُ بـالحـصـون
فلا تُـبـصـرونَ ضـحـايـا الـطَّـوى
ولا يُـبـصـرونَ الـذي تَـصْـنـعـون
وإنْ سـاءكُمْ أنـهمْ في الـوجـودِ
وأزعـجَـكمْ أنـهمْ يُـعْـوِلـون
مُـرُوا فَـتَـصُـولُ الجـنـودُ عـلـيـهمْ
تـعـلِّـمـهمْ كـيفَ فَـتْكُ المـنـون
فَـهُمْ مـعـتـدونَ، وهم مـجـرمـونَ،
وهمْ مـقـلِـقـونَ، وهم ثـائـرون
وتـلك الـعِـصيُّ لـتـلكَ الـرؤوسِ
وتـلك الحِـرابُ لـتـلكَ الـبُـطـون
وتـلكَ الـسُّـجُـون لمن شـدتُـمـوهـا
إذا لم تَـزجُّـوهمُ في الـسّـجـون؟
كِـلُـوا لـلـظُّـبـا[1] حَـلْقَ هـامَـاتـهمْ
فـإنَّ المـلـوكَ كـذا يَـفْـعـلـون
إذا الجـنـدُ لم يـحـرُسـوكُمْ وأنـتمْ

سَـــرَاةُ[1] الـــبلادِ فـــمن يَـــحْـــرُســـون؟
وإنْ همُ لم يَـقْـتـلـوا الأشـقـيـاءَ
فـيـا لـيتَ شِـعـرَي، مَنْ يـقـتـلـون؟
ولا يَـــحْـــزُنـــنَّـــكمُ مـــوتُـــهمْ
فـــإنـــهمُ لـــلـــردى يُـــولـــدون
وقـــولـــوا كَـــذا قـــد أرادَ الإلهُ
وإنْ قـدَّرَ الـلهُ شـيـئـاً يـكـون
ويـا فـقـراءُ لمـاذا الـتـشـكّي؟
ألا تـسـتـحـونَ؟ ألا تـخـجـلـونْ؟
دعـــوا الأغـــنـــيـــاءَ ولـــذّاتِـــهمْ
فـــهمْ مـــثلُ لـــذّاتـــهمْ زائـــلـــون
سـيُـمـسُـونَ في «سَـقَـرٍ» خـالـدينَ
وتـمـسـونَ في جـنّـةٍ تَـنْـعُـمـون
فلا تـعـطـشـونَ، ولا تـسـغـبـونَ،
ولا يـــرتـــوونَ، ولا يـــشـــبـــعـــون
لَـكُمْ وحـدكمْ مـلـكـوتُ الـسَّـمـاء
فـمـا بـالُـكُمْ لـسـتمُ تـقـنـعـون؟
فلا تَـحـزنـوا أنـكمْ سـاهـرونَ
فـسـوف تـنـامـونَ ملءَ الجـفـون
سـتـتَّـكِـئـونَ مع الأنـبـيـاءِ
تـظـلِّـلـكُمْ وارفـاتُ الـغـصـون
يـضـوعُ الـسَّـنـا حـولـكُمْ بـالـشَّـذا
وتجـري الـطِّلا أنـهُـراً وعُـيـون
وتـسـقـيـكمُ الخـمـرَ حُـوْرٌ حِـسَـانٌ
كـمـا يـشـتـهـينَ، كـمـا تـشـتـهـون

كـــذا وعَـــدَ الـــلهُ أهلَ الـــتُّـــقَى
وأنـــتمْ همُ أيـــهـــا المـــتـــعَـــبـــون
ألا تـــؤمـــنـــونَ بـــقـــولِ الـــكـــتـــابِ؟
فـــويلٌ لـــكمْ إنـــكمْ كـــافـــرون!

✱✱✱✱

(١) مزامير النبي داود (الزبور). و(اسحق الموصلي) و(معبد) من مغني التراث الغنائي العربي في العصرين الأموي (معبد) والعباسي (الموصلي).

٣٣ ـ حديث موجة

[الكامل]

قالها في حفلة تكريم سامي الشّوا التي أقامتها له الجالية في مدينة نيويورك عندما زارها.

عـنـدي لـكمْ نـبَـأٌ عـجـيبٌ شـيّقٌ
سَـأقـصُّهُ وعـلـيـكُمُ تـفـسـيـرُهُ
إني رأيتُ الـبـحـرَ أخـرسَ سَـاهـيـاً
كـالـشـيخ طـال بمـا مـضَى تـفـكـيـرُه
فـسـألتُ نـفـسي حـائـراً مُـتـلـجْـلِـجـاً:
يـا لـيتَ شِـعْـري أين ضـاعَ هـديـرُه؟
«بـالأمسِ» قـالتْ مـوجـةٌ ثـرثـارةٌ
ومـضَتْ، فـأكـمـلَت الحـديثَ صـخـورُه:
بـالأمسِ مـرّ بـنـا فـتًى من قـومِـكمْ
رقّتْ شَـمـائـلُهُ ودقَّ شُـعـوره
مُـتـرنِّحٌ من خَـمـرةٍ قُـدْسـيّـةٍ
فـيـهـا الـهـوى وفـتـونُه وفـتـوره
مـتـرفِّقٌ في مَـشْـيِهِ يـطـأُ الـثَّـرَى
وكـأنمـا بـين الـنـجـومِ مـسـيـرُه
يـلـهـو بـأوتـارِ الـكـمـنـجَـةِ والـدُّجى
مـرخـيّـةٌ، فـوق الـعُـبَـابِ، سُـتـوره
يـهـدي إلى الـوطن الـقـديم سلامَهُ
ويُـنـاشـدُ الـوطنَ الـذي سـيـزوره
فـشَـجَـا الخِـضَمَّ نـشـيـدُهُ وهـتـافُهُ
فـسَـهَـا، فـضـاعَ هـديـرُه وزئـيـرُه

أعــرفــتُــمــوهُ؟.. إنه هــذا الــفــتى
هــذا الــذي ســحَــرَ الخِـضَـمَّ مُـرورُه
«داودُ» والمــزمــارُ في نــغَــمَــاتهِ
و«المـوصِـليُّ» و «مـعـبـدٌ» وسـريـره[1]
يــا ضــيــفَــنــا، والأنسُ أنت رسـولُه
وبــشــيــرُه، والــفنُّ أنت أمــيــرُه
لــو شــاعَ في الــفـردوسِ أنك بـيـنـنـا
لَــمــشتْ إلــيــنــا ســافــراتٍ حـورُه
ذهب الــربــيـعُ وجـئـتَـنـا فـكـأنمـا
جــاء الــربــيـعُ، زهــورُه وطــيــوره
الــفـنُّ هـشَّ إلــيك فـي أمــرائِه
وتــفــتّــحتْ لكَ دُورُه وقــصــوره
إنَّ الجـواهـرَ بـالجـواهـرِ أُنـسُـهـا
أمَّـا الـتـرابُ فـبـالـتُّـرابِ حـبـوره
يــا شــاعــرَ الألحــان! إنِّيَ شــاعــرٌ
أمــسى ضـئـيلاً عـنـدَ نـورِكَ نـوره
أســمى الــكلامِ الــشِّــعــرُ إلا أنه
أسْـمـاهُ[2] مـا أعـيـا الـفـتى تـصـويـره
وأحَـبُّ أزهــارِ الحــدائقِ وردُهــا
وأحبُّ مِن وَردِ الــريــاضِ عــبــيــرُه
أنتَ الـفـتى، لك فـي الـنـسـيمِ حـفـيـفُه،
ولكَ الــغــديــرُ صــفــاؤُهُ وخــريــرُه
الــقــومُ صــاغــيــةٌ إلـيك قـلـوبُـهمْ
والــلــيلُ مُـنـصـتَـةٌ إلـيكَ بُـدورُه
وبــهــذه الأوتــارِ ســحــرٌ جــائِلٌ

مـتـمـلـملٌ كـالـوحيِ حـانَ ظـهـورُه
إن كـنتَ لا تَـهـتـاجُهُ وتُـثـيـرُه
فـمَنِ الـذي يَـهـتـاجُه ويُـثـيـره؟
دَغـدِغْ بـريـشـتِكَ الـكـمـنـجـةَ يَـنْـطـلقْ
ويَـدُبَّ في أرواحِـنـا تـأثـيـره
وامشِ بـنـا في كل لحنٍ فـاتنٍ
كـالـمـاء يـجـري في الـغـصـونِ ظـهـورُه
وأدِرْ عـلى الجُلاّسِ أكـوابَ الـهـوى
في راحـتـيكَ سُلافُهُ وعـصـيـرُه
فـيـخِفُّ في الـرجل الحـلـيمِ وقـارُهُ
ويـراجعُ الـشـيـخَ المـسنَّ غـروره
وتـنـامُ في صـدْرِ الـشَّـجيِّ هـمـومُهُ
ويُـفـيقُ في قَـلْبِ الحـزينِ سـروره
هـذي الجـمـوعُ الآن شـخصٌ واحـدٌ
لك حـكـمُهُ، وكـمـا تـشـاءُ مـصـيـرُه
إنْ شـئتَ طـالَ هُـتـافُهُ ونـشـيـدُهُ
أو شـئتَ دامَ نُـواحُهُ وزفـيـره
إنـا وهـبْـنـاكَ الـقـلـوبَ ولم نـهبْ
إلا الـذي لك قـبـلَـنـا تـدبـيـرُه!

✱✱✱✱

(١) قيدوم كل شيء: مقدّمه وصدره.
(٢) النجر والنجار: الأصل والحسب.

٣٤ - ابسِمي

[الرمل]

ابـسِـمي كـالـوردِ في فـجـر الـصِّـبَـا
وابـسـمي كـالـنـجمِ إنْ جَنّ المـسـاءْ
وإذا مـا كـفّنَ الـثـلـجُ الـثّـرَى
وإذا مـا سـتّـرَ الـغـيمُ الـسَّـمـاء
وتـعَـرّى الـروضُ من أزهـارِه
وتـوارى الـنـورُ في كـهفِ الـشـتـاء
فـاحـلُـمي بـالـصـيفِ ثم ابـتـسِـمي
تـخـلُـقي حـولكِ زَهْـراً وشَـذاء
وإذا سَـرَّ نـفـوسـاً أنّـهـا
تُـحـسنُ الأخـذَ فـسُـرّي بـالـعـطـاء
وإذا أعـيـاكِ أن تُـعـطي الـغـنى
فـافـرحي أنّكِ تُـعـطـينَ الـرجـاء

****

(١) السحاب لأنه يعترض في الأفق.

٣٥ - مجاهد

[الكامل]

ألقى هذه القصيدة في الحفلة التذكارية التي أقامتها جمعية الشُّبَّان المسلمين في مسرح «أكادمي أوف ميوزك» في بروكلين لفقيد الأمة موسى كاظم باشا الحُسيني:

قالوا قضى «موسى» فقلتُ قد انطوى
عَلَمٌ، وأُغمِدَ صارمٌ بتّارُ
فتَشوَّشتْ صُورُ المُنى وتناثرتْ
كالزهرِ بدَّدَ شَملَها الإعصار
وكأنما وَتَرَ الردى كلَّ امرئٍ
لمّا تولّى ذلك الجبّار
جزِعتْ لمصرعِه البلادُ كأنّما
قد غابَ عنها جَحْفَلٌ جَرّار
وبكتْ «فلسطينُ» به قَيْدومَها[1]
إنّ الرَّزايا بالكبارِ كِبار
لمّا نعَوهُ نَعَوا إلينا سيّداً
شَرُفَتْ خلائِقُه وطابَ نَجَار[2]

لبِس الصِّبا ونَضاهُ غيرَ مدنَّسٍ
كالنجمِ لم تعلَقْ به الأوضارُ
ومشى المشيبُ برأسه فإذا به

---

(١) النضار: الذهب الخالص.
(٢) السراب.

كـــالحـــقلِ فـــيه الـــزَّهـــرُ والأثـــمـــار
وتَـــــطـــــاولَت أعـــــوامُهُ، فـــــإذا بهِ
كـــالـــطَّـــودِ فـــيه صلابـــةٌ ووقـــار
تـــرتـــدُّ عـــنه الـــعـــاصـــفـــاتُ كـــلـــيـــلـــةً
ويـــزِلُّ عـــنه الـــعـــارضُ[1] الـــمِـــدرار
أُوذِي فـــلم يـــجـــزعْ، وضِـــيْمَ فـــلم يـــهِنْ
إنّ الـــكـــريمَ عـــلى الأذى صَـــبّـــار
صـــقـــلتْ مُـــكـــافَـــحَـــةُ الـــشـــدائـــدِ نـــفـــسَهُ
والـــروضُ تجـــلـــو حُـــســـنَهُ الأمـــطـــار
فـــله من الـــشَّـــيخ الأصـــالـــةُ، والـــفـــتى
إقـــــدامُهُ، إذ لـــــلـــــفـــــتى أوطَـــــار
يـــتـــهـــيَّبُ الـــفُـــجَّـــارُ صـــدقَ يـــقـــيـــنِه
وبـــــرأيهِ يـــســـتـــرشـــدُ الأحـــــرار
مـــــا زالَ يـــــزأرُ دونَ ذيَّـــــاكَ الحِـــمى
كـــالـــلـــيثِ ريعَ فـــمـــا لـه اســـتـــقـــرار
ويـــجـــشِّمُ الـــنـــفسَ المخـــاطـــرَ هـــادئـــاً
كـــيلا تُـــلـــمّ بـــقـــومِه الأخـــطـــار
حـــتى اســـتـــقَـــرّ به الـــرَّدى في حُـــفـــرةٍ
وخلا، لـــغـــيـــرِ جـــوادِه، المِـــضْـــمَـــار
فـــاعـــجَبْ لمن ملأ المـــســـامعَ ذِكـــرُهُ
تـــطـــويهِ في عُـــرضِ الـــثَّـــرَى أشْـــبَـــار!

(١) مبالغة من (ساخر).
(٢) يريد: الطائرة (والعقاب: الطير).
(٣) السم الناقع: البالغ الثابت.

أيّــارُ مــذكــورٌ بــحُــسنِ صــنــيــعِه
ولــــئن تـــولّى وانـــقـــضَى أيّـــارُ
فــاخــدُمْ بلادَكَ مــثلَ «مــوسى كــاظمٍ»
تُــسـبغْ عـلـيك ثـنـاءَهـا الأمـصَـار
إنّ الـسـنـينَ كـثـيـرُهـا كـقـلـيـلِـهـا
إن لم تَــزِنْ صــفــحَــاتِــهــا الآثــار
فـاصـرفْ عِـنـانَكَ في الـشـبـاب إلى الـعُلا
بُــرْدُ الــشــبــيــبــةِ كــالجَــمــالِ مُــعَـار
لا تــقــعُــدنَّ عن الجــهــادِ إلى غــدٍ
فــلــقــدْ يَــجِيءُ غــدٌ وأنتَ غُــبــار
مــاذا يُــفِــيــدُكَ أن يــكــونَ لك الــثَّــرى
ولــغــيــرِكَ الآصــالُ والأسْــحَــار
مَن لـيس يـفـتحُ لـلـنـهـارِ جـفـونَهُ
هــيــهــاتَ يَــكــحُلُ مُــقــلــتــيِهِ نــهــار

وأحــبِبْ بلادَك مِــثل «مــوسى كــاظمٍ»
حُــبّــاً به الإخلاصُ والإيــثــار
تــضــفِــرْ لــرأسِكَ من أَزَاهِــرِهــا الــرُّبــا
تــاجــاً، وتــهــتِفْ بــاسْــمِكَ الأغــوار
إيّــاكَ تــرمُــقَــهــا بمــقــلــةِ تــاجــرٍ
إنّ اتِّــجــارَكَ بــالمــواطنِ عــار
ودعِ الــمُــنــافقَ لا تــثقْ بــعــهــودِه
وطَنُ المــنــافقِ فِــضّــةٌ ونُــضَــار[1]

(١) الاسم من الرّوغان: الإقبال والميل، مثل (المراوغة).
(٢) أرج الطيب: فاح (أرج - يأرج).

٣٦ - الكريم

[مجزوء الكامل]

قالوا: ألا تَصِفُ الكريمَ لنا؟ فقلتُ على البَديهْ:
إنّ الكريمَ لكالربيعِ، تحبُّهُ للحُسنِ فيهْ
وتهَشُّ عندَ لقائه، ويغيبُ عنك فَتَشْتَهيهْ
لا يرتضي أبداً لصاحبه الذي لا يرتضِيه
وإذا الليالي ساعفتْهُ لا يُدلُّ[1] ولا يتيهْ
وتراهُ يبسِمُ هازئاً في غمرةِ الخطب الكريه
وإذا تحرَّقَ حاسدوهُ بكى ورقَّ لحاسديه
كالوردِ ينفَحُ بالشَّذا حتى أنوفَ السَّارقِيه

****

(١) أصل المعنى: أدلّ به: وثق. وأكسبها هنا معنى التفاخر والتيه.

٣٧ - عَبْد

[المتدارك]

فـــوقَ الجُـــمَّـــيـــزةِ ســـنـــجـــابٌ
والأرنبُ تـــــمـــــرحُ فـي الحـــــقلِ
وأنـــــا صـــــيّـــــادٌ وثّـــــابٌ
لـــكنّ الـــصَّـــيـــدَ عـــلى مـــثـــلي
مـــحـــظـــورٌ إذ إنّـــي عـــبْـــدُ
والـــــديكُ الأبـــــيضُ فـي الـــــقِنِّ
يـــخـــتـــالُ كـــيـــوسفَ في الحُـــسْنِ
وأنـــــا أتـــــمـــــنَّى لـــــو أنِّي
أصـــطـــادُ الـــديكَ ولـــكـــنّي
لا أقـــــــدرُ إذ إنّـي عـــــبـــــدُ
وفـــــتـــــاتـي فـي تـــــلك الـــــدارِ
ســـوداءُ الـــطُّـــلـــعـــةِ كـــالـــقـــارِ
ســـيـــجيءُ ويـــأخـــذُهَـــا جـــاري
يـــا ويـــحي من هـــذا الـــعـــار!
أفلا يـــكـــفي أنـي عَـــبْـــدُ؟!

****

٣٨ - لبنان

[الكامل]

في حفل توديع صديق لبناني ، عائد إلى الوطن .

اثـنـانِ أعـيـا الـدهـرَ إن يُـبـلـيـهـمـا:
لـــبـــنـــانُ والأملُ الـــذي لـــذويهِ
نـشـتـاقُهُ والـصّـيفُ فـوقَ هـضـابهِ
ونـــحـــبُّهُ والـــثـــلجُ فـي واديه
وإذا تـمـدّ له ذُكَـاءُ حـبـالَـهَـا
بـقلائـد الـعـقْـيـانِ تـسـتَـغْـويه
وإذا تُـنـقِّـطهُ الـسـمـاءُ عـشَـيّـةً
بـالأنجمِ الـزهـراءِ تـسـتـرضـيه
وإذا الـصَّـبـايـا في الحـقـول كـزهـرِهـا
يـضـحـكْنَ ضِـحْـكـاً لا تـكـلُّفَ فـيه
هنَّ الـلـواتي قـد خَـلـقنَ ليَ الـهـوى
وسَـقَـيـنَـنْي الـسِّـحـرَ الـذي أسـقـيه
هـذا الـذي صـانَ الـشـبـابَ من الـبِـلَى
وأبـى عـلـى الأيّـام أن تَـطْـويه

☆☆☆☆☆

ولـربمـا جـبلُ أشـبّـهُه به
مُـسـتـرسلاً مع روعـةِ الـتـشـبـيهِ
فـأقـولُ يـحـكـيه، وأعـلـمُ أنهُ
مـهـمـا سـمـا هـيـهـاتَ أنْ يـحـكـيه
يـا لـذَّةً مـكـذوبـةً يـلـهـو بـهـا
قـلـبي ويـعـرفُ أنـهـا تـؤذيه

إني أذكّـــرُه بـــذيَّـــاكَ الحِـــمى
وجَـــمـــالِه وإخـــالُـــنِي أُنْـــسِـــيه
وإذا الحـقـائقُ أحـرجتْ صـدرَ الـفـتى
ألـــقَى مـــقـــالـــدَهُ إلى الـــتَّـــمـــويه
وطـني سـتـبـقى الأرضُ عـنـدي كـلُّـهـا
ـ حـــتى أعـــود إلـــيه ـ أرضَ الـــتِّـــيه
سـألـوا الجَـمـال فـقـال: هـذا هـيـكـلي
والـشِّـعـرَ قـال: بـنـيتُ عـرشي فـيه

☆☆☆☆☆

الأرضُ تـسـتـجـدي الخِـضَمَّ مـيـاهَهُ
وكـنـوزَهُ والـبـحـرُ يـسـتـجـديه
يُـمـسي ويُـصـبحُ وهـو مـنـطـرحٌ عـلى
أقـدامِه طـمـعـاً بمـا يـحـويه
أعـطـاهُ بـعضَ وقـارِه حـتى إذا
اسـتـجـداهُ ثـانـيـةً سـخـا بـبـنـيه
لـبـنـانُ صُنْ كـنـزَ الـعـزائمِ واقـتـصِدْ
أخـشى، مع الإسـرافِ، أن تُـفـنـيه

☆☆☆☆☆

غـيـري يـراهُ سـيـاسـةً وطـوائـفـاً
ويـظـلُّ يـزعُـمُ أنه رائـيـهِ
ويـروحُ من إشـفـاقِه يـبـكي له
لـبـنـانُ أنت أحقُّ أن تَـبـكـيه
لا يَـسْـفِـرُ الحـسنُ الـنـزيهُ لـنـاظـرٍ
مـا دام مـنـه الـطَّـرْفُ غـيـرَ نـزيه

☆☆☆☆☆

قُلْ لـلأُلى رفـــعـــوا الـــتُّـــخـــومَ لأرضِهِ
ضـــيَّـــقـــتُمُ الـــدنـــيـــا عـــلى أهـــلـــيهِ
ولمن يـــقـــولـــون: الـــفِـــرنْجَ حُـــمـــاتُه
الـــلـــهُ قـــبلَ ســـيـــوفِـــهِمْ حـــامـــيه

☆☆☆☆☆

يـــا صـــاحـــبي يَـــهْـــنـــيكَ أنَّك في غـــدٍ
ســـتـــعـــانِقُ الأحـــبـــابَ في نـــاديهِ
وتَـــلـــذُّ بـــالأرواح تـــعـــبَقُ بـــالـــشَّـــذا
وتـــهـــزُّكَ الأنـــغـــامُ من شـــاديه
إنْ حـــدّثـــوكَ عن الـــنَّـــعـــيمِ فَـــأطـــنَـــبُـــوا
فـــاشـــتَـــقْـــتَهُ لا تـــنسَ أنك فـــيه!

✷✷✷✷

٣٩ ـ أنتِ والكأس

[مجزوء الخفيف]

أنتِ والـــــكـــــأسُ فـي يـــــدي
فَـــــلِـــــمَـن أنتِ فـي غـــــدِ؟
فـــاسْـــتَـــشـــاطتْ لـــقـــولـــتي
غـــضـــبـــاً فـي تـــمـــرُّد
وأشَـــاحتْ بـــوجْـــهِـــهـــا
وادّعـــتْ أنّـــنـــي رَدِي!
كـــاذبٌ فـي صَـــبـــابـــتي
مـــــاذقٌ[1] فـي تَـــــودُّدي
قـــلتُ: عـــفـــواً فـــإنـــهـــا
سَـــورةٌ من مُـــعَـــرْبَـــد
وجـــرى الـــصـــلحُ والْـــتَـــقَى
ثـــغـــرُهـــا ثـــغـــريَ الـــصَّـــدي[2]
أذعَنَ الـــقـــلبُ طـــائـــعـــاً
بـــعـــدَ ذاكَ الـــتَّـــمـــرُّد
فَـــنـــعِـــمـــنـــا هُـــنَـــيـــهَـــةً
بـــالـــولاءِ المجـــدَّد
بـــينَ مـــاءٍ مـــصـــفَّقٍ[3]
وهَـــزارٍ مُـــغَـــرِّد

---

(١) لم يخلص في ودّه.(مذق – يمذق).
(٢) صديَ صدى: عطش.
(٣) تصفيق الماء: تحويله من إناء إلى إناء.

ثُـمَّ عـــــــادتْ وسَـــــــاوسـي
فـــــــأنـــــــا فـي تـــــــردُّد
راعـــهـــا مـــنّي الـــسُّـــكـــو
تُ فـــــذمّتْ تـــبـــلُّـــدي
قـــــالـتِ: الحـبُّ سَـــــرْمـــــدٌ
قـــــلـتُ: لا شـيءَ ســـــرمـــــدي
أتُـــحِـــبـــيـــنـــنـــي إذا
زالَ مـــــجـــــديْ وسُـــــؤدَدي؟
فـــــأجـــــابتْ لِـــفَـــورِهـــا
أنتَ، لا المجـــدُ، مَـــقـــصـــدي
قـــلـتُ: هل تحـــفـــظـــينَ عَـــهْـ
ـــدِيْ إذا ضـــاعَ عَـــسْـــجَـــدي؟
فـــــأجـــــابتْ بـــــرِقَّـــــةٍ
أنتَ، مـــا عـــشتَ، ســـيّـــدي
كـــنتَ كـــالـــشـــمس في الـــغـــنى
أم فـــقـــيـــراً كَـــجُـــدْجُـــد
حـــســـنـــاً.. قـــلـتُ ضـــاحـــكـــاً:
يـــــا مَـلاكـي وفَـــــرْقَـــــدي
إنمـــــــا هـلْ يـــــــدومُ لـي
حـــبُّكِ الـــمُـــشْـــرِقُ الـــنّـــدي
إن حـــنَـى الـــدهـــرُ قـــامـــتي
ومـــحَـــا الـــشـــيبُ أسْـــودي
وانـــطـــوى رونـقُ الـــصِّـــبـــا
مـــثلَ بـــرقٍ بـــفَـــدْفَـــد[1]

(١) الفلاة التي لا شيء فيها.

قـــــالـتِ: الـــــشكُّ آفـــــةُ الْـ
ـــحبِّ فـــانْـــبُـــذْه تـــســـعَـــدِ
لـــيس حُـــبّـــيكَ لـــلـــصِّـــبـــا
لـــســتَ فـــيـه بـــأوحَـــد
بَلْ لمـــا فـــيكَ من صِـــفـــا
تٍ ومن طِـــيبِ مَـــحـــتِـــد
قـــــلـتُ والـــــشّـكُّ رائـحٌ
في ضـــمـــيـــري ومُـــغْـــتـــد:
وإذا غَـــالـــنـي الحِـــمَـــا
مُ وأصـــبـــحتُ في غـــد
جُـــثّـــةً لـــفَّـــهـــا الـــثَّـــرَى
بـــالـــظلامِ المـــؤبَّـــد
لـــيس فـــيـــهـــا لـــصـــاحبٍ
أرَبٌ أو لحُـــــــسَّـــــد
وسَـــرى الـــدودُ حـــولـــهـــا
يـــتـــغـــذّى ويـــعـــتـــدي
ومـــــررتِ الـــــغـــــداةَ بي
فـــمـــررتِ بـــجـــلْـــمـــد[1]
ونَـــظَـــرتِ فـــلـم تَـــرَيْ
غـــيـــرَ عـــظْمٍ مُـــجَـــرَّد
بـــعـــثـــرتْهُ يـــدُ الـــبِـــلَى
كـــنِـــفـــايـــاتِ مَـــوقِـــد
هلْ تحـــبِّـــيـــنـــني إذنْ
لخـلالـي ومَـــحْـــتِـــدي؟

(١) الجلمد والجلمود: الصخر.

ويْكَ! صـــاحتْ ودمـــعُـــهـــا
كـــجُـــمـــانٍ[1] مُـــبَـــدَّد
كم تـــظنُّ الـــظّـــنـــونَ بي
أيـــهـــا الـــزائغُ اهْـــتَـــدِ
أُشـــهِـــدُ الـــصـــبحَ فـــائـــضـــاً
فـي مـــروجِ الـــزَّبَـــرجَـــد[2]
أُشـــهِـــدُ الـــلـــيلَ لابـــســـاً
طَـــيـــلَـــســـانَ الـــتَّـــمـــرُّد
أُشـــهِـــدُ الـــغـــيثَ مُـــعـــطِـــيـــاً
أُشـــهـــدُ الحـــقلَ يـــجـــتـــدي
وذواتِ الجـــنـــاحِ مـن
بـــاغـمٍ[3] أو مُـــغَـــرِّد
والأزاهـــيـــرَ والـــشـــذا
فـي وِهـــادٍ وأنجُـــد
أُشـــهِـــدُ الأرضَ والـــســـمـــا
أُشـــهِـــدُ الـــلـــهَ مـــوجِـــدي
ســـوفَ أحـــيـــا كـــمـــا تـــرى
لـــلـــهـــوى والـــتـــوجُّـــد
فـــأنـــاجـــيكَ في الـــضُّـــحى
وهـــو أمـــراسُ عَـــسْـــجَـــد[4]

(١) اللؤلؤ.
(٢) الجوهر المعروف (لعله: الزمرّد).
(٣) البغام: الصوت.

وأنـــــاجـــــيكَ فـي المـــــســـــا
والأصـــــــــــيـلِ المـــــــــــورَّد
فـي الـــرُّبـــا تـــخـــلـعُ الجـــمـــا
لَ بُـــــــرُوداً وتـــــــرتـــــــدي
والـــسَّـــواقـي لـــهـــا غـــنـــا
ءٌ كـــألحـــانِ (مَـــعْـــبَـــد)[1]
والـــعـــصـــافـــيـــرِ أقـــبـــلتْ
نـــحـــوهـــا لـــلـــتـــبـــرُّد
أســـهـــرُ الـــلـــيـلَ وحـــشـــةً
بـــــفـــــؤادٍ مـــــشـــــدَّد
وإذا نِـــــــــــمْـــتُ نمـتُ كـي
يـــطـــرقَ الـــطَّـــيفُ مَـــرقَـــدي
فـــيـــظلُّ الـــهُـــيـــامُ بي
يـــنـــتـــهي حـــيثُ يـــبـــتـــدي
وبـــحـــزنٍ تـــنـــهَّـــدتْ
فـــاسْـــتـــجـــاشتْ تـــنـــهُّـــدي
فـــاعـــتـــنـــقـــنـــا سُـــويـــعـــةً
مـــثلَ جـــفـــنَيْ مـــســـهَّـــد

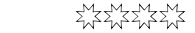

أفْـــلـــتَ الأمسُ هـــاربـــاً
وغـــــدٌ؟ لـــــيس من غـــــدِ!
صـــــرتُ وحـــــدي ولـــــيس لي
أربٌ فـي الـــــتّـــــوحُّـــــد
يـــا نـــديمي إلى الـــكُـــؤو
سِ ويـــا مُـــنـــشِـــدُ انْـــشُـــد

(١) من مغنّي العصر الأموي.

زدْ لي الخـــمـــرَ كـــلَّـــمـــا
قـــلـتُ: «يـــا صـــاحـــبي زِد»
لا تـــــــقـلْ أيُّ مـــــــوسـمٍ
ذا، فـــذا يـــومُ مـــولـــدي!
أنـــا، مـــا زلتُ في الحـــيـــا
ةِ، لـي شـــبـــابـي وسُـــؤدَدي
ولُـــجَـــيـــني وعَـــسْـــجَـــدي
وخـلالـي ومـــحـــتِـــدي
إنمّـــا «تـــلـك» أخـــلـــفتْ
قـــبلَ لـــيـــلـــينِ مَـــوعِـــدي
لـم تَـــمُـتْ .. لا، وإنمـــا
أصـــبـــحتْ في سِـــوى يـــدي!

⁂

آفـــــــــــــةُ الحـــبِّ أنـــه
فـي قـــلـــوبٍ وأكـــبُـــدِ
فـــهـــوَ كـــالـــنـــارِ لم تـــدُمْ
فـي هـــشـــيـمٍ لـــوقِـــد!

✱✱✱✱

٤٠ ـ الشباب والحبّ

[الطويل]

بكيتَ الصِّبا من قبلِ أن يذهبَ الصِّبَا
فيا ليتَ شعري ما تقولُ إذا ولّى؟
توهَّمتَهُ يبقى إذا أنتَ صُنتَهُ
عن الشفةِ الحمراء والمُقْلةِ الكحلا
وخلتَ الهوى جهلاً فلم يكُنِ الهدى
أخيراً سوى الأمرِ الذي خِلْتَهُ جهلا
خشيتَ عليه أن يطوِّحهُ الهوى
فألقاكَ هذا الخوفُ في الهوَّةِ السُّفلى
أتُلجمُ ماءَ النهرِ عن جريانه
مخَافةَ أنْ يفنى؟ إذن فاشربِ الوَحلا
سيبلَى الصِّبا مهما حَرَصْتَ على الصِّبا
فدعْهُ يذوقُ الحبَّ من قبْلِ أنْ يَبلَى

فما ديمةٌ صبَّتْ على الصخرِ ماءَها
فما أنبتتْ زهراً ولا أطلعتْ بَقلا
بِأضيَعَ من بُرْدِ الشباب على امرئٍ
إذا استطعَمَتْهُ النفسُ أطعمَها العذْلا
فلا تكُ مثلَ الأقحوانةِ راعَها
من الحقل أن تُجْنى فلم تسكُنِ الحقلا
وأعجَبَها الوادي فلاذتْ بقاعه
فجاءَ عليها السيلُ في الليل واستتلى

فـمـا عـانـقتْ نـورَ الـكـواكبِ فـي الـدُّجَى
ولا لـــثـــمتْ فـــجـــراً ولا رشـــفتْ طَلاّ
وزالتْ فـلم يـسـتـشْـعِـرِ الـنـورُ والـنـدى
عـلى فَـقْـدِهـا غـمّـاً كـأنْ لم تـكن قـبلا
ولا تكُ كـــالـــصَّـــدّاحِ إذ خـــالَ أنه
إذا ادّخَـرَ الألحـانَ أكـسـبـهـا نُـبلا
فـضَنَّ بـهـا والـشـمسُ تـنـثـرُ تِـبْـرَهـا
وفـضَّـتَـهـا والأرضُ ضـاحـكـةٌ جَـذْلى
فـلـمّـا مـضى نـورُ الـربـيعِ عن الـرُّبـا
ودبَّ إلى أزهـــارهـــا المـــوتُ مُـــنْـــسَلا
تحـفَّـزَ كي يـشـدو فـلـمْ يـلـقَ حـولَهُ
سِوى الـورَقِ الـهـاوي كـأحلامِهِ الـقـتلى!

✱✱✱✱

٤١ - الغابة المفقودة

[السريع]

يـا لـهـفـةَ الـنَّـفسِ عـلى غـابـةٍ
كـنتُ وهـنـداً نـلـتـقي فـيـهـا
أنـا كـمـا شـاءَ الـهـوى والـصِّـبـا
وهيَ كـمـا شـاءتْ أمـانـيـهـا
تـكـادُ من لُـطْفٍ مـعـانـيـهـا
يـشـربُـهـا خـاطـرُ رائـيـهـا
آمـنـتُ بـالـلـه وآيـاتِه
أليسَ أنّ اللَه بـاريـهـا؟

☆☆☆☆☆

نُـبـاغِتُ الأزهـارَ عـنـد الـضُّـحَى
مـتَّـكـئـاتٍ في نـواحـيـهـا
ألـوى عـلى الـزنْـبقِ نَـسـرِيـنُـهـا
والـتَفّ عـاريـهـا بـكـاسـيـهـا
واخـتـلـجتْ في الـشـمس ألـوانُـهـا
كـأنّـهـا تـذكـرُ مـاضـيـهـا
تـآلـفتْ فـالـمـاءُ مِن حـولـهـا
يـرقصُ، والـطـيـرُ تُـغـنِّـيـهـا
مَنْ لـقَّنَ الـطـيـرَ أنـاشـيـدَهـا؟
وعـلَّمَ الـزهـرَ تـآخـيـهـا؟
يـا هـنـدُ هـذي مُـعـجِـزاتُ الـهـوى
وإنّـهـا فـيـنـا كـمـا فـيـهـا

لا يستحي الزهرُ بإعلانها
فما لنا نحن نُوارِيها؟
وتهتِفُ الطيرُ بها في الرُّبا
فما لنا نحن نُعمِّيها؟
للهِ في الغابةِ أيّامُنا
ما عابَها إلاّ تلاشيها
طوراً علينا ظِلُّ أدواحِها
وتارةً عطفُ دواليها
وتارةً نلهو بأعنابِهَا
وتارةً نُحصِي أقَاحِيها
تسكتُ إذ نشكو شَحَاريرُها
كأنّما التغريدُ يُؤذِيها
وإنْ تَضاحكْنا سَمعنا الصَّدى
يضحكُ معْنا في أقاصِيها
وإن مَشَينا فوق كُثْبَانِها
لاحتْ فَشَاقَتْنا أدانيها
وفوقَنا الأغصانُ معقودةٌ
ذوائبٌ طالَ تدلِّيها
إذا هَزَزْناها على غِرَّةٍ
ألقتْ من الذُّعرِ لآلِيها
نسيرُ من كهفٍ إلى جدولٍ
نكتشفُ الأرضَ ونطويها
والنورُ عطرٌ في تعاريجِها
والعطرُ نورٌ في حواشِيها
وتختَبي هندٌ فأشتاقها
وأختَبي عنها فأُغْرِيها

كم أوهـــمـــتْـــني الخـــوفَ من طـــارئٍ
تُـشـجي بـذا نـفـسي فـتُـشـجِـيـهـا
فـرُحتُ أعـدو نـحـوَهَـا مُـشـفـقـاً
فـكـان مـا حـاذرتُ تـمـويـهـا!
فـــاعـــجبْ لأطـــواري وأطـــوارِهـــا
تـــعـــبثُ مـــنّي وأُجَـــاريـــهـــا!

☆☆☆☆☆

الـــلـهَ لـــو دامَ زمـــانُ الـــهَـــوى
ودامَ من هـــنـــدٍ تجـــنِّـــيـــهـــا
لا غـابـتي الـيـومَ كـعـهـدي بـهـا
ولا الـتي أحْـبـبْـتُـهـا فـيـهـا
ولا تـلالٌ كـــنـــهـــودِ الـــدُّمَى
ولا ســـفـــوحٌ كـــتَـــراقِـــيـــهـــا[1]
ولا الـــنـــدى دَرَّ عـــلى عُـــشـــبِـــهـــا
ولا الأقـــاحي فـي روابـــيـــهـــا
ولا الـضُّـحى يُـلـقي عـلى أرضِـهـا
شِـبـاكَ تِـبْـرٍ مِن أعـالـيـهـا
أهـبَـطَـنِي أمسِ إلى حِـضْـنِـهـا
شـوقي إلى سَـجْعِ قُـمـاريـهـا[2]
فـلـم تـخـمِّـشـنـي بـأوراقـهـا
ولـم تـهـلِّلْ لـي ســواقـيـهـا
قـد بـدّلَ الإنـســانُ أطـوارَهـا
واغـتـصبَ الـطـيـرُ مـآويـهـا

(١) الترقوة: العظم بين ثغرة النحر والعاتق.
(٢) القُمري: طائر يشبه الحمام (والجمع: القماري).

وفتّ بـــالـــبـــاردِ جُـــلـــمـــودَهَـــا
واجـــتثَّ بـــالـــفـــأسِ دوالـــيـــهـــا
وشـــادَ مِن أحـــجـــارِهـــا قـــريـــةً
ســـكّـــانُـــهـــا الـــنـــاسُ وأهـــلـــوهـــا
يـــا لـــهـــفـــةَ الـــنـــفسِ عـــلى غـــابـــةٍ
كـــنتُ وهـــنـــداً نـــلـــتـــقي فـــيـــهـــا
جـــنّـــةُ أحلامي وأحلامِـــهـــا
ودارُ حـــبِّي وتـــصـــابـــيـــهـــا
نـــبـــكي من الـــيـــأس عـــلى شـــوكِـــهـــا
وكـــان يُـــدمـــيـــني ويُـــدْمِـــيـــهـــا
كـــانت تُـــغـــطّـــيـــنـــا بـــأوارقِـــهـــا
فـــصـــارتِ الـــدُّورُ تـــغـــطّـــيـــهـــا!

✱✱✱✱

٤٢ - أبو غازي

[الوافر]

أبَـا غـازِي الـسَّلامُ عـلـيكَ مِـنّـا
وعـفـواً أيّـهـا الـمَـلكُ الـهُـمَـامُ
فـمـا ضـاقَ الـكلامُ بـنـا ولـكنْ
وجَـدْنـا الحـزنَ أرخـصُهُ الـكلام
وخـطـبُكَ لا يَـفِـيهِ دَمْعُ بـاكٍ
ولـو أنّ الـذي يَـبـكي الـغَـمَـام
ونـحـن أحقُّ أن نُـبـكَى ونُـرثى
فـمـوتُكَ من بـني الـعُـرْبِ انـتـقـام
خـبـا نـبـراسُـنـا، والـلـيلُ داجٍ،
ومـوجُ الحـادِثـاتِ له الْـتِـطَـام
وكـنتَ لـنـا الـدلـيلَ، فـغـبتَ عـنّـا
وكـنتَ حُـسـامَـنَـا، فـنَـبَـا الحُـسـام!
كـأنّك قـد وتَـرْتَ المـوتَ قِـدْمـاً
وهـابَكَ في كِـنـانـتِكَ الـسِّـهـام
فـدبَّ إلـيك مـثلَ الـلصِّ لـيلاً
وكـان المـوتُ لـيس له ذِمَـام
طَـوَى الـدنـيـا نـعـيُّكَ في ثـوانٍ
فـريعَ الـبـيتُ والـبـلـدُ الحَـرام
و «دجـلـةُ» كـالـطـعـينِ له أنـينٌ
وفي «بـردى» الْـتِـيـاعٌ واضْـطِـرام

ورُحـــنـــا بـــين مَـــصْـــعـــوقٍ وســـاهٍ
كَـــمَنْ صَـــرَعَتْ عـــقـــولَـــهمُ الـــمُـــدام
كـــأنّ الأرضَ قـــد مـــادتْ وفُـــضَّتْ
عن المـــوتى الـــصـــفـــائحُ والـــرِّجـــام[١]
فَـمْن لـــلـــبـــيضِ[٢] والجُـــرْدِ المـذاكي[٣]؟
و «فـيـصلُ» بـاتَ يـحـويه الـرَّغـام[٤]
ومَن لـــلـــحقِّ يـــنـــشـــرُه لـــواءً
به لـــلـــنـــاس هـــدْيٌ واعـــتِـــصـــام
تـــوارى المجـــدُ في كـــفَنٍ ولحْـــدٍ
وغـــابتْ في الـــتُّـــرابِ مُـــنىً عِـــظـــام
مـــضَى وحـــديـــثُهُ في الـــنـــاس بـــاقٍ
كـعُـمـرِ الـشَّـمسِ لـيس له انْـصِـرام
فـــيـــا جَـــدَثـــاً حـــواهُ لـــستَ قـــبـــراً
ولـــكن أنتَ في الـــدنـــيـــا وِسَـــام

☆☆☆☆☆

حـــيـــاتُكَ « يـــا أبـــا غـــازي « حـــيـــاةٌ
كـفَـصْلِ الـصـيفِ: زهـرٌ وابـتِـسـامُ
وقـــد تُـــحـــصَى الـــكـــواكبُ والأقـــاحي
ولا تُـــحـــصَى أيـــاديكَ الجِـــسَـــام
مـــددتَ إلى مُـــنى الـــعـــرَبِ الـــغَـــوافي
يـــداً، فـتـفـتّـقَتْ عـنـهـا الـكِـمـام
وأمـــسى بَـــنْـــدهُمْ[٥] وله خُـــفـــوقٌ
وأمـــسى عِـــقـــدهمْ وله نـــظـــام

(١) حجارة ضخام تجمع على القبور.
(٢) البيض: السيوف.
(٣) الجرد المذاكي: الخيل الأصيلة.
(٤) التراب.
(٥) العلم أو الراية.

وكم أسقمتَ جسمَكَ كي يَصِحُّوا
وحالفتَ السُّهادَ وهمْ نيام
وكم جازيتَ عن شرٍّ بخيرٍ
وكم جازاكَ بالغدرِ الأنام
خُذلتَ فما عَتِبتَ على صديقٍ
ولم تحنِقْ وقد كثُر المَلام
وكم قد فُزتَ في حربٍ وسَلمٍ
فلم يلعبْ بِعطفيكَ العُرام[1]
خلائقُ مَن له عِرْقٌ كريمٌ
وخِطّةُ من له قلبٌ عِصَام
خذوا الخُلُقَ الرفيعَ من الصَّحارَى
فإنّ النفسَ يُفسِدُها الزِّحام
وكم فقَدتْ جلالتَها قصورٌ
ولم تفقِدْ مروءتَها الخيام

☆☆☆☆☆

وقالوا اندكَّ عرشُكَ في دمشقٍ
كأنّ العرشَ أخشابٌ تُقامُ
وكيف تهدُّ سُدَّتكَ العَوالي
ولم يسلبْكَهَا الموتُ الزؤام
فما كان انتصارهمُ علاءً
ولا كان انكسارُكَ فيه ذامُ
إذا لم تَنْصُرِ الأرواحُ مَلْكاً
فأحسنُ ما حَوَى جثثٌ وهَام
وما زالتْ لك الأرواحُ فيها
وما زالتْ عشيرتُكَ الشَّآم

(١) الحدّة والشرس.

تـــصـــفِّقُ لاســـمِكَ الأمـــواهُ فـــيـــهـــا
ويـــهـــتفُ في خَـمـــائـلِـــهـــا الحَـمَـام
ويـــذكـــرُ أهـــلُـــهـــا تـــلك الـــسَّـــجَـــايـــا
فـــيُـــشـــرقُ من تـــذكُّـــرِهـــا الـــظلام
ولـــــيس أحبَّ من حُـــــرٍّ مُـــــؤاسٍ
إلى شـــعبٍ يُـــســـاءُ ويُـــسْـــتَـــضَـــام

☆☆☆☆☆☆

فـقلْ لـلـسَّـاخـطـينَ عـلى الـلـيـالي
ومَنْ ســكــنــوا عــلى يــأسٍ ونــامــوا
ســيــنــحَــسِـرُ الـضَّـبـابُ عن الـروابي
ويـــبـــدو الـــوردُ فـــيـــهـــا والخُـــزَام
ويـــصـــفـــو جَـــوُّنـــا بـــعـــد انـــكـــدارٍ
ويَـسْـقِي أرضَـنـا المـطـرُ الـرِّهـام[1]
ونـــرجِعُ أمَّـــةً تُـــرجى وتُـــخـــشَى
وإنْ كَـــرِهَ الـــزَّعـــانفُ والـــطَّـــغَـــام

✱✱✱✱

(١) الرهمة: المطر الدائم الصغير القطر.

٤٣ ـ فلسطين

[المتقارب]

ديـــارُ الـــسَّلامِ، وأرضُ الـــهـــنـــا
يـــشقّ عـــلى الـــكلّ أن تَـــحْـــزنَـــا
فَـخـطْبُ فـلـسـطـينَ خـطبُ الـعُلا
ومـــا كـــان رزءُ الـــعُلا هـــيّـــنـــا
سَـــهِـــرْنـــا له فـــكـــأنّ الـــسـيـوفَ
تَـــحـــزُّ بـــأكـــبـــادِنـــا هـــهـــنـــا
وكـــيف يـــزورُ الـــكـــرى أعـــيُـــنـــاً
تـــرى حـــولَـــهـــا لـــلـــرَّدى أعـــيُـــنـــا؟
وكـــيف تـــطـــيبُ الحـــيـــاةُ لـــقـــومٍ
تُـــســـدَّ عـــلـــيـــهِمْ دروبُ المـــنـى
بلادهمُ عُـــرْضـــةٌ لـــلـــضَّـــيـــاعِ
وأمّـــتـــهمْ عُـــرْضـــةٌ لـــلـــفـــنـــا
يُـريـدُ الـيـهـودُ بـأنْ يـصـلـبـوهـا
وتـــأبى فـــلـــســـطـــينُ أن تُـــذعِـــنـــا
وتـــأبى المـــروءةُ في أهـــلـــهـــا
وتـــأبى الـــسُّـــيـــوفُ، وتـــأبى الـــقـــنـــا
أأرضَ الخـــيـــــالِ وآيـــــاتـه
وذاتَ الجـلالِ، وذاتُ الـــســـنـــا
تـــصـــيـــرُ لـــغـــوغـــائـــهمْ مـــســـرحـــاً
وتـــغـــدو لِـــشُـــذَّاذهِمْ مَـــكْـــمَـــنـــا

بـنـفـسيَ «أردنُّـهـا» الـسـلـسـبـيلُ
ومَـنْ جـــــاوروا ذلـك الأُردُنـــــا
لـــقـــد دافـــعـــوا أمسِ دون الحـــمى
فـــكـــانتْ حـــروبُـــهمُ حـــربَـــنـــا
وجـــادوا بـــكلّ الـــذي عـــنـــدهمْ
ونـــحن ســـنـــبْـــذُل مـــا عـــنـــدنـــا
فـــقلْ لـــلـــيـــهـــودِ وأشـــيـــاعِـــهم
لـــقـــد خَـــدعَـــتْـــكمْ بُـــروقُ الـــمُـــنى
ألا لـــيت «بـــلـــفـــورَ»[1] أعـــطـــاكمُ
بـلاداً لَـهُ لا بـلاداً لـــــــنـــــــا
«فـــلـــنـــدنُ» أرحبُ من قُـــدْســـنـــا
وأنـــــتمْ أحبُّ إلى «لُـــنـــدنـــا»
ومـــنَّـــاكُمُ وطـــنـــاً في الـــنـــجـــومِ
فـلا عـــربيَّ بـــتـــلك الـــدُّنـــا
أيَـــســـلُبُ قـــومَـــكُمُ رشـــدَهمْ
ويـــدعـــوهُ قـــومُـــكمُ مـــحـــســـنـــا!
ويـــدفعُ لـــلـــمـــوت بـــالأبـــريـــاءِ
ويـــحـــســـبُهُ مـــعـــشـــرٌ دَيِّـــنـــا!
ويـــا عـــجـــبـــاً لـــكم تـــوغـــرونَ
عـلى الـعَـرَبِ «الـتـامـزَ والـهُـدسُـنَـا»[2]
وتـــرمـــونـــهمْ بـــقـــبـــيحِ الـــكلامِ
وكـــانـــوا أحقّ بـــضَـــافي الـــثَّـــنـــا
وكلُّ خـــطـــيـــئـــاتـــهمْ أنّـــهم
يـــقـــولـــونَ: لا تَـــسْـــرِقـــوا بـــيـــتَـــنـــا

---

(١) اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا، وصاحب الوعد الذي وجهه إلى الثري اليهودي (روتشيلد).
(٢) نهر التايمز في بريطانيا. والهدسُن: في أمريكة.

فـلـيـست فـلـسـطـينُ أرضـاً مَـشـاعـاً
فَـتُـعـطَى لمن شـاء أن يَـسـكُـنـا
فـإنْ تـطـلـبـوهـا بـسُـمـرِ الـقـنـا
نـردُّكمُ بـطـوالِ الـقَـنـا
فـفـي الـعـربيِّ صـفـاتُ الأنـام
سِـوى أن يـخـافَ وأن يَـجـبُـنـا
وإن تحـجـلـوا بـيـنـنـا بـالخـداعِ
فـلـن تَـخْـدعـوا رجلاً مـؤمـنـا
وإن تـهـجُـروهـا فـذلك أولى
فـإنّ «فـلـسـطـينَ» مُـلْكٌ لـنـا
وكـانتْ لأجـدادِنـا قَـبْـلَـنـا
وتـبـقى لأحـفـادِنـا بـعْـدَنـا
وإنّ لـكـمْ بـسـواهـا غِـنـىً
ولـيس لـنـا بـسـواهـا غِـنى
فلا تحـسَـبـوهـا لـكُمُ مـوطـنـاً
فـلم تكُ يـومـاً لـكمْ مـوطـنـا
ولـيس الـذي نـبْـتَـغـيهِ مُـحـالاً
ولـيس الـذي رُمـتمُ مُـمـكـنـا
نـصـحـنـاكمُ فـارعـوُوا وانـبُـذوا
«بـبـلـفـورَ» ذيّـالكَ الأرعَـنـا
وإمَّـا أبـيـتمْ فـأُوصـيـكمُ
بـأنْ تحـمِـلـوا مـعْـكُمُ الأَكْـفُـنـا
فـإنّـا سـنـجـعلُ من أرضـهـا
لـنـا وطـنـاً ولـكمْ مَـدفَـنـا!

✱✱✱✱

٤٤ - الغبطة فكرة

[مجزوء الرمل]

أقــبلَ الــعــيــدُ، ولــكنْ لــيس في الــنــاس المــسَــرَّهْ
لا أرى إلاّ وجــوهــاً كــالــحــاتٍ مُــكْــفَــهِــرّه
كــالــرَّكــايــا[١] لم تَــدَعْ فــيــهــا يــدُ المــاتحِ قــطــرَه
أو كَــمِــثْلِ الــروضِ لم تــتــركْ به الــنــكــبــاءُ[٢] زهــرَه
وعــيــونــاً دنَّــقت[٣] فــيــهــا الأمــاني المــسْــتَــحــرَّهْ[٤]
فــهْيَ حَــيْــرَى ذاهلاتٌ في الــذي تــهــوى وتــكــرَه
وخــدوداً بــاهــتــاتٍ قــد كــســاهــا الــهمُّ صُــفــرَه
وشِــفَــاهــاً تحــذرُ الــضــحكَ كــأن الــضّــحكَ جَــمْــره
لــيس لــلــقــومِ حــديثٌ غــيــرَ شــكــوى مُــسْــتــمــرَّه
قــد تَــســاوَى عــنــدهمْ لــلــيــأس نــفعٌ ومــضــرّه
لا تــسَلْ مــاذا عَــرَاهُمْ، كــلُّــهمْ يَــجــهلُ أمــرَه
حــائــرٌ كــالــطَّــائــرِ الخــائفِ قــد ضــيّعَ وَكْــرَه
فــوقَهُ الــبــازيُّ، والأشْــرَاكُ في نجْــدٍ وحُــفــرَه[٥]
فــهــو إنْ حطَّ إلى الــغــبــراءِ شكَّ الــسَّــهمُ صَــدرَه
وإذا مــا طــارَ لاقى قَــشْــعمَ[٦] الجــوِّ وصــقــرَه
كــلُّــهم يــبــكي عــلى الأمس ويــخــشَى شــرَّ «بُــكْــره»

---

(١) الركيّة: البئر.
(٢) الريح.
(٣) دنّقت العين: غارت، والوجه هزل.
(٤) المرتفعة الحرارة لقوّتها (المستعرة).
(٥) يريد الأرض العالية، والحفرة الغائرة في الأرض.

فـــهمُ مـــثلُ عـــجـــوزٍ فـــقَـــدتْ في الـــبـــحـــرِ إِبْـــرهَ
أيُّـــهـــا الـــشَّـــاكي الـــلـــيـــالي إنمـــا الـــغِـــبـــطـــةُ فِـــكْـــره
ربمـــا اسْـــتـــوطـــنتِ الـــكـــوخَ ومـــا في الـــكـــوخ كَـــسْـــره
وخـــلتْ مـــنـــهـــا الـــقـــصـــورُ الـــعـــالـــيـــاتُ الـــمُـــشْـــمَـــخِـــرَّه
تـــلـــمسُ الـــغـــصنَ المـــعـــرَّى فـــإذا في الـــغـــصن نَـــضْـــره
وإذا رفّتْ عـــلى الـــقَـــفْـــرِ اســـتـــوى مـــاءً وخُـــضـــرَه
وإذا مَـــسّتْ حَـــصـــاةً صَـــقـــلـــتْـــهـــا فـــهيَ دُرّه
لكَ، مـــا دامتْ لك، الأرضُ ومـــا فـــوق الـــمَـــجَـــرّه
فـــإذا ضـــيَّـــعـــتَـــهـــا فـــالـــكـــونُ لا يـــعـــدِلُ ذرّه
أيـــهـــا الـــبـــاكي رويـــداً لا يـــســـدُّ الـــدمعُ ثُـــغْـــره
أيـــهـــا الـــعـــابسُ لن تُـــعـــطى عـــلى الـــتـــقـــطـــيبِ أُجْـــرَه!
لا تـــكن مُـــرّاً، ولا تجـــعلْ حـــيـــاةَ الـــغـــيـــرِ مُـــرَّه
إنّ من يـــبـــكي له حَـــوْلٌ عـــلى الـــضّـــحك وقُـــدْره
فـــتـــهـــلّلْ وتـــرنّمْ فـــالـــفـــتى الـــعـــابسُ صـــخـــره
ســـكنَ الـــدهـــرُ وحـــانتْ غَـــفـــلـــةٌ مـــنه وغِـــرّه
إنه الـــعـــيـــدُ.. وإن الـــعـــيـــدَ مـــثلُ الـــعُـــرْسِ مَـــرّه

✱✱✱✱

٤٥ ـ الفتى الأفضل (معرّبة)

[المتقارب]

مـــضى زمنٌ كـــان فـــيه الـــفـــتى
يُـــبـــاهي بمـــا قـــومُه أَثَّـــلـــوا[١]
ويـــرفـــعُهُ في عـــيـــونِ الأنـــامِ
ويـــخـــفضُ من قَـــدرِه الـــمُـــنْـــزِلُ
فلا تـــقـــعـــدنْ عن طِلابِ الـــعُلا
وتـــعـــذِلْ بلادكَ إذ تُـــعـــذِلِ[٢]
فـــإنَّ الخلائقَ حـــتى عِـــداكَ
مـــتى مـــا ســـبـــقـــتَـــهمُ هـــلّـــلـــوا
فـــثـــابـــرْ بـــجِـــدٍّ عـــلى نَـــيْـــلِـــهـــا
فـــلـــيس يـــخـــيبُ الـــذي يـــعـــمل
وكن رجلاً نـــاهـــضـــاً يـــنـــتـــمي
إلى نـــفـــسه عـــنـــدمـــا يُـــســـأَل
فـــلـــستَ الـــثـــيـــابَ الـــتي تـــرتـــدي
ولـــست « الأســـامي » الـــتي تحـــمل
ولـــست الـــبلادَ الـــتي أنـــبـــتْكَ
ولـــكـــنـــمـــا أنتَ مـــا تـــفـــعلُ
إذا كُـــــنـــتَ من وطنٍ خـــــاملٍ
وفُـــزتَ فـــأنت الـــفـــتى الأفـــضل

****

(١) من الأثلة: وهي أصل كل شيء. والتأثيل: التعظيم والتمكين.
(٢) من العذل: اللوم.

٤٦ - مَنْ أنا

[المتقارب]

أنـــا، مَن أنـــا يـــا تُـــرى، في الـــوجـــودِ؟
ومـــا هُـــوَ شـــأني ومـــا مـــوضـــعي؟
أنـــا قـــطـــرةٌ لمـــعتْ في الـــضـــحى
قـــلـــيلاً عـــلـــى ضِـــفّـــةِ الـــمَـــشْـــرَعِ[1]
ســـيـــأتي عـــلـــيـــهـــا المـــســـاءُ فـــتـــغـــدو
كـــــأن لم تُـــــرقـــــرِقْ ولم تـــــلـــــمعِ
أنـــا نـــغـــمـــةٌ وقَّـــعَـــتْـــهـــا الحـــيـــاةُ
لمـنْ قـــــد يَـــــعـــي ولمـنْ لا يـــــعـــي
ســيــمشي عــلــيــهــا الســكــوتُ فــتُــمــسي
كـــأنْ لم تـــمـــرَّ عـــلـــى مَـــســـمَع
أنـــــا شـــــبحٌ راكضٌ مُـــــســـــرعٌ
مع الـــزمنِ الـــراكضِ الـــمُـــسْـــرِع
ســيُــرخَى عــلــيه الــســتــارُ ويَــخــفى
كـــأن لم يـــجِـــدَّ ولم يُـــهْـــطِعِ[2]
أنـــا مـــوجـــةٌ دَفـــعـــتـــهـــا الحـــيـــاةُ
إلـــى أوســـعٍ فـــــــــــإلـــى أوســـع
ســـتـــنـــحلُّ في الـــشطّ عـــمـــا قـــلـــيلٍ
كـــــأنْ لم تَـــــدفَّعْ ولم تُـــــدفَع

---

(١) يريد: مشرعة الماء، مورد الشاربة.
(٢) أهطع في عدوه: أسرع.

فـيـا قـلبُ لا تـغـتـرِرْ بـالـشَّـبـابِ
ويـا نـفسُ بـالخُـلْـدِ لا تـطـمـعي
فـإن الـكـهـولـةَ تـمـضي كـمـا
تـولّى الـشـبـابُ ولم يـرجعِ
ولـكنّ فـيـهـا جـمـالاً بـديـعـاً
وفـيـهـا حـنـينٌ إلى الأبـدع
ومن لا يـرَى الحُـسنَ في مـا يـراهُ
فـمـا هـو بـالـرجلِ الأَلـمـعِي
بَـني وطـني من أنـا في الـوجـودِ،
ومـا هـو شَـأني ومـا مَـوضِـعي؟
أنـا أنـتمُ إن ضـحـكـتمْ لأمـرٍ
ضـحـكتُ، وأدمـعُـكمْ أدمـعي
ومُـطـربُ أرواحِـكُمْ مُـطـرِبي
ومَـوجِعُ أكـبـادِكُمْ مُـوجِـعي
أمـا نـحن مِنْ مـصـدرٍ واحـدٍ
ألـسـنـا جـمـيـعـاً إلى مـرجِعِ؟
رفـعـتمْ مُـقـامي وأعـلـيـتُـمـوهُ
لـمّـا قـد صـنـعتُ ولم أصـنـعِ
أحقٌّ بـإكـرامـكمْ طـائـرٌ
يُـغـرّدُ في الـروضِ والـبـلْـقَع
وأولـى بـه كـوكبٌ طـالـعٌ
عـلـى سُـهَّـدٍ وعـلـى هُـجَّع
أنـا واحـدٌ مـنـكمُ يـا نجـومَ
بلادي، مـتى تَـسْـطَـعـوا أَسْـطَع
فـمن قـام يَـمـدحُـني بـيـنـكمْ
فـقـد تُـمـدَحُ الـكفُّ بـالإصـبعِ

ومـــا الـغـيثُ غـيـرُ الخـضـمِّ، ولـيس
الـغـديـرُ سِـوى الـسُّـحُبِ الـهُـمَّع[1]
فـــلـــولاكمُ لم أكنْ بـــالخـــطـــيبِ
ولا الـشـاعـرِ الـسّـاحـرِ المـبـدع
أنـــــا الآن في سَـــــكْـــــرةٍ لا أعي
فـيـا لـيـتـنـي دائـمـاً لا أعي
فـذي لـيـلـةٌ بـجـمـيعِ الـزمـانِ
إذا كـــان في الـــدهـــرِ من أَجـــمع
فـيـا أيـهـا الـلـيلُ بـالـلـهِ قِفْ
ويـا أيـهـا الـصـبحُ لا تـطـلُع
إذا كـنتُ قـد بِـنْتُ عن مَـرْبـعي
فـإني وجـدتُ بـكم مَـرْبـعي[2]
يمـيـنـاً سـأحـملُ في أضـلـعي
هـواكمُ مـا بـقِـيتْ أضْـلُـعي
وأشـكـرُكمْ بـلـسـانِ الـنـسـائمِ
والـروضِ والجـدولِ الـمُـتْـرَع
فلا عـذرَ لـلـطـيـر إمّـا رأى
جـمـالَ الـربـيعِ ولم يـسـجَع
إذا لم أكنْ مـعـكمْ في غَـدٍ
فـإني سـأمـضي وأنـتمْ مـعي

****

(١) همع: سال.
(٢) المنزل والمحلّة.

٤٧ - كمنجة الشَّوّا

[السريع]

كـمـنـجَـةَ «الـشَّـوّا» عـلـيكِ الـسَّلامْ
بـهـيـكلِ الـوَحْيِ وعـرشِ الـغـرامْ
فـيكِ الـتـقتْ أرواحُ أهل الـهـوى
نجـوى وشـكـوى وبُـكـا وابـتـسـام
وأودعتْ فـيك الـصَّـبـا هَـمْـسَـهـا
وخـبّـأَ الأسـرارَ فـيك الـظلام
وذابَ فـيك الحبُّ ذوبَ الـنَّـدى
في مَـبْـسِمِ[١] الـوردِ وجـفنِ الخُـزام
رُدِّي إلـيـنـا الـيـومَ دنـيـا الـرؤى
فـإنـنـا نـشـقى بـدنـيـا الحُـطـام
أجـنـحـةُ الأشـواقِ مـقـصـوصـةٌ
أو مـوثَّـقـاتٌ، والأمـانـي رِمَـام[٢]
قـد انـقـضى الـعـمـرُ وأرواحُـنـا
مـفـطـومـةٌ بـالحـرصِ، بـئسَ الـفِـطـام
نـنـأى عن الحُـسنِ ونـشـتـاقُهُ
ونـهـجُـرُ المـاءَ ونـشـكـو الأُوام[٣]
ويـبـعثُ الحـقلُ إلـيـنـا الـشَّـذا
ونـحن لا نَـنـشِقُ إلا الـرَّغـام[٤]

---

(١) الثغر.
(٢) البقايا.
(٣) العطش الشديد.

نـــســـيـــرُ والأضـــواءُ من حـــولِـــنـــا
كـــأنَّـــنـــا في هَـــبْـــوَةٍ أو قَـــتَـــام[1]
والمـــاءُ يـــجـــري حـــولـــنـــا كـــوثـــراً
ونـحن نـستَـسـقي الـسَّـحـابَ الجَـهـام[2]
ونـــســـهـــرُ الـــلـــيلَ لـــغـــيـــرِ الـــهـــوى
مـــا تـــنـــفـــعُ الـــيـــقـــظـــةُ والـــقـــلبُ نـــام
حـتى نَـسَـيْـنَـا كـيفَ لـونُ الـضـحى
ولم نـــعـــدْ نـــذكـــرُ سَـــجْـــعَ الحَـــمَـــام
خـيـرٌ من الـيـقـظـةِ عـنـدي الـكَـرَى
إن كـــانتِ الـــغِـــبـــطـــةُ بـــنتَ المـــنـــام
خِـــلْـــنـــا الـــهـــوى تـــرجِـعُ أيـــامُهُ
لـم يـــــــرجـعِ الحُـبُّ ولا المـــــــالُ دام
فـيـا فـتى «الـشَّـهـبـاءِ» يـا شـاعـراً
قـــد رفعَ الـــفـنَّ لأســـمـى مَـــقـــام
رجـعتَ بـالـسِّـحـرِ وكـان انـطـوى
وجـئـتـنـا بـالـوحي في غـيـرِ جـام
هـــذا عـــصـــيـــرُ الـــوحيِ في آلـــةٍ
خـــرســـاءَ يـــجـــري فِـــتَـــنـــاً للأنـــام
فـــإن تجِـدْنـا حـولـهـا عُـكّـفَـاً
فـالمـنـهلُ الـعـذبُ كـثـيـرُ الـزَّحـام
فـــدغـــدغِ الأوتـــارَ لا تـــكـــتـــرثْ
أن تـذهبَ الـفـتـنـةُ بـالإِحْـتِـشـام

---

(١) الهبوة: الغبار، والقتام مثله.
(٢) السحاب الذي لا ماء فيه.

سـعـادةُ الأَنـفُسِ فـي نَـشْـوةٍ
مـن صـورةٍ أو نـغَـمٍ أو مُـدام
وقلْ لمن يَـحـذَرُ أن يـشـتـكي
ويـحـبِسُ الـدمعَ لـئِلا يُلام
اِسـمعْ! فـهـذا وتـرٌ نـائحٌ
وانـظـرْ! فـهـذا خـشَبٌ مُـسْـتَـهـام

☆☆☆☆☆

نـيـويـورك! يـا ذاتَ الـبـروجِ الـتي
سَـمَتْ وطـالتْ كي تَـمسَّ الـغَـمَـامْ
لن تَـبـلُـغي والـلـهِ بـابَ الـسَّـمـا
إلا بـأوتـارِ كـنـارِ الـشَّـآم
فـاصـغِي إلى ألحـانِه لحـظـةً
تحـتـقِـري كلّ صـنـوفِ الـكلام
وتـدركي أن قـصـورَ الـمُـنى
تـبـقى وتـنـهَـدُّ قـصـورُ الـرِّجـام[1]
فـرَحِّـبي مـعـنـا به واهـتِـفي:
هـذا أمـيـرُ الـفنِّ، هـذا الإمـام!

✱✱✱✱

(١) حجارة ضخام قد تجمع على القبر.

٤٨ ـ إذا

[الهزج]

إذا جـــدّفتَ جُـــوزِيتَ عـــلى الـــتَّـــجـــديفِ بـــالـــنَّـــارِ
وإن أحـــبـــبتَ عُـــيِّـــرتَ من الجَّـــارةِ والجَّـــار
وإن قـــامَـــرتَ أو راهـــنتَ في الـــنَّـــادي أوِ الـــدّار
فـــأنتَ الـــرَّجلُ الآثمُ عـــنـــد الـــنـــاسِ والـــبـــاري

وإنْ تَـــسـكَـــرْ لـــكي تـــنـــسى هـــمـــومـــاً ذاتَ أوقـــارِ
خـــســـرتَ الـــدينَ والـــدنـــيـــا ولم تـــربحْ سِـــوى الـــعـــار

وإنْ قـــلـــتَ: إذنْ فـــالـــعـــيشُ أوزارٌ بـــأوزارِ
وإنَّ المـــوتَ أشـــهى لي إذا لـم أقْضِ أوطـــاري
وأســـرعتَ إلى الـــسَّـــيفِ أو الـــسُّمّ أو الـــنَّـــار
لـــكي تـــخـــرجَ من دنـــيـــا ذووهـــا غـــيـــرُ أحـــرار
فـــهـــذا المـــنـــكَـــرُ الأعـــظمُ في ســـرٍّ وإضْـــمَـــار
إذن فـــاحْيَ ومتْ كـــالـــنَّـــاسِ عـــبـــداً غـــيـــرَ مُـــخـــتـــار!

٤٩ - شبح

[الكامل]

رسالة من لبنان إلى أبنائه المهاجرين، قالها في حفلة.

بـــأبي خـــيـــالٌ لاح لي مـــتـــلـــفِّـــفـــاً
بـــعـــبـــاءةٍ من عَـــهْـــدِ فـــخـــر الـــدِّينِ
يمـــشي عـــلى مَـــهَلٍ ويُـــرسلُ طَـــرْفَهُ
في حَـــيْـــرةِ المـــســـتـــوحشِ المحـــزون
من أنتَ يـا شـبـحـاً كـئـيـبـاً صـامـتـاً؟
قل لي فـــإنّك قـــد أثـــرتَ شُـــجـــوني
أخـــيـــالُ خَـــصـمٍ أتّـــقي نَـــزواتِه؟
أم أنتَ يـــا هـــذا خـــيـــالُ خَـــدِين؟
فـأجـابـني مـتـرفّـقـاً مـتـحـبِّـبـاً
فـســمـعتُ صـــوتَ أبٍ أبـــرَّ حـــنـــون

☆☆☆☆☆☆

يـــا شـــاعـــري قل للأُلَى هـــجَـــروني
أنـــا مـــا نـســيـتـكُمُ فلا تـنـسُـوني
مـــا بـــالـــكمْ طـــوّلـــتمُ حـــبلَ الـــنَّـــوى
يـــا لـــيتَ هـــذا الحـــبلَ غـــيـــرُ مـــتـــينِ
قـــد طُـــفْـــتمُ الـــدنـــيـــا فـــهلْ شـــاهـــدتمُ
جـــبَلاً عـــلـــيه مـــهـــابـــتي وســـكـــوني؟
أوَرُدتمُ كـــمـــنـــاهـــلي؟ أنـــشَـــقـــتمُ
كـــأزاهـــري في الحُـــسنِ والـــتـــلـــوين؟
ولـــقـــد تـــظَّـــلـــتمْ بـــأشـــجـــارٍ فـــهل
رفَّتْ غـــصـــونٌ فـــوقـــكمْ كـــغُـــصـــوني؟

وسَـمِـعـتُمُ شَـتَّى الـطـيـورِ صَـوادحـاً
أسـمـعـتمُ أشـجى من الحـسُّـونِ؟[1]
هل أنـبـتت كـالأرزِ غـيـري بُـقـعـةٌ
في مـجْـدِه وجلالِه المـيـمـونِ؟
أرأيـتمُ، في مـا رأيـتمْ، فِـتـنـةً
كـالـبـدرِ حـين يُـطِلُّ من صِـنِّـين؟[2]
أو كـالـغـزالـةِ وهي تـنـفضُ تـبْـرَهـا
عـنـد المـغـيبِ عـلى ذُرا حَـرْمـون؟[3]
مـرّت قـرونٌ وانـطـوتْ وكـأنَّـني
لمحـاسِـني كُـوِّنتُ مـنـذ سـنـين
أبـلـيْـتُـهـا وبـقـيتُ، إلاّ أنّـني
لـلـشـوقِ كـاد غـيـابـكمْ يُـبْـلـيـني

لـبـنـانُ! لا تـعـذلْ بـنـيكَ إذا همُ
ركـبـوا إلى الـعـلـيـاء كلَّ سَـفـينِ
لم يـهـجُـروكَ ملالـةً لـكـنّـهمْ
خُـلـقـوا لـصـيدِ الـلـؤلـؤ المـكـنـون
وَرَثُـوا اقـتـحـامَ الـبـحـرِ عن فِـيـنـيـقـيَـا
أمِّ الـثـقـافـةِ مَـصْـدرِ الـتَّـمـدين
لـمّـا ولـدتَـهـمُ نـسـوراً حـلّـقـوا
لا يـقـنـعـونَ من الـعُلا بـالـدُّون
والـنَّـسْـرُ لا يـرضى الـسـجـونَ وإنْ تـكنْ
ذَهـبَـاً، فـكـيف مـحـابِسٌ من طـين

(١) الطائر الحسن الصوت.
(٢) الجبل، في المتن الشمالي من لبنان.
(٣) الجبل (حرمون).

الأرضُ لـلـحـشـراتِ تـزحفُ فـوقـهـا
والجـوّ لـلـبـازيّ والـشـّاهـين[1]

فـأجـابـني والـدمعُ ملءُ جـفـونهِ
كم ذا تـسَـلّـيـني ولا تُـسْـلـيـني؟[2]
أنـا كـالـعَـرينِ الـيـومَ غـاب أُسـودُهُ
وتـفـرّقـوا عـنـه لـكلّ عَـرين
الأرمـنيُّ عـلـى سـفـوحي والـرُّبـا
يـبـني الحـصـونَ لـنـفـسه بـحـصـوني
وبـنـو يـهـوذا يـنـصِـبـونَ خِـيـامَـهُمْ
في ظلّ أوديـتـي وفـوق حُـزوني[3]
وبَـنِيَّ عـنـي غـافـلـون كـأنّـني
قـد صِـرتُ في الأشـيـاء غـيـرَ ثـمـين
أنـتمْ ديـونٌ لي عـلـى أمـيـركـا
ومـن المـروءة أن تُـردّ ديـوني
أو لـيس من سُـخْـرِ الـقـضـاءِ وهُـزئهِ
أنْ يـأخـذَ الـمُـثـري من المـسـكـين؟
عـودوا فـإنّ المـالَ لا يُـغـنـيـكمُ
عـنّي، ولا هـو عـنـكمُ يُـغْـنِـيـني

فـشـجِـيتُ ممّـا قـالهُ لـكـنّـني
لـمّـا رأيـتـكمُ نـسـيتُ شُـجـوني
لـبـنـانُ فـيـكمْ مـاثلٌ إن كـنـتمُ
في مـصـرَ أو في الـهـندِ أو في الـصِّـينِ

(١) من الطيور التي تُطلق للصيد.
(٢) أسلاه: كشف عن همه.
(٣) الحزْن: ما غلظ من الأرض.

إن بِـــنـــتُمُ عـــنه فـــمـــا زال الـــهـــوى
يُـــدنـــيـــكمُ مـــنه كـــمـــا يُـــدنِـــيـــني
وحَـــرَاكـــكُمْ[1] لـــعَلائه وســـكـــونُـــكُمْ،
وإلى ثَـــراهُ حـــنـــيـــنُـــكُمْ وحـــنـــيـــني
لـــو أمـــستِ الـــدنـــيـــا لـــغـــيـــري كـــلُّـــهـــا
ورُبَـــاهُ لي، مـــا كـــنتُ بـــالمـــغْـــبُـــون
أنـــا في حِـــمـــاكُمْ طـــائـــرٌ مُـــتَـــرنّمٌ
بـــين الأقـــاحِ الـــغضِّ والـــنَّـــسْـــرين
أنـــتمْ بـــنـــو وطـــني وأنـــتمْ إخـــوتي
وأنـــا امـــرؤٌ دِينُ المحـــبـــةِ دِيـــني

****

(١) الحركة.

٥٠ - أنا وابني

[مجزوء الرمل]

قــالَ إبــني وهْــوَ حَــيــرانُ بمــا يُــحــكى ويُــقــرا
كــيف كــان الــلــهُ؟ إنّي قــد وجــدتُ الــلــهَ سِــرّا
أســمــعُ الــنــاسَ يــقــولــون به خــيــراً وشــرّا
فــأفــدْني . قــلتُ: يــا ابــني أنــا مــثلُ الــنــاس طُــرّا
لي في الــصِّــحــة آراءٌ وفي الــعِــلّــة أخــرى
كــلّــمــا زحــزحتُ سِــتــراً خــلــتُــني أُســدِلُ سِــتــرا
لــســت أدرى مــنك بــالأمــر ولا غــيــري أدرى!

☆☆☆☆☆

أَحْــسَبُ الــلــهَ الــذي صــاغ من الــذرّات صَــخــرا
والــذي شــاء فــصــارتْ قــطــراتُ المــاء بــحــرا
والــذي شــاءَ فــضــمّ الــبــحــرُ أصــدافــاً ودُرّا
وأراد الــضــوءَ أجــرامــاً فــصــار الــضــوءُ زُهــرا[1]
إنّ هــذا الــلــهُ لمّــا شــاء هــذا كــان « فِــكــرا»،

☆☆☆☆☆

ثمّ لــمّــا نــظمَ الألــوانَ في الأرض زهــورا
ورأى أن يــعــلــن الحُبّ غــنــاءً وحُــبــورا
فــتــمــشّى في حــواشي الأرض سِــحــراً وعُــطــورا
وتــهــادى في حــواشي الأفقِ أطــيــافــاً ونــورا
عــنــدمــا أوجــدَ هــذا كــان « حِــسّــاً وشُــعــوراً»

☆☆☆☆☆

(١) الأنجم الزهر. والزُّهرة هي الكوكب الأبيض.

مَن أحبَّ اللهَ جبّاراً وفتّاكاً وقاهرْ
فأنا أهواهُ رسّاماً وفنّاناً، وساحر
وأراهُ في الندى والزهرِ والشهّبِ السّوافرْ
فإذا الأنجمُ غارتْ وانطوتْ كلُّ الأزاهر
وتلاشى كلُّ ما أنشا وسوّى من مناظر
لاح لي في حسنه الأكملِ في ديوان شاعر!

✷✷✷✷

٥١ - عبد الله البستاني

[السريع]

يـــا مـــيِّـــتـــاً فـــيه جـــمـــالُ الحـــيـــاةْ
مـــا حـــازَ مـــنك الـــلـــحـــدُ إلاّ الـــرفـــاتْ
أنت الـــفـــتى الـــبـــاقي بـــآثـــارهِ
مـــا أنتَ بـــالمـــرء إذا مـــاتَ مـــات!
وكـــيف يمـــتـــدُّ إلـــيك الـــردى
وذاتُكَ الحـــســـنـــاءُ في ألفِ ذات؟
إذا اخـــتـــفى في الـــوَردِ لـــونُ الـــضـــحى
فـــالـــذنبُ ذنبُ الأعـــينِ الـــنـــاظـــرات
يـــصـــوِّحُ الـــزهـــرُ ويـــبـــقى الـــشَّـــذا
ويـــذهبُ المـــرءُ وتـــبـــقى الـــصِّـــفـــات

يـــا نـــائـــمـــاً أغـــفى عن الـــتُّـــرّهـــاتْ
إني وجـــدتُ المـــوتَ في الـــتُّـــرّهـــات
أإنْ مـــضى الـــشيءُ نـــقـــولُ انـــقـــضى
إذن فـــمِنْ أين تجـيءُ الحـــيـــاة؟
ألـيس دنـيـا الـصـحْـوِ دنـيـا الـكـرى
ومـــثلُ ظلّ الـــعـــيش ظلُّ المـــمـــات؟
تُـــقـــسِّمُ الأشـــيـــاءَ أفـــهـــامُـــنـــا
ولـــيـــست الـــنـــخـــلـــةُ إلا الـــنـــواة
وفي الـــغـــدِ الأمسُ، ولـــكـــنّـــنـــا
لـــلـــجـــهل قـــلـــنـــا: الـــدهـــرُ مـــاضٍ وآت

بــعضُ الــردى فــيه نجــاةُ الــفــتى
وربمــا كــان الــرَّدى في الــنــجــاة

☆☆☆☆☆

يــا قَــرَويّــاً عــظُــمتْ نــفــسُهُ
حــتى تــرضَّــتــهــا نــفــوسُ الــعُــتــاة
وحــسَــدتهُ الــصِّــيــدُ في كــوخِه
وحــســدتْ قــريــتَهُ الــعــاصــمــات
تــلك الــســجــايــا لم تــزل بــيــنــنــا
ســاطــعــةً كــالأنجمِ الــزاهــرات
وعــلــمُكَ الــزاخــرُ بــاقٍ لــنــا
مــا بــقــيتْ في الأرض أمُّ الــلــغــات
في أنــفُسِ الــنــاسِ وألــبــابِــهمْ
وفي بــطــونِ الــسِّــيَــرِ الخــالــدات
وفي تــلامــيــذكَ أهلِ الحِــجَــا
والأدبِ الجمِّ الجــمــيلِ الــسِّــمــات
من شــاعــرٍ كــالــروضِ أشــعــارُهُ
تــســمعُ هــمْسَ الحبِّ فــيه الــفــتــاة
وســامــرٍ تحــســبُ أقــوالَه
مــســروقــةً من مُــقَل الــغــانــيــات
وكــاتبٍ تُــشــرقُ ألــفــاظُه
كــالــدُّررِ المخــتــارةِ الــمُــنْــتــقــاة
وصُــحَّبٍ[1] أخلاقــهمْ كــالــمــنى
يــروونَ عــنك الحِــكَمَ الــغــالــيــات

(١) مثل عُجَّز وقُصَّر...

لم يَـخْـتَـرمْك المـوتُ يـا دوحـةً
بـاسـقـةً قـد خَـلَّـفتْ بـاسـقـات

يـا حُـجّـةَ الـفُـصـحى ودِهـقـانَـهـا[1]
وبـحـرَهـا الـطَّـامي وشـيخَ الـثِّـقـات
«الـضَّـادُ» من بـعـدِكَ في مـأتَمٍ
حـاضـرُهـا والأعـصُـرُ الـغـابِـرات
فـلـيس في لـبـنـانَ غـيـرُ الأسى
ولـيس غـيـرُ الحـزنِ حـولَ الـفُـرات
فـمن يـعـزّي جـبلاً واحـداً
عـزّى الـرواسي في جـمـيع الجـهـات

سـلـخـتَـهـا سـبـعـينَ من أجـلـهـا
في عـالمِ الـطِّـرسِ ودنـيـا الـدُّواة
الـنـاسُ من حـولِكَ في قِـيـلـهِمْ
وأنت كـالـعـابـد وقتَ الـصَّلاة
غَـنِـيَتَ (بـالـضَّـادِ) وأسـرارِهـا
عن الـغـواني والـطِّلا والـسُّـقـاة
أنت الـذي ردّ إلـيـهـا الـصِّـبـا
إنّ الـهـوى يـجـتـرحُ المـعـجِـزات
فـاخـتـلـجتْ أوضـاعُـهـا بـالمـنى
وجـاء مـاءُ الحُـسنِ في المـفـرَدات
ولَـهَـجَتْ بـاسـمِك آفـاقُـهـا
وردّدتْـهُ في الـبـوادي الحُـدَاة

(١) التاجر (فارسي معرّب).

وحـــنَّتِ الـــنُّـــوقُ إلى سَـــمْـــعِهِ
وطَـربتْ من ذكـرِهِ الـصَّـافِـنَـاتْ[1]
فـيـا شـبـابـاً يـطـلـبـونَ الـعُلا
إنّ الـــعُلا لـلأنـــفُسِ المـــاضـــيـــات
ويـا فـقـيـراً يـتـمـنّى الـغِـنى
هـلاّ تـمـنَّـيْتَ غِـنَى المـكـرُمـات؟
ويـا سَـرَاةً[2] يـبـذُلـونَ الـلُّـهى[3]
هـذا فـقـيـرٌ كـان يـعـطي الـسَّـرَاة!
مـن روحـه لا فـــيـــضِ أمـــوالِـه
إنّ هِـبـاتِ الـروحِ أسـمى الـهـبـات
لا يـقـتـضي قـاصـدَه حـمـدَه
ويـشـكـرُ الـعـافي[4] الـذي قـال: هـات
وإنْ مـضى الـعـافـونَ عن بـابه
سـارتْ عـطـايـاهُ وراء الـعُـفـاة
فـكـان كـالـكـواكب يمـشي عـلى
ضـيـائـهِ الـرَّكْبُ وذئبُ الـفَلاة
وكـان كـالـغـيثِ إذا مـا هَـمى
أصـابَ في الأرض الحـصى والـنَّـبـات
وكـان كـالـيَـنـبـوعِ يـرتـادُهُ
ذو الـشّـيمِ الحـسـنى وذو الـسَّـيِّـئـات

---

(١) يريد الخيل (والصافن منها: القائم على ثلاث).
(٢) السريّ: الرئيس (والجمع: سَراة).
(٣) اللُّهوة: العطية، (والجمع: اللُّهى)
(٤) السائل: (عفا الرجلَ: سأله).

وكـــالـــفـــضـــاءِ الـــرَّحبِ في حِـــلـــمِهِ
يـــضـــطـــربُ الـــبـــازي به والـــقَـــطـــاة
يـــا صـــاحبَ «الـــبـــســـتـــانِ»[1] نمْ آمِـــنـــاً
فـــــإنّ في المـــــوت زوالَ الـــــشُّـــــكـــــاة
مـــا غـــاب مـــاءٌ غـــابَ تحت الـــثَّـــرى
فـــأَطـــلـــعَ الـــنـــبْتَ وأحـــيـــا المـــوات

✱✱✱✱

(١) معجم (البستان) لعبد الله البستاني.

٥٢ - كم تشتكي

[الكامل]

قالها في مهرجان (بردجفيل)

كم تـشـتـكي وتـقـولُ: إنك مُـعْـدِمُ
والأرضُ مـلـكُكَ والـسَّـمـاءُ والأنجمُ
ولك الحـقـولُ وزهـرُهـا وأريـجُـهـا
ونـسـيـمُـهـا والـبـلـبلُ المـتـرنِّم
والمـاءُ حـولَكَ فِـضّـةٌ رَقـراقـةٌ
والـشـمسُ فـوقَكَ عَـسْـجـدٌ يـتـضـرَّم
والـنـورُ يـبـني فـي الـسُّـفـوح وفي الـذُّرا
دُوراً مـزخـرفـةً، وحـيـنـاً يَـهـدِم
فـكـأنّهُ الـفـنَّـانُ يـعـرضُ عـابـثـاً
آيـاتِه ، قُـدّامَ مَن يـتـعَـلَّم
وكـأنَّه لـصـفـائه وسـنـائه
بـحـرٌ تـعـومُ به الـطـيـورُ الحُـوَّم
هـشَّتْ لك الـدنـيـا فـمـالكَ واجِـمـاً،
وتـبـسّـمتْ فـعلامَ لا تـتـبـسَّم؟
إن كـنتَ مُـكـتـئِـبـاً لِـعـزٍّ قـد مـضى
هـيـهـاتَ يُـرجـعُهُ إلـيكَ تـنـدُّم
أو كـنتَ تُـشـفقُ من حـلـولِ مُـصـيـبـةٍ
هـيـهـاتَ يمـنـعُ أنْ تَـحُلّ تجـهُّم
أو كـنت جـاوزتَ الـشـبـابَ فلا تـقلْ
شـاخَ الـزمـانُ فـإنه لا يـهْـرَم

انــظــرْ فــمــا زالتْ تَــطُلُّ من الــثَّــرى
صــورٌ تــكــادُ لحــســنِــهــا تــتــكــلَّم
مــا بــين أشــجــارٍ كــأنَّ غــصُــونَــهــا
أيــدٍ تُــصــفِّقُ تــارةً وتُــســَــلِّم
وعــيــونِ مــاءٍ دافــقــاتٍ في الــثَّــرَى
تــشــفي الــسَّــقــيمَ كــأنمــا هي زمــزم
ومــســارحٍ فُــتِنَ الــنَّــســيمُ بــحــسْــنِــهــا
فــســَــرَى يــدنــدنُ تــارةً ويُــهــمــهِم
فــكــأنهُ صَبٌّ بــبــابِ حــبــيــبهِ
مــتــوسِّلٌ مــســتــعــطِفٌ مُــســتــرحِم
والجــدولُ الجَــذلانُ يــضــحكُ لاهــيــاً
والــنــرجسُ الــولــهــانُ مُــغْفٍ يَــحْــلُم
وعــلى الــصَــعــيــدِ مُلاءةٌ من سُــنــدسٍ
وعــلى الــهــضــابِ لــكلِّ حُــسْنٍ مِــبْــسَم
فــهــنــا مــكــانٌ بــالأريجِ مــعــطَّــرٌ
وهــنــاك طــودٌ بــالــشــعــاعِ مُــعَــمَّم
صُــوَرٌ وآيــاتٌ تــفــيضُ بــشــاشــةً
حــتى كــأنَّ الــلــهَ فــيــهــا يَــبــسِم
فــامشِ بــعــقــلِكَ فــوقَــهــا مــتــفــهِّــماً
إن الــمَــلاحَــةَ مِــلْكُ من يــتــفــهَّم
أتــزورُ روحُكَ جــنَّــةٌ فــتَــفُــوتَــهــا
كــيــمــا تــزورَكَ بــالــظُّــنــونِ جــهــنَّم
وتــرى الحــقــيــقــةَ هــيــكلاً مــتــجــسِّداً
فــتــعــافُــهــا لــوَسَــاوسٍ تُــتَــوهَّم

يـــا مَنْ يـــحنُّ إلى غـــدٍ في يـــومه
قـد بِـعتَ مـا تـدري بمـا لا تـعـلَم!

قم بـادرِ الـلـذّاتِ قـبلَ فـواتِـهـا
مـا كلُّ يـومٍ مـثلِ هـذا مـوسمُ
وأشِـرْ بـسِـرّ الحـصْنِ سِـرَّ شـبـابهِ
وارْوِ أحـاديثَ المـروءةِ عـنـهم
المـعـرضـينَ عن الخَـنـا، فـإذا عَلا
صـوتٌ يـقـول: «إلى المـكـارم» اقـدَمـوا
الـفـاعـلـينَ الخـيـرَ لا لـطَـمـاعـةٍ
في مَـغـنـمٍ، إنّ الجـمـيلَ المـغـنم
أنت الـغـنيُّ إذا ظـفـرتَ بـصـاحبٍ
مـنـهمْ وعـنـدكَ لـلـعـواطفِ مِـنـجَم
رفـعـوا لـديـنـهمُ لـواءً عـالـيـاً
ولـهمْ لـواءٌ في الـعـروبـةِ مُـعْـلَم
إنْ حـازَ بـعضُ الـنـاس سـهـماً في الـعُلا
فـلـهم ضـروبٌ لا تُـعـدُّ وأسـهم
لا فـضلَ لي إن رحتُ أعـلنُ فـضـلَـهمْ
بـقـصـائـدي. إنّ الـضّـحى لا يُـكـتم
لـكـنَّـنِي أخـشى مـقـالـةَ قـائلٍ
هـذا الـذي يُـثـني عـلـيـهمْ مـنـهمُ!
أحـبَـابَـنـا مـا أجـملَ الـدنـيـا بـكم!
لا تَـقْـبُحُ الـدنـيـا وفـيـهـا أنـتم!

٥٣ - فلوريدا

[البسيط]

يـا جـنَّـةً قَـبـلَـمَـا حـلّتْ بـهـا قـدمي
أحـبـبـتُـهـا قـصّـةً واشـتَـقتُ راويـهـا
كـانت لـهـا صـورةٌ في الـنَّـفس حـائـرةٌ
مـثلُ الـقـصـيـدةِ لم تُـنـسجْ قـوافـيـهـا
ودِدْتُ لـو أنّـهـا تَـمّتْ فـيُـبـصـرهـا
غـيـري، وتُـسـكِـرُه مـثـلي مـعـانـيـهـا
وكـيـف تَـكْـمُل في ذِهـنـي ولم أرَهـا
ومـا لـصـورتِـهـا شيءٌ يُـحَـاكـيـهـا؟
وأيُّـمـا نـغـمـةٍ أدّى عـذوبـتَـهـا
كلامُ راوٍ ولا شـادٍ يـغـنِّـيـهـا
أأنـشُقُ الـعـطـرَ لم أهـبطْ خـمـائِـلَـهـا؟
وأشـربُ الـسّـحـرَ لم أسـمعْ قَـمـاريـهـا؟[1]
وتـصـعـدُ الـنـفسُ مـنّي لـلـسَّـمـاء ولا
حِـبـالُ نُـورٍ تـدلّتْ من دراريـهـا؟
كـانت سـعـادةُ نـفـسي في تـصـوُّرِهـا
والـنـفسُ يُـسـعِـدُهـا وهْمٌ ويُـشْـقِـيـهـا
بـالـوهمِ تـوجـدُ دنـيـا لا وجـودَ لـهـا
وتـنـطـوي عـنك دنـيـا أنت رائـيـهـا
فـكم ظَـمـئْتُ وفي روحي جـداولُـهـا
وكم رَويتُ وغـيـري في سَـواقِـيـهـا

(١) القُمْري: طير أبيض يشبه الحمام، (والجمع: القماري).

قـد كـنتُ من قـبلُ مـثلَ الـنـاس كـلِّـهمُ
أقـــولُ: إنّ إلهَ الـــكـــونِ بـــاريـــهـــا
حـتى نـظـرتُ إلـيـهـا في جلالـتـهـا
فـصـــار كلٌّ يَـقـيـنـي أنّه فـيـــهـــا!
لـــمّـــا رأيتُ الجـمـــالَ الحقَّ أدركَـنـي
زُهْـدٌ بـكلّ جـمـــالٍ كـان تـمـويـهـا
كـأنّـمـا الحُـورُ مـرّتْ في شـواطـئـهـا
في لـيـلـةٍ طَـفْـلـةٍ[1] رقّتْ حَـواشـيـهـا
فـفي الـرمـالِ سَـنـاءٌ من تـضـاحُـكِـهـا
وفي المـيـــاهِ أريجٌ من أغـــانـــيـــهـــا
أتـيـتُـهـا بـشـبـابٍ ضـاعَ أكـثـرُهُ
وغـيّـبَـتْهُ الـلـيـالي في مـطـاويـهـا
فـاستَـرجَعَ الحبَّ قـلـبي فـهـوَ مُـغـتـبِطٌ
وعـادتِ الـروحُ خـضـراءً أمـانـيـهـا

سـئـلتُ مـا راقَ نـفـسي من مـحـاسِـنـهـا؟
فـقـلتُ لـلـنـاس: بـاديـهـا وخـافـيـهـا
ومـا حـبَـبْتَ من الأشـجـار؟ قـلت لـهم:
إنّي افـتُـتِـنْتُ بـكـاسـيـهـا وعـاريـهـا
ومـــا هـــوِيتَ من الأزهـــارِ؟ قـلتُ لـــهمْ:
الحبُّ عـنـدي لـنـامـيـهـا وذاويـهـا
قـالـوا: ومـا تـتـمـنّى؟ قـلت مـبـتـدراً:
يـا لـيـتـني طـائـرٌ أو زهـرةٌ فـيـهـا
فـــرُبَّ أنـــشـــودةٍ من بـــلـــبلٍ غـــردٍ
حـوَتْ حـكـايـةَ حبٍّ خِـفْتُ أحـكـيـهـا

(١) الرخصة الناعمة.

وربَّ روحٍ كـروحي في بـنـفـسَـجـةٍ
وَسْـنَى، أطـلّتْ عـلى روحي تُـنـاجـيـهـا
وربَّ قـطـرةِ مـاءٍ لا غَـنـاءَ بـهـا[1]
شـاهـدتُ مـصـرعَ دنـيـا في تـلاشِـيـهـا
كلُّ الـذي لاحَ لي في أرضـهـا حَـسَنٌ
وأحـسنُ الـكلِّ في عـيـني أهـالـيـهـا
إلا ذوي الـسِّـحَنِ الـسَّـوداء واعـجـبـاً
أجـنَّـةٌ وذُبـابٌ في نـواحـيـهـا؟
إني لَـيـكـبِتُ روحي أنْ ألاحـظَـهمْ
بمـقـلـةٍ أبـصـرتْ فـيـهـا غـوانـيـهـا
دعِ المـسـاوئ في الـدُّنـيـا فـمـا بـرِحتْ
فـيـهـا مـحـاسنُ تُـنـسـيـنـا مـسـاويـهـا
كم حـاولَ الـلـيلُ أن يـطـوي كـواكـبَهُ
فـكـان يـنـشـرُهـا من حـيثُ يَـطـويـهـا
واذكـرْ أكـارمَ قـومٍ طـابَ عـنـصـرهُمْ
وأشـبـهـوا بـسـجـايـاهم أقـاحـيـهـا
بـني بلادي! وفـيـكمْ من خَـمـائـلِـهـا
جـمـالُـهـا والـتّـسَـامي من روابـيـهـا
تـسـلَّتِ الـنـفسُ عن أحـبـابِـهـا بـكمُ
لـولاكمُ لم يـكنْ شيءٌ يُـسـلِّـيـهـا
أكـرَمْـتُـمُـوني فـشـكـراً غـيـرَ مـنـقـطعٍ
دوامُ شُـكـرِكَ لـلـنَّـعـمـاءِ يُـبـقـيـهـا

✱✱✱✱

(١) لا تفي بشيء.

٥٤ - بين مدّ وجزر

[الكامل]

ألقاها في حفلة تكريم صديقه الشاعر جورج صيدح عندما زار نيويورك.

سـيّـرْتُ في فـجـر الحـيـاةِ سـفـيـنَـتي
واخـتَـرْتُ «قـلـبي» أن يـكـونَ إمـامي
فـجـرَتْ عـلى الأمـواج قـصْـراً من رؤىً
مِلءَ الـفـضـا، ملءَ الـمُـدى الـمُـتـرامي
وأقلَّ مـنـهـا الـبـحـرُ حـين أقـلَّـهـا
دنـيـا من الأضـواء والأنـغـام
ومـشى الخـيـالُ عـلى الحـيـاةِ بـسـحـرِهِ
فـإذا الـهـوى في المـاء والأنـسَـام
وإذا الـرِّمـالُ أزاهـرٌ فـوّاحَـةٌ
والـشَّطُّ هـيـكلُ شـاعـرٍ رسَّـام
وإذا الـعُـبـابُ ملاعِبٌ ومـراقِصٌ
وإذا أنـا من صَـبْـوةٍ لـغَـرَام
أتـلَـقَّفُ الـلـذّاتِ غـيـرَ مُـحَـاذرٍ
وأعُبُّ في الـزلاّت والآثـام
لا أكـتـفي وأخـافُ أنّي أكـتـفي
فـكـأنّـمـا في الإكـتِـفـاء حِـمَـامي
وكـأنّ هَـديي أن تـطـولَ ضـلالـتي
وكـأنّ رِيِّـي أن يـدومَ أُوامِـي[1]

(١) حرّ العطش.

مـرّتْ بيَ الأعـوامُ تـتـلـو بـعـضَـهـا
وأنـــا كـــأنّي لـــستُ في الأعـــوام
كـالـموجِ ضَـحِـكي، كـالـضِّـياء تـرنُّـحِي،
كـالـفـجـرِ زَهْـوي، كـالخِـضمِّ عُـرامي[1]
حـــتى إذا هـــتفَ المـشـــيبُ بـلُـمّـــتِي
ودنتْ يـــــدُ المـــــاحي إلى أحلامي
صـرخَ «الحِجا» بي سـاخِطاً مُـتـهـكمِّاً:
«هـــذا الـــغِـــنَى شـــرٌّ من الإعـــدام»
«أسـلَـمـتَـني لـلـقـلبِ وهـو مُـضـلَّلٌ
فـــأضـــرَّني وأضـــرّكَ اســـتـــسلامي»
«يـا صـاحـبي! أطلـقـني من سـجن الـرؤى
أنـــا تـــائهٌ! أنـــا جـــائعٌ! أنـــا ظـــامي!»
وأرادَ «عـقـلـي» أن يـقـودَ سـفـيـنـتي
لـلـشطِّ في بـحـرِ الحـيـاةِ الـطَّـامي
فـطـويتُ أعلامَ الـهـوى وهـجـرتُـهـا
ونـــســـيتُ حـــتى أنّـــهـــا أعلامي!
وحـسـبتُ آلامي انـتـهت لـمّـا انـتـهى
فـــإذا الـــنِّـــهـــايـــةُ أعـــظمُ الآلام
وإذا الـــطـــريقُ مَـــخَـــاوِفٌ وَوَسَـــاوِسٌ
وإذا أنـــا من هَـــبْـــوَةٍ لـــقَـــتَـــام[2]
أبـغي الـثـراءَ ولم يـكنْ من مـطـلـبي
وأرى الجـمـــالَ بـنـــاظـــرٍ مُـتَـعَـام
وأَشـيـدُ، مـثلَ الـنـاسِ، مـجـداً زائـفـاً
وأشـــدُّ حـــولَ الـــروحِ ثـــوبَ رَغَـــام[3]

---

(١) الشدة والقوة والشراسة.
(٢) الهَبْو والقتام: الغبار المختلط بالغبار.

فـإذا أنـا والأرضُ مِـلـكي والـسَّـمـا،
قـد صـرتُ عـبدَ الـنـاس، عـبـدَ حُـطـامي
فـتـضـايقَ الـقـلبُ الـسَّـجـينُ وقـال لي:
«يـا أيّـهـا الجـاني! قـتـلتَ هُـيَـامي!»
«الـقـفـرُ بـالأحلام روضٌ ضـاحكٌ
فـإذا تلاشتْ فـالـريـاضُ مَـوامي»[1]
«أين الـعـيـونُ تُـذيـبُـني حـركـاتُـهـا
وتـمـوتُ في سـكَـنـاتِـهـا آلامي»
«وأُطلّ من أهـدابـهـا الـسَّـكْـرى عـلى
ظِلٍّ، وأنـداءٍ، وزهـرٍ نـام»
«لـمّـا عـصـاني أن أشُبَّ ضـرامَـهـا
أعـيـا عـلـيـهـا أن تـشُبَّ ضـرامي»
«الخـمـرُ ملءُ الجـامِ لـكن قـد مـضى
شـوقي إلى الخـمـرِ الـتي في الجـام»
«أسـلَـمَـتْـني «لـلـعـقلِ» وهـو مُـضـلِّلٌ
فـأضـرّني وأضـرّكَ اسـتـسلامي»
«انـظـرْ، ألـستَ تـراكَ في أوهـامِه
أشـقى وأتـعسَ مـنك في أوهـامي»
«المـالُ! من ذا يـشـتـريه كـلَّهُ
مـنّي بـلـيلِ صَـبـابـةٍ وغـرام؟»
«يـا صـاحبي أطـلـقـني من سـجن الـنُهى
أنـا تـائهٌ! أنـا جـائعٌ! أنـا ظـامي»

(١) المومـاة: الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس.

لا تسألوني اليومَ عن قيثارتي
قيثارتي خشبٌ بلا أنغام!
يا شاعراً غنَّى فردَّ ليَ الصِّبا
فإذا مواكبُهُ تسيرُ أمامي
إنّا التقينا في الشبابِ وفي الهوى
في حَوْمَتَيْنِ ـ الشِّعرِ والإلهام
وسنلتقي وإن افترقنا في غَدٍ
في حُبِّ لبنانٍ وحُبّ الشَّام
وستلتَقِي روحي وروحُك بعدما
تفنَى الهياكلُ في الإلهِ السَّامي
أهلاً بذي الأدبِ الصُّراحِ المصطفى
بالفاتحِ الروحيِّ بالمِقدام
بالشاعرِ الغرِّيدِ في ألحانه
عَبَقُ الربيعِ ونَضْرةُ الأكْمَام
هو إنْ ذكرتَ الشِّعرَ من أُمرائه
وإذا ذكرتَ المجدَ فهوَ عِصَامي

✱✱✱✱

٥٥ - مستشفى تل شيحا

[الوافر]

أنشدها في مهرجان أقامته لجنة المستشفى في مدينة دترويت.

أبـــاعِـــثَـــةَ المـــطـــايـــا مِن حـــديـــدٍ
كـأسـرابِ الـقَـطـا لـلـعـالَـمـيـنـا
ركـــائبُ في فِـــجـــاجِ الأرض تَـــســـري
تُـــقِلُّ الـــذاهـــبـــينَ الآيـــبـــيـــنـــا
تـــقصُّ عـــلى المـــدائن والـــقـــرايـــا[1]
حـكـايـةَ قـومِكِ المـسْـتَـنـبِـطـيـنـا
وكـــيف الـــعـــقلُ يُـــخـــلَقُ من زَرِيٍّ
مَـــهـــينٍ، لا زريَّ ولا مَـــهـــيـــنـــا
ويـــنـــفخُ في الجـمـــادِ قُـوىً وحـسّـاً
فـيـركضُ تـارةً ويـطـيـرُ حـيـنـا
ويـهـتِفُ بـالـقـصـائـدِ والأغـاني
وقـد ذَهبَ الـرَّدى بـالمـنـشِـديـنـا
لـقـد حَـسـدتْكِ أمّ الـفَنِّ «رومـا»
كـمـا حَـسَـدتكِ ضَـرَّتُـهـا «أثـيـنـا»
فـمـجـدكِ فـوق مـجـدهـمَـا علاءً
وحُـسـنكِ فـوق حـسـنِـهـمـا فُـتـونـا
نـزلْـنـا في حِـمَـاكَ فـقـرِّبـيـنـا
وبـارَكْـنَـا ثـراكِ فـبَـارِكِـيـنـا
فـمـا لـطَـمـاعَـةٍ[2] بـنـضـارِ «فـوردٍ»

---

(١) تجمع القرية في معاجم اللغة، على: قرىً.
(٢) الأصل في المعجم: طماعية.

وفضَّته إليكِ اليومَ جينا
فما هوَ في سَماحته «كمعنٍ»[1]
ولستْ نُوقُه للذَّابِحينا
ولكنْ فيكِ إخوانٌ هَوِينا
لأجلهمُ جميعَ السَّاكنينا
أحبُّونا كأنّهمُ ذوونا
وأنسَونا بلُطفهمُ ذوينا
وعَاهدناهمُ إذْ عاهَدونا
فلم ننكُثْ ولا نكَثُوا يمينا
إذا غَضِبوا على الدنيا غَضِبْنا
وإنْ يرضوا على الدنيا رضينا
دعاهمْ للعُلا والخيرِ داعٍ
من «الوادي» فلبَّوا أجمعينا
أيخذُلُ «جارةَ الوادي» بنوها؟
معاذَ الله! هذا لن يكونا
فما لاقيتُ «زحْليّاً»[2] جباناً
ولا لاقيتُ «زحْليّاً» ضَنِينا
تأمَّلْ كيف أضحى «تلُّ شيحا»
يُحاكي في الجلالةِ «طُورَ سينا»
فعَنْ هذا تحدَّرتِ الوَصايا
وفي هذا وجَدْنا المُحْسِنينا
على جنباتِه وعلى ذُراهُ
جمالٌ يبهَرُ المتأمِّلِينا
فلم أرَ مثلَهُ للخير دنيا

(١) معن بن زائدة أحد كرماء العرب في التاريخ.
(٢) نسبة إلى زحلة في لبنان.

ولم أر مـــثـــلَه فـــتـــحـــاً مـــبـــيـــنـــا
فـــيـــا أشْـــبـــالَ «لـــبـــنـــانَ» الْـــمُـــفـــدّى
ويـــا إخـــوانَـــنـــا وبـــني أبـــيـــنـــا
تـــرنّحَ عـــصـــرُكمْ فـــخـــراً وهـــشَّتْ
لـــصـــنـــعـــكمُ عِـــظـــامُ المـــائِـــتِـــيـــنـــا
تـــبـــارى الـــنـــاسُ في طـــلب المـــعـــالي
فـــكـــنـــتمْ في المجـــال الـــسَّـــابـــقـــيـــنـــا
بـــنَى الأهـــرامَ «فـــرعـــونٌ» فـــدامتْ
لـــتـــخـــبـــرَ كـــيف كـــان الـــظَّـــالمـــونـــا
وكم أشـــقى الجُـــمـــوعَ الـــفـــردُ مـــنـــهمْ
وكم طَـــمسَ الألـــوفَ لـــكي يَـــبِـــيـــنـــا
وشِـــدْتمْ مـــعـــهـــداً في «تلّ شـــيـــحـــا»
ســـيـــبـــقى مـــلـــجـــأً لـــلـــبـــائِـــســـيـــنـــا
يُـــطلّ الـــفـــجـــرُ مُـــبـــتَـــســـمـــاً عـــلـــيه
ويـــرجعُ مـــطـــمـــئـــنّـــاً مُـــسْـــتـــكِـــيـــنـــا
ويمـــــضي يملأُ الـــــوادي ثـــــنـــــاءً
عـــلـــيـــكمْ والأبـــاطحَ والحُـــزونـــا
أرى غَـــيْـــثَـــيْنِ يـــســـتـــبـــقـــان جُـــوداً
هـــمـــا مـــطـــرُ الـــسَّـــمـــا والـــغـــائِـــثـــونـــا
لـــئنْ حَـــجبَ الـــغـــمـــامُ الـــشَّـــمسَ عـــنّـــا
فـــلـــم يـــطـــمِسْ ضـــيـــاءَ الـــلـــهِ فـــيـــنـــا
ولم يـــســـتـــرْ ســـبـــيلَ الخـــيـــرِ عـــنـــكمْ
ولم يُـــقْـــبِضْ أكفَّ الـــبـــاذلـــيـــنـــا
وجـــدتُ المـــرءَ حبُّ الخـــيـــرِ فـــيه
فـــإنْ يـــفـــقـــدْه صـــار المـــرءُ طـــيـــنـــا
تَـــكـــمّشَ في الحـــقـــول الـــشـــوكُ بُـــخلاً

فـذلَّ وعـاش مُـكْـتـئِـبـاً حـزيـنـا
وأسـنى[1] الـوردُ، إذ أعـطى شَـذاهُ،
مـكـانـتَهُ، فـكن في الـواهِـبـيـنـا
سـألتُ الـشِّـعـرَ أن يُـثـني عـلـيـكمْ
فـقـالتْ لي الـقـوافي: قـد عَـيِـيـنـا
سـيـجـزيـهمْ عن الـبـؤسـاءِ ربٌّ
يـكـافئُ بـالجـمـيلِ الـمُـحـسـنـيـنـا

✱✱✱✱

(١) أسنى الورد مكانته: رفعها (أسناه: رفعه).

٥٦ - أفاتحة أم ختام

[السريع]

قالها في رثاء الأسقف عمانوئيل أبو حطب

مـــا وعظَ الإنـســـانَ مـــثلُ الحـــمَـــامْ
فـلـيـتَّـعظْ بـالـصَّـمتِ أهلُ الـكلامْ
أفـــصحُ من كلّ فـــصـــيحٍ بـــنـــا
هـــذا الـــذي أعـــيـــاهُ ردُّ الـــسَّلام
إنّي أراهُ وهـــــوَ في صـــــمْـــــتِه
أروعَ من جـــيشٍ كـــبـــيـــرٍ لُـــهـــام[1]
نـــامتْ جـــفـــونٌ سَـــهـــرتْ لـــلـــعُلا
من قَـبلِ أن يـنـجـابَ جـنحُ الـظلامْ
وسَـــكنَ الـــوثّـــابُ في صـــدرِه
من قَـــبْلِ أن يُـــدركَ كلَّ المـــرام
يـــا لـــهـــفـــةَ الـــقـــومِ عـــلى كـــوكبٍ
لاحَ قـــلـــيلاً واخـــتـــفَى في الـــغَـــمَـــام
ولـــهـــفـــةَ الـــدِّينِ عـــلى ســـيّـــدٍ
كـــان يُـــرجَّى في الخـــطـــوب الجِـــسـامْ
وصـــاحبٍ قـــد كـــان في صَـــحْـــبِه
كـــالـــروضِ فـــيه أرَجٌ[2] وابـــتـــســـام
مـــا غـــابَ عـــنّـــا وكـــأنّي به
يـــفـــصِـــلُهُ عن صَـــحْـــبِهِ ألفُ عـــام!

---

(١) الجيش الكثير، كأنه يلتهم كل شيء.
(٢) انتشار فوح الطيب (أرج - يأرج).

مَن الـــذي يُـــطـــفـئُ من بـــعـــدِه
في الـــمُـــهجِ الحَـــرَّى ذكيَّ الـــضِّـــرام؟
مَن الـــــذي يمـــــسحُ دمعَ الأسى
ومـــاسحُ الأدمعِ تحت الـــرَّغـــام؟[1]
يـا نـائـمـاً مُـسـتـغـرِقـاً في الـكَـرَى
خـطـبُكَ قـد أقـلـقَ حـتى الـنـيـام!
خـــبِّـــرْ فـــإنّ الـــقـــومَ في حَـــيـــرةٍ
هل الـــردى فـــاتحـــةٌ أم خِـــتـــام؟
وهل صـــحـــيحٌ أنّ كلّ الـــمُـــنى
يطحَنُها صَرفُ[2] الردى كالعظام؟
وهل حـــقـــيقٌ أنّ أهلَ الـــعُلا
والفضلِ بعد الموتِ مثلُ الطَّغَام؟[3]
أم بـــعـــد هـــذا يـــقـــظـــةٌ حـــلـــوةٌ
يَنْسى بها المرءُ الشَّقا والسَّقام؟
ويـــصـــبحُ الـــنَّـــابِهُ في مـــأمنٍ
من عـــنَتِ المـــال وعَـــيْثِ الحُـــســـام؟
وتـــســـتـــوي الحـــالاتُ في حـــالـــةٍ
لاحـيْفَ فـيـهـا، لا أذىً، لا انْـتِـقـامْ؟
خـــبِّـــرْ، وحـــدِّثْ، كـــلّـــنـــا حـــائـــرٌ
ذو الجـــهلِ مـــنّـــا والأَرِيْبُ الـــهُـــمَـــامْ

---

(١) التراب.
(٢) صرف الدهر: نوائبه.
(٣) أوغاد الناس.

لأيِّـــمَـــا أمـــرٍ يـــعـــيشُ الـــورَى؟
لأيِّـــمَـــا أمـــرٍ يمـــوت الأنـــام؟
وأين دارٌ لـــيس فـــيـــهـــا شَـــقَـــا
إن لم تـــكنْ هـــاتـــيكَ دارَ الـــسَّلامْ؟
نم آمـــنـــاً، فـــالمـــرءُ بـــعـــد الـــردى
كـــالـــفـــكـــرِ، لا يُـــزرَى به، لا يُـــضَـــامْ

✱✱✱✱

٥٧ - الأسطورة الأزليّة

[السريع]

توطئة:

كـــان زمـــانٌ لم يـــزلْ كـــائـــنـــاً
وحـــالـــةٌ مـــا بـــرحَتْ بـــاقِـــيَهْ
مَلَّ بـــنـــو الإنـــســـانِ أطـــوارَهُم
وبـــرَمـــوا بـــالـــسُّـــقمِ والـــعـــافـــيَه
فـاسـتَـصـرخُـوا خـالـقَـهمْ واشـتَـهَـوا
لـــو أنه كـــوَّنَـــهمْ ثـــانـــيه
وبـــلـــغتْ أصـــواتُـــهمْ عَـــرشَهُ
في لـــيـــلـــةٍ مُـــقـــمِـــرَةٍ صـــافـــيَه
فـــقـــال إنّي فـــاعلٌ مـــا اشـــتَـــهـــوا
لـــعلّ فـــيه حِـــكـــمَـــةً خـــافِـــيه
وشـــاهـــدوهُ هـــابـــطـــاً منَ عَلٍ
فـاحـتـشَـدوا في الـسَّـهلِ والـرابـيَه
من الـقـرى الـقـانـعَـةِ الـطـاويهْ
والمـــدُنِ الجـــامـــحـــةِ الـــغـــاديه
تـــألّـــبُـــوا من كلّ صَـــوبٍ كـــمـــا
تجـتَـمعُ الأمـطـارُ في الـسَّـاقِـيَه
يُـسـابقُ الـصُّـعـلـوكُ ربَّ الـغـنَى
والأبـلَهُ الـبَـاقـعَـةَ[1] الـداهـيهْ
ويـدفَعُ الـشَّـيخُ الْـتَـوَى عـودُهُ
وصـار مـثلَ الـرِّمَّـةِ الـبـالـيَه

(١) الداهية.

فـتىً مـضى الـفـجـرُ ولـمّـا تـزلْ
روعَـــتُه في وجـــهِهِ بـــاقـــيه
وتَـزحَمُ الحـســنـاءُ ممـكـورةً[1]
خلاّبـةً كـالـروضـةِ الحَـالـيَه
دَمـيـمَـةٌ تُـشـبهُ في قُـبـحِـهـا
مـديـنـةً مـهـجـورةً عـافـيَه[2]
فـصـاحَ ربُّ الـعـرشِ: مـا خـطـبُـكُمْ
مـا بـالُـكُمْ صَـرَخـاتُـكُمْ عـالـيه؟
هل أصـبـحَتْ أرضـكُمُ عـاقـراً؟
أم غَـارَتِ الأنجمُ في هَـاويَه؟
أم أقـلـعَ المـاءُ فلا جـدولٌ؟
ومـاتتِ الـطَّـيـرُ فلا شـاديه؟
أم فـقـدَتْ أعـيـنُـكمْ نـورَهـا؟
أم غـشـيَتْ أرواحَـكمْ غـاشـيَه؟
أين الـهـوى؟ إنْ لم يـكنْ قـد قـضَى
فـكُلُّ جُـرحٍ واجِـدٌ آسِـيَه[3]

الفتى

قـال الـفـتى: يـا رَبِّ إنّ الـصِّـبَـا
مـصـدَرُ أحـزاني وآلامي
ألـبَـسـتَـنـيهِ مُـونِـقـاً بـعـدمـا
أبـلاهُ أخـوالي وأعـمـامي

(١) المستديرة الخصر، المحفوفة.
(٢) عفا الرسم: زال وامّحى.
(٣) الآسي: الطبيب.

وصـــار، في مـــذهَـــبِـــهمْ، عـــصـــرُهُ
فـــــــتـــــــرَةَ زلاّتٍ وآثـــــــام
فـــاخـــتـــلـــفَتْ حـــالي وحـــالاتُـــهمْ
كـــأنّـــني في غـــيـــرِ أقـــوامي
وصِـــرتُ كـــالجـــدولِ في فَـــدْفَـــدٍ[1]
أو شـــاعـــرٍ مـــا بـــين أصـــنـــام
والأخـــضـــرِ الـــمُـــورقِ في يـــابسٍ
أو مـــثلِ صـــاحٍ بـــين نُـــوَّام
دنـــيـــاهُمُ دنـــيـــايَ لـــكـــنّـــمـــا
أعلامُـــهمْ لـــيـــستْ كـــأعلامي
عـــنـــدَهمُ الـــرَّوضـــةُ أشـــجـــارُهـــا
والـــروضُ عـــنـــدي الـــزَّهَـــرُ الـــنَّـــامي
والـــطَـــيـــرُ لحمٌ ودمٌ عـــنـــدَهمْ
ولـــيس عـــنـــدي غـــيـــرُ أنـــغـــام
سُـــكـــرِي بـــهـــا أو بـــالـــنَّـــدى والـــشَّـــذا
وســـكْـــرُهُمْ بـــالخـــمـــر في الجَـــام
يـــســـخَـــرُ قـــلـــبي بـــلـــيـــالـــيـــهمُ
ويـــســـخـــرُ الـــدَّهـــرُ بـــأيّـــامي
كـــأنّـــني جـــئتُ لِـــتَـــبـــكـــيـــتِـــهمْ
كـــــأنّـــــهمْ جـــــاءوا لإيـــلامـــي
عبءٌ عـــلـــى نـــفـــسيَ هـــذا الـــصِّـــبـــا
ألجـــائشُ المـــســـتـــوفِـــزُ الـــطَّـــامي
يـــزرعُ حـــولِي زَهَـــراتِ الـــمُـــنى
وشَـــوكُـــهـــا في قـــلـــبيَ الـــدّامي

(١) الفدفد: المفازة الواسعة.

فـــــانٍ لـه فـي كلِّ فـــــانٍ هـــــوىً
فـــانٍ، ولا يـــنـــجُـــو مِنَ الـــذَّام
خُـــذهُ، وخـــذْ قـــلـــبي وأحلامَهُ
فـــإنّـــني أشـــقَى بـــأحلامي
ومُـــرْ يَـمُـــرُّ الـدهـــرُ في لحـــظـةٍ
كـــالـــطـيفِ أو كـــالـــبـرقِ قُـدَّامي
وازرعْ نجـــومَ الـــشَّـــيبِ في لِـــمَّـــتى
فـــيـــنـــجـــليْ حِـــنـــدِسُ أوهـــامي
فَـــأُبـــصِـــرُ الحِـــكـــمـــةَ في ضـــوئه
إني إلـــيـــهـــا جـــائعٌ ظـــامي

الشيخ

وجـــاء شـــيخٌ حـــائـــرٌ واجِفٌ
مُـشـتَـعلُ الـلِّـمَّـةِ بـالي الإهـابْ
كـــأنَّـــمـــا زلـــزلـــةٌ تحـــتَهُ
لمـــا به من رَعْـــشـــةٍ واضْـــطِـــراب
فـصـاحَ: يـا ربَّـاهُ! خُـذ حِـكـمَـتي
واردُدْ عـلى عـبـدِكَ عـصْـرَ الـشَّـبـاب
إنَّ أمـــانـي الـــرُّوحِ أزهـــارُهـــا
وإن روحي الـيـومَ قَـفـرٌ يَـبَـاب
لا جـــدولٌ لا بـــلـــبلٌ مُـــنـــشِـــدٌ
بـلى، بـهـا الـوحـشـةُ والإكـتِـئـاب
تـــلك الأمـــانيُّ عـــلى كِـــذْبـــهـــا
لم تـــكن الـــلـــذَّةُ فـــيـــهـــا كِـــذَاب
زالتْ ومـــازلتُ ، وإنَّ الـــشَّـــقـــا
أن تُـطـمَسَ الآيُ ويـبـقي الـكـتـاب

وتُسلَبُ السَّرْحَةُ أوراقَها
ولم تزلْ أعراقُها في التُّراب
كنتُ غنياً في زمان الصِّبا
وكنتُ صِفْرَ الكَفِّ صِفْرَ الوِطَاب[1]
صحوتُ من جَهلي فأبصرتُني
كأنني سفينةٌ في العُبَاب
قيل لها: في البحر كلُّ المُنى
فلم تجدْ في البحر إلا الضَّباب
نأتْ عن الشَّطِّ ولم تقتربْ
شبراً من السرِّ الذي في الحِجاب
ولو تُرَجَّى أوبةٌ لاشتَفَتْ
لكنَّما عزَّ عليها الإياب
مُرْ تقفِ الأيامُ عن سيرِها
فإنّها تركضُ مثلَ السَّحاب
وضَعْ أمامي، لا ورائي، المُنى
وطوِّلِ الدربَ وزِدْ في الصِّعاب
ما لذّتي بالماء أُروى به
بل لذّتي في العَدْوِ خلفَ السَّراب

الحسناء

وقالتِ الحَسْناءُ: يا خالِقي!
وهبتَني الحُسنَ فأشقَيتَني
وجهي سنيٌّ مُشرِقٌ إنّما
مَرْعى عيونِ الخَلْقِ وجهي السَّني

(١) الوطاب: آنية اللبن (سقاؤه).

حَـــظِّيَ مـــنه حظُّ وَردِ الـــرُّبـــا
من عـطـرِه الـفـوّاحِ والـسَّـوسَنِ
ومـثلِ حظِّ الـسَّـرْوِ في فـيـئِه
والـطَّـيـرِ من تـغـريـدهـا الـمُـتـقَن
ومـثلِ حظّ الـنـجمِ من نـوره
في الحِـنـدِس الـمُـعـتـكِـرِ الأدْجَن
لـلـقـائلِ الـفيءُ، ولـلـسـامعِ الـتْـ
ـتَـغْـريـدُ، والـزهـرةُ لـلـمُـجـتـني
والـنـورُ لـلـمـدلجِ والمجـتَـلي
والـدرُّ لـلـقـانصِ والـمُـقـتَـنِي
كم ريِـبَـةٍ دبّتْ إلى مَـضـجَـعي،
وتـهـمـةٍ حـامتْ عـلى مـسـكـني
كـأنّـمـا لا أدبُ ممـكنٌ
مع الجَـمـالِ الـرائـعِ المـمـكن
إن عـشـقَتْ نـفـسي فـويلٌ لـهـا
والـويلُ لي إنْ رَجُلٌ حـبَّـني
الـسّمُّ والـشـوكُ وجـمـرُ الـغَـضَـا
أهـونُ من كـاشِـحـةِ الألـسُن
كم تـقـتَـفِـيـني نـظـراتُ الخَـنـا
ويـلـيَ من خـائـنـةِ الأعـين
لـم يـبقَ في روحـيَ مِن مـوضعٍ
يـا ربُّ لم يُـخـدَشْ ولم يُـطـعَن
إنّ الـغِـنَى في الـوجهِ لي آفَـةٌ
يـا لـيـتـني دمـيـمـةٌ لـيـتـني!

الجارية

وســـكـــتَتْ، فـــصـــاحتِ الجـــاريهْ
بـــاكـــيـــةً من بُـــؤســـهـــا شـــاكـــيهْ
ذنـــبي إلى هـــذا الـــورى خِـــلْـــقَـــتي
فـــهلْ أنـــا المجـــرِمـــةُ الجَـــانـــيه؟
إن أخـــطـــأ الخـــزّافُ في جَـــبْـــلِهِ الـــطْ
ـــطِـــيْنَ فـــأيُّ الـــذنبِ لـــلآنـــيه؟
ألـــيس مَن يَـــســـخـــرُ بي يَـــزدَري
بـــالـــقـــوّةِ الـــمُـــوجـــدَةِ الـــبَـــاريه؟
لـــو كـــنتُ حـــســـنـــاءَ بـــلـــغتُ الـــعُلا
فـــلـــلـــجـــمـــالِ الـــرتْـــبَـــةُ الـــعـــالـــيه
وبـــــاتَ من أَســـــجُـــــدُ قـــــدّامَهُ
صـــاغـــرةً يَـــســـجـــدُ قـــدَّامِـــيَه
فـــــــإنّـــــــنـــي فـي مـلأٍ ظـــــالـمٍ
أحـــكـــامُهُ جـــائـــرةٌ قـــاســـيه
لـــيس لـــذاتِ الـــقُـــبحِ مِن غـــافـــرٍ
وفـــيه مَن يـــغـــفِـــرُ لـــلـــزانـــيه
نـــفـــسيَ جُـــزءٌ مـــنك يـــا خـــالِـــقي
وإنـــهـــا عـــاقـــلـــةٌ راقـــيه
ألـــيس ظُـــلـــمـــاً، وهْيَ بـــنتُ الـــعُلا،
إن تكُ بـــالـــقُـــبحِ إذنْ كـــاسِـــيه
فـــلـــيـــكُنِ الحُـــسْنُ رداءً لـــهـــا
تـــرفُلْ به أو فـــلـــتَـــكُنْ عَـــاريه

الفقير

وأقــبلَ الــصُّــعــلــوكَ مُــسـتَــرحِــمــاً
في مُــقــلَــتَــيهِ شــبحُ الــيــأسِ
يــصــرُخُ: يــا رَبّــاهُ حــتى مــتى
تُــحَــكِّمُ المــوسِــرَ في نــفــسي؟
وتــضــعُ الــتــاجَ عــلى رأسِه
وتــضــعُ الــشَّــوكَ عــلى رأسي؟
ويــشــربُ الــلَّــذاتِ من كــأسِه
وأشــربُ الــغــصَّــاتِ من كــأسي
وتَــتَــجــلَّى الــشُّــهبُ في لــيــلِه
ضــاحــكــةً كــالــغــيــدِ في عُــرس
ويــتــوارى في نــهــاري الــسَّــنــا
أو يــتــبَــدّى حَــانقَ الــشَّــمس
يــا ربِّ لا تــنــقــلْهُ عن أُنْــسِه
وإنّــمــا انــقُــلــني إلى الأُنس
فــإن تَــشَــأْ ألا يــذوقَ الــهــنــا
قــلــبي، فــجَــرّدْني من الحِسِّ
لــو لم يــكن غــيــريَ في غِــبــطــةٍ
مــا شــعَــرَتْ روحيَ بــالــبــؤسِ

الغني

وقــال ذو الــثــروةِ: مــا أشــتَــهي
لا أشــتَــهي أنّــيَ ذو ثــروةِ
أنــفــقتُ أيّــاميْ عــلى جــمــعِــهــا
وخِــلــتُــني أدركتُ أمــنــيّــتي

فاستَعبَدتْني في زمان الصِّبا
وأوقرَتْ بالهمّ شيخُوخَتِي
قد ملَكتْني قبلَما حُزتُها
وملَكتْني وهيَ في حَوزَتي
كنحلةٍ أمسكَها شَهدُها
من الجناحينِ فَلمْ تُفلَتِ
حسبتُها تُكسِبُني قوّةً
فافترَسَتْ قوّتُها قوّتي
جَنَتْ على نفسي وأحلامِها
جنايةَ الشَّوكِ على الوردَة
ينمو فَتَذوي فهيَ عُلّيقَةٌ
يحذَرُها الطَّائفُ بالرَّوضة
مَن قائلٌ عنّي لمن خَالَني
أمرَحُ من دنيايَ في جَنّة
لا تَنظُرِ الأضواءَ في حُجرَتي
وانظُرْ إلى الظلماء في مُهجَتِي
ولا يَغُرَّنّك قَصري فما
قَصْري سوى سِجنٍ لحريّتي
إنّي في القصر الرفيع الذُّرا
كطائرٍ، في قفصٍ، مَيِّت
كم في عبابِ البحر من سابحٍ
قد ماتَ ظمآناً إلى قَطرَةِ
موتُ الطَّوى شَرٌّ، ولكنّما
أفظعُ منه الموتُ بالتُّخْمَة
كم من فقيرٍ مرّ بي ضاحكاً
كأنّما يسخرُ من كُربتي

رأيـــــتُهُ بـــــالأمسِ من كُـــــوَّتي
فـــخِـــلـــتُـــني أنـــظـــرُ من هُـــوَّةِ
وكـــنتُ كـــالحـــوت رأى مـــوجـــةً
ضـــاحـــكـــةً تـــرقصُ كـــالـــطِّـــفـــلـــة
أو حـــيّـــةً تـــدبّ في مَـــنـــجـــمٍ
تـــرنـــو إلى فَـــرَاشـــةٍ حُـــرّة
قـــد اخـــتـــفتْ ذاتيَ في بُـــردتي
فـــمـــا يـــرى الخَـــلقُ سِـــوى بُـــردَتي
فـــهمْ إذا مـــا ســـلَّـــمـــوا ســـلّـــمـــوا
عـــلى خـــيـــوط الـــبُـــردِ والجُـــبّـــة
ربّـــاهُ أطـــلقْ من عـــقـــالِ الـــغِـــنى
رُوحي، فـــإنّي مـــنه في مِـــحـــنـــة!
وانـــزعْ معَ الـــديـــنـــارِ من قـــبـــضـــتي
صَلابـــةَ الـــدِّيـــنـــارِ من سِـــحْـــنَـــتي
وحَـــــوّلِ المـــــالَ إلى راحـــــةٍ
وحـــوّلِ الـــقـــصـــرَ إلى خـــيـــمـــة

الأبلَه

وصـــرخَ الأبْـــلَهُ مـــســـتـــفـــسِـــراً:
مـا الـقـصـدُ من خَلْـقي كذا مـا الـمُرادْ؟
ألم يـــكنْ يـــكـــمُلُ هـــذا الـــورى
إلاّ إذا أوجَـــدتَـــني في فـــسَـــاد؟
لي صـــورةُ الـــنـــاسِ وحـــاجَـــاتـــهمْ
من مـــطـــعَمٍ أو مـــشـــرَبٍ أو رُقَـــاد
لـــكنّ لُـــبِّي غـــيـــرُ ألـــبـــابِـــهمْ
فـــإنّه مُـــكـــتـــنَفٌ بـــالـــسَّـــواد

يُـــعـــجـــزني إدراكُ مـــا أدركـــوا
كـــأنّ عـــقـــلي فَـــحـــمـــةٌ أو رَمـــاد
إن كـــنتُ «إنـــســـانًـــا» فـــلـمْ يـــا تـــرى
لـــستُ بـــإدراكي كـــبـــاقي الـــعِـــبـــاد؟
أو لم أكن مـــنـــهم فَـــمُـــرني أكن
جـــرادةً أو أرنـــبـــاً أو جَـــواد
فـــالـــنِّـــدُّ لا يـــعـــدَمُ مِن نِـــدِّه
ذريـــعـــةً لـــلـــسِّـــلم أو لـــلـــجـــهـــاد
لا تـــســـخَـــرُ الـــنـــمـــلـــةُ من نملـــةٍ
ولـــيس يُـــزري بـــالـــقُـــرادِ الـــقُـــراد[1]
أم أنت كـــالحـــقل عـــلى رغـــمِه
يـــنـــمـــو مع الحـــنـــطـــةِ فـــيه الـــقَـــتَـــاد؟

الأريب

وجـــاء بـــعـــد الأبـــله الـــمُـــســـتـــريبْ
الألـــمـــعيُّ الـــعـــبـــقـــريُّ الـــلـــبـــيبْ
فـــقـــال: إنّي تـــائـــهٌ حـــائـــرٌ
أنـــا غـــريبٌ في مـــكـــانٍ غـــريب
أبـــحثُ عن نـــفـــسي فلا اهـــتـــدي
ولـــيس يَـــهـــديـــني إلـــيـــهـــا أَريب
أنـــا عـــلـــيمٌ حـــيثُ لا عـــالِمٌ
أنـــا لـــبـــيبٌ عـــنـــد غَـــيـــرِ الـــلـــبـــيب
لـــو أنّـــني كـــنتُ بلا فـــطـــنـــةٍ
سِـــرتُ ولم تـــكـــثُـــرْ أمـــامي الـــدُّروب
وكـــان عـــقـــلي كـــعـــقـــول الـــورَى
وكـــان قـــلـــبي مـــثلَ بـــاقي الـــقُـــلـــوب

(١) دُوَيِّبَة تعض الإبل.

وصـــار عـــنـــدي كـــالـــنُّـــجـــومِ الـــورَى
فـلا عـــــدوٌّ فـــيـــــهمُ أو حـــــبـــــيب
ولم أجـــدْ في ضِـــحْـــكِـــهمْ والـــبُـــكَـــا
شـيـئـاً سِـوى الـضِـحْك وإلا الـنَّـحـيب
ولـم أســـائلْ كـــوكـــبـــاً طـــالِـــعـــاً:
مـــــا لكَ تـــبـــدو ولـــــاذا تَـــغِـــيب
ولـم أقفْ في الـــرَّوضِ عـنـــد الـضَّـــحى
يُـــذهِـــلُـــني لـــونٌ وشـــكلٌ وطِـــيب
ولـم أقلْ مـــــا كـــنتَ من قـــبـــلَـــمـــا
كـــنتَ ولا مـــا في سِـــجلّ الـــغُـــيـــوب
مـــا الـــعـــقلُ يـــا ربُّ ســـوى مـــحـــنـــة
لـــولاهُ لم تُـــكـــتَبْ عـــليَّ الـــذنـــوب

الخاتمة

لمّـــا وعى الـــلـــه شـــكـــايـــا الـــورى
قـــال لـــهم: كـونـوا كـمـا تـشـتـهـونْ
فـاسـتـبـشـرَ الـشـيـخُ، وسُـرّ الـفـتى
والـكـاعبُ الحـسـنـاءُ، والحَـيْـزبـون
لـــكـــنّـــهم لمّـــا اضـــمـــحلّ الـــدُّجى
لم يـــجـــدوا غـــيـــر الـــذي كـــانـــا!

☆☆☆☆☆

هُمْ حـدّدوا الـقـبحَ فـكـان الجـمـالْ
وعـــرّفـــوا الخـــيـــر فـــكـــان الـــصلاحْ
ولـــيس من نـــقصٍ ولا من كـــمـــالْ
فـالـشَّـوكُ في الـتـحـقـيق مـثلُ الأَقـاح
وذَرّة الـــرمل كـــكلّ الجـــبـــالْ
وكـــالـــذي عـــزَّ الـــذي هـــانـــا!

✱✱✱✱

المحتوى

الديوان الرابع (الخمائل)

١ – المدخل ٦٦٩

٢ – الشاعر والملك الجائر ٦٧١

٣ – الدمعة الخرساء ٦٧٨

٤ – الفيلسوف المجنح ٦٨٣

٥ – ماء وطين ٦٨٦

٦ – الإبريق ٦٨٨

٧ – أمنية إلهة ٦٩٠

٨ – ليل الأشواق ٦٩٤

٩ – عش للجمال ٦٩٧

١٠ – وقائلة ٦٩٩

١١ – موميات ٧٠٢

١٢– هدايا العيد ٧٠٧

١٣– الفراشة المحتضرة ٧٠٩

١٤ – ابتسم ٧١٣

١٥ – لو أستطيع ٧١٥

١٦- يا نفس ٧١٦
١٧ - الكنار الصامت ٧١٩
١٨ - لم يبق غير الكأس ٧٢٠
١٩ - رأي الأكثرية ٧٢٥
٢٠ - كتابي ٧٢٦
٢١ - كن بلسماً ٧٣٠
٢٢ - الخمر والدنيا ٧٣٣
٢٣ - لمّا ٧٣٥
٢٤ - تأملات ٧٣٦
٢٥ - شاعر الشهور ٧٤٠
٢٦ - الكأس الباقية ٧٤٣
٢٧ - الشجاع ٧٤٥
٢٨ - أبي ٧٤٦
٢٩ - ذكرى ٧٥٠
٣٠ - يا جنتي ٧٥٢
٣١ - الشاعر في السماء ٧٥٣
٣٢ - كلوا واشربوا ٧٥٧
٣٣ - حديث موجة ٧٦٠

٣٤ – ابسمي ٧٦٣
٣٥ – مجاهد ٧٦٤
٣٦ – الكريم ٧٦٩
٣٧ – عبد ٧٧٠
٣٨ – لبنان ٧٧١
٣٩ – أنت والكأس ٧٧٤
٤٠ – الشباب والحب ٧٨٠
٤١ – الغابة المفقودة ٧٨٢
٤٢ – أبو غازي ٧٨٦
٤٣ – فلسطين ٧٩٠
٤٤ – الغبطة فكرة ٧٩٣
٤٥ – الفتى الأفضل ٧٩٥
٤٦ – من أنا ٧٩٦
٤٧ – كمنجة الشَّوا ٧٩٩
٤٨ – إذا ٨٠٢
٤٩ – شبح ٨٠٣
٥٠ – أنا وابني ٨٠٧
٥١ – عبد الله البستاني ٨٠٩

٥٢ – كم تشتكي ٨١٤

٥٣– فلوريدا ٨١٧

٥٤ – بين مدّ وجزر ٨٢٠

٥٥ – مستشفى تل شيحا ٨٢٤

٥٦ – أفاتحة أم ختام ٨٢٨

٥٧ – الأسطورة الأزلية ٨٣١

– المحتوى ٨٤٣

✷✷✷✷

الديوان الخامس

(تبر وتراب)

الطبعة الأولى (دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٠).

يضم تسعة وخمسين نصاً شعرياً، جمعها الشاعر المهجري جورج صيدح، صديق أبي ماضي، من المجلات والصحف التي نُشرت فيها، وكثير منها يتكون من أبياتٍ قليلة، أُلحقت بدواوين الشاعر الأربعة، وكوّنت ديوانه الخامس ـ الأخير. وما تبقى من شعر الشاعر، خارج هذه الدواوين الخمسة، ألحقناه بها، بعد أن وُثِّقتْ مصادره .

****

١ - وطن النجوم

[مجزوء الكامل]

وطنَ الـنُّـجـومِ.. أنـا هـنـا حـدِّقْ.. أتـذكـرُ من أنـا؟
ألَمَـحتَ في المـاضي الـبـعـيـدِ فـتىً غـريـراً أرعَـنـا؟
جَـذلانَ يمـرحُ في حـقـولِكَ كـالـنَّـسـيمِ مُـدَنْـدِنـا
الـمُـقـتـنى المـمـلـوكُ مـلـعـبُهُ وغـيـرُ المـقْـتَـنَى!
يـتـسـلَّقُ الأشـجـارَ لا ضـجَـراً يُـحسُّ ولا ونَى
ويـعـودُ بـالأغـصـانِ يَـبـريـهـا سـيـوفـاً أو قَـنـا
ويـخـوضُ في وَحْلِ الـشِّـتـا مُـتـهـلِّلاً مُـتَـيـمِّـنـا
لا يـتـقـي شـرّ الـعـيـونِ ولا يـخـافُ الألـسُـنـا
ولـكَمْ تـشـيـطنَ كي يـقـولَ الـنـاسُ عـنه: « تَـشَـيْـطـنـا »
أنـا ذلك الـولـدُ الـذي دنـيـاهُ كـانت هـهـنـا!
أنـا مِن مـيـاهِكَ قـطـرةٌ فـاضتْ جـداولَ من سَـنـا[1]
أنـا مِن تُـرابك ذرّةٌ مـاجتْ مـواكبَ من مُـنـى
أنـا مِن طـيـورِكَ بُـلـبلٌ غـنّى بمـجـدِكَ فـاغْـتـنَى
حـملَ الـطلاقـةَ والـبـشـاشـةَ من ربـوعِكَ لـلـدُّنـا
كم عـانـقتْ روحي رُبـاك وصـفّـقَتْ في المـنـحـنى؟
للأرزِ يـهـزأُ بـالـريـاحِ وبـالـدُّهـورِ وبـالـفَـنَـا
لـلـبـحـرِ يـنـشـرُه بـنـوكَ حـضـارةً وتـمـدُّنـا
لـلـيلِ فـيكَ مُـصـلِّـيَـاً لـلـصـبح فـيك مُـؤذّنـا
لـلـشـمسِ تُـبـطئُ في وداعِ ذُراكَ كـيلا تحَـزَنـا

---

(١) النور.

لـلـبـدرِ فـي نـيـسـانَ يـكـحَلُ بـالـضِّـيـاء الأعـيُـنـا
فـيـذوبُ فـي حَـدَقِ المـهـا سِـحْـراً لـطـيـفـاً لـيّـنـا
لـلـحـقل يـرتجلُ الـروائـعَ زنـبـقـاً أو سَـوسـنـا
لـلـعُـشبِ يـرتجلُ الـنَّـدى لـلـغـصنِ أثـقـلَهُ الجَـنى
عـاشَ الجـمـالَ مـشـرّداً في الأرض يـنـشـدُ مَـسْـكـنـا
حـتى انـكَـشَـفتَ له فـألـقى رحـلَهُ وتـوطّـنـا
واسـتـعـرضَ الـفنُّ الجـبـالَ فـكـنتَ أنت الأحْـسَـنـا
لـلـه سـرٌّ فـيكَ يـا لـبـنـانُ لم يُـعـلِنْ لـنـا
خـلق الـنـجـومَ وخـافَ أن تُـغـوِي الـعـقـولَ وتـفـتِـنـا
فـأعـارَ أرزكَ مـجـدَه وجلالَهُ كي نـؤمِـنـا
زعـمـوا سَـلَـوتُكَ.. لـيـتَـهُمْ نـسَـبـوا إليّ الـمُـمـكـنـا
فـالمـرءُ قـد يـنـسى الـمُـسيءَ المـفـتَـرِي والمحـسِـنـا
والخـمـرَ والحـسـنـاءَ والـوتـرَ المـرنَّحَ والـغِـنَـا
ومـرارةَ الـفـقـر الـمُـذلّ بـلى، ولـذّاتِ الـغِـنى
لـكـنّه مـهـمـا سَلا هـيـهـاتَ يـسـلـو المـوطِـنـا

✱✱✱✱

٢ - تحية الشام

[الكامل]

حيّ الشـآم مُـهـنَّـداً وكـتـابـا
والـغـوطـةَ الخـضـراءَ والمحْـرَابـا
لـيـستْ قِـبـاباً مـا رأيتُ وإنمـا
عـزمٌ تـمـرَّدَ فـاسـتـطـالَ قِـبَـابـا
فـالـثُمْ بـروحِكَ أرضَـهـا تـلـثمْ عـصُـو
راً لـلـعُلا سـكـنتْ حـصىً وتـرابـا
واهـبِطْ عـلى بَـرَدى يُـصـفِّق ضَـاحـكـاً
يـسـتـعـطفُ الـتـلـعَـاتِ[1] والأعـشـابـا
روحٌ أطلّ من الـسَّـمـاء عـشـيَّـةً
فـرأى الجـمـالَ هـنـا فـحنَّ فـذابـا
وصَـفَـا وشَفَّ فـأوشـكَتْ ضِـفّـاتُهُ
تـنـسـابُ مِن وَجْـدٍ به مُـنـسَـابـا
بل أدمعٌ حـورُ الجـنـانِ ذَرفْـنَـهـا
شـوقـاً، ولم تـمـلكْ لـهُنَّ إيـابـا
بـردى! ذكـرتُكَ لـلـعَـطَـاشى فـارتـوَوا
وبـني الـنُّـهى[2] فـتـرشَّـفُـوك رُضَـابـا
مـرَّتْ بك الأدهـارُ لم تـخـبُثْ ولم
تَـفـسـد، وكم خَـبُثَ الـزمـانُ وطـابـا

☆☆☆☆☆

(١) التلْعة: ما ارتفع أو انخفض من الأرض (من الأضداد).
(٢) النهية: العقل (والجمع: نهى).

بـــأبي وأمي في الـــعَـــراءِ مـــوسَّـــدٌ
بـعَثَ الحـيـاةَ مـطـامـعـاً ورِغـابـا
لـــمّـــا ثَـوَى في مـيـسـلـونَ تـرنّـحتْ
هـضـبـاتُـهـا وتـنـفَّـستْ أطـيـابـا
وأتى الـنـجـومَ حـديـثُهُ فـتـهـافـتتْ
لـتـقـومَ حـرّاســاً له حُـجَّـابـا
مـا كـان يـوسفُ واحـداً بل مـوكبٌ
لـلـنـورِ غـلـغلَ في الـشّـمـوسِ فَـغَـابـا
هـذا الـذي اشـتـاقَ الـكـرى تحت الـثَّـرى
كي لا يـــرى في جـــلَّـقَ الأغْـــرَابـــا
وإذا نـبَـا الـعـيشُ الـكـريمُ بمـاجـدٍ
حُـــرٍّ رأى المـــوتَ الـــكـــريمَ صَـــوابـــا
إنـي لأُزهَى بـــالـــفـــتى وأُحـــبُّهُ
يـهـوى الحـيـاةَ مـشـقّـةً وصِـعـابـا
ويـضـوعُ عـطـراً كـلـمـا شَـدّ الأسى
بـيـديه، يـعـرُكُ قـلـبَهُ الـوثَّـابـا
ويـســيل مُـاءً إنْ حـواهُ فَـدْفـدٌ[1]
وإذا طـواهُ الـلـيلُ شعّ شِـهـابـا
وإذا الـعـواصفُ حـجّـبتْ وجهَ الـسَّـمـا
جَـدَلَ الـعـواصفَ لـلـسَّـمـا أسـبـابـا
وإذا تـقـوَّض صـرحُ آمـالٍ بـنَى
أملاً جـديـداً من رجـاءٍ خـابـا
فـابْـنُ الـكـواكبِ كلُّ أفقٍ أفـقُه
وابنُ الـضَّـراغمِ لـيس يَـعْـدِمُ غـابـا

(١) الفلاة لا شيء فيها.

عـجـبـاً لـقـومي والـعـدوُّ بـبـابـهمْ
كـيف اسـتـطـابـوا الـلـهـوَ والألـعـابـا؟
وتـخـاذلتْ أسـيـافُـهُمْ عن سَـحـقِه
في حـينَ كـان الـنـصـرُ مـنـهمْ قَـابـا[1]
تـركـوا الحـسـامَ إلى الـكلام تـعـلُّلاً
يـا سـيفُ لـيـتك مَـا وجَـدْتَ قِـرابـا!
دنـيـاكَ يـا وطنَ الـعُـروبـةِ غـابـةٌ
حَـشـدتْ عـلـيك أرَاقِـمَـاً[2] وذئـابـا
فـالـبسْ لـهـا مـاءَ الحـديـد مَـطـارِفَـاً
واجـعلْ لـسـانَك مِـخـلـبـاً أو نـابـا
لا شَـرْعْ في الـغـابـاتِ إلا شـرعُـهـا
فَـدَعِ الـكلامَ شـكـايـةً وعِـتـابـا
هـذي هـي الـدنـيـا الـتي أحـبـبـتَـهَـا
وسـقـيتَ غـيـرَك حُـبَّـهـا أكـوابـا
وضـحـكتَ مـعْ أحلامِـهـا وبـكـيتَ في
آلامـهـا، وجـرَعتَ مـعـهـا الـصَّـابـا[3]
وأضـلَّ روحكَ في الـسُّـرى وأضـلَّـهـا
مـا خِـلْـتَه مـاءً فـكـان سَـرَبـا
ونـظـرتَ، والأوصـابُ تـنـهشُ قـلـبَـهَـا
فـرأيت كلَّ لـذاذةٍ أوصـابـا[4]
شـاءَ الـظّـلـومُ خـرابَـهَـا فـإذا الـورى
لا يُـبـصـرونَ سـوى نُـهـاهُ خَـرَابـا

(١) قريباً (قاب الرجل: قرُب).
(٢) الأرقم من الحيات: ما فيه بياض وسواد.
(٣) عصارة شجر مرّ.
(٤) الوصب: المرض.

دنـيـا تـألَّقَ أمـسُـهَـا في يـومـهـا
فـاسـتـجـمعَ الأنـسـابَ والأحـسَـابـا
وسـرى سـنـاءُ الـوحيِ من آفـاقِـهَـا
يـغـشى الـعـصـورَ ويـغـمـرُ الأحـقـابـا
الحقُّ مـا رَفـعتْ به جـدرانَـهـا
والخـيـرُ مـا زانتْ به الأبـوابـا
فـاسـتـنـطقِ الـتَّـاريخَ هل في سِـفْـرِهِ
مـجـدٌ يُـضَـاهي مـجـدَهـا الخلاَّبـا؟
شـابتْ حـضـاراتٌ، ودالتْ وانـطـوتْ
أممٌ، ومـجـدُ أمـيّـةٍ مـا شَـابـا
الأمسُ كـان لـهـا وإنّ لـهـا غـداً
تـتـلـفَّتُ الـدنـيـا له إعـجـابـا
غَـنـيّتَ من قـبلُ الـمُـحُـولـة والـعَـرَا
أفلا تـغـني الـروضـةَ الـمِـخْـصَـابـا؟[1]
عَـطَـفتْ لـيـالـيَـهَـا عـلـيكَ بـشـاشـةً
فـانسَ الـلـيـالي غُـرْبـةً وعـذَابـا
وانـشـرْ جـنـاحَك فـالـفـضـاءُ مـنـوِّرٌ
واملأْ كـؤوسَك قـد وجَـدْتَ شَـرابـا
فَـلِـشَـدْوِ مـثـلِكَ كُـوِّنتْ، ولمـثـلـهـا
خـلَقَ الإلهُ الـبُـلـبلَ الـمِـطْـرابـا

لـيت الـرِّيـاضَ تُـعِـيـرُني ألـوانَـهـا
لأصُـوغَ مـنـهـا لـلـرئـيس خِـطـابـا

(١) المُحُولة: الجدْب، وانقطاع المطر ويبوسة الأرض.

وأقــولَ: إني عــاجــزٌ عن شــكــرِهِ
عــجْــزَ الأنــاملِ أن تَــلُمّ عُــبَــابــا
أشـكـو إلى نـفـسـي الـعَـيـاءَ، فـتـشـتـكي
مـثـلي، وتـصـمُتُ لا تَـحـيـرُ جَـوابـا
فـلـقـد رأيتُ الـبـحـرَ حـينَ رأيـتُهُ
فـوقـفتُ مـضـطـربَ الـرؤى هـيَّـابـا
أعـمـيـدَ سـوريّـا وكـاشفَ ضُـرَّهـا
خَـلـقتْ يـداك من الـشـيـوخ شَـبـابـا
وبلابلٌ كـانت تَـئِنُّ سـجـيـنـةً
أطـلـقـتَـهـا وأطَـرْتـهـا أسـرابـا
يـا صـاحبَ الخُـلُق المـصـفّى كـالـنَّـدى!
لـو لم تـكنْ بـشَـراً لـكـنتَ سَـحَـابـا
أمَلُ الـشـبـيـبـةِ في يـديكَ وديـعـةٌ
فـارفـعْ لـهـا الأخلاقَ والآدابـا
فـالجـهلُ، أنّى كـان، فـهـو عـقـوبـةٌ
والـعـلْمُ، أنّى كـان، كـانَ ثَـوابـا
يـا ويحَ نـفـسي كم تـطـاردُني الـنَّـوى
وتـهـدُّ مـني الـقـلبَ والأعـصَـابـا
ودَّعْتُ خـلفَ الـبـحـرِ أمسِ أحـبـةً
وغـداً أودِّعُ هـا هـنـا أحـبـابـا

✱✱✱✱

٣ - الشاعر والكأس

[مجزوء الخفيف]

بـــاتَ، والـــكـــأسُ في الـــظلامْ،
فـي حـــــــــديـثٍ، ولا كـلامْ
هـي في صـــمـــتِـــهـــا تـــضيءْ
وهـــوَ في صـــمـــتِه يُـــضـــام
شـــاعـــرٌ أنـــفقَ الـــصِّـــبـــا
مـن غـــــــرامٍ إلـى غـــــــرام
ذاهـلُ الـــنَّـــفسِ بـــالـــرؤى
عـن حُـــطـــامٍ وذي حُـــطَـــام
وعَـنِ الـــفـــقـــرِ والـــغـــنى
وعـن الحـــــربِ والـــــسَّلام
بـــالـــشـــفـــاهِ الـــتي طـــفـــا
بـــين أهـــدابِـــهَـــا الأُوام[1]
بـــالـــغـــواني تُـــطـــيـــعُهُ
والـــغـــواني لـــهـــا احـــتـــكـــام
بـــالـــشَّـــذا وهْـــوَ فـــائحٌ
والـــشَّـــذا وهـــوَ بـــالـــكِـــمَـــام[2]
بـــالـــسَّـــحـــابِ الـــذي يَـــسُـــحْ
ـحُ وبـــالخـــادعِ الجَـــهَـــام[3]

---

(١) حرارة العطش.
(٢) الكمّ: وعاء الطلع وغطاء النَوْر، في الزهر.
(٣) السحاب لا ماء فيه.

بـــــالأغـــــاريـــــد والـــــبَلا
لِ والـــــنَّـــــورِ والخُـــــزام
حـــــولَـهُ الـــــكـــــونُ فـي وغـىً
وهْـــــوَ والـــــكـــــونُ فـي وِئـــــام

☆☆☆☆☆

مـــــــا لـهُ الآنَ وحـــــــدَهُ
ســـاكنُ الـــعِـــرْقِ كـــالـــنِّـــيـــام
ســـــاهـــــرٌ غـــــيـــــرَ أنـه
خـــــادِرُ الـــــروحِ والـــــعِـــــظَـــــام
صـــــامتٌ مـــــثلُ كُـــــتْـــــبِه
وكَـــــدنـــــيـــــا بـلا أنَـــــام
أتُـــــرى عـــــضَّهُ الـــــطَّـــــوى؟
لا! فـــــفـي بـــــيـــــتِه طـــــعـــــام
لـم تـــــــزلْ كـــــــأسُهُ لـــــــدَيْ
ـه وفـي كـــــــأسِـه مُـــــــدَام
ولَـهُ تـــــضـــــحكُ الـــــبُـــــرو
قُ وُ يـــبـــكي الحَـــيـــا الـــسِّـــجَـــام[1]
ولَـهُ تـــــرتـــــعي الـــــكـــــوا
كِبُ فـي مـــــســـــرحِ الـــــظلام
ولـهُ تـــــلـــــبَس الـــــرُّبَـــــا
بُـــــرُدَ الـــــنُّـــــورِ والـــــغَـــــمَـــــام
ولـه يُـــــعـــــبَقُ الـــــشَّـــــذا
ولـه تُـــــعْـــــصـــــرُ الـــــمُـــــدام

(١) الحيا: المطر والخصب. وسجم سجاماً: سال.

ولـه يـــــلـــــمـعُ الـــــنَّـــــدى
ولـه يَـــــسـجَـعُ الحَـــمَـــام
ولـه الـــــغـــــادةُ المـــلـــــيْ
ـــحَـــةُ والـــفـــارسُ الـــهُـــمَـــام
كـــلُّـــهـــا. كـــلُّـــهـــا لـه
وعـــــلـى غـــيـــــرِه حَـــرام
وهـــــوَ ســـــاهٍ كـــأنَّـــمـــا
بـــــسِـــــواهـــــا لـه مَـــرام
وجـــــهُـهُ غـــيـــــرُ وجـــــهِهِ!
أمْ عـــــلـى وجـــــهِهِ لِـــثَـــام
كـــالـــتـــمـــاثـــيلِ حـــولَهُ
مِـن نُـــحـــاسٍ ومـن رُخـــام
لا اكـــتـــئـــابٌ ولا رِضـــاً
لا بـــكـــاءٌ ولا ابـــتـــســـام
لـــيـــلـــةٌ مـــا أمَـــرّهـــا
لـــيـــلـــةُ الـــيـــأسِ ألفُ عـــام
بـــقـــيَ الحُـــسْـنُ إنَّـــمـــا
مـــاتَ في الـــشَّـــاعـــرِ الـــهُـــيـــام
فـــإذا الـــكـــونُ عـــنـــده
جَـــدَثٌ كـــلُّـــه رِمـــام[1]

✱✱✱✱

(١) الرمّة: القطعة البالية من الحبل، والجمع رُمم ورِمام.

٤ - موكب التراب

[الكامل]

في يوم من أيام الصيف الشديدة الحر كان الشاعر جالساً مع بعض أصحاب له، أمام داره، فهبت ريح شديدة أثارت الغبار وعقدته في الفضاء كالسرادق. وكان في مشهد الغبار ما حمله على التفكير فنظم القصيدة التالية :

مِن أين جِئتَ؟ وكيف عُجْتَ ببابي؟
يا موكبَ الأجيالِ والأحقابِ
أمِنَ القبورِ؟ فكيف مَن حَلّوا بها؟
أهناك ذو ألَمٍ وذو تَرْحابِ؟
ولهم صَبابةُ لنا؟ أم غودروا
في بَلْقَعٍ ما فيه غيرُ خَرابِ؟

أمررتَ بالأعشاب في تلك الرُّبا
وذكرتَ أنك كنتَ في الأعشابِ
حَوْل الصخورِ النائمات على الثَّرى
وعلى حواشي الجدول المُنسابِ
وعلامَ تصعدُ كالسَّحابةِ في الفضا
وإلى التراب مصيرُ كلَّ سَحابِ؟
لما طلعتَ على الشّعاع موزَّعاً
مُتَرجرجاً كخواطرِ المُرتابِ
وذهبتَ في عَرْض الفضاء كخيمةٍ
رُفعَتْ بلا عَمَدٍ ولا أَطنابِ[1]

---

(١) الطنُب: حبل الخباء.

قال الصِّحابُ ليَ : استترْ، وتراكضوا
للذُّعر يعتصِمونَ بالأبواب
وَهَبِ اتَّقيتُكَ بالحِجاب فإنَّني
لابدَّ خالعهُ وأنت حِجابي!
كم سارحٍ في غابةٍ عند الضُّحى
جاء المساءُ فكان بعضَ الغاب!
ومصفِّقٍ للخمرِ في أكوابه
طرباً، وطيفُ الموتِ في الأكواب
أنا لو رأيتُ بك القَذَى، محضَ القذَى،
لسترتُ وجهي عنك مثلَ صِحَابي
لكنْ شهِدتُ شبيبةً وكهولةً
ومنىً، وأحلاماً بغيرِ حساب
والشاربينَ بكلِّ كأسٍ، والأُلَى
عاشواً على ظَمَأٍ لكلِّ شراب
والضاربينَ بكلِّ سيفٍ في الوَغى
والخانعينَ لكلِّ ذي قِرْضاب[1]
والصارفينَ العمرَ في سُوقِ الهوى
والصَّارفينَ العمرَ في المِحْراب
والغيدَ بين جميلةٍ ودَميمَةٍ
والعاشِقينَ : الصبَّ والمُتَصابي
والعبدَ في أغلاله وحبابه
والمَلْكَ في الديباجِ والأطْيَاب
آبوا جميعاً في طريقٍ واحدٍ
الخاسرُ المَسبيُّ مثلُ السَّابي

(١) آلة القرْض، وهو القطع.

فضحكتُ من حرصي على مُلْكِ الصِّبا
وعجبتُ كيف مضَى عليه شبابي
ووقعتَ أنت على ترابٍ ضاحكٍ
لمّا وقعتَ عليّ في جِلْبابي
وكذاك أشواقُ التراب: مآلها
ولئن تقادمَ عهدُهَا، لِتُراب

✷✷✷✷

٥ ـ أين عصر الصبا

[السريع]

مـــا لي ومـــا لِـــلـــرشَـــأ الأغْـــيَـــدِ
خـــــلتْ من الحُبِّ ومـــــنه يـــــدي
نَـــأى فـــمـــا في قـــربه مـــطـــمعٌ
لا تَـــصِلُ الـــكفُّ إلى الـــفَـــرْقَـــد
قـطّـعتُ بـالـيـأسِ خـيـوطَ الـمُـنى
وقـلت لـلـسُّـلـوانِ : لا تـبـعُـد
وصـــرتُ لا يُـــطـــربـــني مُـــنـــشـــد
ولا أنـــا أصـــبـــو إلى مُـــنـــشِـــد
أسـيـرُ في الـروضـةِ عـنـد الـضُّـحى
حـيـرانَ كـالـمُـدلِجِ في فَـدْفَـد[1]
أمـــــــامـيَ المـــــــاءُ ولا أرتـــــــوي
وحـــولِـيَ الـــنُّـــورُ ولا أهـــتـــدي
يـا لـيت شِـعْـري: أين عـهـدُ الـصِّـبـا؟
وأين أحـلامُ الـــفـــتـــى الأمـــرد؟
ولّـى وولّتْ كـــخـــيـــال الـــكـــرى
يـــلـــوحُ في الـــذِّهـنِ ولم يُـــوجـــد
فـيـا قـلـوبَ الـكـاشـحـينَ اسـكُـني
ويـا عـيـونَ الحـاسـديـنَ ارقُـدي

---

(١) المفازة الواسعة لا شيء فيها.

ويـــا شِـــيـــاهـــاً تـــتـــقي صَـــولـــتي
قـــلَّـــمتُ أظـــفـــاريَ فـــاسْـــتـــأسِـــدي!

يـــا ســـائـــلي عن أمسِ: كـــيف انـــقـــضى؟
دَعْـهُ، وسَـــــلْـــــنِي يـــــا أخي عن غـــــدِ
أروَحَ لـــلـــنـــفسِ وأهْـــنَـــا لـــهـــا
إن تحـــــسِبِ المـــــاضيَ لم يُـــــولـــــد

✱✱✱✱

٦ - الصّيف

[الرّمل]

عــادَ للأرضِ مع الــصــيف صِـبَـاهــا
فــهْيَ كــالخَـوْدِ[١] الــتي تــمَّتْ حُلاهــا
صُــوَرٌ من خُــضْــرةٍ في نَــضــرةٍ
مــا رآهــا أحــدٌ إلا اشْــتَــهــاهــا
ذَهَبُ الــشَّــمسِ عــلى آفــاقِــهَــا
وســوادُ الــلــيل مِــسْكٌ في ثَــراهــا
ونــســيمُ الــفــجــرِ في أشــجــارهــا
وشْــوَشَـاتٌ يُـطـرِبُ الــنــهــرَ صَـداهـا
والــسَّــواقي فِــتَنٌ راقــصــةٌ
ضِـحْـكُـهـا شـدوٌ وتـهـلـيلٌ بُـكَـاهـا
والأقــاحي صُــوَرٌ خـلابــةٌ
وأغـاني الــطـيـرِ شِـعْـرٌ لا يُـضَـاهى
إنــهــا الجــنــةُ فــاعــجبْ لامــرئٍ
هــوَ فــيــهــا وقــلــيلاً مــا يَــراهــا
أيــهــا الــمُــعــرِضُ عن أزهــارِهَــا
لكَ، لــو تــعــلَمُ يــا هــذا، شَــذاهــا
أيــهــا الــنــائمُ عن أَنجُــمِــهَــا
خــلَقَ الــلهُ لِــعــيــنــيْكَ سَــنــاهــا
أيــهــا الــكــابحُ عن لــذّاتِــهــا

(١) الحسناء الشابة.

نـفـسَهُ، هـيـهـاتَ لن تُـعـطى سِـواهـا
لا تُـــؤجِّلْ لـــغـــدٍ لـــيس غـــدُ
غـيـــرَ يـومٍ كـالـذي ضـــاعَ وتـــاهـــا
وإذا لم تُـبـصِـرِ الـنـفسُ الـمُـنى
في الـضّـحَى كـيف تَـراهـا في مَـسَـاهـا
هــذه الجــنــةُ فَــاسْــرحْ في رُبــاهــا
واشـهـدِ الـسِّـحـر زهـوراً ومِـيـاهـا
واســتــمعْ لــلــشِّــعـر من بُـلـبـلِـهـا
فـهْـوَ الـشّـعـرُ الـذي لـيس يُـضَـاهى

☆☆☆☆☆☆

مـا أُحـيـلى الـصـيفَ! مـا أكـرمَهُ!
ملأ الـدنـيـا رَخـاءً[1] ورَفَـاهـا
عـنـدمـا ردَّ إلى الأرض الـصِّـبـا
ردّ أحلامي الـتي الـدهـرُ طـواهـا
كـنت أشـكـو مـثـلـمـا تـشـكـو الـضَّـنى
فـشَـفَـى آلامَ نـفـسـي وشَـفَـاهـا

✱✱✱✱

(١) سعة الحال.

٧ - الغد لنا

[الطويل]

تَـبـدَّل قـلـبي من ضـلالَـتِه رُشْـدا
فـلا أرَبٌ فـيـه لـهـنـدٍ ولا سُـعْـدَى
ولم تَـخْبُ نـارُ الـوجْـدِ فـيه ولا انـطـوتْ
ولـكن هُـيـامي صـار بـالأنـفعِ الأجْـدى
ومـا الـزُّهـدُ في شيءٍ سـوى حبِّ غـيـرِه
أشَـدُّ الـورى نُـسْـكـاً أشـدُّهـمُ وَجْـدا
أَحبَّ سـوايَ الـعـيشَ لـهـواً وراحـةً
وأنـكـرته لـهـواً فـأحـبـبـتُه كَـدّا
ومـا دام في الـدنـيـا سُـمـوٌ ورِفـعـةٌ
فـمـا أنـا من يَـرضَى ويـقـنعُ بـالأَرْدا

☆☆☆☆☆

هـوَ المـوُت أن نـحـيـا شِـيـاهـاً وديـعـةً
وقـد صـار كلُّ الـنـاسِ مِن حـولـنـا أُسـدا
وأن نـكـتـفي بـالأرض نَـسـرحُ فـوقـهـا
وقـد مـلـكوا من فـوقـنـا الـبـرْقَ والـرَّعـدا
وأن يـنـشـروا في كلِّ أُفْقٍ بُـنـودَهُم[1]
وألا نـرى فـوق الـسِّـمـاك[2] لـنـا بَـنْـدا

☆☆☆☆☆

(١) الرايات.
(٢) أحد النجمين النيّرين في السماء.

تـأملتُ مـاضـيـنـا المجيـدَ الـذي انـقـضى
فــزَلــزلَ نــفــسـي أنه انــهــارَ وانْــهَــدّا
وكـيف امّـحتْ تـلك الحـضـاراتُ كـلُّـهـا
وصـارتْ بلادٌ أنـبـتَـتْـهَـا لـهـا لَـحْـدا
وصِـرْنـا عـلى الـدنـيـا عِـيـالاً وطـالمـا
تـعـلّم مـنـا أهـلُـهَـا الـبـذْلَ والـرِّفـدا
ونــحن الألى كــان الحــريــرُ بُــرودَهُمْ
عـلى حـينَ كـان الـنـاسُ مَـلـبـسُـهمْ جِـلـدا

إذا الأمسُ لم يــرجِعْ فــإنَّ لــنــا غــداً
نُـضـيء به الـدنـيـا ونمـلـؤهـا حَـمْـدا
وتُـلـبِـسُـنـا في الـلـيل آفـاقُهُ سَـنـاً[1]
وتَـنـشـرنـا في الـفـجـر أنـسـامُهُ نَـدّا
فـإنَّ نـفـوسَ الـعُـرْبِ كـالـشُّـهبِ، تـنـطوي
وتَـخـفى، ولـكن لـيس تَـبـلَى ولا تَـصْـدا
ومــثلُ الــلآلي لا يــخـيسُ جـمـالُـهـا
وإنْ هي لم تُـرْصَفْ ولم تَـنـتـظِم عِـقْـدا
إذا اخـتَـلـفتْ رأيـاً فـمـا اخـتـلَـفتْ هـوىً،
أَوِ افـتـرقتْ سَـعْـيـاً فـمـا افـتـرقتْ قَـصْـدا

✱✱✱✱

(١) النور.

٨ - قنبلة الفناء

[المتقارب]

إذا سَحقتْ أرضَنا القُنبُلَهْ
كما يسحقُ الحجرُ الخَرْدَلَهْ
وقوَّضَ مفعولُها الراسياتِ
فصارتْ غُباراً له جَلْجَله
ودَبّ الفنا في ذواتِ الجَناحِ
وغَلْغَل في النَّبْتِ فاسْتأصَله
وفي الماشياتِ وفي الزاحفات
عليها، إلى آخر السِّلسله
فلا زَهْرَ يأرَجُ[1] في روضةٍ
ولا ديكَ يَصدحُ في مَزْبله
وضاعَ الزمانُ ومقياسُهُ
وأشبَهَ آخرُه أوَّلَه
ولم يبق حيٌ على سطحها
وأصبح عِزريلُ لا شُغلَ لهْ
فذلكَ خطبٌ يهولُ النُّفوسَ
تصورُه قبل أن تَحمله
ولكنّ أمراً يعزّي الجميع
إذا سَحَقت أرضَنا القنبله
فلنْ يدعَ الموتُ حيَّاً يلوم
سِواه على هذه المَقْتله!

****

(١) أرج الطيب: فاح (أرَج - يأرِج).

٩ ـ تلك السنون

[الكامل]

في حفلة اليوبيل الفضي لجريدة «السمير»

تـلك الـسـنـونَ الـغـاربـاتُ ورائي
سِـفْـرٌ كـتـبتُ حـروفَهُ بـدمـائي
مـا عـشـتُـهـا لأَعُـدَّهـا، بل عِـشـتُـهـا
لـتـبـينَ في سـيـمَـائـهـا سِـيـمَـائي
سَـيَّـانِ، لـو أني قـنِـعتُ بِـعـدِّهـا،
عـمـري وعـمـرُ الـصـخـرةِ الـصَّـمّـاءِ
ولَـبَـذَّني يـومَ الـتَّـفـاخـرِ شـاطئٌ
مـا فـيه غـيـرُ رمـالِهِ الخـرسـاء
لاحتْ ليَ الـعـلـيـاءُ في آفـاقِـهَـا
فَـأَردْتُـهـا دربـاً إلى الـعـلـيـاء
ومـحـبـةً لـلـخـيـرِ تَـسـري في دمي
ورعـايـةً لـلـضَّـعفِ والـضُّـعـفـاء
وعـبـادةً لـلـحق أين وجـدتُهُ
والحـسنِ في الأحـيـاء والأشـيـاء
لـتـدورَ بـعـدي قـصـةٌ عن شـاعـرٍ
رقـصَتْ به الـدنـيـا جـنـاحَ ضـيـاء
نَـشَـرَ الـطـيـوبَ عـلى دروبِ حـيـاتهِ
وسَـرَى هـوىً في الـطـيب والأَنْـداء
وأطلَّ من قـلب الـبـخـيلِ سـمـاحـةً
وشـجـاعـةً في الـسَّـلْم والـهـيـجـاء

ومــشى إلى المــظــلــوم بــارقَ رحــمــةٍ
وهـــوى عـــلى الـــظُّلاّمِ سَـــوْطَ بلاء
فــتــعِــزّ ُدنــيــا قــد طــوتْ آبــائي
وتــهَشُّ دنــيــا أطــلــعتْ أبــنــائي

☆☆☆☆☆

تـلك الـسـنـونَ بـبـؤسِـهـا ونـعـيـمِـهَـا
مــالتْ بــعــودي وانــطــوتْ بــرُوائي[1]
أيـن الـــشَّـــبـــابُ ألُفُّ أحـلامي به
لـــيس الـــشَّـــبـــابُ الآن لي بِـــرداء
نــفــسي تُــحسُّ كــأنمــا أثــقــالُــهــا
قــد خُــيّــرتْ فــتــخــيّــرتْ أعــضــائي
كم من رؤىً طــلــعتْ عــلى جــنَــبَــاتِــهــا
رَكْـــبـــاً مـن الأضـــواء والأشـــذاء
قــلَّــبتُ فــيــهــا، بَــعْــدَ لْــأيٍ، نــاظــري
فــتَــعــثَّــرتْ عــيــنــاي بــالأشلاء
يــا لَــلــضــحــايــا، لا يــرِفُّ لمــوتــهــا
جــفنٌ، ولا تُــحــصَى مع الــشــهــداء
ودَّعتُ لــذّاتِ الخــيــال وعِــفْــتُــهــا
ورضِــيتُ أن أشــقى مع الحُــكــمــاء
فــعــرفتُ مــثــلــهمُ بــأني مُــوجِــدٌ
بــؤسي، وأني خــالقٌ نَــعْــمــائي

☆☆☆☆☆

إني أراني بــعــد مــا كــابــدتُهُ
كــالــفُــلْكِ خــارجــةً من الأنْــواء

---

(١) الرُّواء: حسن المنظر.

وكـــسـائحٍ بـلـغَ المـديـنـةَ بـعـدمـا
ضلَّ الـطـريق وتـاه في الـبَـيـداء
شـكـراً لأصـحـابي فـلـولا حـبُّـهمْ
لـم اقـتـربْ من عـالَم اللألاء
بـهمُ اقـتـحمتُ الـعـاصـفـاتِ بمـركـبي
وبـهمْ عـقـدتُ عـلى الـنـجـوم لـوائي

☆☆☆☆☆

شـكـراً لأعـدائي فـلـولا عَـيْـثُـهمْ
لـم أدر انـهمُ من الـغَـوغَـاء
نـهشَ الأسى لمـا ضـحـكتُ قـلـوبَـهمْ
عِـرْسُ المحـبـةِ مـأتمُ الـبـغـضـاء
ذنـبي إلى الحُـسّـادِ أني فُـتُّـهم
وتـركـتـهمْ يـتـعَـثْـرونَ ورائي
وخـطـيـئـتي الـكـبـرى إلـيـهم أنـهم
قَـعَـدوا ولم أقـعـدْ عـلى الـغَـبْـراء[1]
عـفـوَ المـروءةِ والـرجـولـةِ، إنـني
أخـطـأتُ حـين حـسِـبـتُـهمْ نُـظَـرائي

☆☆☆☆☆

شـكـراً لـكلِّ فـتًى مـزجتُ بـروحهِ
روحـي، فـطـابَ ولاؤُهُ وولائـي
من كـان يـحـلُم بـالـسـمـاء فـإنـني
في قـلـب إنـسـانٍ وجـدتُ سـمـائي
لـيس الجـمـالُ هـو الجَـمـالَ بـذاته
الحُـسنُ يـوجـدُ حـين يـوجـدُ راءِ

---

(١) الأرض.

مـا الـكـونُ؟ مـا في الـكـونِ لـولا آدمٌ
إلا هَـبـاءٌ عـالقٌ بَـهـبـاء
وأبـو الـبَـريَّـةِ مـا أبـانَ وجـودَهُ
وأتمّ غـايـتَهُ سِـوى حـوَّاء
إني سـكـبتُ الخـمـرَ حـين سـكـبـتُـهَـا
لـلـنـاس، لا لـلأنجُمِ الـزَّهـراء
لا تـشـربُ الخـمـرَ الـنـجـومُ وإن تـكُنْ
مـعـصـورةً من أنـفُسِ الـشُّـعـراء

☆☆☆☆☆☆

تـلك الـسُّـنـونَ. عـقـيـمُـهَـا كـولَـودِهَـا
حـلْـوٌ لـديَّ. كـذا يَـشـاءُ وفـائي
فـالـلـيـلـةُ الـعَـسـراءُ من عـمـري و عُـمْـ
ـرِ الـدهـر مـثل الـلـيـلـةِ الـسَّـمـحـاء
يـا مَن يـقـول: « ظـلـمتَ نـفـسَكَ فـاتَّـئِـد»
دعـنـي فـلـستَ بـحـاملٍ أعـبـائي
إن الحـيـاةَ الـروحُ بـعضُ عـطـائـهـا
وأنـا ثـمـارُ الـروحِ كلُّ عـطـائي
مـا الـعـمـرُ؟ إنْ هُـوَ كـالإنـاء، وإنـني
بـالـطـيِّب الـغـالي ملأتُ إنـائي
فـإذا بـقـيتُ فـلـلـجـمـالِ بـقـائي
وإذا فـنِـيتُ فـفي الجـمـالِ فَـنَـائي

☆☆☆☆☆☆

لـلـه مـا أحـلـى وأسـنى لـيـلَـتي
هيَ في كـتـابِ الـعـمـرِ كـالـطُّـغَـراء[1]

(١) الطّرّة في رأس الكتاب، تتضمن النعوت والألقاب.

يـا صـحبُ لن أنـسى جمـيلَ صـنيـعِـكُمْ
حـتى تـفـارقَ هـيـكـلي حَـوْبـائي[1]
وتـقـول عـيـني «قـد فـقـدتُ ضـيـائي»
ويـقـول قـلـبي « قـد فـقـدتُ رجـائي»

✷✷✷✷

(١) النفس.

١٠ - امتنان

[الخفيف]

في حفلة ميلاد ديوانه (الخمائل)

مـــا لـــقـــلـــبيْ يَـــلِجُّ في الخـــفَـــقَـــانِ
لا أنـــــا عـــــاشقٌ ولا أنـــــا جَـــــانِ
ابـــتـــغي أن أقـــولَ شـــيـــئـــاً فـــيَـــعْـــصَـــا
ني لـــســـاني، والـــسّـــحـــرُ تحت لـــســـاني
أنـــا كـــالـــطـــائـــر الـــذي انـــدفق الـــسِّـــحـ
ـــــر عـــلـــــيه، فـــــغَصّ بـــــالألَحـــــان
أو كـــفُـــلْكٍ في الـــبـــحـــر أوفى عـــلـــيـــهـــا
عـــارضٌ[1] بـــعـــدَ عـــارضٍ هـــتّـــان
غـــلـــبـــتـــني عـــواطفُ الـــصَّـــحْبِ حـــتى
صِـــرتُ في حـــاجـــةٍ إلى تَـــرْجَـــمـــان
أين في مـــــوكب الـــــقـــــريضِ لـــــوائي
قـــــد طـــــواهُ بـــــيـــــانُـــــهُمْ وطـــــواني
أيُّـــهـــا المـــادحـــونَ خَـــمـــري رويـــداً
مـــنـــكمُ الخَـــمـــرةُ الـــتي في دِنـــاني
من أنـا؟ مـا صـنـعتُ كي تـعـصِـبـوا بـالـتْ
ـــتَـــاجِ رأسي، وأيُّ شـــانٍ شـــاني؟
لا افْـتِـخـارٌ لـنَـحـلـةٍ وجـدتْ حَـقْـلاً
فـــعـــادت من زهـــره بـــالـــمَـــجـــاني(٢)

---

(١) العارض: السحاب يعترض الأفق.

أنَـــا مِن روضِـــكُمْ قـــطـــفتُ أزاهِـــيـ
ـــرِي، ومِن بـــحـــركُمْ غـــرفتُ جُـــمـــاني
إنْ أكنْ فـــرقَـــداً فـــأنـــتمْ ســـمـــائي
أو هَـــزاراً فـــأنـــتمُ بُـــســـتـــاني
أيُّ بِـــدْعٍ إن أخـــرَجَ الحـــقلُ لـــلـــنَّـــا
سِ صُـــنـــوفَ الـــنـــبـــاتِ في نَـــيْـــسـان؟
لـــيس لي من قـــصـــائـــدي غـــيـــرُ أوزا
نٍ، ولـــيـــســت أصـــيـــلـــةً أوزاني
أصـــدقُ الـــشِّـــعـــرِ في الحـــيـــاة وفـــيـــكُمْ،
لـــيس غـــيـــرُ الأظلال[1] في ديـــواني

مـــا هـــوَ الـــشِّـــعـــرُ؟ إنـــني مـــا رأيت اثْـ
ـــنـــينِ إلا وفـــيـــه يـــخـــتـــصـــمـــانِ
قـــال قـــومٌ: « وحيٌ يُـــنـــزِّلُهُ الـــلـ
ـهُ »، وقـــومٌ: « نَـــفْثٌ من الـــشَّـــيـــطـــان»
ضَلَّ هـــذا وذا، فـــمـــا حَـــفَـــزَ الإنـ
ســـانَ شيءٌ لـــلـــشِّـــعـــر كـــالإنـــســـان
يـــعـــشقُ المـــرءُ ذاتَه في سِـــواهُ
ويـــحبُّ « الإنـــســـانَ في الأكـــوان
أنـــا من أجـــلِه بـــنـــيتُ قُـــصـــوري
وفـــرشْتُ الـــدروبَ بـــالـــرَّيـــحـــان
أنـــا من أجـــله ســـكـــبتُ خُـــمـــوري
وشَـــددتُ الأوتـــارَ في عِـــيـــداني
أنـــا من أجـــله رجـــعتُ من الـــرَّو
ضَـــةِ، في راحـــتـــيّ، بـــالألـــوان

(١) يجمع الظل على ظلال وأظلال وظلول.

واستعرْتُ التهليلَ من جدول الوا
دي، وضِحْكَ الرِّضَا من الغُدران
ومنَ الشَّمسِ في الأصائلِ والأصْـ
ـبَاحِ[1] ذوبَ اللُّجينِ والعِقيان[2]
وحَملتُ الجلالَ من أرضِ (سوريْـ
ـيَا) إليه، والسِّحرَ من (لبنان)
نحن أهل الخيالِ أَسْعَدُ خلق اللـ
ـه، حتى في حالةِ الحِرمان
كم زهدنا بثروةٍ من نُضارٍ
وقنِعنا بثروةٍ مِن أماني
وانطوينا في موكبٍ مِن ضياءٍ
وسَطَعْنا في غمرةٍ من دُخان
نتراءى على الصَّعيد صـ
ـعاليكَ ولكنْ أرواحُنا في العَنان[3]
إن ظَمِئنا وعَزّ أن نَرِدَ الما
ءَ رَوانا تصوُّرُ الغُدران
وإذا غابت النجومُ اهتدينا
بالرُّؤى، بالرَّجاء، بالإيمان
لا يَعُد الورى علينا الليالي
نحن قومٌ نعيشُ في الأزمان

☆☆☆☆☆☆

رُدَّ عني الكؤوسَ يا أيُّها السّا
قي، فَرُوحي نشْوَى بخمرِ المعاني

---

(١) جمع (الصبح).
(٢) اللجين: الفضة، والعقيان: الذهب الخالص.
(٣) الصعيد: الأرض المرتفعة أو الأرض إطلاقاً. والصعلوك: الفقير الذي لا اعتماد له. والعنان هنا: السحاب.

بـــالـــقـــوافي (جـــداولاً) من وفـــاءٍ
والأغـــاني (خَـــمـــائلاً) من حـــنـــانِ
زَهَـــدَ الـــنـــاسُ حـــين دارتْ عـــلـــيـــهمْ
بـــالَّـــتِي في كـــؤوســـهمْ والـــقَـــنـــاني
أيُّـــهـــا الـــلـــيلُ! أنت أبـــهى من الـــفَـــجْـ
ـــرِ وإن كـــنت أسْـــودَ الـــطَّـــيـــلـــسَـــان
بـــالـــوجـــوهِ الـــزهـــراءِ، بـــالأنـــفسِ الـــسَّـــمْـ
ـــحـــاء، من يَـــعْـــرُبٍ ومن غـــسَّـــان
بمـــلـــوكِ الـــبـــيـــان، بـــالأدبِ الـــرَّا
ئعِ، بـــالمُـــنـــشـــدينَ، بـــالألَحـــان
بـــالـــغَـــواني، فـــديـــتـــهنّ، فـــأســـمى الـــشـــ
ـــشِـــعْـــرِ والـــفنِّ في الحـــيـــاة الـــغـــواني
هـــذه الـــشَّـــمسُ هل رأى الـــنـــاسُ وجـــهـــاً
مـــثـــلَـــهَـــا في الـــبـــهـــاءِ والـــلـــمَـــعـــان
تـــتـــجـــلَّى لـــنـــا عـــلى الـــيُـــسْـــرِ والـــعُـــسْـ
ـــرِ ونمـــشـــي في نـــورهـــا الـــفَـــتَّـــان
قـــد نـــســـيـــنـــا شـــعَـــاعَـــهـــا وسَـــنـــاهـــا[1]
عـــنـــدمـــا أشـــرقتْ وجـــوهُ الحِـــسَـــان
قُـــسِّمَ الـــدهـــرُ: أنت يـــا لـــيلُ شـــطـــرٌ
مِن حـــيـــاتي، والـــعُـــسْـــرُ شـــطـــرٌ ثـــان
أنت عـــصـــرٌ مُـــسْـــتَـــجـــمَعٌ في سُـــويـــعـــا
تٍ، ودنـــيـــا رحـــيـــبـــةٌ في مـــكـــان
قـــد تـــلاقت فـــيك الـــقـــلـــوبُ عـــلى الحُـــبْـ
ـــبِ تـــلاقي الأجـــفـــان بـــالأجـــفـــانِ

(١) الضوء والنور.

لا تـــــقـــــولـــــوا دقـــــائقٌ وثـــــوانٍ
ذاهـبـــاتٌ فـــالـــعـــمـــرُ هـــذي الـــثَّـــواني

أنـــا مـــا عِـشتُ سـوف أذكـرُ بـــالـشُّـكـر
رِ جـــمـــــيلَ الـــــرفـــــاقِ والإخـــــوان
وإذا مِتُّ فـي غـــــدٍ فـــــســـــيـــــأتـــــيـ
ـــكمْ ثـــنـــائي من ظُـلـــمـــةِ الأكـــفـــان

١١ - اسألوها

[الخفيف]

اِسْـألـوهـا، أو فـاسـألـوا مُـضْـنَـاهـا:
أيَّ شيء قـالت له عـيـنـاهـا؟
فـهـوَ في نـشـوةٍ ومـا ذاقَ خـمـراً
نـشـوةُ الحبِّ هـذه إيـاهـا
ذاهلُ الـطَّـرفِ شـاردُ الـفـكـرِ، لا يـلـ
ـمَح حـسـنـاً في الأرض إلا رآهـا
الـسَّـواقي لـكي تحـدِّثَ عـنـهـا
والأقـاحي لـكي تـذيعَ شَـذاهـا
وحَـفـيفُ الـنَّـسـيم في مَـسْـمَع الأو
رَاقِ نجـوى تـبـثُّـهـا شـفـتـاهـا
يـحـسَبُ الـفـجـرَ قـبْـسـةً من سـنـاهـا
ونجـومَ الـسَّـمـاء بـعضَ حُلاهـا
وكـذاك الـهـوى إذا حلّ في الأر
واح، سـارت في مـوكبٍ من رؤاهـا
كـان يـنـهى عن الـهـوى نـفـسَه الـظَّـمْـ
ـأى، فـأمـسى يـلـومُ من يَـنـهـاهـا
لمسَ الحبُّ قـلـبَه فـهـو نـارٌ
تـتـلـظَّى ويـسـتـلِـذُّ لَـظـاهـا!
كلُّ نـفسٍ لم يـشـرقِ الحبُّ فـيـهـا
هيَ نـفسٌ لم تـدرِ مـا مـعـنـاهـا

****

١٢ - أم القرى

[الرمل]

هـذه « مـلـفـردُ[١] « قـد لاحتْ رُبَـاهـا
فـانسَ يـا قـلبُ الـلـيـالي وأذاهـا
واشـهـدِ الـفنَّ سُـفـوحـاً وذُرًا
والـهـوى الـصَّـافي أريـجـاً ومـيـاهـا
هـهـنـا أودعتُ أحلامَ الـصِّـبـا
أفَـمـا تـلـمحُ نـوراً في ثـراهـا؟
هـهـنـا بـالأمسِ في دارتِـهَـا
كـنتُ مـثلَ الـنَّـسْـرِ حُـراً في ذُراهـا
أتـلـقى الـوحيَ عن بـلـبـلِـهَـا
وهـو ولـهـانُ يـغـنـي لـرُبـاهـا
وتُـحسُّ الـوحيَ روحي هـابِـطـاً
من سـمـاهـا، في ضـحـاهـا ومـسـاهـا
ذهـبَتْ عـشـرون في فُـرقَـتِـهَـا
لـيـتـهـا فـيـهـا انـقـضتْ لا في سـواهـا
كم جـلـسـنـا تحت صـفـصـافـتِـهَـا
اشـتـكي وجْـدي، وتـشـكـو لي هـواهـا
والـسَّـواقي اسـتـتـرتْ إلاّ غِـنـاهـا
والـروابي هـجَـعتْ إلا شَـذاهـا
والـصَّـدى في الـغـاب لم نـنـبِسْ مـعـاً
نـبْـسـةً إلا وعـاهـا وحـكـاهـا

---

(١) هي ملفرد في ولاية بنسلفانيا حيث أقام الشاعر في صباه، وخطب فتاة أحلامه، وعاد إليها في فصل الشتاء.

نـــتـــنَـــاجَى ويـــدي في يـــدِهـــا
فـــإذا لاحَ خـــيـــالٌ نـــتَـلاهَى
أنـــا دنـــيـــا من شـــبـــابٍ وهـــوىً
وهي كـــالـــروضـــة قـــد تـــمتْ حَلاهـــا
أحـسنُ الأيـامِ في الـعـصـر انـقـضَتْ
آه لـــو يـــنـــشـــرُهَـــا مَن قـــد طـــواهـــا
صـــرتُ في نـــيـــويـــورك طـــيـــفـــاً شـــارداً
مع طـــيـــوفٍ حـــائـــراتٍ في سُـــراهـــا
طـــرحتْ عـــنـــهـــا رؤاهـــا ومـــضتْ
تـــنـــشـــدُ المجَـد الـذي فـيه شـقـاهـا
كـــنـــعـــاجٍ عـــمـــيَتْ أبـــصـــارُهَـــا
ووهتْ في طـــلـب الـــعُـــشبِ قُـــواهـــا
كـــلَّـــمـــا جَـــدَّتْ لـــكي تـــدركَهُ
وجَـــدَتْهُ صـــار في الأرض وراهـــا!
أين في نـــفـــسي رؤىً تُـــســـعِـــدُهَـــا؟
ســرقتْ (نـيـويـورك) من نـفـسي رؤاهـا
في يـــدي أمـــري ولا أمـــلِـــكُهُ
ومـــعـي ذاتي وأخـــشى أن أراهـــا!
هـذه « أم الـقـرى » قفْ في حِـمـاهـا
تـسـتـرحْ نـفـسيَ من بـعض جَـواهـا
هـــهـــنـــا الإنـــســـانُ يـــلـــقَى ذاتَهُ
هـــهـــنـــا لا يـــحـــجُبُ المـــالُ الإلـــهـــا
لا تـــقلْ لي جـــئـــتَـــهـــا عـــاريـــةً
فَـقْـرُهـا عـنـدي جـمـيلٌ كـغِـنـاهـا
لم يـــزلْ لـــلـــصَّـــيف فـــيـــهـــا عَـــبَقٌ
وسـمـاءُ الـصَّـيف مـا زالتْ سـمـاهـا

لا يـــــزالُ الحبُّ فـي شَـلاّلِـــــهَـــــا
وبـــواديـــهـــا حـــديـــثـــاً وانـــتـــبـــاهـــا
لـم يـــجـــردْهـــا الـــشِّـــتـــا من وَشْـــيِـــهـــا
بل كـــســـاهـــا روعـــةً فـــوق بـــهـــاهـــا
فـــهيَ فـي ديـــبـــاجـــةٍ من صِـــبْـــغِه
مـــا رآهـــا أحـــدٌ إلا اشـــتَـــهَـــاهـــا

✱✱✱✱

١٣ - «من اشتهى الخمر فليزرع دواليها»

[البسيط]

خُذْ ما استطعتَ من الدنيا وأهليها
لكنْ تعلَّمْ قليلاً كيف تُعطِيها
كُنْ وردةً طيبُهَا حتى لسارقها
لا دمنةً[١] خُبْثُها حتى لساقيها
أكانَ في الكون نورٌ تستضيءُ به
لو السماءُ طوتْ عنّا دراريها
أو كان في الأرض أزهارٌ لها أَرَجٌ
لو كانت الأرضُ لا تُبدي أقَاحِيها[٢]
إن الطيورَ الدُّمى سِيَّانِ في نظري
والوُرْقُ إن حُبسَتْ هذي أغانيها
إن كانت النفسُ لا تبدو محاسنُهَا
في اليُسرِ صار غناها من مخازيها

☆☆☆☆☆☆

يا عابدَ المالِ قُلْ لي هل وجدتَ به
روحاً تؤاسيكَ أو روحاً تؤاسيها
حتّامَ يا صاحِ تُخفيهِ وتَطمرُهُ
كأنما هو سوءاتٌ تُواريها؟
وتحرِمُ النفسَ لذاتٍ لها خُلقتْ
ولم تصاحبْكَ يا هذا لتُؤذيها

(١) من معاني الدِمنة: الأثر، والضغينة، وبقية الماء في الحوض.
(٢) الأرَج: توهج رِيح الطيب (أرِج - يأرج).

انـظـرْ إلى المـاء إنّ الـبـذلَ شـيـمـتُهُ
يـأتي الحـقـولَ فـيَـرويـهـا ويُـحـيـيـهـا
فـمـا تـعـكَّـر إلا وهـو مُـنـحَـبِسٌ
والـنـفسُ كـالمـاء تَـحـكـيه ويَـحـكـيـهـا
الـسّـجنُ لـلـمـاء يـؤذيه ويُـفـسـدُهُ
والـسّـجنُ لـلـنفس يـؤذيـهـا ويُـضْـنـيـهـا
وانـظـرْ إلى الـنَّـارِ إنّ الـفَـتْكَ عـادتُـهـا
لـكنّ عـادتَـهـا الـشـنـعـاءَ تُـرديـهـا
تُـفـني الـقُـرى والمـغـاني وهي ضـاحـكـةٌ
لجَـهـلِـهـا أن مـا تُـفـنـيه يُـفـنـيـهـا
أرسـلتُ قـولي تـمـثـيلاً وتـشـبـيـهـاً
لـعلَّ في الـقـول تـذكـيـراً وتـنـبـيـهـا
لا شيءَ يُـدَركُ في الـدنـيـا بلا تـعَبٍ
مَنِ اشـتـهى الخـمـرَ فـلـيـزرعْ دَوالـيـهـا

✱✱✱✱

١٤ - ستعود دنيانا أحبَ وأجملا

[الكامل]

لم أنسَ حينَ مشتْ إليّ تَلُومُني
لمّا رأتني باسماً مُتَهلّلا
قالتْ: أتطربُ والمنايا حُوَّمٌ
في الأرض، كيف رمَتْ أصابتْ مقْتَلا
انظرْ فقد خَلَتِ البيوتُ من الشَّبا
بِ ولا جمالٌ لمنزلٍ منهم خلا
فسألتُها: أو ليس من أجل العُلا
وهَنائِنا خاضوا الوغى؟ قالت : بلى
يا هذه أإذا بكيتِ لبُعْدهمْ
يتبسمونَ؟ أجابتِ الحسناءُ : لا
كُفِّي المَلامَ إذن، فما أنا جاهلٌ
ما تعلمينَ، وكيف لي أن أجهلا
لكنْ بعثتُ الفكرَ في آثارهمْ
في البحر، في الأجواءِ، في عُرْضِ الفلا
فرأيتُ نورَ المجدِ فوق بنودهمْ
ورأيتهمْ يمشونَ من نصرٍ إلى ..
سدّوا على الباغي المسالكَ كلَّها
فالموتُ إنْ ولّى وإن هوَ أقبلا

فـإذا شَـمـمتِ الـيـومَ رائـحـةَ الـدِّمـا
ءِ وطـالـعتْ عـيـنـاكِ آثـارَ الـبِـلى
فـاسْـتـبشِـري فـغداً إذا الـنَـقْعُ[1] انجلى
سـتـعـودُ دنـيـانـا أحبَّ وأجـملا

✱✱✱✱

(١) الغبار.

١٥ - رؤيا

[الكامل]

رؤيـــا مَـــنـــامٍ.. رُبَّ حُـــلْمٍ فـي الـــكَـــرَى
فـــيه تـــلـــوحُ حـــقـــائقُ الأشـــيـــاءِ
إني حَـــلَـــمتُ كـــأنَّـــمـــا أنـــا ســـائـــرٌ
فـي روضـــــةٍ خـلاّبـــــةٍ غـــــنَّـــــاء
الـــنـــورُ مـــفـــروشٌ عـــلى طُـــرقـــاتِـــهـــا
والـــعـــطـــرُ في الـــنـــســـمـــاتِ والأفـــيـــاء
والـــعـــشبُ فـــيـــهـــا سُـــنـــدسٌ مـــتـــمـــوِّجٌ
والجـــــوُّ أضـــــواءٌ عـــــلى أضـــــواء
وإذا بـــصـــوتٍ كـــالـــهَـــريـــر[1] يـــطِنُّ في
أذني، وأنـــــيـــــابٍ تُـــــصـــــرُّ ورائي
فـــأدرتُ طَـــرْفِي بـــاحِـــثـــاً مُـــتـــعـــجـــبـــاً
ممَّـــا سَـــمـــعتُ. ولـــستُ في بـــيْـــداء
فـــإذا ورائي في الحـــديـــقـــةِ نـــابحٌ
ضـــاري المَـــحـــاجـــرِ ضـــامـــرُ الأحـــشـــاء
كـــادتْ تُـــطِلُّ عُـــروقُه من جِـــلْـــدِه
وتُـــطلُّ مـــعْـــهـــا شـــهـــوةٌ لـــدمـــائي
أشـــفـــقتُ يـــعـــلَقُ نـــابُه بـــردائي
فـــرَفَـــسْـــتُه غَـــضَـــبـــاً فـــطـــار حـــذائي

---

(١) هرير الكلب: صوته دون نباحه.

فــطــوَى نــواجِــذَه عــلــيه كــأنمــا
عــضّتْ نــواجِـذُهُ عــلى الــعــنــقــاء[1]!
ومــضى به لــرفــاقِه فــتــهــلّــلــوا
وتــقــاســمُــوهُ فــكــان خــيــرَ عــشــاء!
لا يــعــجــبْ أحــدٌ رآني حــافــيــاً
أبــلَتْ نــعــالي ألــسُنُ الــسُّــفــهــاء!

✷✷✷✷

(١) طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم ! أو الداهية عموماً.

١٦ - رؤيا ثانية

[الكامل]

وحـلَـمتُ ثـانـيـةً، وكـان الـكـونُ لم
تـبـرحْ عـلـيه كَلاكلُ[١] الـظَّـلـمَـاءِ
أنـي رأيتُ جَـرادةً مَـطْـروحـةً
في سَـبْـخَـةٍ[٢] مـنـهـوكـةَ الأعـضـاء
تـرنـو إلى الأُفُق الـبـعـيـدِ بمُـقـلـةٍ
كـلْـمَى، وتـشـتِمُ أنجمَ الجـوزاء
فـسـألـتُـهـا: مـاذا عَـراكِ فـلم تُـجبْ
فـسـألتُ عـنـهـا زُمـرَة الـرُفـقـاء
قـالـوا: رفـيـقَـتُـنـا شـهـيـدةَ هُـزئِـهـا
بـنـصـائحِ الـعُـقلاءِ والحـكـمـاء!
كـانت إذا جـاعتْ فـحـبّـةُ خـردَلٍ
تـكـفي، وإن عـطـشتْ فـنـقـطـةُ مـاء
سـمـعتْ بـنـهـرٍ في الـسَّـمـاء وَجـنَّـةٍ
لـيـست لـتَـصـويحٍ[٣] ولا لـفـنـاء
الـعـطـرُ في أثـمـارهـا، والـشَّـهْـدُ في
أنـهـارهـا، والـسِّـحـر في الأنـداء
فـاسـتـنـكَـفتْ أن تـسـتـمـرَّ حـيـاتُـهَـا
في الأرض جـاثـمـةً عـلـى الأقـذَاء

---

(١) الكلكل والكلكال: الصدر.
(٢) الأرض السبخة: ذات ملح ونزّ.
(٣) صوّح النبت: تمّ يُبسه.

فـمـضتْ تحـلِّقُ في الـفـضـاء، ولم تـزلْ
حــتى وهَتْ، فــهــوتْ إلى الــغَــبــراء[1]
رجـعتْ إلى الـدنـيـا الـتي خُـلِـقَتْ لـهـا
لم تُـــخـــلقِ الحـــشـــراتُ للأجـــواء
هــذي حـكـايـتُـهَـا وفـيـهـا عِـبْـرةٌ
لـلـطـائـشـينَ كـهـذهِ الحَـمـقـاء

✱✱✱✱

(١) الأرض.

١٧ - أيلول الشاعر

[الكامل]

من قصيدة يصف بها المناظر الرائعة التي مر بها في طريقه إلى مونتريال

الحُسْنُ حولكَ في الوهاد وفي الذُّرا
فانظرْ، ألستَ ترى الجمالَ كما أرى؟
«أيلول» يمشي في الحقول وفي الرُّبا
والأرضُ في أيلولَ أحسنُ منظرا
شهرٌ يوزِّعُ في الطبيعة فنَّهُ
شجراً يُصفّقُ أو سَناً مُتَفجِّرا
فالنَوْرُ[1] سِحْرٌ دافقٌ، والماءُ شِعرٌ
رائقٌ، والعِطرُ أنفاسُ الثَّرَى
لا تحسَبِ الأنهارَ ماءً راقصاً
هذي أغانيه استحالتْ أنهُرا
وانظرْ إلى الأشجار تخلعُ أخضراً
عنها، وتلبسُ أحمراً أو أصفرا
تَعْرَى وتُكسَى في أوانٍ واحدٍ
والفنُّ في ما ترتديه وفي العَرا
فكأنَّما نارٌ هناك خفيَّةٌ
تنحلّ حين تهُمُّ أن تستَشعِرا[2]
وتذوب أصباغاً كألوان الضُّحى
وتموجُ ألحاناً وتَسري عَنْبرا

---

(١) زهر الشجر الأبيض.
(٢) تهمّ أن تنعقد وتشبّ.

صــورٌ وأطــيــافٌ تــلــوحُ حــفــيــفــةً
وكــأنــهــا صــورٌ نــراهــا في الــكــرى
لــلــهِ من « أيــلــولَ « شــهــرٌ ســاحــرٌ
ســبقَ الــشــهــورَ وإنْ أتى مــتــأخِــرا
من ذا يُــدبِّجُ أو يَــحــوكُ كَــوَشْــيِهِ
أو من يــصــوِّرُ مــثــلــمــا قــد صَــوّرا؟
لمسَتْ أصــابــعُهُ الــسمــاءَ، فــوجــهُــهــا
ضَــاحٍ ومَــرَّ عــلى الــتــرابِ فــنَــوّرا
ردَّ الجـلالَ إلـى الحــــيــــاةِ ورَدَّنـي
من أرضِ نــيــويــورك إلى أمِّ الــقُــرى[1]

✱✱✱✱

(١) هي (ملفرد) في ولاية بنسلفانيا. انظر النص السابق رقم ١٢

١٨ - يا رفاقي

[الرمل]

القصيدة التي ألقاها الشاعر في حفلة تكريم الدكتور ظافر الرفاعي وزير خارجية سوريا والدكتور فريد زين الدين سفير سوريا في واشنطن ومندوبها الدائم في الأمم المتحدة.

جُـعتُ والخـبـزُ وفـيـرٌ في وِطَـابي[١]
والـسَّـنـا حـولي، وروحي في ضـبـابِ
وشـربتُ المـاءَ عـذْبـاً سـائـغـاً
وكـأنـي لم أذُقْ غـيـرَ سـراب
حـيـرةٌ لـيس لـهـا مـثْلٌ سِـوى
حَـيْـرَةِ الـزورقِ في طـاغي الـعُـبـاب
لـيس بي داءٌ ولـكـنـي امـرؤٌ
لـستُ في أرضي ولا بـينَ صِـحـابي
مَـرّتِ الأعـوامُ تـتـلـو بـعـضَـهـا
لـلـورى ضِـحْـكي، ولي وحْـدي اكْـتِـئـابي
كـلّـمـا اسْـتَـولـدتُ نـفـسي أملاً
مـدَّت الـدنـيـا له كفَّ اغـتِـصَـاب
أفـلَـتتْ مـنـي حـلاَواتُ الـرُّؤى
عـنـدمـا أفـلتَ من كـفّي شـبـابي
بِتُّ لا الإلـهـامُ بـابٌ مُـشـرَعٌ
لـي، ولا الأحلامُ تـمـشي في رِكَـابي

---

(١) الوطب والوطاب: سقاء اللبن. يريد: وعاء الزاد.

أشـــتـــهي الخـــمـــرَ وكـــأسي في يـــدي
وأحسُّ الـــروحَ تَـــعـــرَى في ثـــيـــابي
يـــا رفـــاقي! حـــطِّـــمُـــوا أقـــداحَـــكُمْ
لـــيس في دَنّيَ خـــمـــرٌ لانْـــسِـــكـــاب
جَفّ ضَـــرْعُ الـــشِّـــعـــرِ عـــنـــدي وذوَى
ولـــكَمْ عـــاش لِـــمَـــرْيٍ[1] واحْـــتِلاب

☆☆☆☆☆☆

أيـــهـــا الـــســـائلُ عـــنّي مَن أنـــا؟
أنـا كـالـشـمسِ إلى الـشّـرقِ انـتـسـابي
لـــغـــةُ الـــفـــولاذِ هـــاضتْ[2] لـــغـــتي
لا يـعـيشُ الـشـدْوُ في دنـيـا اصْـطِـخـاب
لـست أشـكـو إن شـكـا غـيـري الـنَّـوى
غـربـةُ الأجـسـامِ لـيـست بـاغـتـراب
أنـــا كـــالـــكَـــرامَـــةِ لـــو لم تـــغـــتَـــربْ
مـا حـواهـا الـنـاسُ خـمـراً في الخـوابي
أنـــا كـــالـــكَـــرمـــةِ لـــو لم تـــغـــتـــربْ
مـا حـواهـا الـنـاسُ خـمـراً في الخَـوابي
أنـــا كـــالـــسَّـــوسنِ لـــو لم يـــنـــتـــقلْ
لم يُـــتـــوّجْ زهـــرُه رأسَ كَـــعَـــاب[3]
أنـا في نـيـويـورك بـالجـسم وبـالـرْ
رُوحِ في الـشـرق عـلى تـلك الـهـضـاب
في ابـتـسـامِ الـفـجـرِ، في صـمتِ الـدُّجى
في أسى تَـــشـــرينَ، في لـــوعـــةِ آبِ

---

(١) مرى الضرع: مسحه ليدرّ.
(٢) هاض الشيء هيضاً: كسره.
(٣) المرأة كَعَب ثديها (ظهر)، فهي كاعب وكَعَاب.

أنـــا في الـــغُـــوطـــةِ زَهـــرٌ ونَـــدىً
أنـا في « لـبـنـانَ » نَـجـوى وتَـصَـابِ
ربِّ هَـــبْـــني لـــبلادي عَـــودةً
ولـيـكنْ لـلـغـيـر في الأُخـرى ثـوابي

☆☆☆☆☆

أيُّـــهـــا الآتُـــونَ من ذاك الحِـــمَى
يـا دُعـاةَ الخـيـرِ يـا رمـزَ الـشَّـبـاب
كم هَـشَـشْـنـا وهـشـشـتُمْ لـلـمـنى
وبـكَـيـتمْ وبـكـيـنـا في مُـصـاب!
واشـتـركـنـا في جِـهـادٍ أو عـذابٍ
والْـتَـقـيـنـا في حـديثٍ أو كـتـاب
وعـرفـتمْ وعـرَفـنـا مـثـلَـكُمْ
أنَّـمـا الحقُّ لـذي ظُـفْـرٍ ونـاب
كلُّ أرضٍ نـام عـنـهـا أهـلُـهـا
فـهيَ أرضٌ لاغْـتـصـابٍ وانـتِـهـاب
إنـــنـي ألمحُ في أوجـــهـــكُمْ
دفْـقَـةَ الـنُّـورِ عـلى تـلك الـرَّوابي
وأرى أشـبـاحَ أعـوامٍ مـضَتْ
في كـفـاحٍ ونـضـالٍ ووِثـاب
وأرى أطـيـافَ عـصـرٍ زاهـرٍ
طـالعٍ كـالـشـمس من خـلْفِ الحِـجـاب
لـيـتَه يُـسـرِعُ كي أُبـصـرُه
قـبلَ أن أغـدو تـراباً في الـتُّـراب

✱✱✱✱

١٩ ـ لوس أنجيلوس

[الكامل]

القصيدة التي ألقاها الشاعر في «الحفلة التكريمية» التي أقيمت على شرفه في لوس أنجيلوس، برعاية الجمعية السورية اللبنانية، في فندق أمباسادور.

أنا لستُ في دنيا الخيالِ ولا الكرَى
وكأنني فيها لِرَوْعَةِ ما أرى
يا قومُ هل هذي حقائقُ أم رؤىً
وأنا؟ أصاحٍ أم شربتُ مُخدِّرا؟
لا تعجبوا من دَهشتي وتَحيُّري
وتعجَّبوا إنْ لم أكنْ مُتَحيِّرا
كيفَ التَفَتُّ رأيتُ آيةَ شاعرٍ
لَبِقٍ تعمّدَ أن يُجيدَ لِيَبهَرا
مَسحتْ بإصبَعها الحياةُ جفونَهُ
فرأى المحاسنَ فانتقى وتخيَّرا
ما « لوس أنجيلوس » سوى أنشودةٍ
اللهُ غنَّاها فَجُنّ لها الوَرى
خلعَ الزمانُ شبابَهُ في أرضها
فهوَ اخضِرارٌ في السُّفوحِ وفي الذُّرا
أخذتْ من المدنِ العواصمِ مجدَهَا
وجلالها وحَوَتْ حلاواتِ القُرَى
هي واحةٌ للمتعَبين، وجنّةٌ
للعاشقينَ، وملعبٌ لذوي الثَّرا
كَفَّنتُ في نيويورك أحلامَ الصِّبا
وطويتُها. وحسبتُها لن تُنشرا

لـــكـــنَّـــنِي لـــمّـــا لمحتُ زهـــورَهَـــا
شـــاهـــدتُ أحلامي تُـــطِلُّ من الـــثَّـــرى
تـتـنـفسُ الـهَـضَـبـاتُ في رأْدِ[1] الـضُّـحى
تِـبْـراً وفي الآصـــالِ مِـسْـكـاً أذفَـرا[2]
فـالـسِّـحرُ في ضِـحْكِ الـنَّـدى مُـتـرقـرِقـاً
كـالـسِّـحـر فـي رقْصِ الـضِّـيـاء مُـعـطَّـرا
قُلْ لـلأُلَى وصـفـوا الجِـنـانَ وأطـنَـبـوا
لـيـستْ جـنـانُ الخُـلـدِ أعـجبَ مـنـظـرا
كلُّ الـفـصـولِ هـنـا ربـيـعٌ ضـاحكٌ
فـإذا تـرى شـهـراً رأيتَ الأشـهـرا
إنْ كـنتَ تجـهلُ مـا حـكـايـاتُ الـهـوى
فـانـصِتْ لـوشْـوَشـةِ الـنَّـسـيمِ إذا سَـرَى
وانـظـرْ إلى الـغَـبـراءِ تُـنـبِتُ سُـنـدسـاً
وتـأملِ الـغُـدْرَانَ تجـري كـوثَـرا
واشـربْ بـعـيـنـيكَ الجـمـالَ فـإنه
خـمـرٌ بـغـيـرِ يـدِ الـهـوى لن تُـعـصَـرا
حـاولتُ وصفَ جَـمـالِـهَـا فـكـأنـني
وَلَـدٌ بـأُنْـمـلِه يَـحـوشُ الأبـحـرا
واسـتـنـجـدتْ روحي الخـيـالَ فـخـانـني
وكَـبـا جـوادُ فـصـاحَـتي وتَـعـثّـرا
أدركتُ تـقـصـيـري وضـعـفي عـنـدمـا
أبـصـرتُ مـا صـنـع الإلهُ وصَـوّرا
إني شـهـدتُ الحُـسْـنَ غـيـرَ مُـزيَّفٍ
بـئسَ الجـمـالُ مُـزيَّـفـاً ومُـزوَّرا

---

(١) رأد الضحى: رونقه، أو ارتفاعه حين يعلو النهار.
(٢) الذَفَر: كل ريح منتشرة من طيب أو غيره.

أحببتُ حتى الشَّوكَ في صحرائها
وعشقتُ حتى نخلَها المُتكبِّرا
اللابسَ الورَقَ اليبيسَ تنسُّكاً
والمُشْمَخِرَّ إلى السماء تَجَبُّرا
هو آدمُ الأشجارِ أدركَهُ الحَيَا
لـمّا تبدى عُرْيُه فَتَستَرا
ابنُ الصَّحارى قد تحضَّرَ وارتقى
يا حُسْنَه مُتَبَدِّياً مُتَحضِرا
وبدتْ غِياضُ البُرتقالِ فأشبهتْ
جلبابَ خَوْدٍ بالنُّضارِ[1] مُزرَّرا
من فوقها انتشرَ الضِّياءُ مُلاءةً
من فوقه جَوٌّ صَفا وتبَلْورا
وكأنَّما تلك القصورُ على الرُّبا
عِقْدٌ لغانيةٍ هوى وتبعثرا
لما تراءتْ من بعيدٍ خِلْتُهَا
سُفُناً وخِلْتُ الأرضَ بَحراً أخضرا
نَفَضَ الصباحُ سناهُ في جُدرانِها
وأتى الدُّجى فرأى منائرَ للسُّرى
مُتألقاتٍ كابتساماتِ الرِّضا
تُنسيكَ رؤيتُها الزمان الأعسَرا
أنا شاعرٌ ما لاحَ طيفُ ملاحَةٍ
إلا وهلّلَ للجمالِ وكبَّرا
وزّعتُ نفسي في النفوس محبةً
لا شاكياً ألماً ولا مُتضَجِّرا

(١) الخود: الحسناء الشابة. والنضار: الذهب الخالص.

ومــشَــيتُ في الــدنــيــا بــقــلبٍ يــابسٍ
حــتى لــقــيتُ أحــبــتي فــاخْــضَــوضَــرا
قــد كنتُ أحــسَــبُــني كَــيــانــاً ضــائــعــاً
فــإذا أنــا شــخصٌ يــعــيش مــكــرَّرا
فــكــأنَّــني مــاءُ الــغَــمــامِ إذا انــطــوى
في الأرض ردَّتْهُ نــبــاتــاً مُــثــمِــرا
مــا أكــرمَ الأشــجــارَ في هــذا الحِــمَى
فــيــهــا لــقــاصِــدِهــا الــبــشــاشــةُ والــقِــرَى[1]
تَــقــري الــفــقــيــرَ عــلى خــصــاصــةِ حــالِه
كَــرَمــاً كــمــا تَــقــري الــغــنــيَّ الــمُــوسِــرا
الــبــذلُ دَيْــدَنُــهَــا، ســواءٌ جــئــتَــهــا
مُــتــقــدِمــاً أم جِــئــتَــهــا مُــتــأخِّــرا
فــكــأنَّــهــا مِــنــكمْ تــعــلَّــمتِ الــنّــدى
كــيــمــا تُــغــيثُ الــنــاسَ إنْ خــطْــبٌ عَــرا[2]

****

(١) الإحسان إلى الضيف (قراه – يقريه).
(٢) عراه – يعروه: غشيه.

٢٠ - عصر الشبيبة

[الكامل]

القصيدة التي ألقاها الشاعر في الحفلة التكريمية التي أقامها له صديقه السيد مالك الدوماني في فندق روزفلت ـ هوليوود بكاليفورنيا.

يـــا لـــيـــتَـــمـــا رجعَ الـــزمـــانُ الأولُ
زمنُ الـشـبـاب الـضـاحكُ الـمُـتـهـلـلُ
عـهـدٌ تـرحّـلَتِ الـبَـشـاشـةُ إذ مـضى
وأتى الأسى فـــأقـــامَ لا يـــتَـــرحَّل
ولّى الـــصِّـــبـــا وتـــبـــددتْ أحلامُه
أودى به وبـــهـــا قَـــضـــاءٌ حُـــوّل[1]
حـصَـدتْ أنـامِـلُه الـمُـنى فـتـسَـاقـطتْ
صَـرْعَى كـمـا حـصَـدَ الـسـنـابلَ مِـنْـجَل
فـــالـــروحُ قـــيـــثـــارٌ وهتْ وتـــقـــطـــعتْ
أوتـــارُهُ، والـــقـــلـبُ قـــفْـــرٌ مُـــمْـــحِل
والـــشـــيب يُـضـــحكُ بَـرْقُهُ في لِـــمَّـــتِي
هـــذي الـضّـــواحِكُ يـا فـــؤاديَ أَنـــصُل
أشـتـاقُ عَـصْـرَكِ يـا شـبـيـبـةُ مـثـلـمـا
يـشـتـاقُ لـلـمـاء الـنَّـمِـيـرِ الأَيَّلُ[2]
إذ كـانت الـدنـيـا بـعـيـنـي هـيـكلاً
فـــيـــه إلاهَـــاتُ الجـــمـــالِ تُـــرتّل

---

(١) يتحول ويتغير.
(٢) ذكر الوعل.

من كلِّ حسناءٍ كأنّ حديثَهَا السْـ

ـسَلْوى أوِ الوحيُ الطَّهورُ المُنَزَل

وأنا وصحْبي لا نفكّرُ في غدٍ

فكأنَّ ليس غدٌ ولا مُستقبَل!

نلهو ونلعبُ لا نُبالي ضَمَّنا

كوخٌ حقيرٌ أمْ حَوانا مَنزل

نتوهَّمُ الدنيا لِفَرْطِ غرورِنَا

كملتْ بنا وبغيرنا لا تكمُل

ونخالُ أن البدرَ يَطلُعُ في الدُّجى

كيما يسامرُنا فلا نتَململ

ونظنُّ أنّ الرَّوضَ ينشرُ عِطرَهُ

من أجلنا. ولنا يُغنِّي البُلبل

فكأنَّما الأزهارُ سِرْبَ كواعبٍ

وكأنَّما هو شاعرٌ يَتغَزَّل

في كلِّ منظورٍ نراه ملاحَةً

وسعادةً في كلِّ ما نتَخَيَّل

لا شيءَ يُزعجُ في الحياة نفوسَنا

لا طارئٌ، لا عارضٌ، لا مُشكِل

فكأننا في عالَمٍ غيرِ الذي

تَتَزاحمُ الأيدي به والأرجُل

وكأننا رَهْطُ الكواكبِ في الفَضا

مهما جرى في الأرض لا تَتَزلزل

الـنـاسُ في طَـلـبِ الـمَـعـاشِ وهـمُّـنَـا
كـأسٌ مُـشَـعـشَـعَـةٌ وطـرْفٌ أكْـحَل
كم عَـنَّـفُـونَـا في الـهـوى واسْـتَـرسـلـوا
لـو أنَّـهم عَـرَفـوا الـهـوى لم يَـعـذُلـوا
ولـو اَنَّـهُمْ ذاقُـوا كـمـا ذُقـنـا الـرُّؤى
شَـبِـعتْ نـفـوسُـهُمُ وإنْ لم يـأكـلـوا
زعـمـوا تـبَـذُّلَـنـا ولم يَـتـبـذَّلـوا
إن الحـقـيـقـةَ: كـلُّـنـا مُـتَـبـذِّل!
حُـرِمـوا لَـذاتِ الـهُـيـام وفـاتَـنـا
درْكُ الحُـطـام، فـأيُّـنـا هـو أجـهل؟
إني تـأمـلتُ الأنـامَ فَـرَاعـني
كـيف الحـيـاةُ بـهم تجِـدُّ وتـهـزِل
لا يـضـبـطـونَ مع الـصُّـروفِ قـيـادَهُمْ
إلا كـمـا ضَـبَطَ المـيـاهَ الـمُـنـخُل
بـيـنـا الـفـتى ملءُ الـنـواظـرِ والـنُّـهى
فـإذا به رقْـمٌ خـفـيٌّ مُـهـمَل
يـا صـاحـبي والـعـمـرُ ظلٌ زائلٌ
إن كـنـت تـأمُلُ فـيـه أو لا تـأمُل
الـذِّكْـرُ أثـمنُ مـا اقـتـنـيتَ وتـقـتـني
والحبُّ أنـفسُ مـا بـذلتَ وتـبـذُل
قـيل: اغْـتَـنَى زيـدٌ، فـلـيـتكَ مِـثـلُهُ
أنـا مِـثـلُه، إن لم أقُلْ: أنـا أفـضل!
الـشَّـمسُ لي وله، ولألاءُ الـضُّـحى
والـنـيِّـراتُ، ومـثـلُـنـا الـمُـتـسـوِّل

أمـــا الـــنُّـــضـــارُ فـــإنَّه يـــا صـــاحـــبي
عَـــرَضٌ يـــزولُ وسِـــلْـــعـــةٌ تـــتـــنـــقَّل
مـــا دُمتُ فـي صـــحـــبي ودامَ وفـــاؤهُمْ
فـــأنـــا الـــغـــنيُّ الحقُّ لا الـــمُـــتـــمـــوِّل
أنـــا لـــستُ أعـــدِلُ بـــالمـــنـــاجمِ واحـــداً
وأبـــيعُ من عَـــقَـــلـــوا بمـــا لا يَـــعْـــقِل

✱✱✱✱

٢١ - عطش الأرواح

[الرمل]

زَحـزَحتْ عن صـدرهـا الـغَـيمَ الـسَّـمـاءْ
وأطلّ الـنُّـورُ من كـهْفِ الـشِّـتـاءْ
فـالـرَّوابي حُـلَلٌ من سُـنـدُسٍ
والـسّـواقي ثـرثـراتٌ وغِـنـاء
رجعَ الـصَّـيفُ ابـتِـسـامـاً وشَـذاً
فـمـتى يـرجعُ لـلـدنـيـا الـصَّـفـاء
فـأرى الـفـردوسَ في كلِّ حِـمـىً
وأرى الـنـاسَ جـمـيـعـاً سُـعـداء
زالـت الحَـربُ وولـتْ إنمـا
لـيس لـلـذعـرِ من الحـربِ انـقـضِـاء
إنْ صَـحـونَـا فـأحـاديثُ الـوغَى
في الحِـمـى الآهلِ والأرضِ الـعَـراء
وإذا نمـنَـا تَـراءتْ في الـكَـرَى
صُـوَرُ الـهَـولِ وأشـبـاحُ الـفَـنـاء
فـهْيَ في الأوراق حِـبْـرٌ هـائـجٌ
وعـلى « الـراديـو» فَـحـيحُ الـكـهـربـاء
نَـتَّـقِي في يـومـنـا شـرَّ غـدٍ
وإذا الـصُّـبحُ انـطـوى خِـفـنـا المـسـاء
عـجـبـاً! والحـربُ بـابٌ لـلـردى

---

(١) عفا المنزل: درس.

وطـــريقٌ لـــدمـــارٍ وعَـــفَـــاء[1]
كـيفَ يـهـواهـا بـنـو الـنـاسِ، فـهلْ
كَـرِهـوا في هـذه الـدنـيـا الـبَـقـاء؟
إن يـكُنْ عِـلْمُ الـوَرى يُـشـقِـيـهمُ
يـا إلـهي ردَّ لـلـنـاسِ الـغَـبـاء
ولـيـجئْ طُـوفـانُ نُـوحٍ قـبـلَـمـا
تَـغـرقُ الأرضُ بـطـوفـانِ الـدِّمـاء
واعـصِمِ الأسـرارَ واحـجُبْ كُـنـهَـهـا
عن ذوي الـعِـلـمِ وأربـابِ الـذَّكـاء
فـلـقـد أكـثـرتَ أسـبـابَ الأذى
عـنـدمـا أكـثـرتَ فـيـنـا الـعُـلـمـاء
كم وجـدنـا آفـةً مُـهـلـكـةً
كـلَّـمـا زَحْـزحتَ عن سِـرٍ غِـطـاء
قـد تَـرْقَى الخَـلْقُ لـكن لم تـزلْ
شِـرْعـةُ الـغـابـةِ شَـرْع الأقـويـاء
حُـرِّمَ الـقَـتلُ، ولـكن عـنـدهُمْ
أهـونُ الأشـيـاءِ قـتلُ الـضُّـعـفـاء
لا تـقلْ لي هـكـذا الـلـه قـضَى
أنت لا تـعـرفُ أسـرارَ الـقـضـاء
جـاءني بـالـماءِ أروي ظَـمَـئي
صـاحبٌ لي من صِـحـابي الأوفـيـاء
يـا صـديـقي! جـنِّبِ الـماءَ فـمي
عَـطَشُ الأرواحِ لا يُـروَى بمـاء
أنـا لا أشـتـاقُ كـاسـاتِ الـطِّلا
لا ولا أطـلـبُ مَـجْـداً أو ثـراء
إنمـا شـوقي إلى دنـيـا رِضـاً

وإلى عـــــصـــــرِ سَلامٍ وإخـــــاء
لا تـــعِـدْني بـــالـــسَّـــمـــا يـــا صـــاحـــبي
الـــسّـــمـــا عـــنـــديَ قـــربُ الأصـــدقـــاء
وأراني الآن فـي أكـــــنـــــافـــــهمْ
فـــأنـــا الآن كـــأني فـي الـــسَّـــمـــاء!

✷✷✷✷

٢٢ - بلادي

[الكامل]

إنِّي مـــررتُ عـــلى الـــريـــاض الحـــالـــيَهْ
وســـمـــعتُ أنـــغـــامَ الـــطـــيـــورِ الـــشَّـــاديَه
فـــطـــربتُ، لـــكـن لم يُـــحـبَّ فـــؤاديَه
كـــطـــيـــور أرضـي أو زهـــورِ بلادي

☆☆☆☆☆☆

وشـــربتُ مـــاءَ الـــنِّـــيل شـــيخِ الأنـــهـــرِ
فـــكـــأنـــني قـــد ذُقتُ مـــاء الـــكـــوثـــرِ
نـــهـــرٌ تـــبـــاركَ من قـــديمِ الأَعـــصُـــرِ
عَـــذْبٌ، ولـــكنْ لا كـــمـــاء بلادي

☆☆☆☆☆☆

وقـــرأتُ أوصـــافَ المـــروءة في الـــسِّـــيَـــرْ
فـــظـــنـــنـــتُـــهـــا شـــيـــئـــاً تلاشى واندثـــر
أو إنـــهـــا كـــالـــغُـــول لـــيس لـــهـــا أثـــر[1]
فـــإذا المـــروءة في رجـــال بلادي

☆☆☆☆☆☆

ورســـمتُ يـــومـــاً صـــورةً في خـــاطـــري
لـــلـــحُـــسْنِ، إن الحـــسنَ ربُّ الـــشـــاعـــرِ
وذهـــبتُ أُنـــشـــدهـــا فـــأعْـــيـــا خـــاطـــري
حـــتى نـــظـــرتُ إلى بـــنـــات بلادي

☆☆☆☆☆☆

(١) إشارة إلى كونه من السَّعالى المتخيلة (توصف بالخبث والسلاطة).

قـــالـــوا : ألـــيسَ الحُـــسْنُ في كلِّ الـــدُّنـــا
فـــعلامَ لم تَـــمـــدحْ سِـــواهـــا مَـــوْطـــنـــا
فـــأجـــبـــتـــهمْ: إني أُحبُّ الأَحْـــســـنـــا
أبـــــداً، وأحـــــسَنُ مـــــا رأيتُ بلادي

قـــالـــوا: رأيـــنـــاهـــا فـــلـم نـــرَ طـــيِّـــبـــا
ولّى صِـــبـــاهـــا والجـــمـــالُ مع الـــصِّـــبـــا
فـــأجـــبـــتـــهمْ: لِـــتـــكن بلادي سَـــبْـــسَـــبـــا
قَـــفـــراً، فـــلـــستُ أُحبُّ غـــيـــرَ بلادي

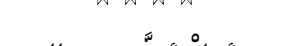

قـــالـــوا: تـــأملْ أيَّ حـــالٍ حـــالَـــهـــا
صـــدعَ الـــقـــضـــاءُ صُـــروحَـــهـــا فـــأمـــالَـــهـــا
ســـتـــمـــوتُ.. إنِ الـــدَّهـــر شـــاء زوالَـــهـــا
أتـــــمـــــوتُ؟ كـلا لـن تـــــمـــــوتَ بلادي

هي كـــالـــغـــديـــرِ إذا أتى فـــصلُ الـــشِّـــتـــا
فَـــقـــدَ الخَـــريـــرَ وصـــار يـــحـــكي المـــيِّـــتـــا
أو كـــالـــهَـــزارِ حـــبـــســـتَه.. لـــكن مـــتى
يَـــعُـــدِ الـــربـــيـــعُ يَـــعُـــدْ إلى الإنـــشـــادِ

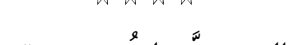

الـــكـــوكبُ الـــوضَّـــاحُ يـــبـــقى كـــوكـــبـــا
ولـــئنْ تـــســـتَّـــرَ بـــالـــدُّجى وتـــنـــقَّـــبـــا
لـــيس الـــضَّـــبـــابُ بـــســـالبٍ حُـــسْنَ الـــرُّبـــا
والـــبـــؤسُ لا يمـــحـــو جَـــمـــالَ بلادي

لا عِـــزَّ إلا بـــالـــشـــبـــاب الـــراقي
الـــنـــاهـضِ الـــعَـــزَمـــاتِ والأخلاق
الـــثـــائـــرِ المـــتـــفـــجِّـــر الـــدفّـــاق
لـــولاهُ لم تـــشْـــمَـخْ جـــبـــالُ بلادي

✷✷✷✷

٢٣ - روعة العيد

[البسيط]

يـا شـاعـرَ الحُـسْنِ هـذي روعـةُ الـعـيـدِ
فـاسـتـنـجـدِ الـوحيَ واهـتِفْ بـالأنـاشـيـدِ
هـذا الـنـعـيمُ الـذي قـد كـنتَ تَـنـشـدُهُ
لا تـلْـهُ عـنـه بـشـيءٍ غـيـرِ مـوجـود
مـحـاسنُ الـصَّـيفِ في سـهلٍ وفي جـبلٍ
ونـشـوةُ الـصـيف حـتى في الجلامـيـد
ولـستَ تُـبـصِـرُ وجـهـاً غـيـرَ مُـؤتـلقٍ
ولـسـتَ تـسـمـعُ إلا صـوتَ غِـرّيـد
قُمْ حَـدِّثِ الـنـاسَ عن لـبـنـانَ كـيف نجـا
مِنَ الـطـغـاةِ الـعُـتـاةِ الـبـيضِ والـسُّـود
وكـيف هـشَّتْ دمـشقُ بـعـد مـحـنـتِـهَـا
واسـتـرجـعتْ كلَّ مـسـلـوبٍ ومـفـقـود

☆☆☆☆☆

فـالـيـومُ لا أجـنـبيٌّ يـسـتـبـدُّ بـنـا
ويـسـتـخفُّ بـنـا اسـتـخـفـافَ عِـرْبـيـد
يـا أرزُ صـفِّقْ، ويـا أبـنـاءَهُ ابـتـهـجـوا
قـد أصـبح الـسِّـربُ في أمْنٍ من الـسِّـيد[1]
مـا بـلـبلٌ كـان مـسـجـونـاً فـأطـلـقَهُ
سَـجَّـانُهُ، بـعـد تـعـذيبٍ وتـنـكـيـد

(١) الذئب.

فـراحَ يـطـوي الـفـضـاءَ الـرَّحبَ مـنـطـلـقـاً
إلى الـــرُّبـــا والـــسَّـــواقي والأَمَـــالـــيـــد[1]
إلى المـروجِ يُـصـلّي في مَـسَـارِحِـهَـا
إلى الـكُـروم يُـغـنّي لـلـعَـنـاقِـيـد
مـنِّي بـأسـعَـدَ نـفْـسَـاً قـد نـزلتُ عـلى
قـومي الـصَّـنـاديـدِ أبـنـاءِ الـصَّـنـاديد[2]
سـمـاءُ لـبـنـانَ بِـشْـرٌ في ملامِـحِـهِمْ
وفـجـرُه في ثـغـور الخُـرَّدِ الـغِـيـد[3]
إنْ تـسـكـنـوا الطَّودَ صـار الـطَّودُ قِبلـتَنا
أو تـهـبِـطوا الـبِيدَ لم نـعـشقْ سِوى البيد

****

(١) الأملود من النساء: الناعمة المستوية القامة.
(٢) الصنديد: السيّد الشجاع.
(٣) الخريدة: الحسناء الشابة.

٢٤ - يا أنشودتي انطلقي

[البسيط]

أنـشـودةٌ في ضـمـيـري كم أُواريـهـا
ومـا شِـفَـائي إلا أنْ أُغَـنِّـيـهـا
ولّى الـشـتـاءُ ونـفـسي في كـآبـتِـهـا
واسـتْـضـحْكَ الـصـيفُ إلا في نـواحِـيـهـا
كـأنـهـا زَهـرةٌ في الـظلِّ نـابِـتـةٌ
لا نـورَ يـغـمُـرُهـا، لا مـاءَ يَـسـقـيـهـا
كـأنَّـهـا الحـربُ في قـلـبي زلازلُـهـا
وبـعضُ أهـلـيَ أقـوامٌ تُـعـانـيـهـا
حِـكـايـةُ أتَـقـلَّى حـين اسـمـعُـهـا
ويـأكلُ الحُـزنُ قـلـبي حـين أَرويـهـا
وارَحـمـتـاهُ لأوربّـا فـمـا فَـتَـكَتْ
أفـعى بـأفـعى كـأهـلـيـهـا بـأَهـلـيـهـا
لم يـبقَ غـيـرُ الـضَّـواري في خلائـقِـهَـا
ومِن حَـضـارتِـهـا إلاّ مَـخَـازيـهـا
كـانت تُـعِـدُّ الـدَّواهي في مـصَـانـعِـهـا
لـغـيـرِهـا، فـأصـابـتْـهـا دَواهـيـهـا
وكلُّ طـابـخِ سُـمٍّ سـوف يـأكـلُـه
وكل حـافِـرِ بِـئـرٍ واقـعٌ فـيـهـا
لـو دامَ إيمـانُـهـا لم تـنـطـلقْ سَـقَـرٌ
بـدُورِهَـا، والأفـاعي في مَـغَـانـيـهـا

لــكنْ أكــبّتْ عــلى الآلاتِ تــعــبُــدُهَــا
وتــســتــعــينُ بــهــا مِن دونِ بــاريــهــا
فــصــارَ مــالِـكُــهــا عــبــداً لــسُــلــطَـتِــهــا
وصــــار كلُّ ضــعــيفٍ من أضــاحــيــهــا
وصــــار إنــســـانُــهــا لــلــحَــلْبِ آونَــةً
والــذَّبحِ، مِــثلَ المــواشي في مــراعــيــهــا
يــا نفسُ سَرّيْ[1]، ويــا أنشــودتي انطلقي
من عــالَم الــصَّــمت، إنَّ الــصَّــمتَ يُــؤذيــهــا
أيُــشـــرِقُ الأفقُ لم يُــطــلِـعْ كــواكــبَه
وتجــملُ الأرضُ لم تُــخــرِجْ أقــاحــيــهــا
الــيــومَ يــومُ الــقَــوافي تــهــتِــفــينَ بــهــا
لا يــشــربُ الــنــاسُ خــمــراً لم تَــصُــبِّــيــهــا
هــذا هــو الــعــيــدُ قــد لاحت مــواكــبُهُ
يــا قــلبُ هــلِّل لــهــا، يــا شِــعــرُ حــيــيّــهــا

****

(١) سَرّيْ عنك.

٢٥ - في قلبك الله

[البسيط]

مــرّت لــيــالٍ وقــلــبي حــائــرٌ قــلقٌ
كـالـفُلْكِ في الـنَّـهـر هـاجَ الـنـوءُ مـجـراهُ
أو كـالـمـسـافـرِ في قَـفْـرٍ عـلى ظـمـأٍ
أضـنَى الـمَـسـيـرُ مـطـايـاهُ وأضْـنـاه
لا أدُركُ الأمـــرَ، أهـــواه وأطـــلـــبه
وأبـلـغُ الأمـرَ، نـفـسي لـيس تـهـواه!
عَـجِـبْتُ من قـائلٍ: إني نـسـيـتـكمُ،
من كان في القلب كيف القلبُ ينساه؟
إن كـنتُ بـالأمسِ لم أهـبِطْ مـرابِـعَـكُمْ
فـالـطَّـيـرُ يـقـعـدُ مَـوثـوقـاً جـنـاحـاه
فلا يُـــقـــرّبُه شـــوقٌ إلى نَـــهَـــرٍ
ولـيس تـنـقـلُهُ في الـرَّوض عـيـنـاه
ولـيس يـشـكـو ولا يـبـكي مـخـافـةَ أنْ
تـؤذي مـسـامعَ مَن يـهـوَى شَـكَـاواه
إني لأعـجبُ مـنّـا كـيف تـخـدعُـنـا
عن الحَـقـائقِ أمـثـالٌ وأشـبـاه
إذا بـــنى رجلٌ قـــصـــراً وزخـــرفَهُ
سُـقـنَـا إلـيه الـتّـهـاني وامـتَـدحـنـاه
ومـا بـنى قـصـرَهُ إلا لِـيَـحـجُبَ عن
أبـصـارِنـا في زوايـاهُ خـطـايـاه

ونمـــدحُ المـــرءَ من خَـــزٍّ ملابـــسُه
وذلك الخـــزُّ لم تـــنـــسُـــجْهُ كـــفَّـــاه
وإنْ أتـــانـــا أخـــو مـــالٍ يـــكـــاثـــرُنـــا
بـــالـــتِّـــبْـــرِ تـــيـــهـــاً رجـــونَـــاهُ وخِـــفـــنـــاه
وقـــد يـــكـــونُ نُـــضـــارٌ في خـــزائـــنه
دمـــاً ســـفـــكـــنـــاهُ أو جُـــهـــداً بـــذلـــنـــاه
لا تَحـسَبِ المجـدَ مـا عـيـنـاكَ أبـصـرتـا
أو مـا مـلـكتَ هـو الـسـلـطـانُ والجـاه
المـالُ مـولاكَ مـا أمـسـكـتُهُ طـمـعـاً
فـانـفِـقْهُ في الخـيـر تُـصـبحْ أنتَ مـولاه
مـــا دام قـــلـــبُكَ فـــيه رحـــمـــةٌ لأخٍ
عـــانٍ، فـــأنت امـــرؤٌ في قـــلـــبكَ الـــله

****

٢٦ - الرأي الصّواب

[الكامل]

يـــا نـــفسُ هـــذا مـــنـــزلُ الأحـــبـــابِ
فـــانْـــسَي عـــذابكِ في الـــنَّـــوى وعـــذابي
وتـــهـــلَّـــلي كـــالـــفـــجـــر في هـــذا الحِـــمَى
وتـــألَّـــقِي كـــالخـــمـــر في الأكـــواب
ولْـــتـــمـــسَحِ الـــبُـــشـــرى دمـــوعكِ مـــثـــلـــمـــا
يمـــحـــو الـــصـــبـــاحُ نـــدىً عن الأعـــشـــاب
واســـتـــرجِـــعي عـــهـــدَ الـــبـــشـــاشَـــةِ والـــرِّضـــا
فـــالـــدهـــرُ عـــاد تـــضـــاحُـــكـــاً وتَـــصَـــابي
أنـــا بـــين أصـــحـــابي الـــذين أحـــبُّـــهمْ
مـــا أجـــملَ الـــدنـــيـــا مع الأصْـــحَـــاب!
قـــد كـــنتُ مـــثلَ الـــطـــائـــر المحـــبـــوسِ في
قَـــفَـــصٍ، ومـــثلَ الـــنـــجمِ خـــلفَ ضَـــبـــاب
يمـــتـــدُّ في جُـــنـــح الـــظلام تـــأوُّهي
ويـــطـــولُ في أُذْن الـــزمـــان عِـــتـــابي
وأهُـــزُّ أقلامـي فـــتـــرشحُ حِـــدّةً
وأسىً، ويـــنـــدى بـــالـــدمـــوع كـــتـــابي
حـــتى لـــقـــيـــتُـــكمُ فـــبِتُّ كـــأنـــني
لمـسَـرَّتي، اســتـرجـعتُ عـصـرَ شـبـابي
لـيس الـتـعـبُّـدُ أن تـبـيتَ عـلى الـطّـوَى
وتـــــروحَ في خِـــــرَقٍ من الأثـــــواب

لـــكـــنه إنـــقـــاذُ نـــفسِ مـــعـــذَّبٍ
من رِبـــــقَـــــةِ الآلام والأوصَـــــاب[1]
لـيس الـتـعـبُّـدُ عـزلـةً وتـنـسُّـكـاً
في الـديـر، أو في الـقـفـرِ، أو في الـغـاب
لـــكـــنه ضـــبْطُ الـــهـــوى في عـــالَمٍ
فـــيه الـــغَـــوايـــةُ جَـــمّـــةُ الأســـبـــاب
وحـبـائلُ الـشـيـطـانِ في جـنـبَـاتِه
والمـــــالُ فـــــيه أعـــــظمُ الأربـــــاب
هـــذا هـــو الـــرأي الـــصَّـــوابُ وغـــيـــرُهُ
مـــهـــمـــا حلا لـــلـــنـــاس، غـــيـــرُ صـــواب

****

(١) الوصب: الوجع والمرض (وصِب – يوصَب وصباً).

٢٧ ـ ليس السرُّ في السَّنوات

[الكامل]

قُلْ للذي أحصَى السِّنينَ مُفَاخِراً
يا صاحِ ليس السِّرُّ في السَّنواتِ
لكنه في المرءِ كيف يَعيشُها
في يقْظةٍ أم فيِ عميقِ سُبَات
قُمْ عُدَّ آلافَ السنينَ على الحصَا
أتعدُّ شبَه فضيلةٍ لحصاةِ؟
خيرٌ من الفَلَوات لا حدٌّ لها
روضٌ أغنُّ يُقاسُ بالخطوات
كنْ زهرةً أو نغمةً في زهرةٍ
فالمجدُ للأزهارِ والنغَمات
تمشي الشُّهورُ على الورود ضَحوكةً
وتنامُ في الأشواك مكتئِبات
وتموتُ ذي للعُقْم قبلَ مماتها
وتعيشُ تلك الدَّهرَ في ساعات
تُحصَى على أهلِ الحياة دقائقٌ
والدهرُ لا يُحصَى على الأموات
العمرُ ـ إلاّ بالمآثر ـ فارغٌ
كالبيت مهجوراً وكالموماة[1]
جَعلَ السِّنينَ مجيدةً وجميلةً
ما في مطاويها من الحَسَنات

****

(١) المفازة الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس..

٢٨ - إليكَ عنّي[١]

[الكامل]

كم تـسـثـيـرُ بيَ الـصَّـبـابـةَ والـهـوى
عـنِّي إلـيكَ، فـإنَّ قـلـبيَ من حـجَـرْ
مـا لي ولـلـحَـسـنـاءِ أُغـري مُـهـجـتي
بـوصَـالـهـا، والـشَّـيبُ قـد وَخَطَ الـشّـعَـر
كم « بـالجـزيـرةِ » لـو يـتـاحُ ليَ الـهـوى
من غـادةٍ تحـكي بـطـلـعـتِـهـا الـقـمـر
ولـكَمْ بـهـا من جَـدولٍ وحـديـقـةٍ
من صَـنْـعـةِ الـرَّحـمن لا صُـنعِ الـبـشـر
فـيـهـا الـلـواتي إنْ رمَتْ ألحـاظُـهـا
شَـلّتْ يـدَ الـرَّامي وقـطَّـعتِ الـوتـر[٢]
قـد كـان لي في كل خَـوْدٍ مـطـمعٌ
ولـكل رائـعـةِ المحـاسنِ بي وتَـر[٣]
أيـامُ شَـعـري كـالـدجى مُـحْـلـولِكٌ
أيـامُ عَـيْـشي لا يُـخـالـطُه كـدَر

ذرني وأشـجـاني، وجـسـمي، والـضَّـنى
ويـدي، وأقلامي، وطَـرْفِي، والـسَّـهَـرْ

---

(١) النص مجتزأ من نص طويل موجه إلى (شكري أبي صالح). انظر في شعر الشاعر (خارج الدواوين)، النص رقم (٢) وانظر ما قلنا فيه.

(٢) واحد من أوتار القوس.

(٣) يعني هنا وتراً من أوتار العود.

أأبـيتُ ألــهــو والــهــمــومُ تُــحــيط بي
وأنــامُ عن قــومي، وقــومي في خــطــر!
صــوتُ المــصــفِّقِ مــوعــدٌ مــا بــيــنــنــا
مــاذا أقــول لــهم، إذا الــديكُ اسْــتَــحَــر؟[1]

✷✷✷✷

(١) استحر الطائر: غرّد بسحر، يعني: الدعوة إلى النهوض.

٢٩ - دودة وبلبل

[الخفيف]

نـــظَـــرتْ دودةٌ تـــدِبُّ عـــلى الأرْ
ضِ إلى بُـلـبلٍ يـطـيـرُ ويَـصـدَحْ
فـمَـضتْ تـشـتـكي إلى الـوَرَقِ الـسَّـا
قِطِ في الحـقل: أنَّـهـا لم تُـجَـنَّح
فـأتتْ نمـلـةٌ إلـيـهـا وقـالت
اقـنَـعي واسـكُـتِي فـمـا لكِ أَصـلَح
مـا تـمـنّـيتِ إذ تـمـنـيتِ إلا
أن تـصـيـري طـيـراً يُـصـاد ويُـذبح
فـالـزَمي الأرضَ فـهي أحـنَى عـلى الـدُّو
دِ وخَـلِّي الـكلامَ فـالـصَّـمتُ أريح

****

٣٠ - هديّة العيد

[الخفيف]

أيَّ شيءٍ في الـعـيـد أُهـدي إلـيكِ
يـا مـلاكـي، وكـلُّ شـيءٍ لـديكِ
أسِـواراً؟ أم دُمْـلُـجـاً من نُـضَـارٍ؟[1]
لا أُحبُّ الـقُـيـودَ في مِـعْـصـمَـيْك
أم خُـمـوراً؟ ولـيس في الأرض خَـمـرٌ
كـالـتي تـسـكـبـينَ من لحـظَـيْك
أم ورود؟ والـورد أجـمـلُهُ عِـنْ
ـدي الـذي قـد نَـشَـقْتُ من خـدَّيك
أم عـقـيـقَـاً كـمُـهـجَـتي يـتَـلـظّى؟
والـعـقـيقُ الـثـمـينُ في شـفـتـيكِ
لـيس عـنـدي شيءٌ أعـزُ من الـرُّو
حِ وروحي مَـرهُـونـةٌ في يـديك

****

(١) الدُمْلُج والدملوج: السوار من الحليّ، ويغطي العضد. والنضار : الذهب الخالص.

٣١ - إن الحياة قصيدة!

مـــا لـــلـــقـــبـــورِ كـــأنَّـــمـــا لا ســـاكنٌ
فـيـهـا وقـد حَـوَتِ الـعُـصـورَ المـاضـيهْ
طَـوَتِ الملايـينَ الـكـثـيـرةَ قـبـلَـنَـا
ولـسـوفَ تَـطـويـنـا وتـبـقَى خـالـيه
أينَ الـمَـهـا وعـيـونُـهـا وفـتـونُـهـا
أينَ الجَـبـابِـرُ والمـلـوكُ الـعـاتـيه
زالـوا من الـدُّنـيـا كـأنْ لم يُـولَـدوا
سَـحَـقَـتْـهُـمُ كفُّ الـقـضـاءِ الـقـاسـيه
إنَّ الحـيـاةَ قَـصـيـدةٌ أعـمـارُنـا
أبـيـاتُـهـا، والمـوتُ فـيـهـا الـقـافـيه
مَـتِّعْ لِـحَـاظَكَ في الـنُّـجـوم وحُـسـنِـهـا
فـلـسـوفَ تـمـضـي والـكـواكبُ بـاقـيه

****

٣٢ - ليالي بوسطن

[الرمل]

إنْ أَغِبْ يـــا صـــحبُ عن ذاكَ الحـــمى
لم أزلْ مـــعْـــكُمْ كـــمـــا أنـــتمْ مـــعي
فـــإذا الأنجمُ شـــعَّتْ في الـــسَّـــمـــا
قـــلتُ هـــذي أنـــتمُ في مَـــجْـــمع
وإذا الـــشَّـــادي بـــلـــحنٍ رنَّـــمـــا
خِـــلـــتُهُ أصـــواتَـــكُمْ في مَـــسْـــمـــعي

☆☆☆☆☆☆

آهِ لـــو يُـــغْـــنِي خَـــيـــالٌ عن عِـــيَـــانِ
كـــان كـــالـــمَـــنْـــهلِ، رسمَ المَـــنْـــهلِ
ولـــعـــاشَ المـــرءُ في دُنـــيـــا الأمـــاني
يـــقـــطعُ الـــدُّنـــيـــا ولم يـــنـــتَـــقِل
وَسَـــلَـــوْنـــا عن مـــكـــانٍ بمـــكـــانِ
ولأغْـــــــــنَى آخـــــــــرٌ عـن أوّل

☆☆☆☆☆☆

ولَـــنـــابتْ عن نجـــومٍ نَـــيِّـــراتٍ
صُـــوَرٌ مـــطـــبـــوعـــةٌ في الـــورَقِ
واكـتـفـيـنـا بـخـريـرِ الـسَّـاقـيـاتِ
في الـــدُّجى عن مـــائـــهـــا المُـــنـــدَفِق

☆☆☆☆☆☆

يـــا لـــيـــالي « بـــوسَـــطُنْ « هل تـــرجـــعـــينْ
فـــأرى صـــحـــبِي الـــكـــرامَ الـــبَـــررَهْ

ويـــزولُ الـــهمُّ عن قـــلـــبي الحـــزينْ
بـالـوجـوه الـمُـشْـرقَـاتِ الـنّـضـِرهْ
إنـه يـــســـــأَلُـــنـي في كلِّ حـــينْ:
أين تـــلك الجـــنَّـــةُ المخـــتَـــصَـــره؟

☆☆☆☆☆

ذهـــبتْ يـــا قـــلـبُ إلا ذكـــريـــاتْ
كـبـــروقٍ ضـــحـــكتْ في الـــغَـــسَقِ[1]
تَـــأنسُ الـــعـــينُ بـــهـــا في الـظُّـلـمـاتْ
وهـي تـــــفـــــنى في رحـــــابِ الأفُق
يـــا لـــيـــالي بـــوسَـــطُنْ لـــيت الحـــيـــاةْ
عَـــدلَتْ فـــيـــنـــا فـــلم نَـــفْـــتَـــرِق

✱✱✱✱

(١) الغسق: أول ظلمة الليل.

٣٣ - صوت من سوريّا

[مجزوء الرمل]

صـــوتُ ســـوريَّـــا الجـــمـــيـــلـهْ
صـــوتُكِ الـــعـــذبِ الـــرخـــيمْ
ضـــاحكٌ مـــثلَ الخـــمـــيـــلَهْ
لاعبٌ مـــثلَ الـــنَّـــســـيم

☆☆☆☆☆

يـــا أخَـــا الـــورْقَـــاءِ[١] غنِّ
فـــالـــغِـــنَـــا شِـــعـــرُ الـــســـمـــاءْ
فـــهْـــوَ في الـــغُـــصن تَـــثَنّ
وهـــو في الـــنَّـــجم بـــهـــاء

☆☆☆☆☆

صـــوتُ ســـوريـــا الجـــمـــيـــلـهْ
صـــوتُكِ الـــعـــذبُ الـــرخـــيم
ضـــاحكٌ مـــثلَ الخـــمـــيـــله
لاعبٌ مـــثلَ الـــنـــســـيمْ

☆☆☆☆☆

غـــنِّـــنـــا حـــتى نَـــمِـــيلا
مـــثلَ أغـــصـــانِ الأَراكِ[٢]
كم بِـــنـــا صـــبّـــاً عـــلـــيلا
لا يـــداويـه سِـــواكِ

☆☆☆☆☆

---

(١) الحمامة في لونها بياض وسواد.
(٢) شجر أغصانه طيبة الرائحة، يُتخذ منها السّواك.

صـــوتُ ســـوريّـــا الجـــمـــيـــلهْ
صـــوتُكِ الـــعـــذبُ الـــرّخـــيم
ضـــاحكٌ مـــثلَ الخـــمـــيـــله
لاعبٌ مـــثلَ الـــنّـــســـيمْ

أيـــهـــا الـــمَـــحـــزونُ هـــيّـــا
واســـمعِ الـــيـــومَ الـــكَـــنـــارْ[1]
ســـاجِـــعـــاً ســـجْـــعـــاً شَـــجـــيّـــا
ذاكـــــراً تـــــلك الـــــديـــــار

صـــوتُ ســـوريّـــا الجـــمـــيـــلهْ
صـــوتُكِ الـــعَـــذبُ الـــرخـــيم
ضـــاحكٌ مـــثلَ الخـــمـــيـــله
لاعبٌ مـــثلَ الـــنّـــســـيمْ

لـــيـــتـــنـــا كـــنَّـــا طـــيـــورا
حـــولَ عـــيْـــنٍ أو غـــديـــرْ
نـــرشفُ المـــاءَ نَـــمـــيـــرا[2]
نـــلـــقُطُ الحَبَّ الـــنـــثـــيـــر

صـــوتُ ســـوريّـــا الجـــمـــيـــله
صـــوتُكِ الـــعـــذبُ الـــرخـــيم

(١) الكناريّ طائر حسن الصوت، منسوب إلى جزر الكناري الإسبانية في المحيط الأطلسي.
(٢) الماء النمير: الماء الناجع.

ضـــــاحكٌ مـــــثلَ الخَـــــمـــــيـــــلـه
لاعبٌ مـــــــثلَ الـــــــنَّـــــــســـــــيمْ

مـــــوطنٌ نـــــهـــــوى سُـــــهـــــولَهْ
مـــــثـــــلـــــمـــــا نـــــهـــــوى رُبـــــاهْ
الـــــصَّـــــبـــــا فـــــيـــه عـــــلـــــيـــــلَهْ
تَـــــــتَـــــــداوى بِـــــــنـــــــداه

كم بـــــدا الـــــبـــــدرُ ضَـــــحـــــوكًـــــا
راقِـــــصـــــاً فـــــوق الـــــكـــــرومْ
واسْـــــتَـــــوى الـــــلـــــيلُ مَـــــلـــــيْـــــكـــــا
لابـــــســـــاً تـــــاجَ الـــــنُّـــــجـــــوم
صـــــوتُ ســـــوريـــــا الجـــــمـــــيـــــلهْ
صـــــوتُك الـــــعـــــذْبُ الـــــرخـــــيم
ضـــــاحكٌ مـــــثلُ الخـــــمـــــيـــــلـه
لاعبٌ مـــــــثلَ الـــــــنَّـــــــســـــــيم

٣٤ - حكمة المتنبّي

[الطويل]

جلستُ أناجي روحَ أحمدَ في الدُّجى
ولليلهمٍّ حَولي كالظلامِ سُدولُ
أُفكِّر في الدنيا وأبحثُ في الورى
وعينيَ ما بين النجومِ تَجُول
طويلاً، إلى أن نال من خاطري الونى[1]
ورانَ على طَرْفي الكليلِ ذُبول
فأطرقتُ أمشي في سطورِ كتابهِ
بطرفي، فالفيتُ السطورَ تقول
« سِوى وجَعِ الحُسَّادِ داوِ فإنه
إذا حلّ في قلبٍ فليس يَحول»
« فلا تطمَعَنْ من حاسدٍ في مودةٍ
وإن كنتَ تُبديها له وتُنِيل»

****

(١) الضعف والفتور والإعياء.

٣٥ - أنفُس العُشّاق

[مجزوء الكامل]

بـــالأمسِ بـــادَرَني صـــديقٌ حـــائـــرٌ يـــســـتَـــفـــهِمُ
أجـــهـــنّمُ نـــارٌ، كـــمـــا زعَمَ الـــهُـــداةُ وعـــلّـــمـــوا؟
أم زمـــهـــريـــرٌ قـــارِسٌ قـــاسٍ وكَـــونٌ مُـــظـــلـــم؟
فـأجـبـتُه: مـا الـزَّمـهـريـرُ ومـا الـلّـظى المـتـضـرِّم
بـــجـــهـــنَّمٍ..! لـــكـــنَّـــمـــا ألا تُـــحَبُّ: جـــهـــنَّم
يـــا صـــاحـــبي إنّ الخَـــواءَ هـــو الـــعـــذابُ الأعـــظم
الـــقـــلبُ، إلاّ بـــالمحـــبـــةِ، مـــنـــزلٌ مُـــتـــردِّم[1]
هي لـــلـــجـــراحـــةِ مَـــرْهمٌ، هيَ لـــلـــسَّـــعـــادة سُـــلَّم
هيَ في الـــنُّـــجـــوم تـــألـقٌ، هي في الحـــيـــاة تـــرنُّم
هيَ أنـــفسُ الـــعُـــشّـــاقِ في غَـــسَقِ[2] الـــدُّجى تَـــتَـــبـــسَّم

****

(١) متهدم (يملؤه الردم).

٣٦ ـ روحي فداك

[الكامل]

لـــمّـــا رأيتُ الـــوردَ في خـــدِّيكِ
وشـقـائقَ الـنُّـعـمـانِ في شـفَـتـيك
وعـلى جـبـيـنِكِ مـثلُ قَـطْـراتِ الـنَّـدى
والـنَّـرجسُ الـوسـنـانُ في عـيـنـيك
ونـشـقتُ من فَـوْدَيْكِ[1] نـدّاً عـاطـراً
لـمّـا مـشتْ كـفّـاكِ في فَـوْديك
ورأيتُ رأسَكِ بـالأقـاحِ مُـتـوَّجـاً
والـفُلَّ طـاقـاتٍ عـلى نـهـديك
وسـمـعتُ حـولَكِ همسَ نـسْـمـاتِ الـصَّـبـا
عـنـد الـصـبـاح، تـهـزّ من عِـطْـفـيك[2]
أيـقـنـتُ أنك جـنّـةٌ خَلاّبـة
فـحـنـنتُ من بَـعْـدِ الـمَـشـيبِ إلـيك
ولـذاكَ قـد صَـيّـرتُ قـلـبي نَـحْـلـةً
يـا جـنَّـتي، حـتّى يـحـومَ عـلـيك
روحي فِـداؤُك إنَّـهـا لـو لم تـكن
في راحـتـيكِ، هَـوَتْ عـلى قـدمـيك..

****

---

(١) جانبا الرأس.

(٢) العطفان: الجانبان عن يمين وشمال.

٣٧ - لو

[السريع]

لــو أنــني يــا هــنــدُ بــدرُ الــسّــمــا
نــــزلتُ من أفْـــقي إلى مَـــخْـــدَعِكْ[١]
وصِـــرتُ عِـــقـــداً لكِ أو خـــاتَـــمـــا
في جِـيـدِك الـنّـاصعِ أو إصـبَـعِك
أو بُـــلـــبلَ الـــروضِ مـــا لـــذَّ لِي
الإنـشـادُ إنْ لم يـكُن في مَـسـمَـعك
ولـــــو أكـــــونُ الأرجَ الـــــذاكي
لمـــا هـــجـــرتُ الـــرَّوضَ لـــولاكِ
ومـــا حَـــوانِي غـــيـــرُ مَـــغْـــنـــاك
ولم أَفِحْ حـــتى تـــكـــوني مـــعي

فـــيكِ وفي الـــوردةِ سِـــرُّ الـــصِّـــبـــا
وفي الـصِّـبـا سـرُّ الـهـوى والجـمـالْ
فـــإنْ تَـــرَيْـــني واجـــمـــاً بـــاهـــتـــاً
حـيـالَـهـا أخـشى عـلـيـهـا الـزَّوال
فـــإنَّـــني شـــاهـــدتُ طـــيفَ الـــرَّدى
يـــنـــسلُّ كـــالـــسّـــارقِ بـــين الـــظِّلالْ

---

(١) المَخْدَعُ: الحجرة في البيت.

ولاحَ لـي فـي الـــــورَقِ الـــــنَّـــــامي
مُـــــنـــــطـــــرِحـــــاً في الأرض قُـــــدّامي
أشـــــــبـــــــاحُ آمـــــــالـي وأحـلامي
أحـلامُ مَن؟ أحـلامُ مُـــــضْـــــنـــــاكِ

✷✷✷✷

٣٨ - مقلتان

[السريع]

رأيتُ في عـيـنـيكِ سِـحـرَ الـهـوى
مُـنـدفِـقـاً كـالـنُّـورِ من نَـجـمـتـيْنْ
فـبتُّ لا أقـوى عـلـى دفـعِـه
من ردّ عـنه عـارضـاً[1] بـالـيـدين؟
يـا جـنَّـةَ الحُبِّ ودنـيـا الـمُـنى
مـا خِـلْـتُـني ألـقـاكِ في مُـقْـلَـتـين

✱✱✱✱

٣٩ - فردوسي

بـنـيتُ فِـرْدوسي وزَخْـرفْـتُهُ
حـتى إذا مـا تمَّ ضـيّـعـتُه
أجـريتُ في أنـهـاره كـوثـراً
فـذاقَهُ الـنـاسُ ومـا ذُقـتُه

✱✱✱✱

(١) العارض هنا: ما يعترض المقدم على الأمر.

٤٠ - ثقيل

[الخفيف]

وثـــقـــيلٍ كـــأنه بَـــرْدُ كـــانـــو
نَ قـــلـــيلِ الحـــيـــاءِ جمٍّ الـــكلامِ
لـــيس يـــدري بـــأنه لـــيس يـــدري
إنَّ بـــعضَ الأنـــامِ كـــالأنـــعـــام
يـتـمـنى يـا بُـعْـدَ مـا يـتـمـنَّى
لـــو جـــرى ذكـــرُهُ عـــلى الأقلام
والـــذي أطـــمعَ الـــلـــئـــيمَ وأغـــرا
هُ بـــسببٍّ الـــكِـــرام حِـــلْمُ الـــكِـــرام
والـــذي صـــيّـــرَ الـــكـــريمَ حـــلـــيـــماً
كُـــرْهُه أن يُـــعَـــدَّ صِـــنْـــوَ الـــطَّـــغَـــام[1]
مَـــنَـــعَ الـــبـــومَ أن يُـــصَـــادَ ويُـــرمَى
كـــونُهُ غـــيـــرَ صـــالحٍ لـــلـــطـــعـــام!

****

(١) أوغاد الناس.

٤١ - وداع

[الكامل]

ذهبَ الـربـيعُ فـفي الخـمـائل وَحْـشـةٌ
مـثلُ الـكـآبـةِ من فِـراقِكَ فـيـنـا
لـو دُمتَ لم تحـزَنْ عـلـيه قـلـوبُـنـا
ولـئن أضَـعْـنَـا الـوردَ والـنَّـسْـريـنـا
فـلـقـدْ وجَـدْنـا في خِلالِكَ زهـرَهُ الْـ
ـمُـفْـتـرَّ والمـاءَ الـذي يَـرويـنـا
ونـسـيـمَهُ الـسَّـاري كـأنـفـاسِ الـرضـا
وشـعـاعَهُ يـغـشى المـروجَ فُـتـونـا
حُـزتَ المحـاسنَ في الـربـيع وفُـقْـتَهُ
إذْ لـيس عـنـدكَ عَـوْسَجٌ[1] يُـدمِـيـنـا

☆☆☆☆☆☆

يـا أشـهـراً مَـرَّتْ سِـراعـاً كـالـمُـنى
لـو أسـتـطـيعُ جـعـلـتـكنَّ سِـنـيـنـا
وأمـرتُ أن يـقفَ الـزمـانُ عن الـسُّـرى
كـيلا نمـرَّ بـسـاعـةٍ تُـبـكـيـنـا
ونمـدّ أيـديَـنـا فـتـرجعُ لم تُـصبْ
وتـعـودُ فـوقَ قـلـوبِـنـا أيـديـنـا
خـوفـاً عـلـيـهـا أن تَـسـاقطَ حـسـرةً
أو أن تَـفـيضَ لـواعِـجـاً وشُـجـونـا

(١) شجر من شجر الشوك (المفرد عوسجة).

قـد كـنتُ خِـلْتُ الـدهـرَ حـطّمَ قـوسَهُ
حـتى رأيتُ سِـهـامهُ تُـصـمِـيـنـا
فـكـأنَّـمـا قـد سـاءَهُ وأمـضَّه
أنّـا تـمَـتَّـعْـنـا بـقـرْبِكَ حـيـنـا

✱✱✱✱

٤٢ - تحيَّة الشاعرِ

[الرمل]

قالها في بعض الشُّعراء وأهل الفكر في الوطن والمهجر «في يوبيل شكيب أرسلان»

امـــنـــحِـــيـــنـي يـــا نجـــومُ الأَلَـــقَـــا
وهَـــبـــيـــنـي يـــا زهـــورُ الـــعَـــبَـــقـــا
أبـــعثُ الـــشِّـــعـــرَ إلى الـــدنـــيـــا هـــوىً
وضـــيـــاءً وغِـــنـــاءً شَـــيِّـــقـــا
فـــإذا خـــامـــرَ نـــفـــسَـــاً طَـــرِبتْ
وإذا لامس قـــلـــبـــاً خَـــفَـــقـــا
وإذا يُـــتـــلَى لـــمُـــشـــتَـــاقٍ سَلا
وإذا يُـــروى لـــبَـــاكٍ صَـــفّـــقـــا
فَـــمِنَ الـــشِّـــعـــرِ لـــقـــومٍ حِـــكـــمـــةٌ
ومـن الـــشّـــعـــرِ لأقـــوامٍ رُقـى[1]
أنـــا لا أســـتـــعـــذبُ الـــشّـــعـــرَ إذا
لـم أجـــدْهُ روضـــةً أو أُفُـــقـــا

☆☆☆☆☆☆

حـــبَّـــذا لـــيـــلـــتُـــنـــا من لـــيـــلـــة
يُـــكْـــرِم الأحـــرارُ حُـــرّاً لَـــبِـــقـــا
شـــاعـــرٌ مـــا إنْ جـــرى في حـــلْـــبـــة
أبـــداً إلاّ وكـــان الأســـبَـــقـــا
كـــاتبٌ لا بلْ سَـــحـــابٌ هَـــتِنٌ[2]
كم روى الأرواحَ خَـــمـــراً وسَـــقى!

---

(١) الرُّقية: العوذة.

(٢) هتن المطر: هطل.

قُلْ لمن حـــاولَ أن يـــلـــحـــقَهُ
إنَّ هـــذا عـــارضٌ[1] لن يُـــلْـــحَـــقـــا
قـــلـــمٌ يَـــهْـــمِي عـــلـــى أمَّـــتِه
رحـمـةً إذ تُـمـطِـر الـدنـيـا شَـقَـا
وإذا مـــــا أوذِيَتْ أو ظُـــلـــمَتْ
أمْـطـرَ الـدُّنـيـا شُـواظـاً[2] مُـحْـرِقـا
ودَوتْ زعْـقَـاتُه كـابن الـشَّـرى
رِيعَ في عِـرِّيـسه أو ضـويـقـا[3]
هـــو لـــلـــحقِّ إلى أن يـــنـــجَـــلي
وعـلـى الـبـاطل حـتى يُـزهَـقـا
أنـفَق الـعُـمـرَ عـلى خِـدمـتِـهـا
آهِ مـا أغـلى الـذي قـد أَنـفَـقـا!
قُلْ لمن أَرجفَ كي يُـــقـــلـــقَهُ
في حِـمـاه: إنَّه لن يُـقْـلَـقـا
ولمن حـــاولَ أن يُـــغـــضِـــبهُ:
إنَّه أعـلى وأسـمى خُـلُـقـا
أَأمـيـرٌ تـتّـقـيه دولـةٌ
يـتـوقّى كـاشِـحـاً مـخـتـلِـقـا؟
وهـو مـثلُ الـشـمس لن يـبـلـغَـهَـا
صـاعـدٌ مـهـمـا تـعـالى وارتـقى
إنَّ يـوبـيـلَكَ يُـوبِـيلُ الـنُّـهى
هـنَّـأتْ (بـغـدادُ) فـيه (جِـلَّـقـا)[4]

✱✱✱✱

(١) السحاب يعترض الأفق.
(٢) القطعة من النار.
(٣) الشَرى: موضع تنسب إليه الأسود، ويقال: للشجعان: هم أسود الشَّرى. وعِريسة الأسد (دون تشديد) ما يجمعه في مأواه لأشباله، كالعش للطائر.

٤٣ - أخو الورقاء

[الكامل]

رسالة إلى الشاعر القروي أُلقيت في الحفلة الوداعية التي أُقيمت في ولاية تكساس وقد تعذَّر على النَّاظم حُضورَها.

لـلـهِ من عَـبَثِ الـقـضـاءِ وسُـخْـرِهِ
بـالـنـاسِ والحـالاتِ والأشـيـاءِ
كم دُرّةٍ في الـتَّـاج، ألفٌ مـثـلُـهـا
في الـقـاعِ، لم تـخـرُجْ من الـظـلـماء!
ولـكم تـعـثّـرَ بـالـغـبـارِ سَـمَـيْـدَعٌ[1]
وانـداحتِ الأَطـوادُ لـلـجُـبـنـاء
ولـكَم جَـنَى عِـلْمٌ عـلى أربـابِه
وجـنَى الـهـنـاءَ جـمـاعـةُ الجُـهلاء
أرأيتَ أعـجبَ حـالـةٍ من حـالـنـا
أَزِفَ الـرَّحـيلُ ولم نَـفُـزْ بـلِـقـاء!
عـاشتْ شُـهـوراً بـالـرَّجـاء قـلـوبُـنـا
وبـلـحـظـةٍ أمـستْ بـغـيـرِ رجـاء
مـاتتْ أمـانـيـنـا الحـسَـانُ أجَـنّـةً
لم تَـكـتَـحِلْ أجـفـانُـهـا بـضـيـاء
فـكـأنَّـهـا بَـرْقٌ تـألّقَ وانـطـوى
في الـلـيل، لم تـلْـمـحْهُ مُـقـلـةُ راء
وكـأنـنـا كـنَّـا نُـحـلِّقُ في الـفـضـا
صُـعُـداً لـنـلـمسَ مَـنـكِبَ الجـوزاء

---

(١) السيد الكريم السخيّ الشجاع السريع (جمعه: سمادع وسمادعة).

حـتى إذا حـانَ الـوصـولُ.. رَمَتْ بـنـا
نـكْـبـاءُ عـاتـيـةٌ إلى الـغَـبـراء[1]!
وكـأنَّ « تِـكْـسَـسَ» وهي في هـذا الحِمى
صُـقْعٌ[2] « كـسـانـبـولٍ » قَـصِيٌّ نـاءِ
طُـوبى لـهـا، إن كـان يـعـلـم أهـلُـهـا
أنَّ الـنـزيلَ بـهـا أخـو الـورْقـاءِ[3]
كـانتْ مَـسـارحَ « لـلـرُّعـاةِ » فـأصـبـحتْ
لـمّـا أتـاهـا، كـعـبـةَ الـشُّـعـراء
هـو بـلـبلٌ عَـبَقُ الـنُّـبـوّةِ في أغَـا
نِـيه، وفـيـهـا، نَـكْـهَـةُ الـصَّـهْـبـاء
وجلالُ لـبـنـانٍ وقـد غـمـرَ الـمَـسَـا
هـضـبـاتِه، وانـسـالَ في الأوداء
غـنَّى، فـفي الـنَّـسـماتِ والأوراق والـ
غُـدرانِ أعـراسٌ بـلا ضـوضـاء
وبـكى، فـشـاعَ الحـزنُ في الأزهـار والـ
أظـلالِ والألـوان والأضْـواء
هـو نـفـحـةٌ قُـدْسـيَّـةٌ هـبـطتْ إلى
هـذا الـثّـرى من عـالَمِ اللألاء
لـو عـاد لـلـدنـيـا الـبُـراقُ وحُـزتُهُ
مـا كـان إلا نـحـوَهُ إسْـرائي[4]
أشـكـو الـبِـعـادَ ولـيس لي أن أشـتـكي
فـسـمـاؤهُ مَـوصـولـةٌ بِـسَـمَـائي

---

(١) الأرض.
(٢) الناحية والجهة والمحلّة.
(٣) الحمامة الورقاء: الرمادية اللون.
(٤) البراق: مركب الرسول (ص) ليلة الإسراء والمعراج.

مـا حـالَ بـين نـفـوسـنـا: مـا حـالَ بَـيْـ
ـنَ جُـسـومـنـا من أجْـبُلٍ وفـضـاء
فـلـكَمْ نـظـرتُ إلى الـرُّبـا فـلـمـحـتُه
في الأقُـحـوانِ الخَـيِّـرِ الـمِـعْـطـاء
وسـمـعتُ سـاقـيـةً تَـئنُّ فـخِـلْـتُـنـي
لِـبُـكـائِه أوطـانَه إصـغـائي
وإذا تـلـوحُ ليَ الجـبـالُ ذكـرتُهُ
فـالـشـاعـرُ الـقَـرويُّ طَـوْدُ إبـاء
مَن كـان يـحـلُمُ بـالـغـديـر فـإنَّه
يـبـدو له في كلِّ قـطـرةِ مـاء
إنْ كـنتُ لم أرَهُ فـقـدْ شـاهـدتُهُ
بـعُـيـونِ أصـحـابي، وذاكَ عَـزائي

أفَـتَى الـقَـوافيَ كـالـشِّـواظ عـلى الـعِـدا
وعـلـى قـلـوبِ الـصَّـحْبِ كـالأنـداء
سـارت إلـيكَ تحـيَّـتي ولـو اَنَّـني
خُـيِّـرتُ، كـنت تحـيـتي ودُعـائي

✱✱✱✱

٤٤ - شاعر الدّير

[البسيط]

أُلقيت في حفلة تكريم الشاعر مسعود سماحة.

عــادتْ ريــاضُ الــقــوافي وهي حَــالــيــةٌ
وكــان صــوَّحَ فــيــهــا الــزهــرُ والــعُــشُبُ
واسْــتــرجَــعتْ دولــةُ الأقلام نــخــوتَــهَــا
وكــــان أدْرَكــــهــــا الإعــيــــاءُ والــتَّــعب
بــشــاعــرٍ عَــبــقــريٍّ، في قــصــائــده
عــطْــرٌ وخــمــرٌ وسَــحــرٌ رائقٌ عَــجَب
فــاشــربْ بــروحكَ خَــمــراً كــلّــهــا أَرَجٌ
وانــشَقْ بــروحكَ عِــطــراً كــلُّهُ طَــرَب
وامــرَحْ بــدنــيــا جــمــالٍ من تــصــوُّره
فــإنَّــهــا الــسّــحــرُ إلا أنَّه أدَب
والــبَسْ مَــطــارفَ حــاكَــتْــهَــا يــراعــتُهُ
تَــبــقى عــلــيكَ ويَــبــلَى الخَــزّ والــقَــصَب[1]
كم دُرّةٍ يــتــمــنّى الــبــحــرُ لــو نُــسِــبَتْ
إلــيه، بــاتتْ إلى مــســعــودَ تَــنْــتــسِب
لــو أنَّــهــا فــيه لم تــهــتَجْ غَــوارِبُه[2]
لــكــنَّــهــا لــســواهُ فــهــو يَــصــطَــخِب
فلا جُــنــاحٌ إذا مــا قــال شــاعــرُنــا
لــلــبــحــر: يــا بــحــرُ أغــلى الــدُّرِّ مــا أَهَب!

(١) الخزّ:الحرير، والقصب: أنابيب من جوهر. والمُطْرف: الرداء من الحرير (والجمع: مطارف).
(٢) غرب كل شيء حدّه.

يـا شـاعـرَ «الـدَّيـرِ»[1] كم هَـلْـهْـلتَ قـافـيـةً
غـنّـى الـرواةُ بـهـا واخْـتَـالتِ الـكُـتبُ
طلاقَـةُ الـفـجـرِ فـيـهـا وهـو مـنـبـثقٌ
ورقَّـةُ المـاء فـيـهـا وهـو مُـنـسـكب
مـرَّتْ عـلى هَـضـبـاتِ الـدَّيـر هـائـمـةً
فـكـادَ يـورِقُ فـيـهـا الـصَّـخـرُ والحـطب
إذا تَـسـاقَى الـنَّـدامى الـراحَ صـافـيـةً
كـانت قَـوافـيكَ في الـرّاح الـتي شـربـوا
فـأنتَ في ألـسُنِ الأشـيـاخِ إنْ نـطـقـوا
وأنت في هـمَمِ الـشُّـبـان إنْ وثـبـوا

مـسـعودُ عـيدُك والـشّـهرُ الجـميلُ[2] مـعـاً
قـد أقـبـلا وأنـا في الأرضِ أضْـطَـرب
يـحـزُّ نـفـسـيَ أنِّي الـيـومَ مـبـتـعِـدٌ
وأنت من حـولكَ الأنـصـارُ والـصَّـحَبُ[3]
الـبـيـدُ «والـنـاس» مـا بـيـني وبـيـنـكمُ
لـيت المَـهَـامهَ[4] تُـطْـوَى لي فـأقـتـرِبُ
مـا كـان أسـعـدَني لـو كـنتُ بـيـنـكمُ
كـيـمـا يـؤدي لـسـاني بـعضَ مـا يـجب
لـصـاحبٍ أنـا تـيَّـاهُ بـصُـحْـبـتِه
وشـاعـرٍ طـالمـا تـاهتْ به الـعَـرَب

✱✱✱✱

(١) دير القمر بلدة الشاعر سماحة.
(٢) شهر أيار ١٩٣٩
(٣) الصحْب: (على الأصل) وجمعها أصحاب.
(٤) المهمه: المفازة البعيدة، وجمعها (مهامه).

٤٥ - لا يُدرِك الهرمُ النجوم

[مجزوء الكامل]

قصيدة بعث بها إلى صديقه الشاعر المرحوم مسعود سماحة.

يـا شـاعـراً حـلـوَ المـودّة في الحـضـورِ وفي الـغـيـابْ
شَـهْـدٌ ولاؤُكَ والأنـام ُولاؤهُمْ شَـهـدٌ وصَـاب[1]
أنـا إن شـكـوتُ إلـيك مـنكَ، وسـالَ في كُـتُـبي الـعِـتـابْ
فـحِـكـايـتي كـحـكـايـةِ الـظـمـآنِ في قَـفْـرٍ يَـبَـاب
لم يَـرْوِه لمعُ الـسَّـرابِ فـراحَ يـسـتـسـقِي الـسَّـحـاب
فـهَـمَـى فـكـان الخـيـرُ فـيه للأبـاطحِ والـهِـضـاب
« مـسـعـودُ » أهـونْ بـالمـشـيبِ فـمـا امّـحى إلا الخِـضـاب
مـاذا عـلـيكَ من الـثـلـوجِ وفي ضـلـوعِكَ حَـرٌّ آب
الـكـأسُ أجـملُ في الـنـواظـر إذ يـرصِّـعُـهـا الحَـبَـاب[2]
إنْ شـابَ مـنك الـمَـفْـرِقَـانِ فـمـا أظنّ الـقـلـبَ شـاب
لا تـزعُـمَنَّ له المـتـابَ فـإنّ تـوبـتـه كـذاب
مـا زالَ يـخـفُقُ بـالـهـوى، ويـفـيضُ بـالـسِّـحـر الـعُـجـاب
ويُـريكَ دنـيـا لا تُـحَـدُّ، ومن ورائك ألفَ بـاب
دنـيـا من الـلـذّاتِ والأفـراح في دنـيـا عَـذَاب
ويُـريكَ جـنَّـاتِ الجَـمـالِ وأنت في الـطَّـلـلِ الخَـراب

☆☆☆☆☆

أفَـتى الـقـوافي الـشـادياتِ كـأنـهـا أطـيـارُ غـاب

---

(١) الصاب: عصارة شجر مرّ (واحدته صابة).

(١) الفقاعات التي تعلو سطح الشراب (اليعاليل).

إنْ قيلَ إنَّك صِرتَ شيخاً قُلْ: أجلْ شيخَ الشّباب
أتُرى إذا العنوانُ ضاع يضيعُ مضمونُ الكِتاب؟
السَّيفُ ليس يَعيبُه مشيُ الخُلوقةِ في القِراب[1]
والخمرُ خمْرٌ في إناءٍ من لُجينٍ أو تراب
وحياةُ مثلِكَ ليس تدخلُ في قِياسٍ أو حِساب
فغدٌ زمانُكَ مثلُ أمسِ وإنْ مضى عصرُ الشَّباب
لا يدركُ الهَرمُ النجومَ وأنت في الدنيا شِهاب
وإذا يُعابُ على المَشيبِ فتىً فَمَن ذا لا يُعاب
أو كان يُمدحُ بالسّوادِ فمن تُرى مدحَ الغُراب؟

☆☆☆☆☆

يا نفحةً من شاعرٍ
أرِجَ الكِتابُ بها وطابْ
الفجرُ أهدى ليَ السَّنَا
والروضُ أهدى ليَ المَلاب[2]

✱✱✱✱

(١) قِراب السيف: غمده. والخلوقة بفعل القدم والاستعمال.
(٢) السنا: النور. والمَلاب: ضرب من الطيب كالخَلوق والزعفران.

٤٦ ـ بنت القفر

[الوافر]

أرسل الشاعر مسعود سماحة إلى صاحب الديوان القصيدة التالية مصحوبة بكميَّة من البُنْ الفاخر.

أدِرْهـا قـهـوةً كـعـصـيـر بِـكـرِ
تجـلَّتْ في الـكـؤوسِ بـكفِّ بِـكـرِ[1]
كـأنَّ المـسْكَ يـغـلي حـينَ تـغـلِي
ويـجـري في الأواني حـينَ تجـري
تُـعـيـدُ إلى الـضَّـعـيفِ قـوىً وتُـهـدي
إلـيه غـبـطـةً وصَـفـاءَ فِـكـر
تَـعـشَّـقُـهـا الـشـعـوبُ فَـكلُّ شـعْبٍ
أعـدّ لـهـا الـثـغـورَ وكلَّ قُـطـر
تَـلـوَّحَ حـبُّـهَـا في كلِّ كـوخٍ
ولاح حَـبَـابُـهـا في كلَّ قَـصْـر
يَـضُـوعُ عـبـيـرُهـا بـرمـالِ نَـجـدٍ
ويـعـبَقُ عـطـرُهـا بـقـصـورِ مِـصْـر
تـمـشـي عـنـبـراً في كلّ أنفٍ
وتـنـزلُ قـرقـفـاً[2] في كلِّ ثَـغْـر
ويـزري طـعـمُـهـا حُـلْـواً ومُـرّاً
بمـا في الأرض من حُـلْـوٍ ومُـرّ

---

(١) القهوة البكر، والفتاة البكر.

(٢) الخمر.

وسَـــمـــراءٍ إذا زادتْ صـــبـــاحـــاً
أحَبُّ إليَّ من بـــيضٍ وسُـــمـــر
يـحـوكُ لـهـا الـبـخـارُ رداءَ نَـدٍّ[1]
ويـكـسـوهـا الحُـبـابُ وشـاحَ دُرّ
كَـسـرْتُ الـدِّنَّ من عـهـدٍ بـعـيدٍ
فـأمـستْ بـعـدَ خـمـرِ الـدنِّ خـمـري
فـإنْ حـلَّت قُـواكَ جـيـوشُ ضَـعْفٍ
وهَـالَكَ عبءُ همٍّ مُـسْـبَـطِـرّ[2]
عـلـيكَ بـقـهـوةٍ رقَّتْ وراقتْ
كـشِـعـرِكَ لا يُـجـارَى أو كـشِـعْـري
(مسعود)

فأجابه بالقصيدة التالية:

شَـرِبْـنَـاهـا عـلى سِرّ الـقـوافي
وسِـرِّ الـشـاعـرِ الـسَّـمْحِ الأَبَـرِّ
سـقـانـا قـهـوتَـيْنِ (بـغـيـرِ مَنٍّ)
عـصـيـرِ شُـجَـيـرةٍ وعـصـيـرِ فِـكْـر
فـنـحن اثـنـانِ: سَـكْـرانٌ لحـينٍ
عـلى أمْنٍ، وسـكـرانٌ لـدهـر
فَـمَنْ أمـسى يـهـيمُ بـبـنتِ قَـصْـرٍ
فـإنّـا هـائـمـونَ بـبـنتِ قَـفْـر
إذا حَـضَـرَتْ فـذلكَ يـومُ سَـعْـدٍ
وإن غـابتْ فـذلك يـومُ قـهـر
لـهـا من ذاتِـهـا سِـتْـرٌ رقـيقٌ
كـمـا صَـبَغَ الحَـيـاءُ جـبـينَ بِـكْـر

---

(١) ضرب من الطيب يدخّن به.
(٢) اسبطرّ: اضطجع وامتد.

إذا دارتْ عـــلى الجُلاّس هـــشُّـــوا
كـــأن كَـؤوسَـهَـا أخـبـارُ نـصْـر
ونـرشـفُـهـا فـنـرشفُ ريقَ خَـوْدٍ[1]
ونـنـشَـقُـهـا فـنـنـشَقُ ريحَ عـطـر
ولا نـــخـــشى من الحُـــكّـــامِ حَـــدّاً
وعـــنـــدَ الـــلـه لم تـــوصَمْ بـــوِزْر
فـمـا في شـربـهـا إثمٌ ونُـكـرٌ
وشـربُ الخـمـرِ نـكـرٌ أيُّ نُـكـرِ
ولـيـستْ تـسـتـخفُّ أخَـا وقـارٍ
وبـنـتُ الـدنِّ بـالأحلامِ[2] تُـزري
وتحـفظُ سـرَّ صـاحِـبِـهـا مـصـوناً
وبـنتُ الـكـرم تـفـضَحُ كلَّ سـرّ
ولـلـصَّـهـبَـاء أوقـاتٌ، وهـذي
شـرابُ الـنـاس في حَـرٍّ وقَـرّ
وتَـصـلحُ أن يُـطـافَ بـهـا مـسـاءً
وتَـحُـسنُ أن تـكـونَ شـرابَ ظُـهْـر
فـلـو عـرفتْ مـزايـاهـا الـغـواني
لـعُـلِّقَ حـبُّـهـا في كلِّ نَـحْـر
كـأن حـبـوبَـهَـا خُـضْـراً وصُـفْـراً
فـصُـوصُ زُمُـرُّدٍ وشـذورُ[3] تِـبْـر
كـأن الجنَّ قـد نـفـثتْ رُؤاهـا
عـلى أوراقِـهـا في ضَـوْءِ فـجـر
ألـستَ تـرى إلـيـهـا كـيف تـطـغى
وكـيف تـثـورُ إن مُـسّتْ بـجـمـر

---

(١) الحسناء الشابة .
(٢) العقول.(الحِلم: العقل).
(٣) الشذرة: هي، في الأصل، القطعة من الذهب.

كـأنَّ نـخـيلَ مـصـرٍ قـد حَـسَـاهـا
وإلا مـا اهـتـزازُ نـخـيلِ مِـصـر؟
جَـلَـوْتُ بـهـا من الأكـدارِ ذِهْـني
كـمـا أنِّي غـسـلتُ هـمـومَ صـدري
ومـا هيَ قـهـوةٌ تُـطـهَى وتُـحْـسَى
ولـكن نَـفـحَـةٌ من روح حُـرّ
حَـوى في شِـعـره عَـبَثُ (ابنِ هـانـي)
وزادَ عـلـيه فـلـسـفـةَ (الـمَـعـرّي)[1]
فـيـا لكَ شـاعـراً لـبِـقـاً لَـعُـوبـاً
كـأنّ يـراعَهُ أُنـبـوبُ سِـحْـر
يـفـيضُ سَلاسَـةً في كلِّ لـفظٍ
ويـجـري رقَّـةً في كلِّ سـطـر
حـوتْ دارُ «الـسـمـيـرِ» هـديـتَـيْهِ
وتَـحْـوي هـذه الأوراقُ شُـكـري

****

(١) ابن هانئ هو أبو نواس، والمعرّي هو أبو العلاء.

٤٧ - تِلك المنازل

[الكامل]

ألقاها في حفلة تكريم الأستاذ كمال جُنبلاط.

تـلك المـنـازلُ.. كـيف حـالُ مُـقـيـمِـهـا[١]
إنّـا قـنـعْـنَـا بـعـدَهـا.. بـرسُـومِـهـا
تـمـشي عـلى صُـوَرِ الـطـيـورِ لـحَـاظُـنـا
نَـشْـوَى، كَـمَنْ يُـصـغي إلى تـرنـيـمِـهـا
ونـكـادُ نـعـشقُ في الأزاهـيـرِ الـدُّمى
أزهـارَهـا ونُـحسُّ نَـفْحَ شَـمـيـمِـهَـا
نَـشـتَـاقُـهـا في بـؤسِـنـا ونـعـيـمِـنـا
ونُـحـبُّـهـا، في بـؤسِـهـا ونـعـيـمِـهـا
لـولا الخـيـالُ يُـعـينُ أنـفـسَـنـا لمـا
سـكـنتْ ولم يـهـدأْ صُـراخُ كَـلـومِـهَـا
ولـكـان شُـهْـدُ الأرضِ في أفـواهِـنَـا،
وهـو الـلـذيـذُ، أمَـرَّ من زَقُّـومِـهـا[٢]
يـا حـامـلاً في نـفـسـه وحـديـثه
أحلامَ أرْزتِـهـا ولُـطْفَ نـسـيـمِـهـا
حـدِّثْ بـنـيْـهـا شـيـخَـهُـمْ وفـتـاهُـمُ
عن لـيثِ غـابـتـهـا وظَـبْيِ صَـريمـهـا[٣]

---

(١) يريد السؤال عن المقيمين فيها.

(٢) كل طعام يقتل (في المعاجم: طعام أهل النار).

(٣) الصريم: أرض لا تنبت شيئاً. والقيصوم: نبات قريب منه، كثير في البادية.

خَـــبِّـــرهمُ أنَّ الـــكـــواكبَ لم تـــزلْ
تَـحـنُـو عـلى الـعـشـاقِ بـين كُـرومِـهـا
مـــازال بُـلـبـلُـهَـا يُـغـنّي لـلـرُّبـا
والـسّـحـرُ تـنـفُـثُه لـواحِظُ رِيمـهـا
والـرِّيحُ تـلـتـقطُ الـشَّـذا وتُـذيـعُهُ
من شِيحِـهـا طَـوراً ومن قَـيْـصُـومـهـا[1]
وهـضـابُـهـا يـلـبسْنَ عَـسْـجدَ شـمسِـهـا
حـيـنـاً، وأحـيـانـاً لُـجـينَ نجـومِـهـا[2]
والـفـجـرُ يـرقصُ في الـسُّـهـول وفي الـذُّرا
مـتـهـلـلاً فـتـهَشُّ بـعـد وُجـومِـهـا
إن بُـدّلتْ مـنـهـا الـتُّـخـومُ فـإنَّـهـا
مـا بَـدّلتْ والـلـهِ غـيـرَ تُـخـومِـهـا
حَـدِّثْـهُمُ عن لـيـلـهـا ونجـومِـهـا
وعن الـهـوى في لـيـلـهـا ونجـومِـهـا
وعن الـشُّـطـوطِ الحـالمـاتِ بـعَـوْدةٍ
لـلـغـائـبـينَ، ورَجـعـةٍ لـنـعـيـمِـهـا
وعن الـرّوابي الـشَّـاخِـصـاتِ إلى الـسَّـمـا
الـعـالـقـاتِ رؤوسُـهـا بـغـيـومِـهـا
فـكـأنَّـهـا سُـحُـبٌ هَـوَتْ من حـالقٍ
ورستْ عـلى وجهِ الـثّـرى بـهـمـومـهـا
وعن الحـيـاةِ جـمـيـلِـهـا وقـبـيـحِـهـا
وعن الـنـفـوس صـحـيـحِـهـا وسـقـيـمِـهـا
وعن الأُلَى مَـلَـكـوا فـلـمْ يـتـورّعـوا
عن سـلْـبِ أعـزلِـهـا وظُـلْـمِ يـتـيـمـهـا

---

(١) الشيح: نَبْت سُهْليٌّ رائحته طيبة قويّة.
(٢) العسجد: الذهب. واللجين: الفضة.

وعن الـثـعـابـينِ الـتي في أرضِـهـا
وعن الـذئـابِ الـعُـصْلِ[1] خَـلْفَ تُـخـومِـهـا
الجـاهـلـيـةُ، آهِ من أصـنـامِـهـا
بـوركتَ يـا مَنْ جَـدَّ في تحـطـيـمِـهـا
والـطـائِـفـيَّـةُ أنتَ أوَّلُ مِـعْـوَلٍ
في سـورهـا، ثـابـرْ عـلى تَـهـديمِـهـا
حـتى تـعـودَ وواحـدٌ أُقْـنـومُـهـا
ويـحـلُّ روحُ الـلـهِ في أُقـنـومِـهَـا[2]
قل لـلـشَّـبِـيـبَـةِ أن تُـبِـينَ وجـودَهـا
وتُـعـزَّ أنـفـسَـهَـا بِـهَـوْنِ جـسـومِـهـا
كم ذا تَـشـبِعُّ ولا تُـضـيءُ عـلـومُـهَـا
سُـرُجُ الـظلامِ إذنْ جـلـيلُ عـلـومِـهـا
يـا واحـداً مـنـهـا يُـحَـمِّلُ نـفـسَهُ
آلامَ عـانـيـهـا ولـيلَ سـلـيـمِـهـا[3]
إنْ أكـرَمَـتْكَ نـفـوسُـنـا في لـيـلـةٍ
فـلـكمْ قَـضَـيْتَ الـعـمـرَ في تَـكـريمِـهـا

✱✱✱✱

(١) العصل: الالتواء والاعوجاج والصلابة (أعصل، عصلاء) يشير إلى الأنياب.
(٢) الأقنوم: الأصل.
(٣) العاني: الأسير، يريد هنا: المتعب والمعاني. والسليم: اللديغ (السَّلْم: لدغة الحية).يريد هنا: المصاب.

٤٨ ـ دمعة الشاعر
إلى روح الشاعر خليل مطران

[مجزوء الرمل]

(مرات يتفجع فيها صاحب الديوان على الراحلين من زملائه الشعراء).

عـنـدمـا أبـدعَ هـذا الـكـونَ ربٌّ الـعـالمـيـنـا
ورأى كلَّ الـذي فـيه جـمـيلاً وثـمـيـنـا
خـلَقَ الـشـاعـرَ... كي يَـخـلُقَ لـلـنـاس عُـيـونـا
تُـبـصِـرُ الحُـسنَ...وتـهـواه حَـراكـاً وسـكـونـا
وزمـانـاً، ومـكـانـاً، وشُـخـوصـاً وشـؤونـا
فَـارْتـقَى الخَـلْقُ...وكـانـوا قَـبـلَهُ لا يـرتَـقُـونـا
واسـتـمـرَّ الحُـسْنُ في الـدنـيـا ودام الحبُّ فـيـنـا

إنه روحٌ كـريمٌ لـبِسَ الـطـينَ الـمَـهـيـنـا
ونـبـيٌّ بَـهَـرَ الخَـلقَ ومـا أعـلن ديـنـا
يـلـمحُ الـنَّـجمَ خـفـيّـاً، ويـرى الـعِطـر دفـيـنـا
ويُـريـنـا الـطُّـهـرَ حـتى في الجـنَـاة الآثـمـيـنـا
ويُـحسُّ الـفـرحَ الأسـمى جـريـحـاً أو طَـعـيـنـا
كـلّـمـا شـاعت دِمـاه أملاً في الـبـائِـسـيـنـا

مَن سِـواه ثـائـرٌ فـيه وقـارُ الـنـاسِـكـيـنـا
مَن سِـواه عـابـدٌ فـيه جـنـونُ الـثـائـريـنـا
مَن سِـواهُ عـانق الـله يَـقـيـنـاً لا ظـنـونـا

من تُـــرى إلاّهُ يـــحـــيـــا نـــغَـــمَـــاتٍ ولحُـــونـــا
مـن تـــرى إلاّه يُـــفـــنِي ذاتـه.. في الآخَـــريـــنـــا

☆☆☆☆☆

لـــو أبى الـــلهُ عـــلـــيـــنـــا وعـــلـــيه أن يـــكـــونَـــا
عـــادتِ الأرضُ وِهَـــاداً شـــاحِـــبـــاتٍ وحُـــزُونـــا[1]
تـــرتـــدي الـــوِحْـــشَـــةَ والـــهَـــول ضـــبـــابـــاً ودُجـــونـــا[2]
وأقـــاحـــيـــهـــا هـــشـــيـــمـــاً لا أريـــجـــاً وفُـــتُـــونـــا
وسَـــواقـــيـــهـــا سَـــرابـــاً هـــازئـــاً بـــالـــظَّـــامِـــئـــيـــنـــا
وشَـــواديـــهـــا[3] دُمىً خـــرســـاءَ تـــؤذي الـــنَّـــاظـــريـــنـــا
واسْـــتَـــفـــاقَ الجـــدولُ الحَـــالِمُ غَـــيـــظـــاً وجُـــنـــونـــا
واســـتـــوى الـــنـــهـــرُ عـــلى وجه الـــثَّـــرى جُـــرحـــاً ثَـــخِـــيـــنـــا
وانـــطـــوتْ دنـــيـــا الـــرؤى فـــيـــهـــا.. ومـــاتَ الحَـــالِمـــونـــا

☆☆☆☆☆

أي وربي، لـــو مـــضَى الـــشـــاعـــرُ عـــنَّـــا لـــشَـــقـــيـــنـــا
ولـــعِـــشـــنـــا بـــعـــدَه في غُـــصَصٍ لا يَـــنـــتـــهـــيـــنـــا
ولأمـــســـى الـــلهُ مـــثلَ الـــنـــاس مَـــغـــمـــومـــاً حـــزيـــنـــا!

☆☆☆☆☆

زعـــمـــوا ولّى ولن يـــرجِعَ... ويحَ الجَّـــاهِـــلـــيـــنـــا
لم يمُتْ من كـــان لـــلـــه خـــلـــيـــلاً وخَـــديـــنـــا
عـــاش حِـــيـــنـــاً، وسَـــيَـــحْـــيـــا بـــعـــدمـــا غـــاب قُـــرونـــا

✱✱✱✱

(١) الأرض فيها خدود غليظة.
(٢) الدجن: الغيم المطبق في السماء.

٤٩ - مازال في الأرض حيّاً

[الخفيف]

قال الشاعر هذه القصيدة عندما جاءه نبأ وفاة صديقه الأديب أمين الريحاني، وقد تأثر بالنبأ المفاجىء.

أيُّ خَـطْبٍ دَهَـا فـبـاتَ الـمَـهـجـرْ
مـثلَ حـقلٍ مَـرَّتْ عـلـيه صَـرْصَـرْ[1]
ضَـرَبتْ عِـقْـدَ زهـرِهِ فـتـبـعْـثَـر
ومـشت فـوق عُـشـبه فـتـنـكَّـر
بَـعْـدَ أن كـان عـبـهـريَّـاً[2] نَـديّـا

☆☆☆☆☆

قـد سـمـعـنـا يـا لـيـتَـنـا لم نـسـمعْ
نـبـأً زعـزعَ الـقـلـوبَ وضَـعـضعْ
فـجَـزِعـنـا وحَـقُّـنـا أن نجـزَعْ
لـفـراقِ الـفـتـى الأديبِ الألَمَعْ
وذرفـنـا دمـعـاً سَـخـيـنـاً سَـخـيّـا

☆☆☆☆☆

قـد بـكَـيـنـا كـمـا بـكى لـبـنـانُ
وحـنَـتْـنـا كـأرزِهِ الأحـزانُ
لـيس بَـعْـدَ الأمـينِ ثَمّ مـكـانُ
غـيـرَ مُـسـتـوحِشٍ ولا إنـسـان
ذو وفـاءٍ لم يَـبْكِ ذاكَ الـوفـيّـا

☆☆☆☆☆

---

(١) باردة.

(٢) العبهر: الياسمين أو النرجس..

ألمـــعيٌّ قـــد غـــابَ تحت الـــرَّغَـــامِ[1]
إنَّـــمـــا لم يـــغب عن الأفـــهـــامِ
فـــهـــو بـــاقٍ فـــيـــنـــا مـــدَى الأيـــام
فـــعـــلـــيه تحـــيـــتي وسلامي
عـــاش حـــراً ومـــات حُـــراً أبـــيّـــا

☆☆☆☆☆

لم يُـعـفِّـرْ جـبـيـنَهُ في الـتـرابِ
لم يـــواربْ في مـــوقفٍ، لم يُـــحـــابِ
لم يَـــبِـعْ قـــومَهُ من الأغـــرَابِ
لم يَـسِـرْ في سـوى طـريقِ الـصَّـواب
لم يـــكن خـــائـــنـــاً ولا إمَّـــعـــيّـــا[2]

☆☆☆☆☆

عـاش في الأرض مـثلَ زهـرِ الـبـنـفـسجْ
كـــلّـــمـــا زادَ فَـــرْكُهُ يـــتـــأرَّجْ[3]
وكـــنـــجمٍ في بُـــرْجِه يـــتـــوهَّجْ
لا يـــبـــالي أحـــبَّهُ مَن أدلَجْ[4]
أم أحبَّ الـلـيلَ الـبـهـيمَ الـدَّجـيّـا[5]

☆☆☆☆☆

فـابـسِـمي فـوقَ قـبـرِه يـا نجـومُ
وتـــرنَّمْ مِنْ حـــولِه يـــا نـــسـيمُ

---

(١) التراب.
(٢) الإمعة: الذي لا رأي له، يتابع كل أحد، ولا يثبت على شيء.
(٣) الأرج: نفحة الطيب، ويتأرّج: تنتشر رائحته.
(٤) الدُّلجة: سير السحَر أو سير الليل كله.
(٥) دجا الليل: هدأ وسكن، مع انتشار سواده وخفوت نجمه. والبهيم من الإبهام.

فـــالـــدفـــينُ الـــذي هـــنـــاكَ يُـــقـــيمُ
بَـــــطَلٌ مُـــــصـــــلِحٌ وروحٌ كـــــريم
ولـــســـانٌ تـــخـــالُه نـــبـــويّـــاً
وتـــــنـــــصَّتْ إذا رأيتَ الأقـــــاحي
جـــاثـــيـــاتٍ في هـــيـــكلِ الأرواحِ
قـــائلاتٍ بـــلـــهـــجـــةِ الـــنُّـــصّـــاحِ
أيـــهـــا الـــنـــاسُ! بـــعضَ هـــذا الـــنُّـــواحِ
« فـــأمـــينٌ » مـــا زال في الأرضِ حَـــيّـــا

✱✱✱✱

٥٠ - يا قائد القوم

[البسيط]

رثى بها صديقه الحميم الدكتور رزق حداد ألقاها في الحفلة التأبينية.

يـا أيـهـا الـشِّـعـرُ أسـعِـفْـني فَـأرثـيهِ
ويـا دمـوعُ أعِـيـنـيـني فـأبـكـيهِ
بـحـثتُ لي عن مُـعَـزٍّ يـومَ مـصـرعه
فـلم أجِـدْ غـيـرَ مَـحـزونٍ أُعـزِّيهِ
ومـا سـألتُ امـرَءاً فـيـمـا تَـفَـجُّـعُهُ
إلا وجـاوبَ: « إني من مُـحـبّـيه »
كـأنَّـمـا كلُّ إنـسـانٍ أضـاعَ أخـاً
أو انـطـوتْ فـجـأةً دنـيـا أمـانـيه
فـذا أسَـاهُ لـهـيبٌ في أضـالُـعه
وذا أسـاهُ دمـوعٌ في مـآقـيه
فـهل دَرَى أيَّ سَـهْمٍ في الـقـلـوب رمى
لـمّـا نـعـاهُ إلى الأسـمـاع نـاعِـيه؟
يـا شاعرَ الحُسْنِ هذا الرَّوضُ قد طلعتْ
فـيه الـرَّيـاحـينُ وافـتـرَّتْ أقـاحِـيه
وشـاعَ « أيـار » عِـطْـراً في جـوانـبِه
ونَـضْـرةً واخـضِـراراً في رَوابـيه
فـأين شِـعـرُكَ يـسـري معْ نـسـائـمه؟
وأين سِـحْـرُكَ يَـجـري في سَـواقـيه؟
هَـجَـرْتَهُ فـامّـحتْ مـنه بَـشـاشَـتُهُ
مـات الـهـوى فـيه لـمّـا مـات شَـاديهِ
أغـنى عن الـدرّ في الـقـيـعـان مُـخـتـبـئاً
دُرٌّ يَـسـاقِـطُهُ الحـدّادُ من فِـيه

وكـان لـلـسِّـحـر تـأثـيـرٌ فـأبـطـلَهُ
بـالـسِّـحـرِ يـجـري حَلالاً في قـوافـيه
بلاغـةُ «المـتـنـبي» في مَـدائـحه
ودَمْعُ « خـنـسـاءَ صَـخْـرٍ »[1] في مـراثيه
لا يَـعْـذُبُ الـشِّـعـرُ إلا حـين يـنـظِـمُهُ
أو حـينَ يُـنـشـده أو حـينَ يَـرويه
ويـا طـبـيـبـاً يـداوي الـنـاسَ من عِـلَلٍ
داءُ الأسى الـيـومَ فـيـهمْ مَنْ يُـداويه؟
أمـسى الـذي كـان يُـشـجـيـنـا ويُطرِبـنـا
لا شيءَ يُـطـربُهُ لا شيءَ يُـشـجِـيه
لـقـد تـسـاوى لـديه شـدْوُ سـاجِـعـةٍ
وصـوتُ نـائـحـةٍ في الحيِّ تَـبـكـيه[2]
صـارتْ لـيـالـيهِ نَـومـاً غـيـرَ مـنـقـطِعٍ
ولم تـكنْ هـكـذا قـبلاً لـيـالـيه
قد كـان نَبْـراسَـنـا في الـمُـعْضلات إذا
مـا لـيـلُـهَـا جَنّ وارْبَـدَّتْ نـواصِـيه[3]
فَـمَن لـنـا في غـدٍ إن أزْمـةٌ عـرَضَتْ
ولـيس فـيـنـا أخَـو حـزْمٍ يُـضـاهـيه
مَنْ لـلـحَـزينِ يُـواسـيه ويُـسـعـدُهُ
ولـلـمـريضِ يُـداويه فَـيَـشْـفـيه
يـا قـائـدَ الـقـومِ إن تـسـألْ فـإنَّـهمُ

(١) (الخنساء) الشاعرة التي بكت (في صدر الإسلام) أخاها (صخراً) في مراثٍ ذائعة.
(٢) سجع الحمامة، يريد: الغناء والشدو.
(٣) الناصية: مقدّم شعر الرأس.
(٤) تيه اليهود في سيناء، أربعين عاماً، بعد خروجهم من مصر، مع موسى عليه السلام.

بـاتـوا حَـيَـارى كـإسـرائـيلَ فـي الـتِّـيهِ[٤]
لـمّـا رأَوكَ مُـسَـجًّى بـيـنـهمْ عـلِـمـوا
مـا الـعـيشُ غـيـرُ أخـابـيلٍ[١] وتَـمـويه
يـا رزقُ قـلـبي عـلـيك الـيـومَ مـنـفـطِرُ
وكلُّ قـلـبٍ كـقـلـبي فـي تَـشَـظّـيه
لم يـحـوِ نَـعْـشُكَ جـسـمـاً لا حَـراكَ به
بل أنت آمـالـنـا مـوضـوعـةً فـيه
غـداً يُـواريكَ عن أبـصـارِنـا جَـدَثٌ
لـكـنّ فـضـلَكَ لا شـيءٌ يُـواريه

****

(١) الخبال: الفساد، والأخابيل جمع (أخبولة).

٥١ - ليتهم عرفوه!

[الكامل]

رثى بها صديقه يعقوب روفائيل صاحب مجلة (الأخلاق).

يـــا نـــفسُ قـــد ذَهَبَ الـــرفـــيقُ الألمـــعي
فَـــتَـــجـــلَّـــدي لـــفـــراقِه أو فـــاجـــزَعي
هـــذي الـــنـــهـــايـــةُ لا نـــهـــايـــةَ غـــيـــرُهـــا
لـــلـــحـــيّ إن يُـــســـرعْ وإن لم يُـــسْـــرِع
لـــلـــمـــوتِ مَنْ مـــلَكَ الـــبـــســـيـــطـــةَ كـــلَّـــهـــا
أو حـــازَ من دنـــيـــاه بـــضـــعـــةَ أذرُع
فـــازرعْ طـــريـــقَكَ بـــالـــورودِ وبـــالـــسَّـــنـــا[1]
لا يـــحـــصـــدُ الإنـــســـانُ إن لم يـــزرع
واعـــملْ لـــكي تـــمـــضـــي وتـــبـــقى رقـــةٌ
في مَـــبْـــسمٍ أو نـــغـــمـــةٌ في مَـــسْـــمع
أو صـــورةٌ مـــثلُ الـــربـــيعِ جـــمـــيـــلـــةٌ
في خـــاطـــرٍ أو نـــاظـــرٍ مُـــســـتَـــمـــتِع

☆☆☆☆☆

يـــا صَـــحْبَ يـــعـــقـــوبٍ ويـــا عُـــشَـــراءَهُ
مَنْ مـــنـــكمُ أبـــكي ولا يَـــبـــكي مـــعي؟
إنّـــا تَـــسَـــاويـــنـــا فَـــبَـــيَن ضـــلـــوعِـــكمْ
نـــارٌ ومـــثلُ ســـعـــيـــرِهـــا في أضـــلُـــعي

☆☆☆☆☆

(١) النور.

لـــبـــنـــانُ! هـــذا من ريـــاضِكَ زهـــرةٌ
ذهـبتْ كـأَنْ[1] في الأرضِ لم تـتَـضَـوَّعِ
لـــبـــنـــانُ! هـــذا من ســـمـــائكَ كـــوكبٌ
غـــرّبْـــتَهُ حـــتى انـــطـــوى في بَـــلـــقَع[2]
لـــبـــنـــانُ! هـــذا من مُـــروجِكَ قِـــطـــعـــةٌ
فـــيه بـــشـــاشَـــةُ كلِّ مَـــرْجٍ مُـــمْـــرِع[3]
قُلْ لـــلـــبـــنـــفسجِ في سُـــفـــوحكَ والـــرُّبـــا:
ولّى شـــبـــيـــهُكَ في الـــوَداعـــةِ فـــاخْـــشَعِ
وأْمُـــرْ طـــيـــورَكَ أن تـــنـــوحَ عـــلى فـــتىً
قـــد كـــان يـــهـــواهـــا وإنْ لم تَـــســـجَعِ
قـــد عـــاش مِـــثـــلُكَ لـــلـــمـــروءة والـــعُلا
مُـــتـــعـــفِّـــفـــاً كـــالـــزَّاهـــدِ الـــمُـــتـــورِّع
مُـــتـــرفِّـــعـــاً في قـــولـه وفِـــعـــالـه
عَـــمَّن غَـــوى وهَـــوى ولم يـــتـــرفَّع
كم حـــرَّضَـــتْهُ الـــنـــفسُ في نَـــزَواتِـــهـــا
لـــيـــكـــونَ صـــاحبَ حـــيـــلـــةٍ أو مَـــطْـــمَع
فـــأجـــابـــهـــا : يـــا نَـــفْسُ لا تـــتـــورَّطي
صـــدأُ الـــنـــفـــوسِ هي الـــمـــطـــامعُ فـــاقـــنَـــعي
لـــيس الـــمُـــحـــاربُ في الـــوغَى بـــأشـــدَّ بـــأ
سَـــاً من مُـــحـــارِبِ نَـــفـــسِـه أو أشْـــجَعِ

☆☆☆☆☆☆

يا صـاحبي! أضـنكْتَ[4] جسـمَك فاسترِحْ
وأطـلْتَ يـا يـعـقـوبُ سُـهـدك فـاهـجَعِ

---

(١) مخففة من (كأنها).
(٢) المفازة لا شيء فيها.
(٣) مرُع الوادي وأمرع: انتشر فيه الكلأ أو أخصب، فهو مَريع ومُمرع.
(٤) من الضنك: الضيق.

حـدَّثتَ قـومَكَ حِـقـبـةً فـتَـسـمَّـعـوا
والآن دورُ حـديـثِـهِمْ فـتـسـمَّعِ
هـجـروا الـكلامَ إلى الـدمـوع لأنـهُمْ
وجـدوا الـبلاغـةَ كـلَّـهـا في الأدمُع
كـيف الْـتَـفتُ وسـرتُ لا ألـقى سِـوى
مُـتَـوجِّعٍ يـشـكـو إلى مُـتـوجِّع
حـتى الأُلَى نَـفَـثـوا عـلـيك سُـمـومَـهُمْ
حَـزّ الأسى أكـبـادَهُمْ كـالمِـبْـضَع[1]
عـرفـوا مـكـانكَ بَـعْـدَ مـا فـارقـتَـهُمْ
يـا لـيـتَـهُمْ عـرفـوه قـبل الـمَـصـرَع
ولـكمْ تـمـنَّـوا لـو تـعـودُ إلـيـهمُ
أنت الـشـبـابُ، إذا مـضى لم يـرجعِ

حـنُّـوا إلى أرَجِ الأزاهـرِ بـعـدمـا
عَـبَـثَتْ بـهـا أيـدي الـريـاحِ الأَربَع
واسـتـعـذبـوا المـاءَ المـسَـلْـسَل بـعـدَمـا
نـضبَ الـغـديـرُ وجفَّ مـاءُ الـمَـشْـرع[2]
يـا لـوعـةَ الأحـبـابِ حـين تَـسـاءلـوا
عـنـه، وعـادوا بـالجـوابِ المـوجِعِ
إن الـذي قـد كـان مـعْـكُمْ قـد مـضى
مـن مـوضـعٍ أدنى لأرفـعِ مـوضـع

(١) مبضع الجرّاح.
(٢) مشرعة الماء: مورد الشارب.

من عـــالَمٍ مـــتـــكـــلِّفٍ مـــتـــصـــنِّعٍ
تـــشـــقى نـــفـــوسٌ فـــيه لم تـــتـــصـــنَّعِ
لـــلـــعـــالَم الأســـمى الـــطَّـــهـــورُ، ومن مُـــجـــا
وَرَةِ الأنـــــامِ إلى جِـــــوارِ الـــــمُـــــبْـــــدِعِ

✷✷✷✷

٥٢ ـ سكت الشادي وبُحّ الوتر!

[الرمل]

قالها يرثي رفيقه الشاعر ندره حداد وقد فاجأته المنيّة في حفلة عرس.

لا تَسلْ أين الهوى والكوثرُ
سكت الشّادي وبُحّ الوَترُ
فجأةً.. وانقلبَ العُرسُ إلى
مَأتَمٍ .. ماذا جرى؟ .. ما الخبر؟
ماجَتِ الدارُ بمن فيها، كما
ماجَ نهرٌ ثائرٌ مُنْكدر
كلُّهمْ مُستَفسرٌ صاحبَهُ
كلُّهمْ يؤذيه من يَستَفسِر
همسَ الموتُ بهم همستَه
إنّ همسَ الموتِ ريحٌ صرصرُ
فإذا الحَيْرةُ في أحْداقِهمْ
كيفما مالوا وأنّى نظروا
علموا... يا ليتهم ما علموا
أن دنيا من رُؤىً تُحتَضَر!
والذي أطرَبهمْ عن قُدْرةٍ
بات لا يَقْوى ولا يَقْتَدِر
يبِسَ الضِحْكُ على أفواهِهمْ
فهو كالسُّخْر وإن لم يَسخَروا
وإذا الآسي.. يدٌ مَخذولةٌ
ومُحيّا.. اليأس فيه أصفَر[1]

---

(١) الآسي: الطبيب.

شـــاع في الـــدار الأسى حـــتى شـــكتْ
أرضُـــــهـــــا وطـــــأتَه والجُـــــدُر
فـــعـــلى الأضـــواء مـــنه فـــتْـــرةٌ
وعـــــلى الألـــــوانِ مـــــنه أَثَـــــر
والـــقـــنـــاني صـــورٌ بـــاهِـــتـــة
والأغـــــاني عـــــالَم مُـــــنـــــدَثِـــــر
الـــهَـــنـــا أفـــلتَ من أيـــديـــهمُ
والأمـــاني..؟ .. إنـــهـــا تَـــنـــتَـــحِـــر
ذُبـــحتْ أفـــراحُـــهمْ في لَـــمـــحَـــةٍ
قـــوةٌ تَـــجـــنـي ولا تَـــعـــتَـــذِر
تَـــقْـــلـعُ الـــنَّـــبت الـــذي تَـــغـــرسُهٍ
والـــشَّـــذا فـــيه. وفـــيه الـــثَّـــمـــر
اِعـــبـــثي مـــا شـــئتِ يـــا دنـــيـــا بـــنـــا
وتحَـــكَّمْ مـــا تَـــشَـــا يـــا قَـــدَر
إن نـــكنْ زهْـــراً فـــمـــا أمـــجـــدَنـــا
أو نـــكُن شـــوكـــاً فـــهـــذا الخَـــطَـــر
فـــلـــنـــعشْ في الأرض زهـــراً ولـــيَـــطُل
أجلُ الـــشَّـــوكِ الـــذي لا يُـــزهِـــر

رحلَ الـــشـــاعـــرُ عن دار الأذى
وانـــقـــضتْ مـــعه الـــلـــيـــالي الـــغُـــرَر[1]
كم حَـــوته وحَـــواهـــا مَـــلـــكـــاً
دولـــةُ الـــرُّوحِ الـــتي لا تُـــقـــهَـــر

(١) الأغرّ: الأبيض.

عـــــاشَ لا يُـــــنـــــكِـــــرُ إلا ذاتَه
إن حـبَّ الـــــذاتِ شيءٌ مُـــــنْـــــكَـــــر
شـــاعـــرٌ أَعْـــجَبُ مـــعـــنىً صـــاغَه
لـــلـــبَـــرايَـــا.. مـــوتُه المـــبْـــتَـــكَـــر
الجـــمـــالُ الحق مـــا يَـــعْـــبُـــده
والجـــمـــالُ الـــزُّور مـــا لا يُـــبْـــصِـــر
والحـــديثُ الـــصَّـــفْـــو مـــا يَـــنـــشُـــرُه
والحـــديثُ الـــسُّـــوء مـــا يَـــخْـــتـــصِـــر
إنـه كـــــان مَـلاكَـــــاً بَـــــشَـــــرَاً
فـــمـــضى عـــنّـــا الـــمَلاكُ الـــبَـــشَـــر
ونـــفـــوسُ الخَـــلقِ إمـــا طِـــيـــنـــةٌ
لا سَـــنـــا فـــيـــهـــا، وإمـــا جـــوهـــر

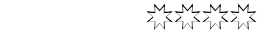

يـــا رفـــيـــقي! مـــا بـــلـــغتَ الـــمُـــنـــتَـــهَى
لـــيـــستِ الحـــدَّ الأخـــيـــرَ الحُـــفَـــرُ
فـــاعـــبُـــرِ الـــنـــهـــرَ إلى ذاك الحِـــمى
حـيث «جـبـرانُ»[1] الـعـمـيـدُ الأكـبـر
«ورشـــيـــدٌ» نـــغـــمـــةٌ شـــاديـــةٌ
«ونـــســـيبٌ» نـــغـمٌ مُـــسْـــتـــبـــشِـــر
«وجـــمـــيلٌ» فـــكـــرةٌ هـــائـــمـــةٌ
«وأمـــيـنٌ» أملٌ مُـــخـــضَـــوضِـــر[2]
قُلْ لـــهمْ إنّـــا غـــدونـــا بـــعـــدهمْ
لا حـــــديثٌ طـــــيبٌ لا سَـــــمـــــر

(١) جبران خليل جبران عميد الرابطة القلمية، وكان الشاعر عضواً فيها.

كـــســـمـــاءٍ لـــيس فـــيـــهـــا أنجُمٌ
أو كـــــروضٍ لـــــيس فـــــيه زَهَـــــر
كـــلُّـــنـــا مـــنـــتـــظِـــرٌ ســـاعـــتَهُ
والـــمَـــصـــيـــرُ الحقُّ مَـــا نـــنـــتـــظـــر

✱✱✱✱

٥٣ - لم يهدم الموت إلا هيكل الطين

[البسيط]

رثى بها رفيقه الشاعر نسيب عريضه.

لم يـبـرَحِ الـروضُ فـيه المـاءُ والـزَّهَـرُ
ولم يـزلْ في الـسـمـاء الـشـمسُ والـقـمَـرُ
لـكـنَّـهـا الآن في أذهـانـنـا صُـوَرُ
شَـوهـاءُ، لا الـقـلبُ يـهـواهـا ولا الـنَّـظَـر
قـد انـطوى حُـسـنُـهـا لما انـطوى الـشـاعرْ

☆☆☆☆☆☆

قل لـلـمـغـنّي الـذي قـد غَصَّ بـالـنَّـغَمِ
إنِّي نـظـيـرُكَ قـد خـانَ الـكلامُ فـمي
ومـثـلُ مـا بك بي من شـدّةِ الألَمِ
أمّـا الـعـزاءُ فـشـيءٌ زال كـالحُـلُم
كـيف الـسَّـبـيلُ إلى خـمـرٍ ولا عـاصـرْ!

☆☆☆☆☆☆

مـضى الـذي كـان في الـبـلـوى يُـعـزّيـنـا
وكـان يُـحـيي - إذا مـاتتْ - أمـانـيـنـا
ويـسـكبُ الـسِّـحـرَ أنـغـامـاً ويَـسـقِـيـنـا
مـضى « نـسـيبُ » الـنـبيُّ المصـطفى فـيـنا
وصـار جـسـمـاً رمـيـمـاً في يَـدِ الـقـابـرْ

☆☆☆☆☆☆

كم جاءنا في الليالي السُّودِ بالأَلَقِ
وبالنّدى من حواشي القفْر والعَبَقِ
وبالأغاني وما من صادحٍ لَبِقِ
وإنَّما هوَ سحرُ الحِبْرِ والورَقِ
السِّحرُ باقٍ ولكن قد مضى السّاحرْ!

كالشمسِ يستُرها عند المسا الغَسَقُ[1]
ونورُها في رحابِ الأرضِ مُنطلِقُ
تَذْوي الورودُ ويبقى بعدَها العَبَقُ
حتى لمن قطفوا منها ومن سَرقوا
كعَالَمٍ غابرٍ في عالَمٍ حاضرْ

إن كان ماتَ « نسيبٌ » كالملايينِ
من العبيدِ المَوالي والسَّلاطينِ
فالحيّ في هذه الدنيا إلى حينِ
لكنْ نسيبٌ إلى كل الأحَايين
وإن نأى وسَما للعالم الطاهرْ

لسوفَ يرجِعُ عِطراً في الرياحينِ
أو نسمةً تتهادى في البساتينِ
أو بَسمةً في ثُغور الخُرّدِ العِينِ[2]
فالموتُ ما هدّ إلا هيكلَ الطِّين
لا تحزنوا، فنسيبٌ غائبٌ حاضرْ

✱✱✱✱

(١) أول ظلمة الليل.

(٢) المرأة الخريدة: الحسناء التي لم تُمسس قط. والعيناء، الواسعة العين. والعِين: أرادها للجمع.

٥٤ ـ ريح الرّدى

[الرمل]

عَـصَـفَتْ ريحُ الـرّدى بـالمِـشْـعَلِ
فخَبا

☆☆☆☆☆

أيـهـا الـنَّـائمُ عـنَّـا والـعـيـونْ
في سهرْ
نـحن مِن بَـعـدكَ أسـرى لـلـشُّـجـونْ
والكدرْ
تـشـتـكي أرواحُـنـا ظـلـمُ الـمَـنـون
والقدرْ
لـلـسَّـمـا. لـلـيلِ. لـلـفـجـرِ الجـلـي
للرُّبا

☆☆☆☆☆

لـلأقـاحـي الـذابـلاتِ الـذاويهْ
كالأماني
لـلـسَّـواقي الـنـائـحـاتِ الـبـاكـيهْ
كالغواني
سَـلَبَ الـدهـرُ حُـلاهـا الـغـالـيهْ
في ثوانِ
وبـشـاشـاتِ الـزَّمـانِ الأَولِ
والصِّبا

☆☆☆☆☆

يـــا ربـــيـــعـــاً من وفـــاءٍ وكَـــرَمْ
في بَدَنْ
من رأى قـــبـــلَك دنـــيـــا من شِـــيَم
في كفَنْ
خـــلَـــصتْ روحُكَ من ســـجنِ الألَم
والشَّجَنْ
ومـــضى لـــلـــبـــحـــرِ مـــاءُ الجـــدولِ
طَربا

يـــا كـــريم الأصل قـــد زانك فـــعـــلُكْ
وصفاتُكْ
عـــشتَ لـــلـــنـــاس كـــأنّ الـــكلَّ أهـــلُك
ولِداتُكْ
لـــهم كلّ الـــذي تحـــوي وتـــمـــلِك
وحياتُكْ!
كـنت في دنـيـا الـضَّـبـاب الـمُـسـدَل
كوكبا

عـــصـــفتْ ريحُ الـــرَّدى بـــالمِـــشْـــعل
فخبا
فـــــإذا كلُّ قـــــصُـــــورِ الأمـل
كالهَبا

✱✱✱✱

٥٥ - الشاعر في حفلات تكريمه

الماهدون في المهجر

[الكامل]

ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقامها المجلس الملّي في مونتريال كندا بمناسبة مرور ٤٠ سنة على تأسيسه.

الأربعونَ لو اَنها تتكلّمُ
لرَوَتْ لنا قصصَ العَظائمِ عنكمُ
ولحدَّثتْنا كيف عن أعشاَشِكُمْ
طرتُمْ بأجنحةِ المُنى إذ طِرتم
يومَ الفراقِ كظمتمُ آلامَكُمْ
وأخفُّ من ألم الفراق جَهنَّم
وبكى الأحبَّةُ حولَكُمْ، وجفونُكُمْ
تعصي البكا، حُزْنُ الجَبابرِ أبْكَم
أيدٍ تودِّعُ مَوطناً وعشيرةً
ومَطامحٌ خَلْفَ البحار تُسَلَّم
ضاقتْ على أحلامهم تلك القُرى
فاخترتمُ الدنيا الوِساعَ لتحلُموا
وغزوتمُ الآفاقَ لا زادٌ لكُمْ
إلا الصِّبا المتوثِّبُ المتضَرِّم
كالليث ليس له سلاحٌ في السُّرى
إلا مخالبَه التي لا تُثلم
تتخيلونَ البحرَ شُقَّ لتعبُروا
وانداحَ بين الشاطئينِ لتسلَموا
والدرَّ مخبوءاً لكُمْ في قاعه
كي تُخرِجُوه وتغنَموا ما شئتمُ

والمـوجُ إذ يـطـغى ويـهـدُر حـولـكُمْ
جَـوقـاً لـطـرد هـمـومـكُمْ يـتـرنَّم
وإذا الـنـجـومُ تـألَّـقتْ تحت الـدُّجى
خـلـتمْ لأجـلـكمُ تُـضيءُ الأنجم
وحـسـبـتُمُ شُمَّ الجـبـال سلالماً
نُـصِبَتْ لـكمْ كي تـصـعـدوا فـصـعِدتم
والـشـمسُ مَـنـجمُ عَـسْـجدٍ[1] مـتـكـشِّفٌ
لـذوي الـطّـمـوحِ وأنـتُمُ أنـتمْ همُ
ولـكَمْ تـلـثَّـمَتِ الحـقـائقُ بـالـرَّؤى
كـالأرض يـغـشَـاهـا الـسَّـرابُ المـوهِم
لِـتـطلَّ من أرواحـنـا أشـواقُـهـا
فـنـطـوفُ حـولَ خُـدورِهـا ونـحـوِّم
لم تـقـنـعـوا كـالخـامـلـينَ بـأنَّـكُمْ
لـكمُ شـرابٌ في الحـيـاة ومَـطـعم
لـو أن تـكـونَ حـيـاتُـكُمْ كـحـيـاتـهِمْ
عَـبَـثَـاً، يمـوتُ به الـوقـارُ ويُـعـدم
وتَـأفُّـفـاً في الـلـيل وهـو مـنـوَّرٌ
وتـبـرُّمـاً في الـصـبح وهـو تـبـسُّم
لـو أن يـكـونَ تُـراثـكُمْ كـتـراثِـهْم:
قَـصْـرٌ عـفـا أو هـيـكلٌ مُـتـردّم[2]
وحـديثُ أسلافٍ قـد الـتـحـفـوا الـفَـنـا
فـهم سـواءٌ في الـقـيـاس وجُـرْهم[3]

---

(١) العسجد: الذهب.
(٢) جرى فيه الإصلاح (تردّم ثوبَه: رقّعه وأصلحه).
(٣) قبيلة كانت تقطن مكة المكرمة.

من يـقـتـربْ من أمسِ يـبـعُـدْ عن غـدٍ
ويـعشْ مع المـوتى ويُـصْـبحْ مـنـهمُ!!
وكـرهـتُمُ أن تـنـقـضي أيـامُـكُمْ
شـكـوى لمن يَـرثي ومن لا يَـرْحم
أو أنْ يـبـيتَ عـلى الحـضـيضِ مُـقـامـكُمْ
والـدودُ يـزحفُ فـوقَه والأَرقم[1]
فـنـفـرتمُ كـالـنَّـحل، مـا من زهـرةٍ
فـيـهـا جَـنىً، إلا وفـيـهـا مـغـنَم
في كلِّ شطٍّ مـارِدٌ، في كل طَـودٍ
قَـشـعَمٌ، في كل وادٍ ضَـيْـغم[2]
المجـدُ مـطـلـبُـكُمْ وأنـتم سُـهَّـدٌ
والمجـدُ حُـلـمـكُمُ وأنـتم نُـوَّم
لا شيءَ صـعبٌ عـنـدكُمْ حـتى الـرّدى
الـصـعبُ عـنـد نـفـوسـكُمْ أن تُـحـجـمـوا
مـا بـضـعـةً من أمـةٍ، هي أمّـةٌ
في ذاتـهـا، ولـهـا طـرازُ مُـعْـلَم
فـيـكُمْ جـمـيعُ صـفـاتِـهـا وخلالِـهَـا
والـرَّوضُ يَـحـويه عـطـوراً قُـمـقُم
إن الألى عـابـوا الجـهـادَ عـلـيـكُمُ
عـلـكـوا مـداركَـهمْ ولم يـسـتـطـعِـمـوا!
طـلـبـوا الـسَّلامـةَ في الـقـعـود فـفـاتَـهُمْ
درْكُ الـثـراءِ وبـعـدَ ذا لم يَـسْـلـمـوا!
هـؤلاءِ دودُ الـقَـزّ أحـسـنُ مـنـهمُ
وأجلُّ في نـظـر الحـيـاةِ وأفـهم

(١) الحيّة فيها بياض وسواد.
(٢) الضيغم: الأسد. والقشعم: من أسمائه.

قـالـوا: كـهـولٌ قـد تـصـرَّمَ عـصـرهُمْ
لـيتَ الـشَّـبـابَ من الـكـهـول تـعـلَّـمـوا
إن لـم تَـشـيـدوا كـالأوائلِ «تـدمُـراً»
أو « بـعـلـبكَّ « فـإنَّـكم لم تَـهـدِمـوا
ولـكُمْ غـدٌ وجـمـالُهُ وبـهـاؤُه
ولـكُمْ من الأمسِ الـنَّـفـيسِ الـقـيِّم

☆☆☆☆☆

حـدثتُ نـفـسي والـقـطـارُ يـخِبُّ بي
عَـجْلانَ يـخـتـرقُ الـدُّجى ويُـدمـدم
فـسـألـتُـهـا مُـسـتـفـهِـماً. ولـربمـا
سـألَ الـعـلـيمُ سـواهُ عـمّـا يَـعـلم:
مـا أحـسنُ الأيـامِ؟ قـالت: يـومُـكُمْ!
والـنـاسِ؟ فـابـتـدرتْ وقـالت: أنـتمُ
والـدُّورِ؟ قـالـت: دُوركُمْ. والمـالُ؟
قـالت: إن أحـسَـنه الـذي أنـفـقـتمُ
والحُـسْنِ؟ قـالت: كلّ مـا أحـبـبـتمُ
والأرضِ؟ قـالت: أيـنـمـا اسـتـوطـنـتمُ
مـا كـان أكـملَ يـومَـكُمْ وأتـمَّهُ
لـو لم يـكن في مـهـد عـيـسى مَـأتَم
وكـذا الحـيـاةُ قـديمُـهـا وحـديـثُـهـا:
ذكـرى نُـسَـرُّ بـهـا، وذكـرى تُـؤلِم

✱✱✱✱

٥٦ ـ قف يا قطار بنا

[الكامل]

ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقامتها مؤسسة وطنية في مدينة كانتون، أوهايو.

مـنـذُ افْـتـرقـنـا لم أذُقْ وَسَـنَـا
لـلـهِ مـا صـنَعَ الـفـراقُ بـنـا!
قُلْ لـلـخـلـيّـيْـنَ: الـهـنـاءُ لـكم
الحبّ قـد خـلقَ الـعـذابَ لـنـا
لم أنسَ قـولَـتَـهـا الـتي ملأتْ
نـفـسي أسىً وجـوانـحي شَـجَـنـا
مـاذا جَـنـيـنَـا كي تُـفـارِقَـنَـا
أمَـلَـلْـتَـنـا وسـئـمتَ صُـحـبَـتَـنـا؟
فـأجـبـتُـهـا بـلـسـانِ مُـعـتـذرٍ:
لـم تجـنـي أنتِ ولا مـلَـلَـتُ أنـا
لـكن رأيتُ المـاءَ مـنـطـلـقـاً
رِيّـاً، فـإنْ هـو لم يَـسِـرْ أَجَـنـا[1]
والـسَّـيفُ إن طـالَ الـثَّـواءُ به
يـصـدأْ ويـصـبحْ حـدُّهُ خَـشِـنـا
والـسُّـحبُ إن وقـفتْ ومـا هـطـلتْ
لـم تَـروِ أوديـةً ولا قُـنَـنَـا[2]
إن الحـيـاةَ مع الجـمـودِ قَـذىً
ومع الحَـراك بـشـاشـةٌ وهَـنـا

(١) أجن الماء يأجِن: تغير طعمه ولونه.

لا تـــعـــذُلـــيـــني فـــالـــقُـــرى أرَبي
حـــيث الحـــيـــاةُ رغـــائبٌ ومُـــنى
حـــيثُ الـــنـــجـــومُ تـــلـــوحُ ســـافـــرةً
لم تـــلـــتـــحِفْ ســـتْـــرَاً ولا كـــفَـــنَـــا
والـــفـــجـــرُ ملءُ جـــيـــوبهِ أرَجٌ
والـــطـــيـــرُ يملأ شـــدُوهـــا الـــوُكُـــنـــا[1]
وعـــلـــى الـــرُّبـــا الأظلالُ راقـــصـــةٌ
ويـــدُ الـــنَّـــســـيمِ تُـــداعبُ الـــغُـــصُـــنـــا
ويـــحَ المـــدائنِ إنَّ ســـاكـــنَـــهـــا
كـــالمـــيْتِ لم يُـــطـــمَـــرْ ولا دُفِـــنـــا
كم رُحْتُ اســـتـــســـقي ســـحـــائـــبَـــهـــا
فَـــهَـــمَتْ ولـــكن مِـــحـــنـــةً وضَـــنـــى
ولـــكمْ ســـهـــرتُ فـــلـــم أجـــدْ قـــمـــراً
ولـــكمْ شـــدوتُ فـــلـــم أجِـــدْ أُذُنـــا
لـــو كـــان يـــألَفُ بـــلـــبلٌ غَـــرِدٌ
قـــفـــصـــاً، أحبَّ الـــشـــاعـــرُ الـــمُـــدُنـــا
كـــرِهَ الـــوَرَى طـــولَ الـــمُـــقـــام بـــهـــا
فـــاســـتـــنـــبَـــطـــوا الـــعـــجلاتِ والـــسُّـــفُـــنـــا
ولـــقـــد ظـــفـــرتُ بمـــركبٍ لَـــجِبٍ
فـــخـــرجتُ أطـــوي الـــســـهلَ والحَـــزَنـــا[2]
والـــشـــوقُ يَـــدفـــعُه ويـــدفـــعـــني
حـــتى بـــلـــغتُ المـــنـــزلَ الحَـــسَـــنـــا

(١) الوكن: عش الطائر في حديقة أو جدار (الوكر: عش الطائر).
(٢) الحزْن: ما غلُظ من الأرض (الحُزونة).

قفْ يـــا قـــطـــارُ عـــلى ربـــوعِـــهمُ
إنَّ الأحـــبَـــة يـــا قـــطـــارُ .. هُـــنـــا
هـــذي مـــنـــازلُـــهُمْ تـــهَشُّ لـــنـــا
أخـــطـــأتُ.. بل هـــذي مـــنـــازلُـــنـــا!
مـــا حلّ مـــنـــهمْ مـــوضـــعـــاً أحـــدٌ
إلا وصـــارَ لـــكـــلِّـــنـــا وطَـــنـــا
«ســـوريّـــةُ» في «كـــانـــتنٍ» نـــغمٌ
عـــذْبٌ، «ولـــبـــنـــانٌ» شَـــذاً وسَـــنَـــا[1]
إنْ تـــنـــطـــفئْ زُهْـــرُ الـــنـــجـــومِ فـــفي
هـــذي الـــوجـــوه عن الـــنـــجـــومِ غِـــنى
وإذا الحـــيـــاةُ طـــوَتْ مـــحـــاســـنَـــهـــا
عـــني وصـــار نـــعـــيـــمُـــهـــا مِـــحَـــنـــا
مـــثَّـــلْـــتُـــهمْ في خـــاطـــري فـــإذا
دنـــيـــايَ فـــيـــهـــا لـــلـــســـرورِ دُنـــا

☆☆☆☆☆

يـــا قـــومُ هـــذا الـــيـــومُ يـــومـــكمُ
من يـــنـــتـــهـــزْهُ يـــنلْ رضـــاً وثَـــنـــا
فـــلـــتـــنـــبـــسطْ أيـــديـــكمُ كَـــرَمـــاً
الـــسُّـــحبُ أنـــفـــعُـــهـــا الـــذي هـــتَـــنـــا
أنـــا لا أرى مـــثلَ الـــبـــخـــيلِ فـــتًى
يَـــضـــوَى ويُـــهـــزَلُ كـــلَّـــمـــا سَـــمِـــنـــا
من لا يَـــشـــيـــدُ بمـــاله أثـــراً
أو يَـــســـتـــفـــيـــدُ بمـــاله مِـــنَـــنـــا
ويـــعـــيشُ مـــثلَ الـــعـــنـــكـــبـــوتِ يـــعِشْ
في الـــنـــاس مَـــذمـــومـــاً ومُـــمـــتَـــهـــنـــا

---

(١) السنا: النور.

فـابـنـوا وشِـيْـدوا تُـكـرِمـوا رجُلاً
كم قـد سـعى من أجـلِـكُمْ وبـنى
وطـنٌ وأهـلٌ لائـذونَ بـكُمْ
أفـتـخـذُلـونَ الأهلَ والـوطَـنَـا؟
« قَـطَـنـا » بـنـوكِ الـيـومَ قـد نـهـضـوا
فَـتَـمـجَّـدِي بـبـنِـيكِ يـا « قَـطَـنـا »

✱✱✱✱

٥٧ - «ميامي فلوريدا»

[البسيط]

ألقاها في المأدُبة التي أقامها النادي السُّوري اللبناني الأميركي في ميامي فلوريدا تكريماً له.

ما طائرٌ كان في بيداءَ مُوحشةٍ
فساقَهُ دَرُّ نحوِ البساتينِ
فباتَ تُسعدُهُ فيها بلابلُها
حيناً ويُسعدُها بعضَ الأحَايين
مني بأسعدَ حظّاً مُذْ نزلتُ بكُمْ
يا معشرَ السَّادةِ الغُرِّ المَيامِين
فررتُ من بَرْدِ كانونٍ فقَابلَني
في أرضِكُمْ بالأقاحي شهرُ كانون
أنسامُ «أيارَ» تَسرِي في أصَائلِها
وفي عشيّاتها أنفاسُ « تَشرين »
تُوزِّعُ السِّحرَ شطراً في مغارسِها
وآخرٌ في لِحاظِ الخُرَّدِ العِين[١]
كلُّ الشتاء ربيعٌ في شواطئِها
وكلُّ أيامِها عيدُ الشَّعَانين[٢]
لكنْ مَيامِي وإنْ جلّتْ مفاتنُها
لولا وجودُكُمُ ليستْ لِتُغْرِيني
إني لأشهدُ دنيا من عواطفِكُمْ
أحبَّ عندِيَ من دنيا الرياحين

---

(١) العيناء: الواسعة العين.

(٢) عيد عند المسيحيين، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس.

وكـلَّـمـا سـمـعتْ نجـواكمُ أُذُني
ظَـنـنْتُ أنِّيَ في دنـيـا تَلاحِـين
لأنـتمُ الـنُّـورُ لي والـنُّـورُ مُـنـطَـمِسٌ
وأنـتمُ المـاءُ إذ لا مـاءَ يَـرويـني
أحـبـبـتـكُمْ حُبَّ إنـسـانٍ لإخـوته
إذ لـيس بـيـنـكمُ فـوقِي ولا دوني
إن كـان فـيـكُمْ قـويٌّ لا يُـقـاهِـرني
أو كـان فـيـكُمْ ضـعـيفٌ لا يُـداجـيـني[1]
قل لامـرئٍ مـثلِ قـارونٍ بـثـروتهِ
إني امـرؤ بـصِـحـابي فـوق قـارون[2]
من يـكـتـسبْ صـاحـبـاً تـبـقَى مـودَّتُهُ
فـهـو الـغـنـيُّ به لا ذو الملايـين
فـاخـتـرْ صِـحَابك وانـظرْ في اخـتـيارهمُ
إلى الـطَّـبـائع قـبلَ الـلّـونِ والـدِّين
لـيس الـوِدادُ الـذي يـبـقَى إلى أبـدٍ
مـثلَ الـوداد الـذي يـبـقى إلى حـين
والمـرء في هـذه الـدنـيـا عـواطـفُه
إن تـنـدرسْ، فـهـو بيتٌ غـيـرُ مَـسـكون
وإنّ عـاطـفـةً هـذي مـظـاهـرُهـا
من عـالَمِ الـرُّوح لا من عـالَمِ الـطِّـين
لـو فـاتَـني كلُّ مـا في الأرض من ذهبٍ
ولم تَـفُـتْـنِي فـإني غـيـرُ مَـغْـبـون
لـو الـقـوافي تُـؤاتِـيـني شـكـرتُـكُمُ
كـمـا أريـدُ، ولـكنْ لا تـؤاتِـيـني

---

(١) المداجاة: المداراة.

(٢) من وزراء أحد فراعنة مصر. يضرب مثلاً في الغنى والغرور، وإليه تُنسب البحيرة في الفيوم.

لا يَـمـدحُ الـوردَ إنـسـانٌ يـقـول له:

يـا وردُ إنَّك ذو عـطـرٍ وتَـلـوين

فاستنطِقوا القلبَ عني فهو يُخبركُمْ

فـالحُبُّ والـقـلبُ مـكـنـونٌ بمـكـنـون

لـولا المحـبَّـةُ صـار الـكـونُ أجـمـعُهُ

طـوبىَ الأفـاعي وفـردوسَ الـسَّـراحِـين[1]

إني سـأحـفظُ في قـلـبي جـمـيـلَـكُمُ

وسـوف أذكـرُهُ في الـعُـسْـرِ والـلِّـين

✱✱✱✱

(١) السِّرحان: الذئب.

٥٨ - ضَرَّةُ جِلّق

[الكامل]

ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها له الجالية في مونتريال.

لا تـقـلَـقي يـومَ الـنَّـوى أو فَـاقـلَـقِي
يـــا نـــفسُ كلُّ تجـــمَّعٍ لِـــتَـــفـــرُّقِ
الـــلـهُ قـــدَّرَ أنْ تـــمَسَّ يـــدُ الأسى
أرواحَـــنـــا كـــيـــمـــا تـــرقُّ وتـــرتـــقي
أوفَى عـلى الـشُّـهبِ الـدُّجى فـتـألَـقْت
لـــولا اعـــتـــكـــارُ الـــلـــيل لم تـــتَـــألق
والـفـحمُ لـيس يُـضيء إن لم يـضـطـرمْ
والـنـدُّ لـيس يـضـوعُ إنْ لم يُـحـرَق
لا أضـــرِبُ الأمـــثـــالَ مَـدحَـاً لـلـنّـوى
لـــيتَ الـــفـــراقَ ويـــومَه لم يُـــخْـــلَق
مـا في الـوداعِ سِـوى تَـلـعـثُمِ ألـسنٍ
وذهـــــولِ أرواحٍ وهَـمٍّ مُـــــطْـــــبِق

عـنّـفتُ قـلـبي حـين طـال خُـفُـوقُهُ
فـــأجـــاب: بل لُـــمْـــني إذا لم أَخـــفِق
أنـا طـائـرٌ قـد كـان يمـرحُ في الـرُّبـا
وعـلـى ضـفـافِ الجـدولِ المـتـرقـرق
فـطـوى الـقـضـاءُ مـروجَهُ وفـضـاءَهُ
لِـيُـزَجَّ في قَـفَصِ الحـديـدِ الـضَّـيّق

لا، بل أنـــا مَـــلِكٌ صـــحـــوتُ فـــلم أجِـــدْ
عـــرشي ولا تـــاجي ولا إســـتَـــبْـــرقي[1]
هـــانتْ مَـعـــاذيـــري وضـــاعَتْ حِـكْـمـــتي
لمـــا ســـمـــعتُ حـكـــايـــةَ الـقـلبِ الـشَّـقي
لـــو تـــعـــدِلُ الـدنـيـــا بـــنـــا لم يـــنـــتـــثِـــرْ
شَـــمْلٌ نـــظـــمـــنـــاهُ، ولم نـــتَـــفَـــرَّق

لـــلـهِ مـــونـــتـــريـــالُـــكُمْ ذاتُ الحُـــلي
ومـــديـــنـــةُ الـــطَّـــودِ الأشمِّ الأبْـــلَق
كَمْ وقـفـــةٍ لي عـنـــد شـــاطئ نـــهـــرِهـــا
لا أســـتـــقي مـــنه، وروحِي تَـــسْـــتَـــقي
مُـتـعـلِـمـــاً مـنه الـتَّـواضعَ والـنَّـدى
والـصـفحَ عن عَـبَثِ الجَـهـولِ الأحْـمَق
أعـطى الحـقـولَ حـيـاتَـهَـا ومـضى كـأنْ
لـم يُـعْـطِـهـا شـيـئـاً ولم يـتَـصـدَّق
من كـان لا يـدري فَـيـقـظـةُ زَرْعِـهـا
من فَـضْلِ هـذا الـهـاجعِ المـسـتـغـرِق
ضَـيّـعتُ عـنـد الـواعـظـينَ سـعـادتي
ووجـــدتُـــهـــا في واعظٍ لم يَـــنْـــطُق
ملءُ المـــــدائنِ والـــــقُـــــرَى آلاؤُهُ
وهِـبـاتُه، ويـعـيشُ عَـيْشَ الـمُـمْـلِق
لـــولاهُ لم يـــخـــضَـــرَّ قـــاعٌ مُـــجـــدِبٌ
لـــولاكُمُ شـــجـــرُ الـــمُـــنى لم يُـــورِق

(١) الإستبرق: الديباج (معرب).

عرضَتْ محاسنَها الحياةُ عليكُمُ
فأخذتُمُ بأحَبِّها والأَلْيق
أنا منكمُ في روضةٍ مِعطارةٍ
مِن مُونقٍ فيها اللِّحاظُ لمُونق
العطرُ يعبَقُ من جميع وُرودِهَا
ما إن مررتُ بزهرةٍ لم تَعْبَق

☆☆☆☆☆

لهِ مونتريالُكُمْ وجلالُها
هي رومَةُ الصُّغرى وضَرَّةُ جِلَّق
رَقَّتْ عليّ نجومُهَا وتواضَعتْ
حتى لكدتُ أحسُّها في مَفرِقي
فكأنما هي أنتمُ وكأنما
أرواحُكُمْ من نُورها المتدفِّق
رجعَ الشبابُ إليّ حين هبطتُها
واليومَ أخرجُ من شبابي الريِّق
سأطيُر عنها في غدٍ بحُشاشةٍ
مَكلُومَةٍ وبناظرٍ مُغْرَورِق
ويغيبُ عنّي طَودُها وقِبابُها
وقصورُها خلفَ الفضاء الأزرق
وتظلُّ صورتُها تلوحُ بخاطري
بعضُ الرؤى سلوى وإنْ لم تَصْدُق

✱✱✱✱

٥٩ - الشباب أبو المعجزات

[المتقارب]

سلامٌ عـلـيـكُمْ رجـالَ الـوفـاءِ
وألفُ سلامٍ عـلـى الـوافـيـاتْ
ويـا فـرَحَ الـقـلبِ بـالـنـاشـئـينَ
فـفـي هـؤلاء جـمـالُ الحـيـاة
هُمُ الـزَّهْـرُ في الأرض إذ لا زهـور
وشُـهبٌ إذ الـشُّـهب مُـسـتـخـفِـيات
إذا أنـا أكـبـرتُ شـأنَ الـشـبـابِ
فـإنَّ الـشـبـابَ أبـو المـعـجـزات
حـصـونُ الـبلادِ وأسـوارُهـا
إذا نـام حُـرّاسُـهـا والحُـمَـاة
غـدٌ لـهمُ وغَـدٌ فـيـهمُ
فـيـا أمسِ فـاخِـرْ بمـا هـو آت
ويـا حـبَّـذا الأمَّـهـاتُ الـلـواتي
يـلـدنَ الـنـوابغ والـنـابـغـات
فَـكَمْ خَـلَـدتْ أمّـةٌ بـيـراعٍ
وكم نـشـأتْ أمّـةٌ في دَواة

أنـا شـاعـرٌ أبـداً تـائقٌ
إلى الحُـسْنِ في الـنـاس والـكـائـنـات
أُحبُّ الـزُّهـورَ وأهـوى الـطُّـيـورَ
وأعـشق ثـرثـرةَ الـسَّـاقـيـات

ورقْصَ الأشـــعـــةِ فـــوقَ الـــرَّوابي
وضِـحكَ الجـداولِ والـقَـهـقَـهـاتْ
تـطـالـعُ عـيـنـايَ في ذا المـكـانِ
روائـعَ فـاتـنـةٍ سـاحـرات
كـأن الـفـضـاءَ وفـيه الـطـيـورُ
بـحـورٌ بـهـا سـفنٌ سـابـحـات
كـأن الـزهـورَ تُـرقـرقُ فـيـهـا
سـقـيطَ الـنـدى أعـينٌ بـاكـيـات
ومِن بـلـبلٍ سـاجعٍ لِـمُـغنٍّ
من زهـرة غـضـةٍ لـفـتـاة

فـمـا أجـملَ الـصـيفَ في الخَـلَـوات
وأروعَ آيـاتِه الـبـيِّـنـاتْ!
نـضَـا الـسِّـترَ عن حسـناتِ الـوجـودِ
وكـانتْ كـأسـرارِه الـمُـضـمَـرَاتْ
وأحـيَـا رغَـائِـبَـنـا الـذابلاتِ
فَـعـاشتْ وكـانت كـأرضٍ مَـوَاتْ
فـفي الأرض سـحـرٌ، وفي الجـوِّ عـطـرٌ
فـيـا لَـكـريمٍ ويـا لَـلـهِـبَـاتْ
أمـامَـكُمُ الـعـيشُ حـرٌّ رغـيـدٌ
ألا فـاغْـنَـمـوا الـعـيشَ قـبْلَ الـفَـواتْ

✱✱✱✱

المحتــوى

الديوان الخامس (تبر وتراب)

١ - وطن النجوم ٨٤٩

٢ - تحية الشام ٨٥١

٣ - الشاعر والكأس ٨٥٦

٤ - موكب التراب ٨٥٩

٥ - أين عصر الصبا ٨٦٢

٦ - الصيف ٨٦٤

٧ - الغد لنا ٨٦٦

٨ - قنبلة الفناء ٨٦٨

٩ - تلك السنون ٨٦٩

١٠ - امتنان ٨٧٤

١١ - اسألوها ٨٧٩

١٢ - أم القرى ٨٨٠

١٣ - من اشتهى الخمر فليزرع دواليها ٨٨٣

١٤ - ستعود دنيانا أحب وأجملا ٨٨٥

١٥ - رؤيا ٨٨٧

١٦ - رؤيا ثانية ٨٨٩

١٧ - أيلول الشاعر ٨٩١

١٨ - يا رفاقي ٨٩٣

١٩ - لوس انجيلوس ٨٩٦

٢٠ - عصر الشبيبة ٩٠٠

٢١ – عطش الأرواح ٩٠٤
٢٢ – بلادي ٩٠٧
٢٣ – روعة العيد ٩١٠
٢٤ – يا أنشودتي انطلقي ٩١٢
٢٥ – في قلبك الله ٩١٤
٢٦ – الرأي الصواب ٩١٦
٢٧ – ليس السر في السنوات ٩١٨
٢٨ – إليك عني ٩١٩
٢٩ – دودة وبلبل ٩٢١
٣٠ – هدية العيد ٩٢٢
٣١ – إن الحياة قصيدة ٩٢٣
٣٢ – ليالي بوسطن ٩٢٤
٣٣ – صوت من سورية ٩٢٦
٣٤ – حكمة المتنبي ٩٢٩
٣٥ – أنفس العشاق ٩٣٠
٣٦ – روحي فداك ٩٣١
٣٧ – لو ٩٣٢
٣٨ – مقلتان ٩٣٤
٣٩ – فردوسي ٩٣٤
٤٠ – ثقيل ٩٣٥
٤١ – وداع ٩٣٦
٤٢ – تحية الشاعر (في يوبيل شكيب أرسلان) ٩٣٨
٤٣ – أخو الورقاء ٩٤٠

٤٤ – شاعر الدير ٩٤٣
٤٥ – لا يدرك الهرم النجوم ٩٤٥
٤٦– بنت القفر ٩٤٧
٤٧ – تلك المنازل ٩٥١
٤٨ – دمعة الشاعر (إلى روح الشاعر خليل مطران) ٩٥٤
٤٩ – ما زال في الأرض حياً ٩٥٦
٥٠ – يا قائد القوم ٩٥٩
٥١ – ليتهم عرفوه ٩٦٢
٥٢ – سكت الشَّادي وبُحّ الوتر ٩٦٦
٥٣ – لم يهدم الموت إلا هيكل الطين ٩٧٠
٥٤ – ريح الردى ٩٧٢
٥٥ – الشاعر في حفلات تكريمه (الماهدون في المهجر) ٩٧٤
٥٦ – قف يا قطار بنا ٩٧٨
٥٧ – ميامي فلوريدا ٩٨٢
٥٨ – ضَرّة جلّق ٩٨٥
٥٩ – الشباب أبو المعجزات ٩٨٨
المحتوى ٩٩٠

✷✷✷✷

(ما لم تجمعه الدواوين)

جمعه الدكتور جورج ديمتري سليم من الصحف والمجلات العربية والمهجرية، التي نشر فيها، في كتاب سماه «إيليا أبو ماضي ١٨٨٩ - ١٩٥٧»، دراسات عنه، وأشعاره المجهولة - ووثّقها بالرجوع إلى مصادرها، فسمّاها وحدّد تواريخها وأعداد أبياتها.

الطبعة الأولى (دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧).

تضم المجموعة خمسة وستين نصاً شعرياً، بين طويل ومعتدل وقصير. وهي سَعَة ديوان كامل من دواوين الشاعر، أو تزيد على بعضها، وتكوّن ما يزيد على خُمس مجموع شعره في الدواوين الخمسة، وتُكمله، في تغطية المناسبات والأحداث والمواقف، على امتداد حياته، في لبنان ومصر وأمريكة .

****

١ - إلى بطل الوطنية

الشيخ عبد العزيز جاويش[١]

[الوافر]

لـئن حـجَـبُـوكَ عن مُـقَلِ الـبَـرايـا
فـمَـا حـجـبـوا هـواكَ عن الـصُّـدورِ
وإن تَـكُ قـد حُـبْـسـتَ وأنت حُـرٌّ
فـكم في الحـبس من أسَـدٍ هـصُـور
كـبـيـرُ الـقـوم أكـبـرُهُمْ خـطـوبـاً
لـذاكَ رُمـيتَ بـالخـطب الـكـبـيـر
لـقـد أَعـلـيتَ قـدْرَ الـسِّـجنِ حـتى
أحبَّ الـسـجنَ سـكـانُ الـقـصـور
ولا عـجبٌ إذا أُسـكـنتَ فـيه
فـكَمْ في الـلـيل من قـمَـرٍ مُـنـيـر
تَـعـددتِ الـطـيـورُ فلا حـبـيسٌ
سِـوى الـغَـرِدِ الجـمـيلِ من الـطـيـور
يـقـول الـشَّـامـتـون: الـسـجنُ يُـزري
لـئن صـدقـوا فـبـالجـاني الـكَـفُـور
ومـا في صُـحـبَـةِ الأشـرار عـيبٌ
عـلـى الـداعي إلى تـرك الـشُّـرور

---

(١) رأَسَ تحرير جريدة (اللواء) لسان حال الحزب الوطني الذي أنشأه زعيمه مصطفى كامل (ت ١٩٠٨) قبضت عليه سلطات الاحتلال الإنجليزي أكثر من مرة وأودع السجن لأسباب متعددة تتعلق بمواقفه الوطنية ومقالاته في

فـصـبـراً، يـا نـزيلَ الـسِّـجنِ، صـبـراً
فـمـا عَـرَفَ الـهـنـاءَ سِـوى صـبـورِ
وحـسْـبُكَ عـطفُ هـذا الـشـعب فـخـراً
وحَـسْبُ عِـداك تـوبـيخُ الـضَّـمـيـر

✷✷✷✷

٢ - مصر والاحتلال

[الرمل]

خَـلِّـني أسـتـصـرخُ الـقـومَ الـنِّـيـامـا
أنـا لا أرضـى لـ « مـصـرٍ « أن تُـضَـامـا
لا تـــلُمْ في نُـــصـــرةِ الحقِّ فـــتىً
هـــاجَه الـــعـــابثُ بـــالحقِّ فلامـــا
أو فـــلُـــمـــنِي إنَّ قـــلـــبي كـــلّـــمـــا
زدتَ في تـــعـــنـــيـــفِه زاد هُـــيَـــامـــا
ســـوف أشـــكـــو الـــهمّ إن أحْـــرجَـــني
رُبَّـمـا خَـفَّـفَتِ الـشـكـوى الـسَّـقـامـا[١]
وقـفـةً في شـاطئ « الـنـيل « مـعي
نُـقـرِئُ «الـنـيلَ» الـتّـحـايـا والـسلامـا
وأنـــاجِـــيـــه أَمـــانـــي أمّـــةٍ
مـــنـــعـــوهـــا مـــاءَه إلا لِـــمَـــامـــا
عَـــلّـه يـــبـــعثُ من أســـرارِه
قـوةً تـبـعثُ في الـشـعبِ اعْـتـزامـا[٢]
قـســـمـــاً بـ «الـــنـــيلِ» لـــو أن به
مـا بـنـفـسي من جـوىً[٣] سـال ضِـرامـا
لـــستُ أنـــسى لـــيـــلـــةً بتُّ بـــهـــا
والأسى يـدفع عن عـيـني المـنـامـا

---

(١) المرض.
(٢) العزيمة.
(٣) الجوى: الحرقة وشدة الوجد من الحزن أو غيره.

أرقبُ الأقـــمـــارَ فـي أفلاكـــهـــا
مـثـلَـمـا يـرقبُ راعـيـهـا الـسَّـوامـا[1]
لـم يُـــؤَرِّقْـــنِي اشْـــتـــيـــاقٌ أو هـــوى
مـا الـهـوى بُـغـيَـةُ مَن بـالمجـد هـامـا
راعَ نـــفـــسـي أن «مـــصـــراً» رُوِّعت،
بـــأبي «مـــصـــرَ» ومن فـيـهـا أقـامـا!
حَـسْبُ «مـصـرٍ» أنـهـا الأرضُ الـتي
إمّن الـلـهُ بـهـا «الـبـيتَ الحـرامـا»
وبـنـيـهـا أنـهـمْ نـسلُ الأُلَى
عـركـوا الـدهـرَ فـتـيّـاً وغلامـا
كَـرُمت «مـصـرُ» وأهـلـوهـا فـمـا
نـقَـضَتْ عـهـداً ولا خـانـوا ذِمـامـا
كـان لـلأحـرار فـيـهـا مـوئِلٌ
يـعـصِمُ الحُـرَّ فلا يـخـشى اهـتِـضَـامـا
ثم هـاضَ الـدهـرُ من جـانـبـهـا
إنمـا يـهْـتَـضِم[2] الـدهـرُ الـكـرامـا
أَرَبي «مـصـرُ» عـلـى رغم الـعِـدا
لـستُ أعـني بـالـعِـدا إلا الـطَّـغَـامـا[3]
لـستُ مـصـريّـاً ولـكنْ نـسـبـةٌ
بـيـنـنـا تجـمعُ «مـصـراً» و «الـشـآمـا»
أمّـةٌ تـرتـقبُ اسـتـقلالَـهـا
مـثـلَـمـا يـرتـقبُ الـصّـادي[4] الـغَـمَـامـا

(١) سامت الماشية: رعت، فهي السائمة والسُّوام.
(٢) هاضه: كسره. وهضمه حقه واهتضمه، فهو مهتضَم (مظلوم).
(٣) الغوغاء وأرديا الناس.
(٤) العطشان (صدي – يصدَى).

مـــا لـــهم يـــســـعَـــونَ في إيـــذائـــهـــا؟
مـــا رمتْ ســـهـــمـــاً ولا ســـلّت حـــســـامـــا
زعـــمـــوا إصلاحَـــهـــا وهي الـــتي
مـــا شـــكَتْ غـــيـــرَ همُ داءً عَـــقـــامـــا[1]
حـــبـــســـوا «الـــنـــيل» عـــلى نـــفـــعِـــهِمُ
وأعـــاضُـــوهـــا[2] من الـــرِيِّ الأُوامـــا[3]
فـــإذا مـــا صَـــرختْ تـــشـــكـــو الـــصَّـــدَى
جـــعـــلـــوا الـــقـــانـــونَ في فِـــيـــهـــا لِـــجـــامـــا
أنـــكـــروا خَـــطـــوتَـــهـــا نـــحـــو الـــعُلا
« رُبَّ ذي لُـبٍّ عن الحقِّ تَـــــعـــــامَى»
ورمـــوهـــا بـــالـــتَّـــواني، ويـــحَـــهُمْ
أخـــمـــولٌ أنـــهـــا تـــهـــوى الـــسَّلامـــا؟
قـــد خَـــلتْ تـــســـعـــةُ أعـــوامٍ عـــلى
شـقـوةِ «الـنـيل»، سِوى عـشـرينَ عـامـا
وانـقـضَى الـعـمـرُ ولـمَّـا تـنـجـلـوا
فـــإلام أيـــهـــا الـــقـــومُ، إلا مـــا؟

كـــبِّـــلـــوا أقلامَـــنـــا جُـــهـــدكمُ
وامـنـعـوا الألْـسُنَ والـصُّـحْفَ الـكلامـا
وإذا عـــزّ عـــلـــيـــكمْ أنَّـــنَـــا
في وئـامٍ، فـانـشـروا فـيـنـا الخِـصَـامـا
وإذا عـــزَّ عـــلـــيـــكمْ أنـــنـــا
في حـيـاةٍ، فـابـعـثـوا فـيـنـا الحِـمـامـا

(١) لا شفاء منه (العقيم).
(٢) أعطوها العِوَض (عاضه وأعاضه).
(٣) حر العطش (آم – يؤوم).

يـــنـــزِعُ الأرواحَ من أجـــســـادهـــا،
أو فـــكـــونـــوا أنـــتـمُ المـــوتَ الـــزُّؤامَـــا
إنمـــــا يـــــنـــــقـــــلبُ الأمـــــرُ إلى
ضِـــدّهِ إن جـــاوزَ الأمـــرُ الـــتّـــمـــامـــا

✷✷✷✷

٣ - روزفلت[١] ومصر

[الوافر]

خـطـيبَ الأمسِ مـا أنـصـفتَ «مـصـراً»
ولا أنـصـفتَ مـاضـيَك الـقـريـبـا
ولـكنْ كـنتَ لـلـبـاغي عـلـيـنـا
أقـومي! إنَّ لـلـبـاغي ضَـرِيـبـا
لـعـمـرُكَ مـا حـلـلتَ بـنـا صـديـقـاً
ولـكن كـنتَ طـوّافـاً مُـريـبـا
أطـعتَ بـنـا الـوشـاةَ، ومـا عَـهْـدُنـا
ـ وحـقِّكَ ـ واشـيـاً إلا كـذوبـا
كـأني بـ «الـعـمـيـد»[٢] إلـيك أوحى
بمـا أوحى، فـقـمتَ بـنـا خـطـيـبـا
تحـاولُ أن تُـحـبِّـبَـهمْ إلـيـنـا
مـتى ألـفَـيـتَـنـا نَـهـوى الخُـطـوبـا؟
وتـأمُلُ أن نَـبـيـتَ عـلـى قُـنـوطٍ
كـأنّ الـيـأسَ مـا قـتَل الـشُّـعـوبـا
أيـا ضـيفَ «الـكِـنـانـة»! جُـرْتَ فـاقـصِدْ[٣]
فـمـا شـعبُ « الـكِـنـانـةِ « دون « كـوبـا»
أنـرجـو أن تـكـونَ لـنـا نـصـيـراً
وتـرجـو لـو تـكـون لـهم حـبـيـبـا؟
لـقـد خَـدَعَـتْكَ، يـا « روزفـلـتُ» مـنـهم
زخـارفُ تَـخْـدعُ الـفَـطِنَ الأريـبـا

****

(١) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وقتها (١٩١٠). خطب في الجامعة المصرية خطبة لم ترض عنها مصر.
(٢) عميد السلطة الإنجليزية المحتلة (غورست) والشاعر يأتي على ذكره أكثر من مرة.

٤ - عيد الحرية العثماني[١]

[البسيط]

هــذا مــجــالٌ، فــهل في الحيِّ قــوّالُ؟
إني، على العَجْزِ، في المِضمارِ جوّالُ
مــا أجــملَ الــقــولَ والآذانُ صــاغــيــةٌ
والصَّمتَ، حيثُ على الأسماع إقفال!
حَسْبي وحسبُك أن الشَّملَ مُلتئمٌ
والــصــفــو دانٍ وللأيــام إقــبــال
وحَسْبُ شِعرِكَ هذا العيدُ، من سَببٍ
إذا نَــبَتْ بكَ أســبــابٌ وأوصَــال
لم يبقَ في الشَّرقِ من قُطْرٍ ولا بلدٍ
إلا وفــيه احــتــفــالاتٌ وحُــفَّــال[٢]
فانشرْ قوافيكَ في الآفاق، فهْيَ على الـ
أكــبــادِ مــاءٌ وفي الأذواقِ جِــريــال[٣]
إني أراك مُــطــاعــاً في شَــواردِهــا
مــا أنتَ ممَّن عــلى الأشــعــارِ يــحــتــال
إن الــقــوافي إذا أحــكــمتَ عُــقْــدَتَــهــا
فــمــا يَــعــيــبُك إكــثــارٌ وإقلال
وإنْ أجْــدتْ فلا تــعــبــأْ بــذي سَــفَهٍ
فــحــيــثُــمــا كــان مَــجــدٌ كــان عُــذّال

---

(١) بمناسبة مرور سنة على إعلان هذا الدستور (١٩١٠).
(٢) حفل القوم: اجتمعوا واحتشدوا، فهم حافلون وحفّال.
(٣) جريال: الخمرة.

فـــفـــيمَ صـــمـــتُكَ، لا واشٍ ولا رَصَـــدٌ
يُـخـشى، ولا ظـالمٌ لـلـحُـرِّ يَـغـتَـال؟[1]
إن كـنتَ تـبـخلُ بـالأقـوالِ تـمـلِـكُـهـا
فـكـيف جـودُك بـالـدنـيـا ولا مـال؟

طـالَ الـسُّـكـوتُ، ومـا لـي فـيه من أربٍ
وإنمـــا بي لـــهـــذا الـــعـــيـــدِ إجْلال
عـيـدٌ إذا عُـدَّ في الأعـيـاد زَيَّـنَـهـا
كالشمس في الشُّهب، هل للشمسِ أمثال؟
عـيـدٌ رآه ذوو الحـاجـاتِ، فـابـتَـسَـمـوا
شـــوقـــاً، وكم لـــذوي الحـــاجـــاتِ آمـــال
تـــفـــاءلـــوا أن «تـــمـــوزاً» يـــكـــون لـــهم
عـيـداً كـغـيـرهـمُ، قـد يـصـدُقُ الـفـال
«تـمـوز» أنت مـنـيلُ الـشَّـرقِ بُـغْـيَـتَهُ
في حـينِ أسـمحُ[2] قـومٍ فـيه بُـخّـال
بـتـنـا نـودُّ شـهـورَ الـعـام أجـمـعَـهـا
«تـمـوز » أو أنّ يـومَ الـعـيـد أجـيـال!

بـاد الـزمـانُ الـذي تُـخـشَى غـوائـلُه
فـيـنـا، وبَـدّلت الأحـوالَ أحـوالُ
وبـات طـاغـيـةُ الأملاكِ مـعـتـقَلاً
لـه مـن الـهـمّ أصـفـادٌ وأغلال
لم أنـسَهُ، وهـوَ في « يـلـديـزَ» ممـتـنعٌ
خـوفَ المـنـيـةِ، إن الخـوفَ قـتّـال

---

(١) الرَّصد: الراصدون (يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث).
(٢) سمح وأسمح: جاد وأعطى عن كرم وسخاء.

والشعبُ قد جاشَ كالبركانِ من غضبٍ
أوِ الغَضنفر بانتْ عنه أشبال
والجيشُ مندفعٌ كالسيل من حَنَقٍ
والبِيضُ مشرعةٌ والرُّمحُ عَسَّال[1]
وللقذائفِ حولَ القصرِ فرقعةٌ
يكاد يَحدثُ منها فيه زِلزال
وللبنادقِ أصواتٌ إذا طَرَقتْ
أذْنيه، أيقنَ أن الشعبَ فَعَّال
لمّا رأى الموتَ أمسى منه مُقتربِاً
بكى بكاءَ صغيرٍ ما له آل
أمسكْ عليك دموعاً غيرَ مُجديةٍ
دمعُ المُضيِّع دمعَ الشَّعب إذلال
نَقضْتَ عهدَكَ لما صِرتَ مؤتمَناً
لو عاهدَ الذئبُ أوفى وهو خَتَّال
قُمْ فانزعِ التَّاجَ طوعاً قبل تنزعَه[2]
عنكَ العَوالي، فقد ضَاقتْ بنا الحال
وَدّعْ سريرَ «بني عثمانَ» عن كَثَبٍ
ما أنت أهلٌ له، للمُلْكِ أقْيَال[3]
المُلْكُ لاقَ به مَن كـ «الرشادِ» حِجَاً
هيهاتَ ما لـ «رشاد» المُلْك أمثال
به المنازلُ أضحَتْ وهي عامرةٌ
وكنتَ فيها وكانت وهي أطلال

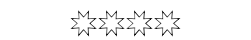

(١) عسل الرمح: اهتز.
(٢) على تقدير: أن تنزعه.
(٣) القَيل في الأصل: الملك من ملوك حمير، وجمعه أقيال.

«دارَ السلامِ»! سَقتْكِ السُّحبُ هامِيةً
ما دام للسُّحب في الأكوانِ تِجْوالُ
إني أرى فيكِ «بغداداً» وأُبصِرُ في
بُرْدِ «الرشيد» «رشاد» المُلك يختال
يَعُدُّني القومُ من نُزّال «مصرَ» ولي
قلبٌ على البُعدِ ممن فيك نزّال
إمّا ثَنتْ بصري عنك الجبالُ فما
كانت لتحجُبَ سمعي عنك أجبال
يا درّةَ الشَّرقِ، دمتِ الدهرَ حاليةً[1]
فالشَّرقُ لولاكِ أمسى وهو مِعْطَال[2]

✱✱✱✱

(١) الحالي: ذو الحلية (حلي - يحلى).
(٢) العطل: فقدان الحلي، والمرأة عاطل ومعطال.

٥ - نفثة مصدور

[الوافر]

سِـوى «لـبـنـانَ» يمـقُـتُه فـؤادي
وغـيـرُ بـنـيه أمـنـعُـهمْ ودادي
بـلادُ الـلـهِ واسـعـةٌ ولـكنْ
تـضـيـقُ لـديَّ إن ضـاقتْ بلادي
بلادٌ قـد طُـبِـعتُ عـلى هـواهـا
كـمـا طُـبِعَ الـزمـانُ عـلى عِـنـادي
فـمـا أنـفكُّ أطـمـحُ لـلـمـعـالي
ولا يـنـفكُّ يـبـخلُ بـالـمُـرَاد
يـصـوِّبُ كلَّ حـين كلَّ سـهمٍ
إليّ فلا يُـصـيبُ سِـوى فـؤادي
لـقـد كـثُـرتْ خـطـوبُ الـدهـرِ عـنـدي
ولم تـبـرحْ لـديّ عـلى ازديـاد
لَـعَـمـرُ أبـيك لـو كـانت نُـضـاراً[1]
أمِـنْتُ عـلـيه من داء الـنَّـفـاد
نَـحِـلْتُ من الـهُـمـوم، فـلـو تَـراني
لَـمَـا مَـيَّـزْتَ طـيـفي من سَـوادي[2]
ولا أدري وقـد طـال اغـتـرابي
لمن أشـكـو وقـد طـال انـفـرادي

---

(١) الذهب الخالص.

فـــلـــولا يَـــشـــمَتُ الأعـــداءُ مـــني
جـــرَى دمـــعي فـــأزرَى بـــالـــسُّـــهـــاد
أضِـنُّ بـه ولـي قـــــــلـــبٌ كـــــــريمٌ
جـــوادٌ لا يـــضِن بمـــســـتَـــفـــاد
شـــعـــوبٌ لا تُـــعَـــدُّ، ولا كـــقـــومي
تَـسَـاوَى بـاعْـتِـقـادهمُ اعـتـقـادي
أحِنُّ إلى لـــقـــائـــهمُ وأصـــبـــو
كـمـا حـنّت إلى المـاء الـصَّـوادي[1]
يـكـادُ الـشـوقُ يـنـقـلُـني إلـيـهمْ
لـو ان الـشَّـوقَ يـنـقل غـيـرَ بـاد
تـــرى، هل عـــنـــدَهمْ أني ودهـــري
لأجـــلـــهمُ أبـــيتُ عـــلى جـــهـــاد؟
فـــفي أرَقٍ إذا غـــفِـــلـــوا ونـــامـــوا
وفي خـوفٍ ولـو أمِـنـوا الـعَـوادي
كـــرامٌ في زمـــانٍ لـــيس فـــيه
كـريمُ الـكفِّ في الـكُـرَب الـشِّـداد
يَـزيـنُـونَ الـنَّـجـادَ إذا احـتـبَـوه
ويـزدانُ الـعـوالِمُ[2] بـالـنَّـجـاد
شُـمـوسٌ يُـسـتَـضَـاءُ بـهم، غُـيـوثٌ
إذا سُـئـلـوا، لـيـوثٌ في الـطِّـراد
ولـكن ســاءتِ الأحـكـامُ فـيـهم
فـســاؤوا سُـمـعـةً في كلِّ نـاد
تـمـادَوا في الـتـسـاهلِ معْ أنـاسٍ
تـمـادَوا في الـنـقـائصِ والـفَـسَـاد

(١) الصادية: العطشى، وجمعه: الصوادي (صدِيَ – يصدَى).

فَـرَاجَ الـظـلـمُ حـتى بـات سـهلاً
وإنّ الـظـلـمَ أجـدَرُ بـالـكـسـاد
وبـات الـعـدلُ مـضـطـهَـداً لـديـهمْ
وهمْ أولى بـذاكَ الإضْـطِـهـاد
فـيـا لـهَـفي عـلى « لـبـنـانَ « يُـمـسي
وأهـلُـوه عـلى وشْك الحِـداد
عـلـيلٌ يـسـتـغـيثُ ولا طـبـيبٌ
ومـأسـورٌ ولـيس هـنـاك فـادِ
يَـسـومُ الـسَّـاكـنـيهِ الخـسفَ غِـرٌّ
غَـويٌّ ضلَّ عن نـهْج الـرَّشَـاد
وأحـزابٌ كـمـا أَدري وتَـدري
تُـنـادي بـالـوِفـاقِ ولا تـنـادي
رأوْا في الـشَّـعب راحـلـةً ذلـولاً
عـلى وهْنٍ، فـكـانـوا كـالـقُـراد[1]
وفي «لـبـنـانَ» مُـرتـبـعـاً خـصـيـبـاً
عـلى ضـعفٍ، فـكـانـوا كـالجـراد
فـمـا تـركـوا لـنـا مـجـداً طـريـفـاً
ولا أبـقَـوا عـلى مـجـدٍ تِلاد[2]
سـتـأتـيـهمْ شـواردُ مُـقْـلـقَـاتٌ
تـقـيم الـهـاجـعـينَ عن الـوِسَـاد
أشـدُّ عـلى الـنـفـوسِ من المـنـايـا
ومِن وقْـعِ الـسـيـوفِ عـلى الـهـوادي[3]

(١) القُراد: دويبة تعض الإبل.
(٢) القديم الأصلي، ضد الطارف.
(٣) الهوادي: أوائل الخيل.

يُحبّرُها فتىً في الشِّعر فذٌّ
«حبيبٌ» دونه و«أبو دؤاد»[1]
يغرُّهمُ سكوتُ الشعب حيناً
ولا يدرونَ ما تحت الرَّماد
ولا يدرونَ أن الشَّعبَ سيْلٌ
إذا مَا انْصبَّ أفعمَ كلَّ واد
وبحر ليس يَسلم راكبُوه
فإنّ البحرَ صعبُ الإنقياد
فإن يرقُدْ فإنّ لكلِّ جفنٍ
ولا نُكرٌ، نصيباً في الرُّقاد
لنا دَينٌ عليهم غيرُ نذْرٍ
وإن الدَّين أحرَى بالسَّداد
فإن دامتْ عَمايتُهُمْ ودامُوا
ودامَ الظلمُ يَجري في العِباد[2]
فأنذرْهمْ بيومٍ مستطيرٍ
يطيرُ لهولهِ قلبُ الجماد
تنوبُ به عن القلم العَوالي
وأنهارُ الدماءِ عن المِداد[3]

✱✱✱✱

(١) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (الشاعر العباسي). وأبو دؤاد الإيادي (الشاعر الجاهلي).
(٢) عَمايتهم: الغِواية واللجاج في الباطل.

٦ - نجوى لبناني[١]

[الكامل]

لا الـغـيـدُ تُـصْـبِـيـني[٢] ولا الأقـداحُ
مـهـمـا تَـغـالى فـيـهـمـا الـمُـدّاحُ
إني امـــرؤٌ كـــلِفُ بـــإدراكِ الـــعُلا
دأَبي الجـــهـــادُ وغـــايـــتي الإصلاح
أهـــوى بلادي دانـــيـــاً أو نـــائـــيـــاً
أُعَـــلـيَّ في حبِّ الـــبلاد جُـــنـــاح؟
«لـبـنـانُ»، لـستَ أبي، ولـستُ فـتـاكَ، إنْ
صَـــرَفتْ فـــؤادي عن هـــواكَ رَداحُ[٣]
زعَمَ الـعـواذلُ أنْ سـلـوتُك، ويـحَـهم
غـيـرُ الـسّـلـوّ لمن أحبّ يُـتـاح؟
مـا إن هـجـرتُكَ عن قـلـىً لـكـنـمـا
قـلـبٌ إلى نـيلِ الـعُلا طَـمّـاحُ
«لـبـنـانُ» حـسـبي أنـني لك أنـتـمي
وكَـفَـاك أنّي الـبـلـبلُ الـصَّـداح
أشـدو بـذكـركَ مـا بـقـيتُ، ومِـرقَـمي
تجـري به فـوقَ الـطُّـروسِ الـرّاح[٤]
قـالـوا: سـكتّ فـقـلت: لـيس بـضـائـري
بـعضُ الـسـكـوتِ كـأنه إفْـصَـاح

---

(١) أول قصيدة تنشرها له (مرآة الغرب) بعد نزوله سَنسَناتي.
(٢) صَبا: مال إلى الجهل. وأصباه: أماله.
(٣) امرأة رداح: تامة الخَلق.

فـلـربمـا صـمـتتْ شـفـاه ذوي الـهـوى
عــمــداً، لــكي تَــتَــخــاطبَ الأرواحُ

☆☆☆☆☆☆

شـيخَ الـرواسي[1]! مـا لأهـلكَ أصـبـحـوا
لا الحــزنُ يــجــمــعُــهُمْ ولا الأفــراح
كـالـغصنِ يسـكن كلّـمـا سـكن الـصَّبـا
ويمـــــيل أنّى مـــــالت الأريـــــاح
عــبَــثتْ بــهم أهــواؤُهم فــتــفــرَّقُــوا
شــيــعــاً، ولــيس مع الخلاف نجــاح
لا يمــلــكــونَ مع الــزمــان قــيــادَهمْ
كــالــفُــلك تجــري مــا لــهــا مَلاّح
لــلــهِ أنت إذِ الــزَّمــانُ مُــســالمٌ
وبَــنُــوكَ كــوكبُ سَــعــدِهمْ وضـّاحُ
أيــامَ كــان عــلــيك من صُــنع الــعُلا
حُــلَلٌ، ومن نــسْجِ الــفَــخــار وِشــاح
بــالأمسِ يــرهِــبُك الــزمــانُ وصَــرفُهُ
والــيــومَ بــات حِــمــاكَ وهــو مُــبــاح
لم يــبقَ شيءٌ فــيكَ لم تَــعْــلَقْ به الْـ
أكــدارُ، إلا المــاءَ فــهــوَ قَــرَاح[2]
أضـحى صباحاً ليلُ «مصرَ» بـ «يوسفٍ»
فــعلامَ لــيس لــلــيــلِــنــا إصْــبَــاح؟[3]
ســعِــدَتْ به وبــعــهــدِه، في أرضــنــا
يــشــقى الأمــيــرُ ويُــرهَقُ الــفلاح

(١) الجبال.
(٢) الماء القراح: الزلال الصافي.
(٣) يقصد النبي يوسف بن يعقوب (عليه السلام).

وتـــنـــالُ كفُّ الـــظـــلمِ كلَّ أخي نُـــهىً
حُـــرٌ، ويـــخـــفى الحقُّ وهـــو صُـــراح
فـكـأن «بـيتَ الـدين» أصـبـح «يـلـدزاً»
وكـــأنمـــا هـــو ذلك الـــسَّـــفّـــاح[1]
نـرجـو الـصلاحَ من الـفـسـاد جـهـالـةً
هـيـهـاتَ، لـيس مع الـفـسـاد صلاح

⁂

أبـــنـــاءَ ذا الجـــيل الأشمِّ! تحـــيـــةً
تـزكـو ويـزكـو نـشْـرُهـا الـفـيّـاح[2]
حـتّـام أنـتم مـغـمِـضُـونَ عـلى الـقَـذى
لا تـنـهـضـون، كـأنـكم أشـبـاح؟
أجـهـلـتُمُ أن الـبـقـاءَ تَـنـازُعٌ؟
أنـسـيـتمُ أن الحـيـاةَ كـفـاح؟
فـمـتى أراكمْ طـارحـينَ خـمـولـكم
ولـكم غـدوٌ لـلـعُلا ورَواح؟
بـالـعِلْم فـاعـتـصِـمـوا فـلم أرَ سُـبّـةً
كـالجـهل، فـهـوَ لأهـلـه فَـضّـاح
فـالـعـلمُ في الـرجل الـقـوي فـضـيـلـةٌ
والـعـلـمُ في الـرجل الـضـعـيفِ سلاح
هـؤلاء أهلُ «الـغرب» قـد بـلـغوا «الـسُّـهـا»
مـجـداً، ومـا غـيـرَ الـعـلـوم جَـنـاح[3]
«فـتـشـبـهـوا إن لم تـكـونـوا مـثـلَـهم
إنّ الـتـشـبُّهَ بـالـكـرامِ فَلاح»

✱✱✱✱

(١) بيت الدين: قصر الرئاسة في لبنان آنذاك، ويلدز قصر السلطان عبد الحميد في استانبول.
(٢) النشر: الريح الطيبة. وفاح – يفوح – ويفيح.
(٣) السُّها: كويكب خفيّ الضوء في بنات نعش الكبرى.

٧ - عتاب إلى إلياس عطا الله

[البسيط]

يـا روحَ «إلـيـاسَ» بـالأرواح نـفـديكِ
إن المـلـيـكـةَ تُـفـدَى بـالمـمـالـيكِ
لـولا تجـنـيّكِ لم أحـسُـدْ أخـا ولَعٍ
مـا كـان أسـعـدني لـولا تجـنّـيك
لِمَ الـصّـدودُ ومـا قـلـبي بمـنـصَـرفٍ
إلى سِـواكَ، ولا سِـرِّي بمَـهْـتـوك؟
« كـاتَـبْـتِـنـا مـرّةً في الـعُـمـرِ واحـدةً
ثَـنِّي ولا تجـعـلـيـهـا بـيـضَـةَ الـدِّيك»

«نـيـويـورك»، يـا من فَـتَـنتِ الخـلقَ كـلَّـهمُ
مـا كـنتِ فـاتـنـتي لـولا فـتىً فـيك
أخـو سـجـايـا، لَـو انَّ الـلهَ فـرّقـهـا
في الـنـاس، مـا أبـصـرتْ عـيـني بـصـعـلوك
هـلالُ لـطفٍ وظـرفٍ غـيـرِ مـنـخـسفٍ
وطـودُ حِـلمٍ وحـزمٍ غـيـرِ مَـدْكـوك
يـجـودُ لـلـنـاس بـالـعِـقْـيَـانِ مِـرْقَـمه[1]
إن شـاء مـنـسـبِـكَـاً أو غـيـرَ مَـسـبُـوك
فـاقتْ كِـتـابـتُه الـكـتّـابَ قـاطـبـةً
وفـاقَ إعـلانُـه إعـلانَ «مَـلّـوك»![2]

---

(١) المِرقَم: القلم. والعقيان: الذهب الخالص.

لـو كـان يـكـتبُ لـلـ «إفـرنج» كـان له
رسمٌ يُـمَـثِّـلُه في كلِّ مَـسـلـوك[1]
لـو كـنتُ ذا نَـشَبٍ أهـديـتُه نـشَـبي
لـكنّ لا ذهبٌ عـنـد المَـفَـالـيك[2]
شاء الزمانُ - ومن يعصي مشيئتَهُ؟-
ألا يُـرى الحـرُّ فـيـنـا غـيـرَ مـأفُـوك[3]
لـو لم يك الـدهـرُ فَـدْمـاً لا كَـفـاء به
مـا بـات يـنـعُم فـيه كلُّ بـاروك[4]
يمـشي إلـيـنـا عـلى تـيهٍ يـكـاثـرنـا
بـالمـال مـا بـين مـطـبـوعٍ ومـسْـكُـوك
حـتى لَـتـحـسِبَ «كـسـرى» من بـطـانـتِه
وقـد تـخـالُ عـظـيـمـاً قـدْرَ «مـنـلـيك»[5]
وكـان يـهـتـزُّ قـبلَ الـيـوم من طـربٍ
لـو قد رأى بـالـنوم أشـبـاحٌ «الـمَـتَـاليك»[6]
دنـيـاي! قـدْ ضـاع فـيكِ كلُّ ذي أدبٍ
كـمـا يـضـيعُ الـشّـذا في أنفِ مَـضْـنـوك[7]

☆☆☆☆☆☆

يـا نـفسُ، إن الـلـيـالي غـيـرُ عـاقـلـةٍ
فـإنْ شـكَـوتِ أذاهـا بتُّ أشْـكُـوك

---

(١) درباً مسلوكاً.
(٢) المفلوك: الفقير (والجمع: مفاليك).
(٣) المأفوك: المأفون: الضعيف الرأي والعقل.
(٤) الفَدْم: العيي عن الحجة والكلام، مع الثقل. و باروك: صاغها من برك: جثا على ركبتيه، بمعنى الخائر الكسول.
(٥) منليك الثاني: امبراطورالحبشة (١٨٩٦) له صلات بالسطان عبد الحميد الثاني.
(٦) من مفردات العملة، في أصغر صورها، في العصر العثماني.
(٧) الضنك: الضيق من كل شيء. وأضنكه: ضيّق عليه.

صـبـراً، فـإن تـنـقُـمي أركَـبـتِـني خَـشِـنـاً
أو تـقـنَـطي فـلـقـد أَشْـمَـتِّ شَـانِـيك
لَـعـلَّـمَـا رقـعـةٌ تحـظى الـعـيـونُ بـهـا
من الحـبـيب فـتَـشْـفِـيـهـا وتَـشْـفِـيك

✷✷✷✷

٨ - اليهودي التائه

[مجزوء الرجز]

أكلُّ يـــــومٍ مَـــــخْـــــرقهْ
وقـــصـــةٌ مـــلـــفَّـــقهْ؟
مـن أحـــــــمـقٍ ذي غُـــــــرَرٍ
أو جـــاهـلٍ ذي فَـــيـــهَـــقَه[1]
وكـلُّ يـــــــومٍ طـــــــارقٌ
يـــأخـــذُكمْ بـ « الـــهـــيـــبَـــقَه»[2]
كـــذا الـــذي طـــافَ عـــلـــيْ
ـــكُمْ يَـــسـتَـــدرّ الـــصَّـــدقَه
ويـــســـتـــثـــيـــرُ الـــدينَ فِـــيْ
ـــكم، وهـــوَ ربٌّ الـــزَّنـــدقه
فـــمـــا تـــراءى شـــبحٌ
مـــنـــكمُ إلا لَـــحِـــقَه
ومـــا أصـــاب مُـــوصَـــداً
فـي الحـي إلا طَـــــــــرَقَـه
ومـــــا رأى مـــــائـــــدةً
إلا أمـــــالَ عُـــــنـــــقَه
أعـــجـــبه سَـــمْـــنَـــكُمُ
فـــصـــار مـــثلَ الـــعَـــلـــقَه

---

(١) تفيهق في مشيته أو كلامه: تبختر وتعالَم وتشدّق.
(٢) من اللغة المحكية: أخذ الأمور بالمشاغلة وضجيجها.

يمـــــتصُّ أمـــــوالـــــكُمُ
مصَّ الـهـجـيـرِ[1] الـزنـبـقَه
يملأُ مِن جـــيـــوبِـــكُمْ
جـــيـــوبَهُ الـــمُـــخَـــرَّقه
إنْ تـســتـحـوا لا يـســتـحي
كـــــذا الإلـهُ خَـــــلَـــــقه
جـارَى «الـيـهـودي» تـائـهـاً
بلْ بـــــزَّه، بل ســـــبـــــقه
فـالـيـومَ في مِـنْـطـقـةٍ
وفـي غـــدٍ في مِـــنْـــطـــقَه
يـا حـاملَ «الـكـشـكـولِ» في الـ
ـــعـاتِقِ أين «المـنـطـقـة»[2]

☆☆☆☆☆

مـــا عـــجَـــبي من رجلٍ
صـــار قـــفـــاه مَـــفْـــرِقَه[3]
بل عَـــجَـــبي من مَـــفْـــرِقٍ
قـد صـار خـلف الـعَـنْـفَـقهْ[4]
فـيـا لـهـا من قَـــرْعـــةٍ
بل يـا لـهـا من مَـــزلـــقَه!
دائـــــرةً مـــــثلَ الـــــرَّحى
بـيـضـاءَ مـثل «الـشّـرنَـقه»
في الـبَـرْدِ تـغـدو جَـمَـداً
وفي الـهـجِـيـرِ مَـبْـصَـقه

(١) الهجير والهاجرة: نصف النهار، عند الزوال إلى العصر.
(٢) ما بين المنكِب والعنق. والمنطقة: كل ما شُدَّ به الوسَط، مثل (النطاق).
(٣) مفرِق الرأس: حيث يُفرق فيه الشعر.

رأسٌ تُـــــــــــظـلُّ أرجـلَ الْـ
ـــبُـــرْغُـــوثِ فـــيه قَـــلِـــقه
فـــلـــو تـــراه حـــاســـراً
ظـــنـــنـــتَهُ قـــد حـــلَـــقَه
هـــذا هـــو « الـــسِّـــنـــدان» والـ
أنف الـــكـــبـــيـــرُ «المـــطـــرقه»

⁂

عقَّ بـــنـــانـي قـــلَـــمِي
أضـــاعَ شِـــعـــري رونـــقَهْ
ولا أطـــاعـــتـــني الـــقَـــوا
فِي الـــشَّـــارداتُ الـــمُـــونِـــقه
إنْ كـــــنتُ لا أرعـــــاكُمُ
رعى الجـــفـــون الحَـــدَقه
إلامَ يـــســـتـــجـــهـــلُـــكمْ
أجـــهلُ من «هـــبـــنَّـــقَه»؟[1]
دمُ الـــقـــلـــوبِ مـــالُـــكمْ
فـــحـــاذروا أن يُـــهْـــرقَه
أتجـــعـــلـــونَ عـــرقَ الـ
أجْـــســـاد مـــنـــكم «عـــرقَهْ»؟
أَراقـــكُمْ مَـــنْـــطِـــقُهُ؟
وقـــد عـــرفـــتم مَـــنْـــطِـــقَه
أمْ صـــــوتُـه؟ وصـــــوتُهُ
أحـــسنُ مـــنه الـــنـــقـــنـــقه
أمْ وجـــــهُـهُ؟ ولـــــو رآ
هُ الـــقـــردُ «طـــاح الحـــلَـــقه»!

(١) الهبنَّق: الأحمق (والتاء للمبالغة). وقد أصبح مثلاً يُضرب.

قـــومُـــوا اقْـــرؤوا تـــاريـــخَهُ
هـل فـــــيه إلا مُـــــوبِـــــقَه؟[1]
فـي كـل يـــــومٍ يـــبـــتـــغي
ضـــريـــبـــةً أو نـــفـــقه
كـــأنـــكمْ بُـــعـــولـــةً
كـــأنـه مـــطـــلّـــقه
بل كـــلَّـــمـــا أحسّ بـــالْـ
ـإمـلاق أبـــــدى مَـــلَـــقه
فـــصـــوّر الـــبـــحـــر لـــكم
وهـــو أُجـــاجٌ[2] «مـــرقَه»
وصـــــوَّر الأرضَ عـــــلى اتْـ
ـتِـســاعِـهـا كـ «الـبـنـدقه»
وحَـــولَه عـــصـــابـــةٌ
تجـــهلُ إلا الـــشَّـــقْـــشَـــقَه
ضـــمـــائـــرٌ مـــيّـــتـــةٌ
وألـــــسنٌ مـــــفـــــرَّقه
يـــرعى لـــهـــا عـــهـــودَهـــا
كـــمـــا تُـــراعي مَـــوْثـــقه
قـــد وافـــقـــتْه مـــثـــلـــمـــا
«وافـقَ شـنٌّ طـــــبـــــقه»
لـــكـــنـــهـــا لِـــعِـــلَّـــةٍ
قـــد نـــزعتْ مـــنه الـــثِّـــقه

(١) الموبق: من المعاصي الكبائر المهلكة.
(٢) ملْح مرّ.

والـــلهِ، لـــو كـــان قِـــصَـــا
صُ «الـــنَّـــصبِ» مـــثلَ الـــسَّـــرقه
لأصـــــبـــــحتْ أيـــــديـــــهِمُ
مـــقـــطـــوعـــةً مـــعـــلّـــقه
وأبـــصَـــرتْ أعـــيُـــنُـــكمْ
أتـــقـــاهمُ في المِـــشـــنـــقَه!

✱✱✱✱

٩ - وقْفٌ عليك الشعر

(إلى كل حامل كشكول)

[الكامل]

أسَفي على الكشكولِ كيف تمزَّقَا
يا صاحبَ الكشكولِ، طالَ لك البَقَا
لا يَحزُنْكَ اليومَ أنك مُخفِقٌ
ما أنت أوَّلُ ذي رياءٍ أخفَقَا
عقبى الحَماقةِ ما علِمتَ، وإنما
هيهاتَ أن تعظَ الحوادثُ أحمقا
أعيَيْتَ كلَّ مهذّبٍ ومؤدّبٍ
حتى العصا، وعِييتَ أن تتَخلَّقا
كم ذا تطوَّفَ في المدائن والقُرَى
متبجحاً، مُتَنطِعاً، مُتَفيهقا
مُتوعداً كلَّ امرئٍ مُستضعَفٍ
مُتملقاً من يعشق المتملقا
خلَت السنونَ وأنت تستجدي الورى
فمتى أراكَ على الورى مُتَصدِقا؟
جادوك بالموفور حتى أملقُوا
وتلفَّتُوا فرأَوك منهم أملقا
أنفقتَ مالهمُ كما أنفقتَهُ
اللهُ أعلَمُ كيف بادَ وأُنفِقَا
لو كان شِعراً كنت صاحبَ لِمّةٍ
أو كان لفظاً كنت أغزرَ منطقا

بـــددتَه وعـــفـــوتَ عن أرواحـــهمْ
لـــه قـــلـــبُكَ مـــا أرقَّ وأشـــفـــقـــا!
مـــالُ الـــشِّـــحَـــاذةِ لا يـــدومُ، وإن يـــدُمْ
فـقـدْ اقـتـنـيتَ به سـعـيـراً مُـحْـرِقـا

☆☆☆☆☆

كم ذا تَـشـيـدُ الـبـاخـراتِ وتـبـتـني!
مـهلاً، فـإن الـبـحـرَ أصـبح ضَـيِّـقـا
أقـلـقْتَ حـتَّى «الإنـكـلـيـز»، وطـالـمـا
ظـنـوا الـعُـبـابَ لـهم حلالاً مُـطـلَـقـا
هلاّ - وقـد هـيـجْت كـامِنَ حـقـدهمْ -
صـافـيـتَـهم وعـقـدتَ مـعـهم مَـوْثـقـا؟
لا، لا، فـــإن همْ أغـرقـوهـا كـلَّـهـا
بـقـيتْ لـديك «سـفـيـنـةٌ» لن تَـغـرقـا
أعـني المـدرَّعـةَ المـصـفـحـةَ الـتي
تـخشى الـعـواصفَ حولَـها أن تُـخفـقا
هي طـاسـةٌ سِـحـريـةٌ، مُـرْهَـا تـكنْ
في المـاء فُـلْـكـاً، في الـفـضـاءِ مُـحـلِّـقـا
قـد قـال قـومٌ: مِـغـنـطـيسٌ تحـتَـهـا
ويـقـول قـومٌ: إن فـيـهـا زئـبـقـا
كَـذَب الـذين تـقـوّلـوا: يـا سـيـديْ
الحقُّ أن بـهـا الجـنـونَ الـمُـطـبِـقـا!

☆☆☆☆☆

جفّ الـقَـذالُ[1]، وبـات أجـردَ عـاريـاً
لـو كـنتَ تحـفظ مـاء وجـهك أورقـا

(١) القذال: جماع مؤخر الرأس (الجمع: أقذلة وقُذُل)..

طـار الـسـوادُ عن المـفـارقِ وامّـحَى
فـالـيـومَ أصـبح كلُّ رأسِك مَـفْـرِقـا
لـو حـاولَ الـبُـرغـوثُ يمـشي فـوقَهُ
لم يـأمن الـبُـرغـوثُ أن « يـتـزحْـلَـقـا »
ضـيَّـعتَ عـمـرَك في المـعـاصي كـلَّه
فـمـتى تحنّ إلى الـفـضـيـلـة والـتُّـقى؟

وقْفٌ عـلـيك الـشِّـعـرُ حـتى تَـرعَـوي
وعـلى الـضَّلال الحقُّ حـتى يُـزهـقـا
أنّى حـلـلـتَ وجَـدتَ ثَّمَّ شَـواردا
تُـلـهـيك إنْ تـلـهـو وإنْ تـتـشـدَّقـا
ملءَ الـشِّـفـاهِ، فـإن هَـمـمْتَ بـلـفـظـةٍ
نـطـقتْ بـهـا الأفـواهُ كي لا تـنـطِـقـا
تـغـري بـقـلـبك كلَّ همّ مـقـلِقٍ
وتـذودُ عـنك الـنـومَ حـتى تـأرقـا
وتـكـونُ إمّـا سِـرت غـربـاً مَـغْـربـا
وتـكـونُ إمـا سـرتَ شـرقـاً مَـشـرقـا
فـإذا رآك إلى لـقـائك شـيّقٌ
أمـسى إلى الـتـوديعِ مـنه أشـوقـا
لا «مـرحـبـاً» إمّـا نـزلتَ، ولا إذا
أزمـعتَ تـسـمع من يـقـول: «إلى الـلـقـا»
يـا سـاكني «كـنـدا»، الـسلام عـلـيكمُ
إنّ المـنـافقَ بـيـنـكم لن يَـنْـفُـقـا
وافَـاكمُ ذاك الـغـرابُ مُـبـكّـراً
فـمـنـعـتـمـوه بـيـنـكم أن يـنـعَـقـا

لـو لم تـكـونـوا الأُسْـدَ أو أشـبـالَـهـا
مـا خـافَ أن يَـعْـوي ولا أن يَـنْـهَـقـا
مـا مَـرَّ ذكـركمُ عـلى ذي مَـسْـمعٍ
إلا تـمـلَّـكَهُ الـسُّـرورُ فَـصَـفَّـقـا

✷✷✷✷

١٠ - ماذا؟

[البسيط]

ما الطَّيرُ ضاقتْ بها الأوكارُ فاضطربتْ
في الأرض باحثةً عن مرتَعٍ خَصِبِ
تغالبُ الريحَ في الأجواء صاعدةً
وتتقي الناسَ عند الحَسْوِ والنَّغَبِ[١]
حتى إذا هبطتْ في السفح مزدَرَعاً
فيه الفواكهُ من نخْلٍ ومن عنب[٢]
وأودعتْ زُغْبَها الأعشاشَ، وانطلقتْ
تقتاتُ بالبُسْرِ أحياناً وبالرُّطَبِ[٣]
ساقَ القضاءُ إليها كل محتَبِلٍ
فلم تجُزْ عَطَباً إلا إلى عَطَبِ[٤]
أشقى وأتعسُ حظّاً من مُهاجِرةٍ
في «الغرب» شرقيةِ الأنسابِ والحَسَبِ
كأنما البؤسُ خُلْقٌ من خلائقها
فكلّما غالبَتْهُ فازَ بالغَلَبِ
طِلْبُ النوائبِ في حَلٍّ ومرتحَلٍ
في دارةِ الأرض أو في دارةِ الشُّهُبِ
إنْ تركبِ البحرَ فالسِّمسارُ يرصُدُها

---

(١) حسْو الطائرِ الماء، والنّغْب مثله. (نغَب - ينغَب - نغْباً).
(٢) المزدرع: موضع الزرع، مثل (المزرعة).
(٣) من مراحل نضج التمر: البسْر والرُّطَب، والتمرُ آخرها.

أو تـطـلـبِ الـبَّـرَّ فـالـدلاّلُ في الـطَّـلـب
حـامـوا عـلـيـهـا كـمـا حـام الـنسُّـورُ عـلى
جَـرحـي الـلـهـاذِم[1] والـهـنـديّـة الـقُـضُـب
أو كـالـذّبـاب عـلـى صـحـنٍ من الـضَـرَب
أو كـ «الـيـهـود» عـلـى عِـجْـلٍ من الـذهب[2]
كـأنـهـا الـشـّاةُ، غـالَ المـوتُ راعـيَـهـا
فـكلُّ ضـرْعٍ عـلـيـه كلُّ مُـحـتَـلِب
هـنـاك يَـسـلُـبـهـا حـكّـامُـهـا، وهـنـا
أهلُ الـكـشـاكـيلِ والأكـيـاسِ والحُـقُب
بـاسمِ المـسـاكـينِ أحـيـانـاً، وآونـةً
بـاسمِ الـهـيـاكلِ والإصلاحِ والأدب
مـوتى الـضـمـائـر، مـوتى كلِّ عـاطـفـةٍ
فـلـيس فـيـهمْ - وكم بـين الـلـصـوص - أبي
إن يُـرهِـقُـوهـا، وهم مـنـهـا، فلا عـجبٌ
لا يـعرفُ الـسـوسُ غـيـرَ الـفـتْكِ بـالخشب
في كلِّ يـومٍ لـهـم في قـتْـلـهـا أَرَبٌ
ومـا لـهـا أرَبٌ في قـتْلِ ذي أرَب
تَـغـرَّبتْ في سـبـيل المجـد، واغـتـربـوا
طَـمـاعـة بمـجـاني كلِّ مُـغـتـرِب
يـا لـيت مَن شـاطـروهـا مـالَـهـا حـمـلـوا
شـطـراً من الـظـلم، أو شـطـراً من الـتـعب

☆☆☆☆☆☆

يـا أمَّـةً هـاضـتِ الأيـامُ جـانـبَـهـمْ

(١) لهْذَمَه: قطعه. واللهذم: السنان القاطع. وقضبَ: قطع (يعني: السيوف الهنديّة القاطعة).
(٢) الضَرَب: العسل الأبيض الغليظ.

وطـمّعَ الـضـّعفُ فـيـهمْ كلَّ مُـغـتَـصِبِ
لا تـــأخـــذوا بـــأمـــانيٍّ مـــزوَّقـــةٍ
مـا دُرُّ أهل الأمـاني غـيـرُ مُـخْـشَـلَبِ[1]
أمـــوالـــكمْ، أنـــتمُ أولى الأنـــامُ بـــهـــا
فـراقـبـوا اللـهَ في مُـسـتـحـدَثِ الـنَّـشَبِ
هـذا الـسلاحُ الـذي يُـشـرى الـسلاحُ به
هـذا المـسـمّى بـحـقٍ كـاشفَ الـنُّـوَبِ
هـــذا المـــنـــجِّي من الآفـــاتِ صـــاحـــبَه
إنْ تـفـقـدوهُ فـقـدتمْ أنـفـعَ الـصَّـحَبِ[2]
لا تحـسَـبُـوا أنـني بـالـشُّح آمُـرُكمْ
إن المـواطـرَ عـنـدي أفـضـل الـسُّـحُبِ
وإنمـــا رَفْـــدُكُمْ مَن لا خَلاقَ لـــهمْ
كـمُـلْـبِسِ الخـزِّ ذاتَ الـظّلف والـغـبَبِ[3]
جُـودُ الـكـريمِ عـلى من يـسـتـخفّ به
مُـضَـيَّعٌ، كـالحَـيـا[4] في المـوضـع الخـرِبِ
مـــاذا؟ أيَـــعْـــجُمُ أهلُ الـــلـــؤم عُـــودَكُمُ
وأنـتم الـنُّـجْـبُ نسلُ الـسَّادةِ الـنُّـجُبِ؟[5]
وتـطـربـون، وسـيفُ المـوتِ مـنـصـلتٌ؟
وتـلـعـبـون، وشـرُّ الـنـاسِ ذو الـلـعبِ؟
إن كـان صـوتيَ لم يـبـلـغْ مـسـامـعَـكُمْ
فـذاكَ من حُـسـنِ حظِّ الـبُـومِ والخُـرَبِ

---

(١) الدرّة الزائفة.
(٢) جمع الصاحب: صَحب.
(٣) ذوات الأظلاف: المجترة من الحيوان. والغبب والغبغب: الجلد تحت الحنَك.
(٤) الحيا: المطر.
(٥) عَجَمَ: اختبر وجرّب وراز ومافي معناها.

☆☆☆☆☆

ثلاثــةٌ لا أصــابتْ غــيــرَ أوّلــهــا
أهلُ الــنِّــفــاقِ وداءُ الــسُّلِ والجَــرَب
يــقــول قــائــلُــهم: مــهلاً إلى «رجبٍ»
كــأنــني ســوف أُبــقــيه إلى «رجب»!
إن يــعــجبِ الــنــاسُ من فَــدْمٍ تــوعّــدني
فــإنه عَــجَبٌ أدعى إلى الــعَــجَب[1]
إن الــغــريقَ إذا ضــاقتْ مــذاهــبُه
لا يــحــمَــدُ البحــرَ ذا الــتــيــار والــعُــبُب[2]
تبَّ الــنُّــحــاةُ، وتبَّ المــؤمــنــون بــهم
أهلُ الــسَّــخــافــاتِ والــتَّــضــلــيلِ والــكَذب[3]
كم جــــوزّوا من كلامٍ لا جَــــواز له
وأوجــــبــــوا من أمــــورٍ قطُّ لم تجِب
وكم روَوا من أحــاديثٍ مــلــفَّــقَــةٍ
وزوّروا من حــكــايــاتٍ ومن خُــطَب
الــنــحــوُ والــصــرفُ والإعــرابُ أجــمــعُــهــا
ســفــاسفٌ، لم تــكن من قــبلُ في « الــعــرب»
هــذي تــعــالــيمُ كَــسلَى مــا يُــدل بــهــا
إلا فــتــىً «أعــجــميٌّ» الحَــلْق والــنَّــسَب
فلا حَــبَــا الــلــهُ نــحْــويــاً بــرحــمَــتِه
أولى بــرحــمــتــه مــنــه « أبــولــهب»
لــولا أكــاذيــبُــهمْ مــا بــات مــنــتــصِــبــاً

(١) الفَدْم: العييّ عن البيان، الثقيل في الكلام.
(٢) العُبُب: المياه المتدفقة.
(٣) تبَّ: هلك.
(٤) الرماح.

بـين الـعـوالي[٤] الـغـوالي فـارغُ الـقَـصَب
«مـــا كـــنتُ آمَلُ أن يمـــتـــدَّ بي زمـــني»
حـــتى يـــطـــاولَـــني قِـــرْدٌ بلا ذنَب[١]
يـا أجـهلَ الخـلْقِ ـ حـتى نـاقلِ الـقُـرَبِ ـ
اِربـأ بـنـفـسك أن يَـهـتـاجَـني غـضـبي
أو تَـــطـــلَـــعنَّ عـــلـــيـــكمْ كلُّ آكـــلـــةٍ
تـرعى الـهـشـيمَ ولا تُـبـقي عـلى الـعُشُب
تـــنـــقضُّ مـــثلَ نجـــوم الـــرجْم هـــاويـــةً
في إثـــر كل رجـــيمٍ غـــيـــر ذي أدب
فـمـا تُـغـادرُ قـلـبـاً غـيـرَ مـنـخـلِعٍ
ولا تُـغـادر حـبلاً غـيـرَ مـضـطـرب
فـإن جـنَـحـتم إلى كـهفٍ لـيـحـجُـبـكمْ
وجـدتمُ المـوتَ في الأسـتـارِ والحُـجُب
حـــتى إذا ظنَّ أن الـــســـاعـــةَ اقـــتـــربتْ
جـعـلتُ كل قـريبٍ غـيـرَ مـقـتـرب
ومـا أنـا بـالـذي يـهـوى الـبـقـاءَ لـكم
لـو أنّ في المـوت مـا في الـعـيش من كُـرَب

✱✱✱✱

(١) لأسعد رستم معارضة شعرية للنص بعنوان (فإنه مثله في الذنْب والذنَب) (انظر كتاب جورج سليم ص٢٩٢).

(١) الوعل: تيس الجبل.
(٢) العِلج: الرجل الشديد الغليظ.

١١ - حكاية

[المجثث]

ربّـيتُ كـلـبـاً صـغـيـراً
وكـــــان ذلك نَـــــذْرا
وقـــلتُ: يـــحـــرسُ داري
إذا أتـى الـــــلـصُّ ســـــرّا
فـــكـــنت آتـــيه صُـبـحـاً
بـالـلـحمِ، والـشَّـحم عـصـرا
حـــتى إذا اجـــتـــاز ســـتـــاً
من الـــشـــهـــور، وأخـــرى
وأشـــبهَ الـــوعلَ[1] ســـاقـــاً
وأشـــبهَ الـــبـــغلَ ظَـــهـــرا
وصـــار كـالـعِـلْجِ[2] عُـنْـقـاً
وصـــار كـــالـــفـــيل صـــدرا
وافَـى إلـيّ صِـــحـــابي
وأنت بـــالـــصَّـــحب أدرى
فـأبـصـروا الـكـلبَ عـنـدي
عـيـنـاه تـقـدحُ جَـمْـرا
فـــقـــال مـــنـــهمْ ظـــريفٌ:
قـــنـــوتَ، والـــله، مُـــهـــرا!

---

(١) هرّ الكلب: صوّت دون نباح.

بـــــحُـــــرمـــــةِ الـــــودِّ إلا
سَـمَّـيتَ ذا الـكـلبَ «نِـمْـرا»

أطَـــعتُ أمـــرَ صـــديـــقي
وقـــــد سُـــــررتُ وسُـــــرًّا
لـكـنـمـا الـصِّـفْـرُ صِـفْـرٌ
وإنْ دعـــونـــاه تِـــبْـــرا

تـــرعـــرعَ الـــكـــلبُ «نِـــمْـــرٌ»
فـــصـــار أعـــظمَ شـــرّا
يـــعـــوي إذا الـــنـــاسُ نـــامـــوا
فـــيُـــســـمعُ الـــنـــاسَ نُـــكـــرا
ويـــنـــبحُ الـــبـــدرَ لـــيلاً
ويـــنـــبحُ الـــشـــمسَ ظـــهـــرا
وكـــلَّـــمـــا مـــرّ سَـــارٍ
أو هـــبَّتِ الـــريحُ هَـــرّا[1]
ويـــتـــبع الـــضَّـــيفَ حـــتى
إذا اســـتـــقـــرّ اســـتـــقـــرا
ويـــتـــركُ الـــعَـــظْمَ مُـــلـــقَى
ويـــســـرِقُ الخـــبـــزَ جـــهـــرا
فـــروّعَ الـــنشءَ حـــتى
مـــا تَـــطـــلب الـــدارَ ذُعـــرا
ونـــفّـــرَ الـــطَّـــيـــر حـــتى
مـــا تـــألفُ الـــطَّـــيـــرُ وَكـــرا

(١) السحت: الحرام.

فـــأقـــبلَ الحيُّ يـــشـــكـــو
فـــقـــلتُ: يـــا قـــومُ، صَـــبـــرا
لـــو كـــنتُ أكـــسِبُ أجـــراً
أو كـــنتُ أُحـــرِزُ فـــخـــرا
خـــنـــقتُ بـــالحـــبل «نِـــمْـــرا»
لـــكنّ لـــلـــكـــلبِ عُـــمـــرا

☆☆☆☆☆

«مـــديـــنـــةُ الـــعِـــلْم» كـــانت
لأهـــلِـــه مُـــســـتَـــقَـــرًّا
فـــخـــانـــهـــا الـــدهـــرُ حـــتى
بـــنى بـــهـــا الجـــهلُ جُـــحـــرا

☆☆☆☆☆

يـــا مـــنـــشئَ الـــفُـــلكِ، مـــهلاً
لا تَـــمـــخُـــرِ الـــفُـــلْك بَـــرّا
ويـــا كـــثـــيـــرَ الأمـــاني،
شـــيـــدتَ في الجـــوِّ قَـــصْـــرا
أضـــــــاقتِ الأرضُ حـــــتى
ولّـــيتَ وجـــهَك بـــحـــرا؟
أتـــأكلُ المـــالَ سُـــحْـــتـــاً[1]
وتـــقـــتـــضي الـــشَّـــعب أجْـــرا؟
أتحـــسَبُ الـــنـــاسَ حـــمـــقَى؟
يـــا أحـــمقَ الـــنـــاسِ طُـــرّا
لا تَـــلـــبَسِ الـــدِّينَ ثـــوبـــاً
عـــصـــرُ الجَـــهـــالـــة مَـــرّا
ولا تـــقـــاتلْ بمَـــكْـــرٍ

فـــاللـــهُ أعـــظمُ مَـــكْـــرا

وأنتَ يـــا واوَ «عـــمـــرِو»
حـــتّـــام تـــتـــبعُ «عَـــمْـــرا؟
ولـــست تجـــلبُ نـــفـــعـــاً
ولـــــست تـــــدفعُ ضُـــــرّا
إن الـــبـــلـــيـــةَ غِـــرٌّ
أمـــسى يـــنـــاصـــر غِـــرا
لا تـــعـــذُلِ الـــشِّـــعَـــر إمّـــا
جـــنَى عـــلـــيك الأَمَـــرّا
قـــد كـــنتَ قـــبل الـــقـــوافي
أقـلَّ عـــــقـلاً وقـــــدرا

مـــا في ضـــلـــوعيَ حـــقـــدٌ
ولـــــستُ أطـــــلـــبُ ثـــــأرا
لـــكـــنـــمـــا الحُـــرّ يـــأبى
أن يَـــخـــدعَ الـــنـــذلُ حُـــرّا
وأهلُ «لـــبـــنـــانَ» أهـــلـــي
وكـــــنتُ بـــــالأهلِ بَـــــرّا

✱✱✱✱

(١) نفطويه: من نحويي العرب.
(٢) الداء العضال: الشديد الذي يعيي الأطباء.
(٣) الآل: السراب.

١٢ - أيا عجل اليهود

[الوافر]

تــوعّــدَني مُــقــلِّــدُ «نِــفْــطــويه»
كــمــا تــتــوعــدُ الأنــثى الــرِّجــالا[١]
ويــــعــــلــم أنه دوني مَـــقـــامـــاً
ولــكن يَــنــبَحُ الــكــلبُ الــهلالا
ولـــو أغـــفَى ولاح لـه خَـــيـــالي
لــظنَّ المــوت بــاغــتَه خــيــالا
مــعَــاذَ الــلهِ يــخــلُقُ غــيــرَ شيءٍ
فــمَنْ هــذا الــذي خــلقَ الــمُــحــالا؟
ويــــكــــذِبُ «آدمٌ» إمـــا ادّعـــاه
فــإن الــنــاسَ لا تــلــدُ الــبِــغَــالا
أبَــعْــدَ الــيــومِ أعــجبُ من عــجــيبٍ
ومــقــلــوبُ اسْــمِه يــبــغي الــنــضــالا؟
أظن حــيــاتَه هــانتْ عــلــيه
وإلا لاتّــقى الــداءَ الــعُــضَــالا[٢]
وإمّــا الــلهُ شــاءَ هلاكَ نــفسٍ
عــلى ظــمــإٍ، أراهــا المــاءَ آلا[٣]
شَــحَــا فــاهُ فــلــمَّــا مــرّ ذكــرى
بــطــرْف لَــهــاته أمــسى سُــعــالا[٤]
وكــنتُ نــســيتُ أهلَ الــلــؤمِ حــتى

---

(١) المَذَل والمذال: القلق والضجر (مذِل بالشيء: ضاق به).
(٢) الجلّ للدابة كالثوب للإنسان (والجَمع:جِلال). والسحال: اللجام.

نـــظـــرتُ الـــيـــومَ ألأَمَـــهم خِـــصـــالا
ومـــا فَـــكَّـــرتُ بـــالـــغـــوغَـــاء حـــتى
ســـمـــعتُ الـــيـــومَ أســـخـــفَـــهم مـــقـــالا
إذا عُـــدَّ الأفـــاضلُ كـــان صِـــفْـــراً
وصـــفـــراً يـــلـــزم الجَـــنْب الـــشِـــمـــالا
فـــواعـــجـــبـــاً، أمـــاتَ الخَـــلْقُ حـــتى
يمـــارسَ حِـــرْفـــةَ الأدبِ الـــكُـــسُـــالى؟
ويـــا لَـــهْفَ الـــبلاغـــةِ كـــيف ذلَّتْ
ولـــهْفَ الـــشـــعـــرِ كـــيف غـــدا مَـــذالا[1]
ويـــا لَـــهْفَ الـــصـــحـــافـــةِ يـــدَّعـــيـــهـــا
حـــمـــارٌ طـــالمـــا لـــبس الجِلالا
مـــتى فـــارقتَ، يـــا هـــذا، المَـــراعي؟
وكـــيف قـــطـــعتَ، يـــا هـــذا، الحِـــبـــالا؟
أتـــنـــهقُ، والـــغـــضـــنْـــفـــر قِـــيـــدُ بـــاعٍ
وتحـــسَـــبُه ومـــا عـــافَ الـــقـــتـــالا؟
فـــمـــا زالتْ مـــواضـــغُه حِـــداداً
ومـــا بـــرحتْ مَـــخـــالـــبُه طِـــوالا
بـــلى، أنتَ الـــذي بـــالأمس شـــدّتْ
عـــلـــيكَ يـــدايَ في الـــسَّـــفـــر الـــرِّحـــالا
فـــلـــستُ بـــنـــابغِ الـــشُّـــعـــراءِ إن لم
أردَّ عـــلـــيكَ جُـــلَّك والـــسِّـــحـــالا[2]
أمـــا، والـــلـــه، لـــو طُـــلْتَ «الـــثُّـــريَّـــا»

---

(١) الشِسْع: أحد سيور النعل.
(٢) الفودان: جانبا الرأس، والقذال: جماع مؤخر الرأس.
(٣) الدحل: حفرة ضيقة من فوق، واسعة من أسفل (الجمع: دِحال ودُحول).

وجـــاوزتَ المـــنـــاكِبَ والـــقِلالا
لـــمّـــا أمـــسـيتَ إلا دون شِـــسْـــعي
يـــنـــالُكَ كَـــيف مِـــلْت وكـــيف مـــالا[1]
فـــإمّـــا تَـــســـتـــر الـــفَـــودَينِ عـــنه
فـــلـــستَ بـــســـاتـــرٍ عـــنه الـــقَـــذالا[2]
ودعـــوى الـــفـــضلِ لا تُـــجـــديكَ شـــيـــئـــاً
فـــقـــد كـــنتَ الحـــقـــيـــرَ ولن تَـــزالا
أيـــا عـــجلَ «الـــيـــهـــود»، ولـــستَ تِـــبْـــراً
وإلا كـــــنتَ أحـــــسنَ مـــــنك حـــــالا
إذا هـــزَّ الـــعـــصـــا «مـــوسى» وأهـــوى
فـــلـــيس يَـــقـــيـــكَـــهـــا قَـــرْنـــان طـــالا
أتـــهـــربُ من أمـــامِ الـــلـــيثِ ذُعْـــراً
وتَـــــزعُم أنه لـــــزِم الـــــدِّحـــــالا؟[3]
وتجـــبُن ثم تـــدعـــوه جَـــبـــانـــاً؟
لـــقـــد أضـــحـــكتَ، يـــا هـــذا، الـــثَّـــكـــالى
ومن تـــكن الحـــمـــاقـــةُ فـــيه طـــبـــعـــاً
يـــــكنْ هـــــذا المـــــآل لـه مـــــآلا
يـــدافـــعـــني «الـــلـــئـــيمُ» بـــكل غِـــرٍّ
فـــلـــم أرحمْ، ولا رحِم الـــســـِّـــخَـــالا
زعـــانفُ لـــست أرضـــاهـــا مَـــطـــايـــا
ولا أرضى رؤوسَـــــهُمُ نِـــعـــــالا
لـــقـــد فـــرَسَتْ نـــفـــوسَـــهُمُ الـــقـــوافي
وإن الحقّ يَـــفـــتـــرسُ الـــضـَّـــلالا
إذا حَـــرُم الـــهـــجـــاءُ عـــلى حَـــرامٍ

(١) السُلّ والسُّلال: الداء يضني ويقتل.

فـــلـــيس يـــكـــون في شيءٍ حَلالا
ومن يَـــدري ويُـــغـــضي عن فـــســـادٍ
فـقـد خـان الـفـضـيـلـةَ والـكَـمـالا
لَـــتـــذرُوَهـمْ عـــواصـــفُـــهـــا رِمـــالا
وتَـــنـــســـفَـــهمْ ولـــو صـــاروا جـــبـــالا
وتـــرمِـــيَـــهُمْ أوائـــلُـــهـــا ســـهـــامـــاً
وتـــقـــرعَـــهمْ أواخـــرُهـــا نِـــصـــالا
وتُـــمـــسيَ في حـــنـــاجـــرهمْ جِـراحـاً
وتَـــمـــشيَ في دمـــائـــهمُ سُلالا[1]
فـإن سـلِـمـوا فـقـد سـلـمـوا لـيـومٍ
تـــوقّـــاهُ الأجـــنّـــةُ والحَـــبَـــالى

✱✱✱✱

(١) الفَسْل: الرديء من كل شيء. والجُعَل: من دواب الأرض، أسود اللون.
(٢) البقاع: أراض من لبنان تجاور الحدود السورية اليوم.
(٣) الباء، لغة، تدخل على الذاهب، على غير مافي البيت.

١٣ - يا نوح

أين دلائل الطوفان؟

[الكامل]

أهلَ الـفـسـادِ وزمـرةَ الـشَّـيـطـانِ
كم تـدّعـونَ مـحـبـةَ الأوطـانِ!
خـلّـوا الـنُّـواح عـلى الـرُّبـوع وأهـلِـهـا
مـا ثَمّ من خـطـرٍ عـلى «لـبـنـان»
أنّى يَـضـيـعُ، وأهـلُه أُسْـدُ الـشَّـرَى
وله من الـدّولاتِ خـيـرُ ضَـمـان
وإذا الـضَّـراغِمُ لم تَـصُن أجَـمـاتِـهـا
أيـصـونُـهـا فَـسْلٌ من الجُـعْلان؟[١]
أمّـا «الـبـقـاعُ» فلا يُـردّ بـألـسُنٍ
ثـرثـارةٍ، بل بـالـنَّـجـيع الـقـاني[٢]
رُدّوا عـلى الـشَّـعبِ المُـهـاجـر مـالَه
لا تُـبـدلـوه حـقـائـقـاً بـأمـان[٣]
فـالـقـومُ حـاجـتُـهمْ إلى أمـوالِـهمْ
مـثلُ احـتـيـاجِـهِمُ إلى الـعِـرْفـان
تـعِسَ الـذي رضيَ الأمـاني ثـروةَ
إن الأمـانـي ثـروةُ الـكـسـلان

قـلـتمْ: نـذودُ الـضَّـيمَ عن إخـوانـنـا

---

(١) يشير إلى العلَم الأمريكي.
(٢) السلطان العثماني.

إخـــوانـــكمْ في غـــبْـــطـــةٍ وأمَـــان
يَـحـمـيـهِمُ عَـلَم الـنُّـجـومِ، ولم يـزلْ
عـلَمُ الـكـواكبِ مُـكْـرمَ الـضِّـيـفَـان[1]
همْ بـــين أهـــلـــيه وفي أكْـــنـــافـــهمْ
وكـــــأنـــــهم في الأهل والإخـــــوان
وزعـــمـــتمُ بـــالـــنـــازحـــينَ غـــرامُـــكمْ
وغـــرامُـــكمْ بـــالأصـــفَـــرِ الـــرنّـــان
لـــو صَحَّ زَعـــمـــكمُ وكـــنـــتمْ قـــوةً
لـوقَـيْـتُـمـوهمْ سَـطـوة «الـعِـبْـدان»
جـارُوا عـلـيـهم، لم يـبـالـوا زاجـراً
جَـورَ الـقـوي عـلى الـضـعـيفِ الـعـاني
لـهَـفِي عـلـيـهمْ، كـيف رُوِّعَ سِـرْبُـهم
وتـــبـــدّلـــوا من عِـــزّهم بـــهـــوان
ولـقـد أتـتـكمْ صـرخـةُ اسـتـنـجـادِهمْ
فـكـأنـهـا مـرَّت عـلى حِـيـطـان
بـاتـوا يُـسـامُـون الـعـذابَ، وبـتُّمُ
تَـدعـون بـالإعـزازِ لـلـسُّـلـطـان[2]
نِـمـتمْ فـخِـلْـتمْ كلَّ طَـرْفٍ نـائـمـاً
مـا أجـهـلَ الـوسَـنـان بـالـيـقـظـان!
رُفع الـسـتـارُ، وبـانَ كلُ مُـكـتَّمٍ
أتـقـاتـلـونَ الحقَّ بـالـبُـهـتـان؟
لا غـروَ إمـا سـبَّـني سُـفـهـاؤكم

---

(١) يقصد: يعوق (العتق: خلاف الرق).
(٢) قلاه: أبغضه. والسَّنا: الضوء.
(٣) اللوى: منقطَع الرمل وادٍ بعينه أكثر الشعراء القدامى من ذكره في مواطن الشجن. والعُقاب: من الجوارح (جمعه: عُقبان).
(٤) الهِميان: منطقة تشد على الوسَط وتجعل فيها النفقة.

إن الجـــريحَ يَـــسُبُّ كلَّ سِـــنـــان
ذمَّ الخـــفـــافـــيشُ الـــضـــيـــاءَ لأنه
يَـعـتـاقُ أقـواهـا عن الـطَـيَـران[1]
ومن الـعـجـائب أنـهـا تـقـلي الـسَّـنـا
وتـظلُّ حـائـمـةً عـلى الـنِّـيـران[2]
خُـلِقَ الـورى، ولـكل نـفسٍ غـايـةٌ
وخُـلـقـتُم لـلـهـذْر والـهَـذَيـان
أنّى نجـاتُكِ، يـا عـصـافـيـرَ الـلِّـوى
ولـقـد أتـاكِ كـاسـرُ الـعُـقْـبـان؟[3]

قُلْ لـلـذي ملأَ الـيـبـابَ سَـفَـائـنـاً:
يـا نـوحُ! أين دلائلُ الـطُّـوفـان؟
من ذا يـسـيـرُ بـهـا إلى غـايـاتِـهـا؟
بل كـيفَ تحـمـيـهـا من الـقُـرصـان؟
الآن أيـقَـنتِ الـبـريّـةُ أنـهـا
- وإن ارتـقتْ - فـرعٌ من الـسَّـعْـدان
لا تـعـذِلِ الـصـبـيـانَ في سُـخْفٍ، فـقـد
تحـوي الـكـهـولُ سـخـافـةَ الـصِّـبـيـان
يـضـعُ الـمـسـلِّمُ كـفَّهُ في كـفِّهِ
وتـظلُّ عـيـنـاه عـلى الـهِـمْـيـان[4]
والـلـهِ، لـولا أنه في مـثْـلِه

(١) الكشكول: (كلمة فارسية) الحقيبة التي تحوي كل شيء، وتعلّق بالكتف.
(٢) السرطان: من حشرات الماء.
(٣) الدجْن: امتلاء السماء بالغيوم.
(٤) الغول: كل ما اغتال الإنسان، والجمع (غيلان).
(٥) سجَر التنور: أوقده وأحماه فلعله أراده.

مـــا كـــان إلا ســـائقَ الأظـــعَـــان
أوَ مـــا تـــراه حـــاملاً كَـــشـــكـــولَه
مـــتـــنـــقلاً من مـــوضعٍ لِـــكـــان؟[1]
خَـبَـلـتْه شـاردةُ الـقـوافي فـانـثَـنَى
لـلـذعـر يَـمـشي مِـشْـيـةَ الـسَّـرطـان[2]
مُـتَـخـبِّطٌ والـشـمسُ في كـبـدِ الـسَّـمـا
فـــكـــأنه في حـــالِك الأَدْجـــان[3]
أَمـسى يُـسـمِّي الـنـائـبـاتِ قـصـائـداً
وفـتى الـقـصـائـدِ طـارقَ الحِـدْثـان
فـإذا تُـطـيفُ به اقـشَـعـرّ فـؤادُه
خـوفَ الـصَّـغـيـرِ طـوائفَ الـغِـيلان[4]
ويـظـنُّـهـا في أكـلِه وشـرابِه
وتـخـالُـهـا الأجـفـانُ في الأجـفـان
يـا قـومُ! أخـشى أن يَـضـيعَ رسـولُـكمْ
من «عـنـزةٍ»، قـد ضـاع قـبلُ اثـنـان!
إن كـان في أكـبـادِكُمْ من رحـمـةٍ
فـتـداركُـوه بـالـرسـول الـثـاني

☆☆☆☆☆

مـا بـالُ مـصـفـوعِ المـفَـارقِ والـقـفـا
يـهـذي، كَـمنْ قـد بـات في سَـجـران[5]
لا تحـسُـدا، يـا أخـدَعَـيْه، قَـذالَه

---

(١) العَيْر: الحمار الوحشي والأهلي.
(٢) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.
(٣) الأبيات الستة التي تنتهي بهذا البيت كان الشاعر استلَّها من النص بعنوان آخر (العَيْر المتنكر) وصدرت في ديوانه الثالث (الجداول) (النص ٧).
(٤) الشِسع: أحد سيور النعل.

عـنـدي لـكلٍ مـنـكـمـا نَـعْلان[٦]
بل مـا لمـقـلـوبِ اسْـمِه يُـخـفِي اسْـمَه
والحُـسْنُ لا يَـخـشى من الإعلان
إن الـتَّـحـجُّبَ لـو يـكـون فـضـيـلـةً
لم يَـبْـدِ من خِـدْريـهِـمـا الـقـمـران
وإذا هـتـكتَ الـسِّـتـرَ عن مُـتَـكَـتِّمٍ
لم تـلـقَ إلا خـائـفـاً أو جـانـي
زعمَ المـؤدِّبُ أن عَـيْـراً سـاءَه
ألاّ يُـسـارَ به إلى المَـيْـدان[١]
فـمـضى فـقـصَّـرتِ الـقـواطعُ ذيـلَهُ
وسـطتْ مَـواضـيـهـا عـلى الآذان
حـتى إذا جـاء المُـرَوِّضُ واعـتـلى
مَـتْـنـيه رابَ الـفـارسَ الـكَـشْـحـان[٢]
لـكـنه مـا زال غـيـرَ مُـصَـدِّقٍ
حـتى علا صـوتٌ كـصـوت الجـان
فـاسـتلَّ صـارمَهُ فـطـاح بـرأسِه
ورمى بـجـثَّـتِه إلى الـغِـربـان
مـادام يـصـحُبُ كلَّ حيٍّ صـوتُه
فـالـعَـيْـرُ لا يُـخـفِيه جِـلْـدُ حِـصـان[٣]
إن تـسـتـتـرْ هـيـهـاتَ تَـسـتُـرُ مَـفْـرِقـاً
آثـار شِـسْـعي فـيه كـالـعُـنـوان[٤]
يـا أيـهـا الـغِـرُّ الـذي من أجـلِه

(١) الأخمص: باطن القدم وخصره.

لـــعنَ الـــقـــريضَ مـــؤلّفُ الأوزان
مـا أنتَ بـالغُ مـا وطـأتُ بـأخـمَـصي
حـــتى تـــنـــالَ الـــفَـــرقَـــدَين يـــدان[1]

✱✱✱✱

(١) السفير العثماني في واشنطن.
(٢) المومـاة: المفازة الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس.
(٣) يقصد ما طلع به رستم بك على الناس (الطلْعة).
(٤) السائمة: الإبل الراعية (سامت – تسوم: رعت)

١٤ - توديع رستم بك[١]

[الخفيف]

زُلتَ عـنّـا، فـلـم نُـبَل، مـثـلـمـا زا
لَ، مـع الـلـيـلِ، طـارقُ الأحلامِ
مـا كـرهتَ المُـقـام فـيـنـا، ولـكنْ
يـأنفُ الـذئبُ غـيـرَ سُـكـنى الـمَـوامي[٢]
كـنتَ ضـيـفـاً فـلم يـزلْ بك سـوءُ الـطْـ
ـطَـلعِ[٣] حـتى خـسـرتَ عـطفَ الـكِرام
خُـلُقُ الـسُّـوءِ في الـفـتى لـيس يُـخْـ
ـفـيه جـمـالُ الـرداء والـهِـنْـدام
وإذا المـرءُ كـان غـيـر كـريمٍ
فَـضَـحَـتْه مـظـاهـرُ الإكـرام
لـقـنـتْك «الإسلامَ» عـصـبـةُ شـرٍ
لـيـتـهـا لـقـنـتْكَ عـلْمَ الـكلام
جـئت تـنـفي الإجـرامَ عـنـهمْ، فـأجـرمْـ
ـتَ إلى الـصِّـدق أيَّـمـا إجـرام
كـيف أنـكـرتَ ذبْـحَـهمْ أُمَّـةَ «الأرْ
مَنِ»، ذبحُ الجـزّارِ بـعض الـسَّـوَام[٤]

---

(١) الكأس الدهاق: المترعة الممتلئة (دهق الماء: أفرغه بشدة).
(٢) الداهية، والأمر الفظيع.
(٣) الغادية: السحابة، وجمعها: الغوادي.
(٤) طما الماءُ طُمِيّاً، فهو طام: إذا ارتفع وملأ النهر.
(٥) أرض فروق: استانبول.

ودمُ الأبـــريـــاءِ مـــا جَفّ، لا جَـــفْ
ـــفَتْ عـلـيـهم مـدامعُ الأيـتـام؟
سَـــلَـــبـــوا الـــطـــفلَ أمَّهُ وأبـــاهُ
ورمَـــوهُ في الـــنـــار ذاتِ الـــضِّـــرام
أحـرَقُـوا الـدُّورَ، روّعُـوا سـاكـنـيـهـا
وأتَـــوْا كلَّ مُـــنـــكَـــرٍ وحَـــرَام
جَـرّعـوهمْ كـأسَ الحِـمَـامِ دِهـاقـاً
واسْـتـسَـاغـوا دمـاءَهم كـالـمُـدَام[1]
مـا أثـاروا حـربـاً، ولا ارتـكـبـوا إدْ
دَاً[2] ولم يـبـسُـطـوا يـداً لِـحُـسَـام
ولـــئن صحَّ أنـــهم أحـــدثـــوا إثْـ
ـــمـــاً أتُـــنْـــفى الآثـــامُ بـــالآثـــام؟
زلّـــةٌ لـو وُقـيـتَـهـا، لم تُـحـقَّـرْ
مِن كـــبـــارِ الـــنـــفـــوسِ والأحلام
فَـتَـحـمَّلْ، لا شـيّـعَـتْك الـغـوادي
لا، ولا عَـــدْتَ نـــحـــونـــا بـــسلام[3]
هـــكـــذا يـــقـــذف الـــنّـــواةَ فمُ الآ
كِلِ، والجـيـفـةَ الخِـضـمُّ الـطَّـامي[4]
وإذا مـــا بَـــلَـــغْتَ أرضَ « فَـــروقٍ»
مـــرتعِ الـــظُّـــلمِ، مـــربعِ الـــظُّلّام[5]
حيث يـقـضي الحـيـاةَ فـيـهـا «ضـيـاءُ»
بـــين عُـــودٍ وقَـــيـــنـــةٍ وغلام[6]
حـيث يَـشـقَى الحُـرُّ الأبيُّ، ولا يَـنْ
عُـمُ إلا زعـــــانـفُ الأقـــــوام

قُلْ لمن أرّقوا العِبَادَ ونامـوا:
إنَّنا ساهرونَ غيرُ نيام
نحن لا نمقُتُ الحكومةَ، لكن
نَمْقُتُ المستَبِدَّ بالأحكام
إنَّ دينَ «الإسلام» يبرأُ منكمْ
أيها العابثون بـ «الإسلام»
قدْ سَلَبتمْ مالَ الرّعايا وكِدتمْ
تسلُبونَ العيونَ طَيْفَ المَنام
كُشِف الخيرُ عنكمُ، فإذا أنْـ
ـتُمْ لصوصٌ في صورةِ الحكّام

****

(١) المجلة التي كان يصدرها عبد المسيح حداد، وأصبحت تنطق بلسان الرابطة القلمية.
(٢) الشَنَب: برودة وعذوبة في الأسنان.
(٣) الحوَر: شدة بياض العين في شدة سوادها.

١٥ - إلى شاعر «السائح»[١]

[المتدارك]

بـــالـــقَـــدِّ الأهـــيَفِ، بـــالـــنَّـــهـــدِ
بـــالـــثـــغـــر الأشـــنَبِ[٢]، بـــالخـــدِّ
بـــالـــمَـــفـــرِقِ، بـــالـــشَّـــعَـــرِ الجـــعْـــدِ
بـــعـــيـــونِ الحُـــور[٣] الـــسَّـــحَّـــارهْ

مـــا شـــدْو الـــقَـــيـــنـــة في الـــسَّـــحَـــرِ
وهُـــتـــاف الـــطـــيـــرِ عـــلى الـــشَّـــجَـــرِ
في الـــفـــجـــرِ، ورَنّـــاتُ الـــوتَـــرِ
أحـــلى من صـــوت الـــنَّـــقّـــارهْ

ذو الـــبـــلـــوى يـــعـــشقُ ذا الـــبـــلـــوى
فـــانـــشُـــدْ، فـــغـــنـــاؤك لي ســـلْـــوى
لـــو يـــعـــطي الـــشـــاعـــرُ مـــا يَـــهـــوَى
لـــتـــمـــنَّى تُـــنـــشِـــدُ أشـــعـــارهْ

أفـــديك بـــروحي، يـــا صـــاحِ،
وبـــكلِّ هَـــزارٍ صـــدّاحِ
فـلأنـتَ حـيـاةُ الأرواحِ
فـــاشـــدُدْ لـــلـــمَـــزْهَـــر أوتـــارهْ

ضـع كـــفّك، يـــا ذا، في كـــفّي

فـــــكِلانـــــا يـــــبـــــحثُ عن إلْفِ
حـــــلـــــوِ الأخلاقِ، أخـي لـــــطْفٍ
مـــــا بـــــدّل شـيءٌ أطـــــوارهْ

كم تـــشـــكـــو هـــمَّكَ لـــلـــنـــاس
وبـلاؤك مـــنـــهمْ، يـــا نـــاسِ
كن قـــاسـي الـــقـــلبِ عـــلى الـــقـــاسي
فـــالحـــازمُ يُـــخـــفـي أســـرارَهْ

صُنْ دمـــعكَ عـــنـــهم في الـــطَّـــرفِ
لا تُـــغـــزَى الـــقـــوةُ بـــالـــضَّـــعف
مـــا تـــرجـــو، يـــا ربَّ الـــدُّف،
مِن شـــعبٍ يـــكـــرَهُ أحـــراره؟

قـــد شـــئتَ وشـــئتَ به الـــيُـــسـرا
وأراد الـــلـــهُ به الـــعُـــسْـــرا
فـــعـــلـــيه أن يَـــجـــني الـــوِزْرا
وعـــلـــيـــنـــا أن نَـــجـــني عَـــارهْ

يـــا مـــلَـــكـــاً بـــين شـــيـــاطـــينِ
صـــرّحْ بـــالحقِّ المـــكـــنـــونِ
لا تـــرهـب لَـــوْمـــة مـــأْفـــونِ
ثـــرثـــارٍ يـــخـــدُم ثـــرثـــارهْ

قـــد آن بـــأن يـــبـــدو الـــنـــورُ

ويَـــبـــينُ الحقُّ المـــســـتـــورُ
فـــلـــيـــخـــرسْ ذاك المـــأجـــورُ
مـن قَـــبلِ نُـــمَـــزِّقَ أســـتـــارهْ

مـــا شـــاء الـــلهُ فـــقـــد كـــانـــا
لا تـــبـــغي المِـــلّـــةُ شـــيـــطـــانـــا
المِـــلّـــةُ تـــطـــلـــب مَـــطـــرانـــا
لا يـــــؤذي الجـــــارَ ولا الجـــــارهْ

مَـــطـــرانـــاً تـــعـــرفُه الأمّهْ
مَـــطـــرانـــاً يُـــخـــلصُ في الخِـــدمَهْ
مَـــطـــرانـــاً لم يـــحـــصِـــرْ هـــمَّهْ
في جـــمع الـــدِّرهمِ والـــبـــارهْ

مَـــطـــرانـــاً تُـــغـــمَضُ عـــيـــنـــاهُ
إلا عـن خـــــدمـــــةِ مَـــــولاهُ
يـــعـــصي الـــضـــلّـــيل ودنـــيـــاه
ويـــحب الـــعِـــلْمَ وأنـــصـــاره

يـــا شـــعـــبـــاً بـــات بلا أملٍ
إنْ ضـــاقَ عـــلـــيك الأمـــرُ سَلِ
كـم ذئبٍ فـي ثـــوب الحَـــمَلِ
قـــد سَنّ لـــقـــتـــلِكَ أظـــفـــارهْ!

(١) الصنارة: رأس المغزل (في الأصل).

فــارغَبْ بــالــصــبــرِ عن الــيــاسِ
واحـــذر نَـــزعـــاتِ الخـــنّـــاس
وَوسَـــــاوسَ أهـلِ الـــــوســـــواسِ
فــوراء الــطُّــعم الــصّــنّــارهْ[1]

✷✷✷✷

(١) الجُعَل: دويبة سوداء.
(٢) الغسَق: أول ظلمة الليل.

١٦ - انقريا دف على الطارة

[المتدارك]

بـــالحقِّ، بـــأحـــرارِ الـــبـــلـــدِ
مـــا دام يـــراعـي طـــوعَ يـــدي
وفـــؤادي يـــخـــفُقُ في جـــســـدي
لا أنـــصـــرُ إلا أنـــصـــارهْ

يـــا قـــومي، قـــد طـــفح الـــكـــيلُ
وتـــعـــالَى لـــلـــقِـــمم الـــســـيلُ
وتـــنـــكّـــر لـــلـــصـــبح الـــلـــيلُ
واســـتـــأســـدَ جُـــعلانٌ[1] الحـــارهْ

فَـــدعَـــوا « أيـــارَ» وأطـــيـــارَهْ
والخـــمـــرَ وربَّ الخَـــمـــارهْ
ولـــيـــنـــفخْ كلُّ مـــزمـــارهْ
لِـــنـــشُنَّ عـــلى الجـــهلِ الـــغـــارهْ

ونـــقـــاتلَ بـــالـــصـــبح الـــغَـــسَـــقَـــا[2]
ونـــســـدَّ عـــلى الـــشـــرِّ الـــطُـــرُقـــا
ونـــضـــايـــقَهُ كي يَـــخـــتَـــنِـــقَـــا

---

(١) الشُّفر: واحد أشفار العين، وهي حروف الأجفان تنبت عليها الهدب.
(٢) الجبل.
(٣) نهر في أمريكا.

وتـــــــــــفُـكُ يـــــــــــداهُ أزرارهْ

مـــا أثـــقلَ ذيّـــاكَ الـــضَّـــيْـــفَـــا
أرأيـــتمْ «كـــانـــونـــاً» صـــيـــفـــا؟
لا حلَّ عـــلى طَـــرْفي طَـــيْـــفـــا
أخـــشى أن يـــســـلُبَ أشْـــفـــاره[1]

إنْ مَـــرّ عـــلى حُـــسْنٍ شـــانَهْ
أو طَـــوْدٍ[2] زعـــزعَ أركـــانهْ
أو قـــصـــرٍ روّعَ ســـكـــانهْ
أو روضٍ أذبـــلَ أزهـــارهْ

لـــو تـــدري الأرضُ به انـــقـــلـــبتْ
أو تـــدري الـــشـــمسُ به احـــتـــجـــبتْ
ومـــيـــاه «الـــهُـــدسُن»[3] لاضـــطـــربتْ
والـــلـــيل لَـــسَـــاقَطَ أقـــمـــارَهْ

تـــمـــســـاحُ يـــخـــطُـــر في حُـــلّهْ
شَـــرٌ في الـــقـــلـــب مِن الـــعـــلّهْ
ظِّلُ الـــطَّـــاعـــونِ ولا ظِـــلَّه
لا جـــاور إلا سُـــمْـــســـارهْ

يـــا هـــذا، أولى بكَ الـــسَّـــفـــرُ

---

(١) المِرقَم: القلم. وانصلت القلم: مضى وسبق.
(٢) الدَمنة: آثار الناس وما سَوّدوا. والجمع: دِمَن.

فـي لـــــيلٍ لـــــيس بـه قـــــمـــــرُ
أو فـــاســـكتْ يـــحـــمـــدْكَ الـــبـــشـــرُ
وتُـــصـــالحْ جـــارتَـــهـــا الجـــارهْ

صـــمـــتـــاً، أو يـــنـــطقُ من سَـــكـــتـــا
فَـــوحقّ الـــشـّـــعـــر إذا رمـــتـــا
كَـــفـــاهُ، ومِـــرْقـــمُهُ انـــصَـــلَـــتـــا[1]
هـــيـــهـــاتَ يُـــفـــيـــدُكَ ثـــرثـــارهْ

يـــا حـــاملَ مـــكـــروبِ الـــفِـــتَنِ
قـــد طـــال وقـــوفُكَ في الـــدِّمَنِ[2]
لا تُـــــلـــقِ الأمـــــةَ في المِـــــحَن
يـــكـــفـــيك الـــشـــاعـــرُ إنـــذارهْ

✱✱✱✱

(١) عبدالمسيح حداد صاحب مجلة (السائح)، وزميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية) وكان من المقرّبين إليه قبل أن تسوء العلاقة بينهما.
(٢) طالب رِفْد.
(٣) لعلها: «العضب» وهو السيف القاطع.

١٧ - وقائلة

[الوافر]

أيا «عبدَ المسيحِ»[١] عليك مني
سلامٌ كلّما ذُكِرَ المسيحُ
حَسِبْتُكَ لا لأنك ربّ وفْرٍ
تجودُ به، ولا أنا مُسْتَميح[٢]
ولا أنا من يَسيرُ به هواهُ
ويَخفُقُ كلّما هزتْهُ ريح
ولكنْ شَاقني الأدبُ المصَفّى
وتيَّمَني بكَ الصدقُ الصَّريح
وأنك والوفاءُ على اتصالٍ
وبينك والرياءِ مدىً فسيح
ومِنْ عجبٍ، ولم أصحَبْك عمري
أحسُّ كأننا جسدٌ وروح
لكَ القلمُ الذي ما اهتزّ إلا
تهيّبَ سطوَهُ القصبُ الصَّفيح[٣]
لئن أمسيتَ من قومٍ بغيضاً
فمكروهٌ من الجَربى الصحيحُ
وإنَّ الشمسَ، وهي أحبُّ شيءٍ
يَذمُ ضياءَها الجفنُ القَريح
وهذا المِلحُ يدخلُ كلَّ جوفٍ
ويخشى مسَّه العضوُ الجريحُ
وكَمْ في الناسِ من مُثْرٍ كبيرٍ

ولـكن لـيس كـالـسَّـمحِ الـشـحـيحُ

وقـــائـــلـــةٍ: أعـــاد غـــرابُ نـــوحٍ؟

نـــعم، عـــادَ الـــغـــرابُ، فـــأينَ نـــوحُ؟

غـــــرابٌ ريـــــشُـهُ ســـــرقٌ وخـــــزٌّ

وصـــوتُ الـــنـــاعـــقـــاتِ به فـــحـــيح

يـنـوحُ عـلى الـصّـروحِ وسـاكِـنـيـهـا

ومـــا مـــاتـــوا، ولا خـــلَت الـــصُّـــروح

ولـــكنْ في الـــغُـــرابِ الـــنَّـــوحُ طـــبعٌ

وأيُّ غـــــرابِ سُـــــوءٍ لا يـــــنـــــوح؟

قـــبـــيحٌ أن يَـــذُمَ الحُـــسَن فـــيـــنـــا

قـــبـــيحٌ كلُ مـــا فـــيه قـــبـــيحُ

وأقـــبح أن يـــظلَ الـــيـــوم حـــيّـــاً

ويـحـوي الـبـلـبلَ الـغـرِدَ الـضَّـريحُ

دخـــيلٌ لـــو حَـــواه الخُـــلـــدُ أمـــسى

جـحـيـمـاً لـيس فـيه مُـسـتـريح

أتى، لم يـــدْعُهُ أحـــدٌ إلـــيـــنـــا

أيـــا هـــذا الـــثـــقـــيل، مـــتى تـــروح؟

قـــد اشـــتـــاقَ الـــذين نـــزحتَ عـــنـــهم

وملَّ مُـــقـــامَك الـــقـــومُ الـــنُّـــزوح

أهُـمُّ بـــــأن أحـــــدّثُ عـــــنه قـــــومي

ويُـمـسِـكُـني الإبـاءُ فلا أبـوح

فـــأقـــنـعُ بـــالأشـــائـــر، وهـي نـــزْرٌ

لأن الـــقـــومَ أكـــثـــرُهـمْ فَـــصـــيح

وإنَّ وراءَهـــــا ووراءَ صـــــمـــــتي

سـهـامـاً لا تُـمـيتُ ولا تُـريح
وصـيـحـاتٍ تـزعـزعُ كل طَـودٍ
وتُـنـكـرُ بـعـدهـا الـضـيفَ الـمُـسـوح

✱✱✱✱

(١) عمَد: جمع العمود.
(٢) قوم حلّة: حلوا في مكان ونزلوا فيه (المحلّة).
(٣) الرذْل من الرجال.

١٨ - يا قومي!

[المتدارك]

إنَّ الـــمُـــعـــتـــزَّ بـــأمـــوالهْ
مِـــثلُ المـــعـــتـــزِّ بـــأخـــوالهْ
فـــخـــرُ الإنـــســـان بـــأعـــمـــالهْ
لا بـــالـــديـــنـــار ولا الـــبَـــارهْ

مـــا هـــذي الـــقـــصَّـــةُ، يـــا عَـــمَـــدُ؟[١]
أرجـــــالٌ يـــــرأســـــهم ولـــــدُ؟
لـم يَـــنـــظـــرْ قـــبـــلـــكمُ أحـــدُ
أُسْـــداً تـــتـــصـــيـــدهـــا فـــاره!

وجـــبـــالاً تـــســـحـــبـــهـــا نمـــلَهْ
وبِـــحَـــاراً تُـــخـــزن في ســـلّهْ
مـــثلاً أصـــبـــحـــتم في الحِـــلّهْ[٢]
يـــتـــنـــاقـــلُه أهلُ الحـــارهْ

أيـــهـــاجمُ كـــاهـــنَـــكمْ نَـــذْلُ؟
ويَـــسُـــبُ أديـــبَـــكمُ فَـــسْلُ؟[٣]
أجـــمـــودٌ فـــيـــكمْ أم جـــهلُ؟
أمْ تـــلك الـــنـــفسُ الأمّـــارةْ؟

---

(١) التبّ: الهلاك والخسران (تبت يداه).

يـــــا قـــــومـي، دعـــــوةُ لا واهِ
يـــومَ الـــهـــيـــجـــاءِ ولاَ لاهِ
بـــالخَـــالـقِ، بـل بـــابنِ الـــلـــهِ
لا تـــؤذوا الـــلـــهَ وأنـــصَـــارهْ

تَبَّ[1] الـــشـــيـــطـــانُ وتُـــبَّـــاعُهْ
والـــشـــرُّ ونـــفسٌ تـــبـــتـــاعُهْ
شـــجـــرٌ مـــلـــعـــونٌ زُرّاعهْ
مَن مـــنـــكم يَـــعـــشقُ أثـــمـــاره

بل غَـــــرْسٌ يـــــأكلُ غـــــارسَهُ
ولـــبـــاسٌ يـــجـــرح لابـــسهُ
ولـــهـــيب يـــحـــرِق قـــابـــسَهُ
ومَـــــزارٌ يـــــهـــــتِكُ زُوّارهْ

إن تـــغـــسِلْ بـــالـــوحلِ الـــثـــوبـــا
يـــزدَدْ إثـــمـــاً، تـــزدَدْ عـــيـــبـــا
إنْ تَـــخـــضِبْ بـــالـــلـــيل الـــشَّـــيـــبَـــا
لا تُـــخْفِ الـــلـــيلَ وأقـــمـــارهْ

من يـــطـــلـــبْ من غِـــرٍ نـــصـــرا
كـــالمـــطـــفئ بـــالـــزيت الجَـــمـــرا
من يـــحـــضُنْ، يـــا قـــومي، الـــهِـــرّا
لا يَـــــجْـــــنـي إلا أقـــــذارهْ

---

(١) سماء مدرار: تدرّ بالمطر.
(٢) المناطق الآهلة بالناس.

يـــا قـــومي، خـــلـــوا الأغـــراضـــا
يـــا قـــومي، صُـــونـــوا الأعـــراضـــا
وتـــوقَّـــوا ذاك الـــعـــضّـــاضـــا
من قـــبلِ يُـــحَـــمِّـــلَـــكُمْ عَـــارهْ

أوَ مـــا فـــيـــكمْ ذو إحـــســـاسِ
يـــنـــهـــاهُ عن شـــتْمِ الـــنـــاسِ؟
أنـــســـيـــتـــمُ عـــامَ الإفلاسِ؟
فـــنـــقُصَّ عـــلـــيـــكم أخـــبـــاره

ونـــقـــيـــمُ المـــيّتَ من لحـــدهْ
ونـــسِلُّ الـــصـــارمَ من غِـــمـــدهْ
إن عـــادَ الـــبـــحـــرُ إلى مَـــدّه
لا يمـــســـكْ شيءٌ تـــيّـــارَهْ

ونـــسـيّـــرهـــا صـــحـــفـــاً صُـــحُـــفـــا
تحـــكي المـــدرار[1] إذا وَكَـــفـــا
إن نـــرْمِ الـــطَّـــود بـــهـــا رجَـــفَـــا
أو حـــصـــنًـــا دَكّتْ أســـوارَهْ

فـــتـــزور المـــنـــزلَ والـــقـــصـــرا
وتَـــرُودُ الآهِلَ[2] والـــقـــفْـــرا
ويـــطـــالـــعُـــهـــا ســـطـــراً ســـطـــرا
من لـــيس يُـــطـــالـــعُ أســـطـــارهْ

ويـــردِّدهـــا أهـلُ الأدبِ

ويـــغـــنّـــيـــهـــا أهلُ الـــطـــرَبِ
وتـــدارُ بـــهـــا بـــنتُ الـــعـــنبِ
ويـــحـــيّي الجـــارُ بـــهـــا جـــارهْ

عـــنـــدي أســـرارٌ لـــو تُـــنـــشَـــرْ
لـــتَـــمـــنّى صـــاحـــبـــكم يُـــقْـــبَـــرْ
كـــحـــديثِ الـــفِـــســـطـــانِ الأحـــمـــرْ!!
فـــلـــيـــحـــذرْ ذاك الـــدوّارهْ

مـــــا دامـتْ دارُك مـن خَـــــشَـبٍ
لا تـــقـــذفْ غـــيـــرَك بـــالـــلـــهبِ
إن هِـــجتَ الـــلـــيثَ بلا سَـــببٍ
لـم يـــأمنْ جـــســـمُك أظـــفـــارهْ

****

(١) الفَدْم: العييّ الثقيل.
(٢) المِقْول: اللسان.

١٩ - يا هذا!

[المتدارك]

خُـذْهـا أبـيـاتـاً مـشـهـورةْ
كـصُـراخِ الـنـفسِ المـقـهـورهْ
ودمـوعِ الـبـكـرِ المـذعـورهْ
قـد حـمّـلـهـا الجـاني عـارهْ

يـا هـذا الـضـاربُ في الأرضِ
في غـيـرِ مُـفـيـدٍ أو فـرْضِ
كم يُـغـضِي الـشـعبُ ولا تُـغـضي
إلا لـتـحـارب أحـرارهْ

أيُـفـرَّقُ مـالُ الإحـسـانِ
مـا بـيـن فـلانٍ وفـلانِ؟
مـن فَـدْمٍ مـيْتِ الـوِجـدان
أو غـرٍّ يـجـهل مـقـداره[١]

أو أحـمـقَ مـن ذي الخُـفَّـيْنِ
شـريـرِ المِـقْـوَل[٢] والـعـينِ
لا يـعـرفُ إلا شـخـصـين:
دلاّلَ الـشـرّ وسـمـسـارهْ

---

(١) يبدو أن القصيدة تدور حول مشروع مريب يقوم على جمع أموال الإحسان، وصرفها في إحياء أرض قفراء،

إنْ تُـــقْـــبِلْ هَـــزَّ شـــواربَهُ
أو تـــدبـــرْ هـــزَّ حـــواجـــبَهُ
وأدار عـــلـــيك عـــقـــاربَهُ
وأهـــانَ الـــلـــهَ ومـــخـــتـــارَهْ

أدِمـــاءُ قـــلـــوبِ الـــعـــمّـــالِ
مـــا بـــين نـــســـاءٍ ورجـــال
تُـــعـــطَى لـــغـــبيٍّ بـــطّـــالٍ
مـــا فـــارقَ بـــابَ الخـــمّـــارَهْ؟[1]

عـــجـبٌ، بل أعـــجـبُ من عـــجـبِ
أن يـــحـــمل شـــيخٌ عـــقلَ صـــبي
وجـــهـــولٌ يـــفـــخـــرُ بـــالـــذهب
فَـــخْـــرَ الأعـــمى بـــالـــنـــظّـــاره

مـــا هـــذا شـــأنُ الـــزهّـــادِ
مـــا هـــذا شـــأنُ الـــعُـــبَّـــاد
أضـــحـــكتَ الـــرائحَ والـــغـــادي
والجـــارَ وأبـــنـــاء الجـــاره

لـــله، فـــؤادُك مـــا أقـــسَـــا
نَـــنـــســـاكَ وتـــأبى أن نَـــنـــسى
أُرْدُدْ لـلأرمـــلـــةِ الـــفَـــلْـــســـا
واتـــرك لـــلـــعـــاملِ ديـــنـــارهْ

فـــالـــشـــعبُ أحقُّ بـــأمـــوالِهْ

مـن ذاك الـــــقَـــــفْـــــر ومـن آلـهْ
ومـن الـــســـلـــطـــان وعـــمّـــالـه
وذئـــــابِ «الـــتُّـــركِ» الـــغـــدَّارهْ

أولـى بـــــالمـــــال المجـــمـــــوعِ
عـــــنـــــدي مـن ذاك «المـــشـــروعِ»
شـــعبٌ فـي الـــشـــرقِ، من الجـــوعِ
قـــــد أوشـكَ يـــأكلُ أطْـــمـــارهْ

يـــا قـــومـي، أرواحُ الـــبـــشَـــرِ
أولـى بـــالـــعـــطفِ من الحَـــجَـــرِ
فـســلـوا الـطـوّاف، أخـا الـسـفـرِ
أن يـــــرفـعَ عـــــنـــــكمْ أوزارهْ

يـــكـــفـــيـــكم بـــذلُ الآلاف
يـــكـــفـــيـــكم حـــمْلُ الأضـــيـــاف
مـن كل بـــــغـــــيضٍ أو جـــــافِ
لا يـــعـــرف مـــحـــتـــاجٌ داره

ذاك المـــــعـــــدومُ إذا وجُـــــدا
لا يـــحـــيـــا الـــشـــعبُ إذا فُـــقـــدا
أنـــبـــيـــعُ الـــوالـــدَ والـــولَـــدا

---

(١) البيت من قصيدة لابن زُريق البغدادي (من أصحاب الواحدة) ت ٤٢٠ هـ.
(٢) أرض هيعة: واسعة ومبسوطة.
(٣) المقْوَل: اللسان.
(٤) الرَبْع: الدار، وجمعها: ربوع وأربع.
(٥) أضالعَه الأولى أي بما يخفي صدرُه. (أضالعُه الثانية) تضلّع من الطعام: ملأ أضلاعه به، وهو ما يعنيه في هذه الفقرة: ما يأكل مما أخذ من الناس.
(٦) حبالة القانص: أداة قنصه. والعافي: طالب المعروف، وجمعه: العفاة.

كي نُـحـيي الـقـفـرَ وأشـجـارهْ؟

✱✱✱✱

٢٠ - ماذا تقول؟

[البسيط]

« كـأنمـا هـو في حَلٍّ ومُـرتحَلٍ
مـوكّلٌ بـفـضـاءِ الـله يَـذْرعُهُ»[١]
تـخـالُه في فِـجـاجِ الأرض مـضـطـربـاً
في قـبـضـةِ الـريح تَـلـويه وتـدفـعُه
كـأنه الـزئـبقُ الـرَّجـراجُ مـنـفـلِتٌ
أو مَـهْـيَعُ الـزئـبقِ الـرجـراجُ مَـهْـيَـعُه[٢]
فـمـا يَـمُـرّ بـشـخصٍ لا يـسـائـلُه
ولا يمـرُّ بـبـابٍ لـيس يـقـرعُه
ولا يـحـركُ غـيـرُ المـال مِـقْـوَلَه
ولا يـحـركُ إلا الـشـرَّ إصـبَـعُه[٣]
لا يـسـألُ الـنـاس عـذراً عن لَـجـاجَـته
كـأن أربُـعَ هـذا الخـلْق أربُـعُه[٤]
لـيس الـبلاءُ بمـا يُـخـفي أضـالـعَه
لـكـنه في الـذي تُـخـفِي أضـالـعُه[٥]

---

(١) أقضّ المضجع: خشن ونبا (الفعل يتعدى ويلزم).
(٢) القطاة: طائر كالحمام. وجمعه القطا.
(٣) الداحية: الأرض المبسوطة.

لـو يـقـنُص الـبـدرَ أمـسى في حِـبـالـتِه
لـكن حَـمـاهُ من الـعـافي تـرفّـعُه[٦]
إني لأغـبِطُ شـخـصـاً لـيس يـعـرِفُه
ولا أهـــــــنّـئ إلا مـن يُـــــــودّعُـهُ

☆☆☆☆☆

يـا جـامعَ المـالِ آلافـاً مـؤلّـفـةً
لمن - ولا وارثٌ لـلـمـال - تجـمـعُه؟
هل أنت طـابـخُهُ يـومـاً فـآكِـلُه؟
أم أنت جـاعـلُه في المـاء تجـرعُه؟
أُردُدْ عـلى الـعـامل المـسـكـين فِـضّـتَهُ
فـقـد أقضّ عـلى المـسـكـين مـضـجـعُه[١]
لا يـنـفـعُ المـرءُ مـا جـادتْ به يـدُه
حـتى يـكـون لمحـتـاجٍ تـبـرعُه
أليس في الأرض غـيـرُ الـقـفـر تـعـشـقُه؟
وغـيرُ صوت الـقَطا[٢] في الـقـفر تسـمعُه؟
أمـا تـرى الـشـيخ كـاد الحـزن يـقـتـلُه؟
أمـا تـرى الـطـفلُ كـاد الجـوُ يـصـرعُه؟
حـتّـام تُـمـسك شـيـئـاً لـست صـاحـبَه
وصـاحبُ الـشيء مـا يـنـفكُّ يـتـبـعه؟
أَولى بمـا بـذل الجـادُون أهـلُـهمُ
فـكم تـضِنّ بمـا جـادوا وتـمـنـعُه
مـا الـبِـرُ أن تـبـتـنى داراً بـداحـيـةٍ
لا يُـبـصـرُ المـرءُ فـيـهـا مَن يـشـيِّـعه[٣]
وإنمـا هـو إطـعـامٌ لـذي سَـغَبٍ
المـاءُ حـلْـوٌ عـلى الـعَـطـشـان مـوقـعُه

فـجُـدْ عـلـيه بمـا جُـدْنـا عـلـيك بهِ
يـجـزيك خـيـراً ويَـرضى عـنك مـبـدعُه
لا تجـعل المـالَ فـوق الـدّين مـرتـبـةً
لـلـمـال مـوضـعُهُ، والـدينِ مـوضِـعُه
أودِعْتَ مـا أُودعَ المـمـلـوكُ في يـده
فـكن أمـيـنـاً عـلى مـا أنت مُـودَعه
دعِ الـتَّـصـنّعَ فـيـمـا أنت قـائـلُه
فـربمـا فـضح الجـاني تـصـنّـعه
إن كـان غـرّك ثـوبٌ أنت لابـسُهُ
فـانـظـر إلـيك مـلـيّـاً حـين تـخـلـعُه
لا تـنـصُـرِ الـبـغْي إن الـله يـكـرهُه
جـهـنّمُ مَـرْتع الـبـاغي ومَـضـجـعُه
مـاذا تـقـول إذا جـئتَ الإله غـداً
وخـبَّـرَ الـنـاس عـمـا كـنت تـصـنـعُه؟

✱✱✱✱

(١) اختار جورج صيدح من هذا النص المقطعين الأخيرين في (تبر وتراب)، بعد أن أغفل الأبيات الثلاثة الأخيرة من المقطع الأخير، ووضع لهما عنواناً غير عنوان هذا النص (إليك عني). انظر النص رقم ٢٨ في (تبر وتراب). ولم نغفل المقطعين هنا حتى تكتمل صورة النص كما أرادها أبو ماضي، وينتظم السياق فيه.
(٢) النميقة: الكتاب (نمق الكتاب: يَنمُقه: كتبه وحسّنه وجوّده).
(٣) نار إبراهيم الخليل (عليه السلام) التي هي برْد وسلام.
(٤) سقر: جهنم.
(٥) دياركم: (الربْع: الدار).

(١) إشارة إلى المثل المعروف: أصبح أثراً بعد عين.

٢١ - إلى شكري أبي صالح[١]

[الكامل]

وردتْ نَـمـيـقـتُكَ الجـمـيـلـةُ والـصُّـوَرْ
فـلك الـثـنـاءُ من الـبـصـيـرةِ والـبـصـرْ[٢]
وعـــلـــيك مـــنـي ألفُ ألفِ تحـــيـــةٍ
وعـلـى الأَحـبـة في الإقـامـة والـسَّـفـر
إنْ تَـحـمِـلـوا من شـوقِـكُمْ وحـنـيـنـكُمْ
نـارَ «الخـلـيل»[٣]، فـإنَّ في قـلـبي سَـقَـر[٤]
«مـــا لاحَ بـــرقٌ أو تـــرنَّمَ طـــائـــرٌ»
إلا ذكـــرتـــكمُ، ومـــثـــلي من ذكَـــر
فـســلـو الـدُّجى عـنـي إذا رق الـدُّجى
عـنـد الـدجى، عـني وعن وجـدي خَـبَـر
وسـلـوا الـسـمـاءَ ومـا بـهـا من أنجُمٍ
وسـلـوا الـغَـمـائمَ والـنـسـائِمَ، والـشـجـر
وسلوا الحمائمَ حين تشدو في الضحى
فـأنـا الـذي عـلّـمـتـهـا تـلك الـسُّـور
أشـتـاقـكُمْ، وأحبُّ من يـشـتـاقُـكمْ
وأحبُّ أربُـعَـكمْ[٥] ومن فـيـهـا اسـتـقـرْ
تـــالـــلهِ لم يـــشـــغَلْ فـــؤادي شـــاغلٌ

---

(١) وتر القوس.
(٢) الخود: الحسناء.
(٣) استحر الطائر: غرد بسحر، يعني: الدعوة إلى النهوض.
(٤) من يحملون الكشكول ويسألون الناس. والنوَر: (في الأصل) جيل من الناس، دأبهم الترحال، لهم لغة خاصة، ويعيشون على الكدية والسرقة.

عـنـكمْ ولـكن عـاقَـني صَـرْفُ الـقـدرْ
لـولا الحـوادثُ مـا قـعـدتُ عن الـلِّـقـا
ورضـيتُ، بـعـدَ الـعـين مـنـكم، بـالأثـر[1]
شـكـري!وقـد عَـبَـثتْ بـنـا أيـدي الـنَّـوى
صـبـراً فـإن الـلـهَ يَـجـزي من صـبَـر
يُـغـنـيكَ صـوتُ الـعـود عن جسِّ الـوتـرْ
فـاعـذرْ أخـاكَ فـإنَّ مـثـلَك مَن عـذر

☆☆☆☆☆☆

كم تـسـتـثـيـر بيَ الـصَّـبـابـةَ والـهـوى
عـني إلـيكَ، فـإن قـلـبي من حـجَـر
مـا لي ولـلـحـسـنـاء أُغـري مُـهـجَـتي
بـوصـالِـهـا والـشَّـيبُ قـد وخَطَ الـشَّـعَـر
في الـشَّـيب مـتّـعَظ وفـيه مـزدَجـرْ
وبمـا مـضى عـظـةٌ وفي الآتي عِـبَـر
كم بـ «الجـزيـرةِ» لـو يُـتـاح ليَ الـهـوى
من غـادةٍ تحـكي بـطـلـعـتِـهـا الـقـمـر
مـثلِ الـغـزالِ إذا رنـا، مـثلِ الـقَـضـيْـ
ـبِ إذا انـثنى، مـثلِ الـصـبـاح إذا سَـفَـر
وبـ «سـنـسـنـاتي» من مـسـارحَ لـلـمَـهـا
من صـنـعـةِ الـرحـمن لا صـنـعِ الـبـشـر
ولـكَم بـهـا من جـدول وحـديـقـةٍ
تُـنـسـيك هـاتـيك الخـمـائلَ والـنـهَـر
فـيـهـا الـلـواتي إن رمتْ ألحـاظُـهـا

(١) زمّله: لفّه في ثوبه. في الكلام إشارة إلى الآية الكريمة: «يا أيها المزمّل».

شَـلّتْ يـدَ الـرامي، وقـطَّـعَتِ الـوتـر[١]
قــد كـــان ليْ في كلِّ خَـــوْدٍ مـــطـــمعُ
ولـــكل رائـــعـــةِ المحـــاسنِ بي وطَـــر[٢]
أيـــام شَـــعْـــرِي كـــالـــدّجى مُـــحْـــلَـــولِكُ
أيـــامَ عـــيـــشي لا يـــخـــالِـــطُه كـــدَر

ذرني وأشـــجـــاني وجـــســـمي والـــضَـــنى
ويـــدي وأقلامي وطَـــرْفي والـــســـهـــرْ
أأبِـــيْتُ ألـــهـــو والـــهـــمـــومُ تُـــحـــيط بي؟
وأنـــام عن قـــومي وقـــومي في خـــطـــر؟
صـــوتُ المـــصـــفِّقِ مـــوعـــدٌ مـــا بـــيـــنـــنـــا
مـــاذا أقـــول لـــهم إذا الـــدّيكُ اسْـــتَـــحـــر؟[٣]
أقـــســـمتُ بـــالـــلـــه الـــعـــظـــيم ثلاثـــةً
لـــتُـــمـــزِّقَنَّ يـــدي كـــشـــاكـــيلَ الـــنَّـــوَر[٤]
من كلِّ أحـــمقَ بـــيـــنـــنـــا مـــتـــجـــوِّلٍ
إن غـاب غـاب الـهمُ أو يَـحـضُـرْ حـضـر
لا أنـــثـــنـي، لا أنـــثـــنـي، لا أنـــثـــنـي،
حـتى يـفـوزَ الـعـامـلـون عـلى الـبـقـر

✱✱✱✱

٢٢ - و...

[البسيط]

وزاهــدٍ هــمُّهُ فـي المــدح يــســمــعُهُ
مِن كلِّ مَن هــمُّهُ أن يــخــلُقَ الــكَــذِبــا
يُــعــلِّم الــنــاسَ ألا يــعــبُــدوا أحــداً
إلا الإلهَ، ويُــمــسي يــعــبُــد الــذَّهــبــا
وأنْ يَــجُــودوا بمــا تحــوي خــزائــنُــهمْ
ولا يــجــودُ بــديــنــارٍ لمن نُــكِــبــا
ضــيفٌ يــتــيهُ عــلى الــمُــثري وصــاحــبِهِ
كــمــا يَــتــيهُ عــلى المــغــلــوب مَن غــلَــبــا
ذنبُ الْمُــقِلِّ لــديه غــيــرُ مــغــتــفَــرٍ
ومكثرِ البذلِ يقضي بعضَ ما وجبا!
كــــأنه دائنٌ طــــالَ المِــــطــــالُ بِه
كــأنه يــهَب الإنــســانَ مــا وهَــبــا
يــا ذا المــزمِّلَ إنَّ الــدّين والــنــشَــبَــا
ضدّان ما اتفقا يوماً ولا اصطَحَبا[1]
إن كنتَ من يبتغي الدنيا ويطلبُها
فــارغبْ عن الــدين واطــرحْ ذلك الــلَّــقَــبــا
احفظْ لنفسكَ بين الناس حُرمتَها
مَنْ يــكــسِبِ الــذمّ في مــالٍ فــمــا كــسَــبــا
لا تــنــفخِ الــنــارَ، لا تــدفعْ سِواك لــهــا
إني لأُشــفق أن تــغــدو لــهــا حــطَــبــا

مـا إنْ رأيتُ كـقـومي في سَـمـاحـتـهِمْ
كـالـغـيثِ يَسقـون حتى المـوضعَ الخَـرِبـا
لـو كـان لـلـذئب أن يـغـشى مـنـازلَـهُمْ
مـا عـاد إلا وفي فـكـيّه مـا طَـلَـبـا
ضـعفٌ يُـسـمـيه من يُـمـنى به: «كـرَمـاً»
كـمـا يـسمى الخُـمـارَ المُحتَسي «طَرَبـا»
هـذا الـذي أوجـد الـكـسلانَ بـيـنـهمُ
وأوجـد الـلـهـوَ لـلـكـسلان والـلّـعِـبـا

وجـاهلٍ يـدّعي عِـلْـمـاً ومـعـرفـةً
شـرُّ الـبـلـيـات غِـرٌّ يـدّعي الأدَبـا
إذا يـسـاقُ إلـيه «الـعُـرف» نَـكَّـرَهُ
وإن رأى «الـخـفضَ» في أحـواله نَـصَـبـا
مـن «الأعـاربِ» إلا أن مـنـطـقَهُ
ممّـا يـبـغِّضّ فـيه «الـعُـجْمَ» و «الـعَـرَبَـا»
أمـسى يُـشـبَّهُ من يَـحْـكي بـسـيـرته
«يـهـوذا»، بـالـذي من أجـلـنـا صُـلـبـا
لـو كـان يـعـرف رأيَ الـعـارفـين به
لـراح يُـنـكـرُ مـا أُمـلي ومـا كُـتـبـا

وسـافلٍ في حـضـيض الأرض مـلـتـصقٍ
يـحـوك من أعـظم الـمَـوتى له نَـسَـبـا

---

(١) هو الحدْس: الظن والتخمين. (٢) الغلس: أول ظلمة الليل.
(٣) العالم بالأمور، الحاذق بالطب (ومثله: نطيس ونطاسيّ).
(٤) اللعَس: امتلاء مستحسن في باطن الشفة، لامتلائها بالدم.

فـي كلِّ يـــــــومٍ لـه دِينٌ يُـــــــدِلُّ بـه
ســاء الــمُــتــاجِــرُ بــالأديــان مُــنْــقَــلــبــا

وأبـــــلَـهٍ ســـــائـــــرٍ مـع كلِّ ذي أرَبِ
ســـيْـــرَ الـــذَّلـــول، ولا تـــدري له أَرَبـــا
لـم يَـضـــحكِ الـــنـــاسُ لـــو أمـــسى له ذَنَب
لـــذاك لـم يـــخـــلُقِ المـــولى له ذَنَـــبـــا!

قـد أكـثـر الـدهـرُ في عـيـني عـجـائـبَهُ
حـتى غـدا عـــجَـــبَـــاً ألا أرى عَـــجَـــبـــا
مَن عـاشـرَ الـنـاسَ لـم يـأمَنْ دسـائـسَـهمْ
فـاخـترْ لـنـفسِكَ من غـيـر الـورى صَـحَـبا

---

(١) عجز البيت من قصيدة ابن سينا (العينية) المعروفة. ساقه في تحية ضيف نيويورك راعي الطائفة الأرثوذكسية في كندا، الذي تولى حفلة (التعميد).
(٢) نزع: اشتاق (نزوعاً).
(٣) الشهاب الثاقب: المضيء.

٢٣ - ما كان أحْوجَني

[البسيط]

مـا كـان أحـوجَـني يـومـاً إلى لـقَبٍ
يـقـاتلُ الـشكّ عـني في ذوي الحَـدَسِ[١]
وطـيـلـسـانٍ به نـقشٌ وزركَـشـةٍ
وصـولجـانٍ كـرمـحِ الـفـارسِ الـشَّـكِس
إذنْ لـصـدّقَـنِي من لا يـصـدّقُـني
ولـو جـعلتُ الـضـحى جـزءاً من الـغَلَس[٢]
وودَّ من كـنتُ قـبلَ الـيـومِ خـادمَهُ
لـو أنه خـادمي، أو أنـه فَـرَسـي
فـإنْ مـشَـيْتُ رأيتُ الـغِـيـدَ شـاخـصـةً
ومن هـنـا وهـنـاك الـنـاس كـالحَـرَس
وإن تـكـلـمتُ قـالـوا: لـيس ذا بـشـراً
وإنمـا هـو وحي الـروحِ ذي الـقُـدُس
فـهـانَ عـنـدَهُمُ بـذلُ الـنـفـائس لي
إن كـان في بـذلِـهـا إدراكُ مُـلـتـمَـسي
وأيـدوا كلَّ مـشـروعٍ يـؤيـدُني
فـيـهم، وإن كـان مـشـروعـاً بلا أُسُس
وبـاتَ لـثمُ يـدي في عُـرْفِ بـعـضِـهِمُ
أشـفى له من دواءِ الـعـالِمِ الـنَّـطِس[٣]
يـحـنـو فـيـمـلـؤهـا تـمـراً، وظـاهـرُهـا
لـثـماً، كـتـقـبـيل ذي وجْـدٍ لـذي لَـعَسِ[٤]
وقـد يـكـون كلامي بـالـيـاً خَـلَـقـاً
لا روح فـيـه، وكَـفِّي كفَّ مُـخـتَـلِسِ
لـو كـان ذلك لي، أو كـنت صـاحـبَه
مـا احـتَـجتُ يـومـاً إلى سـيفٍ ولا تُـرُس

---

(١) اللوى: منقطع الرمل وادٍ بعينه يتردد ذكره في الشعر القديم.

٢٥ - النكبة في سوريا

[السريع]

لـــلـــهِ مـــا أحـــلَى، ومـــا أجـــمَلا
أن تـنـصـرَ المـسـكـينَ ذاتُ الحَـلى[١]!
إن الـــتي تَـــقـــتلُ أجـــفـــانُـــهـــا
أبتْ عـــلى الـــبـــائسِ أن يُـــقـــتَلا[٢]
فـــأقـــبـــلتْ تـــبـــذلُ أمـــوالَـــهـــا
وتـــســـأل الـــمُـــثـــريَ أن يَـــبْـــذُلا
في الـلـهِ مـسـعَـاهـا وإحـسـانُـهـا
فـــهـــكـــذا الـــغِـــيـــدُ وإلا فَلا

****

(١) و الحَلي. وجمعه: الحُليّ. والأبيات في الثناء على السيدات السوريات اللواتي خرجن إلى شوارع نيويورك لجمع الإعانات لإغاثة الجائعين المنكوبين بالوباء في سورية.
(٢) أجفانها: يريد العيون.

٢٦ - انقريا دَفّ على الطارة

[المتدارك]

قـد عـاد الـنَّـقْـرُ عـلى الـطَّـارهْ
والـشـاعـرُ حـرّك أوتـارهْ[١]
لـيُـعـينَ الحقَّ وأنـصـارَهْ
الآخـذَ مـالَ المحـتـاجِ

يـا سـيـدَنـا ربَّ الـتـاجِ
مـا أحـلى الحقَّ وأنـصـارَه !
لا تـلـعبْ بـين الأمـواجِ
وتَـوَقَّ الـبـحـرَ وتـيـاره

أوَ لـيـست نـفسُ المسـكـينِ
أولى بـالمـال من الـعِـينِ؟[٢]
أو لـيـست قـاعـدةُ الـدِّينِ
أن يـعـطيَ ذو الـنُّـعـمى جـاره ؟

إن كـنتَ حـقـيـقـاً تُـرْكـيّـا
فـبـربكَ صـرِّح رسـمـيّـا

---

(١) كان المهجريون يتناشدونها وأمثالها في سهراتهم.
(٢) يريد الحسناوات واسعات الأعين (عيناء).

أَذِعِ المكتومِ المَخْفِيّا
وأزحْ عن وجهكَ أستاره

لو يلقى صخْرُ ما تلقى
مِن وخْزِ يراعٍ لانْشَقَا
لا تغضبْ إنْ قلنا الحَقّا
وذَممْنا الجهلَ وأضراره

إن كانت وخَزاتُ الدَّاعي
لم تُدْمِ جِلْدَ الطمّاعِ[1]
فتنكّبْ، يا هذا الراعي
نارَ الحدّادِ ومِسْمَاره

✱✱✱✱

(١) الذي هو القاتل نفسه (الشاعر).

٢٧ - توديع أمين الريحاني[١]

[الكامل]

كم ذا يلومُ على الهوى المُتشدِّقُ
غيرُ الغرام بِجوزُ فيه المَنطقُ
وإلى متى يُلحى المحبُّ على الهوى
وأحقُّ باللوم الذي لا يَعشَق ؟
يا صاحبي!هو ذا الغرامُ، مريضُهُ
لا يُرتجَى، وأسيرُه لا يُعْتَق
لي مهجةٌ تأبى الرضوخَ لآمرٍ
رضَخَتْ له، وهو المليك المُطلَق
ضحِكَ الأُلى جهلوا الغرامَ وبطشَه
لمّا رأوني في دموعي أَغرَق
ماذا على اللاحِين ؟ لا أجفانُهمْ
سَكْرى، ولا أحشاؤهمْ تتمزَّق
ما شارك العشاقَ في آلامهم
إلا عليمٌ بالهوى أو شيِّق
يهوَى أخو البلوى أخا البلوى، كما
يهوى الوريقَ[٢] من الغصون المُورِق
إنْ عنّفَ الخالي الشّجيَّ فربما
لام الذكيَّ على الذكاء الأحمق

---

(١) في مناسبة سفره إلى فرنسة (١٩١٦).
(٢) الغصن الوريق: الأخضر المكتسي بالورق. وأورق الشجر - يورق: اكتسى بالورق.

فُـطِـرَ الأنـامُ عـلى الأذى، فَـقَـويُّـهم
مـتـصـلّفٌ[1]، وضـعـيـفُـهم مُـتَـمـلِّق
أخـذت نـحـائـزُهم عـلـيـهم مَـوْثـقـاً
ألاّ يـدومَ لـهم لـيـومٍ مَـوْثق[2]
ألـفِـوُا الـريـاءَ، فلا يـسـوءُ نـفـوسَـهم
مـثلُ امـرئٍ حُـرٍّ يـقـول فـيَـصـدُق
كم لـفّـقـوا أكـذوبـةً، واسـتـرسـلـوا
في الـغَيّ[3] حـتى صـدّقـوا مـا لـفّـقـوا
لـو أنـهم نـظـروا لـغـيـر مَـعـاشـهم
وجـدوا أضـرَّ الخَـلقِ من يـتـخـلَّق
والـدهـرُ أهـلُـوه، كـذلك دهـرنـا،
غـيـرُ الأديب الحُـرّ فـيه مـوفَّق
لـكنْ عـلى رغم الـغَـويّ وخَـبْـطِه
سـيـدومُ في هـذي الحـيـاةِ الأَلْـيق
والحقُّ مـنـتـصـرٌ عـلى أعـدائه
ولَـوَ اَنـهم خـلفَ الـكـواكبِ خَـنْـدقُـوا

☆☆☆☆☆☆

لا أرمُق الـدنـيـا بمُـقـلـةِ نـاقـدٍ
إلا ودِدْتُ بـأنـنـي لا أرمُـق
دنـيـا يـحـارُ المـرءُ في أطـوارِهـا
ويـضـيـعُ في أسـرارِهـا المـتَـعـمِّق
في الـصـدرِ همٌّ لا أحـاولُ بـثَّه
هـذا مـجـالٌ مـثلُ صـدريَ ضـيّق

---

(١) متكلف الصلف، وهو: تجاوز القدر.
(٢) النحيزة:الطبيعة (وجمعها: نحائز).
(٣) الضلال (غوى – يغوي).

لا تحسِبوا هذا المشَعْشَعَ خمرةً
هذي نفوسُ ذوي الهوَى تَتَرقْرق[1]
لم تكتسبْ لونَ العقِيقِ كؤوسُها
لو لم تكن من مُهجَتي تتدفق
فإذا انصرفتُ عن الرَّحيق فإنني
أخشى تُذكّرَني الحبيبَ فأَشْرَق[2]
وإذا بكَيتُ من الفراق ووقعِه
لا تعجبوا، هذا عدوّي الأزرق

☆☆☆☆☆☆

ما بالُ نفسي عندما أزَف النوى
فرِقَتْ[3] وكنتُ أظنُّها لا تَفرَق
بل ما لقلبي خافقاً في أضلُعِي
أمِنَ السُّرورِ أم الكآبة يَخفُق ؟
إني أرى حولَ «الأمين» صحابةً
كالنيّرَاتِ وجوهُهمْ تتألّق
فأكاد من فرحي بأنصار الحِجَا
وذوي المُروءةِ والوفاءِ أُصَفّق
فإذا ذكرتُ غداً وقُربَ مجيئه
ضغط الأسى نفسي فكادت تُزهَق
في ذمةِ الله الكريمِ وحفظِه
رجلٌ يباهي الغربَ فيه المشرقُ

---

(١) المشعشع: غير الكثيف من الشراب والظلال.
(٢) في التقدير: «أن تدكرني. .» والشرَق: الغُصَّة (شرِق – يشرَق).
(٣) خافت (الفَرَق).

هــذا الــذي إن قــيل ذا رجلَ الــنُّــهى
لا يَــزدهي عُــجْــبــاً ولا يــتَــفَــيــهق[1]
دلّ الــعــيــونَ عــلــيه صِــدقُ مــقــالِه
ولــكَمْ يــدُلّ عــلى الــنــفــوسِ المــنــطِق
مــا زالَ يَــسْــتَــنْــدي الأكفَّ لــذي الــطَّوى
حــتى لــكــادَ بــنــفــسِهِ يَــتــصَــدَّق[2]
هــو زهــرةٌ يُــحــيي الــنــفــوسَ أريــجُــهــا
هــــو كــــوكبٌ أنــــوارُه لا تُــــمــــحَق
شَــتَمَ المــقــصــرُ عــنه كلَّ مــبــرّزٍ
لمــــا رآه غــــبــــارُه لا يُــــلْــــحَق
لم يــدْرِ أن الــبــدرَ يُــعــرَفُ في الــدجى
والــعُــودَ يَــظــهــرُ طِــيــبُه إذ يُــحــرَق
يــا صــاحــبي! وأخــو الــعَلاء مُــحَــسَّدٌ
ولأنت أعــــرفُ بــــالأمــــورِ وأصْــــدَق
مــــا مَن يــــكــــرّسُ لــــلــــبلاد يَــــراعَهُ
مِــثلُ الــذي بــيَــراعِهِ يَــسْــتــرْزِق
ســـامحْ عِــداتَك واغــتــفــرْ زلاّتِــهم
فــالــصــفحُ أجــدرُ بــالــكــريم وأخْــلق
مــــا أنتَ أولُ عــــبــــقــــريّ نــــابغٍ
كــاد الــطَّــغَــامُ له فــفــازَ وأخْــفَــقُــوا

يــا قــاصــدَ الــبــلــدِ الــبــعــيــدِ، تــرفُّــقــاً
مــــا دام هــــذا الــــدهــــرُ لا يــــتَــــرفَّق

---

(١) المتكبر، المتوسع في الكلام.
(٢) استندى الأكف: استعطاها (الندى: الكرم والعطاء).

إن كـان بـعضُ الـودِّ يُـخـلـقُه[1] الـنّـوى
ويـــبـــتُّه[2]، فَـــودَادُنـــا لا يَـــخـــلُق
فـإذا رأيتَ الـبـحـرَ يـعـلـو مـوجُهُ
فـــاعـــلَمْ بـــأن دمـــوعَـــنَـــا تـــتـــدفَق
وإذا رأيتَ الـنـجـمَ يـنـظـرُ سـاهـيـاً
فـاعـلـمْ بـأنّـا في الـنـجـومِ نُـحـدِّق
وإذا سـمـعتَ الـطـيـرَ تـهـتِفُ في الـضـحى
فـاعـلـمْ بـأن قـلـوبَـنـا تـتـشـوَّق
إنّـــا ســـنـــحـــفظُ لـــلـ «أمـــينِ» ولاءَهُ
مـهـمـا أثـار المـفـسـدون وأقـلـقـوا
وإذا الجـسـومُ عن الجـسـوم تـفـرَّقَتْ
فـنـفـوسُ أهلِ الـوُدّ لا تـتـفَـرَّق

****

(١) يُبليه. (خلُق الثوب - يخلُق: بلي).
(٢) يقطعه (البتّ: القطع).

٢٨ - إكليل توفيق خوري

[الكامل] و[الوافر]

قد قال «ندرا» واصفاً «مِيمَاسَكُمْ»
فأثار بي شوقاً إلى «المِيْماسِ»[١]
ما كنتُ حمصيّاً، ولكني فتىً
في سرِّ «حمصَ» الآن أشربُ كاسي[٢]

☆☆☆☆☆☆

أيا ابنَ مدينة «العاصي»[٣] الجميلهْ
تهانئَ شاعرٍ يَهوى الفضيلهْ
وألفاظٌ تنمُّ على وفاءٍ
وإخلاصٍ وإن كانت قليله
جعلتُ إلى محبتكم دليلي:
فؤادي، والهوى الصَّافي دليلَه
ملكتمْ مُهْجتي لا بالعَوالي
ولكنْ بالسَّجيّاتِ النبيله[٤]
متى أروي من «العاصي» غليلي ؟
ويروي كل حمصيّ غليله ؟
فإني مثلَكم أهوى رُباها
كما أهوى نسائمَها العليله

---

(١) الميماس: من متنزهات حمص المعروفة.
(٢) ارتجل البيتين في بيت صاحب الإكليل في التعقيب على قصيدة ألقاها ندرة حداد (وهو في حمص) زميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية) والأبيات بعدها ألقيت في الحفلة نفسها.
(٣) الخطاب لتوفيق خوري نفسه (في النص السابق).

فلا يـفـخـرْ عـلى «حـمصٍ» قَـبِـيلٌ
بمـحـتِـدِه[1]، فـواحـدُكم قَـبـيـلهْ
نـفـوسُ رجـالـكُمْ فـيـهـا شـبـابٌ
وفي شُـبّـانـكم حـزمُ الـكُـهـوله
لـنـا ولكَ المـسـرَّةُ والـتـهـاني
فـقـد عـاشتْ أمـانـيـنـا الـقـتـيـله
«وأعطِ الـقـوسَ بـاريَـهـا» بـيـومٍ
قـطـفتَ أحبَّ أزهـارِ الخـمـيـله
بـقـيتَ مع «الـنـبـيـهـة» في صـفـاءٍ
تـرفُّ عـلـيـكـمـا الـنِـعَمُ الجـزيـله[2]

****

(١) المحتد: الأصل.
(٢) النبيهة: اسم العروس.

٢٩ - حاملات الطيب[١]

[الرمل]

«حـاملاتُ الـطـيب» تـشـدو طـربـاً
بـــلِـــقـــاكمْ، يـــا كـــرامْ
وتُـحـيّي حَـبْـرنـا المـنـتـخَـبـا
مَن لـه أســـمى مَـــقـــام
فـانـشُـري عـطـرَكِ، يـا ريحَ الـصَّـبـا
وتَـــغَنَّ، يـــا حَـــمـــامْ
فـلـقـد نـلـنـا الـمُـنى والأرَبـا
وظـــفـــرنـــا بـــالمـــرام

☆☆☆☆☆

نـحـمـدُ الـلـهَ الجـزيلَ المِـنَنِ
مَن نـــفى عـــنـــا الـــكُـــرَبْ
وحـبـانـا بـعـد طـول الـزمنِ
بـــالـــرئـــيس المـــنـــتـــخب
ذي المعالي، صاحب القدْرِ السَّني
خـــيـــرِ راعٍ، خـــيـــرِ أبْ
عـزَّ فـيـه الـدِّين بـعـد الـوهَنِ
وعـلا صـــــــــــرحُ الأدب

☆☆☆☆☆

(١) نشيد أنشده أعضاء (جمعية حاملات الطيب) في الحفلة التي أقامها تكريماً لأسقف (بروكلن).

ولْـنـحيِّ بـعـد ذاك الـعـلَـمـا
عـــلَمَ الـــعـــدلِ الجـــمـــيلْ
عـلـمـاً في ظـلـه الحقُّ سـمـا
فـــهـــو لـــلـــحقّ كـــفـــيل
رافـقت فـيه الخـطـوطُ الأنجـمـا[1]
ولـه ظِـلٌّ ظـــــــلـــــــيـل
فـلـتـعش «أمـيـريـكـا» خـيـرُ حِمى
ألفَ جـــيـلٍ بـــعـــد جـــيل

✷✷✷✷

(١) علَم أمريكا.

٣٠ - ولقد ذكرتكِ

[الكامل]

ولـقـد ذكـرتكِ، يـا بلادي، بـعـدمـا
ذهبَ الـشَّـبـابُ، ومـرّتِ الأعـوامُ
فـتـمـثّـلتْ تـلك الـربـوعُ لـنـاظـري
خـرَبـاً[1]، عـلـيـهـا وَحـشـةٌ وظَلام
ورأيت قـومي سـاقـطـينَ عـلى الـثَّـرَى
جُـثَـثـاً تـلـوح كـأنـهـا أصـنـام
يمـشي عـلـيـهـا الـظـالمـون بـخـيـلـهمْ
ويـنـال مـنـهـا الـذئبُ والـضِّـرْغـام
بـالأمس كـانـوا والـطـيـورُ طـعـامُـهمْ
والـيـومَ هم لـلـكـاسِـراتِ طـعـام
وهـنـا، نـرى إخـوانَـهم، أجـفـانُـهمْ
مـفـتـوحـةٌ، لـكـنّـهم نُـوّام
لاهـينَ عـنـهمْ بـالجِـدال كـمـا لَـهـا
بَـبَـوات[2] «رومـةَ» قـبلُ، والأروام
فـبـكـيتُ، ثم بـكـيتُ، من فـرطِ الأسى
يـا لـيت شِـعـري، هل بـكى «الـلـمّـام»؟[3]
لم يـبكِ، بل أرخى الـعِـنـانَ لـصـوته
يـشـدو ويـرقصُ حـولَه الأقـزام
غـنّى، وفي تـلك الـبلاد مـنـاحـةٌ
فـعـلى الجـمـادِ تحـيـةٌ وسلام

****

(١) الخرْبة: موضع الخراب، والجمع: خِرَب.
(٢) بابَاوات، وخُطفت لسلامة الوزن.

٣١ - تنصير ابن حنا نحاس

[الوافر]

تـــكـــاثـــرَتِ الـــكـــواكبُ والأهـــلَّهْ
لـــذلك غـــابت الـــشـــمسُ المُـــطـــلَّهْ
كـــواكبُ لا يُـــلـــمُّ بـــهـــا خـــســـوفٌ
ولا تُـــخـــفـي أشـــعـــتَـــهـــا الأكِـــلَّه[1]
أُراني بـــــين إخـــــوانٍ وصـــــحْبٍ
بـــهم يَـــنـــسى غـــريبُ الأهل أهـــلَه
أتـــيـــنـــا الـــيـــومَ نـــفـــرحُ معْ صـــديقٍ
جـعـلـنـا في جـوانـحـنـا مَـحَـلَّهْ
يُـــرَجَّى في الحـــيـــاةِ كـــكلِّ حُـــرٍّ
لـنـصـر فِـضـيـلـةٍ ولـدفع عِـلّه
وحَـــبْـــرٍ[2] هـــام فـــيه عـــارفـــوه
ولم يُـنْـكِـر عـلـيه الـضِـدُّ فـضـلَه
به وبمـــــثـــــلِه في كل نـــــادٍ
نـــفـــاخـــرُ كلَّ طـــائـــفـــةٍ ومِـــلّه
فـــمـــا ضَـــرَّ الـــذي عـــمـــلتْ يـــدا
عـلى تـفـريـقـنـا لـو كـان مـثـلَه
أيـــا مَـــولَى الـــقـــلـــوب، بلا نـــزاعٍ
وأكـــــرمَ نـــــازلٍ في ذي المَـــــحَـــــلَّه

---

(١) يبدو أرادها جمعاً (للإكليل) أو (للكلّة) بمعنى الستر، وجمعهما في المعاجم (أكاليل) و(كِلَلْ).
(٢) أُسقف (بروكلن) جنوبي (نيويورك) الذي تولى عملية التعميد.

لــقــد خــافتْ عــلــيكَ ســمــاءُ «أزلن»
فــحَــاكَتْ من غــمــائــمِــهــا مِــظَــلَّه
و «حــنَّــا» عــمّــدَ «الــفــادي» قــديمــاً[1]
وأنتَ الــيــومَ قــد عَــمَّــدتَ نجــلَهْ

✱✱✱✱

(١) أفاد أبو ماضي من اسم أبي الطفل المعمّد (حنّا) فذكر معه النبي يحيى (يوحنا) الذي عمّد المسيح (الفادي) في مياه الأردنّ.

٣٢ - جمعية الصليب الأحمر السورية[١]

[الكامل]

إنَّ الـصَّـلـيبَ وكـان آلـةَ نِـقْـمـةٍ
أمـسى شـعـارَ الخـيـرِ والـتـهـذيبِ
لا تـعـجـبـوا ممـا به من حُـمـرةٍ
هـذا ـ وحـقِـكـمُ ـ دمُ المـصـلـوب
لا بِـدْعَ أن ظـهـرتْ عـجـائـبُهُ لـنـا
فـلـكَمْ أتى بـعـجـيـبـةٍ وعـجـيب
هـذا لـواءٌ[٢] ضـامنٌ كـشَف الأذى
عن قـلـبِ كلِّ مـعـذَّب مـنـكـوب
لـمّـا شـهـدتُ، كـمـا شـهـدتمْ، صُـنـعَه
طـرِب الـفـؤادُ وكـان غـيـرَ طَـروب
إني أحـيي الـنـاهـضـاتِ إلى الـعُلا
بـاسم الجـنـودِ، وبـاسمِ كلِّ أديب
هنّ الـكـواكبُ في الـشـروق، وإنمـا
هـيـهـاتَ يـؤذِن نـورُهـا بمـغـيب
لـو كلُّ فـاضـلـةٍ تـخـاطبُ قـومَـهـا
قـالت لـكلِّ لـبـيـبـةٍ ولـبـيب:
«أبـنـاءَ «سـوريـا»، احـمـلـوا صُـلْـبـانـكمْ
لـلـخـيـر، إني قـد حـمـلتُ صـلـيـبي»!

****

(١) ألقاها في حفلة أقامتها جمعية الصليب الأحمر السورية (١٩١٧) وجُعل ريعها لإعانة الجنود الأمريكيين والسوريين.
(٢) يقصد: الراية.

٣٣ - توديع نعمة تادرس[١]

[الكامل]

زمنُ الـربـيـعِ مـضى وكـنتُ أحـبُّهُ
فـجـلـستُ بـعـد ذَهـابه أبـكـيهِ
والـيـومَ يـهـجـرُني حـبـيبٌ آخـرٌ
فـكـأن مـا في الـقـلب لا يَـكـفـيه
اثـنـان مـا لـلـشِّـعْـر بـعـد نَـواهُـمـا
مـعـنىً يَـلـوحُ له فَـيَـسـتـهـويهِ
فـصْلُ الـربـيـعِ لأنه الـفـصْل الـذي
يـجـدُ الـفـتى كلَّ الـلـذاذةِ فـيه
وأخٌ يَـسـوقُ الـعُـرْفَ[٢] نـحـو صـديـقه
عـفـواً، ولا يـؤذي الـذي يُـؤذيه
وإذا يَـلـوذُ به امـرؤٌ في نَـكـبـةٍ
فـكـأنمـا هـو لائـذٌ بـأخـيه
هـذا الـذي تـأسى الـقـلـوبُ لـبُـعـدِهِ
عـنـهـا، وتَـصـحَـبُه لـكي تَـحـمـيه
مـا لـلـكِـنـايـةِ والإشـارةِ مـوضعٌ
يـا صـاحـبي أنتَ الـذي أَعـنـيه
شـاء الـذي خـلقَ الـسَّـمـاحَ وأهـلَهُ
فَـبَـرَاكَ كي تـعـلـو وكي تُـعْـلِـيه

---

(١) تاجر السجاد الشرقي في (نيويورك) الذي أهداه أبو ماضي ديوانه الثاني (سماه: الجزء الثاني) وطبعه في نيويورك ١٩١٩ (وهو الذي تبرع لأبي ماضي بتكاليفه).
(٢) المعروف والجود والإحسان والنَّصَفَة وحسن الصحبة.

فـإذا يـجـود ذوو الـنُّـضَـارِ[1] بـبـعـضِهِ
جـــادتْ يـــداك بـــكلِّ مـــا تَـــحـــويه
لك في الـقـلـوب مـكـانـةٌ لـو أنَّـهـا
كـانت لـغـيـرِك هـزَّ عِـطْفَ[2] الـتِّـيهِ
كلُّ يـــودّع فـــيك صـــاحـــبَه الـــذي
بـــنـــفـــيـــسِه وبـــنـــفـــسه يَـــفـــديه
سـيُـحـبُّك الـبـحـرُ الـذي تجـتـازه
ويـــحـــبُّك الـــبَّـــرُّ الـــذي تـــطـــويه
ويـــحـــبُّكَ الـبـلـدُ الـذي تـخـتـاره
إن كـــنتَ أو مـــا كـــنتَ من أهـــلـــيه
كلّ المَـــواطنِ لـــلـــكـــريم بلادُهُ
والـــنـــاسُ مـــنه كـــلُّـــهمْ كـــذَويه
ســافــرْ تــرافــقْكَ الــسَّلامــةُ ولْـتـعُـدْ
بـــالـــيُـــمْن والإقـــبـــالِ والـــتَـــنْـــويه
لـــكن بـــربِّكَ لي إلـــيك وصـــيـــةٌ
لـــيـــست بـــأمـــرٍ، لا، ولا تَـــنْـــبـــيه
هي إنْ تـــزُر وطـــنـــاً نـــقـــدِّسُ ذكـــرَه
ونُـــجِـــلُّه ونَـــصُـــونُه ونَـــقـــيه
فـانـظـرْ بـأعـيـنِـنـا الـبلادَ وأهـلَـهـا
لـــيَـــرى بك الـــوطنُ الـــقـــديمُ بَـــنـــيه

****

(١) النضار: الذهب الخالص.
(٢) أحد الجانبين، عن يمين وشمال.

٣٤ـ دار رشيد أيوب[١]

[السريع]

كـيف تـركتَ الـدارَ، يـا صـاحـبي
مـفـتـوحـةَ الـبـابِ لمن يَـطـرقُ؟
ألـيس في هـذا الحِـمَى سـارقٌ ؟
ألـيس في بـيـتِك مـا يُـسـرَق؟
أم عـلِمَ الـقـومُ عـلى جـهـلـهِم
أنكَ ذاك الـشَّـاعـرُ الـمُـفْـلِق؟[٢]
جـمـيـلـةٌ دارُك، يـا سـيـدي
ودربُـهـا، والـشـجـر الـمُـورِق
لـكـنـهـا عـمـيـاءُ صـمـاءُ لا
عـينٌ ولا سـمـعٌ ولا مَـنـطِق
جـئتُ إلـيـهـا آملا شـيّـقـاً
وعـدتُ مـنـهـا وأنـا أشْـوَق!

****

(١) زار الشاعر داره في ميلفورد (بنسلفانيا) فلم يجد فيها أحداً، ووجد الأبواب مفتّحة (١٩٢١) .
(٢) شاعر مُفلق: مُجيد، يجيء بالأعاجيب.

٣٥ - رثاء المَطران أثناسيوس عطا الله[١]

[مجزوء الكامل]

زُرتُ الحديقةَ في الضُّحى لأرى الغصونَ المورقهْ
فإذا الطيورُ صوامتٌ، وإذا الأزاهر مُطرِقهْ

وإذا النسيمُ له أنينٌ كالجريح أو الطعينْ
ويلاهُ مِن ذاك السكوتِ، وآهٍ من هذا الأنينْ

ماذا أصاب الأقْحُوانَ، فإنه لا يَبْسمُ
ماذا دها طيرَ الأراكةِ؟ فهوَ لا يترنَّمُ!

أيُّ المصائبِ بالرياض ؟ فقيل لي: نضَبَ الغديرْ!
فالطيرُ والأزهارُ حائرةٌ تفكّر في المصيرْ

فعرفتُ أني في الحديقة حاضرٌ في مأتمِ
وشعرتُ أن الحزنَ يَسرُب[٢] في عروقي معْ دمي

الجنةُ الغنّاء، يا أبناءَ «حمصٍ»، أنتمُ
أما الغديرُ فإنه هذا الفقيدُ الأعظمُ

«أثناسيوس»، علّمتَنا ووعظتَنا حياً وميْتا
أشرقتَ إشراقَ الصباح، ومثلما يمضي مضَيْتا

---

(١) مَطران حمص.
(٢) سرَب: مضى وذهب.

اللهُ باركَ «حمصَ» حين سكنتَ في أرجائها
وديانةً قد كنتَ في دنياك من رؤسائها

كم مَهْمهٍ[1] لليأس كنتَ به دليلَ التَّائهينا
كم حوْمةٍ للبؤس كنتَ بها مُقِيلَ[2] العاثرينا

قد كنتَ مصباحاً إلهيّاً يضيء لكل سارْ
وقد انطفأتَ فكلّنا للحزن يَعثُر في النهارْ

علمتَنا أن التنسُّكَ ليس في سُكْنى السَّبَاسبْ[3]
بل في مقارعةِ الخُطوب، وفي مصارعةِ التجاربْ

ليس الفضيلةُ والتقى ألا يَضُرّ المرءُ غيرَهْ
ويصونَ منه نفسَهُ، بل أن يسوقَ إليه خيرَهْ

خالفتَ كل الناسكينَ، من الأوائل والأواخرْ
خُضت المَعاثر[4] عندما خافوا التعرُّض للمَعاثرْ

قد كان نُسكُك جرأةً عظمى ونسكُهمُ فرارا
يا ويحَهمْ لم ينفعوا في نُسكهم حتى القِفارا

---

(١) المهمه: المفازة البعيدة.
(٢) أقاله من عثرته: أقامه منها.
(٣) السَبْسَب: الأرض القفر البعيدة.
(٤) العثرة: الزلّة. والمعاثر: حيث يعثُر المرء.

قــد كــنت تَــزهــد بــالجــواهــر وهي أكــوامٌ لــديــكــا
وتُــسَــرُّ إذ تــســعى إلى المــســكــين أو يَــســعى إلــيــكــا

مــا أحــقــرَ الــتِّــيــجــانَ عــنــدي، إن ذكــرتُك، والأرائكْ
إن المــلــــوكَ من الأَنــــام، وأنت من جــــنسِ الــــمَلائك

شــادوا عــلى الجثث الــعــروشَ وشِــدْتَ عــرشكَ في الــنــفــوسْ
فــمــضت عــروشُــهمُ، وعــرشك خــالــد مــثلُ الــشُّــمــوسْ

لــله كــيف حــواكَ لَــحْــدٌ، أيــهــا الــبــحــرُ الــكــبــيــرْ
لــله كــيف خــبــا سَــنــاؤك، أيــهــا الــقَــبَس الــمُــنــيــرْ

قــد كــنتَ كُــلَّكَ، أيــهــا الــراعي الأمــينُ، لــكُــلِّــنــا
«أثــنــاســيــوس»، نم هــانــئــاً فــلــكمْ ســهــرتَ لأجــلــنــا

✱✱✱✱

٣٦ - جمعية الاتحاد السوري[١]

[البسيط]

مـا طـائـرٌ كـان في قـفْـرٍ عـلى ظـمـأٍ
فـسـاقَهُ قـدَرٌ نـحـو الـبـسـاتـينِ
فـاعـتـاضَ من لـفـحـاتِ الـقـيظِ وارفـةً
ممـدودةَ الـظَّلِ خـضـراءَ الأفـانـين
وبـات تُـنـشـده فـيـهـا بلابـلُـهـا
حـيـنـاً ويُـنـشـدُهـا بـعضَ الأحَـايـين
مـنّي بـأسـعـدَ نـفْـسـاً مـذْ نـزلتُ بـكم
يـا مـعـشـرَ الـسـادةِ الـغُـرِّ المـيـامـين
فـإن روحي لـتـمـشي من عـواطـفـكم
مـغـمـورةً بـالأقـاحي والـريـاحـين
ومـقـلـتي تـتـمـشى، من وجـوهـكمُ،
في أنجمٍ تـتـجـلّى لي فـتَـهـديـني
أرنـو فـيُـشـرقُ في نـفـسي جـمـالُـكمُ
كـالـوحي في خـاطـرٍ بـالـوحي مـفـتـون
إن المـروءةَ لـو شـادتْ أريـكـتَـهـا
كـانت قـوائـمُـهـا شُمَّ الـعَـرانـين[٢]
تـرقُّ أخلاقُـكمْ كـالـخـمـر آونـةً
وتـارةً تـمـزُجـون الـبـأسَ بـالـلـين

---

(١) ألقيت في الحفلة التي أقامتها الجمعية لتكريمه (١٩٢٥) بصفته رئيسها السابق. اختار منها جورج صيدح ثلاثة عشر بيتاً في الديوان الذي أصدره من شعر الشاعر (تبروتراب) : النص ٥٧.

ومن يـجـرّبـكمْ في الحـالـتـين يـجـدْ
لُـطفَ الملائكِ أو حَـزْمَ الأسـاطـين[1]
بـكُمْ أَصـولُ عـلى الأيـام ثـائـرةً
خـطـوبُـهـا، وأُبَـاهي من يُـبـاهِـيـني
لأنـتمُ المـاءُ لي والـنـفسُ ظـامـئـةٌ
وحُـبـكمْ قـمـري في لـيل «كـانـون»
أحـبـبْـتُـكمْ حبَّ إنـسـانٍ لإخـوتِه
إذ لـيس بـيـنَـكمُ فـوقي ولا دوني
إنْ كـان فـيـكمْ ضـعـيفٌ لا يـحـاذرني
أو كـان فـيـكم قـويٌّ لا يُـقـاويـني
ولا أُداجي لأمـرٍ مـنـكمُ أحـداً
ولا أرى أحـداً مـنـكمْ يُـداجـيـني[2]
نـحـلـتـمـونيَ فـضلاً لـستُ صـاحـبَه
ولم يـكن قطُّ في ظـني وتَـخْـمـيـني
لـكن رأيـتمْ خـيـالاً من فـضـائـلـكمْ
فـخِـلـتمُ أنه خُـلْـقي وتـكـويـني
والـشـمسْ إن نـظرتْ في المـاء صـورتَـهـا
رأتْ هـنـالكَ شـمـسـاً ذاتَ تـلـوين

قُلْ لامـرئٍ مـثلِ «قـارونٍ» بـثـروتِه:
إني امـرؤٌ بـصِـحـابي فـوقَ «قـارون»[3]
من يـصـطـنعْ صـاحـبـاً تـبـقَى مـودتُه
فـهْـوَ الـغـنـيُّ به لا ذو الملايـين

(١) الأساطين: السواري، المفرد: أسطوانة، وهي السارية.
(٢) المداجاة: المداراة.
(٣) من وزراء الفراعنة. يُضرب به المثل في الغنى والغرور، وإليه تنسب البحيرة في الفيوم.

فاختـرْ صِـحَابك وانـظر فـي اختـيـارِهمُ
إلى الـغـرائـز قـبلَ الـلـونِ والـدِّين

☆☆☆☆☆

المـرءُ في هـذه الـدنـيـا عـواطـفُه
إن تـنـدرسْ فـهـوَ بـيتٌ غـيـرُ مَـسـكـون
وإنّ عـاطـفـةً هـذي مـظـاهـرُهـا
مِن عـالَم الـروح لا من عـالَم الـطـين
لـو فَـاتـني كلُّ مـا في الأرض من ذهبٍ
ولم تـفُـتْـني فـإني غـيـرُ مَـغـبـون

☆☆☆☆☆

لَـوِ الـقَـوافي تُـؤاتـيـني شـكـرتـكمُ
كـمـا أريـدُ، ولـكنْ لا تـؤاتِـيـني
فاستـنطِقُوا القلبَ أو جُسّوه يخبرُكم[1]
فـالحبُّ والـقـلب مـكـنـونٌ بمـكـنـون
وفي زوايـاه شِـعْـرٌ لا وِزان لـه
ورُبَّ شـعـرٍ جـمـيلٍ غـيـرِ مـوزون
إني سـأحـمـدُ يـا صـحـبي صـنـيـعَكمُ
حـمْـداً إلى الـدهـر لا حَـمْـداً إلى حـين

✱✱✱✱

(١) وقعت جواباً للطلب، ولكنه ساقها على هذا النحو، حفاظاً على الوزن.

٣٧ - نشيد يوسف بك كرم[١]

[البسيط]

يـا من هـزمتَ الـعِـدا في كل مُـعْـتـرَكٍ
في مـهـجـتي جـيشُ حـزنٍ غـيـرُ مـنـهـزمِ
لـفّـوك بـالـعَـلَم الـقـاني، ومـا عـلـمـوا
أن الـتُّـقَى والـنُّـهى والمجـدَ في الـعَـلَم
وغـيـبـوا الـبـطلَ الـصِّـنـديـد في جَـدَثٍ
وأودعـوا في الـثّـرى طَـوداً من الـشَّـمَم
لا «يـوسفٌ» آخـرٌ يَـحـمي مَـرابـعَـنـا
مضى الردى بالشجاع الطاهر الشِّيم
ولا فـوارسَ حـول الأرز رابـضـةً
كالأُسْد في الغاب، كالعِقبان[٢] في القِمَم
«لـبـنـانُ» بـعـدك في لـيلٍ بلا قـمـرٍ
وأرزُ «لـبـنـانَ» في جـوٍّ من الألم
لـلـهِ عـهـدُكَ من عـهـدٍ نـقّـدسُه
وتَـسْـتـلـذُّ به الأرواحُ في الحُـلُم
لم يـبقَ غـيـرُ خـيـالاتٍ تـطـوفُ بـنـا
فـيـا نـفـوسُ إذا مـرَّتْ بكِ ابـتـسِـمي
يـا راقـداً في ضـريحٍ كـلُّه شـرفٌ

---

(١) زعيم لبناني تزعم حركة تمرد مسلحة ضد الوالي العثماني. دفن في (اهدن) حيث ولد، بعد أن نفي إلى فرنسا (١٨٢٣ - ١٨٨٩). ابتاعها أحد الموسيقيين (اسكندر المعلوف) ولحّنها وسجّلها على اسطوانة صارت تباع في الأسواق.

(٢) العُقاب: من جوارح الطير (أنثى) وجمعها: عِقبان.

قــام الأسُــودُ إلى أســيــافــهم، فــقُمِ
يا صاحبَ السَّيفِ، كاد السَّيفُ يُهلكُنا
يــا لــيثَ «لــبــنــان»! عــاثَ الــذئبُ بــالــغَــنَم
أشْــرِفْ بــروحك مِن أَوْج الــسَّــنــاءِ عــلى
ســهــولِ «لــبــنــانَ» والــغــابــاتِ والأكَم[1]
يــدعــوك لــلــجــود «لــبــنــانٌ «وأرزتُه
يــا ابن الأكــارمِ، هــذي ســاعــةُ الــكَــرَم

✱✱✱✱

(١) الأكمة: التلّ، وجمعها: أكم وآكام.

٣٨ - إلى ندره حداد[١]

[مجزوء الكامل]

إنَّ العيونَ وطالما أودعتَ شعرَك سحرَها
حَملَتْ عليكَ فأدركتْكَ، وأدركتْ بكَ ثأرها
قد كنتَ تَخشى أسْرها، فغدوتَ تحمَد أسْرها
وإذا الفتى عرَفَ الهوى، عرفَ الحياةَ وسرَّها
فأحبَّها تسقيهِ حازرَ[٢] خلِّها أو خَمرِها
وإذا رأى أشواكَها أغضَى ليلمحَ زهرَها
ويظلُّ يرجو فجرَها، والليلُ يطمُس فجرَها

قدْرُ الفتى في حبِّه، فارفعْ لنفسكَ قدْرها
«ندره»، صبرْتَ على زمانِك طائعاً لا مُكْرَها
الغيدُ حولَك كالنجوم، وأنت تؤثرُ هجرَها
ولكَ الشبابُ وكلُّ ما خدعَ النفوسَ وغرَّها
لا النفس زاهدةٌ، ولستَ كمَن تكلَّفَ قهرَها
لكنْ شُغلتَ بغادةٍ تَخِذتْ قريضَك خِدْرَها
ما زلتَ تنعتُها وتجهلُ مثلَ غيرِك أمرَها
حتى جفَتْ قَصْرَ الخيال، وصار قلبُك قصرَها
فاشكُرْ لدهرِك جُودَه واحمَدْ لنفسِكَ صبْرها
ونَعِمْتُما وأمِنتُما مَدَّ الحياةِ وجَزْرَها

✱✱✱✱

(١) أرسلها إلى زميله في (الرابطة القلمية) يهنئه فيها بخطبته عام ١٩٢٥. وتلا القصيدة التي بعدها (النص ٣٩) في حفل زواجه.

(٢) الحزْر من اللبن: فوق الحامض.

٣٩ - في عرس ندره حداد

[مجزوء الخفيف]

شـــاعـــرٌ كـــان حـــائـــراً
أذهـبَ الحبُّ حـــيـــرتَـهْ
طـــائـــرٌ كـــان تـــائـــهـــاً
وجـــد الآن جـــنّـــتـه
صـــولـــةُ الحُـــسْن والـــهـــوَى
تـــسـلُبُ المـــرءَ صـــولَـــتَه
إنّ «نَـــدْرَةَ» الـــذي بـــغى
أن يُـــعـــاصي مـــشـــيـــئَـــتَه
أســـلَمَ الـــيـــومَ قـــلـــبَهُ
بـــيـــديه ومـــهـــجـــتَه
لـم يـــكـن زاهـــداً ولا
جـــاهـلاً قـطُّ قـــوتـه
فـــلـــكَمْ هـــدّ قـــلـــعَـــةً
قـــبـــلـــمـــا هـــدّ قـــوتَه
بلْ لأمـــرٍ مـــقـــدَّرٍ
أخّـــرَ الـــدهـــرُ قُـــرعـــتَه
يـــا أســـيـــراً كـــأنه
آســـرٌ نـــال بُـــغـــيـــته
لـــيس بـــالـــعـــاشقِ امـــرؤٌ
خـــافَ في الحب مِـــحـــنـــته

إنمـــــا الحبُّ ضَـــــلّـــــةً
لـــو عـــرفـــنـــا حـــقـــيـــقـــتَه
أنتَ يـــا صـــــاحِ بـــلـــــبلٌ
يـــعـــشقُ الـــكلُّ نـــفـــحَـــتَه
جـــــدَّدتْ دولـــــةُ الـــــهـــــوى
بك لـــلـــشِّـــعـــرِ دولـــتَه
دمتَ في الـــعـــيش صـــاحِ لا
يُـــخـــلقُ[1] الـــدهـــرُ جِـــدَّته

☆☆☆☆☆☆

نـــــصَبَ الحبُّ فـــــخَّهُ
وهـــو يـــدري قَـــنـــيـــصـــته
وكـــمـــا صـــادَ «نـــدرةً»
ســـوف يَـــصـــطـــادُ إخـــوتَه
فـ «جـــــواداً» و «ثُـــــريّـــــا»
و «خـــــلـــــيـــلاً» وزمْـــــرَته
وغـــداً، وهـــوَ مُـــقْـــبلٌ،
يـــعْـــلَقُ الـــكلَّ عَـــلْـــقَـــتَه!

✱✱✱✱

(١) أخلق الدهر جدّته: أبلاها (خَلُق الشيء: بَلِيَ).

٤٠ - كذا الإله خَلَقَهْ[١]

[مجزوء الرجز]

إلى مـــــتى تُـــضـــلُّـــكمْ
يـــا قـــومُ تـــلك الـــورقهْ؟
إلام يَـــســـتـــجْـــهِـــلُـــكمْ
أَجـــهلُ من «هَـــبَـــنَّـــقَهْ»؟[٢]
أراقـــكُمْ مَـــنـــطـــقُهُ؟
وقـــد عـــرفـــتمْ مَـــنْـــطـــقَه
أم صـــــوتُـه ؟ وصـــــوتـهُ
أحـــسنُ مـــنه الـــنـــقْـــنَـــقَه
أم وجـــــهـه ؟ ولـــــو رآ
هُ الـــقـــردُ «طـــاح الحَـــلَـــقه»
هـــو الـــذي طـــاف عـــلـــيْ
ـــكمْ يـــســـتـــدرُّ الـــصَّـــدَقه
فـــمـــا تـــراءى شـــبحٌ
مـــنـــكمُ إلا لَـــحـــقَه
ومـــا أصـــابَ مُـــوصَـــداً
فـي الحـي إلا طـــــــرَقـه

---

(١) (جريدة مرآة الغرب ٩ / ١ / ١٩٢٦) ردّ بها على أبيات ظهرت في جريدة (الهدى) أواخر سنة ١٩٢٥ وأوائل سنة ١٩٢٦. وعارضها أسعد رستم في أربعين بيتاً (جريدة الهدى ١٥ / ١ / ١٩٢٦) بعنوان: «هل يستحق المشنقة ؟» وهو عجز بيت كان أبو ماضي أتى به في أبيات من قصيدة نظمها سنة ١٩١٤ ونقل منها هنا (على عادته أحياناً) جملة أبيات (انظر النص رقم ٨: اليهودي التائه).

(٢) يُضرب به المثل في الحمق.

ومـــــــا رأى مـــــــائـــــــدةً
إلا أمـــــــالَ عُـــــــنُـــــــقَه
أعـــــجـــــبَهُ سَـــــمْـــــنُـــــكمُ
فـــصـــــار مـــثل الـــعَـــلَـــقه
يَـــــمـــــتصُّ أمـــــوالَـــــكمُ
مصَّ الـــهـــجـــيـــرِ الـــزَّنـــبـــقه
يملأ من جـــــيـــــوبـــــكمْ
جـــــيـــــوبَه الـــــمُـــــخَـــــرَّقه
في كل يـــــومٍ يـــــبـــــتـــــغي
ضـــــريـــــبـــــةً أو نَـــــفَـــــقه
كـــــأنـــــكمْ بُـــــعُـــــولَـــــةٌ
كـــــأنه مُـــــطَـــــلَّـــــقه
بل كـــــلّـــــمـــــا أحسَّ بـــــالْـ
إملاقِ أَبْـــــدى مَـــــلَـــــقه
فـــصـــوّرَ الـــبـــحـــرَ لـــكم
وهـــــو أُجـــــاجٌ[1] «مَـــــرَقه»
وصـــــوّر الأرضَ عـــــلى اتْـ
تِـــساعِـــهـــا كـــالـــبُـــنْـــدُقه
إن تَـــســـتـــحـــوا لا يَـــســـتـــحي
كـــــذا الإلـهُ خَـــــلَـــــقه!

****

(١) شديد الملوحة.

٤١ - النار أشره آكل[١]

[الطويل]

ويـــــا رُبّ عـــــاوٍ ظنَّ أن عِـــــواءَهُ
يَـقـيه - ولـكن مـا وقـاهُ - غـوائـلي
يَـصـيحُ، وفـرطُ الخـوفِ يُـرجفُ روحَهُ،
صياحَ صغارِ الطير خوفَ الأجادل[٢]
ويـبـكي ولم تـضـغطْ عـلى عـنْـقه يـدي
فـكـيف إذا فَـارتْ عـلـيه مَـراجـلي؟
جـهـولٌ، وبـعضُ الجـهلِ يُـهـلكُ أهـلَهُ
غـبيٌ رأيـنـا فـيه صـورةَ «بـاقل»[٣]
نـصـحـتكَ ألا تجـعل الـنَّـصْل مَـرْكـباً
فـإن المـنـايـا في ركـوبِ الـمَـنـاصِلِ
وإنيَ نـارٌ لـيس يـخـبـو سـعـيـرُهـا
فلا تـصـطَـلي، فـالـنـارُ أشْـرهُ آكلِ

****

(١) ردّ بها على مقالة ظهرت في جرية (الهدى) بعنوان (النسناس القوّال).
(٢) الأجدل: الصقر.
(٣) يضرب به المثل في الغباء، في تراثنا.

٤٢ - إلى النابح العاوي[١]

[البسيط]

يـا أيـهـا الـنـابحُ الـعـاوي بلا سـببٍ
أمَـا لِـنـفـسكَ ذو ودّ فـيـنـهـاهـا؟
إن كـان غـرّك أن الحِـلْم شـيـمـتـنـا
فـربمـا خـالـفتْ نـفسٌ سـجـايـاهـا
نـحن الـنـجـومُ الـتي تـهـدي أشـعـتُـهـا
من ضلَّ، بل نـحن أسـمَـاهـا وأسـنـاهـا
لـكـنـنـا نـغـتـدي إن ثـار ثـائـرُنـا
نـيـازكـاً تـتـقِي الـدنـيـا شـظـايـاهـا
مـا حَـدَّثـتْـنـا بـغـيـرِ المجـدِ أنـفـسُـنـا
ولم نـشـأْ غـايـةً إلا بـلـغـنـاهـا
هل يـزعجُ الـشُّـهبَ نـبّـاحٌ بلا ذَنَبٍ ؟
وهل يـعـوِّقُ في الأفلاكِ مَـسْـراهـا ؟
إذا سـكَـتْـنـا فـإنَّ الـلـيثَ يـأنفُ من
قـتلِ الـبـعـوضـةِ مـهـمـا طـال قَـرْنـاهـا
إذا نـظـرنـا إلى الجِـعْلانِ[٢] سـارحـةً
ولم نـطـأْهَـا فـإنـا قـد حـقَـرْنـاهـا
وفي الحـدائقِ ذاتِ الـزهـر مـشـغـلـةٌ
عن رؤيـة الجُـعْل يمـشي في زوايـاهـا

(١) كتبها ردّاً على قصائد نشرها أسعد رستم ونشرتها جريدة (الهدى) ١٩٢٦، وعارضها هذا بعد نشرها، بقصيدة أخرى جعل عنوانها (هاها، الدور لي) !
(٢) المفرد: جُعَل: من دويبات الأرض.

فـيـا غـبـيًّـاً عـلـى جـهلٍ يـطـاولُـنـا
ورّطتَ نـفـسكَ فـانـظـرْ كـيف عُـقـبَـاهـا
مَن أنت ؟ هل أنت ذو قـدْرٍ فـنـخـفـضَه
أو حُـرمـةٍ تـتـأذى إن هَـتـكْـنـاهـا ؟
مـا أنت إلا الـهَـبـاءُ المُـسـتـطـارُ، فـهل
نَـفـري الـهَـبـاء بـأسـيـافٍ حَـمَـلـنـاهـا ؟

☆☆☆☆☆

يـا كـلبَ سـوقٍ ويـا خِـنـزيـرَ مَـزْبـلـةٍ
يـا جـيـفـةً مـا تحـامى الـنـاس إلاّهـا
عـلـى الـدروبِ كلابٌ مـا لـهـا عـددٌ
لاشك أنك أعْـداهـا وأعْـواهـا
وإنمـا الـنـاسُ في أمـرٍ قـد اخـتـلـفـوا:
هل أنت «أسـعـدُهـا «أم أنت أشـقـاهـا ؟
إن الـسَّـفـالـةَ لـو تـأوي إلى سَـكَنٍ
كـالخَـلْقِ، لم يكُ إلا أنتَ مـأواهـا
أعـيـاكَ أن تـرتـقي حـتى تـرى بـشَـراً
فـصِـرْتَ كـالـتـيسِ نَـطّـاحـاً وتَـيّـاهـا
خـبّئْ قُـرونَك، واحـذَر أن تـتـيهَ بـهـا
فـكم قـرونٍ كـهـذي قـد حَـطَـمـنـاهـا
في «الأخـطـبـوط» الـذي صـاحـبتَه عِـظةٌ
لـو كـنت تـفـهمُ مـعـنـاهـا ومَـغْـزاهـا
كم مـرةٍ قـرُبتْ مـنـا كـتـائـبُه
فـلـم تـكنْ لحـظـةٌ حـتى هـزمـنـاهـا
فـارتـدّ يُـعـولِ من يـأسٍ ومن ألمٍ
عـويلَ جـاريـةٍ قـد مـات مـولاهـا

ألم تـكُنْ كـقـرونِ الـوعْلِ، شـائـكـةٌ
قـرونُه الـسُّـودُ كُـبْـرَاهـا وصُـغْـرَاهـا ؟
الـيـومَ لـيس لـهـا عـيْن ولا أثـرٌ
نـحن الـذين بـأيـديـنـا كَـسَـرْنـاهـا
إنْ يـسـتـعنْ بك فـالـغَـرْقـانُ لـو نـظرتْ
عـيـنـاه في الـبَّـرِّ سَـعلاةً[1] لـنـاداهـا
وإن تـكن نـفـسُه في الجـسم بـاقـيـةً
فـإنمـا خُـبـثـهـا في الجسم أبـقـاهـا
فـمـا نجت بُـومـةٌ يـومـاً بـقـوّتـهـا
وإنمـا قُـبْـحـهـا المـشـهـورُ نجّـاهـا
نـفسٌ لـو انـتـشـرتْ يـومـاً نـقـائـصُـهـا
لـعـمّت الأرضَ أدنـاهـا وأقـصَـاهـا
نـفسٌ يـشُكّ الـورى في الـله إن زعـمـوا
أن الـذي خـلـقَ الأرواحَ سَـوّاهـا
فـإنَّ «عـزريل» يـخـشـى أن تـدنِـسَهُ
والأرضَ إن أصـبـحتَ في الأرض مـثـواهـا
مـا ضـرّ مَن وُصِـمتْ بـالـعـار جـبـهـتُهُ
لـو أنه بـسِـوَى الأوحَـالِ غـطّـاهـا
أتـيـتُه بـعـدمـا شَـالتْ نـعـامـتُهُ
وغـيّبَ الـبَـرُّ يُـمـنـاهـا ويُـسـرَاهـا[2]
فـكـان مـثلَ الـذي مـاتت كـرامـتُه
وكـنتُ مـثل الـذي قـد جـاء يَـنـعـاهـا

(١) السعلاة:الغول (والجمع السَّعالي).
(٢) شالت نعامته: كناية عن التفرق وزوال النعمة، أو الغياب والموت.

يـا نـذلُ!والـنـذل إنـسـان بلا شَـمَمٍ
مـا سِـيمَ من خِـطّـةٍ إلا ويـرضـاهـا
زعـمتَ خـطفَ الـظِـبـاءِ الـغـيـد عـادتَـنـا
هل أخـبـرتْك بـأنـا قـد خـطـفـنـاهـا ؟
بـالـلـه يـا نجلَ «... [1]» مـعـذرةً
إذا ذكـرنـا لُـبـانـاتٍ قـضـيـنـاهـا
كـنـا نـسِـيـنـا، ولـكن مـا بـرِحتَ بـنـا
حـتى ذكـرنـا الـتي كـنـا نـسِـيـنـاهـا
فـاغـفِرْ خطيـئتنا، نـغـفر خطيـئتَـها
واسـتـغـفـرِ الـلهَ كي نـسـتـغـفـرَ الـله

☆☆☆☆☆

ورُبَّ طـاهـرةٍ في الـبـيـت آمـنـةٍ
جـشّـمـتَـهـا خِـطّـةً شـنـعـاءَ تـأبـاهـا
حـسـبـتَـهـا كـالـتي سـاءت خلائـقُـهـا
بل كـدتَ تحـسَـبُـهـا يـا وغـدُ إيـاهـا
دنـوتَ لـلـوَرد في الخـدَّين تـقـطِـفُهُ
فـراح يـرتعُ في خـدَّيْك نَـعلاهـا !

☆☆☆☆☆

سلِ الـسُّـجـونَ الـتي جـاورتَـهـا زمـنـاً
كم لـيـلـةٍ بتّ مـلْـقىً في زوايـاهـا
وفي قـفـاكَ نـعـالُ الجُـنـد راقـصـةٌ
كـأنمـا هـو نـاديـهـا ومَـلْـهـاهـا
شـدّوا عـلـيك، وقـد خـالـوا نِـعـالـهمُ
تُـدمي قَـفـاكَ فـآذاهـا وأدمـاهـا !

---

(١) ينبغي أن يكون ذكر أمّه على صفةٍ لا تليق.

فـانـظـرْ قـذالَكَ[1] فـي «المـرآة» إنّ به
آثـارَهـا وكـثـيـراً من بـقـايـاهـا !
إن كـان هـاجَ بك الـشـوقُ الـقـديمُ لـهـا
فـعـنـدنـا ألفُ نـعلٍ قـد حـفـظـنـاهـا

☆☆☆☆☆

مـا ثَمَّ فـي الأرض من عـيبٍ نـزيـدُكَهُ
أنت المـعـائبُ أولاهـا وأُخـراهـا
ومـا هـجَـونـاكَ يـا «لا شيءَ» نـعـرفُه
بـذي الـقـوافي، ولـكـنَّـا هـجـونـاهـا!

✱✱✱✱

(١) جماع مؤخر الرأس.

٤٣ - دعهُ ينبح

[الخفيف]

قد سكَتْنا عن اللئيم طويلاً
حين كان السكونُ أولى وأصلحْ
وصفحْنا عن ذنبه وعفوْنا
عفْوَ حُرٍّ، والحُرُّ يعفو ويَصفَح
وحسِبناه يرعوي، فتمادى
وظننّاهُ ينتهي، فتنطّح
فصفعناه صفعةً بات منها
يتلوّى، وتارةً يترجّح[1]
قُلْ لمن سبَّه لئيمٌ كهذا:
شبّ بل شابَ وهو في اللؤم يَسبح
عَرِّفِ الكلبَ أنه الكلبُ للنا
سِ ودعْهُ من بعد ذلك يَنبح!

****

(١) يتثاقل (رجَح - يرجُح: ثقل).

٤٤ - خطبة ميشيل حداد

[مجزوء الكامل]

إنَّ الحـيـاةَ خـمـيـلـةٌ والـعـاشـقـينَ زهـورُهـا
الحبُ في أكـبـادنـا خَـفَـقـانُـهـا وشُـعـورُهـا
والحبُّ في زهـر الـرُّبـا ألـوانُـهـا وعـبـيـرُهـا
هـو في الجـداول شـدْوهـا، هـو في الـكـواكب نـورُهـا
من حبَّ كـان له الحـيـاةُ: سـرُّهـا وسـرورُهـا
ونـفـوسُ أبـنـاءِ الـغـرام إلى الخـلـود مـصـيـرُهـا
فـاشـربْ عـلى ذكـرى الـهـوى كـأساً هـواك مُـديـرهـا
«مـيـشـالُ»، ممـلـكـةُ الـشـبـابِ الـيـومَ أنتَ أمـيـرُهـا
زارتْكَ مـثـلَ الـشَّـمسِ في زمن الـربـيـع سُـفـورُهـا
حـسـنـاءُ كـالـظـبي الـغَـريـرِ دلالُـهـا ونُـفـورهـا
قـد طـاب خُـلـقُكَ واسْـتـوى وصـفـا، ورقّ ضـمـيـرهـا
ولـهـا الجـمـالُ وعَـرشُه . ولك الـمُـنى وقُـصـورهـا
فَـرِحتْ لحـبِّـكُـمـا الـسَّـمـا ونجـومُـهـا وبُـدورُهـا

✱✱✱✱

٤٥ - الجدول الطروب

[مجزوء الكامل]

من عـلّم الإنـشـادَ هـذا الـراقصَ المـتَـبـخـتِـرا ؟
إني اهـتـديتُ به إلـيه، وكـان سـرّاً مُـضْـمَـرا
يـجـري طَـروبـاً وهْـو لا يـدري لمـاذا قـد جَـرى
الـدوحُ حـانـيـةٌ عـلـيه تـخـاف أن يـتـكـدَّرا
ويـلَـذُّ لـلأزهـار أن تـرنُـو إلـيه وتـنـظُـرا
ولـقـد سـمـعتُ الـطّـيـرَ تـدعـوه الحـبـيبَ الأكـبـرا
فـوقـفتُ أرمُـقُه وأسـألُ حـائـراً مـسـتـفـسِـرا
مـا حـبَّبَ الأطـيـارَ والأشـجـارَ فـيه يـا تُـرى ؟
أحَـصَـاه ُ؟ إن الـبـحـر يـحـوي في حـشـاه جَـوهـرا
أمْ مـاؤهُ ؟ إني رأيتُ الـسَـيلَ مـنـه أغـزرا
أو طُـهـرُه ؟ إني وجـدت الـطلَّ مـنـه أطـهـرا
مـا الـسـرُّ في هـذي ولا في كـونه يَـسـقي الـثـرى
بل كـونُه يُـسـدي الجـمـيلَ ويـسـتـحي أن يَـظـهـرا

✱✱✱✱

٤٦ - صوت بلادي[١]

[الكامل]

مـا الـروضُ وشّـاهُ الـربـيعُ بـزهـرِه
وكـسـا ثَـراهُ مُـفَـوَّفُ الأبـرادِ[٢]
عـنـدي بـأجـملَ مـنـكمُ في نـاظـري
وأحـبَّ من أرواحـكم لـفـؤادي
أبـصـرتـكمْ فـرأيتُ صـورةَ أمّـتي
وسـمـعـتـكمْ فـسـمـعتُ صـوتَ بلادي
«لـبـنـانُ» زوَّدَ بـالـطـموحِ نـفـوسَـكمْ
لمـا رحـلـتم في طِلابِ الـزَّاد[٣]
وحَـبَـتْـكمُ «سـوريّـةٌ» بـجـمـالِـهـا
وجـمـالُـهـا فـوق الجـمـال الـعـادي
فـأنـا أُحـيي في كـهـولـكمُ الـنُّـهى
والـطُّـهـرَ والأحلامَ في الأولاد[٤]
والحُـسْنَ في فـتـيَـاتِـكم، والـعَـزمَ في
فِـتْـيـانـكم، ومـروءةَ الأجـداد
الـنـاسُ عـنـدي كـالـشـهـورِ، وإنـكم
في الـنـاس كـالآحـادِ والأعـيـاد
فـإذا سـكتُّ فـكَيْ أنـاجـيَـكم وإن
أُنـشِـدْ فـلـيس لـغـيـرِكمْ إنـشـادي

****

(١) استهل بها خطبة ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها له الجالية في توليدو أوهايو (١٩٢٧) .
(٢) الفوف: الزهر. والأبراد: جمع البُرد.
(٣) يقصد: طلب العيش.
(٤) النُّهية: العقل، لأنه ينهى. وجمعها: النُّهى.

٤٧ - يا ليتني...[١]

[السريع]

إذا أطلَّ الـــــبـــــدرُ من خِـــــدرِهِ
فـــإنمـــا يـــطـــلُع كي تـــنـــظـــريهْ
وإن شـــدا الـــبـــلـــبلُ في وَكـــرِهِ
فـــإنمـــا يـــشـــدو لـــكي تَـــسـمَـــعِـــيه
وإنْ يَـــفُحْ عـــطـــرُ زهـــور الـــرُّبـــا
فـــإنمـــا يـــعـــبَقُ كي تـــنـــشَـــقـــيه
يـا لـيـتـني الـبـدرُ الـذي تـنـظـرينْ !
يـا لـيـتـني الـطـيـرُ الـذي تـسـمَـعـين!
يـا لـيـتـني الـعـطـرُ الـذي تـنـشَـقـين !
أواه لـــو تـــصـــدُق «يـــا لـــيـــتـــني»!

****

(١) نشر في ملحق الجداول (دار اليقظة) بعنوان (عروس الجمال).

٤٨ - الزمهرير[١] في نيسان

[الخفيف]

رجعَ الــزمــهــريــرُ أمسِ إلــيــنــا
ورجــعــنــا نــشــكــو من الــزمــهــريــرِ
جــاء «نَــيــســانُ» كــالحَ الأفق، عــارِيَ الـ
أرض، حــيــرانَ كــالــيــتــيم الــفــقــيــر
أو كــمَــلْكٍ داس الــغــزاة حِــمَــاهُ
فــهــوَ في حَــيْــرةٍ وفي تــفــكــيــر
أو فــتــاةٍ مــفــجــوعــةٍ بــحــبــيبٍ
مــات في وجــهــهــا ضــيــاءُ الــسُّــرور
إيهِ «نَــيْــســانُ «قــد أتــيتَ، ولــكن
بمــحــيّــا إفْكٍ[٢] وحــالــةِ زُور
لا دلــيلٌ عــلى وجــودكَ يــا شَــهْـ
ـرَ الأقــاحي ســوى غــنــاءِ الــطــيــور
لــيتَ شــعــري مــاذا دهــاكَ فــلم
تُــخــرجْ لــنــا الــزهــرَ من وراء الــسُّــتــور؟
نــحن لــولا الحــســابُ خِــلْــنــاكَ لم تُــو
لَــدْ، وأنّ الــشــهــورَ غــيــرُ الــشــهــور!

****

(١) شدّة البرد.

٤٩ ـ النجمة الهاوية[١]

[مخلع البسيط]

هـــذا هـــو المـــنـــزلُ الأخـــيـــرُ
إلى هـــنـــا يـــنـــتـــهي الـــمَـــسـيـــرُ
ويـــنـــطـــوي الخـــوفُ والـــتـــرجّي
ويـــنـــقـــضي الحـــزنُ والـــسُّـــرور
مـــا كـــان أحـــلى الحـــيـــاةَ لـــو لم
يـــكنْ إلى الحُـــفـــرةِ الـــمَـــصـيـــر
كم من عـــصـــورٍ مـــضتْ وغـــابتْ
فـــيـــهـــا ولم تـــشـــبَعِ الـــقـــبـــور

⁂

مـــــررتُ بـــــالـــــزهـــــورِ ذابلاتٍ
كـــأنمـــا مـــسَّـــهـــا الـــسَّـــعـيـــرُ
فـــقـــلت: مـــاذا عـــراكِ حـــتى
فـــارقكِ الـــزَّهـــو، يـــا زُهـــور ؟
فـــلـــم تجـــاوبـــني الأقـــاحي
وإنمـــا جـــاوب الـــغـــديـــر
فـــقـــال: «ســـلـــمى» مـــضتْ، وكـــانت
زنـــبـــقـــةً مـــا لـــهـــا نـــظـيـــر
فـــغَـــاضَ نـــهـــرٌ وجفَّ روضٌ
وغـــاب نجم وانـــدكّ سُـــور

(١) في رثاء (سلْمى ملّوك)، قرينة (عزيز عطية). وتليت في مدفنها في نيويورك (١٩٤٠) .

يـا وحـشـةَ الـدار بـعـد «سـلـمى»
فـقـد خَـبـا بـدرُهـا المـنـيـر
«سـلـمى» الـتي صـمـتُـهـا وقـارٌ
وفي أحـاديـثِـهـا عـبـيـر
فـلـيس في مَـشْـيـهـا اخْـتـيـالٌ
ولـيس في نُـطـقـهـا غـرور
كم بـائسٍ لاذ في حِـمـاهـا
وكم رجـا رفـدَهـا فـقـيـر
ألـيس جَـوراً من الـلـيـالي
أن تحـتـوي الـلـؤلـؤَ الـقـبـورُ ؟

☆☆☆☆☆

يـا قـبـرَ «سـلْـمى»، مـا أنتَ قـبـرٌ
بل عـالَم نـيّـرٌ طـهـور
فـفـيك مـثلَ الـريـاض عـطـرٌ
وفـيك مـثلَ الـسـمـاء نـور
حـويتَ دنـيـا نُـبلٍ وفـضلٍ
يـاأيّـهـا الحـيّـزُ الـصَّـغـيـر
لم أرَ مِن قـبـلـهـا ثـريّـا
شـعّـاعـةً في الـثَّـرى تـخـور[1]
وقـبل إخـوانـهـا نـسـوراً
تـبـكي، أجل قـد بـكى الـنُّـسـور

☆☆☆☆☆

(١) خار - يخور: صاح. يريد هنا: أرسلت نورها.

«عـزيـزُ»، يـا ضَـيـغـمـاً[1] جـريـحـاً
وطـــائـــراً جـــنْـــحهُ كـــســـيـــر
الـــدمع في مـــقـــلـــتـــيه يَـــطـــغى
والحـــــزنُ في صـــــدره يَـــغُـــور
الخَـــطبُ يـــا صـــاحـــبي كـــبـــيـــرٌ
وأنت يـــا صـــاحـــبي كـــبـــيـــر
فـــكنْ صـــبـــوراً عـــلى الـــرزايـــا
فـــإنمـــا يُـــؤجَـــرُ الـــصَّـــبـــور

✱✱✱✱

(١) الضيغم: الأسد.

٥٠ - رثاء رشيد أيوب

[الرمل]

نـــام لـــمّـــا تـــعِـــبتْ أجـــفـــانُهُ
وإذا مـــا تـــعبَ الإنـــســـانُ نـــامْ
خـــرجَ الـــشَّـــاعـــرُ من دنـــيـــا الأسى
مـــثـــلـــمـــا يـــنـــسلُّ نـــورٌ من قَـــتـــام
ومـــضى عـــنـــا إلى مـــوطـــنه
وطنُ الـــشَّـــاعـــر أمْـنٌ وسلام
لا تـــقلْ: هـــذا الـــذي كـــان انـــطـــوى
مـــا انـطـوى، يـا صـاحـبي، إلا الـرُّغَـام[1]
ســـائِـــلـــو الجـــدولَ عن ألحـــانه
فـــهي في الجـــدول وجْـــدٌ وهُـــيـــام
وســـلـــوا الأزهـــارَ عن أحـلامه
فـــهي في الـــزهـــر أريجٌ وابـــتـــســـام
وســـلـــوا «صِـــنّـــين»[2] عن شـــاعـــره
إنـه فـــيـــه جـلالٌ واحـــتـــرام
هـــو في قـــمّـــته عـــزّتُـــهـــا
وهـو في الـوادي اتّـضـاعٌ واحـتِـشـام
لم يـزلْ مـا بـيـنـنـا أسـطـورةً
يـتـلـقـاهـا كـرامٌ عن كـرام

☆☆☆☆☆☆

(١) الرُّغام: التراب.
(٢) الجبل في المتن الشمالي من لبنان. والمرثيّ من قرية (بسكنتا) في سفحه. وهو زميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية).

أيـــهـــا الـــشَّـــاعـــرُ لا تـــخشَ الأذى
لـــستَ بـــعـــد الـــيـــومِ جـــاراً لأنـــام[1]
جـــهـــلـــوا قـــيـــمـــةَ أرواحـــهمُ
فـــغـــدا الجـــوهـــرُ عـــبـــداً لـــلـــحُـــطـــام
لا هـــنـــاءٌ لـــنـــفـــوسٍ صُـــوِّرتْ
من ســـنـــاءٍ[2] معْ نـــفـــوسٍ من ظلام
أُعـــتـــقتْ روحُك من أغلالـــهـــا
وأنـــاشـــيـــدُك من أســـرِ الـــكلام
أنت بـعـد الـيـومِ لا يـشـكـو الـطَّوى
جـسـمُك الـعـاني، ولا تـخشَ الـسَّـقـام[3]
أنت في الـدنـيـا الـتي أحـبـبـتَـهـا
وهي دنـيـا الحُّـر فـيـهـا لا يُـضـام
لـــيس فـــيـــهـــا قِـــيَـمٌ زائـــفـــةٌ
تـــخـــدعُ الـــعـــقل وآمـــالٌ جَـــهَـــام[4]
لـيس فـيـهـا كـالـتي فـارقـتَـهـا،
أعـــيـنٌ يـــقـــظى وأرواحٌ نـــيـــام
رَوِيتْ نـــفـــسُك من كـــوثـــرهـــا
وبـــقِـــيـــنـــا لِـــعَـــنَـــاءٍ وأُوام[5]
نمْ هـــنـــيـــئـــاً، إن أحـــلى غـــبـــطـــةٍ
ـ مـثـلـمـا تـعـرفُ ـ رؤيـا في مَـنـام!

****

(١) لم تعد جاراً لأحدٍ من الناس.
(٢) السناء: الرفعة، وأرادها للنور (السنا).
(٣) السقام: المرض. والعاني: المتعب.
(٤) الجَهام: السحاب الذي لا ماء فيه.
(٥) الأوام: العطش. ودُوار في الرأس.

٥١ - إنه الشاعر[١]

عـنـدمـا أنـشـأ الـوجـودَ الـلهُ
في زمـانٍ في الـدهـر مـا أقـصـاهُ
وبَـدَتْ في الـنَّـبـاتِ والمـاء والأحـيـا
ء والـصـخـرِ يـقْـظـةٌ وانـتـبـاه
فـأطـلّت من الـسـمـاء الـدَّراري
وتجـارَتْ عـلى الـصَّـعـيـدِ المـيـاه
وتـرامى الـنَّـسـيمُ في صـفـحـةِ الـنـهْـ
ـرِ بـأسـرارِ وَجْـدهِ وهـواهُ
وسـرى الـفـجـرُ يـوقظ الـروضـةَ الـوسْـ
ـنى ويُـذري عـلى المـروج نَـداه
ومـشى الـلـيل بـعـده يَـطـمُس الأشـ
ـيـاء إلا أحـلامَـه ورؤاه
والـورودَ الحـسـنـاءَ إلا شـذاهـا
والـغـديـرَ الـطـروب إلا صـداه
نـظـر الـلـه في الـسـمـاء وفي الأر
ضِ طـويلاً فـتـمـتـمتْ شـفـتـاه:
« إنـني قـد خـلـقت كـونـاً بـديـعـاً
كلُّ شيءٍ فـيـه كـمـا أهـواه
غـيـرَ أني نـسـيتُ أخـلُقُ شـيـئـاً
لازمـاً لا يُـتـمّـه إلاه

(١) يبدو أن المعني فيها: الشاعر الحمصي نسيب عريضة، وهو زميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية) .

وهــو «عــينٌ» تــرى الــوجــود كــعــيــني
ولــســـــانٌ يـــقـــول: مـــا أحلاه »!
وإذا الـــلـــه شـــاء أمـــراً قـــضـــاهُ
أو تـــمـــنّى وجـــودَ شيءٍ بَـــراه
فـــإذا كـــائنٌ له هـــيـــكلُ الـــطـــيـ
ـن وفـي هـــيـــكلِ الـــتـــراب إله!
ذو فـــؤادٍ تـــظلُّ فـــيه الأمـــاني
في صـبـاهـا، وإن تـقـضّى صِـبـاه
كلُّ من يـــعـــشَقُ الجـــمـــالَ أخـــوهُ
كل أرضٍ فـيـهـا الـهـوى مـغـنـاه
هـــو لـــلـــحقِّ غـــيـــظُه ورضـــاهُ
وهـــو لـــلـــحبِّ ضِـــحْـــكُه وبُـــكـــاه
مَن تُـــراه هـــذا الـــذي صـــاغه الـــلـ
ـه كـمـا يـشـتـهـيه لـمّـا اشـتـهـاه ؟
إنه الـــشَّـــاعـــرُ الـــذي كلُّ دنـــيـــا
تـنـطـوي قـبلَ تـنـطـوي[1] دنـيـاه
كم سـقـانـا خـمـراً بـغـيـر كـؤوسٍ
فَـسـكِـرنـا ولم تَـذُقـهـا الـشِّـفـاه
وأرانـا الـصَّـبـاحَ والـلـيلُ يـغـشـا
نـا بـأكـفـانه كـمـا يَـغـشـاه
يـــعـــشقُ الـــروضَ في حُلاه، ويَـــهْـ
ـــواهُ مـــعـــرّىً مـــجـــرّداً من حُلاه
يـرتـوي الـنـاسُ بـالمـيـاه ويـرويْـ
ـهِ خـــريـــرٌ تُـــصـــغي له أُذْنـــاه

(١) في التقدير: « قبل أن تنطوي. ..»

أيــهــا الــســائــلــون عــنه: لمــاذا
لــيس يــســعى لــلــغــنى كــســواه ؟
مــا الــغِــنَى عــنــدكمْ ؟ فــإنيَ أخــشى
أن تــكــونــوا جَــهِــلــتمُ مــعــنــاه
أهــو المــال ؟ مــا وجــدتُ غــنــيّــاً
قــطُّ إلا ومــــــــالُــهُ مــــــــولاه
أفَــمَنْ كــان كــوكــبــاً يــهــجُــرُ الأُفْـ
ـقَ لــتُــمــسي زجــاجــةٌ مــثــواه ؟
والــذي الــكــونُ دارُه، كــيف يُــرضِــيـ
ـهِ انــزواءٌ في حَــفــنــةٍ من ثَــراه ؟
وجــد المــالَ عــاتــيــاً مــســتــبــداً
فــــأبى أن يــــكــــونَ مِن أَســــراه
لا تــقــولــوا: مــاذا اقــتــنى وحَــواهُ ؟
أيُّ شيءٍ خَــــيــــالُه مــــا حــــواه ؟
إنه الــشَّــاعــرُ الــذي ازدادتِ الــدُّنْـ
ـــيــا بــهــاءً لمّــا غــدتْ مــأواهُ
فــاشــربــوا، يــا رفــاقُ، ســرَّ فــتى «الــعــا
صــي» وحــــــيُّــــــوه، إنــه إيّــــاه!

✱✱✱✱

٥٢ - تكريم الأب منصور إسطفان[١]

[الكامل]

لم أنسَ حين مشتْ إليَّ تلومُني
لما رأتْني باسماً مُستَهلّلا
قالتْ: أتطربُ، والمنايا حُوّمٌ
في الأرض، كيف رمتْ أصابتْ مقتلا ؟
انظر، فقد خلَتِ البيوتُ من الشَّبا
بِ ولا جمالَ لمنزلٍ منهم خلا
فسألتها: أوَليس من أجل العُلا
وهَنائنا خاضوا الوغى ؟ قالت: بلى
يا هذه، أإذا بكيتِ لبُعدِهمْ
يتبسَّمونَ ؟ أجابت الحسناء: لا
كُفّي الملامَ إذنْ، فما أنا جاهلٌ
ما تعلمينَ، وكيف لي أنْ أجهلا ؟
لكن بعثتُ الفكرَ في آثارهمْ،
في البحر، في الأجواء، في عُرْض الفلا
فرأيت نورَ المجدِ فوق بُنودهمْ
ورأيتُهمْ يمشونَ من نصرٍ إلى..
سدّوا على الباغي المسالكَ كلها
فالموتُ إنْ ولّى وإنْ هو أقبلا

---

(١) اقتصر جورج صيدح، من النص على أحد عشر بيتاً الأولى، ونشرها في الديوان الخامس الذي أشرف على إصداره بعد موت الشاعر، باسم (تبر وتراب النص ١٤)، وجعلها بعنوان عجز البيت الحادي عشر: (ستعود دنيانا أحب وأجملا).

فـإذا شـمـمتِ الـيـومَ رائـحـةَ الـدِّمـا
ء وطـالـعَتْ عـيـنـاك آثـارَ الـبِـلى
فـاستـبشـري، فـغـداً إذا الـنـقْع[1] انجلَى
سـتـعـودُ دنـيـانـا أحبَّ وأجـملا
بـالـطـامـحـين إلى الـكـمـال، الـعـامـلـيـ
ـن عـلى الإخـاء، الـنـاهـضـين إلى الـعُلا
كـ «الإسـطـفـانيّ »الـذي لا يـأتـلي
حـربـاً عـلى الـبـاغي وعـونَ الـمُـبـتَـلى
مـسـتـهـديـاً بـ «الـنـاصـريّ»[2]، مـبـشّـراً
بـالحبِّ والـغـفـران مـا بـين الـمَلا
حـلـوُ المـودةِ، لا يـشـوبُ ولاءَه
كَـلَفٌ، ولا يـسـلـو الـصـديقَ وإن سَلا
مـا إنْ دعـا داعٍ لـنُـصـرةِ بـائسٍ
إلا وكـان هـو الـمُـغـيثَ الأوَّلا
إن لـم يـشـيّـد هـيـكلاً من مـرمـرٍ
فـلـقـد بـنى في كل قـلـب هـيـكلا
خُـلُق كـمـاء المُـزْن عـذْب طـاهـرٌ
وسـجـيّـةٌ تَـحـكي الـرحـيقَ الـسَّـلـسَلا
يـا ابْنَ الألى مـا دارَ يـومـاً ذكـرهمْ
في مَـحـفِلٍ إلا أضـاءَ الـمَـحـفِلا
كـانـوا ربـيـعـاً زاهـراً في جـيـلـهم
ومـضَـوا، ومـا زالـوا ربـيـعـاً مُـقْـبِلا
لـبِس الحُـلى[3] قـومٌ فـمـا شـرُفـوا بـهـا
وغُـنِـيت بـالخُـلُقِ الـرفـيـعِ عن الحُـلَى

---

(١) الغبار.
(٢) السيد المسيح (عليه السلام) وقد ولد في الناصرة.
(٣) يريد: الحَلْي، وجمعه: الحُليّ.

عـبـثـاً يـحـاولُ طـمْسَ فـضـلك مُـرْجِفٌ[1]
لا يـبـلـغُ الـنـجمَ الـغـبـارُ وإنْ عَلا
كم هـاجـمتْ «لـبـنـانَ» ريحٌ صَـرصـرٌ[2]
لـتـدكَّه، أرأيـتـمـوه تَـزلْـزلا ؟
زعمَ الـقـصـائـدَ لـيس تُـشـبع جـائـعـاً
لـم يـخـلُقِ الـلـهُ الـورودَ لـتُـؤكلا !
الأنـبـيـا ـ والـوحي شـعـر رائع ـ
شـبـعـوا، ومـا أكَلـوا الـكـتـابَ الـمُـنْـزلا !
الـشِّـعـر رَيْـحـانُ الـنـفـوسِ إذا صَـفَتْ
أمّـا إذا كَـشـفتْ طـبـيـعـتَـهـا فَلا
فـاغـفـرْ مَـسـاءَتَهُ، فـإن الحُـرّ مَن
يـعـفـو عن الجـانـي الأثـيمِ تَـفـضُّلا

سُـقتُ الـثـنـاءَ إلـيكَ حـلـواً سـائـغـاً
لـو لـم يـكن في مـدْحِ شـخـصِك مـا حَلا
هـؤلاءِ قـومُكَ، يـا حـبـيبَ قـلـوبِـهم،
وافَـوا كـمـا تـرِدُ الـطـيـورُ الـمَـنْـهلا
لم يُـكـرمـوا الـعـشـرين والخـمس الـتي
مـرَّتْ، بل الأدَبَ الـصـحـيحَ الأنْـبلا
عِش، يـا صـديـقي، مـثـلَـهـا في مـثـلـهـا
لـلـعـلـم رُكـنـاً، لـلـفـضـيـلـة مَـوئلا

****

(١) أرجف: خاض في الأخبار الكاذبة.
(٢) ريح صِرّ وصَرْصَر: شديدة البرد، وشديدة الصوت.

٥٣ - رثاء إلياس عطا الله [١]

[الكامل]

دنـــــيـــــا من الآمـــــال والأحلامِ
زالتْ وغـــابتْ مـــثلَ طـــيف مـــنـــامِ
عـصَفَ الـردى بـورودهـا فـتـنـاثـرتْ
ومـضى بـشـاديـهـا وبـالأنـغـام
لم يـبقَ فـيـهـا دوحـةٌ تحـنـو عـلى
تـــعبٍ، ولا مـــاءٍ يـــفـــيضُ لـــظـــامي
أرسـلتُ صـوتي في جـوانـبـهـا فـلم
يـــــرجعْ إلى أذني غـــــيـــــرُ كلامي
«إلـــيـــاس» إنك أنت دنـــيـــاي الـــتي
ضـــيـــعـــتُـــهـــا، ورجـــعتُ بـــالآلام

يـا صـاحـبًـا قـد كـنت أسـتـهـدي به
إن ضـــاع مـــصـــبـــاحي، وجنَّ ظلامي
لا تـــســـألـــني عن فـــؤادي، إنـــني
ســـلّـــمتُ لـلأحـــزان قـــلـــبي الـــدامي
أرفـيـق روحي، قـد أتـيت مـسـلـمـا
«إلـــيـــاس» مـــا لك لا تـــردّ سلامي؟
عـــجـــبًـــا، كـــأنك في زمـــان غـــابـــرٍ
أو مـــــوضـعٍ قـــــاصٍ وأنت أمـــــامي

(١) ألقاها الشاعر في حفل تأبين زميله في (الرابطة القلمية) إلياس عطا الله (١٩٤٣)، في بروكلن، جنوبي نيويورك.

أنـــا مع رفـــاقِكَ تـــائـــقـــونَ لـــقـــولـــةٍ
أو لـــفـــظـــةٍ، فـــانـــطقْ ولـــو بملام
يـا عِـظْمَ خَـيـبـتـنـا، فـإنـا نـبـتـغي
خـــمـــرًا، ولا من خـــمـــرةٍ في الجـــام
إن الـذي قـد كـان مـعـنـا قـد سـمـا
عـــنـــا، وصـــار مع الإله الـــسّـــامي
ومَن اســـتـــوى في عـــالم الأرواح لا
يـــدنـــو إلـــيه عـــالمُ الأجـــســـام

✱✱✱✱

٥٤ - دار «السمير» الجديدة[١]

[الرجز]

يـا مـرحـبـاً بـالأصـدقـاء، مـرحـبـا
مـلأتمُ الـــــدار وروحـي طَـــــرَبـــــا
ضـحكتُ لـمّا قـيل لـي: الـصيفُ انقـضى
وأنـــتمُ حَـــولِي كـــأزهـــار الـــرُّبـــا
صـــيَّـرتـمـوهـا فَـلَـكـاً مـؤتـلـقـاً
لـمـا طـلـعـتَمْ في ذُراهـا شُـهُـبـا
وصـــارتِ الـدنـيـا بـعـيـنـي جـنـةً
وصـــار مـــائـي كـــوثـــراً، بل أعْـــذَبـــا
لـو جـئـتـكمْ من «عـبـقـرٍ»[٢] بـسـحْـرِهـا
وسُـقتُ في شـعـري الـدَّراريْ[٣] مـوكـبـا
لـــمّـــا وفَـيتُ بـعضَ بـعضِ دَيْـنـكم
ولا قـضـيتُ الـيـومَ شـكـراً وَجَـبـا
من يـسـتـفـدْ مـثـلي صِـحـابـاً مـثـلَكمْ
قـــد اســـتـــفـــادَ أدبـــاً ونَـــسَـــبـــا
مـــا كـــانت «الـســمـيـر» إلا وَرَقـــاً
لـــولاكمُ، والـــدارُ إلا خَـــشَـــبـــا
إن كـان من حُـسْنٍ فـمـنـكم قـد أتى
مـا قـيـمـةُ المِـصـبـاح لـولا الـكـهـرَبـا

---

(١) ألقاهاالشاعر في حفل تأبين زميله في (الرابطة القلمية) إلياس عطا الله (١٩٤٣)، في بروكلن، جنوبي نيويورك.
(٢) أرض الجن التي توحي بالشعر (ولكل شاعر شيطان يتبعه ويوحي إليه)، في الأسطورة المتناقلة. وإليها ينسب الشعراء فيقال (العبقريّ، والعباقرة).
(٣) نجوم السماء التي تضيء.

لـو كـانت «الـسـمـيـر» من أهل الـغِـنى
ســاقتْ تحــايــاهــا إلــيــكم ذَهَــبــا
أو روضــةً، أهــدتْ إلــيــكمْ زهــرَهــا
أو عـطـرَهـا مع الـقَـبـول والـصَّـبـا[1]
أو فــلَــكــاً، رفّتْ عــلــيــكم وحَــنَتْ
وعــلّــقتْ في كل بــيتٍ كــوكــبــا
أو جــدولاً، غــنّتْ لــكم مــيــاهُه
مـا دمـتمُ تُـصـغـونَ حـتى تَـنـضُـبـا
لــكــنــهــا جــريــدةٌ قــد أنــشــئت
لِـتَـخـدُمَ الـعـلْم وتُـعـلي الأدبـا
تــريــد لــلــنــاس الحــيــاةَ حــرّةً
لـلـنـاس طُـرّاً «عـجـمـاً» و «عـربـا»
تــنــفقُ ممــا عــنــدهــا وإنــهــا
لـتـنـفق الـعـمـرَ الـلـذيـذ الـطـيّـبـا
لا تـطـلـبـوا مـنـهـا سِـوى مـا مـلـكتْ
لا تـمـلكُ الـصَّـهـبَـاء إلا الـطَّـربـا

****

(١) الريح الندية التي تهبّ من نجد.

٥٥ - إلى عازر داود

[الرمل]

أيــهــا الجــالسُ بــين الــنــجــمــتــينْ
غــنّــنــا، يــا صــاحــبي، أُنــشــودتــينْ
قــد شــربــنــا خــمــرةَ الــكَــرْمِ، وإنْ
أنتَ أنــشــدتَ شــربــنــا خــمــرَتَــين

✱✱✱✱

٥٦ - إلى المونسينيور منصور إسطفان[١]

[الكامل]

هــذي تحــيَّــتُــنــا إلى «المــنــصــورِ»
مــشــفــوعــةً بــتــحــيَّــةِ الجــمــهــورِ
مع أنــفُس الــشُّــعــراء نــرسلُ شــوقَــنــا
فــاســمــع بــأُذن الــروحِ لحنَ شــعــور
وانــشَقْ أريجَ قــلــوبِــنــا، فــقــلــوبُــنــا
من وجــدِهــا كــمــجــامــرِ الــبَــخُّــور
يــا نــســر «لــبــنــانَ» المحــلِّقَ فــي الــفــضــا
المجــدُ تحت جــنــاحِك المــنــشــور
فــاســلمْ لأمــتك الــتي تــبــني لــهــا
لــتــزيــدَهــا من ســعــيك المــبــرور

✱✱✱✱

(١) أحد الأدباء (انظر النص ٥٢). وألقيت الأبيات في حفلة أقيمت لتدشين كنيسة لبنان (ألقاها سعيد عقل عريف الحفلة).

٥٧ - رثاء نجلاء صباغ[١]

[الكامل]

رجع الـربـيـعُ إلى المـدائِن والـقُـرى
نـوراً وعـطـراً في الـسُّـفـوح وفي الـذُّرا
لَـستْ يـداه الـعُـود أجـردَ يـابـسـاً
فـإذا به قـد صـار رَطْـبـاً أخـضـرا
لـلـهِ مـنه سـاحِـراً ومـصـوِّراً
بـهـرتْ عـجـائـبُه الـعـقـول وحـيّـرا
عـرض الجـمـالَ وقـال لـلـنـاس: انـظـروا
فـالـلهُ قـد خـلقَ الـعـيـونَ لـتـنـظـرا
لـكـنّـمـا الـعـينُ الـتي كـانت تـرى
ألَقَ الـربـيـعِ وحـسـنَه لـيـست تَـرى
المـوتُ أغـمـضَـهـا عـلى غـيـر الـرُؤى
مـا في الـردى شيءٌ كـأحلامِ الـكَـرى
لـكـنـمـا الـقـلبُ الـذي يـهـوى الـشَّـذا
والـنـورَ، قـد أمـسى دفـيـنـاً في الـثَّـرى
إن لم نـرحِّب بـالـربـيـع ولم نَـهِمْ
بـالحُـسنِ فـيه، فـحـقُّـنـا أن نُـعـذرا
فـلـقـد أضـعـنـا حـين جـاء إلى الحِـمَى
في بـنت «مَـطـرانٍ» ربـيـعـاً أنـورا
سـكـتتْ لـكي تـتـحـدثَ الـدنـيـا بـهـا
وغـفتْ لـكي تَـبـكي الـعـيـونُ وتـسـهـرا

(١) زوج أحد أصدقائه (قيصر صباغ). وألقيت الأبيات في حفلة دفنها، في ميلفورد ببنسلفانيا.

« نجلاءُ «إنكِ روضـــةٌ مـــعـــطـــارةٌ
عـصف الحِـمـام بـهـا، فـعـاثَ وبـعـثَـرا
رحلتْ عن الـقـصـر الـبـشـاشـةُ وانـطوى
عـهـد الـصَّـفـا والأنسِ في «أمّ الـقُـرى»[1]
فـالـيـومَ لا الأرواحُ تـبـسِمُ لـلـمُـنى
فـيـه، ولا الـلـذاتُ تجـري كـوثـرا
أفـنـيتِ نـفـسَكِ كـالـشـمـوع تـوقُّـداً
وقـطـعتِ عـمـرَكِ كـالـكـواكب في الـسُّرى
فـازدَدتِ مـجـداً في الـزمـان وشـهـرةً
وازداد قـومُكِ رفـعـةً بـين الـورى
زانـتْكِ في الـدنـيـا شـمـائلُ حُـرّةٍ
هي كـالجـواهـرِ إنمـا لا تُـشْـتَـرى
فـعـلـيكِ، يـا فـخـرَ الـنـسـاء وفـخـرَنـا،
مـنّـا الـسلامُ ممـسَّـكـاً ومـعـطَّـرا
ولـ «قـيـصـرٍ» مـنـا الـعـزاءُ، فـ «قـيـصـرٌ»
كـالـنَّـسْـرِ هِـيضَ جـنـاحُه وتـكـسَّـرا
بل صـار بَـعـدكِ، يـا رفـيـقـةَ عـمـرِهِ،
وتـراً، يـغَصّ بـلـحـنه مُـتَـعـثِـرا
إنّـا نـودّع نجـمـةً وضـاءةً
زالت، ونـدفِنُ كـنـز فـضـلٍ في الـثَّـرَى

****

(١) لقب ميلفورد ببنسلفانيا (انظر النص ٣ من الديوان الثاني، والنص ١٢ من «تبر وتراب»).

٥٨ - في حفلة تكريمه ببيروت[١]

[مجزوء الكامل]

المـــرءُ لـــيس يُـــقَـــاسُ فِي الـــدْ
ـــدنْـــيـــا بـــعِـــلْمٍ أو بـــجـــهلِ
بل بـــــالـــــذي في طـــــبـــــعِهِ
الـــفـــطـــريِّ من كـــرَمٍ ونُـــبْلِ
فـــلـــــربّ ذي عِـــــلْمٍ أسَـــــا
ءَ لأهـــــلـه ولـــــغـــــيـــــر أهلِ
ولَـــــــربَّ ذي جـــــهلٍ أفـــــا
دَ الـــنـــاسَ في خِـــصْبٍ ومَـــحْل
لـــولا ارتـــفـــاعُ نـــفـــوسِـــكمْ
لم يـــرتـــفعْ أبـــداً مـــحَـــلّي
لـــولا عـــيـــونُـــكمُ المحـــبَّـــةُ
مـــا تـــراءى قطُّ فَـــضْـــلي
دامتْ مـــكـــارِمُـــكمْ لـــكي
يـــشـــدو بـــهـــا الـــشُّـــعـــراءُ مِـــثـــلي

****

(١) الأبيات الختامية للقصيدة التي ألقاها الشاعر في الحفلة التي علّق فيها مدير خارجية لبنان وسام الأرز الوطني اللبناني من رتبة ضابط.

٥٩ - في حفلة تكريمه بدمشق[١]

[الكامل]

أنــا إن شــكــرتُكَ يــا «أبــا حــسّــانَ»
أعــلــيتُ من قــدري وقــدْرِ بــيــاني
أشــرقتَ في نــفــسي سَــنــاً فــأريــتَــنِي
وجهَ الــربــيــعِ ولــستُ في «نَــيــســان»
ســأَتِــيَهُ أنّي في زمــانك عــائشٌ
ومــعي يــتــيهُ ـ كــمــا أتــيه ـ زَمــاني

✱✱✱✱

٦٠ - في صالة منصور

[مجزوء الرمل]

شــربتْ عــيــنــاكِ روحي
فــهْيَ في عــيــنــيكِ سِــحــرُ
وأذاب الحــبُّ قــلــبي
فــهــوَ في كــأسيَ خــمــر
هــذه الــلــيــلــةُ دنــيــا
كلُ مــا فــيــهــا يَــسُــرّ
لا تــقــلْ لــيــلٌ ويمــضي
لــيس لــلَّــذةِ عُــمْــر

✱✱✱✱

(١) الخطاب في الأبيات لرئيس جمهورية سورية يومذاك (١٩٤٩) شكري القوتلي.

٦١ - في بيت فخري البارودي[١]

[السريع]

يـــا صـــاحـــبي!قـــد كـــمَلَ المجـــلسُ
ونـــــحـن نـــــحـن الملأُ الأقـــــدسُ
لـــتـــنـــعسِ الأنجُمُ فـي أفلاكِـــهـــا
ســـنـــســـهـــرُ الـــلـــيلَ ولا نَـــنْـــعَس!

✱✱✱✱

٦٢ - إلى توفيق فخر[٢]

[الرجز]

رافـــقَك َالـــهـــنـــاءُ، يـــا رفـــيقُ
وعُـــدْتَ بـــالـــتـــوفـــيقِ، يـــا «تـــوفـــيقُ»
يـــا شـــاعـــراً أخلاقُهُ كـــشـــعـــرِهِ
مـــتـــانـــةً، كـــقـــلـــبه رقـــيقُ
أنت صـــــديقٌ لا يَـــــحـــــول ودُّه
فـي زمنٍ قلّ بـه الـــــصَّـــــديق

✱✱✱✱

(١) في سهرة موسيقية، في بيته. وقد داهم الندامى النعاس.
(٢) كان يعاون الشاعر في تحرير جريدة (السمير)، وكان على أبواب رحلة إلى جمهورية الدومينيك.

٦٣ - إلى رشيد أيوب[١]

[الطويل]

رأيــتُكَ تحت الــلــيل كــالــلــيلِ ســاكــتــاً
وعـنـد ضـفـافِ الـبـحـرِ تـهـدُر كـالـبـحـرِ
تــئنُّ من الــدنــيــا الــتي طــال جَــورُهــا
وتـشـكـو من الـدهـر الخَـؤونِ إلى الـدهـر
بـكـيتَ فـأبـكـيتَ الجلامـدَ في الـثَّـرى
ونُــحتَ فــحــرّمتَ الــرُّقــادَ عــلى الــبــدر
فـأصـبـح في هـذي الـسَّـمـوات حـائـراً
كـصـاحب إيمـانٍ يمـيل إلى الـكـفـر
أراه بـعـيـني مُـصـغِـيـاً كل لـيـلـةٍ
لأنك قــد عــوّدته رنّــة الــشِّــعــر
أرى فـيك من «شـيخ المـعـرّة «نـفـحـةً
وفي نفحاتِ «الشيخ»[٢] شيءٌ من السحر
وهــبــتُك من شــعــري وعــنــدك مــثــلُه
ولـو كـنتُ ذا تـبـرٍ وهـبـتُك من تِـبْـري
وإن لـم يــكـن هــذا ولا ذاك شــافــعــاً
فـإنيَ قـد ألـقـيتُ حِـملي عـلى «شـكـري»[٣]

****

(١) إثر صدور ديوانه (الأيوبيات). وكان يلقب بالشاعر الدرويش. انظر رثاء أبي ماضي إياه (النص ٥٠).
(٢) أبو العلاء المعري.
(٣) شكري أبو صالح الذي كتب له الشاعر (النص ٢١).

٦٤ - «زحلة الفتاة»

[الرمل]

لي فـــتـــاةٌ مَلأتْ صـــدري جَـــوىً[١]
ذاب فـيـهـا الـقـلبُ شـوقـاً واحـتـرقْ
كلَّ يـــومٍ لـيَ مـــنـــهـــا مـــوعـــدٌ
في صـبـاحٍ، في مـســاءٍ، في غَـسَق[٢]
لا تـظـنـونـي أثـيـمـاً في الـهـوى
فـ «فـــتـــاتـي» من مِـــدادٍ وورق

****

٦٥ - شعار «السمير»[٣]

[الرمل]

أنـــا لا أُهـــدي إلـــيـــكمْ وَرَقـــاً
غـيـرُكمْ يَـرضى بـحِـبْـر وورقْ
إنمـــا أُهـــدي إلى أرواحـــكمْ
فِـكَـراً تـبـقى مـتى الـطِّرس[٤] احـتـرقْ

****

---

(١) الحرقة وشدة الوجد (جَوِيَ - يجوى).
(٢) أول ظلمة الليل.
(٣) جريدة أبي ماضي التي أصدرها ابتداءً من سنة ١٩٢٩.
(٤) الورق.

المحتوى

(ما لم تجمعه الدواوين)

١ – إلى بطل الوطنية (الشيخ عبد العزيز جاويش) ٩٤٥

٢ – مصر والاحتلال ٩٩٧

٣ – روزفلت ومصر ١٠٠١

٤ – عيد الحرية العثماني ١٠٠٢

٥ – نفثة مصدور ١٠٠٦

٦ – نجوى لبناني ١٠١٠

٧ – عتاب إلى إلياس عطا الله ١٠١٣

٨ – اليهودي التائه (أو كل حامل كشكول) ١٠١٦

٩ – وقْفٌ عليكَ الشعر (إلى كل حامل كشكول) ١٠٢١

١٠ – ماذا ؟ ١٠٢٥

١١ – حكاية ١٠٣٠

١٢ – أيا عجل اليهود ١٠٣٤

١٣ – يانوح أين دلائل الطوفان ؟ ١٠٣٨

١٤ – توديع رستم بك ١٠٤٤

١٥ – إلى شاعر «السائح » ١٠٤٧

١٦ – انقر يا دف على الطارة ١٠٥١

١٧ – وقائلةٍ ١٠٥٤

١٨ – ياقومي! ١٠٥٧

١٩ – ياهذا ! ١٠٦١

٢٠ – ماذا نقول ؟ ١٠٦٤

٢١ – إلى شكري أبي صالح ١٠٦٧

٢٢ – و ... ١٠٧٠
٢٣ – ما كان أحوجني ١٠٧٣
٢٤ – تنصير نور عبد المجيد حداد ١٠٧٤
٢٥ – النكبة في سوريا ١٠٧٦
٢٦ – انقر يا دف على الطارة ١٠٧٧
٢٧ – توديع أمين الرحاني ١٠٧٩
٢٨ – إكليل توفيق خوري ١٠٨٤
٢٩ – حاملات الطيب ١٠٨٦
٣٠ – ولقد ذكرتك ١٠٨٨
٣١ – تنصير ابن حنّا نحاس ١٠٨٩
٣٢ – جمعية الصليب الأحمر السورية ١٠٩١
٣٣ – توديع نعمة تادرس ١٠٩٢
٣٤ – دار رشيد أيوب ١٠٩٤
٣٥ – رثاء المطران أثناثيوس عطا الله ١٠٩٥
٣٦ – جمعية الاتحاد السوري ١٠٩٨
٣٧ – نشيد يوسف بك كرم ١١٠١
٣٨ – إلى ندرة حداد ١١٠٣
٣٩ – في عرس ندرة حداد ١١٠٤
٤٠ – كذا الإله خلقه ١١٠٦
٤١ – النار أشره آكل ١١٠٨
٤٢ – إلى النابح العاوي ١١٠٩
٤٣ – دعه ينبح ١١١٤
٤٤ – خطبة ميشيل حداد ١١١٥

٤٥ – الجدول الطروب ١١١٦
٤٦ – صوت بلادي ١١١٧
٤٧ – يا ليتني ١١١٨
٤٨ – الزمهرير في نيسان ١١١٩
٤٩ – النجمة الهاوية ١١٢٠
٥٠ – رثاء رشيد أيوب ١١٢٣
٥١ – إنه الشاعر ١١٢٥
٥٢ – تكريم الأب منصور إسطفان ١١٢٨
٥٣ – رثاء إلياس عطاالله ١١٣١
٥٤ – دار «السمير» الجديدة ١١٣٣
٥٥ – إلى عازَر داود ١١٣٥
٥٦ – إلى المونسينيور منصور إسطفان ١١٣٥
٥٧ – رثاء نجلاء صباغ ١١٣٦
٥٨ – في حفلة تكريمه ببيروت ١١٣٨
٥٩ – في حفلة تكريمه بدمشق ١١٣٩
٦٠ – في صالة منصور ١١٣٩
٦١ – في بيت فخري البارودي ١١٤٠
٦٢ – إلى توفيق فخر ١١٤٠
٦٣ – إلى رشيد أيوب ١١٤١
٦٤ – «زحلة الفتاة» ١١٤٢
٦٥ – شعار «السمير» ١١٤٢
– الفهرس ١١٤٣

✷✷✷✷

المحتوى العام

■ الديوان الأول – الجزء الأول (تذكار الماضي) ٧٧

■ الديوان الأول – الجزء الثاني ٢٤٥

■ الديوان الثالث (الجداول) ٥٥١

■ الديوان الرابع (الخمائل) ٦٦٧

■ الديوان الخامس (تبر وتراب) ٨٤٧

■ ما لم تجمعه الدواوين ٩٩٣

✱✱✱✱